سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابع

موسوعة مصر القديمة (الجزء الرابع)

عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية

تأليف
سليم حسن



موسوعة مصر القديمة (الجزء الرابع)

سليم حسن

رقم إيداع ١٦٦٩٠ / ٢٠١٥
تدمك: ٦ ٣٤٥ ٧٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: سيلڤيا فوزي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2017 Hindawi Foundation for Education and Culture.
All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

تمهيد

إن عصر الدولة الوسطى — وقد فصَّلْنا القولَ فيه على قدر ما سمحتْ به مصادرنا — عهدُ حضارة وثقافة وفن عظيم؛ فلقد قَطَعتْ فيه مصر شوطًا بعيدًا، صاعدة في معارف الرقي الإنساني من جميع نواحيه؛ ولكن ما لبث هذا العهد أن انقضى، وخَلَفَه عهد مظلم حالك، لا يكاد المؤرخ المحقِّق يَلْمح فيه ما يهديه إلى حال البلاد ونظمها ومقدار ثقافتها، اللهم إلا ومضات لا تكاد تلمع حتى تخبو، ثم تتوالى جحافل الظلام وتتلاحق بعد ذلك، فتحجب كلَّ شيء في جوفها القاتم العابس. كان ملوك هذه الدولة لا يكاد يستقر أحدهم في عرشه حتى تتزلزل قواعده، ويهوي بين عشية وضحاها، وهكذا ظلَّت هذه الحال المفجعة تطغى على البلاد على إثر سقوط الأسرة الثانية عشرة، حتى حوالي ختام الأسرة الثالثة عشرة، عندما ظهر على مسرح السياسة المصرية قومٌ مِن الأجانب ملكوا أزمَّة البلاد، وريفها بخاصة، وتَحكَّموا في أقدارها قرابة قرن ونصف قرن من الزمان.

وتدل معلوماتنا الحديثة على أن هؤلاء المغتصبين لم يهبطوا على البلاد فجاءة فاستولوا عليها كما يزعم المؤرخون، ولكنهم تسرَّبوا إليها ببطء وعلى مهل، حتى إذا نشروا ثقافتهم ومبادئهم، ووضَحَتْ أمامهم سبل مصر وشعابها، انقضُّوا عليها بجيش جرَّار، سيطروا به على الدلتا في بادئ الأمر، ثم امتد سلطانهم إلى مصر الوسطى، ولقد ألحق المصريون بهؤلاء الغزاة كلَّ نقيصة متأثرين بعدوانهم، فسمَّوْهم «الهمج» و«الهكسوس» (الرعاة) و«الطاعون» إلى غير هذه الأسماء التي يُضْفيها المغلوب على المغتصب القاهر. ولم يكن هؤلاء الغزاة الذين اجتاحوا مصر جملةً حوالي عام ١٧٣٠ق.م همجًا ولا متوحشين — كما تُحدِّثُنا التقاليد التاريخية التي وصلت إلينا عن تاريخ كتَّاب الإغريق — بل كانوا مثقفين ذوي حضارة وعرفان، فنَهِلَت مصر من موردهم، واستنارت بمدنيَّتهم التي

انتظمت فنون الحرب ونواحي الصناعة، وأَخذَت عنهم كثيرًا من المخترعات التي لم تُعرف قبلُ في وادي النيل، ولقد كان ذلك حافزًا لنا على إفراد فصلٍ من هذا الكتاب لِبَحثِ أحوال أولئك الأجانب، وما خلَّفوه في البلاد من آثارٍ، وكيف هاجروا إليها أولًا، ثم كيف غَزَوْها جملةً، ومن أين أَتَوا، وإلى أي السلالات البشرية يَنتسِبون، وغير ذلك من المسائل المعضلة في تاريخ هؤلاء القوم.

ولقد عُنِينا بتحقيق مدة إقامتهم في ديارنا، إلى أن استيقظ الروحُ القومي، وهبَّ الوعي المصري، وشَعَرَ بما تعانيه البلاد من ذل ومهانة، في ظِلِّ الحكم الأجنبي الغاصب، وسيطرتِه على معظم تربة مصر، وهي أرض الدلتا التي تفيض بالثراء، ومصر الوسطى التي تنعم بأجمل الأجواء، وأطيب الغلات؛ من أجل ذلك هبَّ المصريون إلى ساحة القتال يناضلون عن استقلال بلادهم، يقودهم سلسلة من ملوك مصر الشجعان، لتخليص البلاد من النِّير الأجنبي، فاستُشهد منهم من استشهد في ساحة الشرف مدافعًا عن أرض الكنانة، وناضل منهم من ناضل حتى مات حَتْف أنفه، إلى أن قيَّض الله لمصر النصر النهائي، وتحرَّرَت البلاد منهم على يد الفرعون العظيم «أحمس الأول»، الذي طارد العدوَّ المستعمِر حتى خارج حدود مصر، ومما هو جدير بالذكر هنا أن الجنود السودانيين الشجعان قد أسهموا في القضاء على هذا العدوِّ المشترك منذ بداية الأمر؛ إذ كانوا يؤلِّفون فرقة في جيش الفرعون «كامس».

وقد كان «أحمس الأول» — مُجْلِي الهكسوس عن البلاد، وأولُ فراعنة الأسرة الثامنة عشرة — المؤسسَ الأول لبناء الإمبراطورية المصرية، التي امتدَّ سلطانها، وثَبَتَت دعائمها في أواخر عهد العاهل العظيم «تحتمس الثالث»، الذي يلقِّبه بحقٍّ مؤرخو الغرب «نابليون الشرق»، فصارت تمتد من أعالي نهر «دجلة والفرات» شمالًا حتى الشلال الرابع جنوبًا، وقد حافظ على كيانها أخلافُه حتى نهاية عهد «أمنحتب الثالث»، إلى أن جاء الفرعون «أخناتون» يحمل لواء عقيدة التوحيد، والإيمان بالإله الأحد الفرد الصمد، وأخذ في نشر تعاليمه السلمية علنًا بعد أن كانت تُذاع تحت ستار من الإبهام، غير أن انكبابه على نشر رسالته الروحية قد صرفه عن الالتفات إلى أحوال البلاد الداخلية والخارجية؛ مما أدى إلى تداعي ذلك البنيان الذي أقامه أجداده بحد السيف وحُسْن السياسة، فانتقصَت الدولة من أطرافها حتى انكمشَت في عقر دارها، ولكنَّ عهْده كان سحابة صيف تقشَّعت إثر اختفائه من مسرح الحياة، فقيَّض الله للبلاد جنديًّا من أبنائها الأبطال؛ وهو «حور محب»، الذي أعاد للبلاد بعضَ سُؤْدُدِها السالف وسمعتها الحربية التي كانت قد تداعت.

وسنحاول هنا أن نستعرض تاريخ الكنانة في عهد هذه الأسرة بطريقتنا الخاصة، التي يكون اعتمادنا فيها على الوثائق الأصلية، وآخِر البحوث العلمية التي نُشرتْ حتى الآن.

وعلى الرغم مما يَعترض مؤرخي العصور القديمة من عقبات، ومسائل معقدة لم يزل حلها معلقًا، والقولُ الفصل فيها متوقفٌ على نتائج الحفائر العلمية التي تقوم في مصر وغيرها من بلدان الشرق المجاورة؛ فإن لدينا مادة وفيرة تكْشف لنا القناع بعض الشيء عن حضارة البلاد وثقافتها، بصورة واضحة جليَّة في نواحٍ كثيرة كانت مجهولة، وبخاصة حياة الشعب، وما كانت عليه أحوال أفراده من صِلات اجتماعية تربط بعضهم ببعض، وبطائفة الحكام؛ وكذلك لدينا من الوثائق ما يضع أمامنا صورة مفهومة عن أعمال فراعنة هذه الأسرة في داخل البلاد وخارجها، وما تركوه لنا من آثار خالدة هنا وهناك.

وهذه المادة التي سنعتمد على استنباط تاريخ هذا العصر منها تنحصر أولًا فيما خلَّفه لنا عظماءُ القوم في نقوش مقابرهم الفاخرة في طول البلاد وعرضها؛ وثانيًا فيما تركه لنا الملوك من مبانٍ دينية، ومقابر ملكية وأوراق بردية في «طيبة» عاصمة مُلْكهم وغيرها دوَّنوا عليها كل أعمالهم العظيمة في كل مرافق الحياة.

والواقع أن المقابر التي نَحَتَها عظماء القوم، ورجال البلاط، والموظفون في عهد هذه الأسرة، والأسرات التي كانت فيها «طيبةُ» عاصمةَ الملك؛ تُعَدُّ بمثابة سجل تاريخي من الطراز الأول؛ إذ إنهم لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة في نواحي حياتهم اليومية، العامة والخاصة، إلا أحصوها، ولم يَحِدْ عن هذا المنهج المحبَّب شريفٌ أو موظف منهم؛ فنرى رئيس الوزراء يصور لنا على جدران مزار قبره صورةً صادقة يوضِّح فيها كل مهامِّ أعماله الحكومية في داخل البلاد، كما يصوِّر لنا في منظرٍ آخَر استقبالَه للوفود الأجانب الذين أَتَوا إلى مصر حاملين ما فُرض عليهم من جزية للفرعون، أو جالبين الهدايا له؛ طلبًا في وده ومصادقته. فترى أمامك ممثلي الأقطار الخاضعة لمصر، وبخاصة السوري والفلسطيني والسوداني واللوبي، مقدِّمين ما عليهم من جزية، كما نرى «الخيتي» و«الكريتي» و«القبرصي» و«الآشوري» حاملين الهدايا، وكلٌّ منهم يرتدي لباسه القومي، مقدِّمًا ما تُنتجه بلاده من خيرات وطرائف؛ وفي ناحية أخرى دوَّن لنا القوانين والتعاليم التي يجب أن يسير على هديها هو وطائفة الموظفين الذين في رِكَابه في إقامة العدالة في البلاد؛ أو تراه يُشْرف على كل الأعمال العظيمة من مشاريع اقتصادية وزراعية وفنية وهندسية، ويوجِّه العمالَ إلى إدارة أعمالهم، حتى في أحقر المهن وأصغرها شأنًا، حتى يَعْلم كلٌّ أنه محيط بكل شيء، ومتنبه لكل صغيرة وكبيرة؛ وفي ناحية أخرى تراه مصوَّرًا

وهو متربع على كرسيِّه المتواضع في قاعة العدل، يصرف العدالة بين أفراد الشعب، ويوجِّه رجالَ الدولة إلى تصريف مهامِّها، ويستقبل وفودَ المقاطعات، ويطَّلع على الضرائب وكيفية توزيعها وجمعها على حسب ما تقتضيه حالة النِّيل من زيادة أو نقص.

وعلى جدران مزار مقبرة أخرى نرى صاحبَ الأملاك أو الشريف وهو يُشْرف على سَيْر العمل في ضِياعه، وهنا تَرى صورةً صادقة عن حياة الفلاح المصري القديم تُطابِق حياته الزراعية الحديثة، فتراه يحرث الأرض ويبذر فيها الحب، ويتعهدها بالري، ثم يضمُّ المحصولَ ويدرسه ويخزنه للشريف، كما يحدث الآن مع فارق واحد هو أن صاحب الأرض في مصر القديمة مهما كانت مكانته كان ينزل للفلاح عن نصيب مُعيَّن يقتات به هو وأسرته، سواء أكان المحصول كثيرًا أم ضئيلًا؛ ولذا نلحظ أن الفلاح كان يعمل لسيده بقلب مطْمَئن ونفس راضية.

ونقرأ على جدران مقابر الموظفين من رجال الإدارة والجيش والسلك السياسي صفحاتٍ أخرى، تُبدي ما كانوا يقومون به من أعمال جِسام خدمةً لبلادهم وللفرعون الذي كانوا يحيطون به إحاطة النجوم بالقمر في ليلة صافية الأديم، وبخاصة إذا علمنا أن هؤلاء الموظفين في تلك الفترة من تاريخ البلاد لم يكونوا من طبقةِ أشرافٍ وراثيِّين، بل كانوا أفرادًا من عامَّة الشعب، شقُّوا طريقهم إلى المجد والرفعة بما قاموا به من خدمات مُخْلصة لبلادهم وللفرعون في ساحة القتال، أو في تسيير دفة الحكم في البلاد؛ لذلك كان كل واحد منهم يصوِّر لنا حياته من كل نواحيها؛ فيذكر لنا مناقبه، والوظائف التي تَقلَّدها، والإنعامات الملكية التي نالها جزاءَ ما قام به من جليل الأعمال في داخل البلاد وخارجها، غيرَ معتمِد على نسبته لأسرةٍ شريفة أو جاهٍ عريض، بل كان يفخر بأنه نشأ من أبوين رقيقَي الحال، ثم يشفع ذلك بالمناظر التي تصوِّر لنا ذلك كله، فنشاهده وقد أرسله الفرعون في بعثة إلى «سوريا» أو «فلسطين» أو «السودان» لإنجازِ مهامَّ سياسيةٍ أو لإحضار الأخشاب اللازمة لبناء المعابد والقصور، ثم نشاهد البعثة وقد وصلتْ سالمةً إلى ميناء «طيبة» محمَّلة بالخيرات، وعلى جدران مقبرة أخرى نشاهد أحد كبار رجال الجيش يمثِّل لنا حياة الجندي العظيم وهو يقوم بما فُرض عليه من واجبات، فنراه مع جنوده وضباطه وهو يوزع عليهم أرزاقهم وأعطياتهم، كما يعرض علينا كيفية تجنيدهم وتسليحهم واستعراضهم وتدريبهم على فنون الحرب، والفرعون يشرف على هذا بنفسه. على أن هؤلاء العظماء وكبار الموظفين لم ينسوا أن يصوِّروا لنا على جدران مزار مقابرهم نصيبَهم من الحياة الدنيا ومتاعِها؛ فقد صوروا لنا مناظر خروجهم للصيد

والقنص في عرباتهم المطهَّمة، تتبعهم كلابهم المدرَّبة، أو وَهُمْ في قواربهم لصيد السمك، ومعهم أزواجهم وبناتهم، أو نراهم في حفل أُسَريٍّ دُعي إليه الأقارب والأصدقاء، وهنا نشاهد ما كان عليه المصري صاحب اليسار من أناقة الملبس وتسامُح في معاقرة الخمر والْتهام أشهى الأطعمة المختلفة الألوان، وفي هذا الحفل تَرى أواصر الأسرة المحكَمة والحب المتبادَل، كما تَرى من ناحية أخرى مقدارَ ما وَصَلَ إليه المثال من الدقة والإبداع في إخراج الصُّوَر وتنسيقها.

ولدينا طرازٌ آخَر من المقابر نرى على جدرانها أن الموظف قد عُني عناية خاصة بتصوير حياته الحكومية، فيمثِّل لنا الحفل بتنصيبه في وظيفته الجديدة بين يدَي الفرعون، ذاكرًا لنا كلَّ ما كان يحمله من ألقاب ووظائف وكيف درج فيها، ومعددًا لنا ما كان متَّصِفًا به من فضائل وعدالة فذَّة، وبالقرب من هذا الموظفِ آخَرُ قد عُني بناحية أخرى من حياته الحكومية، وبخاصة المشْرفون على غلات البلاد ومحاصيلها، وما كان لهم من شأن عظيم في حياة البلاد، ولا سيما إذا عَلِمنا أن حياة مصر كانت تعتمد على ما تنتجه من غلات، وما كان للقائمين بهذا العمل من مكانة خطيرة، ولا أَدَلُّ على ذلك من أن «يوسف» — عليه السلام — الذي يُحتمل أنه دخل مصر حوالي هذه الفترة، كان أول ما طَلَبَ من الفرعون هو أن يجعله على خزائن الأرض أمينًا؛ لذلك نرى المشرف على خزائن غلات مصر في ذلك العهد قد مثَّل لنا مهامَّ أعمالِه بدقة بالغة، مقدمًا للفرعون مقدار ما تُخرجه أرضُ مصر، وما يَفِدُ عليها من غلات من الخارج، كما كان يصوِّر لنا الحفل العظيم الذي كان يُعقد ابتهاجًا بِعيد الحصاد الذي كان يرأسه الفرعون بنفسه.

ومما يلاحَظ هنا أنه قد أتى على مصر فترة في عهد هذه الأسرة كان الفلاح فيها سعيدَ الحال موفورَ العيش، لدرجة — إذا صدَّقنا ما نشاهده في المناظر الباقية — أنه كان يرتدي الملابس الجميلة وينتعل النعال المتينة في أثناء قيامه بحصد المحصول مما يتمناه فلاح مصر اليوم.

وقد صوَّر لنا المصريُّ معتقداتِه الدينيةَ في شعائره التي نرى بعضها حتى الآن؛ فقد كان المصري في كل مناظر قبره يدوِّن الصلوات والتعاويذ الدينية لأجْل بقاء تماثيله وجسمه؛ حتى يَنعم بكلِّ ما كان يَنعم به في الحياة الدنيا التي صوَّرها على جدران قبره، والتي كان يأمل أن تكون حقيقة ملموسة، إذا ما تُلِيَت عليها الأدعية والصلوات الخاصة بذلك، ولعل هذا هو السر في تصوير كل هذه المناظر في تلك القبور، ولا نِزاع في أن المصري كان يُعَدُّ أكبرَ مُواطِنٍ أَحَبَّ وطنَه؛ إذ كان يَعُدُّه متاعه في الحياة الدنيا، ونعيمه المقيم في عالم الآخرة؛ لأنه كان يعتقد أن جَنَّة عالم الآخرة ليست إلا صورة أخرى لمصر وطنِه المحبوب.

من أجل ذلك كلِّه رأيتُ — وأرجو أن أكون قد أصبتُ الهدف — أنْ أتَّبع عهد كل فرعون بوصف قبورِ نخبةٍ من رجال عصره، شارحًا ما تنطوي عليه مَناظر مزارات قبورهم وما تَكشِف لنا من حياة الشَّعب الاجتماعية، وعلاقتهم بكبار رجال الدولة وبمليكهم. ولقد وَجَّهتُ عناية خاصة لقبر الوزير «رخ مي رع»، الذي يعد بحقٍّ أعظمَ وزراء مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة، بل في التاريخ المصري كله. والواقع أن قبر هذا الوزير، فضلًا عن فخامته وعظمته من حيث النحت والضخامة، سِجِلٌّ في تاريخ الحياة الاجتماعية والسياسية والفنية والهندسية. ولا نكون مبالِغين إذا قررنا هنا أنه يمثِّل أمامنا تمثيلًا حيًّا مملكةً بأَسْرها رُسمت على جدران قاعات مزاره الفسيحة الأرجاء، فنرى على أحدها الفرعون ينصِّب الوزير ويلقي عليه خطابًا رائعًا عن مهامِّ وظيفته في حفل عظيم رسمي، ثم نشاهده في قاعة العدل على كرسيِّه وحوْله أعوانُه وكَتَبَتُهُ على استعداد لسماع شكايا القوم والفصل فيها، وبعد ذلك نراه في مشهد آخر يَستقبِل الوفودَ من الممتلكات المصرية، ويستقبل وفود الأقاليم من كل مقاطعة يَعرضون عليه أحوال البلاد المختلفة، ونراه في منظر آخر يُشرِف على مشروعات الفرعون العظيمة؛ من بناء معابد ووضع تصميماتها، وتهيئة كل ما تحتاج إليه، حتى صناعة اللبنات كان يشرف عليها ويوجِّه العمالَ في كيفية صناعتها، كما كان يسهر على مصلحة العمال من نساء ورجال، وبخاصة الأسرى الذين كان يُحْسن معاملاتهم ويعطيهم نصيبهم من الحياة، وكذلك نشاهده يشرف على ممتلكات الإله «آمون» وعبيده في معبد الكرنك، وما يتبعه من المعامل والمصانع التي كان يقوم فيها أهل الحرف والصناعات بأعمالهم خير قيام، ولم يَترك لنا «رخ مي رع» حرفة أو صناعة إلا مثَّلها أمامنا تمثيلًا صادقة بكل آلاتها ومعداتها مما لم يجتمع في مزارِ مقبرةٍ أخرى بصورة واضحة جليَّة؛ فترى أمامك النجار يعمل بآلته، والخباز والحداد ودابغ الجلود والصائغ وصانع الأحذية والنحال، وتحضير الشهد وصَهْر المعادن وصبها، والمباني وكيفية إقامتها، والأحجار وقطْعها ونحْتها، وغير ذلك مما سيراه القارئ بعدُ مفصَّلًا.

وفي ناحية أخرى مِن قبره نشاهده بين أفراد أسرته في حفل أُسَري دعا فيه الأهل والخلَّان، وفي حفل آخر نراه داعيًا كبار موظفيه ليستأنس برأيهم في تصريف الأمور، وفي كل ذلك نرى الأزياء الخلابة وأنواع الطعام الفاخرة، هذا إلى مناظر دينية خاصة بإحياء تمثاله أو موميائه في عالم الآخرة، وترتيب الأوقاف الخاصة بطعامه الأبدي، وغير ذلك مما سنراه في مكانه. هذا إلى أنه قد تَرجم لنفسه ليُظهر للعالم ما كان عليه من أعباء جسام وما اتَّصف به من خُلُق كريم ومكانة فذة.

ولدينا صنف آخر من كبار رجال الدولة قد حاول أن يمثِّل في قبره مناظر تصفه في مكانة رفيعة، تضارع ما كان يعمل للفرعون نفسه كما فعل «سنموت» أكبر رجال الدولة في بلاط «حتشبسوت»؛ فقد زيَّن جدران قبره بمناظر تدل دلالة واضحة على أنه كان قاب قوسين أو أدنى من الاشتراك في المُلْك مع سيدته وصديقته «حتشبسوت»، كما تَرَك لنا بعض المناظر العلمية، وبخاصة المنظرُ الفلكي الذي حلَّى به سقف قبره، مما لا نجده إلا في قبور الملوك العظام.

ولا إخال القارئ الذي ينظر إلى التاريخ نظرة اجتماعية يجدنا قد شطَطْنا عن الصواب في الاهتمام بتصوير حالة الشعب وما كانوا عليه من نعيم أو شقاء، أو أنَّا قد جاوزْنا الحد في العناية بشرح ما على مقبرة «رخ مي رع» من مناظر تصف لنا الحياة المصرية كما كانت عليه منذ ٣٥٠٠ سنة تقريبًا، وفي رأيي أن هذا هو التاريخ الحي الحق، ذلك التاريخ الذي يُعنَى بالشعب وحياته من كل الوجوه، ولا غرابة في ذلك؛ فقد عَرَّف أحد المؤرخين المحدِّثين علمَ التاريخ بأنه هو «علم الاجتماع».

والمصدر الثاني الذي اعتمدنا عليه في كشف النقاب عن تاريخ هذه الفترة هو الآثار التي خلَّفها لنا فراعنة هذه الأسرة، وتنحصر في المعابد التي أقاموها للآلهة في مختلف أنحاء الإمبراطورية، وكذلك المعابد التي شيَّدوها لأنفسهم، والمقابر التي نحتوها في جوف الجبال في الجهة الغربية من النيل، هذا إلى البقية الضئيلة التي خلَّفوها لنا من مبانيهم الدنيوية، وما عُثر عليه من أوراق بردية في مختلف تلك الآثار.

والواقع أن ملوك هذه الأسرة قد اتخذوا معابد آلهتهم — الذين كانوا يهبُونهم النصر في ساحة القتال — سجلًّا لتدوين كل أعمالهم ومفاخرهم، إلى جانب الغرض الأصلي من إقامة هذه المعابد؛ وهو إقامة الشعائر الدينية للإله الذي كان يُعد والد الفرعون، وتلك مَزيَّة خاصة وظاهرة جديدة اختصَّ بها فراعنة الدولة الحديثة؛ لأن الإله في ذلك العهد أصبح هو المسيطر بنفوذه السياسي والديني على كل الإمبراطورية المصرية، وسادَت العقيدة بذلك كلَّ أرجاء الدولة. ولما كان الإله يُعد في نظر الشعب والدَ الفرعون، كان لزامًا على ابنه أن يدوِّن على جدران معابده ومعابد الآلهة الآخرين التابعين له، والذين آزروه وعزَّزوه ونصروه في ساحة القتال، كلَّ ما أحرزه من نصر حربي، كما يكشف عن خططه الحربية وما إلى ذلك من جِسام الأمور وجليل الأعمال التي تَمَّتْ في عهده في ظل عطف والده الإله، سواء أكان ذلك في داخل البلاد أم في خارجها. وفي الحق لم نجد لهذه الظاهرة أثرًا من قبل في كل ما بقي لنا من آثار ملوك الدولة المصرية السابقة إلا الشيءَ القليل؛ إذ كانت كل نقوشها بوجه عامٍّ خاصةً بالمراسيم الدينية وإقامة الشعائر.

ولا نزاع في أن معبد «الكرنك» أو معبد «الدير البحري» أو معبد «أمنحتب الثالث» الجنازي، وغيرها من المعابد التي أقيمت في المدن المصرية الأخرى أو في السودان، هي سجلَّات دوِّنت عليها حروبُ ملوكِ مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة، كما دوِّنت عليها بعوثُهم التجارية وعلاقاتهم الخارجية، وقد كانت ولا تزال معرضًا علميًّا من الطراز الأول لما كان عليه القوم من ثقافة عالية في مختلف العلوم والفنون — وبخاصة في فن البناء والنحت والحِرَف والصناعات الدقيقة — والأدب مما كان يعمله الفرعون إرضاءً لوالده الإله مستعينًا في تنفيذه بما يتدفق على الكنانة من الجزية والهدايا التي ترسلها البلاد الخاضعة لسلطان الفرعون بحدِّ السيف أو بالمهادنة والمصادقة، كما كانت هذه المعابد سجلًّا للملوك أنفسِهم يدوِّنون عليها تاريخ حياتهم وكيفية اتصالهم بالإله الأعظم صاحب السيادة العالمية «آمون رع» وقتئذٍ.

فبينا نرى الملكة «حتشبسوت» مثلًا تصوِّر لنا على جدران معبدها بالدير البحري تاريخ ولادتها وكيفية اعتلائها عرش الملك، نراها تمثِّل لنا في نفس المعبد البعثةَ البحرية السلمية التي أرسلتْها إلى بلاد «بنت»، وهي الأرض المقدسة التي كانت تمتدُّ على ساحل الصومال وبلاد اليمن، لتُحْضر البخور والأشجار العطرية لتغرسها في معبدها الذي بَنَتْه لنفسها ولوالدها الإله «آمون»، وتعود البعثة وسفنها محملة بكل طرائف بلاد بنت، مما وقفنا على كثير من أحوال أهلها وغلاتها وحيوانها وسمكها والأجناس التي تسكنها، ونرى كذلك «تحتمس الثالث» يدوِّن لنا على جدران «معبد الكرنك» تاريخ حروبه وفق يومياتٍ كانت تؤلَّف لهذا الغرض في ساحة القتال، ويقيم معبد للإله «آمون» الذي نَصَرَه في كل المواطن على هيئة خيمة حربية، مُشعرًا بذلك أن إلهه لم يكن إله سلم وحسب، بل كان إله نضال أَخَذَ يناصر ابنه الفرعون في ساحة القتال، وكذلك نراه يعرض علينا كل أنواع الهدايا والغنائم، والأعمال العظيمة الدينية التي قدمها للآلهة الذين وهبوه النصر في ساحة الوغى، ثم يعدِّد لنا أنواع الجزية التي كانت تُجبى من البلاد التي فتحها، وبخاصة الذهب والمعادن والأحجار والتحف الفنية التي كانت تأتي إلى خزائنه؛ مما يكشف لنا عن مقدار التقدم الفني والصناعي في ذلك الوقت، وكذلك العبيد والإماء التي كانت ترد إلى مصر، فكان لها الأثر السيئ في البلاد بعدُ. ويحدثنا عن أسطوله الذي كان يشدُّ أزره في تلك الأصقاع النائية من إمبراطوريته؛ مما ملَّكه زمامَ البر والبحر، وقد دوَّن لنا كلَّ ذلك على جدران المعابد أو على لوحاتٍ تُنصب كالأعلام في جهات الإمبراطورية المختلفة.

وكذلك نجده يحدثنا في مواطن كثيرة عن حبه للرياضة البدنية في مختلف أشكالها، وضروب الفروسية التي ورثها عنه ابنه «أمنحتب الثاني» وغيره من ملوك هذه الأسرة.

كما يحدثنا عن معاملته السمحة للأعداء وعلاقته بجنده ورجال بلاطه وحسن معاملته لهم، وما كان لذلك من الْتفاف الشعب حوله، وبخاصة الطبقة الوسطى الذين تألَّف منهم في آخر الأمر عظماءُ جيشه وحاشيته الذين أُنشئوا وتربَّوا مع أمراء البيت المالك، فأخلصوا من أجل ذلك لمليكهم في ساحة القتال وفي إدارة البلاد، ولا أَدَلُّ على ذلك من أن عددًا عظيمًا منهم كانوا إخوة للفرعون في الرضاعة أو تربوا معه في مدرسة واحدة، وقد كان لهؤلاء الملوك شأن آخر في معاملة أولاد الأمراء الذين أُتي بهم أسرى من البلاد المغلوبة على أمرها؛ إذ كان ينشِّئهم على حب مصر ثم يوليهم أمور بلادهم بعد موت آبائهم، وتلك سياسة انتهجتها دول أخرى قديمة وحديثة، ولكنها لم تأتِ بثمرتها المرجوَّة.

ومقابر هؤلاء الملوك ومعابدهم الجنازية سجلٌّ من طراز آخر يختلف اختلافًا بيِّنًا عن مقابر عظماء القوم؛ فمعظم عنايتهم موجَّهة إلى إخفاء مقابرهم في جوف الجبل؛ لما كانت تحتويه من أثاث فاخر عظيم القيمة، دَلَّ على ذلك مقبرة «توت عنخ آمون» مع أنه لم يكن من أعاظم ملوك تلك الأسرة، والواقع أن أثاث مقابر هؤلاء الملوك ينطق بما كانت عليه البلاد من ثراء مادي وغنًى فني وحياة رفيعة وبذخ وتأنُّق في سبل الحياة؛ مما يجعلنا نقف مشدوهين أمام ما وصلوا إليه من حضارة راقية.

ونقوش مقابرهم كانت من طراز فذٍّ؛ إذ كانت كلها خاصة بعالم الآخرة، وما كان يلاقيه الفرعون المتوفَّى من صعابٍ لا بد من التغلب عليها حتى يصل إلى جنة الخلد، كما شَرَحْنا ذلك عند الكلام على الحياة الدينية وكتاب الموتى.

وكانت معابدهم الجنازية تشبه معابد الآلهة في محتوياتها ونقوشها الدينية، وقد كانوا يقيمونها بعيدة عن المقبرة الأصلية على ضفة النيل الغربية، ولا غرابة في أنْ نجدها على طراز معابد الآلهة؛ إذ كان الفرعون يَعدُّ نفسه إلهًا أو ابن الإله وخليفته على الأرض، هذا فضلًا عن أن بعض الملوك كانوا يُتخذون آلهة بعد مماتهم أو كانوا يَبنون معابدهم على أنهم آلهة سيُعبدون فيها، ولا أدلُّ على ذلك من المعبد الذي أقامه «أمنحتب الثالث» لعبادته هو في «طيبة» الغربية، وقد كان الفراعنة يقفون على المعابد الأوقافَ العظيمة لإقامة الشعائر الدينية، كما كانوا يقفون الأملاك العظيمة على معابد الآلهة ويَكِلون أمر إدارتها وتثميرها في كلتا الحالتين للكهنة؛ مما أدى إلى زيادة نفوذ هذه الطائفة الدينية حتى أصبحت عاملًا كبيرًا في انحلال البلاد، حتى آلَ المُلْك فيما بعدُ إلى طائفتهم.

والظاهرة التي تبدو غريبة في تلك الأزمان القديمة، وهي التي وجَّهْنا لها بعضَ العناية عند التحدُّث على مقابر الأفراد والملوك، والمعابد الخاصة بالآلهة والملوك جميعًا؛

هي ما أَحْدثه أولئك القدماء من تخريب ومحوٍ وإثبات على جدران ما خلَّفه غيرهم؛ مما يصوِّر لنا ما كان عليه هؤلاء القوم من أحقاد، وما كان يحتدم في صدورهم من غلٍّ متبادَل، فنشاهد الملوك يكيد بعضهم لبعض، فيمحو الخلَف ما سطَّره السلَف من كتابة ويَنْسب لنفسه ما لم يكن لها. ولدينا أكبر دليل على هذه المأساة؛ ما قام به ملوك التحاسمة من محوٍ وإثبات في آثارهم، مما عقد علينا تتبُّع تواريخهم بصفة قاطعة حتى الآن، وتعدَّت هذه الظاهرةُ مقابرَ الملوك إلى مقابر وجهاء القوم الذين كانوا يَمْحون أسماء أسلافهم ويَنسبون آثارهم لأنفسهم أو يُتْلفون معالم أعدائهم، كل ذلك قد فوَّت علينا جزءًا عظيمًا من تاريخ هذه الفترة من حياة الشعب. ولكنَّا، مع القليل الذي أبقَت عليه يد التخريب، قد أمكننا أن نضع أمام القارئ صورة قد يكون بعض أجزائها مغطًّى بحجاب شفيف، إلا أنها مع ذلك في مجموعها تقدِّم للقارئ فكرة مفهومة عن روح العصر، واتجاهاته المنوَّعة.

ولقد حاولنا في كل هذا البحث أن نعتمد على الوثائق الأصلية، وقد كان استعراضها أمام القارئ بما تحويه من مبالغات وتهويل ليرى بنفسه ويحكم إذا أراد، ثم شفعنا ذلك بالنقد والتحليل بقدر ما استطعنا، وقد يظن القارئ أننا قد بالغنا في الإكثار من ترجمة النصوص الأصلية، ولكنا قد دوَّناها هنا عن قصد؛ وذلك رغبة في أن نجعل أهل الجيل الحاضر يَعْرفون كيف كان أجدادهم القدامى يدوِّنون تاريخهم، ولِيأخذَ النشء الحديث كذلك — وبخاصة المثقفين منهم — تاريخَ بلاده من مصادره الأصلية، ويعرفَ كيف يفرِّق بالطرق العلمية الحقة بين خالصه وزيفه.

ولا شك أن التاريخ الصادق هو حياة الشعب وما تنطوي عليه تلك الحياة من تقدُّم ورقي أو انحطاط وتدهور، وإن إسعاد الشعب يتوقف على ما تنطوي عليه نفوس القادة وفْق ما أوتوا من ثقافة حقة وُجْهَتُها خيرُ الإنسانية، كما ضَرَب لنا المثلَ الأعلى في ذلك المضمارِ الوزيرُ «وسر» ومن بعده الوزير «رخ مي رع»، وغيرهما ممن كانوا يعتقدون أن عمل رئيس الوزارة، بل مهمته في الحياة تنحصر في إسعاد مصر وراحة شعبها، وأن ذلك لا يتأتى إلا بالعمل على توفير أسباب العدالة الاجتماعية.

والسلام على من اتبع الهدى، واتَّعظ بالماضي.

شكر

وإني أتقدم هنا بعظيم شكري لصديقي الأستاذ محمد النجار، المدرس بالمدرسة الإبراهيمية، لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة. كما أتقدم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ محمد نديم، مدير مطبعة دار الكتب المصرية، لما بذله من جهد مشكور وعناية ملحوظة في إخراج هذا المؤلَّف. ولا يفوتني أن أقدم شكري للأستاذ محمد إبراهيم نصر، الذي أبدى عناية في كتابة أصول هذا الكتاب، وبَذَل مجهودًا مشكورًا في قراءة تجاربه كلها، وعمل الفهارس معي، واللهَ أسألُ أن يوفقني إلى ما فيه خير البلاد ومجدها.

سليم حسن
مايو سنة ١٩٤٨

ملوك الأسرة الثامنة عشرة

بيان بأسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وتواريخ حكمهم على وجه التقريب، على حسب رأي الأستاذ «إدورد مير»؛ إذ الواقع أننا ما زلنا في ظلام دامس بالنسبة لمدة حكم كل فرعون على حدة، وكذلك ترتيبهم؛ لأن الآثار لم تسعفنا حتى الآن بمعلومات أكيدة محددة:

أحمس الأول	١٥٨٠–١٥٥٨ق.م
أمنحتب الأول تحتمس الأول تحتمس الثاني	من ١٥٥٧–١٥٠٧ق.م
حتشبسوت وتحتمس الثالث	حكما معًا ٥٤ سنة من ١٥٠٤–١٤٥٠ق.م
أمنحتب الثاني تحتمس الرابع	١٤٥٠–١٤٠٥ق.م
أمنحتب الثالث	١٤٠٥–١٣٧٠ق.م
أمنحتب الرابع (أخناتون)	١٣٧٠–١٣٥٢ق.م
سمنخ كارع توت عنخ آمون آي حور محب	١٣٥٢–١٣١٠ق.م

وسنتناول بالبحث تواريخ آخر ملوك هذه الأسرة في الجزء التالي على ضوء آخر الكشوف والآراء الحديثة.

الأسرة الثالثة عشرة

مقدمة

كان تولي الملكة «سبك نفرو رع» عرش مصر آخرَ مرحلةٍ تُنذر بسقوط الأسرة الثانية عشرة، فبانتهاء حكمها انقطع نسل هذه الأسرة، ودخلت مصر في عصر مضطرب، تُغشِّيه ظلمة حالكة تتضاءل أمامها تلك الظلمة التي غشت البلاد على إثر سقوط الدولة القديمة؛ فالمصادر التي لدينا عن ذلك العصر نادرة، والآثار التي كُشف عنها حتى الآن ضئيلة، لا تساعدنا على تفهُّم أحوال البلاد، ولا تُرشدنا إلى ترتيب ملوكها ترتيبًا تاريخيًّا مسلسلًا.

ومما يؤسف له جد الأسف أن أهم هذه المصادر ورقة «تورين»، وقد وصلتنا ممزقة مهلهلة، وبخاصة عند سرد ملوك هذه الأسرة، عدا الجزء الأول منها؛ من أجل ذلك أصبح من العسير وضع كثير من ملوكها في أماكنهم الأصلية، إلا عن طريق الحدس والتخمين.

وكذلك قائمة الملوك التي أمر بنقشها «تحتمس الثالث» في معبده «بالكرنك» في المكان المعروف الآن بقاعة الأجداد (راجع الجزء الأول)، لا تشمل إلا نخبة من الملوك الذين حكموا مصر منذ القدم حتى عهد هذا الفرعون.

أما المصادر الإغريقية فلدينا منها مقتطفات ومختصرات نَقَلَها «يوسفس» و«أفريكانوس» و«يوزيب» عن المؤرخ المصري «مانيتون»؛ فقد ذَكَرَ لنا هذا المؤرخ في مختصره عن تاريخ مصر أن الأسرة الثانية عشرة قد أعقبتها الأسرة الثالثة عشرة، وأن ملوكها نحو ستين فرعونًا، وأنهم اتخذوا مدينةَ «طيبة» عاصمة لملكهم، وأنهم حكموا نحو ثلاثة وخمسين وأربعمائة عام.

ثم خَلَفَهم ملوكُ الأسرة الرابعة عشرة، واتخذوا مدينة «سخا» — من أعمال الدلتا — مقرًّا لملكهم، وكان ملوكها ستة وسبعين فرعونًا، حكموا نحو أربعة وثمانين ومائة عام. وفي عهد هذه الأسرة كانت كارثة غزو البلاد بقومٍ مِن الأجانب يُعرفون بـ «الهكسوس»، أو ملوك الرعاة، والمعروف أن هؤلاء الفاتحين ظلوا يسيطرون على البلاد طيلة عهد الأسرتين: الخامسة عشرة، وملوكها ستة؛ والسادسة عشرة، وفراعنتها اثنان وثلاثون فرعونًا.

وأخيرًا جاء عهد الأسرة السابعة عشرة، وقد حكم خلالها ثلاثة وأربعون ملكًا من ملوك «الهكسوس» وثلاثة وأربعون فرعونًا من فراعنة «طيبة» المصريين في وقت واحد.

ويقدِّر «مانيتون» زمن حكم ثلاث الأسر الأخيرة — أي من الأسرة الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة — بنحو ثلاثين وتسعمائة سنة، ويقدِّر الفترة التي بين نهاية الأسرة الثانية عشرة والسابعة عشرة — بما في ذلك عهد الفرعون «أحمس الأول» مخلِّص مصر — بنحو سبعين وخمسمائة وألف عام.

ولا شك في أن هذا التقدير الزمني مبالَغ فيه إلى درجة لا يقبلها العقل والمنطق معًا، وسنتكلم عن هذا الموضوع في حينه. غيْر أنَّا نجد أن ما ذهب إليه «مانيتون» يتفق وما جاء في «ورقة تورين» في تتابُع الأسر وسِنِي حكم كل ملك؛ فنجد في «ورقة تورين» بعد الأسرة الثانية عشرة قائمة بأسماء ملوك شغلتْ أعمدة عدة منها، ويُمْكن الباحثَ أن يلاحِظ فيها نحو خمس فواصل يدلُّ كلٌّ منها على تغيير أسري، وتبتدئ إحدى هذه الأسر بالفرعون الواحد والستين؛ ومن ثَمَّ نَعرف أن الستين ملكًا الذين سبقوا هذا الفرعونَ هم الفراعنة الذين تتألف منهم الأسرة الثالثة عشرة، حسب رأْي «مانيتون»،[1] ثم يلي ذلك في الورقة سلسلة طويلة بأسماء الملوك الذين تتألف منهم الأسرة الرابعة عشرة.

ولم يبقَ لنا في الأعمدة الأخيرة المؤلفة لهذا الجزء من البردية إلا بعض نتف صغيرة نقرأ فيها بعض أسماء ملوك للهكسوس، وأسماء فراعنة ممن حكموا في «طيبة» في عهد الأسرة السابعة عشرة، وإن كان بقي لنا محفوظًا في هذه الورقة تواريخ نحو ثلاثين فرعونًا، أكثرهم من الأسرة الثالثة عشرة، والقليل منهم من الأسر التي أعقبتها.

ونفْهَم من هذه التواريخ أن مدة حكم كل ملك منهم كانت قصيرة، وأنهم تولوا الحكم متلاحقين مسرعين. وهذه الحقيقة تتفق اتفاقًا منطقيًّا مقبولًا وما عرفناه من

[1] راجع: "A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology," by W. Smith. (London, 1873), Vol. II, p. 915–916, & Ed Meyer, "Histoire de l'Antiquité", § 151.

الآثار القليلة التي تركها لنا ملوك هذا العصر، ذلك إلى أنه يمكننا التدليل على أن ملوك الأسرة الرابعة عشرة، بل وبعض ملوك أواخر الأسرة الثالثة عشرة، كانوا يَحكمون في عصرٍ واحد مع ملوك «الهكسوس» الغزاة، كلٌّ على الجزء الذي يسيطر عليه، كما سنرى بعد.

ومما يؤسَف له أن المجاميع الشاملة لمدة حكم فراعنةِ كلِّ أسرة قد فُقِدَ معظمها من بردية «تورين»، ومن الجائز أن مؤلِّف الورقة قدَّر أن كل أسرة ذَكَرها قد أعقبَت سابقتَها ولم تعاصرها، وكذلك فعل «مانيتون»[٢] (اللهم إلا سلسلة الملوك المزدوجة من الهكسوس والمصريين الذين ظهروا في عهد الأسرة السابعة عشرة).

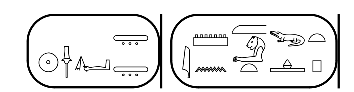
وهذا خطأ وقع فيه المؤرخون للتاريخ البابلي في عهد الأسر القديمة.

أما قائمتا الملوك اللتان عُثر عليهما في «سقارة» و«العرابة المدفونة»، فقد أغفلنا ذكر أسماء الملوك الذين حكموا البلاد منذ الأسرة الثالثة عشرة حتى الأسرة السابعة عشرة، وهذا على العكس من قائمة الكرنك المنسوبة إلى «تحتمس الثالث» كما ذكرنا، فإنها عددت لنا أسماء خمسة وثلاثين فرعونًا انتخبوا من ملوك الأسرة الثالثة عشرة والأسرة السابعة عشرة، وقد بقي محفوظًا لنا منها خمسة وعشرون اسمًا، بعضها سليم والبعض الآخر مهشم. ولكن يلحظ أن هذه القائمة قد أغفلت ذكر ملوك الأسرة الرابعة عشرة، وكذلك تجاهلت أسماء ملوك «الهكسوس» التجاهل كله، ومع ذلك فإن هذه القائمة لا تتبع في عامَّتها الترتيب التاريخي إلا في بعض مجاميع انتخبتْ على حدة.

وسنتكلم عن ملوك الأسرة الثالثة عشرة في ضوء هذه القوائم، وما وجد من الكشوف الحديثة بقدر ما تسمح به آخر المظانِّ والبحوث التي ظهرت حتى الآن.

[٢] راجع: Ed. Meyer, “Histoire de l’Antiquite”, Tom II. § 298, p. 334.

الملك سخم رع خوتاوي-أمنمحات سبك حتب



لم تصل إلى أيدينا معلومات وثيقة عن حال نهاية حكم الملكة «سبك نفرو رع»، آخرة ملوك الأسرة الثانية عشرة، ويظنُّ بعض المؤرخين أنها لا بد قد تزوجَت الملك «سخم رع خوتاوي» (أمنمحات سبك حتب)،[١] وأنه بزواجه منها أصبح ملكًا شرعيًّا، ولكن ليس لدينا ما يدعم ذلك الزعم، فمن الجائز أنَّ هذا الفرعون قد اغتصب المُلك منها، وبخاصة إذا علمنا أن حكم النساء لم يكن مرغوبًا فيه في كل عصور التاريخ المصري، هذا إلى أنه انتحل لنفسه اسم «أمنمحات سبك حتب»؛ تيمنًا بهذا الاسم الذي كان يحمله أولئك الملوك العظام الذين حكموا البلاد في عهد الأسرة الثانية عشرة؛ وذلك ليخفي اغتصابه للملك؛ وليكون خليفة للفرعون «أمنمحات الرابع» آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة من الذكور.

وقد حكم «أمنمحات سبك حتب» البلاد المصرية ما لا يقل عن أربع سنوات، وخلَّف وراءه آثارًا عدة في طول البلاد وعرضها؛ مما يدل على أنه كان مسيطرًا على القطر كله.

[١] بقي الرأي السائد عند المؤرخين أن الملك «رع خوتاوي وجاف» هو أول ملوك الأسرة الثالثة عشرة (Meyer, “Geschichte des Alterums” §. 299.) إلى أن كشف فى الحفائر التي عملت في «المدمود» بعض أحجار باسم الملك «أمنمحات سبك حتب». وعلى ضوء هذا الكشف بحث الأستاذ فيل Weill موضوع ترتيب هذه الأسرة من جديد (R. Weill, “Revue de l’Egypte Ancienne” II. (1929) p. 147).

وقد ذكر جرفث (Griffith, “Hieratic Papyri from Kahun and Gurob,” p. 87.) أن هذا الفرعون كان يسيطر على الإمبراطورية التي أقامها «سنوسرت الثالث»، أي من الدلتا حتى قلعة «سمنة»، وكذلك عثر له على تمثال في «سمنة» وآخَر في «كرمه»، هذا إلى أنه استمر في تدوين مقاييس النيل في السنين الأربع الأولى من حكمه في «قمة» و«سمنة».[٢]

وعثر له في الدير البحري على حجر منقوش عليه اسمه، يظن أنه من عتب باب؛[٣] وذلك مما يدل على أنه أقام بعض مبانٍ في المعبد الذي شيَّده ملوك الأسرة الحادية عشرة. ووجد له في «المدمود» بعض أجزاء مقاصير، منها جزء من منظر للملك والآلهة.[٤] وفي «كاهون» القريبة من «الفيوم» عُثِر على بردية دوِّن فيها قائمة بأسماء أسرة كبيرة، وذكر فيها السنة الأولى والثانية من حكم هذا الفرعون. وقد جاءت إشارة في هذه البردية إلى تعداد سابق عمل في السنة الأربعين من حكم الملك «أمنمحات الثالث».

وفي «تل بسطة» عثر له على جزء من «بوابة» وقطعة أخرى.[٥]

وأخيرًا عُثر له على بعض أسطوانات محفوظ بعضها «بالمتحف البريطاني» و«متحف اللوفر».[٦]

---

[٢] راجع: L. D. II, 151 a, 151 b, 151 c, 151 d. & De Rougé, “Revue Archeologique”, V, p. 312.

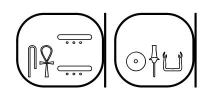
[٣] راجع: Naville, “Deir el Bahari”, Archæological Report of the Egypt Exploration Fund, 1906–1907, p. 6.

[٤] راجع: Bission de la Roque, “Rapport sur les Fouilles de Medamoud” (1926) 40,41, fig. 29 & ibid (1928), p. 87 ff. & p. 131–133. fig. 85 & p. 134–136 pl. IV.

[٥] راجع: Naville, “Bubastis” Pl. XXXIII, 1. & ibid XXXIII a.

[٦] راجع: Cylinder no. 3663. British Museum; Petrie, “Historical Scarabs” p. 10 No. 278, and “A History of Egypt”. Vol. I. p. 209, fig. 118; & Cylinder No. 1657, British Museum; Petrie, “Historical Scarabs” p. 10 No. 279.

الملك سعنخ-تاوي-سخم كارع



وخَلَفَه على العرش الفرعونُ «سعنخ تاوي سخم كارع»، ولا نعلم عن أعماله في مدة حكمه — الذي دام نحو ست سنوات — إلا القليل. وأهمُّ أثرٍ له عُثر عليه لوحةٌ في «أتريب» (بنها الحالية)، وقد رُسم عليها صورة إله النيل يقدِّم القربان إلى الصقر المتوَّج (الملك)، واللوحة لأمير يدعى «مري رع».[١]

وكذلك وُجد له في «تانيس» (صان الحجر) عقبا باب من الشَّبَهِ المطعَّم بالفضة نُقش عليها اسمه الحوري، واسم الملكة زوجه، وثلاث أميرات من بناتها.

(راجع: Mariette, "Monuments Divers Recueiliis en Egypte et en Nubie", pls. 103–104).

ووُجد اسم هذا الفرعون منقوشًا على صخور «شط الرجال» بالقرب من بلدة السلسلة (Petrie, "A Season in Egypt" pl. XV. No. 466)، وفي أوراق «كاهون» وُجد تاريخ باسم هذا الفرعون في السنة الثانية (؟) وكذلك في السنة الثالثة (Kahun Pap. Pl. 1X, 11. 8 & 1 (Pap. 1. 3) ويدل اسم وزيرِه «خنمس» في صخرة في «أسوان» على أنه

[١] راجع: Brugsch "Thesaurus", p. 1455; & Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum" (1909) p. 223, Pl. XXVIII; and "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)" (1909) p. 80.

كان غير غافل عن هذا الجزء الجنوبي من بلاده، (راجع: De Morgan, "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique" p. 26, 186).

وقد أهدى هذا الفرعونُ وزيرَه «خنمس» تمثالًا من الجرانيت الأسود، وقد اشتراه الأستاذ «نيوبري» من القاهرة، (راجع: "Proceedings of the Society of Biblical Archeology", Vol. XXIII (1901) p. 222–223).

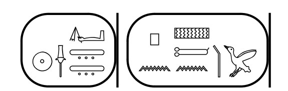
بوادر الانحلال في الحكم

ولا نزاع في أن بوادر الانحلال أخذت تظهر في نهاية حكم أول فراعنة هذه الأسرة بصورة جلية واضحة وفي حكم الفراعنة الذين خَلَفوا هذا الملك، ففضلًا عن انقطاع تدوين مقاييس النيل بعد السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون وانقطاع قوائم التعداد في حكمِ خَلَفِه في ورقة «كاهون»، وفضلًا عن كل ما بذله الفراعنة الذين خَلَفوه من جهود للمحافظة على تقاليد الملك العظيمة التي سارت على نهجها البلاد، فقد كان الانحطاط سريعًا؛ إذ نجد أن انتقال الحكم من فرعون إلى فرعون كان يجري في سرعة خاطفة مدهشة. ولا أدلُّ على ذلك من أن ثلاثة من هؤلاء الملوك الذين تربعوا على عرش البلاد لا نعرف لواحد منهم اسمَ تتويجٍ؛ مما يدل على أنهم قد خُلعوا عن العرش على إثر توليتهم قبل أن يُتاح لهم التتويج رسميًّا. يضاف إلى ذلك أن خامس فراعنة هذه الأسرة، وهو «إيوني» كان يحمل — على ما يظهر — اسمًا لا يدل على أنه دَرَجَ في حجر الملكية، ولا بد أن هذا العصر كان يمتاز بالثورات التي كانت تشبُّ في القصر، فيَغتصب العرشَ مَن كان في جانبه القوة.

وإنه لَمِن العبث أن نحاول ترتيب هؤلاء الملوك ترتيبًا تاريخيًّا، أو نذكُر أسماءهم حسبما جاء في ورقة «تورين»، وبخاصة أننا لا نعرف عن معظمهم شيئًا إلا مجرد الأسماء، هذا فضلًا عن أن الورقة ممزقة ومهشمة إلى درجة مُوئِسة.

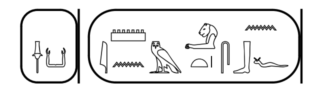
والواقع أننا لا نعرف على وجه التأكيد ترتيب ملوك الأسرة كما ذكرنا، هذا إذا استثنينا الفرعونَين الأوَّلَين؛ وعلى ذلك فإن الملوك الذين سنذكرهم هنا هم الفراعنة المرجَّح توليتُهم العرش بعد الملكين السابقين، ونخص بالذكر منهم …

الفرعون سخم رع خوتاي-بنتن



وقد جاء ذكره على لوحة من الحجر الجيري لأميرٍ يُدعى «تحوتي عا» وأميرة تُسمَّى «حتب نفرو» (راجع: Scott-Moncrieff "Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae in the British Museum", Vol. IV. pl. 26).

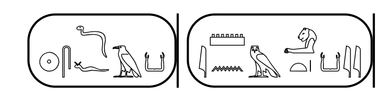
الملك سخم كارع-أمنمحات سنبف



وُجد اسم هذا الفرعون على أسطوانة عُثر عليها في بلده «المعلا» بالقرب من «الجبلين»، وقد نَشَرها الأستاذ «نيوبري» (راجع: p. S. B. A. XXI. (1899) p. 282–283 "Scarabs", Pl. VII. No. 3). وكذلك وُجد على جعران في مجموعة اللورد «برسي» (راجع: Budge, "The Book of the Kings of Egypt", Vol. I., Pl. LXXXVII). هذا وقد ذُكر اسم هذا الفرعون على بعض الآثار التي عثر عليها في حفائر «طود» مع بعض ملوك آخرين من هذا العصر (راجع: Bisson, De la Roque, "Tod" (1934–1936 p. 125).

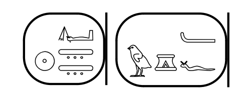
ومن ملوك هذه الفترة الذين عُثر لهم على الآثار الفرعون …

سزفا كارع-كاي أمنمحات



فقد وجد منقوشًا مع الملك «وجاف»، الذي سيأتي ذِكْره على قطعة من الحجر الجيري في «المدمود»، ولا بد أن الأخير قد حَكم بعد الأول (راجع: Bisson, de la Roque, “Tod” (1934–1936) op. cit & Weill, R. E. A. II. (1929) p. 156 ff (Fig.4)).

الملك خوتاوي رع-وجاف



حَكم هذا الملكُ مدة مجهولة من السنين وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يومًا، وقد عُثر له على قطعة من لوحة في «خبيئة الكرنك» ونَشَرَها «لجران» (راجع: Legrain "Notes d'Inspéction," Annales du Service des Antiquities de l'Egypte, Vol VI, (1905), p. 133).

وقد جاء ذكر اسمه في قائمة «قاعة الأجداد» المنسوبة للفرعون «تحتمس الثالث» (راجع: Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums" Vol IV. p. 610).

وقد اختَلف المؤرخون في تقدير سِنِي حكمه، فيقدِّره الأستاذ «إدورد مير» بنحو سنتين وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يومًا (Gauthier, L. R. II, p. 2)، في حين أن «لوث» (راجع: Manetho und der Turiner Konigspapyrus p. 236. adopted by Unger in "Chronologie des Manetho" p. 133) يقدره بنحو اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يومًا. والواقع أن ما أصاب «ورقة تورين» من التمزيق في هذه النقطة يجعل تقدير سِنِي حكمه بصفة قاطعة أمرًا عسيرًا، هذا إلى أن الآثار لا تسعفنا بأية معلومات في هذا الصدد. وقد وُجدت آثار في أنحاء القطر ذُكر عليها اسم هذا الفرعون، منها لوحة من الحجر الجيري الأبيض عُثر عليها في «إلفنتين»، وهي محفوظة الآن

«بالمتحف المصري» تحت رقم ٣٨٣٣٣، وقد كَتب عنها «لجران»،[١] ويُعتقد أنها كانت لوح تمارين لتلميذ. ووُجد له كذلك قطعة من تمثال جالس في «الكرنك».[٢]

ويقول «لجران» عن هذه القطعة: إن آثار التهشيم التي وُجدت تحت الطغراء تدل على أن التمثال يَرجع في تاريخه إلى عهد ما قبل ثورة «أخناتون» الدينية. ويُظن أن هذه القطعة من تمثال يُتعبد له في «الكرنك».

وقد عثر الأستاذ «بدج» على تمثال لهذا الفرعون في «سمنة».[٣]

وهو محفوظ الآن بمتحف «الخرطوم».

وقد درس «لجران» هذا التمثال ثانية،[٤] ويقول الأستاذ «بدج» عنه إنه أقدم أثر عُرف حتى الآن ذُكر عليه اسم الإله «دودون»؛[٥] معبود بلاد النوبة.

فيقول عنه: إنه محبوب «دودون» صاحب «خنتي ستي» (النوبة)؛ ويعتقد «بدج» أن الملك «وجاف» كان من أصل نوبي، وأن لباس عيد «سد» الذي يرتديه التمثال يُشعر بأن هذا الملك كان يتقبَّل تعبدًا جنازيًّا في «سمنة».

---

[١] راجع: A. S. VIII p. 250–2.

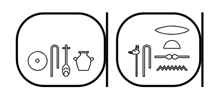
[٢] راجع: A. S. VI (1905) p. 130.

[٣] راجع: Budge, “The Egyptian Sudan” 1, p. 484–486.

[٤] راجع: Legrain, A. S., X (1910) p. 106–7.

[٥] هذا إذا استثنينا ذكر هذا الإله في «متون الأهرام» راجع: Sethe, “Die Altagyptischen Pyramidentexte”, (Leipzig, 1908–1922) lines 803, 994, 1017, 1476, 1718.

الملك سنفراب رع-سنوسرت



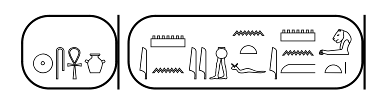
يدل ما كُشف من الآثار على أن هذا الفرعون قد جاء بعد الملك «وجاف» السابق الذكر؛ إذ قد عُثر على لوحة صغيرة في «إلفنتين» عليها اسم كلٍّ مِن «سنفراب رع سنوسرت» و«وجاف»،[١] ووُجد لهذا الفرعون تمثال ضخم وكذلك لوحة صغيرة، وكلاهما مستخرَج من «الكرنك»، وقد ذُكر عليهما معًا كلُّ ألقاب هذا الفرعون.[٢] وكذلك عُثر على مائدة قربان منقوش عليها اسم هذا الفرعون في «الكرنك»، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري.[٣]

[١] راجع: Weill, R. E. A. II. (1929) p. 156 et seq. fig. 4.

[٢] راجع: Weill, "La Fin du Moyen Empire Egyptien" p. 313–14.

[٣] راجع: Mariette "Karnak" p. 9410.

الملك سعنخ أب رع-أميني أنتف أمنمحات



أهمُّ ما وُجد لهذا الفرعون عدة موائد قرابين، بعضها من الحجر الرملي كُشف عنها في «الكرنك»، وهي الآن «بمتحف القاهرة».[١] وقد كَتب عنها المرحوم «أحمد باشا كمال» في كتابه «موائد القربان»، وقد جاء اسم هذا الفرعون في «قائمة الكرنك»،[٢] وكذلك ذُكر في «ورقة تورين»،[٣] وله أيضًا أسطوانة باسمه،[٤] و«جعران».[٥]

والظاهر أن هذا الفرعون قد حَكم مدة طويلة؛ إذ يقول «جرفث» إنه وَجد إحصاءً للماشية في «كاهون» … وإنه قد ذُكر العام العشرون، وإن هذا التاريخ لا يحتمل إسناده للملك «إيوني» الذي لم يمكث على العرش إلا برهة قصيرة كما يظهر، بل ينبغي أن يعزى للفرعون «سعنخ أب رع» الذي ترك لنا موائد قربان جميلة الصنع في «الكرنك».

[١] راجع: Kamal, “Tables d’Offrandes”, I. p. 31–7.

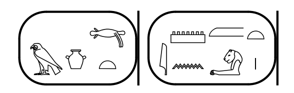
[٢] راجع: Sethe. Urk. II. p. 609.

[٣] راجع: Col VII. Frag. No. 72 p. 10 Lepsius, “Auswahl”, V.

[٤] راجع: p. S. B. A. (1914) p. 37.

[٥] راجع: Petrie, “Scarabs & Cylinders”, 13. 6.

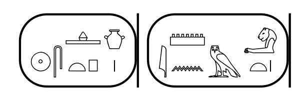
حور أب شدت-أمنمحات



وُجد لهذا الفرعون عمود في مدينة «الفيوم» عَثر عليه الأستاذ «جولنشيف»، وقد نسبه «جوتييه» للملك «أمنمحات الأول» خطأً.[١]

[١] راجع: Gauthier, “Le Livre des Rois d’Egypte”, I. p. 259. وراجع كذلك ما كتبه الأستاذ لبيب حبشي عن ذلك في A. S. (1937) p. 85–95.

الفرعون ستحب أب رع أمنمحات



وُجد لهذا الفرعون ثلاث موائد قربان في مدينة «سمنود»، وهي الآن بمتحف الإسكندرية،[١] وكذلك جاء اسم هذا الملك في «ورقة كاهون»،[٢] فيبرهن «جرفث» بذلك على أن طغراء هذا الملك لا بد أنه يُنسب إلى عهدٍ بعدَ «أمنمحات الرابع»، وقد جاء ذكره كذلك في «ورقة تورين».[٣]

ولدينا فراعنة عدة ربما جاءوا بعد أولئك الذين ذكرناهم، ويُعتبرون مِن أهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة، لِما تَركوه من الآثار الهامَّة نسبيًّا؛ إذ نجد من بينها تماثيل جميلة الصنع، ولحسن الحظ قد حَفظت لنا قائمةُ ملوك الكرنك أهمَّ هؤلاء الفراعنة مرتَّبة ترتيبًا صحيحًا. ولا ريب في أن معظمهم كانوا ممن اغتصبوا عرش البلاد؛ إذ نجد على أختامهم وعلى آثارهم أن المَلك منهم كان يُضيف إلى اسمه اسم والده، الذي كان يلقَّب «والد الإله»، وأحيانًا اسم والدته، التي كانت كذلك تقلب «والدة الإله»؛ وذلك يدل على أنهم لم يُخْفوا اغتصابهم لعرش البلاد.

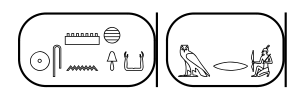
وأول ملوك هذه السلسلة …

[١] راجع: Daressy, A. S, V. (1904) p. 124.

[٢] راجع: Griffith, “Kahun Papyri”, Pl. XXVII. 1–14 (Text) p. 69.

[٣] راجع: Lepsius, “Auswahl”, Taf. V. Col. VII. Frag. No. 72.1.8.

الملك سمنخ كارع-مرمشع[1]



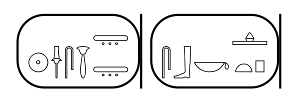
وقد عُثر له على تمثالين عظيمين في «تانيس» الواقعة في الشمال الشرقي من «الدلتا»، وقد اغتصبها لنفسه «أبو فيس» الثاني أحد ملوك «الهكسوس» فيما بعد؛[2] ومِن ثَمَّ يتضح لنا أن سلطان هذا الفرعون كان ممتدًّا حتى بلاد الدلتا.

وأهمُّ مَلك يأتي بعده هو …

[1] معنى كلمة «مرمشع» قائد الجيش.

[2] راجع: Edwards, Harpers New Monthly Magazine, Oct. 1886, p. 718 & Petrie "Tanis" I. Pl. III. 17D, & L. D. III. 259 C., Texte I. p. 218 & Evers, "Staat aus dem Stein", Pl. 146–148.

سحم رع سواز تاوي-سبك حتب الثالث



لم يأتِ ذِكر هذا الملك في قائمة «الكرنك» على الرغم مما يبدو له من الأهمية، ولكن وُجد له آثار عدة تدل على نشاطه في طول البلاد وعرضها.

ففي «تل بسطة» عثر على تمثال من الجرانيت الأحمر، لُوحظ فيه بعض تحريف في اسمه بُعد به عن الاسم الحقيقي، وربما كان سبب ذلك خطأ المثَّال. ويظهر في هذا التمثال أغلاط المثَّال الفنية الخاصة بهذا العصر؛ إذ نجد فيه الرأس والوسط صغيرين،[١] وكذلك وُجد له في «الكرنك» جزء من تمثال مصنوع من «الجرانيت»؛ وقد عُزي إلى «سبك حتب الثالث»، وليس ذلك مؤكدًا. وله «بمتحف اللوفر» لوحة[٢] (C.8)، يدل نَقْشها وصورها على أنها قد صُنعت في هذا العهد بمهارةٍ تُضارع في دقتها فنَّ الأسرة الثانية عشرة الرفيع، وقد مُثِّل عليها زوجة الملك وابنتان من بناته تتعبدان للإله «مين».[٣] ولدينا آثار أخرى تحدثنا عن أفراد أسرة هذا الفرعون؛ منها لوحة في «فينا» لأمير اسمه «سنب»، ووالداه

---

[١] راجع: Budge, “Egyptian Sculptures in the British Museum” Pl. XVI.

[٢] راجع: Pierret, “Recueil d’Inscriptions inedites du Musee Egyptien du Louvre”, Vol. II, p. 107.

[٣] راجع: Petrie. “History” I, Fig. 125.



شكل ١: الملك سحم رع سواز تاوي-سبك حتب.

هما «منتوحتب» و«أوهت آبو»، وهما والدا هذا الملك نفسه.[٤] وله جَعَارِينُ مبعثرة في جهات مختلفة يُعلم منها اسم والد هذا الفرعون، وهو الملقَّب بوالد الإله «منتوحتب» والأم المقدسة «أوهت آبو».[٥]

[٤] راجع: Recueil de Travaux Relatifs à la philologie et à l’Archacologie Egyptiennes, Vol. VII, p. 188.

[٥] راجع: Petrie, “Hist. Scarabs”. p. 10 No. 291 & L. D. text I.p. 15 & Petrie. ibid p. 10, No. 292.

وقد قام هذا الفرعون بإنشاء مبانٍ في معبد الأقصر «بطيبة»، يدل على ذلك وجودُ بقايا بعضِها في هذه الجهة؛ منها: عقد باب، وأعمدة، وقطعة من الحجر، وكلها منقوش عليها اسمه.[٦] والظاهر أنه قد أقام بعض المباني في معبد «الكرنك»؛ وذلك لوجود قطعة من الحجر عليها اسمه.[٧]

وفي «الجبلين» وُجد له عَتَبُ بابٍ منقوشٌ عليه اسمه.[٨] أما في مدينة «الكاب» فكُشف عن مقبرة في «سفح الجبل» لأمير يدعى «سبك نخت»، وقد ذكر في نقوشها أن هذا الأمير عاش في عهد هذا الفرعون.[٩]

أما ما بقي من آثاره فتنحصر في بعض الجعارين، وخرزة من حجر الجمشت،[١٠] وكرة صغيرة من الذهب،[١١] وكذلك قبضة «بلطة»،[١٢] وكلها قد نقش عليها اسمه. والظاهر أن هذه الآثار كلها من بقايا محتويات قبره الذي نهب في الأزمان القديمة وكَشف عنه الأهالي في أيامنا. وقد كُشف حديثًا عن مقصورة أقامها في «المدمود»،[١٣] كما اغتصب لنفسه بعض آثار أحد الملوك، والظاهر أنها «لسنوسرت الثالث».

وقد مكث على العرش نحو ثلاث سنوات كما جاء في «ورقة تورين».[١٤]

وعثر أخيرًا على بعض أحجار لمعبدٍ أقامه في مدينة «الكاب» (المحاميد)، واستُعملتْ في أساس معبد من الأسرة السادسة والعشرين. ونقوش هذه الأحجار تعد في الطبقة الأولى

---

[٦] راجع: Weill "Fin du Moyen Empire" p. 418 & "Zeitschrift fur Agyptische Sprache", Vol. XXXIV, p. 122. Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt", p. 70.

[٧] راجع: Mariette, "Karanak", 8.

[٨] راجع: Rec. Trav. XX. p. 72.

[٩] راجع: Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptien du Musee Charles X," p. 273. & L. D. III. 13 b–c (Text).

[١٠] راجع: Newberry, p. S. B. A. XXVII. p. 104.

[١١] راجع: Petrie, "Scarabs & Cylinders" 13, 20. 1.

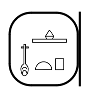
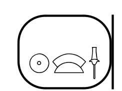
[١٢] راجع: Budge, "Guide" (1909) p. 115. 223 & Pl. XXVII.

[١٣] راجع: Bisson de la Roque & Clere (1929), "Medamoud", 83–94 & ibid 1930 p. 93.

[١٤] راجع: Turin Pap. Col. VII. frag. 79–80 1–2 = Lepsius, "Auswahl" Taf. V.

من حيث الدقة الفنية، بل تُقارِب في إتقانها صناعة الأسرة الثانية عشرة. ولا نزاع في أن هذه الأحجار هي بقايا مبعد؛ لأننا نشاهد على بعضها أجزاءً من المنظر المألوف الذي يمثل الاحتفال بوضع أساس معبد، وقد كُشف عن هذه الأحجار في عام ١٩٣٨.

الملك خع سخم رع-نفر حتب

خَلَفَ الفرعونَ «سبك حتب» الثالثَ على عرش البلاد ملكٌ يدعى «نفر حتب» بحسب ما جاء في ورقة «تورين». وقد عَرَفْنا نَسَبَ هذا الفرعون من ثلاثة نقوش دُوِّنت على الصخر: النقش الأول موجود على صخور أسوان،[١] والثاني على صخور جزيرة «سهل» (بالقرب من أسوان)،[٢] والثالث نقش على صخور «شط الرجال»،[٣] هذا إلى جَعَارين مختلفة منقوش عليها اسمه، واسم بعض أفراد أسرته. ومن كل ذلك نعلم أن اسم والده هو «حاعنخف» واسم والدته «كمي»، أما زوجه أم أولاده فتدعى «سنسنب» Sensenb واسم بِكر أولاده «ساحتحور»، وهو الذي قد اشترك معه في حكم البلاد. هذا وكان له، فضلًا عن ذلك، ثلاثةُ أولاد آخرين وهم «سبك حتب» و«حاعنخف» و«حرحتب»، كما كان له كذلك أَخَوان تولَّى كلٌّ منهما فيما بعدُ عرشَ الملك، وهما «سبك حتب» الرابع، و«من وازرع». والوقع أن الفرعون «نفر حتب» قد ترك لنا آثارًا هامة في طول البلاد وعرضها، وقد كُشف حديثًا عن آثار له تدل على أن نفوذ مصر كان يمتد إلى فلسطين في عصره.

وقد أراد هذا الفرعون أن يسير على نهج أسلافه في إحياء ذكرى الإله «أوزير»، وقد تَرك لنا لوحة في «العرابة المدفونة» يعدِّد لنا فيها ما قام به من عظيم الأعمال الدينية

[١] راجع: Petrie “Season” p. 337.

[٢] راجع: Mariette, “Monuments”, XXI, p. 3.

[٣] راجع: Petrie, “Season”, Pl. XV no. 479 p. 15.

لوالده «أوزير»، وقد أدَّتْ به غيرته أن قام بنفسه برحلة إلى «العرابة المدفونة»؛ حيث أَحضر على حسب أوامره الخاصةِ تمثالَ الإله «أوزير» من قبره ليقابله عند وصوله، ثم عاد بعد ذلك الإلهُ والملك سويًّا إلى المعبد، وهناك مُثِّلَت «دراما» موتِ الإله «أوزير» ثم إحيائِه ثانية، وقد تَكلَّمنا عن ذلك فيما سبق.



شكل ١: الملك خع سخم رع-نفر حتب.

(راجع الجزء الثالث)، وقد قَصَّ علينا هذا الفرعونُ كلَّ ما قام به في هذه الرحلة على لوحة نَصَبَها في «العرابة المدفونة»، فاستمعْ إلى ما جاء فيها.[٤]

> في السنة الثانية من حكم جلالة الملك «نفر حتب» الذي أنجبتْه الأم الملكية «كمي» لها الحياة والثبات والسعادة مثل «رع» مخلدًا (عندما) اعتلى جلالته عرش الصقر (الملك) في القصر المسمَّى «المسيطر على الجمال» (ويحتمل أن هذا القصر كان بالقرب من «أثت تاوي» أو «منف»). خاطب الأشراف والنبلاء

[٤] راجع: Breasted, A. R., I. § 753 & Mariette, “Description des Fouilles Executees sur l’Emplacement de cette Ville”, (Paris, 1869) p. 28 ff.

من أتباعه، ومَهَرَة الكتاب وحفَّاظ كل الكتب السرية قائلًا: لقد تاق قلبي إلى رؤية الكتابات القديمة الخاصة بالإله «آتوم»؛ ولذلك يجب عليكم أن تقوموا لي ببحوث عظيمة حتى يمكن للإله (أي الملك) أن يعلم كيف خُلق، وكيف فُطرت الآلهة، ويعلم ما يجب أن تتألف منه القرابين الخاصة بهم، وحتى يمكنني أن أعرف الإله «أوزير» في صورته الحقيقية، وبذلك يكون في مقدوري أن أَنْحِتَ له تمثالًا كما كان في غابر الزمان، في الوقت الذي كان فيه الآلهة يَنحِتون تماثيل «لأنفسهم» في مجلسهم «السماوي»؛ لأجل أن يثبتوا آثارهم على الأرض، فقد منحوني إرث إله الشمس إلى آخِر ما تحيط به دائرة الشمس. وإني سأزيد ما هو موكل بي (من القرابين) وهُم من جانبهم سيزيد حبهم لي ما دمتُ أعمل على حسب ما يأمرون.

فأجاب الأشراف على ذلك بقولهم: «يا أيها الملك والسيد، إن كل ما أَمر به جلالتكم سينفَّذ؛ وعلى ذلك فلتذهبْ جلالتكم إلى المكتبات، ولتنظرْ جلالتكم إلى كل كلمة مدونة.»

وعندئذٍ ذهب جلالته إلى المكتبة، وفَتَحَ الكتب في حضرة الأشراف فوَجد سجلاتِ معبد «أوزير» أولَ أهل الغرب، وسيد «العرابة المدفونة»، ثم قال جلالته للأشراف: إن جلالتي يحيِّي «أوزير» أول أهل الغرب ورب «العرابة المدفونة»، وإني سأَنْحت تمثالًا له تكون أعضاؤه ويداه على حسب (الإيضاح) الذي رأيته في هذه الكتب، وهي التي تمثِّله بوصفه ملك الوجهين القبلي والبحري عندما خرج من فرج إلهة السماء (نوت). ومن أجل ذلك أَمَر بإحضار ضابط كان في معيَّته للمثول بين يديه، وقال له: «عليك أن تصعد في النيل وبصحبتك جنود وبحَّارة، ولا تنمْ ليلًا ولا نهارًا حتى تصل إلى «العرابة»، وعليك أن تأتي بتمثال أول أهل الجبانة الغربية حتى أُقِيم آثاره كما كانت عليه في بداية الزمن. وحينئذٍ قال الأِشراف: إن كل ما أَمرتَ به سيكون يا أيها الملك والسيد، وإنك ستفعل لجدك أول أهل الجبانة الغربية في «العرابة» على حسب قولك.» ثم انطلق هذا الضابط جنوبًا لينفذ ما أَمر به جلالته، وقد وصل إلى العرابة (حيث أَمَرَ بإخراج تمثال أول أهل الجبانة الغربية من قبره). وبعد بضعة أيام وصل جلالة هذا الإله (الملك)، ونزل في القارب المقدس «لأوزير» رب الأبدية؛ حيث كان شاطئَا النهر مفعمَين بالعطور وروائح بلاد «بنت» (أي كان يطلق البخور

عند حافة النهر). وأخيرًا وصل الملك إلى «العرابة» سائحًا في القناة الخارجة من النيل إلى «العرابة»، ووصل في وسط المدينة حيث حضر رسول منه قائلًا: إن هذا الإله «أوزير» قد خرج من قبره في أمان، وعندئذٍ ذهب جلالته إلى القارب المقدس عند رأس القناة (حيث كان تمثال «أوزير» ينتظره ومن ثَم ذهب إلى المعبد) ومعه هذا الإله، وهناك أَمَرَ بتقديم قربان لجدِّه أول أهل الجبانة الغربية، فأحرق البخور والمواد المقدسة «لأوزير» أول أهل الجبانة الغربية في كل مظاهره (وأنهى الاحتفال التقليدي الخاص بهزيمة أولئك الذين كانوا أعداء القارب المقدس). وبعد ذلك ظهر جلالة هذا الإله في احتفال تاسوعِه المتحدين معه في حين أن «وبوات» (الإله الذي في صورة ابن آوى) كان يسير أمامه بوصفه مرشدًا للطريق.

وبعد ذلك أَمَرَ جلالته أن يذهب هذا الإله إلى معبده، وأن يوضع في المقعد الموجود في المحراب الذهبي (لمدة بضعة أسابيع في أثناء اشتغال الصناع في العمل)؛ ليمثِّلوا جمال جلالة «أوزير» وتاسوعه، ولِيضعوا موائد قربان مِن كل الأحجار الفاخرة الغالية المجلوبة من أرض الإله، وقد كان الملك يشرف على صناعة ما يصاغ من الذهب بنفسه، ولكن جلالته قبل أن يفعل ذلك تُطهَّر بالطَّهور اللائق بالإله. (الجمل التي تتلو ذلك في المتن مهشمة ولا يمكن ترجمتها)، والظاهر أنه بعد انتهاء العمل خاطَب الفرعونُ الكهنةَ بنفسه قائلًا: «كونوا يقِظِين في المعبد وحافظوا على هذه الآثار التي أَقَمتُها، ولقد وضعتُ أمامكم تصميمًا لكل الأزمان، وعندما وضعتُ هذا المَثَل في قلوبكم كنتُ أبحث وراء عملٍ ما، يجب أن يكون صحيحًا للمستقبل، وما يجب أن يَحدث بانتظام في هذا المكان الذي صنعه الإله؛ وذلك لرغبتي في توطيد ذكرياتي في معبده، ولأَجْل أن تبقى أوامري دائمًا في هذا البيت، وأن جلالة «أوزير» يحبُّ ما قمتُ به له، وإنه لَفرِحٌ بما قد أمرت بعمله؛ لأنه بذلك قد تأكَّد من انتصاره، على أني له بمثابة ابن وحام، وأنه هو الذي يعطيني وراثة الأرض، وأنا بذلك ملك عظيمُ القوة ممتاز في مراسيمي، ولن يعيش مَن يعاديني، ولن يتنسَّم النفس مَن يثور عليَّ، ولن يبقى اسمه بين الأحياء، وسيقبض على روحه أمام مَن في يَدِهم السلطان، وسيُلقي به بعيدًا عن حضرة الآلهة؛ هذا هو العقاب الذي سيحل بمن سيهمل أوامر جلالتي، وبكل من لا يعمل على حسب هذا الأمر

> الذي أصدرته جلالتي، وبكل مَن لا يدعو لي هذا الإله الجليل، وبكل مَن لا يحترم ما فعلتُه خاصًّا بقربانه، ولكل من لا يقدم لي الشكر في كل عيد في هذا المعبد، سواء أكان ضمن طائفة من كهنة محراب هذا المعبد أم يشغل أيَّة وظيفة أخرى في مدينة «العرابة»؛ وذلك لأني قد أقمتُ هذه الآثار لجدِّي «أوزير» أوَّل أهل الجبانة الغربية، ورب العرابة؛ لأني أحببتُه أكثر من كل الآلهة، ولأجل أن يمنحني جزاء ما قمتُ به له «ملايين» السنين.

وبعد انقضاء عامين من إقامة هذه اللوحة، أي في السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون، أقام لوحتين أخريين بمثابة حدَّين عند طرفَي جزء معين من الجبانة العظيمة القائمة خلف العرابة؛ وذلك ليمنع العامة من اقتحام هذا الجزء من الجبانة. وكان الكهنة قد رغبوا في حفظها لعبادة الإله «وبوات» وقد أبقتْ يدُ الدهر على واحدة منها، وقد نُقش عليها بعدَ التاريخِ واسمِ الفرعون ما يأتي:

> قرر جلالتي أن هذه الجبانة الواقعة جنوب «العرابة» يجب أن تُصان وتُخصَّص لوالدي «وبوات» رب الجبانة «تاجسر» (اسم جبانة العرابة)، كما فعل الإله «حور» لوالده «أوزير»، فلا يسمح لأي شخص أن تطأ قدمه هذه الجبانة. ولهذا فإن هاتين اللوحتين قد أقيمتا في نهايتَي الجنوب والشمال ونُقش عليهما اسم جلالته. وأي شخص يوجد داخل المساحة المعينة بهاتين اللوحتين تجب معاقبته، ولو كان صانعًا أو كاهنًا يزاوِل صناعته؛ وأي موظف يقيم لنفسه قبرًا داخل هذه الجبانة فلا بد من التبليغ عنه، ويجب أن ينفَّذ فيه القانون، وكذلك تنفَّذ هذه الأوامر حتى على حارس الجبانة من هذا اليوم، أما أي امتداد وراء هذا الجزء المعين فليصرح لهم بالدفن فيه.

ومما سبق يتضح لنا ما كان للإله «أوزير» والإله «وبوات» من المكانة في ديانة القوم، وبخاصة عند الملوك. ولا غرابة في ذلك؛ فقد أخذ الإله «أوزير» يحتل مكانة عظيمة في الديانة في عهد الدولة الوسطى، حتى أصبح يُعتبر أعظم الآلهة شأنًا، وبخاصة في إقامة شعائره الدينية، كما أفضْنا القول في ذلك في الجزء السابق (راجع ج٣).

والظاهر أن هذا الفرعون كان قد أَشْرَكَ خَلَفَهُ المسمى «خع نفرسبك حتب» معه في الحكم؛ إذ عُثر على قطعة حجر في «الكرنك» ذُكر عليها اسْمَاهُما معًا،[٥] غير أن قائمة «ورقة تورين» قد وَضعت بين اسميهما اسمَ ملك آخَر يدعى «سيحتحور رع»، وإذ حذفنا كلمة «رع» من اسم هذا الملك الأخير فإنه يبقى لنا اسم «سيحتحور» فقط؛ وهو ابن «نفر حتب». ويمكن تفسير ذلك بأن «نفر حتب» قد أشرك معه ابنه هذا في الحكم، غير أنه مات قبل والده، والواقع أنه «سيحتحور» هذا لم نجد له أي أثر ولكنه أنجب ولدًا اسمه «سبك حتب».

وقد عثر له على جعران نُقش عليه ما يأتي: ابن «سبك حتب» الذي أنجبه ابن الملك «سيحتحور».[٦] وهذه العبارة تدل على أن الأمير «سبك حتب» كان قد بلغ الحكم قبل أن يشترك والده «سيحتحور» مع «نفر حتب» في إدارة شئون البلاد، وقد ذَكر المؤرخ «ويجول» في كتابه تاريخ مصر[٧] العبارة التالية: ومما هو جدير بالتنويه عنه هنا أنه منذ ذلك العهد لم نعثر على ما يدل على أن هذه الأسرة كانت تمد نفوذَها في الدلتا، ومن الجائز إذن أن الوجه البحري قد أفلت تمامًا من يد ملوك هذه الأسرة في خلال حكم هذا الفرعون، ولكن يظهر أن ملوك الأسرة الرابعة عشرة الذين كانوا يحكمون في «سخا» هم الذين استولوا على الدلتا؛ لأننا لم نعثر على اسمِ واحدٍ منهم خارج منطقة نفوذهم. غير أن ما ذكره «ويجول» لا يتفق مع ما كُشف حديثًا في بلدة «ببلوص» (جبيل) الواقعة على شاطئ «فينيقية»؛ إذ عثر على أثرٍ مِن الأهمية بمكان؛ وهو قطعة حجر منقوشة نقشًا غائرًا صُوِّر عليها شخص جالس يرتدي ثوبًا فضفاضًا نُقش أمامه سطر عمودي. ونقوش هذا الأثر لها أهمية تاريخية عظيمة إلى حد بعيد؛ إذ نجد فيها بعد الديباجة الخاصة بهذه الشخصية سطرًا آخر على حدة قد كتب أفقيًّا، وهو يحتوي على ديباجة ملكية مصرية محضة، وعلى الرغم مما أصابها من العطب والمَحْو، فإنه كان من الممكن تمييز طُغْراء الفرعون «خع سخم رع نفر حتب»، وقد جاء في نهاية ديباجة الصلاة للإله «رع حوراختي» ما يأتي: أمير «ببلوص» «بنتن» له الحياة مجددة ابن الأمير «رن». ولا نزاع في أن اسم الأمير هو «بنتن» أعني «يوناتان»، كما ذكر ذلك الأستاذ «ديسو»

[٥] راجع: Mariette, “Karanak”, 8.

[٦] راجع: Petrie, “History”, I, p. 223.

[٧] راجع: Weigall, “A History of the Pharaohs” Vol. II, p. 159.

Dussaud.[٨] ويلحظ أن أمير «ببلوص» الجالس في النقش أمام الديباجة الملكية يمد يده اليمنى نحوها باحترام؛ مما يدل على أنه تابِعٌ حر يقدم خضوعه للقوة العظيمة الملكية التي كانت تسيطِر على عاصمة «فينيقية» منذ الأزمان السحيقة في القدم.

وهذه الوثيقة لها أهمية فائقة، كما ذكرنا، وبخاصة فيما يخص تاريخ مصر الداخلي؛ إذ نعرف منها أن الفرعون «خع سخم رع» كان لا يزال يسيطر على ساحل البحر الأبيض المتوسط الذي كان يشرف عليه أجداده في القرون الخالية، وإذا كان الفرعون «نفر حتب» يسيطر على بلاد «فينيقية» في تلك الفترة، فمن المحتَّم إذن أن ملك الدلتا كان لا يزال باقيًا في قبضة يده، وقد يجوز أن الوجه البحري قد أَفْلتَ مِن يد خَلَفِه، وقد تَرك لنا هذا الفرعون آثارًا عدة في طول البلاد وعرضها؛ منها تمثال صغير لنفسه محفوظ الآن بمتحف «بولونيا» من حجر البروفير،[٩] وقد ذُكر في نقوشه أنه محبوب الإله «سبك» صاحب «شدت» (الفيوم) ومحبوب «حور» في «عين شمس»؛ مما يدل على أنه نُحِتَ في أحد البلدين، وكذلك يدل على أن «منف» كانت لا تزال في يده، وصناعة هذا التمثال آية في دقة النحت، وهو يمثل الفرعون جالسًا، وقد اتبع المثَّال في تمثيله التقاليدَ القديمة التي كانت متبعة في نحت التماثيل، غير أن تقاسيم الوجه تدل على النعومة وليونة الشباب، مما لا يتفق مع ما كان عليه هذا العصر المضطرب الصاخب. وفي معبد «الكرنك» وُجد له محرابٌ نُقش عليه صورتان يُحتمل أنهما تمثلان الفرعون وقرينه (كا). ويَظن «لجران» أن الصورتين تمثلان الملك «نفر حتب» الأول وشريكه في الملك أخاه «سبك حتب» الثالث.[١٠]

وتدل الآثار على أن سلطان هذا الفرعون قد امتد جنوبي الشلال الثاني؛ إذ قد عُثر على لوحة عليها اسمه في «بوهن» القريبة من «وادي حلفا»،[١١] وكذلك توجد له نقوش على صخور «كونوسو»؛ حيث يشاهد الفرعون ممثلًا يتعبد للإله «مين»،[١٢] كما يشاهَد في نقش آخر في نفس المكان وهو ممثل بين الإله «منتو» والإلهة «ساتت» في صورة الإله «مين» بعضو التذكير منتشرًا،[١٣] ويشاهد كذلك في نقشٍ على صخور «سهل» أمام

[٨] راجع: "Les Peuples de L'Orient Mediterranéen II. L'Egypt" p. 278.

[٩] راجع: Petrie, "History", I. p. 221 & Naville, "Rec. Trav". I. p. 109, 110.

[١٠] راجع: Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers", Vol. I., No. 42022.

[١١] راجع: MacIver & Woolly., "Buhen", pl. 74.

[١٢] راجع: L. D. II. 151 f. (Text) IV. p. 13.

[١٣] راجع: L. D. II. 151 h. (Text) IV. p. 130.

الإلهة «عنقت»،[١٤] وكذلك نجد له نقشًا في «شط الرجال» شمالي بلدة سلسلة.[١٥] هذا وقد وُجدت لوحة في «سهل» ذُكر عليها أسماء بعض أعضاء الأسرة المالكة،[١٦] وعثر على لوحة في «العرابة المدفونة» ذُكر عليها اسمه،[١٧] كما وُجد طغراؤه في معبد «أوزير» في «العرابة المدفونة»،[١٨] وفي «متحف برلين» يوجد رأس عمود عليه اسمه،[١٩] وقد وُجدت عدة جعارين عليها اسمه، منها واحد في مجموعة «فريزر» عُثر عليه في «تل اليهودية»، وآخَر موجود في متحف «تورين»،[٢٠] وكذلك له جعران في متحف «اللوفر»،[٢١] وآخَر في متحف «ستوتجارات»[٢٢] بألمانيا، ونجد له صولجانًا صغيرًا في مجموعة «ستروجانوف» Stroganoff؛[٢٣] وله آنية من المرمر محفوظة الآن بالمتحف «البريطاني».[٢٤] هذا وقد جاء اسمه في قائمة قاعة الأجداد التي أقامها «تحتمس الثالث»،[٢٥] كما جاء ذكره في «ورقة تورين».[٢٦]

وقد حكم نحو إحدى عشرة سنة على وجه التقريب.

---

[١٤] راجع: L. D. II. 151 g. (Text) IV. p. 126.

[١٥] راجع: Petrie, “Season”, pl. XV. No. 479 p. 15.

[١٦] راجع: L. D. II. (Text) IV. p. 126.

[١٧] راجع: Lange & Schafer, “Grab und Denkstein des Mittleren Reichs”, II., p. 24, Pl. 47.

[١٨] راجع: Petrie, “Abydos” I. Pl. LIX.

[١٩] راجع: Schafer, “Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin”, II. p. 140.

[٢٠] راجع: Petrie, “Hist. Scarabs”, Nos. 297–298.

[٢١] راجع: Petrie, ibid, No. 296.

[٢٢] راجع: Wiedemann, “Kleinere agyptische Inschriften aus der XIII–XIV Dynastie”, No. 15.

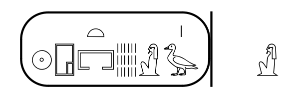
[٢٣] راجع: Wiedemann, ibid, No. 16.

[٢٤] راجع: Prisse, “Revue Arch”. 1845 p. 15.

[٢٥] راجع: Sethe Urk IV. p. 609.

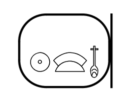
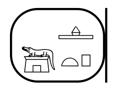
[٢٦] راجع: Lepsius, “Auswahl”, Taf. V. Col VII frag. Nos. 79–80.

الملك ساحتحور رع



تدل شواهد الأحوال على أن هذا الأمير لم يَحكم منفردًا، بل كان مشتركًا مع والده في الحكم، والظاهر أنه قد مات قبل والده، كما أسلفنا، ولكن الأستاذ «إدورد مير» يقول إنه لم يحكم إلا مدة ثلاثة أيام ثم خَلَفه على العرش عمه (راجع: Ed. Meyer, “Hist. de l’Antiquitie” (2) § 300).

الملك خع نفر رع-سبك حتب الرابع

قلنا فيما سبق إن هذا الملك قد اشترك مع أخيه في الحكم بعد وفاة «ساحتحور»؛ ومن ثَم نستنبط أنه كان لا بد قد تخطى سن الكهولة وقتئذٍ، وبخاصة إذا علمنا أنه نصَّبه شريكًا له في الملك، وتدل الآثار التي تركها هذا الفرعون على أن نفوذه كان يمتد من الدلتا حتى الشلال الثالث.

ففي «تانيس» عُثر له على تمثال ضخم، غير أنه كان في الأصل مقدمًا للإله «بتاح» في «منف»، ثم نقله «رعمسيس» الثاني إلى «تانيس» مغتصِبًا إياه لنفسه، وكذلك وُجد له تمثال آخر في نفس البلدة، غير أنه يحتمل أنه نقل من بلدة «المعلة»؛ إذ وُجد عليه اسم إله هذه البلدة وهو «حمن».[١]

وفي «تل بسطة» عُثر له على تمثالَين كما يقول الأستاذ «إدورد مير».[٢]

وفي «أطفيح» وُجد له تمثال «بو الهول» من الجرانيت الأسود.[٣]

---

[١] راجع: Pierret, “Rec, d’inscription” II. p. 19.

[٢] راجع: Ed. Meyer, “Hist.” II. § 300 & Rosellini, Mon. Stor. Texte III. No. 78.

[٣] راجع: Cario Mus. Salle H., Guide to Museum No. 263.

ومن المحتمل أنه كان يوجد هناك مقر فرعوني، وبخاصة أن هذا الإقليم كان مركز عبادة الإله «حتحور»، يضاف إلى ذلك أن ابن الفرعون كان يسمى «ساحتحور» (أي ابن حتحور) وكذلك وُجد لهذا الفرعون جعران في «اللشت».[٤]

أما في مصر العليا فكان له آثار عدة، لدرجةٍ ظَنَّ معها المؤرخُ «ويجول» أن هذا الفرعون قد اتخذ مقر مُلْكه في «طيبة»؛[٥] ففي «العرابة المدفونة» نجد أنه قد أضاف «بوابة» عظيمة من الجرانيت الأسود في معبدها،[٦] وكذلك وُجد له هناك جزء من لوحة من الجرانيت يَظهر فيها الفرعون يتعبد للإله «مين».[٧]

وفي متحف «بروكسل» يوجد له نقشٌ غائر عُثر عليه في «العرابة»،[٨] وفي «دندرة»، عُثر له على آنية من المرمر الأزرق منقوش عليها اسمه (راجع: A, S, IX, p. 107).

ويَذكر لنا المؤرخ «ويجول» أن هذا الفرعون قد أقام معبدًا في «الأقصر» عُثر على بعض آثار غير أن ذلك يحتاج إلى إثبات.[٩]

وفي معبد «الكرنك» وُجدت له آثار عدة تشهد بنشاطه في هذه البقعة، منها عارضةُ بابٍ من الجرانيت عَثر عليها «لجران» (راجع: A. S. IV. p. 26). كما وُجد له قاعدة تمثال من حجر «الكوراتسيت» في «الكرنك».[١٠]

وكذلك بقايا تمثال في صورة «أوزير» في «خبيئة الكرنك»،[١١] هذا وقد أصلح «سبك حتب» الرابعُ التمثالَ الذي أهداه «سنوسرت» الثاني وسنوسرت الثالث إلى جدهما «منتوحتب» الثاني، أعظم ملوك الأسرة الحادية عشرة، وهو موجود الآن بالمتحف

[٤] راجع: Gauthier & Jequier, “Fouilles de Licht”, 106.

[٥] راجع: Weigall, “History” II. p. 161.

[٦] راجع: Petrie, “Abydos” I. LIX. & II. Pl. XXVIII.

[٧] راجع: Lange und Schafer, “Grab und Denkstein,” I, 172 Pl. XIII.

[٨] راجع: Speelers, “Recueil des Inscriptions Egyptiennes des Musees Royaux du Cinquantenaire à Bruxelles”, p. 16, No. 7.

[٩] راجع: Weigall, “History”, II. p. 162.

[١٠] راجع: Mariette, “Karnak”, Pl. 8. (Text) p. 45.

[١١] راجع: Legrain, A. S. VII. p. 33–34.

المصري.[١٢] ووُجد له في «طود» الواقعة جنوبَ الأقصر تمثالٌ وهو الآن بمتحف «اللوفر»، وقد قدَّمه لإله هذه المدينة.[١٣]

أما في بلاد «النوبة» فقد وُجد له تمثال في جزيرة «أرجو».[١٤]

ولكن يقال إن هذا التمثال قد نُقل إلى هنا على يد ملكٍ نوبيٍّ في العصر المتأخِّر، وهو مصنوع من الجرانيت المحبَّب، ولا بد أنه قطِّع من محاجر جزيرة «تومبوس». ويقول الأستاذ «إدورد مير»: «على أن وجودَه في هذه البقعة يدل على أن الحدودَ الجنوبية لمصر التي امتدتْ في عهد «سنوسرت» الأول حتى الشلال الثالث، ثم فقدت في عهد الملوك الذين جاءوا بعده في عهد الأسرة الثانية عشرة، ثم أعيدت ثانيةً إلى ما كانت عليه في عهد «أمنمحات» الثالث أو في عهد مؤسس الأسرة الثالثة عشرة؛ قد حافظ عليها الفرعون «خع نفر رع سبك حتب الرابع».»

على أنه توجد لهذا الفرعون آثار عدة صغيرة لا يُعرف مكانُها الأصلي مبعثرةٌ في متاحف العالم، أهما:

(١) جزء من رمز الثبات «دد»[١٥] (أي رمز أوزير).

(٢) جزء من لوحة من الحجر الرملي، وهي محفوظة «بالمتحف البريطاني».[١٦]

(٣) جعران نشره «مريت».[١٧]

(٤) قطعة حجر كتب عليها اسم هذا الفرعون، وقد استُعملتْ في بناء عمود «بومبي» بالإسكندرية، وذلك على حسب ما جاء في تاريخ مصر للأستاذ «بتري».[١٨]

[١٢] راجع: Naville, “The XI Dynasty Temple at Deir el Bahari”, I, p. 57–58.

[١٣] راجع: De Rougé, “Notice des Monuments exposes dans la galerie d’Antiquities Egyptiennes au Musee du Louvre”, p. 15.

[١٤] راجع: L. D. II. 151. I; L. D. (Text), II, 120 h; Breasted, “A History of Egypt”, Fig. 99; “The American Journal of Semetic Languages and Literature”, XXV. p. 43. Fig. 26.

[١٥] راجع: Newberry, p. S. B. A. XXIII, 220.

[١٦] راجع: Budge “Guide”, p. 223, “Guide to Sculpture” p. 80. No. 278.

[١٧] راجع: Mariette, “Monuments” Pl. 43n.

[١٨] راجع: Petrie, “History” I, 5th ed Pl. XXVII.

(٥) جعران في مجموعة «فريزر» رقم ٤٩، وهذا إلى جعارين في مجاميع الأستاذ «فيدمان»،[١٩] وكذلك جعارين عدة في مجموعة الأستاذ «بتري».[٢٠]

وقد ذُكر اسم هذا الفرعون في قاعة الأجداد،[٢١] برقم ٣٨، وكذلك ذُكر في «ورقة تورين»،[٢٢] وقد كُشف حديثًا في «الكرنك» قطعة من لوحة محفوظة الآن في «المتحف المصري» مسجلة برقم ٥١٩١١،[٢٣] وهي منحوتة من حجر الجرانيت المحبَّب، وقد أقامها الملك «خع نفر رع سبك حتب الرابع»؛ لتكون تذكارًا لما قام به من أعمال الخير التي حبسها على معبد «آمون» بالكرنك، ونخص بالذكر هنا من بين عبارتها الجملة التالية؛ قال الملك: «ليعطَ أربعة ثيران»: واحد من إقليم رأس الجنوب، وآخر من إدارة الوزير، وثالث من الخزانة، والرابع من إدارة ما يعطيه الناس (وقد تَكلَّمْنا عن هذه الإدارات في الجزء الثالث).

[١٩] راجع: Wiedemann, “Kleinere Agyptische Inschriften aus der XIII–XIV Dynastie”, No. 12.

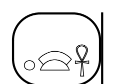
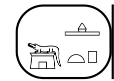
[٢٠] راجع: Petrie, “Hist. Scarabs”, Nos. 315–316; ibid No. 303.

[٢١] راجع: Sethe, “Urk”, p. 109.

[٢٢] راجع: Lepsius, “Auswahl”, Taf. V, Col. VII, frag. 79–80. 15.

[٢٣] راجع: Jouranl d’Entree 51, 911.

الملك خع عنخ رع-سبك حتب الخامس

تولَّى المُلك بعدَ «سبك حتب» (الرابع) الفرعونُ «خع عنخ رع-سبك حتب» (الخامس)، والظاهر أنه كان شريكًا له في المُلك، يدل على ذلك جعران كتب عليه اسماهما.[١] وتوجد لهذا الفرعون عدة آثار في المتاحف الأوروبية، منها مائدة قربان من الجرانيت محفوظة الآن بمتحف «ليدن»، وهي مهداة للإله «مين». وقد نقش عليها ألقاب هذا الفرعون كاملة.[٢]

وكذلك وجد له قاعدة تمثال صغير من الجرانيت الأسود اشتُرِيَت من «طيبة» عام ١٨٩٨.[٣] وقد أقام هذا الفرعون في «العرابة المدفونة» مقصورةً لم يبقَ منها إلا بعض قطع جميلة الصنع، وهي محفوظة الآن «بمتحف اللوفر»، منها قطعة محفورة حَفْرًا غائرًا، ويلاحَظ عليها المَلك واقفًا أمام الإله «وبوات» برأس ابن آوى، وكذلك نشاهِد على قطعة أخرى الفرعونَ واقفًا أمام «بتاح سكر»، وعلى قطعة ثالثة نشاهده ماثلًا أمام الإله «مين».[٤]

---

[١] راجع: Weill, “La Fin du Moyen Empire” II. p. 848.

[٢] راجع: Bœser, “Beschreibung der ægyptischen Sammlung des Niederlandischen Riechsmuseums der Altertumer in Leiden”, III. Pl. 7., & Moret, “Sphinx”, XI. p. 35.

[٣] راجع: p. S. B. A. XXV. Pp. 136–137.

[٤] راجع: Louvre B. 3, 4, 5; De Rouge, “Monuments”, p. 55. & Weill, “Fin du Moyen Empire”, 455–465.

وكذلك وُجدت له لوحة محفوظة الآن في «متحف اللوفر».[٥] وفي «قفط» كُشف عن قطعة من لوحة من الحجر الرملي نُقش عليها اسم زوجة ملَكية تُدعى «نب أم حات» واسم ابنة ملكية تُدعى «سبك أم حاب»، ويُظن أنهما زوجته وابنته على التوالي، غير أن ذلك ليس محققًا.[٦]

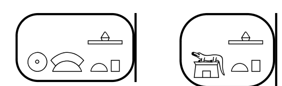
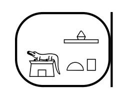
والظاهر أن اسم هذا الفرعون لم يُذكر في قائمة «الكرنك»، وإذا كان قد ذُكر فإنه قد هشِّم.[٧]

[٥] راجع: Steles du Louvre. C. 10. Pierret, op. Cit. II, p. 34. & De Rouge, "Cat. Mon". p. 46, 78.

[٦] راجع: Petrie, "Koptos" Pl. XII, 2. 1–3. p. 12.

[٧] راجع: Sethe, Urk II. p. 609. VI, p. 8.

الملك خع حتب رع-سبك حتب السادس

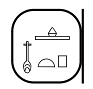
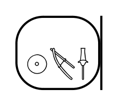
لم نَجِد لهذا الفرعون حتى الآن آثارًا تستحق الذِّكر، وتدل شواهد الأحوال على أنه قد قام ببعض أعمال في «معبد العرابة المدفونة» ذُكر عليها اسمه.[1] وكذلك وُجد له خمسة جعارين: صوِّرَ على إحداها في صورة أسد يسيرُ قدمًا، وقد كُتب عليه اسمه، واثنان كتب عليهما اسم التتويج (راجع: Petrie, “Scarabs and Cylinders” PL. XIII, 24).

هذا؛ وقد جاء ذكره في قائمة «الكرنك»، وكذلك في «ورقة تورين»، وقد جاء فيها أنه حَكم أربع سنوات وثمانية أشهر وتسعة وعشرين يومًا.[2]

[1] راجع: Rosellini, “Mon. Storici” Pl. III.

[2] راجع: Ed. Meyer, “Aegyptische Chronologie”. p. 64.

الفرعون مرسخم رع-نفر حتب

كل ما يُعرف عنه أنه عُثر له على تمثال جالس من الجرانيت الأسود في «الكرنك»،[١] وقد جاء ذِكره في قائمة «الكرنك»،[٢] رقم ٤٦ أيضًا.

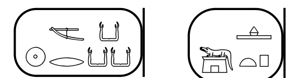
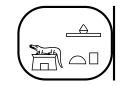
[١] راجع: Legrain, “Rec. Trav”., XXVI, (1904) p. 220 & Cat. Gen. du Mus. du Caire.

[٢] راجع: Sethe, Urk. II. p. 609.



شكل ١: الفرعون مرسخم رع-نفر حتب.

الملك مر كاورع-سبك حتب

عُثر له على تمثال من حجر البروفير في «الكرنك»، وقد وُجد له تمثال آخر مماثل للسابق غير أن نقوشه مهشَّمة،[1] ولكن نِسبته لهذا الملك غير مؤكدة بسبب تهشيم النقوش، وقد نُقش اسمه في «قاعة الأجداد»[2] رقم ٤٥، وكذلك ذُكر اسمه في «ورقة تورين».[3]

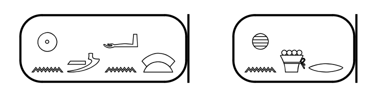
---

[1] راجع: Weill, "La Fin du Moyen Empire" I, p. 503. & Mariette, "Karnak" Pl. 8. I.

[2] راجع: Sethe. Urk. II. p. 609, VI. p. 103.

[3] راجع: Turin Pap. Col. VIII. frag. 87–88.

الملك ني خع ني ماعت رع-خنزر



تدل الكشوف الحديثة على أنه كان يوجد ملكان بِاسم «خنزر»: فأولهما الذي نحن بصدده الآن، وقد عُثر له على لوحتين محفوظتين بمتحف «اللوفر»، وهما خاصتان بإصلاحات قام بها كاهن يدعى «أميني سنبو» في معبد «العرابة المدفونة».[١]

وقد جاء في اللوحة الأولى (Louvre C. II) ما يأتي:

> لقد حَضَرَ ابن رئيس الوزراء ليدعوَني بأمرٍ مِن رئيس الوزراء، فذهبتُ معه ووَجدتُ رئيس الوزراء «غنخو» في ديوانه، وقد أَبلغني هذا الموظف أمرًا فحواه: لقد صدر الأمر بأن ينظِّف معبد «العرابة» هذا، وستقدَّم لك العمالُ لهذا الغرض، هذا بالإضافة إلى «كهنة الساعة» التابعين للجهة، وهم عمال مخازن القربان. فقمتُ بتنظيف الطابقين السفلي والعلوي للمعبد، وجانبَي جدرانه كليهما، وقد ملأ المصوِّرون (النقوشَ والكتابةَ) بالألوان، والترصيع والتطعيم، وبذلك أصلحوا ما كان قد صنعه الملك «سنوسرت» الأول. ثم أتى بعد ذلك حارسُ الشجرة المقدسة ليباشر أعمال وظيفته في المعبد، وكان وكيل الخزانة يتبعه، وقد أثنى عليَّ كثيرًا قائلًا: ما أعظم حظوة مَن عمل هذا لإلهه! وقد أمدني

---

[١] راجع: Chabas, “Melanges Egyptologique”, II, p. 203; Breasted, “A. R.” 1, §. 781, & Griffith, “A. Z.” XXIX p. 106.

بموئنٍ قيمتها عشرة دبنات،[٢] (من الذهب)، هذا إلى تمر ونصف ثور، وبعد ذلك انحدر رئيس الـ … في النهر من طيبة» وفحص العمل وكان سروره به عظيمًا جدًّا.

أمَّا اللوحة الثانية فتتذكُر اسم هذا الفرعون، ثم تقص علينا ما يأتي:

لقد صدر الأمر بتبليغ الرسالة الملكية الثانية إلى «أميني سنبو» وهي: إن هذه الأعمال التي قمتَ بها قد فحصتْ، وإن الفرعون يشكر لك، ويرجو لك أن تعيش عمرًا سعيدًا في هذا المعبد الخاص بإلهك، وقد صدر الأمر بأن يقدَّم لي الربعان الخلفيَّان من ثور، وكذلك صدر الأمر بأن يبلَّغ لي أمرٌ جاء فيه: «يجب عليك أن تشرف على كل تفتيش يجري في هذا المعبد.» وقد قمتُ بعملي على حسب ما صدرت به كل الأوامر، وقد أمرتُ بإصلاح كل محراب لكل إله في هذا المعبد، فأصلحتُ موائد قربانها بخشب الأرز، وكذلك أصلحتُ المذبح العظيم الذي كان منصوبًا أمام الإله؛ وبذلك أنفذتُ رغبتي مما سَرَّ إلهي، وشكرني الملك عليه.

وقد ترك لنا رئيس الوزراء «عنخو» — هذا المذكور في هذه الوثيقة — بعضَ آثاره؛ فقد عَثر[٣] «لجران» على تمثال له، كما نعرف له لوحتين، هذا بالإضافة إلى ذكر اسمه في بردية، وقد عَثر له على جعران،[٤] وآخر محفوظ الآن في «المتحف البريطاني»،[٥] غير أن هذين الجعرانين في الواقع للملك «خنزر» الثاني كما سيأتي بعد.

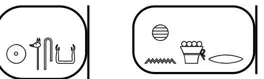
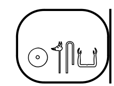
[٢] الدبن مثقال مصري وزنه ٩١ جرامًا.

[٣] راجع: Breasted, A. R., I. note d, § 342.

[٤] راجع: Fraser, “A Catalogue of Scarabs Belonging to G. Fraser” (London, 1900), No, 65 p. 9.

[٥] راجع: Br. Mus. No. 42716.

الملك وسر كارع-خنزر

وقد خَلَفَ «خنزر» الأولَّ ملكٌ آخر يدعى «خنزر وسر كارع»، وكان بعض علماء الآثار يعتبرون هذين الملكين ملكًا واحدًا؛[١] ويرجع السبب في ذلك إلى أن «خنزر» الثاني لم يكن معروفَ الاسم إلا من الجعرانَين السابقَي الذكر، وقد بقي هذا الشك إلى أنْ كَشَفَ الأستاذ «جيكييه» عن هرم «وسر كارع خنزر» ونَشَرَ نتائج كشفه عام ١٩٣٣.[٢]

وقبل هذا الكشف بقليل اعترف كلٌّ مِن «نيوبري» و«جاردنر» عند فحصهما «ورقة تورين» عند هذه النقطة بوجود لقب هذا الملك الأخير وهو «وسر كارع».[٣]

وقد كَشَفَ «جيكييه» عن هرم هذا الفرعون في «سقارة» وهو مبني باللبِن، ومكسو بالحجر الجيري الأبيض، ويبلغ ارتفاعه نحوًا من سبعة وثلاثين مترًا، وقد عُثر على بعض قطع من أحجار هذا الهرم، وكذلك عُثر على لَبِنة من جدرانه عليها نقوش بالخط الهيراطيقي، وهي تكشف عن معلومات قيِّمة عن سير العمل في بناء هذا الهرم؛ مما يدل

---

[١] راجع: Gauthier, “L. R.” PP 138–139.

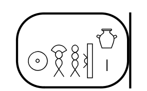
[٢] راجع: Jequier, “Deux Pyramides du Moyen Empire”.

[٣] راجع: Jequire, op. cit. p. 27.

على أن البناء كله تم في أربعة أعوام. ويوجد له في الجمعية التاريخية «بنيويورك» أسطوانة كُتِب عليها لقبه «وسر كارع» (راجع: A. Z. Vol. XI, 81). كما وُجد له قطعة من الخزف المطلي في «اللشت» كُتب عليها اسمه «خنزر».[٤]

[٤] راجع: Ibid, p. 83.

الملك واح أب رع إع أب

الظاهر أن هذا الفرعون «واح أب رع» يبتدئ عصرًا كله اضطرابات، فيَلُوح أنه قد اغتصب المُلك، وقد ذُكر اسمه على لوحة وُجدت في «طيبة»، وهي الآن بالمتحف البريطاني،[١] وكذلك عُثر له على جعران محفوظ الآن في مجموعة «بتري»،[٢] ووُجد له خاتم أسطواني الشكل،[٣] وذُكر اسمه على آنية من الخزف المطلي كُشِفَ عنها في «كاهون»،[٤] وقد حَكَمَ — على حسب «ورقة تورين» — عشرةَ أعوام وثمانية أشهر، وثمانية وعشرين يومًا.

---

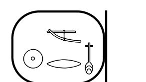
[١] راجع: Budge, “Sculpture”, p. 279.

[٢] راجع: Petrie, “Historical Scarabs”, (Lodon, 1889), p. 219 fig. 131.

[٣] راجع: Ibid, p. 323.

[٤] راجع: Petrie, “Kahun, Gurob and Hawara”, Pl. X, Fig. 72.

الملك مر نفر رع آي

وتدل الآثار على أن كل هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم حتى الآن في هذه الأسرة كانوا لا يزالون يحكمون مصر كلها، ومن المحتمل أنهم حكموا البلاد نحو خمسين سنة (١٧٦٠–١٧١٠) بحسب تاريخ الأستاذ «إدورد مير»، وقد خَلَفَ الفرعونَ «واح أب رع»، الملكُ «مر نفر رع آي» وقد عُثر له على جزء من «بوابة» في معبد «الكرنك» من الحجر الجيري بالقرب من «البحيرة المقدسة» كُتب عليه اسمه؛[١] وذلك يدل على أنه مُلكه كان يمتد في أعالي الصعيد، بل وفي مصر كلها، وبخاصة أننا وَجَدْنا له جعارين مبعثرة في أنحاء القطر؛ إذ عُثر له على واحد في «قفط»،[٢] وثانٍ في «العرابة المدفونة»،[٣] وثالث في «تل اليهودية»،[٤] ورابع في نفس المكان، وكذلك جعرانٌ في «تل بسطة»[٥] وجعرانَين في «اللشت»،[٦] وكذلك توجد جعارين

---

[١] راجع: Legrain, A. S. IX p. 273, 276.

[٢] راجع: Petrie, “Koptos”, Pl. XXIV No. 3 p. 24.

[٣] راجع: Petrie, “Hist. Scarabs”, No. 327.

[٤] راجع: Petrie, “Hyksos & Israelite Cities”, Pl. IX No. 116.

[٥] راجع: Fraser “Coll”, No. 55 p. 8.

[٦] راجع: Gauthier et Jequier, “Fouilles de Licht”, p. 107. Fig. 135.

باسم هذا الفرعون في «متحف برلين»[٧] وله جعارين أخرى في متاحف مختلفة،[٨] وقد حَكَمَ هذا الفرعون — على حسب ما جاء في «ورقة تورين» — ثلاث عشرة سنة وثمانية أشهر، وثمانية عشر يومًا.[٩] والظاهر أن حُكْم هذا الفرعون يعتبر نهاية جزء من حكم هذه الأسرة، وبعد ذلك نجد في بردية تورين أسماء ملوك عديدين، كثير منهم هشم اسمه، وسنذكر هنا ما يستحق الذكر.

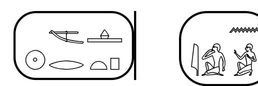
---

[٧] راجع: Berlin Mus. No. 10190.

[٨] راجع: Gauthier, L. R. II p. 44 ff.

[٩] راجع: Turin Pap., Col. VIII Frag. No. 81, 1, 3.

الملك مر حتب رع-إني
(سبك حتب الثامن؟)



يأتي هذا الفرعون بعد الملك السابق في «ورقة تورين»، وقد جاء ذكره كذلك في قائمة «الكرنك»، ووَرَدَ اسمه على لوحة من «العرابة المدفونة» محفوظة الآن بالمتحف المصري نُقش عليها الإله الطيب رب الأرضين «مر حتب رع» (الواحد المحبوب مُدخل السرور على إله الشمس) معطي الحياة محبوب «وبوات» رب تازسر (جبانة العرابة) القاطن في «العرابة».[١] هذا وقد عثر له على جعران محفوظ الآن بمتحف «اللوفر»،[٢] وقُدِّر حكمه في «ورقة تورين» بسنتين وشهرين وتسعة أيام، ويشكُّ بعض المؤرخين في أنه هو «سبك حتب الثامن»[٣] (؟).

---

[١] راجع: Lange und Schafer, “Grab und Denkstein des Mittleren Reiches,” Vol. I, p. 54, No. 20044.

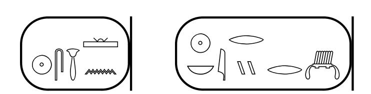
[٢] راجع: Deveria, Oevres I, p. 119 & Petrie, “History”, I. Fig. 138.

[٣] راجع: Gauthier, L. R. II p. 46 Note I & Weigall, “History”. Vol. II, p. 168.



شكل ١: الملك مر حتب رع-إني (سبك حتب الثامن؟)

الملك سواز إن رع-نب إري راو



لقد كُشف عن اسم هذا الفرعون حديثًا على لوحة موجودة الآن «بالمتحف المصري» رقم ٥٢٤٥٣، وقد عَثر عليها «شفربيه» في قاعة العمد «بالكرنك»، وهذه اللوحة لأحد كبار الموظفين، وقد وضعت بتصريح ملكي في معبد «الكرنك»، وقد جاء على هذه اللوحة صورة نَصِّ تعاقُدٍ لعظيمٍ بَاعَ مهامَّ وظيفتِهِ «حاكم الكاب»، التي ورثها عن جده بمبلغ يعادل ٦٠ دبنًا من الذهب، وقد تَرجم هذه الوثيقةَ الأستاذُ «لاكو» حديثًا، وهاك الترجمة لما لها من أهمية عظمى في كشف النقاب عن بعض نواحي هذا العهد الغامض.[١]

عطف ملكي بالموافقة (على وضع هذه اللوحة) في معبد «آمون»

الألقاب الملكية: إنه «حور» (الملك) العائش = وهو الذي يجعل الأرضين نضرتين، وسيد الإلهتين = وهو المقدس في وجوده، «حور» الذهبي = الجميل في إشراقه، ملك الوجه القبلي والوجه البحري = الذي يجعله «رع» نضرًا معطي الحياة والمحبوب من «آمون» سيد عروش الأرضين، الإله العظيم، ابن «رع» «نب إري، راو» (= سيدهم جميعًا) ليته يعيش مخلدًا؛ ومَن قلبُه ينشرح على عرش «حور» الأحياء، ومَن النظر إليه جميل مثل إشراق قرص الشمس، ومَن

---

[١] راجع: Lacau, B. I. F. A. O., Vol. XXX p. 881 ff. & Weill B. I. F. A. O. Vol. XXXII Pp. 28–33.

صار ثابتًا في مظاهره مثل «كمفيس» (ثور أمه)، وابن «آمون»، من جسمه، وهو الذي أنجبه من بذرته الفخمة، ومَن تحبه جميع الآلهة دائمًا.

تاريخ الوثيقة: السنة الأولى، الشهر الرابع، من فصل الفيضان، اليوم الأخير من الشهر، من عهد جلالة هذا الإله (الملك).[٢]

عنوان الوثيقة الأولى التي ذكرنا تاريخها: نزول كتابي عن ملكية حررها رئيس رجال مائدة الأمير (المسمى) «كبسي» لرجل من عترته، وهو الابن الملكي، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، ورئيس المعبد (المسمى) «سبك نخت»: حيث إنه معترف بوجود وظيفتي حاكمًا للكاب، وهي التي أتتْ إليَّ بوصفها وظيفة والدي حاكم «الكاب» المسمى «إمرو»، وقد ورثها والدي هذا بوصفها مِلكًا لأخيه من أمه، وهو حاكم الكاب المسمى «آي» الصغير، وهو الذي مات دون أن يعقِّب أولادًا، وقد أصبحت هذه الوظيفة مِلك هذا الرجل الذي من عترتي، وهو الابن الملكي، ورئيس المعبد المسمى «سبك نخت» مِن ابنٍ لِابنٍ ومِن وراثٍ لوارثٍ،[٣] على أن يعطى الخبز والجعة واللحم والمؤن، وكهنة الروح، والخدم، والبيت؛ التابعة لتلك الوظيفة، فيجب ألا يقيم أي شخص عَقَبَة في سبيل هذا النزول الكتابي؛ وذلك لأنه دفع لي الثمن وقدْره ستون دبنًا من الذهب في صورة أشياء متنوعة، وإذا قدم شخص شكاية أمام الحاكم (سار) أو أمام من يستمع للأوامر قائلًا: إن هذه الوظيفة تئول إليَّ، فيجب ألا يلتفت إليه، بل يجب أن تعطى «سبك نخت» وأن تكون له مِن ابنٍ لِابنٍ ومِن وراثٍ لوارثٍ، ومحظور الإصغاء لأي فرد يشكو في هذه الصدد؛ وذلك لأنها وظيفة ورثتُها عن والدي؛ وقد مكنتُ هذا الرجل منها؛ لأنه من عترتي، وهو الابن الملكي، ورئيس المعبد المسمى «سبك نخت» وإذا جاء أحد من أولادي أو من بناتي أو إخوتي، أو أخواتي، أو أي فرد من عترتي ليقول: إن هذه الوظيفة تئول إليَّ، فيجب ألا

[٢] وهذا العطف الذي منحه الفرعون مزدوج؛ إذ يشمل، فضلًا عن إهداء هذه اللوحة، إباحةَ وضْعها في معبد «آمون»؛ مما يبرهن على صحة ما جاء في هذه اللوحة.

[٣] والواقع أن واضع هذا النزول قد عُني بإظهار أنه هو المالك الحقيقي لهذه الوظيفة؛ إذ أعلن أنها قد أتت إليه عن طريق والده الذي ورثها بدوره عن والده. وسنرى فيما بعد أنه يدلي بالبراهين التي تؤكد ذلك.

يُصغى إليه، بل يجب أن يُعطاها أخي هذا وهو الابن الملكي، حاكم «الكاب» المسمى «سبك نخت»، وهذا النزول الكتابي قد عمله السيد (ساب) المسمى «رن سنب» في حضرة عمدة المدينة والوزير، ورئيس المحاكم الكبرى الست المسمى «سبك نخت» والسيد «نب سومنو» وكاهن «حور» إله «نخن» المسمى «سبك نخت».[٤]

وإذا حدث أن عُوِّق تنفيذ هذا النزول الكتابي فيجب ألا يلغيه أي شخص أبدًا.

وقد حُرِّر بوساطة مكتب مراقب «القسم الشمالي»، وقد كان كاتب السجن المسمى «أمنحوتب» معينًا ليمثل كاتب مراقب القسم الشمالي (من البلدة؟).

وقد عمل له الإجراء على حسب القانون بعد موته؛ أي إنه وضع أمامه (النزول المكتوب) لتجديده كل سنة على حسب القانون.[٥]

في السنة الأولى، الشهر الرابع من فصل الفيضان، اليوم الأخير من الشهر من حكم جلالة هذا الإله (الملك).

دفع الثمن: من الابن الملكي حامل خاتم الوجه البحري، ورئيس المعبد «سبك نخت»، ورئيس رجال مائدة الأمير المسمى «كبسي» ابن الوزير «إمرو» لأجل حكومة «الكاب». ما أعطاه الابن الملكي، وحامل خاتم الوجه البحري، ورئيس المعبد المسمى «سبك نخت» لرئيس رجال مائدة الأمير المسمى «كبسي»؛ يساوي ستين دبنًا ذهبًا، ويشمل ذلك نضارًا وشَبَهًا وحبوبًا وملابس.[٦]

وقد تحقق أن الوثيقة الأصلية قد أرسلت من مكتب مراقب «القسم الشمالي» (وعرت) إلى ديوان الوزير، في السنة الأولى من عهد حامي مصر (أي الملك) له الحياة والصحة والعافية، وهذه الوثيقة كانت باسم الكاهن «حور»[٧] إله «نخن» المسمى «سبك نخت»، وباسم رئيس رجال مائدة الأمير

---

[٤] كان اسم «سبك نخت» اسما شائعًا في تلك الفترة.

[٥] وبعد ذلك يأتي عقد آخر وهو متمم للسابق وهو عقد الدفع (أي دفع الثمن) لهذه الوظيفة التي نزل عنها صاحبها.

[٦] والسطران الأخيران ملخص مختصر لكل الوثيقة.

[٧] الكاهن «حور» صاحب «نخن» كان النائب عن «سبك نخت». وهو الذي قدم شكاية باسم «سبك نخت» الأخير؛ ولهذا نجد اسمه مذكورًا بجوار اسم «كبسي» المدافع عن هذه الوظيفة.

المسمى «كبسي»، وقد حملت إلى مكتب حاجب «وحم» القسم الشمالي، وكان قد أتى بها من ديوان الوزير بسبب شكاية في السنة الأولى من عهد حامي مصر (الفرعون) له الحياة والصحة والعافية.[٨]

وهذه الشكوى جاء فيها: «لقد أتيت بوصفي ممثلًا للابن الملكي رئيس المعبد المسمى «سبك نخت» لأقول: «إني قد أودعت أمانة قيمتها ستون دبنًا من الذهب، وتشمل نضارًا وشبهًا وملابس وحبوبًا من متاعي لدى رئيس رجال مائدة الأمير المسمى «كبسي»، وإنه لم يردها لي؛ ولذلك أقمت دعوى عليه.» وهاك ما تم خاصًّا بذلك في مكتب حاجب قسم الشمال؛ ليتسنى وضع هذه الشكوى تحت نظر رئيس رجال مائدة الأمير (المسمى) «كبسي» (أي يواجَه بها)، وقد اعترف بالحقيقة، ولذلك يقول: «لقد حدث أني قد أضعته بيدي (أي المال الذي أخذه ثمنًا للوظيفة)».»

وهاك اعترافه: «إني سأعوضه (المدعي) عن ذلك بوظيفتي «حاكم الكاب» التي أتت لي إرثًا من والدي عمدة المدينة، والوزير «إمرو»، وقد أتت إليه بمثابة ملك مِن أخيه مِن أمه المسمى «آي» الصغير، وهو الذي مات دون أن يعقِّب أطفالًا، وهذه الوظيفة كانت قد قَلَّده إياها والدُه الوزير «آي» بمقتضى نزول مكتوب في السنة الأولى من عهد الملك «مر حتب رع» المرحوم، وقد وضع ذلك (العرض) أمام الكاهن «سبك نخت» النائب عن حاكم «الكاب» «سبك نخت»، فأعلن ارتياحه لذلك أيضًا، ثم أمرا بحلف اليمين على ذلك (الاتفاق)، وذلك بالقسم بالسيد (الملك) له الحياة والصحة والعافية، وبالامتناع عن الرجوع في ذلك (الاتفاق) أبدًا.»

وقد عقد هذا اليمين أمام الحاجب المسمى «كمسو» التابع «لقسم الشمال» في نفس اليوم، وفي الوقت نفسه الذي سُجِّلت فيه هذه المستندات في مكتب الوزير. وهاك الكيفية التي أجرى بمقتضاها هذا الوزير (المسمى) «آي» نزولًا مكتوبًا لابنه رئيس مائدة قربان «آمون» المسمى «آي» الصغير، وذلك في السنة الأولى من عهد الفرعون «مر حتب رع» المرحوم:

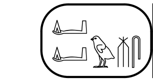
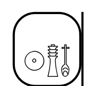
[٨] وعلى ذلك كانت الوثيقة محفوظة في ديوان الوزير.

عمل الأصل بمكتب الوزير في اليوم نفسه وقد جيء بالتقرير الذي أُتي به من مكتب الوزير، وقد أحضره «السيد» (ساب)، «رنسنب» الذي كان يشغل وظيفة «كاتب الوزير»، (وقد أودع) التقرير ومناقشته مكتب الوزير، وتحقق أن عمدة المدينة والوزير المسمى «آي» قد حرر نزولًا مكتوبًا خاصًّا بحكومة «الكاب» هذه لابنه رئيس مائدة قربان «آمون» المسمى «آي» الصغير، وذلك في السنة الأولى، الشهر الرابع من فصل الحصاد في اليوم التاسع عشر من عهد الملك «مر حتب رع» المرحوم، وقد قال بصدد هذا النزول المكتوب الذي عمله: لما كان هذا التعاقد قد أصبح ملغيًّا بالنسبة لابنَي رئيس مائدة قربان «آمون»؛ لأنه لا نسل له، من أجل ذلك ينبغي أن تعطى وظيفة حكومة «الكاب» ملكي لإخوته من الأم، وهي التي ولدت لي زوجي، البنت الملكية المسماة «رديتنس». وقد أرسل لإحضار كاهن الإله «حور»، إله بلدة «نخن» المسمى «سبك نخت»، وهو الذي كان نائبًا عن هذا الابن الملكي، حامل خاتم ملك الوجه البحري، ورئيس المعبد المسمى «سبك نخت»، وقد أحضر في الوقت نفسه رئيس رجال مائدة الأمير المسمى «كبسي» بمساعدة هذه الوثائق (أو هؤلاء الموظفين) إلى مكتب الوزير، وقد كان لزامًا على مكتب الوزير أن يقوم بذلك على حسب القانون، وقد حلفا اليمين (على الاتفاق) في السنة الأولى، الشهر الأول من فصل الحصاد بموافقة رئيس (هات) المحكمة المسمى «رن سن» راجع: A. S. XL. p. 1–20.

ومن هذه الوثيقة نعلم أن بقايا نظم العهد الإقطاعي كانت لا تزال باقية في البلاد، أو على الأقل في مقاطعة الكاب، التي كان في استطاعة حاكمها أن يتصرف في بيع وظيفة حكمه لها. والظاهر أن هذا البيع كان يحدث بين أفراد الأسرة نفسها كما يدل على ذلك النصُّ، وقد كان من الضروري إجراء هذا البيع في مكتب الوزير الذي كان يُعتبر الرئيس الأعلى للبلاد بعد المَلك. يضاف إلى ذلك أنه كان في الإمكان تغيير هذا البيع والنزول عنه كلما اقتضت الأحوال ذلك. والظاهر أن هذا الإجراء كان متَّبعًا بوجه خاص في مقاطعة الكاب؛ لأن أمراءها كانوا أقوياء وعلى ولاءٍ عظيم للبيت المالك، وقد استمروا على هذه الحال حتى أوائل الأسرة الثامنة عشرة، كما سنرى بعدُ. وعلى أية حال فإن ظاهرة بيع وظيفةِ حكومةِ بلدٍ من بلدان القطر تدل على تفكُّك أواصر الروابط الحكومية

في البلاد. ولا غرابة إذن في أن نشاهد ذلك في عهد الأسرة الثالثة عشرة، التي كان ملوكها على جانب عظيم من الوهن والضعف؛ مما أدى إلى غزو البلاد على أيدي الهكسوس كما سترى بعدُ.

الملك زد نفر رع-ددومس

يُعرف هذا الفرعون ببعض آثار عُثر عليها في جهات مختلفة، أهمُّها لوحة كُشف عنها في «الجبلين»، وهي الآن بالمتحف المصري،[١] وفي هذه اللوحة يَظهر هذا الفرعون بين الإله «خنسو» والإله «أنوبيس»، وكذلك وُجد له بعض الجعارين،[٢] ومن صناعة هذا الجعران يظهر أنه يشبه صناعة الأسرة العاشرة، وكذلك عُثر له على جعران آخر في مجموعة «فريزر».[٣]

وقد عَثر «نافيل» على قطعتين من (خرطوش) هذا الفرعون في «الدير البحري»،[٤] ويقول «مانيتون» إن الهكسوس غزوا البلاد المصرية في عهد هذا الملك.

---

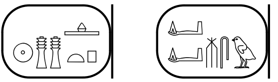
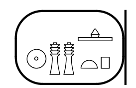
[١] راجع: Lange & Schafer “Grab und Denkstein”, II. Pp. 136–138 & Daressy, “Rec. Trav”. XIV, p. 26.

[٢] راجع: Petrie, “History”, I. p. 245. Fig. 140.

[٣] راجع: Fraser, “Coll”. p. 9.

[٤] راجع: Naville, “The XI Dyn. Temple”, II Pl. X Pp. 1–21.

الملك زد حتب رع-ددومس

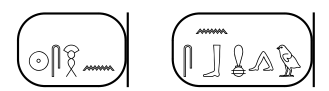
عُرف لنا اسم هذا الملك من لوحة عُثر عليها في «إدفو»،[١] وكذلك وُجدت لوحة مؤرَّخة بحكم هذا الفرعون عند تاجر في «إدفو»، ولا بد أنها قد استُخرجت من آثار هذه البلدة، وصناعة هذه اللوحة غاية في الخشونة، وتشبه السابقة، وقد أهداها الابن الملكي الأمير العظيم ابن رع «ددومس»؛[٢] ويُحتمل أن هذا الملك قد خلفه على العرش.

---

[١] راجع: Barsanti, “Stele inedited au nom du Radadouhotep Doudoumes”, A. S. IX (1908) p. 1–2.

[٢] راجع: A. S. XXI (1921) p. 189–190 & Weill, B. I. F. A. O. XXXII (1932) p. 27–8.

الملك سواح إن رع-سنب ميو



آثار هذا الملك قليلة جدًّا؛ إذ لم يُعثر على اسمه إلا على قطعة من «محراب» كَشف عنها «نافيل» في الحفائر التي قام بها في معبد الملك «منتو حتب» الثاني في «الدير البحري»، وهي الآن في «المتحف المصري»، وهي مصنوعة من الجرانيت المحبب.[١]

وكذلك نُقش اسمه على عصًا محفوظة في «بتروجراد»، وقد وُجدت في التابوت[٢] رقم ٨٠٣ (؟) كما ذُكر اسمه على جزء من لوحة وُجدت في «جبلين»،[٣] وذُكر اسمه كذلك في قائمة «الكرنك» في قاعة الأجداد رقم ٥٣.[٤]

---

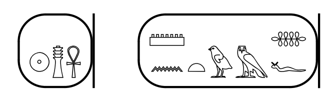
[١] راجع: Naville, "The XI th. Dyn. Temple at Deir-el-Bahari", II. Pl. X. ff. p. 12.

[٢] راجع: Lacau, "Sarcophages Anterieur au Nouvel Empire", II, p. 150.

[٣] راجع: Fraser, p. S. B. A., XV (1893) p. 498 (Fig. XVI) & Petrie, "History", I, p. 246.

[٤] راجع: Sethe, Urk, IV p. 610, VII. Pp. 1-2.

الملك زد عنخ رع-منتوامر ساف

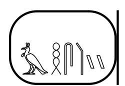


آثار هذا الملك قليلة جدًّا؛ إذ لم نَعثر على اسمه إلا على قطعة من الحجر في «الجبلين»، وهذا الحجر محفوظ الآن «بالمتحف المصري»[1] هذا بالإضافة إلى جعران محفوظ،[2] «بالمتحف البريطاني» بِاسمه.

[1] راجع: Daressy, Rec. Trav. XX, p. 72.

[2] راجع: Budge, "The Book of the Kings of Egypt", Vol. I, p. 83.

الملك نحسي (العبد)



عُزي إلى الملك قطعة حجر ربما كانت من مسلة في «تانيس» تدل على أنه كان أميرًا، وربما كان هذا الأثر قدَّمه له والدُه قربانًا للإله «ست»، معبود الهكسوس الأعظم في ذلك العهد. وفي هذا دليل قاطع على أن هذا الملك قد عاش في عهد الهكسوس، وأنه كان ضمن الأمراء الخاضعين لحكمهم،[1] وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري.

هذا وقد وُجد له حتى الآن ستة جعارين بعضها باسمه وهو أمير، وبعضها وهو ملك.

وقد عُثر على أحدها وهو أمير في «تل بسطة»،[2] كما عُثر له على تمثال في «تل المقدام»، كان الفرعون «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» قد اغتصبه في عهد الأسرة التاسعة عشرة.

وقد ذُكر عليه أن «نحسي» هذا محبوب الإله «ست» رب «أواريس»،[3] ويقول الأستاذ «إدورد مير» إن هذه العبارة تبرهن بصفة قاطعة على أن ملوك «الهكسوس» قد حَكموا مصر منذ أواخر الأسرة الثالثة عشرة، وإن الإله «ست» لم يُذكر قَطُّ على آثار «تانيس» قبل عهد الهكسوس، وهذه فكرة خاطئة سنتناولها بالبحث عند الكلام على غزو الهكسوس لمصر.

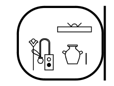
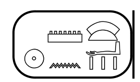
---

[1] راجع: Petrie, “Tanis” II, p. 18. No. 19 A.

[2] راجع: Gauthier, L. R. Vol. II, p. 55.

[3] راجع: Mariette, “Monuments”, Pl. 63.

الملك من خعورع سش أب

لم يوجد لهذا الفرعون إلا لوحة عُثر عليها في «كوم السلطان» «بالعرابة المدفونة»، ويشاهَد فيها الملك يَتعبد للإله «مين» ويقول في أولها: الصلاة لك يا «مين حور نخت» عند طلعتك الجميلة، من ملك الوجهين القبلي والبحري «من خعورع» معطي الحياة الأبدية ابن الشمس «سشب أب» العائش مخلدًا يقول[1] … إلخ.

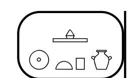
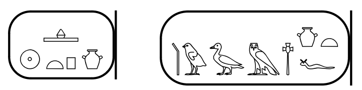
وقد جاء ذِكر هذا الملك في «ورقة تورين» مهشَّمًا؛ مما جعل الشك يحوم حول اسمه.[2]

---

[1] راجع: Mariette, “Catalogue General des Monuments d’Abydos decouverts pendant les fouilles de cette ville”, No. 771, p. 236 et “Abydos” II. Pl. 27. b. & Lange & Schafer, “Grab und Denkstein”, II, Pp. 111–112. & Lacau, B. I. F. A. O., XXX (1931) p. 882.

[2] راجع: Gauthier, L. R. II. p. 67.

الملك حتب أب رع-سيامو حور نز حرتف

لم نجد اسم هذا الفرعون إلا على قطعة من الحجر في بلدة «الأطاولة» قبالة «أسيوط» وقد نقش عليها: الإله الطيب رب القربان «حتب أب رع» ابن الشمس من بدنه «سيامو حور نز حرتف».[١]

ومن المحتمل جدًّا أن هذا الملك والذي قبله — وهما اللذان لم يوجد لهما آثار في أنحاء البلاد كسابقيهما، بل اقتصرت آثار كلٍّ منهما على بلدة واحدة من مصر الوسطى — كانا أميرَين محليَّين وحسب.

[١] راجع: Daressy, "Rec. Trav". XVI. (1894) p. 133. & A. Kamal, "A. S." III. (1902) p. 80.

نظرة عامة في حكم الأسرة الثالثة عشرة

تدل شواهد الأحوال على أن نظام الحكومة في عهد الأسرة الثالثة عشرة بقي على حاله كما كان في زمن الأسرة الثانية عشرة، فنشاهد أن الملك «نفر حتب» الأول يجمع كبار الموظفين والمستشارين حول عرشه في السنة الثانية مِن حُكمه، ويأمر بإخراج الكتاب المقدس لتاسوع الإله «آتوم»، وهذا الكتاب يوحي إليه بفكرة القيام بإنجاز أعمال في معبد «أوزير» «بالعرابة المدفونة»؛ وكذلك أمر الفرعون «خنزر» الأول وزيرَه «عنخو» أن يقوم بإنجاز إصلاح في معبد «سنوسرت» الأول، هذا إلى أن كثيرًا من فراعنة هذه الأسرة قاموا بإصلاحات عدة في المعابد القائمة في أمَّهات المدن كـ «قفط» و«العرابة المدفونة»، وبخاصة معابد الإله «مين» والإله «أوزير» والإله «وبوات»، وهم الذين شاعت عبادتهم في هذه الفترة، بذلك قد أظهروا ما في قلوبهم من الرغبة والاحترام لخدمة آلهتهم متى أتيحت لهم الفرص كما كان يفعل ملوك الأسرة الثانية عشرة.

فقد كانوا يقطعون الأحجار من وادي الحمامات لنحت تماثيل ضخمة لأنفسهم، وبنوا بها كذلك مقابرهم، وقد أقام «سبك أم ساف» وزوجه قبرَيهما في «طيبة»، ولكن يَظهر أن «نفر حتب» الأول كان مقرُّ ملكه في منطقة «منف».

وكان الموظفون متواضعين، يَحْنون رءوسهم أمام الأوامر التي تهبط عليهم، ويتقبلون الهبات الملكية التي كانت تُجزل لهم، غير أن هذه الهزة القاسية التي هزتْ أركان الإمبراطورية لم تحدِّثنا النقوشُ الباقية حديثًا شافيًا يجعلنا نصل إلى كُنْهها، ومع ذلك فإنَّا نلمس حقيقتها من اضطراب البيت المالك؛ فما يكاد الفرعون يستقر في عرشه حتى يُغتصب منه الملك ويُطرد، ثم يتلوه غيره، وتتجدد معه المأساة؛ مما يدل على أن البلاد كانت منحدرة نحو الخراب والتدهور المُشين، ولا يبعد أن يكون الملوك الذين يموتون على فراشهم مِيتَةً طَبَعِيَّةً قلائلَ جدًّا، غير أنه لا يمكننا أن نفسر الأسباب التي أدت إلى سوء

النظام وقتئذٍ؛ إذ كانت أحوال البلاد لا تزال غامضة لدينا؛ لأن السجلات الرسمية والنقوش الجنازية، أو نقوش الإهداء التي بقيتْ لنا لا تسعفنا بشيء ينير لنا السبيل في هذه الناحية.

وقد ظن البعض فيما مضى أن أزمة الحكم الإقطاعي قد بلغت قمتها وقتئذٍ، وأن أمراء الإقطاع بعد أن أصبحوا مستقلين قد وضعوا أيديهم على التاج، غير أن هذه كانت فكرة خاطئة؛ لأن أزمة حكام الإقطاع كانت قد حُلَّتْ في الفترة التي بين الدولة القديمة والدولة والوسطى، وأن ملوك الأسرة الثانية عشرة قضوا في نهاية الأمر على استقلال أمراء المقاطعات جملة، كما ذكرنا من قبل. ولم نجد ملَّاكًا مموِّلين، لهم استقلال شامل في عهد الأسرة الثالثة عشرة، اللهم إلا في مكان واحد؛ وهو بلدة «الكاب»[1] الملكية القديمة في جنوبي الوجه القبلي؛ حيث نجد أن أمراءها قد أقاموا مقابر مزينة بالنقوش على نمط أمراء الإقطاع الأقدمين.

وأقدم هؤلاء الأشراف من أصحاب «الكاب» هو «سبك نخت»، الذي عاش في عهد الفرعون «سبك حتب» السادس، والفرعون «نفر حتب» وكان يحمل لقب «أمير» وكاهن أعظم، وكذلك كان يحمل لقب «حامل الخاتم» و«السمير الوحيد»، مما يذكرنا بالأمراء الوراثيين، ولكن نجد أن خليفته «ران سنب» و«ببي» كان كلٌّ منهما يحمل لقب «رئيس مائدة الحاكم»، وقد كانا أقرباء ملوك وكبار موظفين، ومع ذلك فقد كان «ببي» له من الاستقلال ما يكفي أن يتكلم بلهجة أمراء المقاطعات الأقدمين عن أعمال الخير التي أغدقها على بلدته؛ إذ زعم أنه كان يوزع خمسين رغيفًا على كل فرد فقير أو غني؛ وكذلك تكلَّم عن الحقول التي أمر بزرعها … إلخ، وعلى ذلك نجد أنه في عهد الأسرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة قد تكوَّنت من جديد إمارة حقيقية، ولكن كان يَشْغلها في هذه الحالة موظفون وصلوا إلى مركزٍ قوي أو مرتبة أمير؛ وذلك إما بالزواج أو بامتلاك أراضٍ.

على أن ما كان يحدث في «الكاب» — على حسب ما تسمح به الوثائق التي في متناولنا — يكشف لنا بعض الشيء عن الحالة الحقيقية لهذه الأزمة التي ارتسمت في عهد الأسرة الثالثة عشرة؛ وهي أن كبار الموظفين الخاضعين للتاج، وبخاصة الضباط منهم الذين كانوا وقتئذٍ يغتصبون العرش، كانوا يتشاحنون فيما بينهم، وكان كلٌّ منهم يطمح إلى أن يكون الفائز، فكان يحل الواحدُ منهم مكان الآخر دون أن يفوز مغتصِب بأن يضمن

[1] راجع: Taylor, “Wall Drawings and Monuments of El Kab”, Vol. III, No. 10, Sebeknakht, No. 9. Ransaneb, No. 8. bis. Babi; L. D. (Text) IV, p. 53.

لنفسه مركزًا ثابتًا أو يفلح في تأسيس أسرة قوية الأركان مدعمة البنيان، هذا إلى أن كبار رجال الدولة كانوا يبيعون وظائفهم كما تُباع السلع، فلا غرابة في أن يكون العرش كذلك يباع ويشترى لمن في يده قوة وجاه.

الأسرة الرابعة عشرة

قلنا فيما سبق إن المؤرخ «إدورد مير» قد اتخذ مِن نقش الملك «نحسي» على تمثاله العبارة التالية «محبوب الإله «ست» صاحب «أواريس»» دليلًا على أن الهكسوس كانوا فعلًا قد استعمروا مصر في عهده، ويزعم أن الإله «ست» لم يُذكر على أيِّ أثرٍ في «تانيس» قبل عصر الهكسوس؛ إذ ذُكر لنا كلٌّ مِن الفرعون «مرمشع» و«سبك حتب» (السابع) على تماثيلهما: «المحبوبين بين الإله «بتاح» صاحب «منف»»، وكانت «أواريس» عاصمة الهكسوس، والإله «ست» هو إلههم؛ ومِن ثَم كان «نحسي» ووالده من رعايا «الهكسوس»؛ وأن غزوهم لمصر كان قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة، ومن الممكن أن تعزى التغيرات السريعة في تولية العرش إلى الفترة التي تلاها دخول «الهكسوس».

على أن هذا البرهان لا يرتكز على أساس متين؛ وذلك لأن «ست» كان يُعبد في «الدلتا» في هذه المنطقة منذ الأسرة الرابعة، كما سنبين ذلك، وأن «أواريس» هي نفس «تانيس»، كما برهن على ذلك الأستاذ «ينكر» في مقاله عن «بحر نفر»، وسنفصِّل القول في ذلك عند الكلام على عصر الهكسوس. وعلى أية حال فإنه لم يمضِ طويل زمن على نهاية حكم «نحسي» حتى انتهت الأسرة الثالثة عشرة، على حسب ما جاء في «ورقة تورين»، ثم ابتدأت الأسرة الرابعة كما ذَكر «مانيتون».

وملوك الأسرة الرابعة عشرة[١] يُنسبون إلى بلدة «سخا» (أكسيوس) في شمال الدلتا، وقد حَفظت لنا «ورقة تورين» من أسماء ملوك هذه الأسرة نحوًا مِن واحد وعشرين ملكًا (العمود الحادي عشر)، ونجد فيها فاصلًا جديدًا يدل على تغيير فرع الأسرة المالكة، على أننا لم نجد من بينهم ملكًا واحدًا مذكورًا على الآثار أو في قائمة «الكرنك»، ويمكننا أن نقرر أنهم لم يحكموا الوجه القبلي، بل كان سلطانهم منكمشًا غرب الدلتا؛ حيث كانوا تابعين لملوك الهكسوس الذين استوطنوا شرقي الوجه البحري. وتدل الأرقام التي حفظت لنا عن حكم هؤلاء الملوك على أنهم كانوا لا يمكثون على العرش إلا زمنًا قصيرًا جدًّا مثل أسلافهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة، ومن المحتمل أن الأسرة القديمة أو، بعبارة أخرى، بقية البلاط قد احتموا في مناقع الدلتا؛ حيث كانت المنازعات مستمرة من أجل ظل العرش. ومما لا ريب فيه أن الهكسوس كانوا في هذه الحالة يشجعون على استمرار هذه المنازعات والخلافات بزجِّ مدَّعٍ جديد للعرش يشدُّون أزره. وقد كان الوجه القبلي في ذلك العهد مقرًّا لبيتٍ ثالث يدعى ملك الوجهين القبلي والبحري، وهو الأسرة السابعة عشرة — على حسب رأي «مانيتون» — وهؤلاء من جهتهم لم يحكموا كل الوجه القبلي؛ وذلك لأننا وجدنا بجانبهم إمارات مستقلة، بالفعل أو بالحق الشرعي.

ومن ثم نشاهد أن بداية حكم «الهكسوس» وتَسَلُّطهم على البلاد كان عهد انحلال جديد لوحدة الدولة المصرية.

[١] راجع: Ed. Meyer, “Histoire de L’Antiquite”. II. § 301.

عصر الهكسوس

مقدمة

لقد كان موضوع «الهكسوس» من أبرز ما تناوله علماء الآثار من الموضوعات في السنين الأخيرة، وبخاصة بعد الكشوف الحديثة الناجمة من الحفائر التي قامت في الشرق الأدنى؛ سنحاول هنا الاستفادة من كل ما كتبه هؤلاء الباحثون لنكوِّنَ صورةً واضحة بقدر ما تسمح به معلوماتنا عن هؤلاء الغزاة.

ولقد احتدَمَ الجدل في الماضي في الوقت الذي اجتاح فيه الهكسوس البلاد المصرية، أما تاريخ طردهم من أرض الكنانة فيكاد يكون من المتفق عليه الآن أنه كان حوالي عام ١٥٨٠ق.م على يد الفرعون أحمس الأول، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، كما سنشرح ذلك فيما بعدُ، وكذلك نعلم حسب تفسير الأستاذ «زيته» للوحة «أربعمائة السنة» أن الهكسوس كانوا قد أصبحوا أصحاب السلطان في أرض الدلتا حولي عام ١٧٣٠ق.م، وعلى ذلك نرى أنهم كانوا قد حكموا مصر بين مدٍّ وجزر نحو قرن ونصف قرن من الزمان.

وقد كانت الفكرة الراسخة في الأذهان عند عامة المؤرخين إلى بضع سنين مضت أن هؤلاء الغزاة قد انقضُّوا على الديار المصرية فُجاءةً من بلادهم الأصلية، واستولوا عليها عنوةً، وأن ذلك قد حدث في فترةٍ كانت مصر قد بلغت فيها من الضعف والوهن حدًّا بعيدًا، أي عندما كانت الحروب الداخلية تفتك بها كلَّ الفتك، ولكن سيرى القارئ فيما بعدُ أن هذا الزعم خاطئ من أساسه، بل الواقع أنه توجد أسباب عدَّة تدلُّ على أن أولئك الغزاة كانوا قوة ثقافية في وادي النيل منذ عهد الملك «سنوسرت» الثاني (١٩٠٦–١٨٨٧ق.م)، أي في منتصف عهد «الدولة الوسطى»، عندما كانت مصر في أوج عظمتها، أو بعبارة أخرى في إبَّان عصرها الذهبي، وسنميز تمييزًا بيِّنًا بين المؤثرات الثقافية والمؤثرات السياسية

التي أدَّتْ إلى ذلك. وتدل شواهد الأحوال على أنه لا توجد أسباب تدعو إلى الشك في أن الهكسوس قد حكموا مصر قبل عام ١٧٣٠ق.م، ولكن من الطبيعي أن المؤثرات الثقافية التي كانت موجودة قبل ذلك العهد في الأقطار الآسيوية المجاورة قد تركت أثرها إلى حدٍّ ما في مصر، ومن المحتمل أن المصريين أنفسهم قد نقولها إلى بلادهم، وهذه المسألة نجد حلها في الجواب على السؤال التالي، وهو: كيف يتسنَّى للمرء أن يفسِّر ظهور ثقافة جديدة في بلدٍ ما؟ وسيرى القارئ فيما بعدُ أن عناصر ثقافية جديدة قد أُدخِلت في كلٍّ من سوريا وفلسطين، بل وفي مصر نفسها حوالي عام ١٩٠٠ق.م، وسيلاحظ كذلك وجود علاقة بين هذه العناصر الثقافية الجديدة وبين ثقافة الهكسوس الخاصة بهم مدةَ عهد سلطانهم السياسي في مصر؛ على أن هذا القول يحتاج إلى تفسير وإيضاح ينسجم مع الحقيقة القائلة: إن مصر كانت وقتئذٍ في عصرٍ من أزهر عصورها، وإن «ببلوص» الواقعة على الشاطئ السوري كانت موالية لمصر حتى عام ١٧٤٠ق.م، ويظهر أن الجواب المقنع على ذلك هو أن غزو الهكسوس لمصر لم يتم دفعةً واحدةً بين عشية وضحاها، ولكنه قد تمَّ تدريجًا وعلى مهل، فكان يكتسب قوته بمرور الزمن كالشجرة التي تضرب بأعراقها على مرِّ الأيام في أرض خصبةٍ، فتزداد نموًّا وإيناعًا. على أننا من جهة أخرى لا نجد في سقوط الأسرة الثانية عشرة، الذي أدَّى إلى ضعف مصر، سببًا يساعد على حركةٍ قامت للأسباب التي أوردناها هنا، وهي التي كانت نتيجتها توطيد أول أسرة للهكسوس في أرض الدلتا حوالي عام ١٧٣٠ق.م.

(١) هجرة الهكسوس

وإذا أخذنا بأن هجرة الهكسوس قد بدأت من المنطقة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حوالي بداية القرن التاسع عشر ق.م، على حسب ما سنورده من البراهين التي نستخلصها من قطع الفخار الأثرية، فإنَّا لن نجد تضارُبًا في ذلك مع الحقائق التاريخية، ويكون لدينا في الوقت نفسه تفسيرٌ لظهور منتجات مبكرة، لو وُجِدت في متون مؤرَّخة يرجع عهدها إلى قرنين بعد ذلك، لَحكمنا بأنها من عهد «الهكسوس» بلا ريب. والحقيقة الوحيدة التي لا بد من التذكير بها بالنسبة للهكسوس هي أنهم لم يدخلوا البلاد دفعةً واحدةً، بل وفدوا إليها جماعات صغيرة متفرقة، وهذه الجماعات كانت تزداد في عددها إلى أن أصبح لهم سلطان عظيم في البلاد بتسرُّبهم بهذه الكيفية، فكان مثلهم في ذلك كمثل الكاسيين الذين استولوا على بابل بهذه الطريقة؛ حتى إن هذه العناصر المختلفة الجنسية قد أصبحَتْ فيما

بعدُ عاملًا سياسيًّا قويًّا في مصر أدَّى إلى جعل البلاد تحت سلطانهم، وعلى هذا الأساس ظهرت الأسرة الخامسة عشرة في مصر.

(٢) طرد الهكسوس

والواقع أن الهكسوس قد قُضِي عليهم جملةً في مصر بوصفهم أمةً حاكمةً على يد «أحمس» الأول، وليس معنى هذا أنه قد قُضِي على نفوذهم الثقافي من البلاد؛ إذ ليس من الضروري أن يسير النفوذُ السياسي جنبًا لجنب مع النفوذ الثقافي، أو أن كلاهما ينسب إلى الآخر بصفة مباشرة؛ إذ لدينا من الأدلة ما يبرهن على أن ثقافة الهكسوس قد استمرت تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص إلى مدةٍ لا يُستهان بها في عهد الأسرة الثامنة عشرة بعد طردهم من البلاد كما سنشرح ذلك في حينه. أما من جهة فلسطين، فإنَّا نعتقد أن «تحتمس الثالث» قد ضرب الهكسوس ضربةً قاصمةً قضَتْ على أطماعهم فيها، وعلى نفوذهم في «آسيا» ولكن مع ذلك نجد أن دم «الهكسوس» وطرق حياتهم وعاداتهم قد تغلغلت في نفوس أهل «كنعان» سكان «فلسطين»، كما نجد ذلك عند وفود «العبرانيين» على هذه البلاد.

ولا يخيل أن غرضنا هنا أن نقدِّم صورةً مفصلة دقيقة من الوجهة الأثرية عن ثقافة الهكسوس المادية، فإن مثل هذه المعلومات ليست من أغراضنا هنا، ويمكن للباحث في التفاصيل أن يستقي معلوماتٍ غزيرةً في هذا الصدد من تقارير عمَّال الحفر المختلفة التي لها علاقة بهذا الموضوع، على أننا من جهة أخرى قد حاولنا أن نضع أمام القارئ رأيًا شاملًا لبعض المسائل الخاصة بالهكسوس، متجاوزين الحدَّ في التفصيل كلما دَعَتِ الضرورة، وذلك رجاء الوصول إلى ما نرمي إليه من كشف النقاب عن هذا الموضوع المعقَّد الذي شغل بال العلماء زمنًا طويلًا، ولا تزال بعض مسائله تحتاج إلى بحوث عميقة أهمها القيام بحفائر في كل الجهات التي احتلَّها أولئك الغزاة.

(٣) معلوماتنا عن الهكسوس من المصادر القديمة المدوَّنة

لقد كانت معلوماتنا عن «الهكسوس» قبل كشف النقاب عن رموز اللغة المصرية القديمة وغيرها من لغات الشرق القديمة، تنحصر فيما رواه لنا «فلافيوس يوسفس» Flavious Josephus المؤرخ اليهودي الذي عاش في خلال القرن الأول من التاريخ الميلادي،

والمعلومات التي قدَّمها لنا هذا المؤرخ قد أخذها بدوره عن المؤرخ المصري «مانيتون» المعروف، وقد كان غرض «يوسفس» الأول فيما نقله عن «مانيتون» العمل جهد الطاقة في الرفع من شأن قومه اليهود، الذين كان يحتقرهم كتَّاب الإغريق، ويحطُّون من شأنهم؛ لذلك أخذ المؤرخ «يوسفس» يبرهن للملأ أن اليهود والهكسوس هم عنصر واحد، وأنهم خرجوا من مصر منذ حوالي ألف سنة قبل حروب «طروادة»[١] الذائعة الصيت، وهي تلك الحروب التي خلَّدها «هوميروس» الشاعر اليوناني في كتاب «الإلياذة» وكتاب «الأوديسة»؛ وقد كان عهد هذه الحروب في نظر الإغريق تاريخًا سحيقًا في القِدَم. وممَّا يُؤسَف له أشدَّ الأسف أنه لم يُعثَر حتى الآن عن أصل إغريقي من كتاب «مانيتون» الذي وضعه في تاريخ مصر، ولم يَبْقَ لنا من كتابه هذا إلا بعض فقرات نقلها بعض الكتَّاب مثل «يوسفس»[٢] وغيره، ومع ذلك فإن هذه الفقرات أو الاقتباسات التي بقيت لنا قد كُتِبت بعد طرد الهكسوس من مصر بنحو ١٣٠٠ سنة تقريبًا، وعلى ذلك أضحى الاعتماد عليها بوصفها مصدرًا تاريخيًّا لا يُوثَق به كثيرًا، وبخاصة إذا كنَّا نعلم أن بعض الوقائع التي ذكرها لنا «مانيتون» تكاد تكون من الوجهة التاريخية مستحيلة.

على أن هذا لا يحملنا على التخلِّي عن ذِكْر بعض الوقائع الصادقة المعقولة فيما رواه، كما سنرى عند فحص المصادر القديمة المصرية الأصلية التي كشف عنها في خلال نصف القرن الأخير.[٣]

والظاهر أن كلمة «هكسوس» لم تكن معروفة قبل عهد «مانيتون»، وأنه هو أول مَن استعملها، وسنورد فيما يلي الاقتباسات الهامة التي ذكرها «يوسفس» نقلًا عن «مانيتون».

فيقول «يوسفس»: إن «مانيتون» كتب عنَّا (أي اليهود) ما يأتي، وإني سأقتبس كلماته كأني قد وضعته في قفص الشهادة: «لا أعرف لماذا قد نزلت بنا في عهد توتيمايوس Tutimaeus (تحتمس) صاعقةٌ من غضب الإله، فقد تجرَّأ قوم من أصلٍ وضيعٍ من الشرق على غزو بلادنا، وقد كان مجيئهم أمرًا مفاجئًا، وقد تسلَّطوا على البلاد بمجرد

[١] Thackery., “Against Apion,” I, PP, 102–105.

[٢] Edward Meyer, “Gesehichte des Altertums”, (Stuttgart und Berlin, 1926) § 151.

[٣] راجع كتاب: Raymond Weill, “La Fin du Moyen Empire Egyptien” عن الآثار المعروفة للهكسوس من قبل عام ١٩١٨ ميلاديًّا.

القوة في غير صعوبةٍ ما، وبدون نشوبِ واقعة حربية، وبعد أن تغلَّبوا على الرؤساء أحرقوا المدن بوحشية، وأزالوا معابد الآلهة من أساسها، وساروا في معاملة الأهلين بكل قسوة، فقتلوا بعضَ القوم، وسبوا نساء وأطفال أناسٍ آخَرين، وفي نهاية الأمر نصبوا واحدًا منهم اسمه «سالاتيس» ملكًا، فاتخذوا مدينة «منف» مقرًّا له، وضرب الضرائب على الوجه القبلي والوجه البحري، وترك له حاميات في الأماكن التي كانت أعظم صلاحيةً للدفاع، وقد أَمَّنَ جناحه الأيمن بوجه خاص؛ لأنه كان يتنبَّأ بما عساه أن يحدث من اغتصاب الآشوريين بمهاجمته عندما تزداد قوتهم في المستقبل، ولما كشف في مقاطعة «ستروبت Sethroite» عن مدينة حسنة الموقع مقامة على الجهة الشرقية من فرع «بوبسطة»، عمل على بنائها من جديد، وحصَّنَ جدرانها ووضع فيها حامية يبلغ عددها نحوًا من ٢٤٠٠٠٠ رجل مسلحين لحماية حدوده، وكان قد اعتاد زيارة هذا المكان كلَّ صيف لتوزيع الجرايات ودفع أجور الجنود من جهة، وكذلك ليُلقِي عليهم دروسًا هامة في فنون الحركات الحربية، ولأجل أن يُلقِي الخوفَ في قلوب الأجانب من جهة أخرى، ثم توفي بعد أن حكم البلاد تسع عشرة سنة.» بعد ذلك تأتي قائمة بأسماء الملوك التالية: «بنون» حكم ٤٤ سنة، «أبا خناس» حكم ستًّا وثلاثين سنة وسبعة أشهر، «أبو فيس» حكم إحدى وستين سنة، «يناس» حكم خمسين سنة وشهرًا، و«أسيس» حكم ٤٩ سنة وشهرين. وقد كان هؤلاء الملوك الستة الذين يعتبرون حكامهم الأول، يطمعون باستمرارٍ في محو الشعب المصري، وكان شعب هؤلاء الغزاة يُسمَّون «هكسوس»، ومعنى الاسم «ملك الرعاة»؛ وذلك لأن كلمة «هك» معناها في اللغة المقدسة «ملك»، أما كلمة «سوس» فمعناها في اللهجة الدارجة «راعي» أو «رعاة»، ومن ثَمَّ كانت الكلمة المركبة «هكسوس»، ويقول البعض: إنهم «عرب».

ثم يستمر «يوسفس» بألفاظه هو قائلًا: وعلى أية حال، فإنه جاء في نسخة أخرى أن كلمة «هك» لا تعني «ملوكًا»، بل تدل على العكس على أن الرعاة كانوا «أسرى»، وهذا الرأي يظهر لي أكثر احتمالًا وأكثر موافقةً للتاريخ القديم.

وملوك القوم الذين يُطلَق عليهم الرعاة ومَن تناسَلَ منهم، وهم الذين عددناهم فيما سبق، قد ظلُّوا أسيادَ مصر — على حسب ما ذكره «مانيتون» — نحو خمسمائة وإحدى عشرة سنة.

وفي الفقرة التالية يحلِّل «يوسفس» ما جاء في «مانيتون»:

> وبعد ذلك قام ملوك إقليم «طيبة» وسائر البلاد المصرية بثورة على الرعاة، وشبَّتْ نار حرب عظيمة طالت مدتها، ويقول إنه في عهد ملكٍ يُدعَى «مسفراجموثيس Misphragmouthis» هُزِم الرعاة وطُردوا من مصر كلها، وحُوصِروا في مكانٍ يُدعَى «أواريس»، ومساحته عشرة آلاف «أرورا»، وكان الرعاة كما ذكر لنا «مانيتون» قد أحاطوا كلَّ هذه المساحة بجدران عظيمة مبنية حماية لكلِّ متاعهم وغنائمهم. ثم يستمر قائلًا: إن «تومومسس Thoummosis» ابن «مسفراجموثيس» حاصَرَ الجدران بجيشٍ يبلغ ٤٨٠٠٠٠ رجل، وحاوَلَ أن يجعلهم يستسلمون بالحصار، ولكنه لما يئس من بلوغ غرضه عقد معهم معاهدة تقضي بأن يخلوا كلَّ أرض مصر، وأن يذهبوا حيث شاءوا دون أن يضيق عليهم، وبمقتضى هذه الشروط غادر مصر ما لا يقل عن ٢٤٠٠٠٠ من الأسرى جميعًا يحملون متاعهم، ومخترقين الصحراء إلى «سوريا»، ولما كان الرعب قد أخذ منهم كلَّ مأخذ خوفًا من بطش الآشوريين الذين كانوا في خلال هذه الفترة أصحابَ السيادة في «آسيا»، فإنهم أقاموا مدينةً في الإقليم الذي يُدعَى «يودا»، صالحةً لإيواء جمعهم الهائل، وقد أطلقوا عليها اسم «أورشليم».[٤]

التعليق على رواية يوسفس

ويحقُّ لنا أن نشكَّ في الحال في قوة «آشور» في تلك الفترة من التاريخ، كما يحقُّ لنا كذلك أن نتشكَّكَ في مساحة مدينة «أواريس» عاصمة «الهكسوس»، وفي عدد الرجال الذين كانوا فيها وقتئذٍ، يضاف إلى ذلك أنه ليس من المعقول أن «الهكسوس» بعد طردهم من مصر قد استوطنوا بلدة جديدة هي «أورشليم»، ولكن لا يخفى ما لهذه الحقيقة من قيمة في نظر «يوسفس» اليهودي.

ولكن قبل فحص الوثائق الأقدم من تلك، بالنسبة لعلاقتها بتقاليد البطالمة، دَعْنا نفحص كلمة «هكسوس» أولًا.

[٤] راجع: “Against Apion”, I, Pp. 74–90. English Translation by H. St. J. Thackery (London 1926).

(٤) تفسير كلمة هكسوس

ذكرنا من قبلُ أن كلمة «هكسوس» تُنسَب نشأتها للمؤرخ «مانيتون»، والتفسير اللغوي الذي وضعه لها مقبول؛ وذلك لأن كلًّا من جزأَي الكلمة له ما يقابله في اللغة المصرية القديمة، فكلمة «حقا» معناها «حاكم»، وكلمة «شاسو» معناها «بدوي»، ومن الجائز أن الأخيرة قد كُتِبت بالإغريقية «سوس»، وبالقبطية «شوس»؛[٥] وعلى آية حال فإن الرأي المتفق عليه الآن في تفسير كلمة «هكسوس» هو أنها مركبة من كلمتَيْ «حقاو» و«خاسوت»، ومعناهما معًا هو «حكام الأقاليم الأجنبية»، وهذا التفسير لا يتناقض مع ما جاء في القاموس المصري القديم (W.B. III. p. 171)، وقد كان أول مَن اقترح هذا الاشتقاق هو الأستاذ «جرفث».[٦] وممَّا تجدر ملاحظته أن هذا التعبير كان معروفًا في المصادر المصرية من عهدٍ مبكرٍ يرجع للأسرة السادسة، وبقي مستعملًا حتى عهد البطالمة،[٧] وهذه فترة أطول بداهةً من العصر الذي احتلَّ فيه الهكسوس البلاد المصرية، وليس لدينا من البراهين القاطعة الآن ما يُثبِت أنَّ هذه العبارة كانت تُطلَق على الهكسوس فحسب، وإذا كان لنا أن نفهم نشأة كلمة الهكسوس على حقيقتها، فلا بد أن نتصوَّر أن كلمتَيْ «حقاو» و«خاسوت» قد مُزِجتا كاسم جنس، واستعملتَا في الصورة التي نقلها لنا «مانيتون»، ولكن المدهش في ذلك أننا نجد استعمال هذا التعبير في النقوش قبل الأسرة الثامنة عشرة بعد طرد الهكسوس من مصر، غير أننا من جهة أخرى نلحظ أن بعض ملوك الهكسوس أنفسهم قد سموا على الآثار أو على الجعارين «حقاخاسوت» أي: «حاكم البلاد الأجنبية»، مثل الملك «خيان»،[٨] و«سمقن»،[٩] و«عنات هر»،[١٠] فقد لُقِّبَ كلٌّ منهم بهذا اللقب.

---

[٥] راجع: “The Jouranl of Egyptian Archaeology”, Vol. V, (1918) p. 38.

[٦] راجع: p. S. B. A. XIX. (1897) p. 297.

[٧] راجع: J. E. A, V, p. 38.

[٨] راجع: Macalister, “Gezer”, III, Pl. CCIV. p. 16.

[٩] راجع: Petrie, “Scarabs & Cylinders”, Pl. XXI.

[١٠] راجع: Newberry. “Scarabs”, Pl. XXXIII. II.

وقد كان أول ما عُثِر على كلمة «حقاوخاسوت» في صيغة الجمع في قصة «سنوهيت» (راجع كتاب الأدب المصري القديم ص٣٥)، ويظن الأستاذ «ولف» خطأً أن المقصود منها في هذا النص هم بدو «فلسطين».[١١]

ومما يلفت النظر أننا لم نعثر على كلمة بعينها في اللغة المصرية القديمة وُضِعت عَلَمًا لأولئك الغزاة الذين سمَّاهم «مانيتون» الهكسوس، فنجد مثلًا في «ورقة ساليه» الأولى أنهم سموا «الطاعون»، غير أن ذلك ليس بغريب؛ لأن المصريين كانوا يطلقون عليهم هذا الاسم بوصفهم أعداء، والظاهر أنهم كانوا يسمون «عامو»؛ أي الآسيويين في عهد الهكسوس أنفسهم،[١٢] وكذلك كانوا يسمون «ستتيو» في لوحة «كارترفون» (راجع: J. F. A., V. p. 46)، وأُطلِق عليهم في نقش تاريخ «أحمس بن أبانا» اسم «منثيوستت» (راجع: Urk. IV. 5: 4).

(٥) ملوك الهكسوس في ورقة تورين

وفضلًا عن المصادر اليونانية التي ذكرت لنا بعض أسماء ملوك «الهكسوس» كما كتبها الإغريق، فإنه يوجد لدينا قوائم ملوك مصرية بحتة أتم من القوائم اليونانية، وإن كانت متناقضة في بعض الحالات، وأهمها «ورقة تورين»، وهي المصدر الذي كان في الأصل يشمل على ما يظهر كل أسماء ملوك «الهكسوس» ولكن، ممَّا يُؤسَف له أن بعض أجزائها قد حدث فيه تمزيق بالغ،[١٣] غير أنه لحسن الحظ وجدنا فيها قائمة تحتوي على ما يظهر أسماء ستة من ملوك «الهكسوس» حكموا مائةً وثماني سنين.

ولدينا قائمة ملوك أخرى محفوظة بمتحف «اللوفر» نُقِلت من معبد «تحتمس الثالث» بالكرنك، وهي المعروفة «بقاعة الأجداد»، وقد ذكرناها فيما سبق.[١٤]

---

[١١] راجع: Wolf, Der Stand der Hyksosfrage Zeitschrift D. M. Ges. 8. heft. I. (Leipzig. 1929). p. 67.

[١٢] راجع: Carnarvon Tablet I, “J. E. A, V. p. 44. Inscriptions of Speos Artemidos”, Breasted, “A. R”, II. § 303.

[١٣] راجع: Guilio Farina, II papiro re rest anrato IR. museo di Torino Publicazioni egitto-logiche I. (Roma 1938) p. 56.

[١٤] راجع: B. Porter and Rosalinde. B. Moss, “Bibliography”, II. (Oxford 1929) p. 42.

وكذلك توجد قائمة ملوك في «العرابة»، وأخرى «بسقارة»، ولكنهما لا تحتويان أسماء ملوك «الهكسوس» احتقارًا لهم، ولعدم الاعتراف بحكمهم؛ وذلك لأن أولئك الغاصبين قد بقيت ذكراهم في أذهان القوم بوصفهم أعداء مغتصبين لمدة طويلة بعد طردهم وهربهم من مصر.

وقد ذكرنا هذه الحقائق هنا بصفة عابرة؛ لأنه لو كان لدينا حتى الأسماء الصحيحة لأولئك الملوك مرتَّبة ترتيبًا تاريخيًّا متسلسلًا، لَكان مع ذلك تنقصنا الحوادث والأحوال التي تربط أسماء بعضهم ببعض، والظاهر أن الأمل الوحيد في الحصول على مثل هذه المعلومات لن يأتي إلا عن طريق إجراء حفائر في مصر في المواقع الهامة التي استوطنها «الهكسوس»، وقد تصلنا هذه المعلومات الأثرية في صورة أوراق بردية.

(٦) العثور على جعارين من عهد الهكسوس

هذا وقد عُثِر في أوقات متفرقة على جعارين نقش عليها أسماء بعض ملوك لم تكن معروفة لنا من قبلُ، وقد تحقَّقَ بالدرس أنها لملوك من «الهكسوس»، ومع ذلك فإن هذا الكشف لم يحل لنا مسألة التسلسل التاريخي لأولئك الملوك، وهي المسألة التي يجدُّ المؤرخون للوصول إليها، هذا فضلًا عن أن كشفها لم يُضِفْ شيئًا ماديًّا لفهم عصر أولئك الغزاة.

ولكن من جهة أخرى نجد أنه قد حدث بعض التقدُّم في إماطة اللثام عن أحوال العصر المظلم الذي تلا سقوط الأسرة الثانية عشرة؛ إذ قد أصبح من المسلَّم به على وجه عام أن العصر الذي يقع بين الأسرتين الثالثة عشرة والسابعة عشرة كما لخَّصَه «مانيتون» لا يمكن أن تكون الأحوال قد سارت فيه سيرها الطبيعي، بل كان عصر تقلُّبات وقلاقل، ولم تنسجم فيه أمور البلاد إلا غرارًا؛ فقد استوطن ملوك الأسرة الثالثة عشرة مدينة «طيبة»، وسيطروا في بداية الأمر على البلاد كما ذكرنا آنفًا (حوالي عام ١٧٨٨ق.م) من الدلتا حتى الشلال الثاني،[١٥] وقد ظلت الأحوال في البلاد تسودها السكينة والنظام حتى نهاية عهد رابع ملوك هذه الأسرة، وعلى أية حال نجد أن خامس ملوك هذه الأسرة، الذي كان يحمل اسم «يوفني» كما جاء في «ورقة تورين»، قد دُوِّن بصورةٍ تختلف عن طريقة تدوين أسماء الملوك المتبعة.[١٦]

---

١٥ راجع: Breasted, “A. R.” I. §§ 751–752.

١٦ راجع: Gauthier, “L. R.” II, p. 7.

الأسرة الرابعة عشرة: أما الأسرة الرابعة عشرة فكما ذكرنا كانت عاصمتها بلدة «سخا» (اكسيوس) من أعمال الدلتا، على حسب ما جاء في «مانيتون»؛ والظاهر أنها كانت وليدة تمزُّق شمل الدولة بعد بداية الأسرة الثالثة عشرة مباشَرةً، وبعبارة أخرى كانت كلٌّ من الأسرة الثالثة عشرة والرابعة عشرة معاصرة لزميلتها، فالأولى كان مقرها مدينة «طيبة»، والثانية كان مقرها مدينة «سخا» من أعمال الدلتا.

وعلى الرغم ممَّا يحيط بمعلوماتنا من إبهام وغموض عن هذا العصر، فإنه مما لا ريب فيه أن أول أسرة أَسَّسَها «الهكسوس» — أي الأسرة الخامسة عشرة — قد قامت على حساب الأسرة الرابعة عشرة، أما الأسرة الثالثة عشرة التي كانت لا تزال قائمة في «طيبة»، فإن شواهد الأحول تدل على أن أواخر ملوكها كانوا خاضعين لنفوذ «الهكسوس»، فقد ذهب الأستاذ «إدورد مير» إلى أن «نحسي» ثالث ملك من أواخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة ووالده، كانَا تابعَيْن لملوك «الهكسوس».[١٧]

أما عن الوقت الذي أَسَّسَ فيه «الهكسوس» الأسرةَ الخامسة عشرة في بلدة «أواريس» وعبادة الإله «ست»، فإن المعلومات الجديدة التي لدينا عن هذا الموضوع ترتكز على تفسير الأستاذ «زيته» للوحة «أربعمائة السنة»، التي عثر عليها أولًا «مريت» في «تانيس» في منتصف القرن الأخير،[١٨] وهي التي كشف عنها ثانيًا الأستاذ «مونتييه» منذ بضع سنين، بعد أن بقيت مطمورةً في الرمال مدة طويلة،[١٩] وكذلك على ما ألقاه من الضوء الأستاذ «ينكر» في مقاله عن «بحر نفر» أحد كبار رجال الدولة في عهد الأسرة الرابعة، وقد أبان فيه حقيقة عبادة الإله «ست» في «أواريس»، ولما كان موضوع عبادة «ست» مرتبطًا بعيد «أربعمائة السنة» الذي كان قد أُقِيم احتفالًا بهذا الإله، رأينا أن نبحث هنا موضوع علاقة الإله «ست» بالهكسوس، ثم علاقته بلوحة أربعمائة السنة، وكذلك نبحث مسألة عبادة هذا الإله في عهد الأسرة الثالثة عشرة في «أواريس»، وأخيرًا لا بد من تحقيق أن «تانيس» هي نفس «بررعمسيس»، وبذلك يمكن فهم المعنى الحقيقي للوحة «أربعمائة السنة»، وموقف الإله «ست» وعلاقته بالهكسوس والمصريين.

---

[١٧] راجع: Gesch. II. §§ 305 & 316. ff.

[١٨] راجع: Rev, d’Arch. N. S. XI. (1865) Pp. 169–90.

[١٩] راجع: Montet, “La Stele de l’An 400”, Kemi IV. (1933) Pp. 191–215.

(٧) علاقة الإله «ست» بالهكسوس

لقد ظل موضوع علاقة الإله «ست» بالهكسوس من الموضوعات الغامضة، إلى أن أجلى معمياته الأستاذ «ينكر» في مقال رائع عن نقوش مقبرة العظيم «بحر نفر»؛ أحد كبار رجال الدولة في أوائل الدولة القديمة، وقد عُثِر على قبره في «سقارة»،[٢٠] وقد برهن الأستاذ «ينكر» في مقاله هذا على أن الإله «ست» كان الإله المحلي لبلدة «سترت» Strt، وهي سترويت Sethroite في العهد الإغريقي، الواقعة في الشمال الشرقي من الدلتا، كما يعتقد ينكر، وعلى ذلك كان لإثبات وجود عبادة هذا الإله منذ هذا العهد السحيق في القدم في هذه الجهة أثر في تغيير الآراء التي كانت معروفة عن موقف هذا الإله بالنسبة لعلاقته «بالهكسوس» تغيرًا أساسيًّا؛ ولا غرابة في ذلك، فقد كان المعتقد حتى قبل هذا الكشف الذي وُفِّقَ إليه الأستاذ «ينكر» أن الهكسوس هم الذين جلبوا عبادة «ست» إلى هذه الجهة؛ لأنه كان موحدًا مع معبود لهم، كما كان يزعم كل علماء الآثار، ولكننا نعلم الآن أن الهكسوس لما اجتاحوا البلاد وتسلَّطوا عليها، وجدوا عند استيطانهم فيها أن الإله «ست» كان هو المعبود المحلي للبقعة التي أقاموا فيها تحصينات عاصمتهم العظيمة التي اتخذوها بمثابة نقطة الاتصال بين أجزاء دولتهم الضخمة، وهي التي كانت تضم بين جوانبها مصر وفلسطين وسوريا، وقد كان مثل أولئك الفاتحين كغيرهم ممَّن غزوا أرض الكنانة؛ اعتنقوا الديانة المصرية القديمة على إثر دخولهم البلاد، فلا عجب إذن أن يختار غزاة الهكسوس الإله المحلي للبقعة التي ألقوا فيها عصا تسيارهم، وبنوا فيها عاصمة ملكهم؛ إلهًا لهم، وهو الإله «ست»؛ وقد اتخذوه حاميًا لدولتهم الجديدة، وعلَّلَ البعض اختيارهم لهذا الإله بما يوجد بين «ست» هذا وبين إلههم «بعل» أو الإله «تشب» من تشابه في الصفات.

حاكم البلاد الأجنبية في شيء من هذا، بل كل ما فعلوه أنهم نقلوا الإله المحلي القديم وهو «ست» إلى عاصمتهم الجديدة وعبدوه، وهذا الرأي أقرب للفهم من أنهم كانوا يبحثون عن إله حامٍ ينتخبونه من بين جماعة الآلهة المصريين، ليُوضَع جنبًا إلى جنب مع إله قبيلتهم، وسيظل مقدار مدى الأهمية التي كان يتوقف عليها اختيار الإله «ست» وما بينه وبين إله الغزاة الفاتحين من روابط وصفات خفية مشتركة؛ من الموضوعات المغلقة التي

[٢٠] راجع: Junker, “Phnfr”, A. Z. Vol. 75. Pp. 63–84.

لا يمكن الفصل فيها؛ وذلك لأن الهكسوس على ما يظهر، وكما سنرى بعدُ، كانوا خليطًا من أجناس متباينة ممَّا جعلنا نجهل حقيقة كل شيء عن آلهتهم أو الإله المرشد لقبيلتهم. حقًّا نعلم أن كلًّا من الإلهين «بعل» و«تشب» قد وحد بالإله «ست»، ولكن ذلك قد حدث في عصور متأخرة عن عصر الهكسوس، ومع ذلك يبقى علينا أن نوضح بجلاء أن الإله «ست» كان في عهد الهكسوس هو إله الفاتحين الأجانب، والواقع أنه بوصفه إله الحرب قد ظهر فيه بعض الصفات المشتركة بينه وبين آلهة الآسيويين، ممَّا حبَّبَ فيه الهكسوس.

عبادة الإله ست في الدلتا

ولما كانت عبادة الإله «ست» في الشمال الشرقي من الدلتا قائمةً منذ فترة طويلة، ثم اعتنقها «الهكسوس» عند غزوهم البلاد، فإنه كان من الطبعي أن تظل عبادته بعد طرد أولئك الغزاة، حتى ولو بوصفه الإلهَ المحليَّ لتلك الجهة.

وإذا كان الأمر قاصرًا على موضوع توحيد الإله الأجنبي بالإله «ست» رب «أمبوس» (كوم أمبو) القديم وحسب، لاختفت عبادته باختفائهم من البلاد، ولكن الأمر كان أعظم شأنًا وأجل خطرًا من ذلك؛ إذ كان الإله «ست» منذ زمن سحيق في القدم قد اتخذ الدلتا موطنًا ثانيًا له، وبذلك لم يكن في مقدور إنسان أن يزحزحه عن مكانه؛ لأن عبادته كانت قد ضربت بأعراقها في أعماق نفوس القوم القاطنين في تلك البقعة.

على أن تقديس «الهكسوس» للإله «ست» لم يكن موضوعًا ذا بال عند المصري نفسه؛ لأنه على الرغم مما كان لهذا الإله من سوء السمعة منذ القِدَم، فإن عبادته كانت لا تزال مرعية قائمة على أقل تقدير في المدن التي كان يُعبَد فيها قديمًا مثل «أمبوس» (كوم أمبو)، والإقليم الذي يشتمل على المقاطعتين الحادية عشرة والثانية عشرة من مقاطعات الوجه القبلي، وكذلك في الشمال الشرقي من الدلتا؛ على أن كل ما فعله الفاتحون هو أنهم رفعوه بصفة بارزة إلى مرتبة الإله الأعلى، بل وإله دولتهم، والواقع أن هذا الحديث كان ضربة قاسية في صميم قلب مدن «طيبة» و«منف» و«هليوبوليس»، وهي التي كانت تمجد فيها عبادة «آمون» و«بتاح» و«رع» على التوالي بوصفهم أعظم الآلهة سلطانًا ونفوذًا في الديار المصرية، هذا فضلًا عن اتصالهم الوثيق بحكومة البلاد، وقد كان ممَّا يمكن احتماله أن يكون «ست» معبودًا محليًّا بوصفه رفيقًا لهذه الآلهة العظام؛ ولكن الذي لم يكن في استطاعة الكهنة والحكومة استساغته أن يصبح «ست» صاحب السيادة الدينية في البلاد كلها، وهو الإله المعروف بعدائه للإله «حور»، بل كان قاتل الإله «أوزير» والده أيضًا.

ومما هو جدير بالاهتمام الآن إذن أن نفحص المصادر التي وصلتنا مرة أخرى عن طريق «مانيتون»، وغيره من النقوش والكتابة القديمة، وهي التي تحدِّثنا عن غزو الهكسوس وتقدسيهم للإله «ست»، على ضوء ما لدينا من المعلومات الجديدة؛ حتى يتبيَّنَ لنا حقيقة الأمر بقدر المستطاع.

رواية مانيتون عن الهكسوس

يدل ما رواه «مانيتون» على أنه قد ناقَضَ نفسه في موضوع مدينة «أواريس»؛ إذ ذكر لنا في بداية كلامه أن «ملك الهكسوس» قد وجد المدينة قائمةً عند وصوله، ثم عاد فقال إنه أسَّسَها؛ وقد بحث المؤرخون المتن اليوناني، ونخصُّ بالذكر منهم «إدورد مير» ثم الأستاذ «ينكر» (A. Z. Vol. LXXV. p. 8.) وقد وصل الأخير إلى النتيجة الآتية وهي: «أن المتن يكون منطقيًّا عندما نفهم أن رواية «مانيتون» تحمل في ثنايا ألفاظها أن الهكسوس قد وجدوا مدينة مشيدة عند دخولهم البلاد تُدعَى «أواريس»، واتخذوها عاصمة مختارة لملكهم، وأنهم قد أصلحوها وأمروا بتحصينها.» وبذلك تكون الفقرة التي اخْتُلِف في ترجمتها قد حافظت على معناها الحقيقي على حسب رأي «ينكر»، وهي: «ولكن المدينة كانت على حسب التعاليم الإلهية منذ أقدم العهود هي مدينة «تيفون» (أي ست).» ولذلك يجب علينا أن نقول هنا بحقٍّ إن الهكسوس قد انتخبوا «أواريس» عاصمة لهم؛ وهي المدينة التي كان يُقدَّس فيها «ست» منذ زمن سحيق في القِدَم، أي منذ أن اتخذها هذا الإله موطنًا له قبل الأسرة الرابعة بزمن بعيد.

وكذلك جاء في فاتحة متن «ورقة سالييه» وصْفٌ يدل على أن الهكسوس قد انتخبوا الإله «ست» معبودًا لهم.

> اتخذ الملك «أبو فيس» لنفسه الإله «ستخ» (ست) معبودًا، ولم يقدِّس من آلهة البلاد كلها سوى الإله «ستخ»، وقد أقام له معبدًا بمثابة عمل جليل خالد بجوار مقر الملك، وكان يخرج كل يوم ليقدِّم القربان للإله «ستخ»، في حين كان وجهاء القوم يحملون الأكاليل على غرار ما كان يفعله الناس في معبد الإله «رع حوراختي».

ومن هذا النص نرى أن هذه القصة تحدِّثنا أن ملك «الهكسوس» قد رفع الإله «ست» إلى مرتبة السيادة على ملكه وجعله إله الدولة الأعظم، وقام له على حسب التقاليد المصرية

بأعظم آيات التجلة والاحترام، على أننا وإنْ كنَّا نجد بين السطور تجريحًا لاذعًا للإله «ست»، فإن ذلك يرجع فقط إلى أولئك الذين لم يَرُقْ في نظرهم المقام الأسمى والمكانة الممتازة التي اعتلاها هذا الإله، ولا غرابةَ في ذلك؛ فإن التقاليد قد شوَّهت اسمه بكثير من المساوئ كما هو معروف؛ على أنه ليس لدينا من جهة أخرى أقل إشارة تدل على إدخال إله أجنبي في البلاد أتى به الهكسوس، ولا نزاع في أن مؤلف «ورقة ساليه» لم يكن ليتغافل عن ذكر أية إشارة خاصة بذلك، وعندما قيل «إن ملك الهكسوس» الأجنبي قدَّمَ قربانًا للإله «ست» كما يفعل الناس في معبد الإله «رع» أعظم الآلهة المصرية مقامًا، فلا يعني ذلك أن القوم كانوا يقدِّسون على وجهٍ عامٍّ إله «أواريس»، بل على العكس يدلُّ ذلك على أن الغزاة قد رفعوه إلى درجة أعلى من درجات الآلهة الأخرى وحسب، وينبغي علينا إذن أن نقرر أن الملك «أبو فيس» لم يعبد إلهًا آخَر، وأن الأجانب لم يعرفوا الإله «رع»، أو أنهم أرادوا القضاء عليه، بل كان كل ما يبتغونه هو إبراز الشهرة الكاذبة التي أرادوها لإله دولتهم الجديد، هذا إلى التخلِّي عن التجريح الذي كان يغمز به هذا الإله العظيم القديم. والواقع أن هؤلاء الملوك الفاتحين كانوا كذلك يقدِّسون آلهة أخرى من آلهة وطنهم ممَّن نجد اسمهم قد رُكِّبَ مع اسم الملوك تركيبًا مزجيًّا، مثل اسم الملك «عنات هر» وكذلك نجد بعض هؤلاء الملوك قد اتخذوا لأنفسهم لقب «ابن الشمس»، ممَّا يدل على عبادتهم للإله «رع»؛ هذا إلى أننا نجد أسماء التتويج لكثير من ملوك «الهكسوس» قد رُكِّبت مع اسم «رع» أعظم الآلهة المصرية شهرةً وقدمًا كما سيجيء بعدُ.

اللوحة التذكارية للاحتفال بعيد أربعمائة السنة التي مرَّتْ على تتويج «تبتي» (الإله ست) ملكًا على دولة الهكسوس

الآن وقد أثبتنا أن الإله «ست» كان إلهًا أصليًّا يُعبَد في «أواريس» منذ القِدَم، نعود إلى التكلُّم عن لوحة أربعمائة السنة وقيمتها التاريخية بالنسبة لعهد «الهكسوس».

لقد ظنَّ بعض المؤرخين أن «تبتي» الذي جاء في لوحة «أربعمائة السنة» ملك حكم البلاد المصرية، وظلَّ الرأي كذلك إلى أن كتب الأستاذ «زيته» مقالًا رائعًا في هذا الصدد (راجع: A. Z. LXV. p. 85) أدلى فيه بالحجج المقنعة بأن نقش لوحة «أربعمائة السنة» خاص بالإله «ست»، لا بملك من ملوك عصر الهكسوس الذين حكموا مصر، وهاك نصُّ ما جاء في هذه اللوحة مع اختصار الألقاب الرسمية:

يعيش الملك «رعمسيس» الثاني الأمير الذي زين الأرضين بآثار تحمل اسمه، والذي يشرق بحب إله الشمس له في السماء. لقد أمر جلالته بإقامة لوحة من الجرانيت الأحمر باسم آبائه العظام لتعيد ذكر اسم آباء والده ثانيةً، واسم الملك «سيتي الأول» باقيًا وخالدًا إلى الأبد مثل اسم «رع» كل يوم.

هذا هو الجزء الأول من هذا الأثر، أما الجزء الثاني ويحتوي على ستة أسطر مثل الجزء السابق، فإنه يحدِّثنا عن حادث من الأهمية بمكانٍ حدَثَ في الماضي، وتدل الرسوم التي في أعلى اللوحة على ما كان عليه الملك «رعمسيس الثاني» من التقوى نحو أجداده، وما قام لهم به من عظيم الخدمات، وهذا القرار الذي اتخذه قد أُرِّخَ ووُضِع في صورة مرسوم كما يأتي:

السنة الأربعمائة، الشهر الرابع من فصل الصيف، اليوم الرابع من حكم ملك الوجهين القبلي والبحري «ست» عظيم القوة ابن الشمس المحبوب «تبتي» المحبوب من «رع حوراختي» الذي سيبقى مخلدًا. لقد حضر الأمير الوراثي والمشرف على العاصمة والوزير وحامل المروحة على يمين الفرعون، ورئيس الرماة، والمشرف على البلاد الأجنبية، والمشرف على حصن «ثارو»، ورئيس المازوي (جنود الشرطة في الصحراء) والكاتب الملكي، والمشرف على الخيالة، ومدير عيد كبش «منديس» (تل الربع الخالي)، والكاهن الأول للإله «ست»، والمرتل للإلهة «بوتو» فاتحة الأرضين، والمشرف على كل كهنة الإلهة «سيتي المرحوم» ابن الأمير الوراثي وعمدة العاصمة، والوزير رئيس الرماة، والمشرف على البلاد الأجنبية، والمشرف على حصن ثارو (تل أبو صيغة الحالي)، والكاتب الملكي، والمشرف على الخيالة «برعمسيس» المرحوم الذي وضعته ربة البيت المغنية «تيا» المرحومة؛ ويقول: الحمد لك يا «ست» يابن «نوت»، يا صاحب القوة العظيمة في سفينة الملايين (أي سفينة الشمس)، والذي طرح الثعبان المعادي (لرع) أرضًا، والذي على رأس سفينة رع، ومن صوته عظيم في الحرب، ليتك تمنحني حياةً جميلةً لأجل أن أخدمك، ولأجل أن أبقى في (حظوتك).

وقد ظنَّ الأستاذ «زيته»، لأسبابٍ ذكرها عن هذا العيد الربعمائي أنه قد احتفل به في مدينة «تانيس» لمرور أربعمائة سنة على تأسيسها، فيقول: ومن البدهي أننا نعالج هنا موضوع عيد أربعمائة السنة، الذي يدل على وجود مدينة «تانيس»، ووجود هذه المدينة

يُفهَم منه في المتن السيادة الملكية للإله المحلي «ست»، ولكن ينبغي على العكس أن تكون علاقة هذا العيد بتأسيس هذه البلدة علاقة غير مباشرة، وبخاصة عندما نعرف أنه لم يأتِ ذكرٌ في النقوش عن هذه المدينة بوجه خاص. والواقع أنه لا يحتمل أن يحتفل القوم ثانيةً بذلك اليوم الذي أقام فيه الغزاة مدينةً لتكون بمثابة حصن منيع في وجه المصريين، بل الحقيقة الواقعة أن هذا العيد قد احتُفِل به تذكارًا لاعتلاء الإله «ست» مرتبة السيادة على البلاد، وجعله إله الدولة الرسمي للهكسوس، وهذا هو نفس الرأي الذي قصته علينا «ورقة سالييه» الأولى؛ إذ جاء فيها أن الهكسوس قد نصبوا الإله «ستخ» سيدًا على البلاد، وينبغي علينا أن نضع الشرح التالي نتيجةً لما سبق تفصيله: كان الإله «ست» منذ العهود القديمة قد اتخذ لنفسه موطنًا مختارًا في الشمال الشرقي من الدلتا، وفي الإقليم الذي تقع فيه بلدة «تانيس»، عندما اقتحم الهكسوس البلاد، وأقاموا فيها عاصمةً لملكهم كان أول ما فعلوه أن اتخذوا الإله المحلي حاميًا لدولتهم، وفي هذه الفترة اعتلى الإله «ست» عرش الملك الإلهي، وقد كان حتى الآن، أو على الأقل في العصور التاريخية، يُعتَبَر أحد الآلهة الذين يُعَدُّون في درجةٍ أقل من درجة إله الدولة الأعظم، على أنه بطرد الهكسوس من البلاد زالت عنه تلك السيادة الإلهية على البلاد.

وعلى الرغم من ازدهار سلطان «ست» وسيادته مدة ارتباطه بالغزاة «الهكسوس»، فإنه قد ضرب من جديد ضربةً قاسيةً في الصميم، كانت لا تقلُّ عن الضربة التي صُوِّبت إليه عند انهزامه وقهره على يد الملوك الحوريين في عصر ما قبل التاريخ، ومع ذلك فقد بقيت عبادته في الشمال الشرقي من الدلتا موطنه الثاني قائمةً لم تُصَبْ بسوء، حيث نجد من جديد أن معبده قد بقي قائمًا على الرغم من تغيير الأحوال في مصر بقيام دولة وسقوط أخرى، ولا بد أن عبادته في «تانيس» كانت تذكر بفخار وكبرياء دائمًا ذلك العصر الزاهر الذي مدَّ فيه هذا الإلهُ سلطانَه على البلاد كلها؛ ولذلك عندما انقضت أربعمائة سنة على اعتلائه عرش دولة الهكسوس، احتفَلَ القوم بهذا الحادث الضخم بمهرجان عظيم، وقد تولَّى الموظف «سيتي» — الذي أضحى فيما بعدُ ملكًا على البلاد باسم «سيتي الأول» — إدارةَ شئون الاحتفال بهذا العيد؛ وقد كان «سيتي» هذا موظفًا في شرق الدلتا إذ كان يحمل لقب المشرف على حصون «ثارو»، والمشرف على البلاد الأجنبية، ومدير عيد كبش «منديس»، ويُحتمَل أن وطنه الأصلي الإقليم الذي أُقِيم فيه الاحتفال، هذا إلى أنه كان يحمل كذلك لقب الكاهن الأول للإله «ست»؛ ولا بد أن هذه الوظيفة الدينية كانت خاصةً بخدمة الإله «ست» في الدلتا، وعلى ذلك يكون «سيتي» هذا قد قام بوظيفة الكاهن الأول للإله «ست» في الاحتفال بالعيد في «تانيس».

وقد فهم الأستاذ «زيته» من الجملة التي جاءت على هذا الأثر، وهي: «يريد إحياء اسم آباء والده ثانية» أنه يقصد من هذه العبارة ردَّ اعتبارٍ للإله «ست» الذي كان اسمه قد لُوِّثَ بالعار في مصر منذ الأزمان العتيقة، ولكن ينبغي ألَّا تُؤخَذ هذه الجملة على هذا المعنى المشين، بل يجب أن تؤخذ على المعنى الجديد الذي اكتسبه عندما كان اسمه يلمع ويضيء منذ أربعمائة سنة مضت، أيْ عندما رفعه الهكسوس إلى مرتبة ملك الدولة.

وسقوط الإله «ست» كان انتصارًا للإله «آمون»، في حين أن «آمون» نفسه كان قد هزمه عدوه «آتون» رب أخناتون، ولكن أفول نجم «آتون» إلى الأبد لم يقضِ على كل عداء كان مُوجَّهًا لقوة إله «طيبة» وهو «آمون»؛ إذ يُلاحَظ أن ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذين يظنُّ الأستاذ «زيته» أن وطنهم الأصلي الإقليم الشمالي الشرقي من الوجه البحري، لم يمزجوا أسماء أعلامهم باسم الإله «آمون» كما كان يفعل كثير من ملوك الأسرة الثامنة عشرة مثل «أمنحتب» الأول والثاني … إلخ، بل مزجوا أسماءهم باسم الإله «رع» أو «بتاح» أو «ست». ويرجع السبب في ذلك إلى ما كان يلوح في الأفق من الخطر الذي يهدِّد ملكهم بازدياد قوة «آمون» واتساع نفوذه، ومن هنا نفهم السرَّ في نقل «رعمسيس» الثاني (الذي أقام هذه اللوحة) عاصمةَ ملكه إلى «تانيس»، فإنه لم يفعل ذلك لقربها من ممتلكاته في آسيا، أو لأنه كان يرغب في جعل بلاطه في البقعة التي وُلِد فيها آباؤه وحسب، بل ليقصي كذلك بلاطه عن كهنة «آمون»، ويُبعِد المسافة بينهم وبين عاصمته، وقد كان تنفيذه لهذه الفكرة ضربة قاسية لمدينة «طيبة»؛ ويمكننا أن نفهم الآن أكثر من ذي قبلُ سببَ محو اسم الإله «ست» في معابده القديمة، التي كانت قائمة في الدلتا بعد انتصار «آمون»، وعودة عاصمة الملك إلى «طيبة» في عهد الأسرة التاسعة عشرة.

عبادة الإله «ست» في «أواريس» وفي عهد الأسرة الثالثة عشرة

أثبتنا فيما سبق قِدَم عبادة الإله «ست» في الشمال الشرقي من الدلتا في مقاطعة «سترويت»؛ والآن نريد أن نبرهن على أن عبادة هذا الإله في بلدة «أواريس» في عهد الأسرة الثالثة عشرة لم تكن بالأمر الغريب كما يزعم بعض المؤرخين؛ فقد كتب الأستاذ «إدورد مير» الذي يُعَدُّ عمدةَ مؤرِّخي العصور القديمة،[٢١] عن الأسرة الثالثة عشرة يقول:

[٢١] راجع: Edward Meyer, "Gesch". § 305.

لدينا آثار غريبة من عصر ثالثِ آخِر ملوك الأسرة الثالثة عشرة، الذي كان يُدعَى «نحسي» (العبد)، وهو اسم كان يُسمَّى به كثير من أفراد عامة الشعب؛ ففي «تانيس» وجدنا اسم هذا الأمير على قطعة حجر ربما كانت من أثرٍ قد أهداه والده للإله «ست» صاحب «را أخت»؛ وكذلك وُجِد في «تل المقدام» الواقعة في قلب الدلتا (مركز ميت غمر) تمثالٌ ملكيٌّ لهذا الأمير نُقِش عليه «محبوب ست» صاحب «أواريس»، ولكننا نعرف أنه لم يذكر لنا على أي أثرٍ اسم الإله «ست» في «تانيس» قبل عهد «الهكسوس»، وقد ذكر لنا كلٌّ من الملك «مرمشع» والملك «سبك حتب» الرابع كثيرًا على تماثيله التي وُجِدت في «تانيس»؛ أنه المحبوب من «بتاح» صاحب «منف»، وأن «أواريس» كانت عاصمة الهكسوس، وأن «ست» صاحب «أواريس» هو إلههم، ومن ثَمَّ نعلم أن كلًّا من «نحسي» ووالده كان قد أصبح من أتباع «الهكسوس»، وأن غزو هؤلاء القوم الأجانب للبلاد كان قد حدث قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة، ومن المحتمل أنَّ تتابُعَ تولِّي الملوك عرشَ البلاد بسرعة مدهشة في هذه الفترة يرجع بعضه إلى عِظَم نفوذهم.

والواقع أن ما وصلنا من معلومات جديدة يجعلنا نعيد النظر فيما كتبه هذا المؤرخ؛ وذلك لأنه في إقليم «تانيس» كانت عبادة الإله «ست» قائمة منذ العهود القديمة، وقد عرفنا الآن أن معبد هذا الإله موجود في «سثرت» على مقربة من «تانيس» منذ أوائل الدولة القديمة على أقل تقدير، وعلى ذلك فإن إقامة «نحسي» أثرًا لهذا الإله القديم في إقليم «تانيس» لا يدلُّ على أي اتصال «بالهكسوس»، كما لا تدل عبارة وصف الإله بأنه صاحب «أواريس» على أية علاقة قطُّ بالهكسوس؛ وذلك لأن هذه المدينة[٢٢] كانت قائمةً قبل غزو الهكسوس كما سبقت الإشارة إلى ذلك، هذا فضلًا عن أن اسم مدينة «أواريس» مصري خالص، ولا يُشَمُّ منه أن الغزاة قد أسَّسوا بنيانها، ويجب أن يفهم الإنسان ذلك حقًّا، فقد ميَّزَ «رعمسيس» الثاني المباني الجديدة التي أقامها في المدينة بتخليد اسمه، فأطلق عليها اسم «بررعمسيس» (بيت رعمسيس)، ولا شك في أن توحيد «تانيس» ﺑ «أواريس» يقدِّم لنا سندًا قويًّا لتفسير الرأي الذي نعرضه هنا الآن؛ وذلك لأن الآثار المكشوفة تحدِّثنا بأنه منذ القِدَم كانت تقوم في هذه البقعة مدينةٌ على جانب عظيم من الأهمية، وكذلك يدل ما

[٢٢] راجع رأي الأستاذ جاردنر في هذه المدينة وموقعها: Gardiner, “Ancient Egyptian Onomastica”, Vol. II. p. 176.

كُشِف من آثارٍ على أن نشاط «نحسي» من ناحية البناء في «تانيس» كان ضئيلًا بدرجة مدهشة، كما كانت الحال مع أسلافه في عهد الدولتين القديمة والوسطى.

والواقع أن التفسير الذي أدَلَى به الأستاذ «إدورد مير» عن «نحسي» وآثاره لا يصمد أمام النقد؛ إذ كيف ينبغي لـ «نحسي» أو والده أن يقيم معبدًا لإله الغزاة الأجانب في عقر عاصمتهم؟ والأحرى بهذا الأمير إذا كان يريد أن يُظهِر خضوعَه وتبعيته للغزاة أن يقيم أثرًا لإله الدولة الجديد الذي كان يُعتبَر هو من أتباعه في الإقليم الذي يقع خارج مدينتهم، أما في «تانيس-أواريس» التي بناها الهكسوس ثانية على حسب «تصميم» موضوع لم يكن ليسمح لـ «نحسي» أن يقيم فيها للإله «ست» معبدًا بوصفه إلهه، بل كان ذلك من الأمور الخاصة التي يمتاز بها أسياده الفاتحون. هذا ونعلم من النقوش التي دُوِّنت على المباني أشياء أخرى؛ إذ نعرف أنه قبل الغزو الأجنبي كانت توجد مدن لعبادة «ست» غير بلدة «سثرت» ومدينة «حوت وعرت» (أواريس)، مثل «را أخت» التي كانت تقع حتمًا في إقليم «أواريس»، وخلافًا لهذه المعابد نعلم أن الإله «ست» كان يشغل مكانة ممتازة في مقاطعته.

(٨) تانيس-أواريس-بررعمسيس[٢٣]

لقد أشرنا في سياق عرضنا لهذا الموضوع إلى أن هذه الأسماء الثلاثة قد تدل على مدينة واحدة بعينها.

وفي الوقع إن النقوش التي لدينا قد لا تذكر لنا ذلك صراحة، ولكن عندنا من الحوادث والأدلة التي تقصها هذه الآثار، ما يعتمد عليه في إدحاض المعارضة التي أدلى بها الأستاذ «فيل» في أمر توحيد هذه البلاد (J. E. A., Vol. XXI). هذا فضلًا عن أن الأستاذ «مونتيه» قد أدلى بشرح طويل في كتابه عن «حفائر تانيس»، مبيِّنًا الأسبابَ التي جعلته يوحِّد «تانيس» مع «أواريس»، وكذلك يوحِّدها مع «بررعمسيس».

[٢٣] راجع: Montet, "Les Nouvelles Fouilles de Tanis", p. 15–28; ibid 29–32 & 164. ff. غير أن البحوث الحديثة تميل إلى توحيد بررعمسيس ببلدة قنتير، وهو الرأي الذي دافع عنه الأستاذ حمزة بك في مقالاته، وعاضَدَه فيه بعضُ الأثريين (راجع: "Onomastica" Vol. II. p. 172 & 278) غير أن الأستاذ «جاردنر» لا يزال يرى الموضوع مُعلَّقًا.

وقد وصل كذلك الأستاذ «جاردنر» في بحثه موضوع «بررعمسيس» إلى نفس النتيجة التي تقول بتوحيد هذه المدن الثلاث، ويظهر لنا أن تفسيره وما أدلى به من حجج لا يمكن الاعتراض عليه كثيرًا، هذا إلى أن تفسيره للوحة «عيد أربعمائة السنة» الخاص بالإله «ست» يُعَدُّ تفسيرًا مُقنِعًا؛ إذ يقول: ولكن الاستنباطات المختلفة التي اقترحها الأستاذ «زيته» ينقصها الأساس الأصلي كما يظهر لي، اللهم إلا إذا كان الإله «ستخ» المرسوم في المنظر الذي في أعلى اللوحة هو نفس «ستخ» صاحب «أواريس»، وأن «تانيس» التي وجد فيها «مريت» اللوحةَ هي المدينة التي تشمل كلًّا من «ستخ رعمسيس» و«ستخ أواريس» بوصفه إلهها المحلي؛ وبعبارة أخرى كانت «أواريس» و«بررعمسيس» و«زعنت» (تانيس) هي أسماء ثلاثة جاءت متتالية لبلد واحد بعينه. ثم يقول في مكان آخَر في نفس المقال (p. 126): وإني أظن الآن أنه حتى نفس التغيرات التي حدثت في الاسم يمكن أن تفسر تفسيرًا مقبولًا، فمن الجائز أن «أواريس» كان الاسم الذي عُرِفت به مدينة «تانيس» في عهد الدولتين القديمة والوسطى، وليس لدينا من الأدلة ما يوحي بأنها أُسِّست في عهد «الهكسوس».

على أن هذا ليس بالمثال الوحيد الذي نجد فيه أن مدينة مصرية قد غيَّرت اسمها في عهود التاريخ؛ إذ نرى مثلًا أن «إنب حز» قد أصبحت تُدعَى منذ الأسرة الثامنة عشرة «من نفر» (منف)، ومن المحتمل أن السبب الذي دعا إلى تغيير اسمها هو أن المدينة القديمة التي كان يُطلَق عليها «حوت وعرت»، والتي أقامها الهكسوس لتكون حصنًا منيعًا، قد هدمها «الطيبيون» عند إعادة فتحهم للبلاد وطرد الهكسوس.

ولما أَسَّسَ «رعمسيس» الثاني عاصمة ملكه في هذا المكان سمَّاها باسمه «بيت رعمسيس»، غير أن الاسم القديم لم يُنْسَ كما يدلُّ على ذلك اسم الإله «ست» صاحب «أواريس»، الذي نجده على التماثيل القديمة التي اغتصبها «مرنبتاح» لنفسه، دون أن يفطن لتغيير كل ما عليها من النقوش االقديمة التي تدلُّ على أصلها،[٢٤] وقد كان أول اختفاء لاسم المدينة واسم الإله عند حدوث الانقلاب الحكومي في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، فأصبحت تُسمَّى المدينة من وقتئذٍ «تانيس»، وهذا ليس باسم جديد؛ إذ الواقع أن اسم «زعنت» (تانيس) لم يجرِ على ألسنة القوم مدة حكم الهكسوس، وكما نجد اسم

[٢٤] راجع: Weill, “The Problem of the Site of Avaris”, J. E. A. Vol. XXI. (1935) p. 14. ff.

«را-أخت»[٢٥] يظهر في قائمة هذا الإقليم، ويليه بالتوالي: «سخت زعنت»، «غيط تانيس»، و«حوت وعرت»، بوصفها أسماء لبلدة واحدة، نجد كذلك أسماء «لطيبة» مثل «الأقصر» و«الكرنك»، وقد تخلَّى القوم عن تسمية البلدة باسم «أواريس» تفاديًا من استذكار اسم هذا الإله البغيض لهم، وكذلك قضوا على معابده جملةً، غير أننا لا نعلم للآن إلى أي مدًى كان انتقال قلب المدينة بالنسبة لـ «تانيس» الأصلية.

وقد بحث الأستاذ «فيل» مسألة موقع «أواريس» (J. E. A. Vol. 215. p. 10) قاصدًا تفنيد القول بتوحيد «تانيس» و«أواريس»؛ إذ يقول في خلاصة مقاله: «ويمكن استنباط ما يأتي … إن «تانيس» و«أواريس» كانتا محتلَّتَيْن، وأن الإله «ستخ» قد استوطن كلتيهما مع قوم يُدْعَون «الهكسوس»، وليس من الضروري أن يكونوا ملوكًا من أسرة «أبو فيس» الذين تدل رواية «مانيتون» على أنهم نفس الهكسوس الغزاة، بل في الواقع هم أولئك الغزاة أنفسهم عندما أقاموا مستعمراتهم الأولى في «الدلتا» قبل عهد «أبو فيس»، بحسب ما أصبنا من النجاح في تصوير الصورة التاريخية التي شرحناها هنا. وبعبارة أخرى فإن استيطانَ الإله «ست» «تانيس» (وقد فهم الأستاذ «زيته» من هذه العبارة تأسيس «تانيس») وإقامةَ الهكسوس في «أواريس» (ويُلاحَظ هنا أن «مانيتون» لم يذهب في روايته إلى حد تأسيس «أواريس»)؛ كانَا حادثين تاريخيين لهما أهمية أعظم بكثير، وهما وصول الآسيويين الجدد واستعمارهم للبلاد.»

والواقع أن الأستاذ «فيل» قد بنى استنباطاته على أسس خاطئة، وهذا فيما يخص أولًا فهمه لفن عصر الهكسوس، والعهد الذي غزوا فيه البلاد وعلاقته بالأسرة الثالثة عشرة، وهذا الموضوع قد بحث في غير هذا المكان (Ed. Meyer “Gesch”. I. §. 303).

أما أهم خطأ وقع فيه فهو قوله إن «ستخ» إله أجنبي قد أحضره الغزاة معهم من «آسيا»، مع أنه هو نفس الإله «ست» المصري كما شرحنا ذلك من قبلُ، وبخاصة في النقوش الخاصة بالموظف «بحر نفر»، التي قدَّمَتْ لنا برهانًا آخَر قاطعًا بأن «ست» المصري كان يُعبَد منذ الأزمان القديمة في الشمال الشرقي للدلتا بعد أن اتخذها موطنًا له، وبذلك هدم أقوى عماد يرتكز عليه مقال الأستاذ «فيل». والواقع أن «ست» كان الإله المحلي منذ زمن بعيد في «أواريس»، وقد اتخذه الهكسوس بمثابة إلهٍ حامٍ لملكهم،

[٢٥] راجع: Mariette, “Monuments”, Pl. 31. (Texte) p. 58.

وقد رفعوه إلى مرتبة «ملك الآلهة». والواقع أن لوحة أربعمائة السنة لم تذكر لنا دخوله «تانيس»، بل ذكرت لنا النقوش حقًّا اسمَ المدينة التي استوطنها الإله الجديد، ولم يبقَ علينا هنا إلا الاعتراف بصحة ما استنبطه الأستاذ «جاردنر»، وأن اعتلاء «ست» المصري (نبتي) عرشَ الملك لا يمكن إلا أن يكون في عاصمة الملك التي وضعها تحت حمايته، وهذه كانت «أواريس»، وفي ربوعها فقط يمكن للإنسان أن يعقد الاحتفالَ بعيده، ونصب لوحة تذكارية له.

وفي الختام يجب أن نبحث على وجه التحقيق في أي زمن اتخذ «ست» صاحب «أمبوس» (كوم أمبو) بلدة «سثرت» موطنًا له، وهذه الهجرة يمكن أن تكون قد حدثت في أي زمن، ولكن يجب أن يعتبر الإنسان أمرين هامين: أولًا يجب أن يكون انتقال معبود من مملكة لمملكة أخرى عن طريق الفتح، وذلك أن يستولي إله الفاتحين على أرض القوم المغلوبين، وهذا ما حدث على سبيل المثال في عبادة «آمون» في السودان وفي المستعمرات الآسيوية؛ إذ قد نقلها الفاتحون إلى هذه البقاع. ثانيًا: لم يكن من المعقول أن الإله «ست» يؤسس بلدة جديدة تقام فيها عبادته في الوجه البحري في وقتٍ كانت سمعته سيئة فيه منذ القِدَم، غير أننا نعلم أنه كان يقطن منذ بداية الدولة القديمة «سثرت»، فيجوز في أمر هجرته إلى الشمال أنها حدثت عندما أخضع «ست» مملكة الإله «أوزير عنزتي» أمير مقاطعات شرق الدلتا، أو عندما قهر «مينا» الوجه البحري وجعله تحت سيادة الجنوب، وقد سلم الأستاذ «زيته» في كتابه في عصر ما قبل التاريخ (Sethe, “Urgeschichte und Alteste Religion der Agypter”, § 47. ff.) أن «ست» قد هاجَرَ منذ زمن يبعد بكثير عن «حور» معبود «دمنهور» نحو «إدفو»، فقد هاجر أولًا في العصر التاريخي إلى الشمال الشرقي من الوجه البحري، غير أنه لم يقدِّم لنا أي برهان على هذا الزعم، ولكن على حسب ما جاء عن العيد الذي كان يقام هنا للإله «ست» قبل الأسرة الرابعة، يمكننا أن نبحث على ضوء الاحتمالين اللذين قدَّمناهما للفصل في هذا الموضوع، ونرجح أن هذا الانتقال قد حدث في أواخر عصر ما قبل التاريخ؛ وذلك لأن حكام الوجه القبلي الذين كانوا قد أخذوا منذ الأسرة الأولى يخضعون الوجه البحري تدريجًا، كانوا يعبدون كذلك الإله «ست» بوصفه الإله الحامي للمملكة، غير أن «حور» كان مع ذلك الإله الرئيسي؛ ففي الحروب التي انعكست صورتها أمامنا في قصة «أوزير»، كان «ست» إله الحرب في الوجه القبلي هو المنتصر؛ وقد اغتصب شرقي الدلتا من «عنزتي» سيد المقاطعات الشرقية، على أنه يمكننا من هذا أن نقرن استعمار جنوبي الوجه القبلي خلال سيادة «هليوبوليس» باستعمار

الجزء الشرقي من الوجه البحري بملوك أمبوس (كوم أمبو)، وقد كان هذا الاستعمار بلا شك قليلَ الأهمية جدًّا؛ لأن المعلومات عنه كانت لا ترتكز إلا على ذكر مقاطعة «سترويت» التي ذكرها مؤرِّخو اليونان.

(٩) تحديد تاريخ غزو الهكسوس لمصر

والآن نعود بعد أن أجلينا الموقف أمام القارئ عن الإله «ست» وعلاقته بالهكسوس وبالمصريين، وبمدينة «أواريس» من كل النواحي إلى تحديد الزمن الذي أُقِيم فيه الاحتفال بعيد أربعمائة السنة تخليدًا لطرد الهكسوس من مصر؛ فالأستاذ «زيته» يظن أن ذلك العيد قد حدث في عهد حكم الملك «حور محب» حوالي عام ١٣٣٠ق.م على وجه التقريب، مستنبطًا ذلك ممَّا جاء في لوحة أربعمائة السنة (A. Z. LXV. p. 85–89) أي حوالي عام ١٧٣٠ق.م؛ على أن هذا التاريخ وإن كان مقبولًا شكلًا، فإنه تعوره بعض عيوب يمكن التغلُّب عليها؛ وعلى حسبه تكون مدة حكم الأسرة الثالثة عشرة منحصرة في الفترة التي بين نهاية الأسرة الثانية عشرة، أي سنة ١٧٨٨ق.م ونهاية هذا القرن، وتكون النتيجة الفعلية لهذا التفسير أن نَعُدَّ الهكسوس قومًا كانوا ذوي قوة سياسية في مصر لمدة قرن ونصف قرن من الزمان، غير أننا لا نعرف الطريقةَ التي صار بها أولئك الأجانب قوة مسيطرة على البلاد، خلافًا لما نعلمه من أنهم اتخذوا من ضعف البلاد الداخلي قوة لأنفسهم؛ وعلى ذلك فليس لدينا ما نستعين به على فهم هذه الحالة إلا الاستنباط، وهو أمضى سلاح لدينا، فنجد من المعقول في هذه المناسبة أن يصدق الإنسان الحالة التي كانت ترزح تحت عبئها البلاد، كما وصفها «ابور» الكاهن والمفكر المصري في العهد الإقطاعي الأول، وأنها كانت تنطبق على حالة البلاد في الواقع لو كان الإنسان يعيش فيها حوالي عام ١٧٠٠ق.م (راجع الجزء الأول من كتاب الأدب المصري القديم ص٢٩٤–٣١٧). وهذه الوثيقة كما فصلنا القول فيها تعطينا صورةً عن العصر الإقطاعي الأول؛ ولكنها في مجموعها كما يظهر تصوِّر لنا حالةً لا بد من وجودها ليتسنى للآسيويين اغتصاب السلطة في أي وقت؛ ولذلك نجد «ابور» يتحدث إلينا عن الفوضى التي عمَّتِ البلاد، ودخول الآسيويين أرض الدلتا، فيقول: «تأمل أنها (الدلتا) في أيدي مَن لا يعرفها مثل أولئك الذين يعرفونها، وأن الآسيويين مهرة في مهن أرض المستنقعات.» ويُلاحَظ حتى في البلاد الخارجة عن حدود الدلتا أن الأجانب قد ضربوا بأعراقهم فيها، ولا بد أن بداية سيطرة الهكسوس السياسية قد اتخذت سبيلًا مماثلة لتلك التي وصفناها، ولا غرابة في ذلك؛ فقد مرَّ بوادي النيل في

عدة مناسبات الدورة التي كانت تمثِّل فيها القوة فالانحلال فالاغتصاب، ثم تنتهي في آخِر المطاف باسترجاع قوتها ونهوضها ثانية.

(١٠) الهكسوس وآثارهم الباقية

الواقع أننا لا نعرف إلا الشيء اليسير عن بداية عهد تسلُّط الهكسوس على مصر، فنعلم أن الأسرة الخامسة عشرة قد نشأت ثم تلاشت وحلت محلها الأسرة السادسة عشرة على حسب ما رواه «مانيتون»؛ لأن الوثائق التاريخية القيمة التي تساعد على فهم هذا العهد من تاريخ البلاد معدومة بالمرة، وكل ما لدينا هو أسماء عدة ملوك لا يمكن ترتيبها ترتيبًا تاريخيًّا متسلسلًا؛ ولذلك سنكتفي هنا بسردها وما ذكر عنها.

قسَّمَ «مانيتون» ملوك مصر في عهد الهكسوس إلى ثلاث أسرات، فذكر أولًا ستة ملوك، يتألف منهم عهد الأسرة الخامسة عشرة هم: (١) سالاتيس (٢) بنون (٣) وأباخناس (٤) وأبو فيس (٥) يناس (٦) وآسث.

بعد ذلك جاء في مختصر «أفريكانوس» Africanus أسرة ثانية وهي الأسرة السادسة عشرة، وعدد ملوكها اثنان وثلاثون ملكًا، ثم جاءت الأسرة السابعة عشرة، وقد حكم فيها ثلاثة وأربعون ملكًا من الهكسوس ومثلهم من الطيبيين جنبًا لجنب، وانتهت بطرد الهكسوس على يد الفرعون «أحمس» الأول مؤسِّس الأسرة الثامنة عشرة، ولدينا في الوثائق المصرية، والنقوش الأثرية ثلاثة ملوك من الهكسوس يحملون اسمًا واحدًا مشتركًا وهو «أبو فيس»، ولكن ألقابهم مختلفة وهم:

(١) ملك الوجهين القبلي والبحري «ابن الشمس عاو سررع» = أبو فيس.
(٢) الإله الطيب رب الأرضين «ابن الشمس نب خبش رع» = أبو فيس.
(٣) الإله الطيب «غاقنن رع ابن الشمس» = أبو فيس.

وكذلك لدينا مجموعة من ملوك الهكسوس يحمل كلٌّ منهم لقبَ «حقا خاسوت» (أي: الهكسوس)، هؤلاء هم:

(١) حاكم البلاد الأجنبية «سمقن» (راجع: G. Fraser, “A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser” (London, 1900), p. 24, No. 80).

(٢) حاكم البلاد الأجنبية «عانت هر» (من تل بسطة) (راجع: Ibid, p. 24 No. 180).
وهذان الملكان لم يُعرف لهما آثار غير الجعارين التي وُجِدت باسميهما.
(٣) حاكم البلاد الأجنبية «خيان».

وكذلك عُثِر على مجموعة أخرى من الملوك يحمل كلٌّ منهم لقب «الإله الطيب»، ولم نعرف لهم آثارًا عدا الجعارين، وهم:

(١) الإله الطيب «عاحتب رع» (راجع: H. R. Hall, "Catalogue of the Egyptian Scarabs in the British Museum" Vol. I. No. 283).
(٢) الإله الطيب «مروسر رع» (Newberry, "Scarabs", Pl. XXII. No. 27–30).
(٣) الإله الطيب «وازد» (راجع: Ibid Pl. XXII. No. 7–9).
(٤) الإله الطيب «خع وسر رع» (راجع: Ibid Pl. XXI. No. 25–29).
(٥) الإله الطيب «سخع ن رع» (راجع: Ibid Pl. XXI. No. 19–22).
(٦) الإله الطيب «ماع أب رع» (راجع: Ibid Pl. XXI. No. 1–8).
(٧) الإله الطيب «نب تاوي رع» (راجع: Hall, "Scarabs", No. 286).
(٨) الإله الطيب «خع مو رع» (راجع: Newberry, "Scarabs", Pl. XXI. No. 30).

وتوجد كذلك مجموعة رابعة من الملوك يحمل كلٌّ منهم لقبَ «ابن الشمس»، وقد عُرِفت أسماؤهم كلها على وجه التقريب من الجعارين فقط وهم:

(١) ابن الشمس «ششي» (راجع: Hall, "Scarabs" No. 269).
(٢) ابن الشمس «سكت» (راجع: Ibid No. 282).
(٣) ابن الشمس «يعقوب هر» (راجع: Newberry, "Scarabs", Pl. 23 No. 13 & Petrie, "History", I, p. 250 No. 146; Newberry, Pl. 23 No. 1-2; Hall "Scarabs", No. 284-285; Fraser, "Coll", No. 181).
(٤) ابن الشمس «إع» (راجع: Fraser, "Coll", No. 182).
(٥) ابن الشمس «عامو» (راجع: Newberry, "Scarabs" Pl. XXII. No. 14–18).
(٦) ابن الشمس «قار» (راجع: Newberry, "Scarabs", Pl. XXI. No. 23-24).

ولدينا من آثار عصر متأخر أسماء ثلاثة ملوك من الهكسوس؛ إذ في عام ١٩٣٢ ضم إلى مجموعة متحف «برلين» قطعة كبيرة من جدار برقم ٢٣٦٧٣، وهي من مقبرة كاهن

من «منف» يرجع تاريخها إلى عام ٧٠٠ق.م، وقد دوَّنَ عليها هذا الكاهنُ شجرةَ سلسلة نسبه، وكذلك دوَّنَ عليها أسماءَ الملوك الذين عاش أجداده في عهد حكمهم، ومن بين هؤلاء ثلاثة من ملوك الهكسوس،[٢٦] وهؤلاء الملوك الثلاثة هم:

(١) عاقن[٢٧] (٢) و«شارك» (٣) و«ابب».

وقد وضعهم «بورخارت» بين عهد ملكٍ يُدعَى «أبي» في عصر الاضطرابات في المدة التي تقع بين سقوط الأسرة الثانية عشرة، وعهد الملك «نب بحتي رع» (أحمس الأول) مؤسِّس الأسرة الثامنة عشرة، وقال عنهم إنهم من ملوك الهكسوس، وآخِر واحد منهم وهو «ابب» (أبو فيس) قد ذكره «مانيتون» بالاسم، على أن ذكر ملوك الهكسوس في هذه القائمة مما يلفت النظر بوجه خاص؛ وذلك لأنهم لم يُذكَروا في قوائم الملوك الرسمية، ممَّا يدل على أنهم قد أُغفِل تدوينهم قصدًا، ومن بين الملوك الستة الذين نقلهم لنا «مانيتون» يمكن أن نعرف أسماء أربعة منهم على الآثار، وهم: (١) «بون Beon» أو «بنون» كما جاء في «أفريكانوس»، ونجد هذا الاسم في «ورقة تورين» مكتوبًا بلفظ «بينم». (٢) وأباخنام Apakhnam (وقد كُتِب بلفظة «باختم» في أفريكانوس)، وينبغي أن يكون هو الملك «عاقنن رع أبو فيس» الذي نجده مدوَّنًا على الآثار، وأخيرًا «يوناس» و«أبو فيس» وهما اللذان وحدَا بسهولة مع «خيان» و«ابب». ومن المحتمل أن الملك «آسث Aseth» هو ملك الهكسوس المسمَّى «عاسهر رع».

ومما يُؤسَف له جد الأسف أننا لم نجد على الآثار أيَّ دليل يرشدنا إلى ترتيب هؤلاء الملوك كما ذكرنا من قبلُ، وقد حاول «بتري» أن يرتب هؤلاء الملوك ترتيبًا تاريخيًّا بوساطة اختلاف صناعة الجعارين المنقوش عليها أسماء هؤلاء الملوك، غير أن ذلك لم يُجْدِ نفعًا،[٢٨]

---

[٢٦] وأحسن مصدر لأسماء هؤلاء الملوك هو مقال الدكتور «باهو»، وقد اعتمدنا عليه. راجع: Borchardt, “Ein Stamm baum Memphitischer Priester”, Berlin 1932, Sitzungs berichte der Preussischer Akademie de Wissenschaften Phil–Hist. Klasse, (1932), XXIV S. 5 der Sonderausgable.

[٢٧] ومعنى «عاقن» الحمار الشجاع، ممَّا يدل على أن الحمار كان مقدَّسًا عند الهكسوس؛ ولا غرابة في ذلك، فإنه يشبه معبودهم الإله «ست».

[٢٨] راجع: Petrie, “Historical Studies” (London 1911). p. 13 ff.

ومن المعلوم أن جعارين عهد الهكسوس تختلف عن جعارين كل العهود المصرية كما أشار إلى ذلك الأستاذ «نيوبري».[29]

على أنه لم يَبْقَ لنا من آثار الهكسوس إلا النزر اليسير، وما تبقى منها يتضاءل عندما نعلم أن عددًا عظيمًا من الآثار التي تركوها قد انتحلوها لأنفسهم باغتصابها من الآثار القديمة التي تركها أسلافهم من ملوك مصر، ولا أدل على ذلك من تماثيل «أبو الهول» التي وجدناه منسوبةً إليهم، وهي في الأصل للملك «أمنمحات الثالث». والآن نُلقِي نظرةً خاطفةً على الآثار القليلة التي تركها لنا ملوك الهكسوس خلافًا للجعارين.

آثار الملك عاوسر رع (أبو فيس)

وُجِد لهذا الفرعون بعض الآثار غير الجعارين، منها لوحة كاتب مصنوعة من الخشب وُجِدت في الفيوم، وهي محفوظة الآن بمتحف «برلين» برقم ٧٧٩٨،[30] وهذه اللوحة كانت هدية من هذا الفرعون لموظَّف يُدعَى «إثو»، وقد جاء عليها أنها من ملك الوجهين القبلي والبحري «عاوسر رع» ابن الشمس «أبو فيس» معطي الحياة مخلدًا مثل «رع» كل يوم، وابن الملك من جسمه، والابن المحبوب من «رع»؛ و«إثو» هذا كان كاتبًا ملكيًّا، ويُلاحَظ أن الكتابة التي على هذه اللوحة مهشمة بعض الشيء، ويمكن أن نقرأ عليها مديحًا للفرعون بوصفه ملك مصر كما يأتي: ««صورة رع» الحية على الأرض، والشجاع في يوم القتال، ومَن اسمه أعظم من أي ملك آخَر، ومَن شهرته قد وصلت حتى الأراضي الأجنبية.»

وكذلك عُثِر في «الجبلين» على قطعة أخرى من الحجر محفوظة بمتحف القاهرة (راجع: Daressy, “Rec. Trav.” XIV, p. 26 (No. XXX)) كُتِب عليها: يعيش الملك الطيب «عاوسر رع». وقد جاء ذكر هذا الفرعون في «ورقة رند» الرياضية المحفوظة الآن بالمتحف البريطاني، وقد ذكر فيها عام ٣٣ من حكم هذا الملك، وهو التاريخ الوحيد الذي حُفِظ لنا عن حكم ملك من ملوك الهكسوس،[31] وقد دُوِّن هذا التاريخ كما يأتي:

---

[29] راجع: Hall, “Scarabs”, p. 33; Pieper, “Skarabaen”, in Pauly Knoll, Real Encyclopâdie der Klassischen Altertum Wissenschaft, 5 Halbband, p. 44.

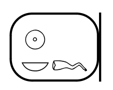
[30] راجع: Schafer, “Agyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin”, Vol. I. p. 264.

[31] راجع: E. Peet, “The Rhind Mathematical Pap.” (Liverpool 1923).

السنة الثالثة والثلاثون، الشهر الرابع من فصل الزرع … ملك الوجهين القبلي والبحري «عاوسر رع» معطي الحياة.

وفي مقبرة الملك «أمنحتب» الأول وُجِدت قطعة من آنية من الجرانيت باسم الملك «أبو فيس» وأخته «هرتي»، كُتِب عليها: ابن الشمس أبو فيس الملك الطيب «عاوسر رع» والابنة الملكية «هرتي».[٣٢] أما عن الجعارين التي عُثِر عليها حتى الآن لهذا الفرعون فقد كتب عنها الأستاذ «فيل».[٣٣]

آثار الملك نب خبش رع (أبو فيس)




من أهم الآثار التي وُجِدت لهذا الفرعون خنجر من الشبه في «سقارة»، في تابوت شخص يُدعَى «عابد» (Daressy, "Un Poignard du Temps du Rois Pasteurs," A. S. VII, Pp. 115–120, Pl. VII)، وقبضته تشمل قطعة من الشبه مستديرة السطح، وعلى وجهها منظر صيد يُشاهَد فيه صياد يرمي أسدًا، كما يُشاهَد غزال يقفز فوق الأسد (؟). (انظر الصورة ١).

وتحت منظر الصيد هذا نُقِش لقب صاحب هذا الخنجر الفاخر واسمه: «تابع سيده «نحمن»»، وهذا الاسم لم يَرِد إلا في هذا النص، وعلى الجانب الآخر نجد النقوش التالية: «الإله الطيب رب الأرضين، ثم الاسم «نب خبش رع بن الشمس» «أبو فيس» معطي الحياة»، وهذا الخنجر كما يقول الأستاذ «باهور لبيب» أقدم خنجر زُيِّن بالنقوش التاريخية المصرية، ولصناعته أهمية عظيمة جدًّا؛ إذ يذكِّرنا بخنجر الملك «أحمس»، وكذلك يعتقد أن هذين الخنجرين بينهما ارتباط من جهة الصناعة وإنْ اختلفَا بعض الشيء من حيث الزينة التي على كلٍّ منهما، فخنجر «أبو فيس» قد رُسِم على مقبضه منظر صيد، أما

[٣٢] راجع: Gardiner, "The Egyptian Origin of the Semetic Alphabet", J. E. A. 1916, Pl. I.

[٣٣] راجع: Weil, "La Fin du Moyen Empire", Pp. 794–5.

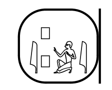
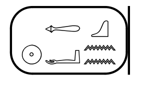


شكل ١: مقبض خنجر (من عهد الهكسوس).

خنجر «أحمس الأول» فقد جاء الرسم على نصله، وليس ثمة شك في أن الرسم الذي على نصله قد تأثَّرَ من حيث الفن والشكل، بالفن الذي على قبضة خنجر الهكسوس؛ ويمكننا أن نحكم الآن بأن هذا الخنجر إنما هو تقليد من كل الوجوه للخنجر الذي كان يُصنَع في «كريت» و«مسينا» (راجع: Fimmen, "Kret. Myken. Kultur", 1921, p. 204).

وفي «المتحف البريطاني» «ملعقة» من الظران نُقِش عليها العبارة التالية: الإله الطيب رب الأرضين «نبخبش رع» ابن الشمس ومحبوبه «أبو فيس» (راجع: British Mus. No. 44988 & Weill, "La Fin du Moyen Emp". p. 176, No. 3).

الملك عاقنن رع (أبو فيس)

(١) يوجد الآن في «متحف برلين» قطعة كبيرة من إناء باسم هذا الفرعون،[٣٤] عُثِر عليها في «ميت رهينه»، وقد نُقِش عليها ما يأتي: الإله الطيب «عاقنن رع» ابن الشمس «أبو فيس» معطي الحياة والسعادة.

(٢) وفي «متحف القاهرة» توجد له مائدة قربان من حجر الجرانيت الأسود، ولا بد أنه قد عثر عليها في ضواحي القاهرة، وقد نُقِش عليها النص التالي:

> حور مهدئ الأرضين الإله الطيب «عاقنن رع» قد أقام هذا الأثر بمثابة ذكرى لوالده «ستخ» رب «أواريس»، الذي جعل كل الأراضي تحت قدمَيْه.

أما الكتابة التي على الجهة اليمنى فتحدِّثنا فضلًا عن ذلك عن إهداء عمد الأعلام.[٣٥]

(٣) وفي «تانيس» عُثِر على تمثال للملك «مرمشع» أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة، وقد كُتِب عليه فيما بعدُ النقشُ التالي: ««الإله الطيب» «عاقنن رع» ابن الشمس «أبو فيس» معطي الحياة»،[٣٦] مما يدل على أن الأخير قد اغتصب هذا التمثال.

ولدينا بعض آثار تُنسَب للملوك الثلاثة الذين قد تسمَّوا باسم «أبو فيس»، غير أنه لا يمكننا أن نميِّز أي «أبو فيس» كان المقصود؛ لأن اللقب الذي يدل على شخصيته لم يُذكَر.

فلدينا أولًا قطعة من قاعدة آنية موجودة الآن «بمتحف برلين»،[٣٧] وقد كُتِب على الجزء الأمامي منها: «إنها مهداة للإله «منتو» سيد «طيبة» من «سنوسرت» الأول محبوبه.» أما

[٣٤] راجع: Berliner Mus. 20366.

[٣٥] راجع: Ahmed Kamal, "Cat. des Antiquities Egypt. du muse du Caire "Tables d'Offrandes", Le Caire 1909 Vol. I. p. 61.

[٣٦] راجع: Petrie, "Tanis" Pl. III. 17c.

[٣٧] راجع: Berlin No. 22487; Labib, "Die Herrschaft der Hyksos in Agypten und ihr Sturz", p. 30, Pl. 6.

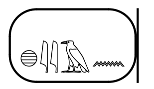
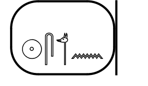
على الخلف فقد نُقِش ما يأتي: «… «أبو فيس» معطي الحياة»، وقد ذكر كذلك اسم الأخت الملكية «ثاني» Thany وحامل الخاتم … وهذا دليل على أنه اغتصب من «سنوسرت» الأول.

(٤) وكُشِف في «تل بسطة» عن قطعة من الحجر خاصة بنقوش مبانٍ لملكٍ يحمل اسم «أبو فيس»، وهي الآن «بالمتحف المصري»،[٣٨] وقد نُقِش عليها: «إن ابن الشمس «أبو فيس» معطي الحياة قد (صنع) عددًا عظيمًا من عمد الأعلام ومصاريع الأبواب من النحاس لهذا الإله.»

(٥) صاجات وُجِدت في «دندرة» باسم ملكٍ يُدعَى «أبو فيس» (راجع: A. Z. XXXIX, p. 86).

(٦) وفي «كاهون» وُجِد خاتم من خشبٍ لملكٍ يُدعَى «أبو فيس».[٣٩]

الملك سوسرن رع خيان

كان الملك «خيان» الذي جاء ذكره في قائمة «مانيتون» وعلى الآثار من أعظم ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر، وقد ذُكِر اسمه في قائمة «مانيتون» على ما يظهر باسم «يناس» Jannas وآثاره منتشرة في جهات مختلفة، وقد عُثِر له على جعارين عدة وأختام باسمه، ومنها نعلم أنه كان يحمل الألقاب التالية: (١) حاكم البلاد الأجنبية «خيان».[٤٠]

[٣٨] راجع: Naville, “Bubastis”, Pl. 35c.

[٣٩] راجع: Petrie, “Illahun, Kahun and Gurob” Pl. XII, p. 16.

[٤٠] راجع: Fraser, “Coll”, No. 178; Newberry, “Scarabs” Pl. XXII, 20–22 & Pl. VII. 7; Petrie, “History”, I. p. 252.

(٢) الإله الطيب «خيان» أو الإله الطيب «سوسرن رع».[٤١] (٣) حاكم المجندين «خيان».[٤٢] (٤) ابن الشمس «سوسرن رع»[٤٣] أو ابن الشمس «خيان»؛ وكذلك أصبح يحمل اللقب الحوري «حور» ضام الأرضين، الإله الطيب أو ابن الشمس «خيان» محبوب قرينه (كا)، وقد كان المنتظر أن يقول محبوب إلهه بدلًا من لفظة «قرين (كا)»؛ وهذا اللقب وُجِد منقوشًا على تمثال قديم من الدول الوسطى محفوظ الآن بالمتحف المصري، وفي «متحف ليدن» يوجد له خاتم من الذهب لا يُعرَف في أي مكان عُثِر عليه.

على أن أهم ظاهرة في حكم الملك «خيان»[٤٤] هي وجود آثار له خارج القطر المصري في جهات نائية بعيدة جدًّا، لدرجة أن بعض المؤرخين ظنَّ أن مملكته قد مدَّت أطرافها إلى تلك البقاع، فقد وُجِد له آثار في «سوريا» و«فلسطين» من جهة، وفي «بغداد» و«كريت» من جهة أخرى، أما عن وجود جعارين باسم هذا الملك في «سوريا» و«فلسطين» فلا غرابة فيه؛ لأننا سنرى أن هذين القطرين كانَا ضمن البلاد التي يسيطر عليها الهكسوس أيام عظمة مجدهم.[٤٥]

وأما عن وجود آثاره في «بغداد» و«كريت»، فيرجع إلى سبب آخَر. والواقع أنه قد عُثِر على تمثال أسد صغير ارتفاعه نحو ٢٥٫٤ سنتيمترًا، وطوله نحو ٤٨٫٢ سنتيمترًا، نُقِش عليه اسم «خيان»: الإله الطيب «سوسرن» رع. وهذه العبارة قد نُقِشت على صدر هذا الأسد.[٤٦]

وهذا التمثال قد اشتُرِي في «بغداد» من تجار الآثار؛ أما في «كريت» فقد كشف الأثري «إيفان» في أثناء أعمال الحفر التي قام بها في هذه الجزيرة في أساس قصر «كنوسوس» الثاني، عن غطاء آنية من المرمر باسم «خيان»؛ وقد نُقِش عليه النص التالي: «الإله الطيب

---

[٤١] راجع: Fraser, “Coll”, No. 176; Newberry, “Scarabs” XXII, 23.

[٤٢] راجع: Seal Cylinders, Petrie, “History”. I. p. 252.

[٤٣] راجع: Fraser, “Coll”. No. 176; Newberry, “Scarabs” XXII, 22.

[٤٤] راجع: Naville, “Bubastis”, Pl. XII; Borchardt, “Statuen und Statuetten von Konigen und Privatleuten”, p. 62.

[٤٥] راجع: Palestine Exploration Fund Quarterly Statement, 1904. Pl. VI. p. 224. No. 16. Gezer–S. Macalister, “The Excavation of Gezer” (London 1912) I. p. 253; III p. 204. Fig. 20.

[٤٦] راجع: Catalogue of British Museum No. 987; Budge, “Guide”, p. 97, No. 340.



شكل ٢: أسد عُثِر عليه في بغداد من عهد الهكسوس.

سوسرن رع بن الشمس «خيان».» وهذه القطعة محفوظة الآن بمتحف «كندية» عاصمة جزيرة «كريت».[٤٧] والسؤال الهام هنا هو: كيف تسرَّبَتْ هاتان القطعتان الأثريتان إلى «بغداد» و«كريت»؟ أما من جهة الأسد الذي وُجِد في «بغداد»، فإن الجواب على وجوده في هذه البقعة بسيط؛ إذ من الجائز أنه قد وصل إلى «بغداد» عن طريق التجارة وحسب، وبذلك لا يدل قطُّ على اتساع رقعة ملك الهكسوس حتى بلاد النهرين كما يدَّعِي ذلك الأستاذ «إدورد مير» (Gesch I. §§ 306–307)؛ إذ بهذا الادِّعاء يكون الهكسوس قد مدُّوا سلطانهم حتى «بابل» و«كريت». والواقع أن وجود مثل هذه القطع المفردة في مثل هذه الجهات النائية لا يمكن أن يكون إلا عن طريق التجارة أو الهدايا، وبخاصة في «كريت» التي كانت مصر على اتصال تجاري بها وبغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط. وإذا كان سلطان الهكسوس قد امتدَّ فعلًا إلى «بابل» و«كريت»، لكان من المعقول — بل ومن الضروري — أن نجد فيها قطعًا كثيرة من الآثار تثبت هذه السيطرة وتؤكدها، ولكان من المنتظر كذلك أن يجد الإنسان تأثيرًا فنيًّا بابليًّا أو كريتيًّا في هذه القطع، ولكن الواقع أنها مصرية بحتة في صورها وصناعتها.

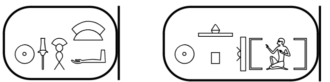
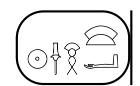
[٤٧] راجع: A. Evans; “The Palace of Minos at Knossos”, (1921) I, p. 419. Fig. 304. b.

وهذا هو كل ما نعلمه عن ملوك الهكسوس في عهد الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة، أما عن ملوك مصر فإنا لا نعلم عنهم شيئًا في ذلك العهد، إلى أن ظهر على الآثار ملوك مصريون، وهم الذين عدَّهم «مانيتون» فراعنة الأسرة السابعة عشرة، وقد اتخذوا مدينة «طيبة» عاصمة لملكهم، وهي التي كان يحكم فيها ملوك الأسرة الثالثة عشرة، وعلى يد ملوك هذه الأسرة بدأ النضال لطرد الغزاة من البلاد. وقبل أن نشرح الحروب التي انتهت بهزيمة الهكسوس وإقصائهم عن البلاد جملةً، سنتكلم ببعض الاختصار عن فراعنة هذه الفترة وما جرى في عهدهم من أحداث؛ وبخاصة لأن هذه الفترة من تاريخ البلاد غامضة. والواقع أن تاريخ أواخر الأسرة السابعة عشرة قد بقي مبهمًا حتى جمع الأستاذ «ونلك» شتات المعلومات الخاصة بتاريخ ملوكها،[٤٨] مما سهَّلَ علينا تفهم سير الحوادث التي أدت إلى نزع النير عن عاتق البلاد على يد أبنائها من الفراعنة الأمجاد (انظر مصور طيبة الغربية ١).

[٤٨] راجع: J. E. A., X. (1924) p. 217–277.

فراعنة الأسرة السابعة عشرة

سخم رع واح خع-رع حتب

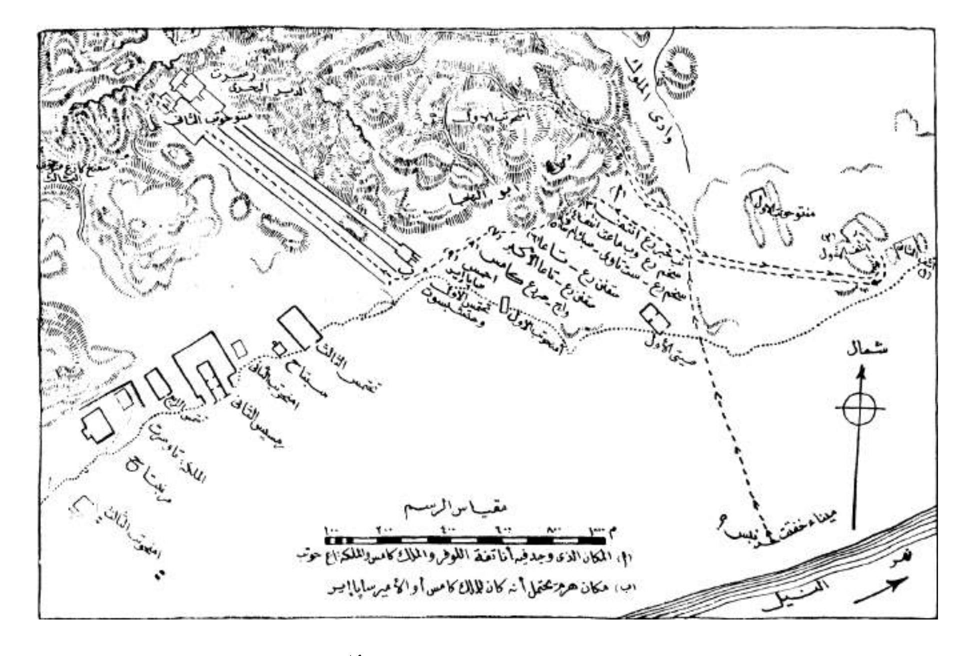
يعتقد الأستاذ «ونلك» أن مقبرة هذا الفرعون موجودة في جبانة «طيبة» الغربية، غير أنه لم يعثر عليها حتى الآن، وقد عزز رأيه هذا بالقصة الخرافية التي كانت شائعة في «طيبة» في عهد الأسرة العشرين، وهي القصة التي تحدثنا عن المخاطرات الخارقة للمألوف التي قام بها الكاهن الأعظم، للإله «آمون» في أثناء بحثه عن موقع قبر. وقد وقعت حوادث هذه القصة في عهد الفرعون «رع حتب» (راجع كتاب الأدب المصري القديم ص١١٨) (J. E. A. Vol. 10. p. 265–7) وقد عثر له على عدة جعارين.[١]

وكذلك وُجِدت له لوحة بالمتحف البريطاني عليها طغراؤه.[٢]

---

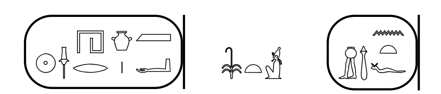
[١] راجع: Gauthier., “L. R”. II. p. 89.

[٢] راجع: B. M. Stelae, IV. Pl. XXIV.

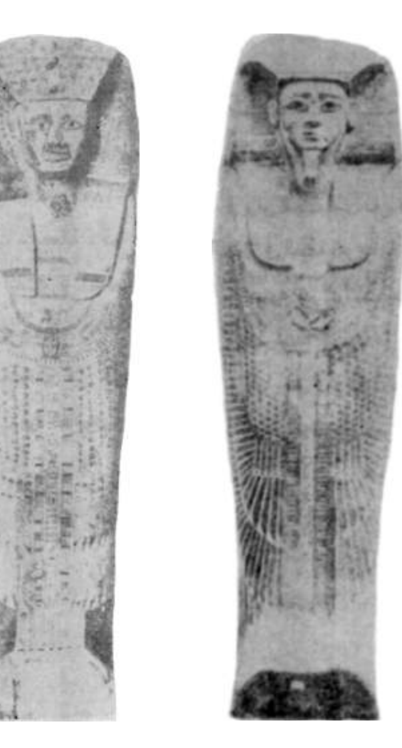


شكل ١: خريطة طيبة الغربية (خريطة لتوضيح المقابر التي فُتِّشت في عهد رعمسيس التاسع).

الملك سخم رع هروحر ماعت-أنتف



عُثِر على تابوت هذا الفرعون في جبانة «طيبة»، وقد كان أحد تابوتين اشتراهما «مريت» عام ١٨٥٤، غير أنه لم يُوفَّق للمكان الذي دُفِن فيه، ويحتمل أنه وُجِد بالقرب من جبانة «ذراع أبو النجا» في الضفة الغربية للأقصر، وتدل صناعة التابوت الخشنة على أنه قد اشتُرِي من متعهد يبيع التوابيت بخاصة، وتدل خشونة صناعته، وعدم وجود آثار أخرى قطُّ لهذا الفرعون على أنه مات بعد توليته العرش مباشرةً؛ أي قبل أن يجهز لنفسه أثاثًا جنازيًّا، أو يكون له وارث يقوم له بذلك، وتابوت هذا الفرعون محفوظ الآن بمتحف «اللوفر»، وهو من الخشب (انظر الشكل ١).

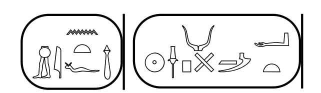


الملك سخم رع هروحر ماعت-أنتف.

الملك واز خبر رع-كامس.

شكل ١

الملك سخم رع وب ماعت-أنتف عا



إن أهم المعلومات التي وصلت إلينا عن هذا الفرعون جاءت عن طريق «ورقة أبوت» الخاصة بإجراء فحص مقابر الملوك في عهد الأسرة التاسعة عشرة، أيام حكم الفرعون «رعمسيس التاسع»، وقد جاء فيها عن هرم هذا الفرعون العبارة التالية: «هرم الملك سخم رع وب ماعت» له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس أنتف «عا» (الأكبر) له الحياة والسعادة والصحة: لقد وجد أن اللصوص كانوا في طريقهم إلى نقبه، عند المكان الذي كانت مقامة فيه لوحة الهرم، وقد فُحِص في هذا اليوم ووُجِد أنه لم يُمَسَّ بسوء؛ إذ لم يكن في مقدرة اللصوص أن يقتحموه.[1]

والنقطة الهامة في هذا النص هي ذكر موضع اللوحة، وهو المكان الذي كان يرجح أن يكون النفق تحته عادة، أو الممر الذي يؤدِّي إلى حجرة الدفن، وقد عثر على قمة هرمه المصنوعة من الحجر الجيري الأبيض، والظاهر أنها وُجِدت بالقرب من مقبرة هذا الملك، وقد نُقِش عليها «حور وب ماعت» ملك الوجهين القبلي والبحري «سخم رع وب ماعت» ابن الشمس «أنتف الأكبر أنجبه ... ووضعته الأم الملكية والزوجة الملكية العظيمة التي ارتدت التاج الأبيض الجميل ...» وهذا النقش من الأهمية بمكان من الوجهة التاريخية؛ إذ يؤكِّد لنا أن «أنتف» الأكبر هذا كان وارثًا شرعيًّا للملك؛ لأنه وُلِد من أبوين ملكيين،

---

[1] راجع: Abbot pap. Pl. II. line 16; Breasted, A. R. IV § 516.

ويُحتمَل جدًّا أن تابوته الذي كُتِب عليه «أنتف» الأكبر هو الموجود الآن «بمتحف اللوفر». والمعروف أن هذا التابوت قد وُجِد مع الملك «سخم رع هر وحر ماعت أنتف» السالف الذكر، في خبيئة تقع في أقصى جبانة «ذراع أبو النجا»،[٢] ويمتاز هذا التابوت من الوجهة التاريخية بأنه كان قد صُنِع بمثابة هدية من أخيه الملك «أنتف» محبوب «أوزير» إلى الأبد، والظاهر أن «أنتف» الذي أهدى أخاه «أنتف عا» التابوتَ وأشرَفَ على معدات جنازه هو الفرعون «نب خبر رع» الذي يوجد تابوته الآن بالمتحف البريطاني. وخلاصة القول أن «سخم رع وب ماعت أنتف الأكبر» (الذي يوجد تابوته وأواني أحشائه في متحف اللوفر)، قد قام بدفنه «نب خبر رع أنتف» الذي يوجد تابوته في «المتحف البريطاني»، وأن «أنتف» الأكبر كان ابن ملك، ومن سلالة ملك وملكة، غير أنه مات صغيرًا دون أن يترك وارثًا على العرش، وأما قبره فليس لدينا إلا إشارة واحدة مبهمة عن مكانه، وهي أن قبر الأخوين كانا متقاربين (راجع: J. E. A. Vol. X, p. 236–7).

[٢] راجع: Chabas, “Rev d’Arch.” (1859), p. 269.



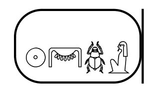
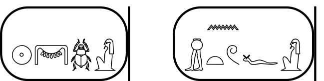
الملك سخم رع وب ماعت-أنتف عا.



الملك نب خبر رع-أنتف.

شكل ١

الملك نب خبر رع-أنتف

يظهر من تقرير «ورقة أبوت» أن قبر هذا الفرعون كان بوجه عام في واجهة «جبانة ذراع أبو النجا» في الطريق الشمالي من الجبانة، هذا إذا سلمنا بأن تقرير المفتشين كان قد عمل على حسب ترتيب وضع القبور، وقد أثبتت الكشوف التي قام بها «مريت» في هذه الجهة أن هذا القبر كان فعلًا في «ذراع أبو النجا».[١]

أما في «ورقة أبوت» فقد جاء تقرير المفتشين عن قبره ما يأتي: «هرم الملك «نب خبر رع» له الحياة والسعادة والصحة، ابن الشمس «أنتف»، لقد وجد أن اللصوص كانوا جادين فعلًا في نقبه، فقد حفروا نفقًا طوله ذراعان ونصف ذراع في جداره الخارجي، وذراع في الحجرة الخارجية لقبر رئيس حملة قربان بيت «آمون» «شوري» المتوفى، ولم يُصَبْ قبر الملك بسوء؛ وذلك لأن اللصوص لم يتمكنوا من اقتحامه.»[٢] والواقع أن كل ما نستفيده من الوصف الذي جاء في هذا التقرير أن القبر كان له جدار خارجي نقب فيه اللصوص نفقًا طوله حوالي متر وثلاثة سنتيمترات، دون أن يصلوا إلى حجرة الدفن، وقد وجد أمام هذا القبر عدة قطع من مسلتين كانتا قائمتين أمامه، طول الأولى ثلاثة أمتار

---

[١] راجع: Maspero, “Bibliotheque Egyptologique”. 18. Pl. CXIII, and Abbot Pap. Pl. II, lines 11, 12 ff.

[٢] راجع: Breasted, A. R, IV. § 515.

ونصف متر، وطول الأخرى ثلاثة أمتار وسبعون سنتيمترًا، وقد نقش عليهما في أربعة أسطر عمودية ألقاب الفرعون «نب خبرو رع» ابن الشمس «أنتف» لمحبوب الإله «أوزير» «وسبد» Sopd رب الجبال الشرقية، «أنوبيس» رب الأرض المقدسة (تاجسرت).

والظاهر أن قبر هذا الملك كان قد وجد سليمًا عام ١٨٢٧ كما كان في عهد «رعمسيس التاسع»، وقد نهبه رجال قرية «القرنة» المدربين على سرقة المقابر، وقد كان هذا القبر يحتوي على حجرة واحدة وُجِد في وسطها تابوت محفور في أصل الصخر، وفي قلبه تابوت من الخشب مذهب ومحلى بأشكال يغلب فيها رسم الريش، وقد كُتِب عليه «ملك الوجه القبلي والوجه البحري» «أنتف» انظر الشكل ١، وتدل الآثار التي تركها هذا الفرعون على أنه كان ذا جد ونشاط، وأن الدم المصري الخالص كان يجري في عروقه، على الرغم مما أصاب البلاد من التمزق والكوارث التي سببها الفتح الأجنبي، وأكبر برهان على ذلك المرسومُ الذي نقشه على مدخل بابٍ جميلٍ بناه «سنوسرت» الأول في معبد «قفط» (راجع: Petrie, “Koptos”, Pl. VIII.) ويلوح من مضمون هذا المرسوم أن شريفًا يُدعَى «توتي» بن «منحوتب» قد اشترك في مؤامرة مع أعداء الملك، وأن هذا المرسوم الذي دوَّنه هذا الفرعون هو إعلان بنفي هذا الشريف عقابًا له على فعلته؛ ويحتمل أن الأعداء المشار إليهم في المرسوم هم «الهكسوس» حكام الدلتا، وربما كانوا قبائل الصحراء الذين كانوا ينتمون إليهم، وهاك نص المرسوم كما جاء على هذا الأثر:

> السنة الثانية، الشهر الثالث، اليوم الخامس والعشرون من حكم الملك «نب خبر رع» ابن الشمس «أنتف»، الذي منح الحياة مثل إله الشمس مخلدًا؛ أمر ملكي لحامل الخاتم أمير «قفط» المسمى «منمحات»، ولابن الملك وحاكم «قفط» «قانن»، ولحامل الخاتم كاهن الإله «مين»، ولكاتب المعبد «نفر حتب ور»، ولكل جنود «قفط»، ولكل موظفي المعبد: «تأملوا إن هذا المرسوم قد صدر إليكم ليجعلكم على علم بأن جلالتي قد أرسل كاتب الخزانة المقدسة للإله «آمون»، وكذلك المسمى «سامون»، وكبير رجال المحكمة؛ ليقوموا بتحقيق في معبد «آمون» وقد جاء من أجل ذلك موظفو معبد والدي «آمون» إلى جلالتي بتقريرهم قائلين: إن مكروهًا يوشك أن يقع في هذا المعبد، وذلك أن «توتي» بن «منحوتب» لعن اسمه قد تستر على العدو، فَلْيُطرَد من معبد والدي «مين»، وَلْيُحرَم وظيفته في المعبد (هو وذريته) من ولد لولد ووارث لوارث، وَلْيصبح طريدًا من الأرض، وَلْيُحرَم نصيبه من الخبز واللحم (الذي كان دخل وظيفته)،

> وَلْيُجعَل اسمه منسيًّا في هذا المعبد، وذلك على حسب ما يستحقه فرد مثله قد ثار وولى وجهه نحو أعداء إلهه، وَلْتُمْحَ ذكريات اسمه في معبد «مين» وفي «الخزانة» وفي كل وثيقة أيضًا.
>
> وأي ملك أو أي حاكم سيصفح عنه دعوت عليه أن يُحرَم التاج الأبيض، ولا يلبس التاج الأحمر، وألا يجلس على عرش «حور» الملك الحي، وألا يفوز بعطف ربتي العقاب والصل.
>
> وأي حاكم أو موظف ينصح للفرعون بالعفو عنه أمسى أهله ومتاعه وأملاكه ملكًا لوقف والدي «مين» رب «قفط»، وكذلك يجب ألا يعين في وظيفته أي فرد من أسرته، أو أقارب والده أو والدته، بل يُعطَى حامل الخاتم والمشرف على الأملاك الفرعونية «منمحات» وظيفته على أن يُعطَى ما يخصها من خبز ولحم، وأن يثبت ذلك كتابة في معبد والدي «مين» رب «قفط»، وكذلك يكون ذلك (لنسله) من ولد لولد ووارث لوارث».

على أن ما يلفت النظر في هذا المرسوم أن هذا الفرعون على ما يظهر كان يحذر ملوك المستقبل بأنهم لن يصلوا إلى عرش الملك إذا أظهروا الرحمة مع الجاني، وذلك يوحي بأنه في هذا الوقت كان في مقدور الفرد أن يكون فرعونًا، وأن البلاد كانت في الواقع محكومة بملوك صغار، كل مستقل في مملكته، ولا شك في أن عدد هؤلاء الملوك كان أقل في هذا العهد عنه في العهد الإقطاعي الأول، يضاف إلى ذلك أن مرسوم الملك يشعر تمامًا بأنه كان في استطاعته أن يتدخل في أمور رعاياه، وإن كان يستعمل هذا الحق لكل قوة غير أن هذه القوة على ما يظهر كانت منحصرة في طرد المجرم وحرمانه أملاكه، وفي ذلك نرى منتهى الرقة والإنسانية التي كان يتحلى بها المصري، إذا وازناها بالوحشية وحب سفك الدماء والغلظة التي كانت شائعة بين الأقوام القديمة الأخرى المعاصرة.

وقد أقام هذا الفرعون مبانٍ كانت قد تهدَّمَتْ في معبد «قفط»، وقد عُثِر على عدة ألواح من الحجر مغطاة بالرسوم والكتابة في معبد «قفط» خاصة بعهد هذا الفرعون، نرى عليها أن هذا الفرعون يقدِّم القربان للإله «مين» والإله «حور»[٣] وإلهه، وكذلك نلاحظ أنه قد أقام مباني عظيمة في «العرابة».[٤] وقد كشف «بتري» غير عمد وأحجار منقوشة

[٣] راجع: Petrie, “Koptos”, Pl. VII.

[٤] راجع: Petrie, “Abydos”, I; Pls. VI, VII; II XXXII.

من هذا المعبد، عن لوحتين بين خرائبه، يشاهد على إحداهما الفرعون وابنه نخت الذي كان يُلقب قائد الرماة، واقفًا أمام صورة مهشمة للإله «أوزير»، وعلى الثانية يشاهد الملك «أنتف» وحامل خاتمه «أعح نفر» أمام الإله.

الملكة سبكساف

أما زوج هذا الفرعون المسماة «سبكساف» فتدل الكشوف على أن مسقط رأسها «إدفو»، وهي من أصل ملكي؛ إذ كانت تُلقَّب الزوجة الملكية العظيمة التي ترتدي التاج الأبيض «سبكساف»، وقد دُفِنت في «إدفو» مع أتباعها، وأصلحت الملكة «أعح حتب» قبرها، وقد عُثِر عليه ثانية، ونُهِب في الأزمان الحديثة.[٥]

وعُثِر لهذه الملكة على قلادة في «إدفو» وقد كُتِب مع اسمها اسم الفرعون زوجها،[٦] وكذلك وُجِدت وسادة لرئيس خزائنها، وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني. ومن الآثار الصغيرة التي وُجِدت لهذا الفرعون رأس فهد من الخزف الأزرق،[٧] وعُثِر له على تمثال صغير يظهر فيه الفرعون منتصرًا على الآسيويين والسود، وربما دلَّ ذلك على أنه كان في حربٍ مع الهكسوس في الدلتا، كما يشعر بذلك مرسوم «قفط» السابق.[٨] هذا، وتوجد عدة جعارين له، جُمِع حتى الآن منها نحو ثلاثة عشر، كلها من طراز واحد،[٩] هذا فضلًا عن خاتم أسطواني الشكل كُتِب عليه اسم هذا الفرعون ومعه آخَر يُدعَى «واح نب رع»، وربما كان الأخير أحد صغار ملوك هذا العصر(؟).

---

٥ راجع: Lacau, “Steles du Nouvel Empire”, 34009 & Urk, IV. p. 29.

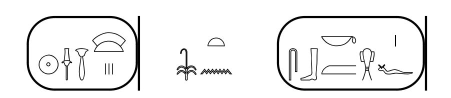
٦ راجع: p. S. B. A., (1902), p. 285, & Brit. Mus. No. 23068.

٧ راجع: Petrie, “History”, I, p. 273.

٨ راجع: ibid p. 273.

٩ راجع: ibid p. 273.

الملك سخم واز خع-سبك امساف



تدل شواهد الأحوال على أن قبر هذا الفرعون يوجد بالقرب من قبر الملك «نب خبر رع أنتف» السالف الذكر (راجع: J. E. A. Vol. 10, p. 269) في «ذراع أبو النجا»، وهذا الملك قد وُجِد له عدة آثار أهمها:

(١) تمثال واقف من الجرانيت الأحمر في حجم ثلاثة أرباع القامة الطبيعية، وُجِد في «العرابة المدفونة»، وقد نُقِش عليه اسم هذا الفرعون (راجع: Mariette, "Abydos", II, p. 26).

(٢) تمثال صغير بدون رأس من البازلت الأسود يحتمل أنه وُجِد في «طيبة»،[١] وكذلك عُثِر له في «تانيس» على مسلة صغيرة باسمه (راجع: A. S. Vol. VI. p. 284).

ومن الواضح أن هذا الفرعون قد أرسل حملةً إلى وادي الحمامات؛ لأن طغراءه وُجِدت منقوشة هناك على الصخور، وقد مثل يتعبد للإله «مين» رب الصحراء (راجع: L. D. II, Pl. 151)، وفي «شط الرجال» جنوبي «إدفو» نجد اسمه منقوشًا هناك (راجع: Petrire, "Season", p. 385"). والظاهر أن قبره قد كشف عنه أهالي «طيبة» في العهد الحديث، ويوجد من محتوياته تابوته وصندوق أواني الأحشاء في متحف «ليدن»،[٢] وفي «المتحف

---

[١] راجع: Petrie, "History", p. 235 fig. 136.

[٢] راجع: Boeser, Leyden, Pls. III, VIII.

البريطاني» يوجد له جعران القلب الذي يُوضَع عادةً على المومية.[٣] هذا، إلى جعران مُغشًّى بالذهب، موجود الآن بمجموعة «لتون بريس»،[٤] وبعض آثارٍ كُشِف عنها في «المدمود».[٥]

والظاهر أن هذا الفرعون كان يحكم مصر كلها؛ لأن اسمه «حور نب» (أي: حور المتغلب على ست)، وكان يحمل لقب «ضام الأرضين»، وقد يكون هذا اللقب تقليديًّا انتحله لنفسه ولا يدل على معناه الفعلي.

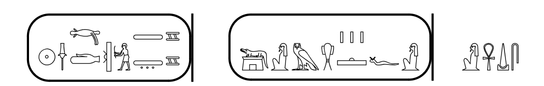
---

[٣] راجع: Hall, "Catalogue of Scarabs", 1211.

[٤] راجع: Petrie; "History", fig 135 & Sale Cat. 980.

[٥] راجع: Bisson de La Roque, "Medamoud", III (1926) p. 40–1 fig. 29 etc. & Weill, R. E. A. II (1929), p. 163 ff. & B. I. F. A. O. Pl. XXXII (1932) p. 20–1.

سخم رع شد تاوي-سبك أم ساف



إن أهم ما عُرِف به هذا الفرعون ما كُتِب عنه في «ورقة آبوت» ثم «ورقة امهارست»؛ إذ قد جاء فيهما قصة سرقة قبره وقبر الملكة زوجه، والتحقيق الذي أُجرِي في هذا الصدد، ففي «ورقة آبوت»[١] جاء ما يأتي:

> هرم الملك «سخم رع شد تاوي» له الحياة والسعادة والصحة، ابن الشمس «سبك أم ساف» له الحياة والسعادة والصحة؛ لقد وجد أن اللصوص قد اقتحموه، وذلك بنقب يؤدِّي للحجرة السفلية للهرم من الحجرة الخارجية لقبر «نب آمون» مدير مخازن الغلال للملك «منخبر رع» (تحتمس الثالث). وقد وُجِدت حجرة دفن الملك خاوية من سيدها، وكذلك حجرة الزوجة الملكية العظيمة «بنخعس»؛ إذ قد وضع اللصوص أيديهم عليهما، وقد قام الوزير والأشراف والمفتشون بفحصها، لمعرفة الطريقة التي بها استولى اللصوص على الملك وزوجه؛ وقد كان خبر هذه السرقة موضوع حديث طيبة في تلك الليلة،[٢]

---

[١] راجع: Abbot Pap., Breasted, A. R. IV, § 517.

[٢] راجع: Pap. Abbot, Breasted A. R. IV § 528.

غير أن اللصوص كانوا قد وُضِعوا في الأغلال، وحُقِّق معهم بعصي مزدوجة، وفي اليوم التالي سِيقوا إلى القبر ليُحقَّق معهم ثانية في محل وقوع الجريمة، وقد دُوِّن الاعتراف الذي انتُزِع منهم في أثناء هذا التحقيق الأخير بعنوان «فحص هرم الملك سخم رع شد تاوي»، وحُفِظ في سجل الجبانة مع فحص الأهرام بين الوثائق الخاصة باللصوص، وهي التي كانت في الآنية الأخرى.

وتوجد قائمة هذا الإناء المفعم بالوثائق في مجموعة «أمبراس»، وكذلك قد حُفِظ لنا جزء من الوثيقة التي دُوِّن فيها اعترافُ اللصوص في «ورقة امهرست».[٣]

وقد فُقِد جزء كبير جدًّا من هذه الوثيقة، وليس لدينا منها إلا صفحة باقية ضاع منها الأسطر الأربعة الأولى، وكانت تحتوي على وصف اقتحام اللصوص حجرة دفن الملك حيث وجدوه راقدًا؛ والجزء الباقي من الصفحة يقصُّ علينا كيف «اقتحموا حجرة الزوجة الملكية (لها الحياة والسعادة والصحة) من مكان جدارها الخارجي، وقد كانت مسقوفة محاطة بـ ... والمِلاط ومُغطَّاة بكتلٍ من الحجر، فنفذنا فيها جميعها، ووجدنا مخدعيهما أيضًا ففتحنا تابوتيهما، وصندوقيهما اللذين كانا فيهما، ووجد مومية الملك الفخم، وقد كان مُسلَّحًا بسيف (؟)، وكان هناك مجاميع عدة من التمائم والحلي من الذهب حول نحره، وكان تاجه وأكاليله المصنوعة من الذهب على رأسه، وكانت مومية الملك الفاخرة كلها مغشاة بالذهب، وكان تابوته الخشبي مموَّهًا بالذهب والفضة من الداخل والخارج، ومرصعًا بكل نوع من الحجر الثمين الفاخر، فانتزعنا الذهب الذي كان يكسو مومية هذا الإله وكذلك تعاويذه، والحلي التي كانت حول مَنْحَره، والتابوت الذي كان يضطجع فيه؛ كما وجدنا الزوجة الملكية، وانتزعنا كل ما كان يوجد معها أيضًا، وأشعلنا النار في تابوتَيْهما، وسرقنا الأثاث الذي وجدناه معهما، ويشتمل على أوانٍ من الذهب والفضة والشبه، وقسمنا الذهب الذي وجدناه مع هذين الإلهين — ما كان منه على موميتيهما وعلى تعاويذهما وعلى حليهما وعلى تابوتيهما — ثمانية أقسام.»

ومما سبق يمكن الإنسان أن يكوِّنَ فكرةً عن القبر وما فيه من أثاث، ونرى من النص المصري القديم أن اللصوص قد سِيقوا إلى التحقيق عن هرم هذا الإله (الملك) الذي كان فيه حجرتا الدفن، على أن حجرة قد قيل عنها في مكان آخر إنها «الحجرة السفلية

---

[٣] راجع: Newberry, “The Amherst Papyri”, p. 25, Pl. V; Breasted, A. R. IV § 538.

للهرم»، وهي التي حفر اللصوص نفقًا للوصول إليها من مقبرة قريبة كما سلف ذلك. على أننا نجد في اعترافات اللصوص على ما يظهر أنه كان يوجد حجرتان متصلتان للدفن؛ واحدة للملك والأخرى للملكة، والأخيرة قد اقتحمها اللصوص من الجدار الخارجي، وهذا ما نعرفه فقط في هرم الملك «نب خبر رع»، والظاهر البدهي أن حجرة الدفن هذه لم تكن مشيدة في البناء العلوي من المقابر، بل كانت كما هي العادة منحوتة في الصخر الذي يكون أسفل منها.

وقد وُجِد كل من الملك والملكة في تابوت خارجي من الحجر وآخَر داخلي من الخشب في شكل آدمي، وكان الأخير مُغطًّى بورقة من الذهب على ما يظهر مثل تابوت الملك «نب خبر رع» وقد أحرقه اللصوص، ووصف بأنه مُطعَّم بالأحجار نصف الكريمة، والواقع أن الوصف بالتمويه بالذهب وبالتطعيم ينطبق تمام الانطباق على توابيت الأسرة الثانية عشرة، وكذلك على توابيت بداية الأسرة الثامنة عشرة التي وصفناها في العصر الذي يقع بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة، فهل ذلك يُعزَى إلى أن الملك «سبك أم ساف» وزوجه «بنخعس» كانا أعظم فخامةً وأبهةً أكثر من غيرهما من ملوك تلك الفترة؟ أم أن ذلك قد جاء عن طريق المبالغة من الكاتب الذي دوَّنَ ذلك ليعطينا فكرةً عمَّا يجب أن يكون عليه تابوت الفرعون من الأبهة والعظمة؟

وقد كانت موميتاهما مُزيَّنتين بتعاويذ وعقود من الذهب، وكان على رأس الفرعون أكاليل كالتي وجدها اللصوص الحاليون على رأس الملك «أنتف»، وقد كان بجانبه في تابوته الخشبي سيفه، وسنرى فيما يأتي مثل ذلك الأثاث مع الملك «كامس» والملكة «أعح حتب»، وأخيرًا كان معهما أوانٍ من ذهب وفضة وشبه، وقد دلَّ اعتراف اللصوص على أن كل هذا الأثاث قد أُتلِفَ عن آخره، وليس هناك أي أمل في أنه قد تُرِك شيء حتى الآن ليجد سبيله إلى المتاحف الأوروبية.[٤] وقبر هذا الملك على ما يظهر موجود في «جبانة ذراع أبو النجا».[٥] (انظر الشكل ١).

وقد جاء ذكر الملكة «بنخعس» زوج هذا الفرعون على لوحة محفوظة الآن بمتحف «اللوفر»، حيث وُصِفت بأنها بنت رئيس القضاة «سبك ددو»، وتُسمَّى الوارثة العظيمة

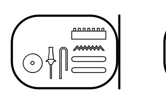
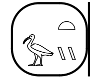
[٤] راجع: J. E. A. Vol. X, p. 237–40.

[٥] راجع: J. E. A. Vol. X, Pl. XIII.

والزوجة الملكية العظيمة وسيدة كل النساء، وقد نُقِش على هذه اللوحة سلسلةُ نَسَبِ هذه الملكة.[6]

[6] راجع: Pierret, “Recueil d’Inscriptions”, II. p. 5.

الملك سخم رع سمنتاوي-تحوتي

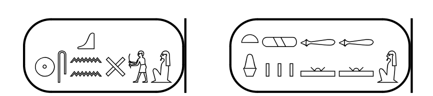
يظن الأستاذ «ونلك» بعد درس طويل أن قبر هذا الفرعون يوجد بجوار قبر زوجته الملكية «منتوحتب»، الذي يقع في الجنوب أو في الجزء الأوسط من «جبانة ذراع أبو النجا» في الشمال مباشَرةً من مقبرتَيِ الملكين اللذين يحملان اسم «تاعا» و«تاعا الأكبر»، وقد عُثِر على اسم هذا الفرعون ولقبه على قطعة حجر ضمن مبنًى من الحجر الرملي المحبَّب في «نقادة».[١]

وكذلك عُثِر على صندوق أوانٍ للأحشاء في «جبانة طيبة»، وجده «بسالكوا» Passalacqua بالقرب من موميته، وكتب عليه اسم «الملك تحوتي»، ولحظ أنه أُضِيف على غطاء هذا الصندوق سطر كُتِب بخط مختلف ومداد مختلف، غير الذي كُتِبت به النقوش الأخرى التي على الصندوق، وهذه الكتابة تخبرنا بأن الصندوق قد قُدِّم هديةً من الملك للزوجة الملكية العظيمة التي ارتدت التاج الأبيض الجميل «منتوحتب» صادقة القول، ومعنى ذلك أنها كانت قد توفيت قبل الفرعون. وقد جاء اسم هذا الفرعون في قائمة «الكرنك» (راجع: Sethe Urk. IV. p. 608). هذا، وقد ذُكِر اسمه مرات عدة في كتاب الموتى بالصورة التي كُتِب بها على صندوق الأحشاء السابق الذكر، وهو المحفوظ الآن «بمتحف برلين» (راجع: Erman, “Historische Nachlese”, A. Z. XXX. p. 46).

---

[١] راجع: Petrie, “Naqada & Ballas”, Pl. XLIIIa.

الملك سانخت أن رع-تاعا الأول وزوجه تيتي شري



بعد أن فحصت لجنة التحقيق التي قامت في عهد «رعمسيس» التاسع قبر الفرعون «سخم رع شد تاوي سبك أم ساف»، اتجهت نحو الجنوب إلى «هرم الملك «سقنن رع» (له الحياة والسعادة والصحة)، ابن الشمس «تاعا»، وقد فحصه اليوم المفتشون، ووجد أنه لم يمسه سوء ... وكذلك هرم الملك «سقنن رع» (له الحياة والسعادة والصحة)، ابن الشمس «تاعا» الأكبر (له الحياة والسعادة والصحة)، وبذلك يكونان ملكين، اسم كلٍّ منهما «تاعا» قد فُحِصَا في هذا اليوم، وقد وُجِد كلٌّ منهما سليمًا.»

ومما سبق نجد أن النص المصري صريح في أنه كان يوجد ملكان كلٌّ منهما يحمل لقب «سقنن رع»، وأحدهما يُسمَّى «تاعا» الأكبر، وقد حرص كاتب الوثيقة بعد ذكر اسمَيْ هذين الفرعونين على أن يقول: «فيكون المجموع ملكين باسم «تاعا».» وقد اختلف العلماء في تفسير ذلك، وبخاصة عندما علم أنه قد وُجِد على الآثار ملك يُدعَى «سقنن رع» يُذكَر باسم «تاعا» أحيانًا، وأحيانًا يُذكَر باسم «تاعا» الأكبر، وأخيرًا يُذكَر أحيانًا بلقب «قن» أي «الشجاع»، فهل يوجد ثلاثة ملوك موحَّدة أسماؤهم، أم أنه يوجد فقط ملكان كما جاء في «ورقة أبوت»؟ وقد اختلف العلماء عند الفصل في هذه المعضلة، إلى أن بحث الموضوع الأستاذ «ونلك» من كل وجوهه، واهتدى إلى القول بأنه يوجد فقط ملكان: أحدهما باسم «سنخت إن رع تاعا عا»، والآخَر يُدعَى «سقنن رع تاعا»، وفسَّرَ ما جاء

في توحيد اللقبين في «ورقة أبوت»، بأن كلمتي «نخت» و«قن» يُكتَبان بمخصص واحد في اللغة المصرية القديمة، ومن ثَمَّ يُحتمَل أن الكاتب القديم قد خلط في كتابة اللقبين؛ وعلى أية حال فإن الموضوع لا يزال معلَّقًا.[١]

وعلى حسب نظرية «ونلك» يكون «سنخت إن رع» هو «تاعا» الأول، وقد لُقِّب بالأكبر، وهو والد «سقنن رع تاعا» الثاني، جد «أحمس» الأول مؤسِّس الأسرة الثامنة عشرة؛ وعلى ذلك يكون «سنخت إن رع تاعا» الأكبر زوجَ الملكة «تيتي شري» التي كانت جدة «أحمس».

الملكة «تيتي شري»

وتحدِّثنا الآثار عن ملكةٍ تُدعَى «تيتي شري» جاء ذكرها خمس مرات في وثائق باكورة الأسرة الثامنة عشرة؛ (١) فنشاهدها أولًا تشترك مع «أحمس» الأول في إهداء معبد (Breasted, A. R. II. § 33–7).

(٢) ونجد أنها قد أُعطِيت ضيعةً في قائمة ضيعات بالوجه البحري،[٢] وذلك بعد انتهاء حرب الهكسوس. هذا، وقد وُجِد اسمها مكتوبًا على لفائف موميتها، كما وُجِد في قبرها تمثالان، وكذلك وُجِدت لها لوحة تذكارية منصوبة في «العرابة المدفونة»، وسنتكلم عن ذلك فيما بعدُ.

والوقع أن «تيتي شري» كانت أول سلسلة نسل الملكات والوارثات والأرامل الملكية اللائي كنَّ أصحاب السيطرة في عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى نهايتها، وتنتسب «تيتي شري» إلى أسرةٍ من عامة الشعب، فقد كانت تُلقَّب «بالأم الملكية» «تيتي شري» التي وضعتها ربة البيت، وأنجبها الشريف «ثننا» Thenna.[٣]

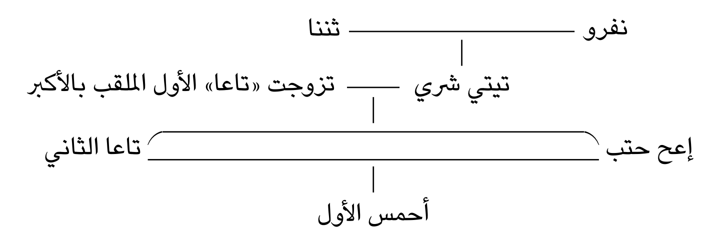
ويُحتمَل أن هذا هو السبب الذي من أجله لم نجد اسمها في قائمة «أرباب الغرب» الذين كانوا يعبدون في الأجيال المتأخرة بوصفهم أجداد النسل الملكي. وعلى أية حال فإنها كانت ملكة مشتركة في الحكم في عهدها، وسلسلة النسب التالية تُفسِّر الرأيَ الذي قلناه، وهو أنها كانت زوجَ الملك «تاعا» الأكبر الأول.

[١] راجع: Winlock, J. E. A. Vol. X, Pp. 243. ff.

[٢] راجع: Erman. “Miscellen”. A. Z, Vol. XXXVIII (1900) p. 150.

[٣] راجع: Daressy. A. S. (1908) p. 137.

الملك سانخت أن رع-تاعا الأول وزوجه تيتي شري



ومن ذلك نعلم أن «تيتي شري» تزوَّجت من «تاعا» الملقب بالأكبر، ورُزِقَا ابنةً تُسمَّى «أعح حتب»، وابنًا اسمه «تاعا» وهو الذي أصبح ملكًا بعد والده، وقد تزوَّج من أخته «أعح حتب»، وقد رُزِقَا بدورهما «أحمس» الأول مؤسِّس الأسرة الثامنة عشرة، وقد عاشت «تيتي شري» حتى ماتت في عهد «أحمس» الأول، ويُحتمَل أنه دفَنَها بالقرب من قبره.



شكل ١: الملكة «تيتي شري».

ويمكننا أن نقرِّر بصفة مؤكدة أنها دُفِنت في «طيبة»، ولا أدل على ذلك من الحديث الذي دار بين الملك «أحمس الأول» وزوجه الملكة «نفرتيري»، عندما كانا يتناقشان فيما كان لأجدادهما الذين رحلوا من فضلٍ عليهم، وقد وُجِد ذلك مدوَّنًا على اللوحة التذكارية التي نصباها في «العرابة»، وقد وجَّهت الملكة سؤالًا للملك جعلته يبيح بما يكنُّه صدره؛ إذ أجابها قائلًا: «حقًّا لقد مرَّ بخاطرَيْ أم والدتي، والدة أبي الزوجة الملكية العظيمة، والأم الملكية «تيتي شري» المرحومة، حقًّا إن حجرة دفنها وقبرها الوهمي موجودان الآن في مقاطعتي «طيبة» و«طينة» على التوالي، وقد قلت لك ذلك لأن جلالتي يرغب في أن يقيم لها هرمًا ومعبدًا في الأرض المقدسة «العرابة المدفونة» بالقرب من آثار جلالتي.» والواقع أنه قد عُثِر على معبد هرم العرابة، ولا نزاعَ في أن هذه اللوحة كانت قد أُقِيمت فيه.[٤]

أما القبر الذي دُفِنت فيه في طيبة فلم يُكشَف عنه حتى الآن، غير أنه عُثِر على بعض محتوياته؛ فقد وُجِد له تمثالان.[٥]

وهذان التمثالان موحَّدان من كل الوجوه من حيث الحجم والكتابة والجلسة، وعلى جانب عرش كلٍّ منهما نقش دعاء لطلب القربان باسم «أوزير» رب «العرابة»، و«آمون» رب «الكرنك» لروح الأم الملكية «تيتي شري»، كما ذكر أن خادمها الصالح المشرف «سنسنب» Senseneb هو الذي يخلد اسمها.

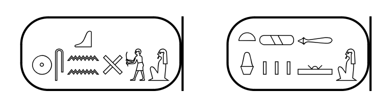
وكذلك عُثِر على لفائف نسيج من كفنها بين قطع الأكفان المبعثرة التي وُجِدت في الخبيئة الملكية التي كشف عنها في إحدى مقابر الدير البحري، ولا بد أن جسمها كان موجودًا بين الجثث التي كانت في هذه الخبيئة، ويُحتمَل أن الباحثين قد تعرَّفوا على موميتها بمقارنة ملامحها بملامح أسرة الفرعون «أحمس».

---

[٤] راجع: Ayrton, Currelly, Weigall, “Abydos”, III, p. 35.

[٥] راجع: Statue in B. M. 22558; Budge, “A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII. B. C. 30”, Fig. 64, also Cairo fragment, Gauthier in Bull. Inst. de Françe. (1926) p. 128.

الملك سقنن رع «تاعا» الثاني



كان الفرعون «سقنن رع تاعا» الثاني من أعظم ملوك مصر وأمجدهم في تاريخ البلاد؛ إذ تدل كل الأحوال على أنه في عهده قد بدأ النضال الفعلي لطرد الهكسوس من مصر، وتخليص البلاد من النير الأجنبي الذي ظلَّ يُثقِل عاتقها حقبة طويلة من الزمن.

وقبل أن نفصِّل القول في ذلك سنتكلم عن الآثار الباقية لهذا الفرعون وأسرته.

لقد ذكرنا فيما سبق أن «ورقة أبوت» تحتوي على العبارة التالية عن قبر هذا الفرعون عند فحصه:

> قبر الملك «سقنن رع» (له الحياة والسعادة والصحة)، ابن الشمس «تاعا» (له الحياة والسعادة والصحة)، قد فحَصَه هذا اليوم المفتشون، ووُجِد أنه سليم.

وتدل الآثار الباقية على أن قبر هذا الفرعون كان يرعاه كاهن جنازي يُدعَى «مس» في باكورة الأسرة الثامنة، كما كان يرعى قبر الملك «كامس» أيضًا،[1] وقد عثر «مريت» على خاتم من الحجر الجيري الخشن الصنع في «ذراع أبو النجا»، كُتِب عليه «سقنن رع»؛

---

[1] راجع: Petrie, “A Season in Egypt” p. 25, Pl. XXI; Lacau “Steles du Nouvel Empire”, 24030, Pp. 64–5, Pl. XXII; Gauthier L. R. II. p. 158.

ومثل هذا الخاتم ممَّا يستعمله الكهنة الجنازيون في ختم الأواني الخاصة بهم. ونلحظ في عهد الأسرة التالية أن اسم «سقنن رع» كان ضمن الأسماء البارزة في قوائم «أرباب الغرب»، ومن المحتمل أن حراسة قبره كانت موكولة لكهنة «مكان الصدق» (الجبانة) في ذلك الوقت.



غطاء تابوت (الملك سقنن رع-تاعا الثاني).



غطاء تابوت (الملكة أعح حتب).

شكل ١

(١) وصف تابوت الملك سقنن رع

وقد كانت مومية الملك «سقنن رع» هذا وتابوته الخشن ضمن الكشف المشهور الذي حدث عام ١٨٨٠ في الخبيئة القريبة من معبد الدير البحري،[٢] ومن المحتمل أن اللصوص كان قد أخطأهم نهب هذا القبر، كما قرَّرَتْ ذلك لجنة التحقيق، غير أنه في وقتٍ ما قد سطَا عليه الكهنة القائمون على حراسته. وتابوت هذا الفرعون الخشبي الذي وُجِد جسمه فيه محلًّى برسم ريش عليه كما كان المتَّبَع في حلية توابيت هذا العصر؛ ولذلك أُطلِقَ على التوابيت التي من هذا الطراز «الريشية» (انظر الشكل ١)، وكانت تغطِّيه طبقةٌ سميكة من الذهب مما جعل السبيكة التي على ظاهره مغريةً للحراس، والواقع أنهم انتزعوها، غير أنهم قد اتخذوا حذرهم ألا يلمسوا الجزء الذي يغطي الصل الملكي، ورءوس الصقور التي على القلائد، والعقاب الذي على الصدر، وكذلك اسم الإله «بتاح سكر»؛ وكل هذه رموز آلهة قد اعتقَدَ القومُ أنها تُرسِل الموتَ إلى كل مَن انتهك حرمتها، ولما كان اللصوص المحترفون لم يَعُقْهم على ما يظهر مثل هذه الشكوك والخرافات في مقبرة الفرعون «سبك أم ساف» السالف الذكر، فلا نكون مخطئين إذا نسبنا مثل هذه السرقات الفنية للكهنة أنفسهم؛ ومع ذلك فيظهر أن وخز الضمير في ارتكاب مثل هذا العمل قد لعب دوره؛ إذ نجد الكهنة قد صبغوا بعض الأجزاء التي أزالوا من فوقها الذهب باللون الأصفر إخفاءً لجريمتهم، وبخاصة الوجه ولباس الرأس، ثم كتبوا النقوش بالمداد الأحمر ثانية، ثم رسموا قلادةً على صدره وخطوطًا زرقاء حول العينين اللتين نُزِع منهما إطارهما الذهبي، أما باقي الغطاء فقد تُرِك مغطًّى بالجص الأبيض الذي انتُزِع منه الطبقة الذهبية، وقد بقي آثار النقوش الأصلية على أية حال، ويمكننا أن نقرأ منها: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري «سقنن رع» ابن الشمس «تاعا» الشجاع.» وهذا الاسم هو الذي أُطلِق عليه في قائمة أرباب الغرب في مقبرة «خع بخت» (Petrie, “History” II. p. 7).

[٢] راجع: Daressy, “Cercueils des Cachettes Royales” 51001 & Petrie, “History”, II, p. 8. Fig. 3; Maspero, “Guide du Visiteurs du Musee du Caire”, p. 415, No. 3893 etc.



شكل ٢: مومية الملك «سقنن رع-تاعا الثاني» (السهام في الصورة تشير إلى أماكن الجروح).

(٢) دفن هذا الفرعون بسرعة

ومن المعقول بطبيعة الحال أن الملك قد دُفِن دون أن يعمل له أي جهاز جنازي، ولكن لما كانت أكفانه قد فُكَّتْ عن آخِرها، ثم لُفَّتْ ثانيةً على عجل؛ فمن المحتمل أن السرقة لم تقتصر على غشاء الذهب الذي كان يحلي تابوته، بل قد امتدت كذلك أيدي الكهنة إلى مجوهراته وأسلحته. ومما هو جدير بالذكر هنا أنه لم يَبْقَ مع أي مومية ملكية أية قطعة من المتاع ممَّا لها قيمة حقيقية عندما أُودِعت في مخبئها بالدير البحري، وتدل مومية الفرعون «تاعا» الثاني (انظر الشكل ٢) الذي كان يُلقَّب بالشجاع، على أنه كان معتدل القامة بالنسبة للمصريين؛ إذ كان يبلغ طوله نحوًا من ١٧٠ سنتيمترًا، عظيم الرأس، وهو نموذج لرأس المصري الأصيل، ويمتاز ببنية عظيمة، فكان مفتول العضلات نشيط الجسم، أما شعره فكان أسود كثيفًا مجعدًا، هذا إلى أنه كان حليق اللحية، ولم يتجاوز الثلاثين ربيعًا من عمره عند وفاته إلا بقليل.

(٣) الملك سقنن رع يموت في ساحة القتال

أما المغامرة التي لاقى فيها الملك «سقنن رع» حتفه، فجعلته من أعظم الشخصيات المصرية بطولةً في التاريخ المصري، فتظهر من تصوير الأستاذ «إليوت سمث» قصة موته من الجروح التي في رأسه، فيقول: «إنه كان فريسة هجمة غادرة قام بها عدوان أو يزيد، فقد أُخِذ على غرة عندما كان نائمًا في فراشه، أو أنهم تسلَّلوا من خلفه وطعنوه بخنجر تحت أذنه اليسرى، فغاص الخنجر في عنقه، ولقد كانت الضربة مفاجئة فلم يَقْوَ على رفع يده ليدرأ عن نفسه ضرباتهم التي انهالت من «البلط» والسيوف والعصي على وجهه فهشمته وهو ملقًى طريحًا؛ وتدل شواهد الأحوال على أن تجهيز الجثة للدفن كان على عجل، وأن عملية التحنيط كانت بسرعةٍ فائقةٍ، فجاءت غايةً في الاختصار، ولم تعمل أية محاولة لوضع الجسم في وضعه المستقيم الطبعي؛ إذ قد تُرِك منكمشًا كما كان طريحًا وهو في حالة النزع، فكان الرأس مُلقًى إلى الخلف، ومنثنيًا نحو اليسار، ولسانه بارز من فمه يضغط عليه بأسنانه توجُّعًا وألمًا، ولم يمسح سائل مخه الذي كان يجري على جبينه بسبب الجروح التي أصابت رأسه، وكانت ساقاه منبسطتين بعض الشيء، ويداه وذراعاه منكمشتين كما كانتا عندما لفظ روحه، وقد أُزِيلت أحشاؤه من فتحةٍ عُمِلت في بطنه، وقد حُفِظ الجسم بوضع نشارة معطرة عليه وحسب، والواقع أن الجسم في حالته الراهنة يشبه مومية قبطية قد يبست وثقبها الدود.»

وقد ظنَّ «مسبرو» وتبعه في ظنه «إليوت سمث» أنه قد قُتِل بعيدًا عن «طيبة»، والمحتمل أنه مات في ساحة القتال، وأن تحنيطه في مكان القتال كان إجراءً مؤقتًا لعدم توفُّر المعدات للذين قاموا بهذه العملية في هذا المكان. أما «بتري» الذي وافَقَه الدكتور «فوكييه» في رأيه، فيزعم أن الجسم كان قد تعفَّنَ في أثناء نقله إلى «طيبة»، ولم يعتنِ به في ساحة القتال، ثم حُووِل تحنيطُه ثانيةً بعد وصوله إلى «طيبة». وترتكز نظرية قتله في ساحة القتال على ما توحي به محتويات قصة «ورقة ساليه»، التي نقرأ فيها أن «سقنن رع» كان مناهضًا لملك الهكسوس «أبو فيس»، وليس هناك ما يدعو إلى تجريح هذه النظرية.

(٤) «الملكة أعح حتب»

والزعم السائد أن «أعح حتب» كانت زوج الفرعون «سقنن رع»[٣] (انظر الشكل ١)، غير أنه لا توجد آثار تدل على ذلك صراحة، ولكن توجد براهين جلية تُثبِت ذلك، فنعلم أن «أعح حتب» كانت والدة «أحمس» الأول، وأنها كانت الزوجة الأولى للملك «سقنن رع تاعا»، وكذلك كانت ابنة ملك.[٤]

ونجد على تمثال أميرٍ يُدعَى «أحمس» أن والدَيْه كانا يحملان الألقاب الآتية: الإله الطيب رب الأرضين «تاعا»، والابنة الملكية العظيمة التي استولت على التاج الأبيض «أعح حتب»؛ ومن ذلك يتضح أن «أعح حتب» هذه كانت لا بد هي أم «أحمس الأول»، وأن هذا الملك «تاعا» هو زوجها، وهو «سقنن رع» الثاني الذي يُنسَب إلى الجيل الذي سبق «أحمس» الأول مباشَرةً؛ وممَّا لا نزاع فيه أن «أعح حتب» كانت على قيد الحياة بعد وفاة زوجها، بل المظنون أنها عاشت حتى عهد «أمنحوتب الأول»، بل عاصَرَتْ «تحتمس الأول».[٥] أما أنها عاشت حتى عهد «أحمس الأول» فلا جدال في ذلك، فكما أن «تيتي شري» قد كانت تمثِّل القوة خلف الملك في بداية حكمه كما يظهر ذلك على اللوحة التي كشف عنها «بتري»، فإنَّا نشاهد كذلك أن «أعح حتب» أخذت مكانتها هذه بعد موتها، كما يظهر ذلك على لوحة «الكرنك» وفي «بوهن» بالقرب من «وادي حلفا».

ولم تحل السنةُ الثانية والعشرون من حكمه حتى أخذت مكانتها «نفرتيري»، كما تدل على ذلك نقوش «طره»، وقد كان لهذه الملكة الثالثة الحظوة عند الجميع حتى اعتلاء «تحتمس الأول» عرش الملك، ولا نزاع في أن تلألؤ نجم «نفرتيري» لم يلمع ولم يسطع إلا في نهاية حكم «أحمس الأول»، أيْ بعد موت «أعح حتب»، وذلك ظاهر من الحفاوة التي خصَّها بها «كامس» و«أحمس» من هدايا جنازها التي وُجِدت معها في تابوتها، وأنه لم يشترك في إهدائها غير هذين الملكين؛ ولكن يلوح في الوقت نفسه أن زوجها قد اشترك في

---

[٣] راجع: Maspero, “Momies Royales de Deir el Bahari”, p. 625; “Histoire Ancienne des Peuples de l’Orient”, Vol. II, p. 78.

[٤] راجع: J. E. A., Vol. X, p. 251. Note 4.

[٥] راجع: Maspero, “Momies Royales”, p. 627; Petrie, “History”, II, p. 10; Breasted. “History”, p. 252.

إعداد أثاثها الجنازي، فقد دلَّ الفحصُ على أن تابوتها الخشبي يكاد يكون قطعةً مطابِقةً لتابوت الملك «سقنن رع» زوجها.[٦]

وعلى الرغم من أن دفن الملكة «أعح حتب» لم يحدث في عهد الأسرة السابعة عشرة كما دفنت الملكة «تيتي شري»، فإن هناك من الأسباب مع ذلك ما يدعونا للإشارة إليه هنا.

الكشف عن تابوت الملكة «أعح حتب»

والواقع أن عمال «مريت» قد كشفوا عن تابوت هذه الملكة الذي كان يحتوي كذلك على مجوهراتها في التراب القريب من «ذراع أبو النجا» عام ١٨٥٩م، وقد كان لهذا الحادث ضجة عظيمة، حتى تضارَبَتِ الأقوالُ في كُنْهِ هذا الكشف ومحتوياته، غير أن لحُسْن الحظ كان العالم الأثري «ديودور دفريا» في إجازة من «متحف اللوفر»، وكان موجودًا مع «مريت» في «متحف بولاق» في ذلك الوقت، وقد دوَّنَ الحادث في خطابٍ خاصٍّ مُؤرَّخ في الثاني والعشرين من مارس سنة ١٨٥٩م،[٧] وسنورد هذا الخطاب هنا ليرى القارئ كيف كانت تسير الأحوال في تلك الفترة من عهد الوالي سعيد باشا، وها هو ذا:

نص خطاب «دفريا»

ولما أعلن المسيو «مونييه» مساعد قنصل مصر خبرَ هذا الكشفِ، أرسل إلى «مريت» نسخةً من النقوش التي على التابوت، فأمكنني منها الاهتداء إلى أن هذه كانت مومية الملكة «أعح حتب»، وعندئذٍ كتب «مريت» لإرسالها في الحال إلى متحف «بولاق» على ظهر باخرة خاصة، ولكن لسوء الحظ كان مدير الجهة (قنا) قد فتح التابوت قبل أن يصل الخطاب، ولا نعرف سبب ذلك؛ أحُبًّا في الاطِّلاع، أم حقدًا وغيظًا منه؟ ومهما يكن من أمرٍ فإني لم أرغب في أن أوجد نفسي في نعل هذا الموظف عندما يقع نظر «مريت» عليه لأول مرة. وقد حدث كالمعتاد؛ فأُلِقيت أكفان الملكة وعظمها جانبًا، واحتُفِظ بالأشياء التي دُفِنت مع

[٦] راجع: J. E. A. Vol. X, p. 251 Note. 3.

[٧] راجع: Maspero, “Bib. Egypt”. 18, CII, ff, and Maspero, “Guide” XIV.

المومية، وقد حصل «مريت» على قائمةٍ بمحتويات التابوت من أحد الموظفين المصريين هناك، وقد أرسل مدير «قنا» من جانبه قائمةً بتلك الأشياء للوالي، مُعلِنًا إياه أنه مُرسِلُ الأشياء مباشَرةً إلى بلاطه.

والواقع أن القائمتين كانتا شبه موحَّدتين في المحتويات، غير أن فيهما مبالغة ظاهرة في عدد الأشياء الموصوفة، وفي وزن الذهب الذي تحتويه، ولما حصلنا على أمرٍ وزاريٍّ بأن يكون لنا الحق في الاستيلاء على أي قارب يحمل آثارًا ونقلها إلى قاربنا، سرنا في النيل في باكورة يوم واحد وعشرين من مارس، ولم نكد نصل إلى «سمنود» حتى لمحنا القارب الذي كان يحمل الكنزَ الذي أُخِذ من المومية الفرعونية، يقترب منَّا، وما هي إلا نصف ساعة حتى تلاقَى القاربان، وبعدَ تبادُلِ كلمات صاخبة مصحوبة بإشارات عنيفة، هدَّدَ «مريت» أحدهم بأنه سيلقيه في الماء، وهدَّدَ الثاني بأنه سيشوي مخه، والثالث بأنه سيرسله إلى الأعمال الشاقة في السفن، والرابع بأنه سيضع حبل المشنقة في عنقه؛ وكانت نتيجة ذلك أن حَفَظَة الكنز سلَّموه مقابل صكٍّ من «مريت»، وقد كانت دهشتنا عظيمةً عندما رأينا أن الصندوق يحتوي كميةً من المجوهرات، ورموزًا ملكية وتعاويذَ، وتكاد كلها تحمل اسم «أحمس» أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، في حين أن الملكة «أعح حتب» لم يُذكَر اسمها على واحدة منها، ودقة صُنْع هذه المجوهرات يفوق كلَّ الذي عُرِف حتى الآن، وهو قليل جدًّا، وعلى ما أظن لم يكن الذهب الذي تحتويه هذه التحف يزيد عن كيلوجرامين في الوزن، غير أن قطع المجوهرات كانت قد صيغت بمهارة عظيمة، ورُصِّعَتْ بأحجار صلبة وميناء ملونة.

وقد أسرع «مريت» بالمجوهرات إلى الوالي سعيد باشا في الإسكندرية، وقصَّ عليه القصةَ بطريقة خلابة، حتى إن سعيدًا قد تغاضى عن استيلاء «مريت» على قارب حكومي بغير إذن، بل على العكس استغرق في الضحك وشمله برعايته، وقد استعار «سعيد باشا» من هذا الكنز سلسلةً من الذهب معلقًا فيها جعران، لأحبِّ زوجاته إليه، غير أنه أعادَها بعد فترة وجيزة[8] إلى متحف بولاق.

[8] راجع: Maspero, “Bib. Egypt”. op. cit. CIII.

سبب وجود آثار للملكين «كامس» و«أحمس» في تابوت الملكة «أعح حتب»

وقد تضاربت الأقوال في وجود آثار «أحمس» و«كامس» في تابوت الملكة «أعح حتب»، غير أن الرأي الذي أدلى به الأستاذ «ونلك» عند فحص هذا الموضوع هو الرأي الذي يقرب من الحقيقة؛ إذ يقول: «ليس لديَّ من الأسباب التي تجعلني لا أصدِّق أن الملكة «أعح حتب» كانت قد دُفِنت في أوائل حكم الفرعون «أحمس»، وأنها زُيِّنت بالمجوهرات التي أهداها لها هو والملك «كامس» الذي حكم قبل «أحمس» مباشَرةً.»[٩] وآثار الملكة «أعح حتب» مشهورة جدًّا، وسنذكر أهمها هنا، وبخاصة ما كان له قيمة من الوجهة التاريخية: «وُجِد على الجثة جعران وسلسلة باسم «أحمس الأول» الذي كُتِب على المشبك، هذا فضلًا عن ثلاثة أسورة يد، وسوار ذراع، وكلها باسم «أحمس» أيضًا؛ أما في داخل لفائف الكفن، فقد وُضِعت «بلطة» من الذهب وخنجر، وكلاهما نُقِش عليه اسم «أحمس»، وعلى ذلك تكون الزينة الشخصية الخاصة بهذه الملكة قد قدَّمها لها «أحمس»، أيْ عندما كانت بين الخمسين والخامسة والسبعين من عمرها.»



شكل ٣: سواران للملكة أعح حتب.

وخلافًا لهذه المجوهرات التي نُقِشت باسم الملك «أحمس»، كان معها أشياء أخرى باسم ولدها البكر «كامس»، ففي التابوت وُجِد قاربان نموذجيان بمجاديف، واحد منهما

[٩] راجع: J. E. A., X, p. 254.

مصنوع من الذهب وعليه اسم «كامس»، والثاني من الفضة خالٍ من النقش. أما الأشياء فهي: مذبة و«بلطة» من الشبه باسم «كامس»، ويحتمل كذلك «بلط» أخرى، وحربة باسمه محفوظة الآن في إنجلترا، وقد أتَتْ من نفس الكنز، ولا نزاع في أن هذه المجوهرات عنوان واضح على التقدم الطبعي في ثروة البلاد والمهارة الفنية، التي جاءت نتيجةً لطرد الهكسوس من مصر، ولا أدل على ذلك ممَّا نشاهده من المجوهرات الخشنة الصنع التي تُعزَى لأول حكم «أحمس»، وهي التي وُجِدت على جسم الفرعون «كامس»، الذي كان في حروبٍ مستمرَّةٍ مع الهكسوس.

وقد وُجِد تمثالٌ باسم الابن الأكبر الملكي «أحمس» المرحوم.[١٠]

ومن هذا التمثال نعرف علاقة «أعح حتب» بالملك «سقنن رع»؛ إذ نجد بين الدعاء يطلب قرابين للإله «بتاح سكر» قد ذكر أسماء أفراد أسرة هذا الأمير، الذين جعلوا اسمه يعيش لأجل أن يقوم بكل عمل خيري لهم في العالم السفلي، وهؤلاء الأقارب هم والده «تاعا» الثاني، وأمه «أعح حتب» كما ذكرنا آنفًا، ثم أخته الابنة الملكية العظيمة «أحمس»، وأخته الابنة الملكية العظيمة «أحمس» الصغرى، وقد كانت على قيد الحياة.

(٥) التعرُّف على شخصية «أحمس نفرتاري»

ولما كانت «أعح حتب» الابنة الملكية العظيمة قد تزوَّجت من أخيها «تاعا» الثاني، فإن هذه الابنة الملكية «أحمس» أسن الأختين كانت بلا شكٍّ هي «أحمس نفرتيري» التي نعرفها بوصفها أخت الفرعون «أحمس» وزوجه، وهي التي يمكن أن تكون قد تزوَّجَتْ من الملك «كامس» أولًا على ما يظهر، ولدينا نصٌّ آخَر ربما يشعر بأنها هي التي قد ذكرت عليه، وهو لوحة عُثِر عليها في «ذراع أبو النجا» جاء عليها: «الأخت الملكية، والزوجة الملكية «أحمس»»،[١١] وكذلك يُحتمَل أنه قد جاء من قبر الابن البكر «أحمس» — خلافًا لما ذكرنا — تمثالان مجاوبان، وُجِدَا في «ذراع أبو النجا» نُقِش عليهما: «الابن الملكي «أحمس»»،[١٢]

---

[١٠] راجع: Sethe, Urkunden IV, p. 12.

[١١] راجع: Northampton, Spiegelberg, Newberry, “Report on Some Excavations in the Theban Necropolis During the Winter of 1898–1899”, Pl. XVI. p. 3.

[١٢] راجع: Northampton, etc op. cit. 31. No. 11.

وكذلك نُقِش على جعران لا يُعرَف المكان الذي جاء منه: «الابن الأكبر «أحمس»».[١٣] ولا نزاع في أنه «أحمس» المشار إليه في قبر «خع بخت»[١٤] بوصفه من أرباب الغرب، وكان يُعبَد في الأجيال التالية باسم الابن الملكي «أحمس» معطي الحياة مثل «رع»، ونجد كذلك الاسم الملكي «أحمس» قد قُرِن باسم يُدعَى «بنبو» Binpu في طغراء واحد، كما جاء على تمثال «حربو خراد».[١٥]

ولا شك في أن المسائل التاريخية التي سنعالجها هنا من الصعوبة بمكان بالنسبة لهذا العصر كله، ولا بد من أن نلتمس حلها، وعلى أية حال فإن اشتراك «أحمس» و«بنبو» في طغراء واحد يذكِّرنا باسم آخَر في قائمة مقبرة «خع بخت» الخاصة بأرباب الغرب، كان يُلقَّب «الابن الملكي» «بنبو» معطي الحياة مثل «رع». وليس لدينا حلٌّ آخَر الآن لهذه المعضلة، إلا أن نرجع بـ «بنبو» الذي جاء في قائمة مقبرة «خع بخت» إلى عهد الملك «تاعا» الثاني، وأن نعده مؤقتًا أحدَ أولاده إلى أن نتحقَّق من شخصية كلٍّ من «أحمس» و«بنبو» اللذين ذُكِرَا على لوحة «حربو خراد»، وسنذكر هنا ما استخلصناه من الدراسة السابقة لأولاد الملك «تاعا» الثاني، و«أعح حتب» بصورة مختصرة واضحة.

(١) الأمير «أحمس» الأكبر، مات صغيرًا في خلال حكم والده.

(٢) الأميرة «أحمس نفرتيري» تزوَّجت من الملكين اللذين خلفا «تاعا» الثاني.

(٣) الملك «كامس» تولَّى بعد والده عرشَ الملك، ومات بعد توليته بقليلٍ.

(٤) الملك «أحمس» خلف أخاه وأسَّسَ الأسرة الثامنة عشرة.

(٥) الأميرة «أحمس» الصغيرة.

(٦) الأمير «بنبو» (؟) مات صغيرًا، ومن المحتمل أنه قضى نحبه في الوقت نفسه الذي مات فيه «أحمس» الأكبر.

---

[١٣] راجع: Newberry, “Scarabs”. Pl. XXVI. No. 6.

[١٤] راجع: Gauthier, “L. R”, II, p. 160.

[١٥] راجع: Mariette, “Monuments”, Pl. 48.

بداية المناوشات مع الهكسوس

على أنه توجد آثار أخرى لأفراد عاشوا في هذا العصر، وقد ذكر عليها اسم «تاعا» غير أننا لم نعرف أيهما كان المقصود: الأول أم الثاني.[١]

وتدل شواهد الأحوال على أن الفرعون «تاعا» الثاني الملقَّب بالشجاع هو أول ملك بدأ النزاع بينه وبين ملك الهكسوس، مما أدَّى إلى قيام البلاد كلها دفعة واحدة في وجه أولئك الغزاة، فلدينا وثيقة في هذا الصدد جاءت في صورة قصة وهي «ورقة سالييه» الأولى، وعلى الرغم من أنها تُنسَب إلى العصر الذي نكتب عنه، إلا أنها قد كُتِبت بعد وقوع حوادثها بنحو أربعمائة سنة، ومع ذلك فإنها على ما يظهر ترسم لنا صورة تاريخية عن الخلاف الذي وقع بين ملك الهكسوس المسمَّى «عاقنن رع أبو فيس» والملك «سقنن رع» الشجاع، الذي فصَّلنا القول فيما نعرف عنه فيما سبق، وظاهر الخلاف هو أن «أبو فيس» ملك الهكسوس ادَّعَى وهو في «أواريس» الواقعة في شمال الدلتا أن أصوات أفراس البحر التي تعيش في «بحيرة طيبة» تزعجه وتقضُّ مضجعه لقوتها، على الرغم من أن المسافة بين «طيبة» و«أواريس» تبلغ نحو ٥٠٠ ميل، وأنه لذلك يأمر ملك «طيبة» أن يبيد فرس البحر الذي يسكن في تلك البحيرة إن أراد أن يبقي على إرضاء الملك «سقنن رع». وهذه الورقة قد كُتِبت على أن تكون تمارين لتلميذ من تلاميذ العصر الذي كُتِبت فيه، ونهايتها وهو الجزء الهام فيها لم يتم نقله، ومن أجل ذلك كانت القصة التي وصلتنا ناقصة، ولكن إذا وازَنَّاها بقصص أخرى مماثلة لها من قصص الشرق الأدنى، كان من المحتمل جدًّا أن تدلنا نهايتها على سرعة بديهة «سقنن رع»، أو سرعة خاطر نصحائه الذين كانوا حوله،

---

[١] راجع: Daressy. “Statues de Divinties”, p. 55; J. E. A. Vol. X, p. 257. ff.

فأحسنوا الرد على ملك الهكسوس، فخلصوا بذلك ملك مصر من الورطة التي أراد أن يُوقِعَه غريمه فيها، ومن المحتمل جدًّا أن الجزء الضائع من الورقة كان يحتوي على بداية المقاومة المنظمة التي قام بها المصريون ضد الهكسوس.

وإذا صحَّ ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغريب مجرد ذريعة اتخذها تَعِلَّةً لإعلان الحرب على ملك «طيبة»، الذي كان على ما يظهر يكيد له، وتكون قصة الذئب والحمل التي نتناقلها ونتمثل بها في التاريخ الحديث صدًى لأختها قصة فرس البحر في عصر الهكسوس. والجزء الباقي من القصة كما جاء في الورقة هو ما يأتي:

متن القصة

حدث أن أرض مصر كانت في جائحة شنعاء (؟) ولم يكن للبلاد حاكم يعد ملكًا في هذا الوقت. وقد حدث أن الفرعون «سقنن رع» كان حاكمًا على المدينة الجنوبية (يعني طيبة)، ولكن كانت الجائحة الشنعاء في بلد «العامو» (الهكسوس)، وكان الأمير «أبو فيس» في «أواريس»، وكانت كل البلاد خاضعة له، وكذلك كل حاصلاتها بأكملها، وكذلك كل طيبات «تميرا» (أيْ مصر)، وقد بقي هذا اللفظ في كلمة الدمير.

وقد اتخذ الملك «أبو فيس» الإله «ستخ» ربًّا له، ولم يعبد أي إله آخَر في البلاد غير «ستخ». وقد بنى معبدًا ليكون عملًا حسنًا خالدًا بجانب قصر «أبو فيس»، وقد كان يستيقظ كل يوم ليقرب الذبائح اليومية للإله «ستخ»، وكان موظفو جلالته يحملون الأكاليل من الزهر كما كان يفعل تمامًا في معبد «رع حوراختي».

وكان الملك «أبو فيس» يرغب في خلق موضوع للنفار بينه وبين الملك «سقنن رع» أمير المدينة الجنوبية.

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك «أبو فيس» بإحضار … رئيسه … (عند هذه النقطة نجد المتن غير متصل لكثرة الفجوات، وقد حاول «مسبرو» أن يملأها على وجه التقريب).

(… وقال لهم (أي المستشارين): إن رغبة جلالتي في أن أرسل رسولًا إلى المدينة الجنوبية لألصق تهمةً بالملك «سقنن ربع»)، و… لم يعرفوا كيف يجيبونه، وعندئذٍ أمر بإحضار كتَّابه والحكماء من أجل ذلك، فأجابوه قائلين: «أيها الحاكم، يا سيدنا … توجد بحيرة فرس بحر (في المدينة الجنوبية …)

النهر (…) وهي (فرس البحر)، لا تسمح للنوم أن يأتي لنا نهارًا ولا ليلًا؛ لأن الضجيج في أذننا، وعلى ذلك أرسِلْ جلالتك إلى أمير المدينة الجنوبية … الملك «سقنن رع»، ودَعِ الرسولَ يَقُلْ له: الملك «أبو فيس» (…) يأمرك بأن تجعل فرس البحر يترك البحيرة … وبذلك سترى جلالتك قلة أعوانه؛ لأنه لا يميل لإلهٍ في الأرض كلها إلا «آمون رع» ملك الآلهة.»

وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسل الملك «أبو فيس» إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن التهمة التي قالها له كتَّابه والحكماء، ووصل رسول الملك «أبو فيس» إلى أمير المدينة الجنوبية فأخذوه إلى حضرة الأمير، فقال الواحد (الفرعون) لرسول الملك «أبو فيس»: ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية؟ وكيف قطعتَ هذه الرحلة؟ فقال له الرسول: «لقد أرسل لك الملك «أبو فيس» يقول: مُرْ بأن يهجر فرس البحر بحيرته التي في ينبوع المدينة الجاري (المدينة هنا طيبة)؛ لأنه (أي: فرس البحر) لا يسمح للنوم أن يغشاني ليلًا أو نهارًا؛ إذ إن أصواته المزعجة في أذني.»

وعندئذٍ بقي أمير المدينة الجنوبية صامتًا، وبكى مدة طويلة، ولم يكن يعرف كيف يصوغ جوابًا لرسول الملك «أبو فيس»، فقال له أمير المدينة الجنوبية: كيف سمع سيدك عن البحيرة التي في ينبوع المدينة الجاري؟ فقال له الرسول: … الموضوع الذي من أجله قد أرسلك (؟)، وأمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدم لرسول الملك «أبو فيس» كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز … وقال له أمير المدينة الجنوبية: ارجع إلى الملك «أبو فيس» سيدك! … أي شيء تقول له سأفعله عندما تأتي (؟) (…) وعاد رسول الملك «أبو فيس» مسافرًا إلى المكان الذي فيه سيده.

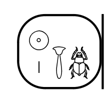
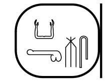
وعندئذٍ أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضباطه العظام، وكذلك كل كبار الجند الذين كانوا عنده، وأعاد عليهم التهمةَ التي بعث بها إليه الملك «أبو فيس»، وقد ظلوا صامتين جميعًا لمدة طويلة، ولم يستطيعوا الإجابةَ بخير أو شر، وأرسل الملك «أبو فيس» إلى …

(وهنا تنقطع القصة في الورقة التي استُعمِلت بقيتها في خطابات نموذجية، وهي أسلوب إنشائي كان بلا شك في ذلك الوقت أكثر فائدةً، ولكنها ليست بذات أهمية لنا الآن؛ لأننا كنا نَوَدُّ أن نعرف نهاية القصة.)

وإنه لمن العسير علينا تحديد تاريخ الشجار الذي قام بين الملك «سقنن رع الشجاع» و«أبو فيس عاقنن رع» على وجه التأكيد، ولكن من المحتمل أنه قد نشب حوالي عام ١٥٩٠ق.م، ويرجح قرب هذا التاريخ من الحقيقة أن «أحمس بن أبانا» الذي كان يعمل في جيش «أحمس» الأول (١٦٨٠–١٥٥٧ق.م) كان والده يعمل جنديًّا في جيش «سقنن رع»،[٢] ولا بد أن نعطي مدة كافية لحكم الملك «كامس» الذي خلف «سقنن رع»، وقد نوَّهنا فيما سبق أن «سقنن رع» و«كامس» و«أحمس» الأول حكموا تباعًا على التوالي، وبعد موت «سقنن رع» في حومة الوغي كما تدل على ذلك الجروح التي وُجِدت في جسمه، تولَّى المُلْك بعده المَلِك «كامس».

[٢] راجع: J. E. A. Vol. V. p. 49.

الملك كامس

يعتبر الملك «وازخبر رع كامس» آخِر ملوك الأسرة السابعة عشرة، من أبرز الشخصيات الملكية في التاريخ المصري القديم؛ إذ تدل الآثار المكشوفة حتى الآن على أن الحروب الحقيقية لخلاص مصر من نير الهكسوس الذي ظلَّ عبئًا على عاتق البلاد أكثر من قرن ونصف، قد بدأت في عهده؛ وقبل أن نتكلَّم عن الدور الذي لعبه في تاريخ البلاد، وما عُثِر عليه من آثارٍ له، نلفت النظر إلى أن الاسم الحوري لهذا الفرعون يحيط به شيء من الغموض والإبهام، لم نستطِعْ ممَّا كشف عن الآثار حتى الآن حله حلًّا موفَّقًا يُعتمَد عليه، حتى إن بعض علماء الآثار قد ظنوا أنه يوجد ثلاثة ملوك بهذا الاسم؛ وتفصيل ذلك أن اسم الفرعون الذي وجدناه على الوجه الذي كشفه «كارنرفون»[١] يختلف عن الاسم الذي وجدناه على «ورقه أبوت»، وهو نفس الملك الذي عُثِر على تابوته ومحتوياته الموجودة «بمتحف اللوفر» وغيره من المتاحف كما سيأتي بعدُ. وقد عارض الأستاذ «جوتييه» في توحيد هذين الملكين، وعاد لمناقشة الموضوع مرة ثانية،[٢] وذلك عندما عثر على قاعدة تمثال

[١] راجع: J. E. A. ibid.

[٢] راجع: "Studies Presented to Griffith", (London 1912) p. 3. ff.

عليها اسم ملكٍ يُدعَى «كامس» وألقابه، وأن اسم الصل والعقاب عليه يماثل ما وجد على لوحة «كارنرفون»، غير أن اسمه الحوري يختلف عن الاسم الحوري للملكين السابقين بهذا الاسم، فهل معنى ذلك أنه يوجد ثلاثة ملوك باسم «كامس»؟ ولكن «جوتيه» يجيب على ذلك بقوله إنه لا يوجد إلا ملكان بهذا الاسم، وأن أحدهما قد غيَّرَ اسمه الحوري خلال حكمه، والواقع أنه لا يمكننا أن نستنتج الآن شيئًا، وسيكون القول الفصل للوحة «الكرنك» التي وجد معها «شفرييه» قطعة من لوحة، وهي النموذج الذي كتب عنه لوح «كارنرفون»، فإذا وجدت بقية هذه اللوحة التذكارية، وعلم منها أن لقب هذا الملك عليها هو «وازخبر رع»، فإن اختلاف الاسم الحوري الذي وجد مختلفًا في ثلاث حالات لا يهم، من أجل ذلك نحكم بأنه لا يوجد إلا ملك واحد يُدعَى «كامس»، أما إذا اختلف اللقب، فإنه يوجد كما قال «جوتييه» ملكان باسم «كامس»، على أن كل الدلائل تُشعِر بأنه لا يوجد إلا ملك واحد يُسمَّى «كامس»، وهو الذي بدأ الحروب مع «الهكسوس» بصفة فعلية، والواقع أن الآثار والمعلومات التي وصلتنا عن هذا الفرعون محصورة فيما كشف له في «طيبة»، وما ذكر عنه في «ورقة أبوت» التي تحدثنا عن الفحص الذي أُجرِي في قبره في عهد «رعمسيس» التاسع، عندما انقضَّ اللصوص على قبور «طيبة»؛[٣] فقد جاء عن قبر هذا الفرعون ما يأتي: «انتقل المفتشون من قبرَيِ الملكين المُسمَّيين «تاعا» إلى هرم الملك «وازخبر رع» له الحياة والسعادة والصحة، ابن الشمس «كامس» له الحياة والسعادة والصحة، وقد فُحِص اليوم ووُجِد أنه لم يُصِبْه ضررٌ.»

حقًّا يظهر أن قبر «كامس» لم يُصَبْ بسوء في عهد «رعمسيس» التاسع، غير أنه من المحقَّق أن حراس القبر خافوا عليه عبث اللصوص في تاريخ متأخر في العهود القديمة، فنقلوا تابوته ودفنوه على وجه السرعة سليمًا كما هو في حجر من تراب السهل الذي تطلُّ عليه جبانة «ذراع أبو النجا»، في مكان يقرب من المكان الذي كشف فيه عن تابوت الملكة «أعح حتب» السالفة الذكر، وقد ظلَّ الملك «كامس» مستريحًا في تلك الحفرة حتى كشف عنه «مريت» عام ١٨٥٧ ميلادية.

[٣] راجع: Abbot Pap. Pl. III, line. 12; Breasted, A. R. IV, § 519.

(١) قصة الكشف عن بقايا الفرعون كامس

ولما كانت قصة الكشف عن بقايا هذا الفرعون، وما دُفِن معه في تابوته من الحوادث العظيمة في تاريخ علم الآثار المصرية وتأسيسه في مصر، لم نَرَ بدًّا من تلخيصها هنا؛ إذ إنها في الواقع تكشف لنا أمورًا كثيرة عن أحوال مصر في تلك الفترة من تاريخها، وكيف كان ينظر ولاتها لآثارها وتراثها الخالد، وذلك أنه في ربيع عام ١٨٥٧ ميلادية كان الأمير «نابليون» ابن عم الإمبراطور «نابليون» الثالث، عائدًا من رحلة في المحيط المتجمد، ولما كان هذا الأمير مصدر قلق ومضايقة دائمة لابن عمه الإمبراطور، فقد كان الأخير لا يردُّ له طلبًا يقتضي رحلة خارج فرنسا؛ ولذلك لم يتردَّد طرفة عين في إجابة مطلبه في القيام برحلة إلى الشرق، ولا تزال رحلة الأرشدوق «مكسمليان» النمساوي في النيل ترنُّ في الآذان وموضوع حديث علية القوم؛ ولم يكن الأمير «نابليون» يرغب في منافسة الأرشدوق وحسب، بل يريد أن يفوقه في الحصول على مجاميع أثرية أهم من التي حملها إلى النمسا، وعندما وصل إلى «سعيد باشا» والي مصر خبر هذه الزيارة المزعومة، عقد العزم على أن يظهر لسمو زائره الإمبراطور كل مظاهر التجلة، ومراسيم الاحترام التي يستطيع إبداءها؛ ولذلك أرسل في الحال إلى «مريت» باشا الذي كان ملحقًا «بمتحف اللوفر» وقتئذٍ بالحضور إلى مصر في أكتوبر سنة ١٨٥٧ في إرسالية مدتها ثمانية أشهر، وقد رغب سعيد باشا في أن تكون كل خطوة يخطوها الأمير في زياراته جهات القطر ينبت فيها من الآثار ما يسرُّ عينَ الأمير، ويملأ قلبه غبطةً وعجبًا.

واقتصادًا في وقت الأمير، أمر «سعيد» باشا «مريت» أن يصعد في النيل، ويقوم بأعمال الكشف عن الآثار، ثم يدفنها ثانية في الأماكن التي سيمرُّ بها الأمير في رحلته، وقد أعدَّ المال اللازم لتلك الأعمال من جيب كلٍّ من «سعيد باشا» والأمير «نابليون»، وكذلك خصص الوالي يخته لذلك، وأصدر الأوامر إلى المديرين لتقديم ما يلزم من الأيدي العاملة، وفي هذه اللحظة كان «هنريخ بركش» قد وصل إلى مصر، فكلَّفَه «مريت» بالاستعداد للقيام معه بأعمال الحفر، وقد قامت فعلًا الكشوف الأثرية على قدم وساق في «الجيزة» و«سقارة» و«العرابة المدفونة» و«طيبة» و«إلفنتين»، وقد كشف فعلًا عن مجموعة عظيمة من الآثار الهامة، غير أن الأمير الذي من أجله قامت هذه الاستعدادات لم يحضر لاعتبارات هامة. وفي فبراير سنة ١٨٥٨ طلب إلى «مريت» العودة إلى عمله الرسمي «بمتحف اللوفر»، ولكنه كان وقتئذٍ قد رسم لنفسه خطة البقاء في مصر ليبني مستقبله العلمي بها، وقد اتخذ فعلًا الخطوات الأولى المؤدية إلى ذلك، فقد كان يعرف ميول الأمير «نابليون» إلى عمل مجموعة

أثرية ليضعها في قصره؛ ولذلك عرض عليه عن طريق سكرتيره أنه إذا أَخَرَّ موعد سفره إلى فرنسا، فإنه يكون في استطاعته أن يستولي له من «سعيد باشا» على بعض هدايا من التي كانت أُعِدَّت لرحلته التي لم تنفذ، فأُجِيب «مريت» على طلبه هذا بأن الأمير يكون سعيدًا جدًّا إذا حصل على مجموعة لا تكون نفاستها من ناحية قيمتها العلمية، بل يرغب في بعض مجوهرات وتماثيل صغيرة، ونماذج من الفن المصري، مع إيضاحات عن كيفية الكشف عنها.

وقد وافَقَ الوالي على ذلك ورجا «مريت» أن ينتخب من الآثار كل ما يروق في عين الأمير ويرضيه، ويضعها تحت تصرُّفه دون مقابل، ولم يَبْقَ على «مريت» بعد ذلك إلا أن يرتِّب أمرَ الحصول على سفينة بدون أجر لهذا الأمير المقتصد، وفي مقابل هذه الخدمات يستعمل هذا الأمير نفوذه لتعيين «مريت» مأمورًا للآثار المصرية بالقطر المصري، وقد تم له ما أراد، وبذلك أصبحت مصلحة الآثار المصرية في عالم الوجود.

نتائج الحفائر التي قام بها مريت وبركش في القرنة

وقد كانت للحفائر التي قام بها كلٌّ من «مريت» و«بركش» في «القرنة» نتائج سريعة، وقد وقفنا على معلومات عن المكان الذي وُجِد فيه تابوتان لاثنين من الأناتفة، وهما التابوتان اللذان كانا قد اشتراهما «مريت» قبل ذلك بثلاثة أعوام لمتحف «اللوفر»، وبمعرفة هذا المكان الذي كان يُعَدُّ مفتاحًا للعثور على آثار أخرى من نوعهما، أَخَذَا يتابعان عمل الحفر في السهل المنبسط الذي تشرف عليه «جبانة ذراع أبو النجا»، وعلى مقربة من نفس هذا المكان كان قد عثر على تابوت «أعح حتب»، وكشف «مريت» في ديسمبر سنة ١٨٥٧ عن تابوت الملك «كامس» مدفونًا تحت كومة من التراب، وقد وُضِع بدون عناية ولا اهتمام؛ غير أنه كان لم يُمَسَّ بعدُ، ولما فحص «مريت» باشا محتوياته وجد أن التابوت ذاته ليس من الأشياء التي تروق في عين الأمير «نابليون»؛ ولذلك بقي في مصر. والواقع أن هذا التابوت ليس من نوع التوابيت الملكية الفاخرة التي كانت توشى بطبقة من الذهب النضار، كما أن الفرعون لم يكن يحمل على جبهته الصل الفرعوني المعروف. حقًّا إن التابوت كان من النوع الريشي، غير أنه كان ممَّا يُعمَل للأفراد لا الملوك، وقد ذُكِر اسم الملك «كامس» عليه! الملك ابن الشمس «كامس»، وكذلك وُجِد عليه اسم الملك «كامس» دون أن يُذكَر لقبه، كما وجدنا مثل هذه الحالة على تابوت الملك «أنتف» ممَّا جعل الباحثين وقتئذٍ في حيرة مستمرة.

محتويات التابوت

وقد لُوحِظ أن المومية لم تُجهز للدفن بعناية كما كانت الحال في كثير من الأحيان في هذا العهد المضطرب؛ ولذلك فإنه عندما كشف عنها «مريت» الغطاء ذهبت هباءً لتحللها تحللًا كليًّا، وقد لاحظ «مريت» أنه كان مربوطًا على أعلى ذراع «كامس» بردية مجدولة جدلًا أنيقًا، يتدلى منها خنجر من الطراز النوبي، كما وجد معه جعران وبعض تعاويذ، ووضع على صدره طغراء ملكية محاطة من كلا الجانبين بأسدين مصنوعين من خالص النضار، هذا إلى مرآة من البرنز، وقد كان الخنجر والطغراء والأسدان ضمن ما تشمله الهدية التي قدَّمها «سعيد باشا» للأمير «نابليون»، وقد آل مصير الخنجر إلى «متحف بركسل» ببلجيكا، أما الطغراء والأسدان فقد كانا من نصيب «متحف اللوفر». وكذلك كان «مريت» قد أرسل المرآة مباشَرةً إلى «متحف اللوفر»، أما الجعران والتعاويذ فقد اختفت ولا نعلم عنها شيئًا حتى الآن.

ويُعَدُّ الخنجر من الآلات الفاخرة التي عُثِر عليها في الآثار المصرية، ويبلغ طوله نحو ٣١ سنتيمترًا، ويشبه في صنعه الخنجر الذي وُجِد مع الملكة «أعح حتب»، اللهم إلا في بعض التفاصيل، أما المرآة فكانت مصنوعة من البرنز الذهبي اللون، ويبلغ حجمها حجم المرآة التي وُجِدت مع الملكة «أعح حتب».

ما يُستنبَط من دفن الملك «كامس» بهذه الكيفية

ويمكننا أن نستخلص بعض حقائق هامة من دفن الملك «كامس»؛ إذ تدل ظواهر الأمور على أن الفرعون قد قضى نحبه بعد حكم قصير، فلم يستطع أن يجهز لنفسه تابوتًا ملكيًّا مذهبًا يتفق مع ملكه؛ ولذلك نجد أن خلفه قد دفنه بعد وفاته بزمن قصير في تابوت رخيص، ممَّا كان يُشترَى عادةً من حانوت المتعهد لأفراد القوم، وقد خلفه على العرش «أحمس»، وهو الذي وُجِد سواره على مومية «كامس»، والرأي السائد الآن أن «أحمس» كان أخاه الأصغر، وهذا ما توحي به كل القرائن التي جُمِعت من «جبانة طيبة»، على أنهما كانَا ابني الفرعون «سقنن رع» والملكة «أعح حتب»، ولم نعرف شيئًا مباشرًا عن آثار هذا الفرعون إلا اللوح الذي وجده «كارنرفون»، وسنتكلم عنه فيما بعدُ، ولكن من جهة أخرى نعرف اثنين من الكهنة الذين كانوا في حراسة قبر هذا الملك في باكورة الأسرة الثامنة عشرة: أولهما «مس» الذي كان يحمل ألقابًا كاهنية في معبدَيِ الملك «تاعا» والملك

«تحتمس» الأول، وكان يعمل كاهنًا جنازيًّا للملك «كامس»؛ والكاهن الآخَر اسمه «مس» أيضًا، وقد وجد له الأثري «لانسنج» بعض بقايا من آثاره في «البرابي»، وكان يقوم بوظيفة رئيس الكهنة للفرعون، وقد ذكرنا أن «كامس» كان يُعَدُّ ضمن أرباب الغرب الذين يُعبَدون في عهد الأسرة التاسعة عشرة.

مقبرة الملك كامس

وعلى الرغم من أننا حدَّدنا المكان الذي وُجِدت فيه موميته، فإنه ليس من السهل تحديد موقع قبره الأصلي؛ لأنه من المستحيل علينا أن نحدد مقدار المسافة التي تبعد بين مخبئه وبين مكان دفنه الأصلي، وموضع قبر هذا الفرعون في القائمة التي فُحِصت بمقتضاها القبور الملكية في ورقة «أبوت»، يُعتبَر واحدًا من القبور الأخيرة التي وصل إليها المفتشون قبل معبد «منتوحتب الثاني» في الدير البحري، وإذن فلسنا نبعد عن الصواب إذا جعلنا موقع قبره عند النهاية الجنوبية من واجهة «جبانة ذراع أبو النجا» الشرقية، وفي هذا المكان بالضبط عثر على هرم صغير أُقِيم من اللبن، يرجع عهده إلى عهد الأسرة السابعة عشرة أو الثامة عشرة، فإذا جرؤنا على القول بأن هذا الهرم هو قبر الملك «كامس»، فإن الأحوال تدل على أنه قبر هذا الملك أو قبر الأمير «أحمس ساب أير»؛ وبخاصة لأنه قد رُمِّم ثانيةً خوفًا من العبث به (J. E. A. Vol. X. p. 262).

أما القبر الذي وجد فيه «اللورد كارنرفون» لوح هذا الفرعون الخاص بحروب الهكسوس، فإنه يبعد عن هذا الهرم بنحو ١٥٠ مترًا.

وقد عُثِر في إحدى المقابر التي تجاور المقبرة التي عُثِر فيها على لوحة «كارنرفون» على جعران مركب في خاتم من ذهب، ومنقوش عليه الإله الطيب «وازخبر رع» معطي الحياة (راجع: Newberry. “Scarabs” p. 1. XXVI, I).

ولهذا الفرعون ثلاثة أسلحة في المجاميع الأثرية الإنجليزية قد يُحتمَل أنها من إحدى مقابر حاشيته، وكلها تحمل اسم هذا الفرعون، وأجمل قطعة بينها سيف من النحاس آية في دقة الصنع، وهو في مجموعة «إيفانز» منقوش عليه: «وازخبر رع» محبوب «أعح»، وعلى نصله كتب أبو الهول الإله الطيب رب القربان «وازخبر رع» إني أمير شجاع محبوب رع بن «أعح» (القمر)، والذي أنجبه «تحوت» ابن الشمس (كامس) منتصرًا في الأبدية.

ولا نزاع في أن هذا النقش يشعر بما كان يحسه هذا الملك من الثقة بنفسه في المعركة المقبلة التي كانت تنتظره لطرد الهكسوس من البلاد، فيقول: «إني أمير شجاع»، وقد

لقب والده من قبله «تاعا» الشجاع؛ ممَّا يدل على أن هذه الأسرة كانت سليلةَ الشجاعة والإقدام في البلاد.

والسلاحان الآخَران هما رأسَا «بلطتين» متشاكلتين، وهما مثل «البلطة» الفاخرة التي وُجِدت مع الملكة «أعح حتب»، وتوجد إحداهما في مجموعة «إيفانر»، والأخرى — وهي أكثر الاثنتين حفظًا — موجودة في المتحف البريطاني،[٤] وقد نُقِش على جانبي أولاهما: «الإله الطيب «واز خبر رع» معطي الحياة ابن الشمس «كامس» مخلدًا.» وعلى إحدى جانبي الأخرى: «الإله الطيب «واز خبر رع» معطي الحياة ابن الشمس الحاكم الشجاع أبديًّا.» وعلى الجانب الآخَر: «الإله الطيب «واز خبر رع» معطي الحياة ابن الشمس حاكم الجنوب أبديًّا.»

(٢) كامس يتخذ لنفسه اسمًا جديدًا

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه قد ظهر اسم غريب للملك «كامس» على لوحةٍ من متاع أساس مبني، وهذه اللوحة محفوظة بمتحف «ينفرستي كولج»؛ قد سُمِّي فيها «واز خبر رع» والحاكم العظيم،[٥] فعلى هذه الآثار نشاهد «كامس» يطلق عليه اسم التتويج «واز خبر رع» الأمير الشجاع، و«أمير الجنوب» و«الأمير العظيم»، وبعبارة أخرى نلاحظ أنه لم يتخذ لنفسه اسمًا شمسيًّا وحسب، بل اتخذ كذلك بدلًا من اسمه الشخصي اسمًا «رسميًّا»، وهذا ما يدل على أنه تقدَّمَ خطوة إلى الأمام أكثر من والده الذي أضاف لاسمه الشخصي نعت «الشجاع»؛ إذ أدخل تجديدًا في تأليف الألقاب الفرعونية، فجعل من هذه الصفة ما يدل على اسمه الشخصي. والظاهر أن الفرعون «أحمس» الأول قد حاول محاولات ضخمة ليستمر على هذا النحو، فنجد بين مخاريط عُثِر عليها في مقبرة أحد رجال حاشيته المسمى «تحوتي الكاهن الأول لآمون» ورئيس الخزانة؛ ثلاثة مخاريط نُقِش عليها اسم الفرعون ولقبه بالنقوش التالية: «الإله الطيب «نب بحتي رع» معطي الحياة مخلدًا، وابن الشمس «حاكم الأرضين».» وكذلك عُثِر على جعران في مجموعة «جرنفيل» منقوش عليه (نب بحتي حاكم الأرضين)، ففي كل هذه الأمثلة نجد أن اسمه الأميري «حاكم الأرضين».[٦]

---

[٤] راجع: Budge, “Archeologia” (1892), p. 86.

[٥] راجع: Newberry, “Scarabs” Pl. XXVI, 2.

[٦] راجع: Petrie, “Ancient Egypt”, 1916, p. 27, No. 16.

يحل محله اسمه «أحمس»، ونجد كذلك أنه حتى «تحتمس» الأول قد حاول المحافظة على هذا التقليد.[٧]

والظاهر أن السبب المباشر الذي دعا أولئك الفراعنة الأماجد — الذين يؤلفون باكورة فراعنة الأسرة الثامنة عشرة، وهم الذين على يدهم كان القضاء على قوم الهكسوس الغاصبين للبلاد — إلى المحافظة على هذا التقليد، هو أنهم أرادوا أن يظهروا للعالم المصري أولًا، وللأمم المجاورة ثانيًا، أنهم قد أصبحوا حكامًا على البلاد؛ ريفها وصعيدها، وأنهم نالوا ذلك بشجاعتهم وقوة بأسهم، فبدلًا من أن يركبوا أسماءهم بأسماء الآلهة مزجوا أسماءهم بصفات الشجاعة أو ما يدل على القبض على ناصية القطرين، فنعت «سقنن رع» أول مناضل مع الهكسوس نفسه بالشجاع، ثم خلفه «كامس» وسمَّى نفسه «بالأمير الشجاع»، ثم جاء بعده «أحمس» فأطلق على نفسه «أمير الأرضين» بدلًا من اسم «أحمس»، وأخيرًا جاء «تحتمس» الأول وقلَّد جده فسمَّى نفسه كذلك «أمير الأرضين»؛ والظاهر أنه بعد أن استقر لتلك الأسرة مُلْك البلاد نهائيًّا، وأخذت فتوحهم تمتد خارج حدود مصر، لم يروا ضرورةً للتسمية بهذه المسميات.

(٣) لوح كارنرفون الخاص بحروب الملك «كامس»

والآن نعود لشرح الجزء الذي قام به هذا الفرعون (أحمس) في تحرير البلاد كما جاء على لوحة «كارنرفون».

والواقع أنه هو الذي بدأ محاربة الهكسوس بصفة جدية، وقد كان النصر حليفه؛ إذ هزمهم شمالي الأشمونين في مصر الوسطى، وقد استقينا معلوماتنا عن حروبه هذه من نقوش على لوحٍ من عصره كُتِب بالخط الهراطيقي، عثر عليه «اللورد كارنرفون» في «طيبة» كما سلف ذلك، وقد كان المظنون في بادئ الأمر أنه حديث خرافة، ولكن العثور على جزء من لوحة أثرية عليها جزء من نقش النص دلَّ على أنها نص تاريخي، وقد نشر الأولى الأستاذان «جاردنر» و«جن»،[٨] ووجد الثانية «شفربيه» ونشرها المسيو «لاكو».[٩] وهاك نص لوحة الملك «كامس»، وهي بلا شك أول نص تاريخي يُعتمَد عليه:

---

[٧] راجع: Newberry, “Timins Collection,” Catalogue, 28, Pl. IX.

[٨] راجع: J. E. A., III p. 95–110 & ibid Vol. V.

[٩] راجع: A. S. Vol., XXXV p. III.

«السنة الثالثة» — «حور» الظاهر على عرشه، وصاحب الإلهتين، لمعبد الآثار — حور الذهبي الذي يجعل الأرضين مسرورتين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (واز خبر رع ابن الشمس) «كامس»، معطي الحياة مثل «رع» أبد الآبدين، محبوب «آمون رع» سيد الكرنك.

الملك القوي في ربوع «طيبة» «كامس» معطي الحياة مخلدًا، كان ملكًا محسنًا، وقد جعله «رع» ملكًا حقيقيًّا، وسلَّمه القوةَ بالحق المبين، وقد تكلَّمَ جلالته في قصره إلى مجلس كبار الدولة الذين كانوا في حاشيته، قائلًا: إلى أي مدًى أدرك كنه قوتي هذه عندما أرى حاكمًا في «أواريس» وآخَر في بلاد «كوش» (بلاد النوبة)، وأنا أجلس (في الحكم) مشتركًا مع رجل من «العامو» (الهكسوس) وعبد، وكل رجل منهما مسئول عن جزئه من مصر هذه؟ وذلك الذي يقاسمني الأرض لا أجعله يمر في ماء مصر حتى «منف» تأمل! إنه يسيطر على الأشمونين، ولا يرتاح رجل لصيرورته عبدًا للستيو (الآسيويين)، وإني سأصارعه وأبقر بطنه، وإن رغبتي هي تحرير مصر والقضاء على الآسيويين.

وعندئذٍ قال عظماء مجلسه: تأمل لقد تقدَّم الآسيويون حتى وصلوا إلى القوصية، ولقد أخرجوا ألسنتهم لنا حتى آخرها (احتقارًا كما يُفعَل الآن). إننا في طمأنينة؛ نملك نصيبنا من مصر، و«إلفنتين» قوية، والأرض الوسطى في جانبنا حتى «القوصية» (وهي عاصمة المقاطعة التالية لمقاطعة الأرنب). والقوم يحرثون لنا (أي الهكسوس) أحسن أرضهم، وماشيتنا ترعى في مستنقعات الدلتا البردي، والشعير يدرس لخنازيرنا، ومواشينا لم تُغتصَب … بسبب ذلك وهو (العدو) يستولي على أرض العامو (أي: أرض الدلتا) ونحن نملك مصر، ولكن كل مَن يأتي إلى أرضنا ويناهضنا، عندئذٍ سنناهضه.

وكانوا قد أغضبوا قلب جلالته (بقولهم هذا): أما عن مجلسكم هذا … فإن هؤلاء العامو الذين … تأملوا فإني سأحارب العامو وإن النصر سيأتي وإذا … بالبكاء فإن الأرض قاطبة سترحب بي بوصفي الحاكم القوي في داخل «طيبة» «كامس» حامي مصر، ولقد أقلعت منحدرًا في النيل بوصفي محاربًا لأهزم «العامو» بأمر «آمون» صادق النصيحة، وقد كان جيشي شجاعًا يسير أمامي كأنه عاصفة من نار، وكان جنود «المازوي» في مقدمة معاقلنا ليتجسسوا على مواقع الستيو، وليدمروا مواقعهم شرقًا وغربًا، ومعهم طعامهم وأدمهم، وقد

كان جيشي مكتظًّا بالمؤن في كل مكان، وقد أرسلت جيشًا من «المازوي» في حين أني قد أمضيت اليوم ... لأحبس (؟) ... «تيتي» بن «بيوبي» داخل «نفروسي» (وهي مدينة على بُعْد بضعة أميال شمالي الأشمونين، وتقع بين الأخيرة والكوم الأحمر)، وكنتُ لا أريد السماح له بالهرب، ثم جعلت «العامو» الذين اعتدوا على مصر يولون الأدبار، وقد كان مثله كمثل رجل ... قوة العامو. ومضيت الليلة في سفيني وقلبي فَرِح، وعندما أضاء النهار انقضَضْتُ عليه كالصقر، وعندما جاء وقت تعطر الفم (الإفطار) كنت قد هزمته وخربت أسواره، ذبحت قومه، وجعلت زوجه تنزل إلى شاطئ النهر.

وكان رجال جيشي كالأسود عندما ينقضُّون على الفريسة، ومعهم العبيد والقطعان والأدم والشهد، فقسموا غنائمهم وقلوبهم فَرِحة، وكان إقليم «نفروسي» على وشك السقوط، ولم يكن بالأمر العظيم عندنا أن تُحبَس زوجه؟ ... وكان «برشاق» غير موجود عندما وصلته، وهربت خيولهم في الداخل والحامية (؟) ...

محتويات هذا اللوح

وإذا فحصنا محتويات هذا النص فإنه يتضح منه أن «كامس» أراد أن يخلص مصر من قبضة الآسيويين الذين لم يكونوا يملكون الدلتا وحدها، بل كانوا وقتئذٍ قد زحفوا نحو الجنوب حتى مصر الوسطى، وقد حاول نصحاء الملك «كامس» أن يمنعوه إعلانَ الحرب، قائلين له إنه يتمتع بحقوق زراعية في الأراضي التي يستولي عليها الأجنبي (ولا يبعد أن تكون هذه العبارة الأخيرة حيلة أدبية، كان الغرض منها تبرير نوايا «كامس»، وجعلها أعمالًا شريفة خالدة)، ولكنه على الرغم من ذلك جهَّزَ جيوشه وأقلع شمالًا منحدرًا في النيل، وهزم الهكسوس هزيمة منكرة عند «نفروسي» (؟) وهذا المكان غير معروف موقعه، ولكنه على ما يظهر يقع على مسافة بضعة أميال شمالي «الأشمونين»، ومن المحتمل أنه يقص علينا في الجزء الذي لم يُدوَّن أن من نتائج هذه الهزيمة طرد الهكسوس ثانيةً إلى أرض الدلتا، حيث نجدهم هناك في عهد الملك الذي خلفه، غير أن هذا القول لا يخرج عن كونه مجرد زعم قد يصيب وقد يخطئ. هذا، ومما نُقِش في اللوحة نعلم أن البلاد كانت في زمنه ثلاثة أقسام، فكانت الدلتا ومصر الوسطى في قبضة الهكسوس، ومصر العليا

يحكمها ملوك «طيبة»، في حين أن بلاد النوبة منفصلة عن مصر يحكمها ملك أسود من بلاد «كوش»، ولا يبعد أن «كامس» هذا بعد أن هزم الهكسوس وأرجعهم إلى الدلتا، حوَّلَ نظره نحو بلاد النوبة وهزمها واستولى عليها؛ إذ نجد اسمه مقرونًا باسم أخيه «أحمس» على صخرة بالقرب من تشكه.[١٠]

وخلف «أحمس الأول» على عرش الملك (١٥٨٠–١٥٥٧) الملك «كامس»، وعلى الرغم من أنهما من أسرة واحدة، فإن الملك الجديد كان يُعَدُّ على حسب ما جاء في «مانيتون» مؤسِّس الأسرة الثامنة[١١] عشرة.

ولا نزاع في أن فكرة «مانيتون» ووَضْع «أحمس» الأول على رأس أسرة مصرية جديدة كانت فكرةً موفَّقةً من الوجهة التاريخية المصرية؛ لأنه هو الذي طرد الهكسوس المبغضين للمصريين، والمدهش أن معلوماتنا عن هذا العصر من الوجهة الحربية لم تصلنا عن طريق النقوش التاريخية الملكية، فلم نعثر إلى الآن على نقوش خاصة بالهكسوس جاءتنا عن طريق وثائق الملك «أحمس»، اللهم إلا نصًّا واحدًا نجده قد أشار إليهم إشارة بعيدة، بذكر حوادث نعلم من مصادر أخرى أنها قد وقعت، فقد ذكر لنا على لوحة هامة سنتناول الكلام عنها فيما بعدُ، يقول: «لقد كان زئيره في أراضي «الفنخو» (بلاد فينقيا وسوريا).»[١٢]

(٤) النصوص الخاصة بحروب الهكسوس

ولذلك فلا بد أن نحول أنظارنا إلى ترجمة حياة رجلين من كبار رجال الجندية في عصر هذا الفرعون لنقف على بعض تفاصيل عن طرد الهكسوس، وأولهما هو «أحمس بن أبانا» (أبانا اسم والدته)، وقد التحق بخدمة الفرعون «أحمس» في أوائل حكمه، وقبل مماته ترك لنا قصة تاريخ حياته على جدران قبره بالكاب.

---

[١٠] راجع: Weigall. A Report on the Antiquities of Lower Nubia LXV.

[١١] راجع: Weigall, “A Report on the Antiquities of Lower Nubia”, Pl. LXV.

[١٢] راجع: Urk IV, 18: 6 & J. E. A., V. p. 52.

وهاك ما جاء فيها خاصًّا بحروب الهكسوس:[١٣]

يقول الضابط البحري «أحمس» بن «أبانا» (أبانا اسم والدته) صادق القول:

أيها الناس إني أتكلم إليكم جميعًا، وأجعلكم تعرفون الإنعامات التي نلتها، وكيف أني قد كُوفِئت بالذهب سبع مرات أمام الأرض قاطبة، وكذلك بالعبيد والإماء، وكيف أني قد مُنِحت أراضي شاسعة جدًّا؛ لأن اسم الرجل الشجاع يمكث في الشيء الذي فعله، وأنه لن يغمر (اسمه) في هذه الأرض إلى الأبد.

وهكذا تكلم: لقد نشأت في مدينة (نخب) الكاب الحالية، وقد كان والدي جنديًّا لملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم «سقنن رع» واسمه «بابا» بن «رعنت»، وقد انخرطت جنديًّا بدلًا منه في سفينة الثور الوحشي، في زمن سيد كلتا الأرضين، صادق القول «نب بحتي رع» (أي: الملك أحمس) حينما كنت شابًّا، ولم أكن قد اتخذت لي زوجًا، بل قضيت ليالي في سرير بحار، وعندما أسست منزلًا (أي: تزوجت) نقلت على ظهر السفينة المسماة «الشمالية»؛ لأني كنت شجاعًا، وكنت قد اعتدت مصاحبة الملك على الأقدام، في خلال أسفاره إلى الخارج في عربته، وعندما جلسوا أمام مدينة «أواريس» (حاصروها) أظهرت شجاعة، وأنا على قدمي في حضرة جلالته، وعلى ذلك رُقيت إلى السفينة المسماة «الظهور» في «منف».

وعندما بدءوا الحرب على الماء في القناة «بزدكو أواريس» أسرت أسيرًا وأحضرت يدًا، وقد أعلن ذلك لحاجب الفرعون، ومن أجل هذا أُعطيت «ذهب الشجاعة».

وقد أعيد القتال في هذا المكان، وقمت بأسر أسير آخَر هناك، وأحضرت يدًا؛ فأعطيت «ذهب الشجاعة» ثانيةً، وعندما حاربوا في مصر في الجزء الجنوبي من هذه البلد (أي: أواريس) أحضرت أسيرًا حيًّا، وقد ذهبت به إلى الماء؛ لأنه كان قد أُسِر في الجهة التي فيها المدينة، وحملته معي في الماء إلى الجهة الأخرى، وقد أعلن حاجب الملك بذلك، وتأمَّلْ: لقد كُوفِئت «بذهب الشجاعة» من جديد، ثم ساروا بعد ذلك لنهب «أواريس»، وقد أحضرت من هناك أسلابًا: رجلًا

[١٣] راجع: J. E. A. Vol. V, p. 48 ff.

واحد وثلاث نساء، أيْ مجموع أربعة رءوس، وقد أعطانيهم جلالته عبيدًا؛ ثم حاصروا بلدة «شروهن» ثلاث سنوات، وعندما نهبها جلالته أحضرتُ من هناك غنائم: امرأتين ويدًا، وقد أعطيت «ذهب الشجاعة»، وتأمَّلْ فإن غنيمتي قد أعطيتها عبيدًا.

والآن عندما ذبح جلالته «منتيو» (آسيا) صعد جنوبًا إلى «خنت حن نفر» (بلاد النوبة) ليقضي على بدو «بلاد النوبة»، وبدأ جلالته مذبحة عظيمة فيهم، وبعد ذلك أحضرت من هناك غنيمة: رجلين على قيد الحياة وثلاث أيدٍ، وقد كُوفِئت بالذهب من جديد. انظر! فقد أعطيت أَمَتَيْن، وأقلع جلالته شمالًا وقلبه فَرِح (بما أُوتِي) من شجاعة وفوز؛ لأنه استولى على الجنوبيين والشماليين.

وبعد ذلك جاء «آتا» صاحب الجنوب إذ ساقه حتفه، وآلهة الوجه القبلي مستولون عليه، وقد وجده جلالته في «تنتاعا» (مورده)، وأحضره جلالته أسيرًا حيًّا، وكذلك أخذ كل قومه غنيمة باردة، وبعد ذلك أحضرت محاربين أسيرين من سفينة «آتا»، وأعطيت خمسة رءوس وجزءًا من الأرض مساحته خمسة «أرورا» في مدينتي، وقد كُوفِئ كل الأسطول بمثل ذلك.

ثم أتى ذلك الخاسئ المسمى «تيتي عن» وقد جمع العصاة معه، فذبحه جلالته وقضى على بحارته، وبعد ذلك أُعطيت ثلاثة رءوس وخمسة «أرورا» في مدينتي.

وحملت على الماء ملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم «زسر كارع» (أمنحوتب الأول)، عندما كان متجهًا جنوبًا إلى «كوش» ليوسع حدود مصر، وقد قضى جلالته على ذلك النوبي البدوي في وسط جيشه، وأحضره إلى مصر في الأغلال، ولم يفلت واحد منهم، ومَن أراد الفرار أُلقِي أرضًا وصار كالذين لم يسبق لهم وجود أبدًا؛ والآن كنتُ في مقدمة جيشنا، وقد حاربت بكل شجاعة، ورأى جلالته شجاعتي، وقد أحضرت يدين وقُدِّمتا لجلالته، وعندما ذهبوا ليبحثوا عن قومه وماشيته أحضرت أسيرًا حيًّا وقد قُدِّم لجلالته، وحملت جلالته في يومين إلى مصر من بئر «حراو» وكُوفِئت على ذلك بالذهب، ثم أحضرت أَمَتَيْن غنيمة خلافًا للائي قدَّمتهن لجلالته، وقد رُقيت إلى وظيفة محارب للحاكم (لقب حربي).

وقد حملت على ظهر الماء ملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم «عا خبر كارع» (تحتمس الأول)، عندما كان مصعدًا جنوبًا إلى بلاد النوبة ليقضي على العصيان في كل الأراضي؛ وليطرد المُغِيرين من الأقاليم الصحراوية، وقد أظهرت شجاعة في حضرته في المياه المضطربة، وذلك بجعل السفينة تقتحم الشلال، وعلى ذلك رُقيت ضابطًا بحريًّا.

وقد سمع جلالته أن … وصار جلالته غاضبًا عند ذلك كأنه فهد، وأرسل جلالته سهمه؛ وقد لصق أول سهم في عنق التعس، وهؤلاء العصاة كانوا … وارتبك عند صل جلالته، وقد أقيمت هناك مذبحة لمدة ساعة، وأحضر قومهم أسرى.

ثم انحدر جلالته في النهر نحو الشمال، وكل أراضيه الأجنبية في قبضة يده، ورأس ذلك الخاسئ النوبي البدوي منكس في مقدمة سفينة جلالته (الصقر) ونزلوا في «الكرنك».

وبعد ذلك قام (جلالته) بحملة إلى بلاد «رتنو» ليغسل قلبه (أي: لينتقم) من كل البلاد الأجنبية، فوصل جلالته نهرينا (أي: بلاد النهرين) أو (مسوبوتاميا).

وقد وجد جلالته ذلك الخاسئ عندما كان ينظم قواته، وقد أحدث بينهم مذبحة عظيمة، وكان الجنود الأسرى الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته يخطئهم العد وكنت في مقدمة جيشنا، وقد رأى جلالته كيف كنت شجاعًا، وقد غنمت عربة بجوادها، وكان الجندي الذي فيها أسيرًا حيًّا، وقد قدمت هذه لجلالته، وكُوفِئت بالذهب من جديد، وإني قد أصبحت مقعدًا ووصلت إلى سن الشيخوخة، ولكن العطف الذي أظهر لي كان مثل العطف الأول … إني أضطجع في القبر الذي أقمتُه لنفسي في الأرض العالية (الجبانة).

أهمية نصوص تاريخ حياة أحمس بن أبانا

وقد كان المصري يبذل همه في إلباس الحقائق المجردة ثوبًا من التنميق والزخرفة، فلم نجد في الوثائق المعاصرة التي في متناولنا شيئًا من حقائق التاريخ المجردة الخاصة بالاستيلاء على «أواريس»، وهي حادثة تاريخية من الأهمية بمكانٍ، اللهم إلا في ترجمة حياة ضابط حربي نقشها على جدران قبره في بلد ريفية بعيدة.

ولقد ترك لنا «أحمس» آثارًا عامة لنفسه، ومن بينها لوحة كبيرة من الأهمية بمكان، جاء فيها أشياء عدة عن أعمال هذا الفرعون، وما كان لوالدته من المكانة في تاريخ البلاد، وقد أشار فيها إلى الأعمال الحربية التي قام بها في الكلمات التالية: إنه ملك جعله «رع» يحكم وعظم من شأنه «آمون»، فهما يعطيانه الأصقاع والممالك كلها دفعة واحدة، وحتى كل ما يشرف عليه «رع» وسكان الصحراء يقتربون منه خاضعين في موكب، ويقفون بأبوابه، ورهبته بين أهل النوبة، وزئيره في أراضي «الفنخو»، والخوف من جلالته في قلب هذه الأرض مثل الإله «مين» في عام حضوره، وهم يحضرون له الجزية الطيبة، محملين بالعطايا لهذا الملك،[١٤] فما أعظم الفرق بين هذا وبين الأسلوب التاريخي الذي نقرؤه في الوثائق البابلية، غير أنه إذا كان الأول كلامًا طنانًا وثرثرة خالية من المعنى، مما يجعل نفس الإنسان تثور حنقًا، فإن الثاني ممحل مجدب يقص الحوادث الجافة كأنها عظام نخرة لجسم هامد لا تدبُّ فيه الحياة.

وعلى أية حال فإننا لا نجد في قصة «أحمس» نقيصةً ممَّا تتصف بها المتون المصرية في مثل هذا الموضوع، ويحتمل أنه هو الذي قد أملاها بنفسه، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن ننظر إليه من جانبنا على أنه كان محاربًا مسنًّا، يقصُّ قصته بصراحة دون أن يرخي للسانه العنان في تنميق الألفاظ والإسفاف مع الإسهاب في التعبير، والظاهر أن والده كان جنديًّا بسيطًا أو بحارًا وحسب، وتاريخ الأسرة هنا يكشف لنا عن كيفية ظهور طبقة جديدة موالية ملتفة حول الفرعون في أوائل الأسرة الثامنة عشرة؛ إذ بعد ذلك بنحو ثلاثمائة سنة نقرأ في عهد «رعمسيس» الثاني عن المنازعات القضائية لأسرةٍ قد كُوِّنت ثروتها مثل «أحمس» بن «أبانا» من هبة أرض قدَّمها «أحمس» الأول لفرد يُدعَى «نشي» كان ضابطًا أمينًا للسفن،[١٥] وفي بداية ترجمة حياته نجد «أحمس» يفتخر بأنه قد كُوفِئ بأراضٍ كثيرة جدًّا، ومن الجائز أن نواة هذه الثروة هي الهبة الصغرى من الأرض التي كافأه بها «أحمس» الأول، وهي التي تبلغ مساحتها في هذه المرة خمسة «أرورا»، أي نحو ثلاثة أفدنة ونصف فدان تقريبًا، وبعد ذلك بقليل أُعطِي مثلها. والظاهر على الرغم مما في المتن من تهشيم، أن أحد الملوك الذين أتوا بعد «أحمس» قد منحه فضلًا عما عنده ستين

---

[١٤] راجع: Sethe, “Urkunden, IV”, Pp. 17–18.

[١٥] راجع: Gardiner, “Inscriptions of Mes”, p. 25.

أرورا أخرى (أي نحو ٤١ فدانًا إنجليزيًّا)، وإذا أضفنا المنح الأخرى التي قد ضاع عددها في الثغرات التي نجدها في المتن، أمكننا أن نقدِّرَ ضيعته بنحو مائة أرورا عند موته، أو ما يقرب من سبعة وستين فدانًا إنجليزيًّا، وإذا قرنَّا هذا بالمائة والخمسين أرورا التي منحها تحتمس الأول أحد ضباطه، أمكننا أن نستنبط أن «أحمس» حتى في نهاية خدمته الحكومية لم يكن قد وصل إلى الوظيفة الرفيعة التي تسند إليه أحيانًا (أمير البحر).

والواقع أنه رجل من عامة الشعب قد جَنَتْ له شجاعته ثروةً طائلة، ولكنه على وجه التأكيد لم يكن أميرًا بحريًّا للأسطول المصري كما يقال عنه، ومن المحتمل أنه كان له أقران في مدينته التي وُلِد فيها. والقائمة الخاصة بالأراضي التي منحها إياه «أحمس» تتبعها قائمة أخرى تنص على العبيد الذين أعطاهم إياه الفرعون.

ومعظم أسماء هذه القائمة هي أسماء مصرية، ولا بد أن نستنبط على الأقل أن بعض الأجانب الذين ضموا إلى بيت «أحمس»، قد غيَّروا أسماءهم الأجنبية بأسماء مصرية، والاسم الوحيد الذي يمكن أن نعدَّه (بشيء من الصحة) اسمًا ساميًّا هو اسم الأَمَة «استارام»، وهو الذي قد رُكِّب على ما يظهر تركيبًا مزجيًّا مع اسم الإلهة «عشتارت»؛ ويقول «بورخارن» إنه يتركب من اعتشارامي؛ أي «عشتارت أمي»، وإنْ كان ذلك ليس محققًا، والاسم «تاموثو» وقد قرن بأسماء عبرية مثل «آموس»، غير أنه وجد أن مصرية من علية القوم تحمل هذا الاسم بعد ذلك العهد بقرن من الزمان.

أحمس بن أبانا وأعماله في حروب الهكسوس

والآن يجب أن نعود للحملة التي اشترك فيها «أحمس»، والتي كان من جرَّائها منحه «ذهب الشجاعة» خمس دفعات في عهد «أحمس» الأول، ومرة في عهد كلٍّ من خلفيه، ويدل حصار «أواريس» من طريقة سرد وقائعه على أنه كان حصارًا طويل الأمد، وقد رُقي «أحمس» مرة، وكُوفِئ مرتين قبل أن يقوم بالعمل الذي توج حياته في هذه الحملة؛ ومن المحتمل أن المصريين كانوا قد صدوا وأجبروا على التقهقر لمدةٍ ما؛ لأنهم كانوا وقتئذٍ يحاربون في الإقليم الواقع جنوبي المدينة، وكذلك جنوب فرع من فروع النيل كما يظهر، أو قناة ربما كانَتْ تُسمَّى «قناة بزدكو»، وهي تقع بين المدينة وبين المصريين، والظاهر أن «أحمس» قد ترك رفاقه وذهب على متن الماء منحدرًا في النهر، وقد أسر واحدًا من الهكسوس على الشاطئ الذي يعسكر عليه الهكسوس، وخاض به في الماء إلى الشاطئ الذي عليه المصريون، والأسير على ظهره، وقد كُوفِئ على هذا العمل بالذهب من جديد.

الحادث التالي الذي نسمع عنه هو تخريب «أواريس»، وهو الذي مُنِح من أجله عبدًا وثلاث إماء نصيبه من الغنائم، وذكرى هذا الحادث قد وصل إلى عهد الإغريق؛ وذلك لأن مؤرِّخًا يُسمَّى «بطليموس» المنديسي قد وصلته قصة تقويض «أحمس الأول» لـ «أواريس» حتى الأرض.[١٦]

وبعد ذلك جاء حصار «شاروهن»، وهي بلدة في قبيلة «سيمون» جنوبي «يوده»، وهي التي قد تقهقر إليها الهكسوس، وقد سلمت بعد حصار ثلاث سنوات، وقد كان «أحمس» حاضرًا واشترك في الغنائم، وقد وجد الأستاذ «زيته» في مقدمة تاريخ «تحتمس» الثالث المهشم، ما يعتبره إشارةً إلى استقرار حامية الهكسوس في «شاروهن»، ولكن هذه العبارة تظهر لنا أنها تشير إلى عسكرة الجنود المصرية في البلدة إلى أن أصبح مركزهم مهدَّدًا بعصيان واسع النطاق في سوريا، وذلك عندما شعر الفرعون بأنه لا بد من تدخُّله وحمايتهم.

وترجمة زيته لهذه الفقرة ما يأتي:[١٧]

> السنة الثانية والعشرون، الفصل الرابع من فصل الشتاء، اليوم الخامس والعشرون، مرَّ جلالته بقلعة «ثاروا» في أول قلعة مظفرة؛ ليطرد الذين هاجموا حدود مصر بشجاعة ونصر، وبقوة وفوز.
>
> وقد مرت مدة طويلة من السنين كان فيها الآسيويون يحكمون البلاد اغتصابًا، والكل يخدمون أمام (أمرائهم الذين كانوا في أواريس)، وقد اتفق في أزمان أخرى أن الحامية التي كانت هناك كانت في مدينة «شاروهن»، وهم الآن من «يرز» حتى نهاية الأرض في استعدادٍ للثورة على جلالته.

غير أن هذه الترجمة قد عارَضَها الأستاذ «جاردنر» من وجوهٍ عدة.[١٨]

على أن سقوط «شاروهن» لم ينهِ حملةَ «أحمس» الأول في فلسطين؛ وذلك لأن لدينا جنديًّا آخَر يُدعَى «أحمس بنخبت» من مدينة «الكاب» أيضًا يخبرنا كيف أنه سار في

[١٦] راجع: Tatian, or. ad. Gr. 159 (J. E. A. Vol. 5, p. 54 Note 1).

[١٧] راجع: Sethe, A. Z. XLVII (1910) p. 84.

[١٨] راجع: J. E. A. Vol. V, p. 54 note 2.

ركاب الملك إلى «زاهي» أو «فينقيا»، حيث أسر أسيرًا ويدًا، أما عن «أحمس بن أبانا» فإنَّا نسمع عنه ثانيةً في بلاد النوبة حيث قام بأعمال جليلة جديدة، وكُوفِئ عليها بكرم.

أما الحملتان الأخريان اللتان حارَبَ فيهما في عهد «أحمس» الأول، فكانتا على ما يظهر في مصر نفسها، حيث قام عصيان أولًا بقيادة عدو مغمور الذكر، قد يُحتمَل أنه نوبي يُدعَى «آتا»، وثانيًا عصيان آخَر بقيادة شخص يُدعَى «تيتي عان»، وهو على ما يظهر من اسمه قد يكون مصري المنبت.

ما نستخلصه من رواية أحمس بن أبانا عن حروب الهكسوس

ومما يُؤسَف له أن قصة «أحمس بن أبانا» التي تكلَّمنا عنها الآن ينقصها كثير من التفاصيل الهامة لهذه الحروب، ومع ذلك فإننا من المكافآت العدة التي نالها «أحمس بن أبانا» ثمنًا لشجاعته — وقد كان فخورًا معتزًّا بها — نعلم بطريق المصادفة تقريبًا أن الهكسوس كانوا قد حملوا على «أحمس» خمس حملات، أربعًا منها في «أواريس» نفسها، وإذا كانت هذه الهجمات قد وقعت في خلال سنة واحدة أو أكثر، فلا سبيل إلى معرفة ذلك من النص الذي قدمناه للقارئ، ولكننا نعلم أنه عند نهاية الهجوم الخامس والأخير قُضِي على النفوذ الأجنبي جميعه؛ إذ قد أصبحت «أواريس» مدينة مخربة في وسط سهول الدلتا، وعلى إثر هذا الانتصار المبين، اقتفى «أحمس» أثر الهكسوس متجهًا نحو الجزء الشمالي من صحراء «سينا»، إلى أن تحصنوا بمدينة «شاروهن» الواقعة في فلسطين الجنوبية، وضرب عليهم الحصار فيها ثلاثة أعوام، «وشاروهن» بلدة ضمن قبيلة «سيمون» كما سبق،[١٩] وعلى الرغم من أن موقع هذه المدينة لم يُحدَّد بالضبط، فإنه من المحتمل أنها توجد ببلدة «تل الفارا» الحالية، وهي معروفة بأنها مؤسسة هكسوسية قوية؛[٢٠] وفي النهاية استولى المصريون على المدينة، وخلافًا لهذه الحقيقة العارية عن كل تفصيل لم يقصَّ علينا هذا الجنديُّ إلا ما كسبه بنفسه من غنائم وذهب الشجاعة الذي كُوفِئ به. أما الفصل التالي في تاريخ حياة «أحمس بن أبانا» هذا فخاص بحملات بلاد النوبة، وأقل ما

[١٩] راجع: Joshusa, 19. 6.

[٢٠] راجع: Albright, “The Archeology of Palestine & the Bible” 2nd. ed. New York 1933, p. 53 & n. n. 82–84.

نعلمه منها أن حدود البلاد الشمالية كانت في مأمن من أي اعتداء وقتئذٍ، وليس لدينا بعد ذلك إشارة إلى آسيا في التاريخ المصري حتى عهد «تحتمس» الأول، عندما قاد «أحمس بن أبانا» جيش الفرعون إلى «نهرينا» وهو طاعن في السن كما ذكرنا.

(٥) الدور الذي قام به أحمس «بنخبت» في حروب الهكسوس

على أن الحملة التي قام بها «أحمس» الأول على الهكسوس لم تكن نهايتها سقوط «شاروهن»، وقد رأينا فيما سبق أن الملك نفسه قد أشار إلى الخوف الذي كان يملأ قلوب الناس منه في أراضي «الفنخو»، هذا إلى ما جاء ذكره عن حروب هذا الفرعون في آسيا في تاريخ حياة «أحمس بنخبت»، وهو بطل من أبطال الجندية، وُلِد في نهاية الأسرة السابعة عشرة، وعمر حتى عهد الملك «تحتمس» الثالث، وقد ترك لنا تاريخ حياته على جدران مقبرته في «الكاب»[٢١] فيقول:

> لقد رافقتُ ملك الوجه القبلي والوجه البحري «نب بحتي رع» (أحمس الأول) المرحوم، وقد غنمت له من «زاهي» أسيرًا حيًّا ويدًا.

و«زاهي» هذه تُعرَف على وجه عامٍّ عند المؤرخين بأنها «بلاد فينقيا»،[٢٢] ولكنا في الواقع لا نعرف لأراضي «الفنخو» التي سبق ذكرها حدودًا جغرافية معينة قد وضعها الباحثون في عصرنا، كما أن القدماء لم يحدِّدوها لنا، وكل ما نعلمه أنها كانت على وجه التأكيد تقع شمالي «شاروهن».

[٢١] راجع: Breasted, A. R. II, §. 20; Urkunden IV, p. 35, 17.

[٢٢] ويقول عنها «زيته» إنها منذ الدولة الحديثة تعتبر الأراضي التي على ساحل فينقيا (راجع ترجمة: Urk. p. 9 note 4).

الإشارة إلى حروب الهكسوس في المتون المصرية

وهذه المصادر الضئيلة التي لا تشفي غلة هي كل ما وصل إلينا من وثائق مدوَّنة عن تاريخ الهكسوس السياسي حتى وقت طردهم من مصر جملة، وقد كان الفراعنة الذين جاءوا بعد هذا الحادث الجلل في تاريخ البلاد يشيرون إليه في نقوشهم، وإلى ما لاقته البلاد من بؤس وشقاء في عهد أولئك الغزاة القساة، فنجد على ما يظهر «تحتمس» الأول يشير إلى ذلك في نقوشٍ لوحةٍ كشف عنها في «العرابة» قال فيها: «لقد جعلتُ حدودَ مصر تمتد إلى ما تحيط به الشمس، ولقد هيَّأت النصر لأولئك الذين في وجل، ولقد أبعدت الشر منها، ولقد جعلت مصر تصبح سيدة، وكل أرض أصبحت عبيدًا لها.»[١] ويُلحظ في هذه العبارة أن الهكسوس لم يُذكَروا بالاسم، غير أنهم من غير جدالٍ كانوا في ذهن المؤلف وهو يكتب هذا المتن.[٢] وفي عهد الملكة «حتشبسوت» أصدرت الأوامر بحفر نقش على مدخل المعبد المنحوت في الصخر في «بني حسن»، وهو المكان المعروف الآن عند العامة باسم «إصطبل عنتر»، وعند اليونان باسم «سبيوس»، وسنتكلم عنه فيما بعدُ.

والجزء الخاص بالإهداء في هذا النص هو: «لقد أنجزت هذه الأشياء بتدبير قلبي، ولم أغفل بوصفي إنسانًا نساءة، بل لقد قويت ما تداعى، ولقد رتقت ما تمزَّق، وذلك

---

[١] راجع: Urkunden IV, p. 102; 11–15.

[٢] راجع: Urkunden IV, p. 647: 12, 648: 7.

منذ أن كان الآسيويون في «أواريس» الشمال ومعهم قبائل حائلة بينهم، هادمين ما كان قائمًا، وقد حكموا بدون «رع»، وإنه لم يعمل حسب الأمر الإلهي حتى عهد عظمتي.»[٣]

وفي الوقت الذي كان لا يخامر فيه الشك فكر أي إنسان في أن الهكسوس لم يَبْقَ لهم أي نفوذ فعلي مادي في البلاد بعد أوائل الأسرة الثامنة عشرة، كان لا بد من قيام أعمال حفر واسعة النطاق إلى حدٍّ ما للاقتناع بأن الهكسوس بقوا مستوطنين في فلسطين وسوريا حتى عهد «تحتمس» الثالث (١٤٧٩–١٤٤٧ق.م)، بل ويحتمل حتى عهد «أمنحوتب» الثاني (١٤٤٨–١٤٢٠ق.م)، وقد كان أول مَن فطن إلى هذه الحقيقة الأستاذ «برستد»، وقد بنى استنباطه هذا على ما لاحظه بذهنه الحاد عن أحوال بداية الأسرة الثامنة عشرة في غربي آسيا،[٤] فقد رأى أن آخِر طائفة للهكسوس لم يُقْضَ عليها إلا في حروب «تحتمس» الثالث، وقد وصل الأستاذ «زيته» كذلك إلى نفس النتيجة التي وصل إليها «برستد»، بانيًا رأيه على لقبٍ كان يحمله كلٌّ من «تحتمس» الثالث وابنه «أمنحوتب» الثاني، وهذا اللقب هو: «ضارب الهكسوس الذين هاجموه (حوي حقا وخاسوت بحوسو)».[٥] وكذلك نجد عبارةً تشير إلى وجود هذا اللقب في عهد «أمنحوتب» الثاني على لوحةٍ عُثِر عليها في «أمادا».[٦]

وسنرى فيما بعدُ إلى أي حدٍّ قد حقَّقَتِ الحفائرُ هذا الرأي.

---

[٣] راجع: J. E. A. V. p. 55, Urkunden IV. p. 390: 5–11 & J. E. A. XXXII p. 46 etc.

[٤] راجع: Breasted, "A History of Egypt", p. 220.

[٥] راجع: A. Z; XLVII, p. 86 ff.

[٦] راجع: ibid p. 85.

مدى فتوح الهكسوس في مصر

وقبل أن نترك موضوع الهكسوس كما نعرفهم من المصادر المكتوبة، يستحسن أن نفحص باختصار مدى امتداد نفوذهم الجغرافي في مصر خلال احتلالهم لها؛ فقد روى لنا «مانيتون» أن الهكسوس عند فتحهم البلاد قد استولوا عليها جميعًا، غير أن هذا التعميم يحتاج إلى إثبات بطبيعة الحال، ونحن لا نشك في أن الدلتا كانت في قبضتهم، وكذلك في العهد الأخير من الأسرة السابعة عشرة امتدَّ سلطانهم حتى مصر الوسطى كما نعلم ذلك من لوح «كارنرفون» الأول السالف الذكر، على أنه لا يمكننا أن نجزم حتى الآن فيما إذا كان الغزاة قد احتلوا البلاد جنوبي مصر الوسطى أم لا، هذا على الرغم من وجود آثارٍ تُنسَب إلى ملوك الهكسوس في هذه الجهة، مثل آثار الملك «خيان» كما ذكرنا سالفًا،[1] وآثار الملك «سوسرن رع» «أبو فيس»،[2] وهما ملكان من أعظم ملوك هذا العصر.[3]

وقد عارَضَ الأثري «هول» هذا الرأي؛ إذ كان يرى أن استعمال الملك «أبو فيس» ملك الهكسوس جرانيت «أسوان» لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كان مسيطرًا على البلاد حتى الشلال الأول.[4] وهذا الرأي منقوض؛ لأن وجود رخام بلدة «كرارا» خارج إيطاليا لا يعني

---

[1] راجع: Daressy, “Rec. Trav”, XVI. (1894) p. 42, No. LXXXVIII.

[2] راجع: ibid XIV, p. 26, No. XXX.

[3] راجع: Newberry p. S. B. A. XXX, p. 119 f. فيقول الأستاذ «نيوبري» إن الهكسوس لم يحتلوا البلاد قطُّ جنوبي «القوصية»، وقد بنى استنباطه هذا على قلة البراهين من مصر الجنوبية، ومن لوح «كارنرفون»، ومن نقوش «إصطبل عنتر» التى يظهر منها أن «حتشبسوت» لم تجد ضرورة لإعادة بناء معابد جنوبي المعبد الموجود جنوبي «القوصية».

[4] راجع: Hall, “The Ancient History of the Near East” (1920) p. 225.

أن إيطاليا بلد محتلة. والواقع أن التبادل المشترك أو التجارة وحدها يمكن أن يكون السبب في وجود الأحجار التي تُستخرَج من أرض الجنوب في بلاد الشمال.

على أنه توجد بعض أدلة قد تبرهن على أن ملوك الهكسوس كان لهم سلطان في الجنوب، فمثلًا نلاحظ أن الملك «خيان» خلافًا لتسميته نفسه «حاكم البلاد الأجنبية» كان يحمل لقب «ضام الأرضين»، أي مصر السفلى ومصر العليا؛[٥] حقًّا إن هذا اللقب له تأثيره على الآذان، ولكن هل هذا في نفسه برهان صادق يعتمد عليه كما هو؟ إن بعض ملوك الأسرة السابعة عشرة لم يحكموا الدلتا التي كانت وقتئذٍ في قبضة الهكسوس، ومع ذلك فقد استعملوا ألقابًا طنانة مثل «ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري»، وكذلك «رب الأرضين»؛ ممَّا يدل على أنهم كانوا يحكمون البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وهذا ما لا يبرره الواقع. ومن جهة أخرى تدل الأحول على أنه من الجائز أن تكون البلاد كلها منذ بداية حكم الهكسوس في الدلتا (ويحتمل كذلك معظم مدة حكمهم) كانت تحكم نفسها بنفسها بموافقة الغزاة.

ولدينا براهين معاصرة قد توضح لنا ذلك، ففي نهاية الأسرة السابعة عشرة نشاهد أن الملك «سقنن رع» الشجاع، كان يحكم في «طيبة» تحت نفوذ ملك الهكسوس كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق، ولكن من جهة أخرى ليس لدينا براهين فاصلة عن هذا النوع من الحكم في بداية عهد الهكسوس والعصر الذي جاء بعده، وليس في استطاعتنا أن نجزم بأن الهكسوس كانوا يسيطرون على الإقليم الذي فيه «طيبة»، أو الإقليم الذي في جنوبها، إلى أن تصل إلينا معلومات تؤكِّد ذلك، وكل ما يمكن زعمه في هذا الصدد هو أن بلاد الجنوب كانت تدفع جزية فادحة للهكسوس أصحاب السيادة في الدلتا، وقد بقيت الحال كذلك حتى ملَّ أهل الصعيد دفع الجزية، وأخذت قوتهم تزداد تدريجًا حتى انتهى بهم الأمر إلى أن هبوا في وجه الغزاة وهزموهم، وأخرجوهم من ديارهم أَذِلاء مشردين.

[٥] راجع: Edward Naville, “Bubastis”, Pl. XII & XXV A.

الهكسوس من المصادر الأثرية

لا جدال في أن علم الآثار منفردًا لا يمكنه أن يمدنا بنوع المعلومات التي تمدنا بها الوثائق المكتوبة، اللهم إلا إذا وُجِدت الوثائق في أثناء الحفر؛ لأن معظم القطع الأثرية تكون عاريةً من النقوش، والواقع أن المخطوطات تبحث في الآراء والحوادث والشخصيات، أما الآثار فخاصة بالأشياء الأكثر ماديةً، غير أن هذه الأشياء المادية قد تنطق أحيانًا بما لا تنطق به أية وثائق.

والواقع أنها قد نمت معلوماتنا كثيرًا عن الهكسوس. هذا، ونجد أن كلًّا من المصدرين مكمِّل للآخَر، كما أنه لا يمكن الاعتماد على واحد منهما دون الآخر.

ومع أنه قد تظهر مادة جديدة في عالم الوجود في أية لحظة زيادة عمَّا كُشِف، فإنه مما لا شك فيه الآن أن الهيكل العظمي الأثري لهذا العصر يمكن أن نعتبره قد تكوَّنَ واتخذ شكلًا ظاهرًا، ويرجع معظم الفضل في ذلك للأستاذ «ألبريت Albright» أولًا: لِمَا قام به من حفائر علمية دقيقة في «تل بيت مرسيم» في «يودا»، وثانيًا: لتطبيقه علم الآثار المقارن، ولا أدل على ذلك من تقاريره عن حفائر «تل بيت مرسيم».[١]

غير أن عمل «ألبريت» كان لا يمكن أن يأتي بثماره المطلوبة دون الملاحظات السابقة التي أدلى بها كبار الباحثين مثل الأب «فنسان» و«كلرنس فشر».[٢]

[١] راجع: Speiser, in Annual of the American Schools of Oriental Reseach, XII, (1932) and XIII, 55–127.

[٢] راجع: Pere Vincent & Clarence S. Fisher.

وإذا حاولنا أن نضع هنا بيانًا مختصرًا قد لا يفي بالمقصود عن الطريقة اللازمة للوصول إلى هذا الغرض، فإن ذلك قد يُعزَى إلى وجوب تحقيق المواد التي صنعها الهكسوس أو استعملوها في حاجياتهم. والواقع أنه قد اعترضَتِ الباحثَ في بادئ الأمر عدةُ عقبات، فقبل البحث المقارن كان بعض الآثار الخاصة بالهكسوس وحدهم (وهي التي لم تكن معروفةً بأنها من صناعة الهكسوس) قد أُرِّخت بعهد متأخِّر يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وهذه الغلطة قد صُحِّحت في الحال، ويرجع معظم الفضل في ذلك لوجود جعارين معروف تاريخها مع تلك الآثار؛ ومن ثَمَّ أصبحَتِ المسألةُ تنحصر في درس هذه الآثار على أنها داخلة في نطاق عهد الهكسوس.

(١) الكشوف الأثرية في فلسطين تزيد في معلوماتنا عن الهكسوس

وقد تقدَّمَتْ معلوماتنا تقدُّمًا محسوسًا في هذا السبيل في خلال السنين القليلة الماضية، ومن العجب أن هذا التقدُّم في الحصول على معلومات في هذا الصدد لا يرجع كثيرًا لمصر كما يرجع إلى فلسطين، وهذا الموقف يُعزَى إلى أن فلسطين من الوجهة الأثرية بلد فقير؛ إذ ليس فيها معابد فخمة أو مقابر ضخمة كما يوجد في مصر؛ ولذلك كان لزامًا على الأثري أن يتعرَّف ثانيةً تاريخَ البلاد القديم من فحص بقايا البلاد التي دُفِنت منذ زمن بعيد بكل دقة وعناية، وقد كانت نتيجة ذلك أنه أصبح في مقدور الأثري أن يضع المواد الأثرية الخاصة بعهد الهكسوس، في مكانها التاريخي بثقة، بسبب ارتفاع النيل في طبقات تربتها الآن؛ إذ لا نزاع في أن الدلتا هي المكان الذي يجب أن نتطلع إليه قبل أي مكانٍ للعثور على آثار قد تأثَّرَتْ بمدنية الهكسوس.

أما في «سوريا» فإن التقدُّمَ في هذا السبيل يسير بخطًى واسعة، غير أنه يجب أن نحوِّل أنظارنا في الوقت الحاضر نحو «فلسطين» وما يُكشَف فيها من آثار عملت على حسب حفائر نظمت موادها وفق الطبقات التي خرجت منها؛ إذ تُعتَبَر فلسطين الضابط الحقيقي لعصر الهكسوس في سوريا ومصر.

(٢) الدور الذي لعبته قطع الفخار في التاريخ

ولسنا في حاجة لتأكيد الدور الذي لعبته قطع الفخار في تقدُّم التاريخ الصحيح على حسبها، والواقع أنه على إثر إمكان تحديد فخار عصر الهكسوس، قد أصبح من الممكن أن نعرف نواحي أخرى من ثقافة هؤلاء القوم؛ فالآلات المعدنية مثلًا التي كانت في العادة توجد جنبًا لجنب مع فخار عصر الهكسوس، يمكن عدُّها من صناعة الهكسوس أيضًا. والواقع أنه أصبح من الميسور درسُ كلِّ نواحي بلدٍ ما من جهة الحياة والعادات والمميزات الهكسوسية.

ومع وجود أشكال عدة من الفخار في «فلسطين» خاصة بعهد الهكسوس، فإنها كلها لا تعنينا في هذا البحث، وسيكفي لغرضنا هنا ذكر القليل منها الذي يُعَدُّ من إنتاج الهكسوس بكل معاني الكلمة.

طراز فخار تل اليهودية

وأحسن طراز معروف خاص بعصر الهكسوس هو ما يسمى طراز «تل اليهودية»، وقد سُمِّي بذلك من اسم موقع هام يُنسَب للهكسوس في الدلتا، حيث قد وُجِد فيه هذا النوع من الفخار بكثرة.[٣] وهذا الفخار كمثري الشكل ذو رقبة طويلة ضيقة، وقبضته تمتد من كتف الإناء إلى حافته، وتمتاز بأنها مزدوجة، وتنتهي قاعدته في الغالب بزر، وظاهر الإناء مصقول، ولونه في العادة أسود غربيب، أو برتقالي لامع، وعندما يكون لون الإناء أسود فإن ظاهره يكون غالبًا مغطًّى بأشكال مختلفة غائرة، وهذه الخطوط الغائرة المؤلَّفة لهذه الأشكال مملوءة بصبغة بيضاء اللون.

وكذلك يوجد طرازان آخَران خاصان بعهد الهكسوس كبيرَا الحجم نسبيًّا، ولكل واحد منهما مقبض مثبت عند كتف الإناء.[٤] هذا، إلى إبريق صغير ظريف الشكل له قاعدة مدببة.[٥] ومن ذلك يُرَى في الحال أنه عندما يتعرَّف الإنسان على طراز من هذا الذي ذكرنا بأنه من صناعة الهكسوس، يصبح مساعدًا ذا قيمة لا تُقدَّر لكشف المواقع التي كان يحتلها الهكسوس.

---

[٣] راجع: Petrie, “Hyksos & Israelite Cites” (London 1906) Pl. VIII. p. 36 & 38.

[٤] راجع: Petrie, “Ancient Gaza”, II. (London 1932) Pl. XXXII. p. 43c 4.

[٥] راجع: e. g. O. I. p. XXXIII. Pl. 23: 6.

ظهور فخار من طراز جديد يدل على هجرة قوم جدد

ويُلحظ أنه بعد أن وطد الهكسوس أقدامهم بمدة في فلسطين قامت حركة هجرة أخرى تركت آثارها في البلاد، وليس لدينا وثائق مدوَّنة من فلسطين تدلُّنا على مَن هم هؤلاء القوم الجدد، ولكن الفخار ذا اللونين الذي كان يُرسَم عليه غالبًا أشكال طير أو شجرة أو سمكة،[٦] هو الذي كان يستعمله هؤلاء القوم، هذا بالإضافة إلى أختامهم[٧] الأسطوانية الشكل ذات الطابع الخاص، التي تجعلنا إذا ما قرَنَّاها بمثيلاتها مما يُصنَع في شمالي «مسوبوتاميا» نقترح بأن هؤلاء حوريون، وبعبارة أخرى نقول إن العناصر الجديدة من الفخار التي دخلت «فلسطين» يمكن قرنها بمواد استعملها قوم يسكنون شمالي «مسوبوتاميا» كانوا يتكلمون اللغة الحورانية،[٨] وستستعمل كلمة «حوراني» في هذا المعنى هنا، وإنْ كنَّا سنبرِّر استعمال هذا الاسم بأسباب أخرى فيما بعدُ.

وهذه العناصر الجديدة من الفخار مع كونها «حورانية» يجب أن نعتبرها هكسوسية؛ لأن الأساس الثقافي الذي وُضِعت قواعده على يد الهكسوس الأول قد استمر جنبًا لجنب مع الثقافة الجديدة، وكذلك لأن هذا التغيير قد ظهر في مصر قبل طرد الهكسوس منها بمدة ما (راجع المصدر عن ظهور الفخار الحوراني في العصر الذي يقع قبل الأسرة الثامنة عشرة في مصر فيما يأتي).[٩]

أما فيما يخص فلسطين وحدها، فإنه كانت توجد ثقافتان تُنسَب إحداهما إلى الأخرى في خلال احتلال الهكسوس للبلاد.

---

[٦] راجع: Ibid Pl. 46: 14–16. and 47; 14–17.

[٧] راجع: of Kirkuk. Nuzi type; See ibid p. p. 182–84 for Comparison of Seal designs from Nuzi & Megiddo.

[٨] راجع: Speiser in A. A. S. O. R. XIII. p. 13–54.

[٩] راجع: Petrie & Guy Brunton, “Sedement” (London 1924) I. Pl. XLV, 67–68 & 71; George Moller, “Die Archeol. Ergebinsse des Vorgesch Grabfeldes von Abusir el Meleq”: Alexander Scharff (W. V. D. O. G. XLIX. (1926). Pl. 70: 484–85); Brunton, “Qua & Badari.” III. Pl. XVI, 55 p. & R.

(٣) علاقة الهكسوس ببلاد مسوبوتاميا

ويلاحظ أنه لم يَرِد إلى مصر أيُّ صنف من الفخار الذي ذكرناه أبدًا، ولكن هذا لا يمنع نقل بعض الأفكار الصناعية إليها، وهذا مؤكد على ما يظهر في التقدُّم الزخرفي الذي يشاهد على القدور، ولكن الأوعية نفسها كانت تُصنَع في مصر كما يبرهن على ذلك وجود المصانع المحلية الخاصة بها، ووجود مقدار عظيم من الطراز الحوراني يجعلنا مُحِقِّين إذا أرجعنا سببَ ذلك إلى هجرة مباشِرة من بلاد «حوري» الواقعة شمالي «مسوبوتاميا» إلى مصر، على أنه من جهة أخرى توجد بعض أشياء مستوردة لا تحتمل الشك نشاهدها في زمن خرائب الهكسوس، وفي مدافن هذا العصر، وهذه الواردات معظمها من «قبرص».

(٤) انتشار تجارة الهكسوس ومدنيتهم

وفي الوقت نفسه نجد أواني من صناعة «الهكسوس» في «قبرص»، ممَّا يوحي بتبادل تجاري بين البلدين،[١٠] ولم تكن التجارة كاسدة في عهد الهكسوس، بل كان من المحتمل وجود موانٍ بحرية أكثر نشاطًا على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في ذلك العصر، وكان يزيد عددها على ما هو موجود الآن، وقد كان الهكسوس أصحابَ نشاط كذلك في ميدان صناعة المعادن،[١١] وتدل التحاليل العدة التي أُجرِيت في المعادن التي عُثِر عليها في فلسطين بأن النحاس كان المعدن الهام المستعمل في العهود التي قبل عصر الهكسوس، ولكن عند وفود القوم الجدد على البلاد أمكننا أن نرى بداية حلول عصر استعمال البرنز، ومن المعلوم أن أول ظهور للبرنز في أي مجتمع كان له دائمًا تأثير انقلابي؛ وذلك لأن مقدار القصدير الذي يضاف إلى النحاس، وهو المادة الهامة في تكوين

---

[١٠] راجع: Diedrich Fimmen "Die Kretisch–Nykenische Kultur" Leipzig und Berlin (1914. p. 159. Fig. 158).

[١١] راجع فحص تحليل المعادن التي وجدت في «مجدو» (O. I. p. XXXIII, p. 161). وقد نسب «إيفان» قطعة من النقوش المصرية ظهر عليها أفراد يحملون جزية في صورة سبائك من المعدن الأبيض يسمى «رحتي» إلى الأسرة الحادية عشرة (راجع: "Palace of Minos", II. (London 1928) p. 179–8). وقد ترجم قاموس برلين كلمة «رحتي» قصدير، ولكن «إيفان» يقول إنها تعني صفيح op. cit. p. 177 no. 3.

سبيكة البرنز، يكون عونًا في الحال على إحداث تحسينات فنية؛ لأن السبيكة الناتجة من هذا المزج تسهل عمل قالب نظيف، وكذلك تنتج معدنًا أشد صلابةً وأكثر نفعًا، فضلًا عن انصهاره بدرجة حرارة منخفضة،[١٢] وتوجد ميزة أخرى لهذه السبيكة، وهي إمكان معالجتها في قوالب مقفلة تكون نتيجتها إخراج أشكال جديدة.

وقد أحضر الهكسوس معهم هذا المخترع الفني إلى البلاد في صورة راقية رقيًّا بارعًا، ومن المحتمل أن فوائده كانت ظاهرة في حالات عدة في معاملاتهم مع البلاد التي لم تكن تعرف بعدُ البرنزَ وبخاصة مصر.

وليس من الضروري أن نعالج هنا أشكالًا معدنية معينة؛[١٣] لأن بعض هذه سيشار إليه عند فحص مسائل نوعية، ونكتفي هنا الآن أن نقرر بأنه يوجد طراز خاص يشمل الأسلحة والمجوهرات التي كانت على ما يظهر مميِّزة لعهد الهكسوس، وذلك ينطبق على أشياء أخرى مثل الجعارين، والأواني المصنوعة من المرمر، والمطعمة بالعظم، ومواد أخرى عُثِر عليها في بلاد أو مدافن تُنسَب إلى الهكسوس.

(٥) طراز التحصينات الخاص بالهكسوس

وطراز تحصين المدن الذي كان من أعظم مخصصات الهكسوس يتألف من طوار منحدر أو استحكام يُبنَى فوقه جدار البلدة نفسها، وزيادة في التحصين كان يحاط بحفر خندق أو حفرة في غالب الأحيان، وكان يُستعمَل في إقامة مثل هذا الطوار غالبًا المواد الموجودة في البيئة التي أُقِيم فيها هذا المبنى، مثل الرمل والطين واللبن والأحجار والجص. وكان تصميم بناء مدن الهكسوس يمليه إلى حدٍّ ما التكوين الطبعي للأرض التي ستقام عليها المدينة، فإذا كانت السلالة الجديدة قد عقدت العزم على أن تقيم بلدتها مثلًا على تل بيضي الشكل أو غير منتظم الأضلاع، لأجل أن تكون بالقرب من عين ماء أو لتستفيد من البناء على قلعة، فإن أفرادها في مثل هذه الأحوال يبنون جدرانهم حسب طبيعة المكان وما فيها من شذوذ.[١٤]

---

[١٢] راجع: Lucas, “Ancient Egyptian Materials”, 2nd. Ed rev. (London 1934) p. 174.

[١٣] راجع ملخص لذلك في «مجدو»: O. I. p. XXXIII, p. 163–77.

[١٤] وقد ثبت الآن أن الجدار المقام من اللبن الذي عثر عليه شميخر يرجع إلى عهد الهكسوس (راجع: “Tell el Mutesellim”, I (Leipzig, 1908) Pl. II). والأماكن الأخرى الذي ظهر فيها هذا

وهذا أمر على ما يظهر طبعي جدًّا، ومن خصائص بعض تحصينات الهكسوس أنها تميل إلى الشكل المستطيل أو المربع حينما تسمح بذلك طبيعة الأرض التي سيقام عليها المبنى. هذا، وقد لفت نظر الباحثين أن جوانب هذه المباني وأركانها، كانت تقام مواجهة الجهات الأربع الأصلية، وقد كشف عن مثل هذه التحصينات في الوجه البحري، وفي فلسطين وسوريا، وفي معظم الأحيان قد عرفت أنها من مباني «الهكسوس» بخصائصها، وقد كان أحسن معسكر مستطيل الشكل، وهو الأول الذي عُرِف أنه من بناء الهكسوس، هو المعروف الآن بـ «تل اليهودية» في الدلتا.[١٥]

وصف حصن تل اليهودية

وكانت مساحة المبنى نحو ١١٠٠ قدم مربع من الداخل، وأركانه مستديرة، وله رصيف من الرمل مطلي بالجص، وقد دُعِم بعناية من الداخل بجدارٍ واقٍ كان يبلغ اتساعه عند القاعدة ما بين ١٣٠ و٢٠٠ قدم، أما في الجزء الأعلى فكان يتراوح ما بين ٥٠ إلى ٧٠ قدمًا، وكان الطوار ينحدر بزاويةٍ متوسط انفراجها نحو أربعين درجة، وتدل الشواهد على أن الاستحكام لم يكن يعلوه جدار؛ لأنه كان بطبيعته عاليًا بقدر الحاجة، وكان لهذا الحصن طريق طويلة منحدرة تؤدِّي إلى باب محصن أُقِيم على قمة الاستحكام، وعلى مسافة أحد عشر ميلًا جنوبي «هليوبوليس» أُقِيم بناء مماثل للسابق، غير أنه كان أكثر بساطةً منه، مربع الشكل، أركانه مستديرة، ولم يكن له على ما يظهر مدخل على مستوى الطريق

الطراز هي تل ببيت مرسيم (Albright, in A. A. S. O. R. XII, p. 19, B. A. S. O. R. No. 47 (Oct. 1932) p. p. 8 f., "Archaeology of Palestine and the Bible", (2nd Ed.) p. 86); Tell el Duwair (J. L. Starkey in p. E. F. Q. S. (1934) Pp. 167–70); Jericho (John Garstang in p. E. F. Q. S. (1930) Pls. IV & VI; (1931) PP 187–90); Tell Taa'nnak (Ernst Sellin, "Tell Taa'nnak", K. Akademie der Wissenschaften in Wien, "Denkschriften" L. 4 (1904) Plan following Pl. XIII); Tell el'Ajul (Petrie, "Ancient Gaza", II, 1, 3 and 13, and Pls. XLIV, LI), Tell el Fara, (Petrie, "Beth Pelet" I, 16, Pl. XIII); Ascalon (Garstang, p. E. F. Q. S, 1922 Pp. 122 ff. and Joshua–Judges (London, 1931) p. 359); Tell el Hasi, (F. J. Bliss, "A Mound of Many Cities," (New York and London, 1894), p. 18).

[١٥] راجع: Petrie, "Hyksos & Israelite Cities", Pl. II–IV. & Pp. 3–10.

العامة،[١٦] ويشير هنا «بتري» إلى حظائر أخرى عظيمة مسورة دون وجود أي باب أصلي، وقد لحظ مثل ذلك في الدلتا، وكذلك في مصر الوسطى.[١٧]

وفي فلسطين كُشِف عن موقعين حصن كل منهما على وجه عام مستطيل الشكل، وفي سوريا كُشِف عدد من هذا الطراز، أهمها الحصن الذي وُجِد عند بلدة «مشرفة» (قطنا القديمة)،[١٨] وحجم هذا الحصن ضخم جدًّا؛ إذ تبلغ مساحته مساحة «تل اليهودية» ست مرات، والواقع أن كل المواقع التي أقامها الهكسوس كانت تحتوي على طوار في صورة ما.

ويظهر على قدرِ ما وصلَتْ إليه معلوماتنا أن الطوار والاستحكام المربع كانا فكرة خاصة بالهكسوس؛ ولذلك عندما نرى هذا الشكل من البناء في «سوريا» أو في «فلسطين» أو في «مصر»، نعرف أنها أقاليم خاضعة لنفوذ الهكسوس، وإذا حكمنا على الهكسوس من هذه الناحية فقط أيقَنَّا أنهم شعب محارب، ولدينا في الواقع من الأسباب الأخرى ما يحملنا على الاعتقاد بأن الهكسوس كانوا كذلك في بعض الأوقات، وهذه الآراء الجديدة، وكل الآراء الأخرى التي تصادفنا في الأوساط الهكسوسية تجعل الإنسان بطبيعة الحال يفحص مسائل أصلهم، وسنقوم بمحاولةٍ للإجابة على بعض هذه المسائل في فصل خاص.

(٦) الهكسوس يجلبون الخيل والعربات إلى مصر

وإذا كنَّا نرى أن كثيرًا من نجاح الهكسوس يُعزَى إلى أسلحتهم المتفوقة وحصونهم الممتازة، فلا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن الخيل والعربات قد لعبت دورًا كبيرًا في أقدارهم، والواقع أن الهكسوس كانوا يعتبرون منذ زمن بعيد أنهم هم الذين جلبوا هذه العناصر الجديدة الهامة من المدنية إلى مصر، وقد كان سندنا الهام في ذلك لغويًّا، وقد كانت أول إشارة وردت في المتون المصرية عن الخيل واستعمالها في المتون المصرية، ما جاء في

---

[١٦] راجع: Hazor W. M. F. Petrie & Ernest Mackay, “Heliopolis, Kafr Ammar and Shurafa”. (London 1915) Pls. I–VI. & p. p. 3 f.

[١٧] راجع: Garstang in A. A. A. XIV. (1927) 35–42 & Joshua-Judges (هازوز) p. 371–83, & Sechem (ملاطة الحديثة) Gabriel Welter in Archeologi Scher Anzeiger etc. (1932), cols, 294–96 & Albright, in J. p. O. S. XV. (1935), p. 224.

[١٨] راجع: “Du Mesnil du Buisson”, La Site Archeologique, de Mishrife-Qatna (Paris 1935) p. p. 40–42. & Pls. I–II. etc.

لوح «كارنرفون» الأول بلفظة «حترو» أي: الخيل،[١٩] والآن يأتي علم الآثار متقدمًا بنفس القصة، فقد أمدتنا الحفائر التي قام بها السير «فلندر زبتري» في «تل العجول» الواقع في جنوب فلسطين بمعلومات عظيمة عن الحصان بوصفه حيوانًا خاصًّا بالهكسوس؛ إذ لم يظهر الحصان هناك حيوانًا يسرح فقط، بل كذلك عُثِر عليه في ودائع الأساس (أي: يُقدَّم قربانًا)؛ هذا إلى أنه كان مظهرًا هام من مظاهر المدافن الآدمية، فكان يُوضَع ضمن القرابين التي تُوضَع مع الميت،[٢٠] وعلى الرغم من أنه لا توجد إلا أمثلة قليلة نسبيًّا تدل على امتطاء صهوة ظهور الخيل، فإن الحصان كان عمله الرئيسي في الأصل ينحصر في جر العربة، وقد بقيت الحال كذلك إلى عصور التاريخ المتأخرة، والأسباب الداعية لذلك ليست واضحة، غير أنه من الجائز أن الأحوال التي جُلِب بسببها الحصان قد تكون هي التي هيَّأت طريقة استعماله؛ أما ما يقال بأن صِغَر حجم الحصان هو الذي جعله غير صالح للركوب، فقول مردود على مَن ادَّعاه؛ إذ نعلم أن الحمار كان أصغر حجمًا من الحصان، ومع ذلك كان يُركَب في مصر منذ زمن بعيد جدًّا قبل عهد الهكسوس.

(٧) عظم مدنية الهكسوس

ولا نعلم حتى الآن من الآثار عن أحوال الهكسوس ومظاهر حياتهم إلا القليل، فإذا ألقينا نظرةً على حياتهم كما نتصوَّرها على أساس البلاد الأثرية المكشوفة حديثًا، وما عُثِر عليه في مقابرهم، اتضح لنا أنهم قوم على جانب عظيم من المدنية، بل كانوا أكثر تقدُّمًا في بعض النواحي من جيرانهم في وادي النيل، الذين كانوا يُعتَبَرون أقدم منهم، فصفاتهم الحربية ظاهرة في كثيرٍ من المواد التي شاهدناها حتى الآن، ولكن إذا كان ذلك يستلزم أن ننظر إليهم بأنهم قد بقوا قبيلة بالمعنى المتعارَف لكلمة قبيلة مدةً طويلةً بعد نزولهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط، فإن ذلك لا يرتكز على حقائق ثابتة، بل على العكس لدينا أمارات عدة على أنهم كانوا يعيشون عيشة منظمة بالمعنى الاجتماعي الصحيح، فقد خططوا البلدان المنظمة التي راجت فيها التجارة، وقد كان صانع الفخار عضوًا هامًّا في

[١٩] راجع: J. E. A. III. p. 107.

[٢٠] راجع: Petrie, “Ancient Gaza” I. (London 1921) p. 4 f. & Pls. VII–IXc. LVII; 114 & 14; IV. (London 1934) 16. & Pls. XXIII. & XXV. Mouth–pit.

الجماعة، فقد كانت أوانيه الجميلة الصنع يُوضَع فيها محاصيل الحقول الخصبة، وكان الحدَّاد وصائغ المجوهرات كلٌّ ينتج في صناعته بمهارة فائقة، ولم تشهد من قبلُ السواحلُ الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط إتقانًا في ميدان صناعة المعادن، والواقع أن هذا الإتقان لم يكن ميسورًا قبل تقدُّم عمل السبائك والتفنُّن فيها، وهو ما ظهر على يد الهكسوس في صناعتها.

ولا نزاع في أن التجارة بين الجماعات كانت من الأشغال اليومية العادية، ومع هذا فإن البرهان على ذلك كان يظهر للباحث أصعب وأشد تعقيدًا من البرهنة على التجارة بين الأقطار النائي بعضها عن بعض، فنعلم أن «قبرص» ومصر «وفلسطين» و«سوريا» كانت تتجر سويًّا في مواد مختلفة في خلال عهد احتلال الهكسوس للبلاد كله؛ فقد كان كل ساحل سوريا وفلسطين يزخر بالموانئ البحرية الصالحة للتجارة، وكانت المواد الكمالية تأتي من قبرص إلى هذه الموانئ، ثم تُوزَّع منها إلى الداخل، كما كانت محاصيل الهكسوس تُشحَن إلى قبرص؛ فهذه الأدلة وغيرها توضِّح لنا بجلاء أن حياة الهكسوس كان لها شأن ومكانة راسخة لم يعترف بها كل المؤرخين، ولا نزاع في أن كل ما أتى به الهكسوس من جليل الأعمال التي أشرنا إليها لا يمكن أن يتم في جو كله حروب مستديمة، بل يجب أن تُعزَى تلك الأعمال إلى قوم على جانب عظيم من المهارة، قد اعتنقوا طرائق الحياة المتمدينة التي تحيط بهم عندما حطوا رحالهم واستقرَّ بهم المكان.

الأدلة على وجود الهكسوس في عهد الأسرة الثانية عشرة

والآن ننتقل إلى نقطة عويصة في تاريخ الهكسوس لم تُبحَث حتى الآن بطريقة علمية منظمة، وهي وجود عنصر الهكسوس في مصر في عهد الأسرة الثانية عشرة، قبل أن يغزوا البلاد جملةً، وسنرى أن المواد الأثرية التي كُشِف عنها قد لعبت دورًا هامًّا في كشف النقاب عن الجواب على هذه المسألة، والواقع أن وضع تاريخٍ متصلِ الحلقات مهما كان سليمًا في نظرنا، لا بد أن يعتمد في خطاه الأولى على المواد الأثرية، على أن الأهمية التامة لذلك لا يمكن تحقيقها إلا إذا كان هذا التسلُّل مؤرخًا بطريقة ما، ثم تحقيقها على ضوء ما يقابله بالنسبة للأقطار المحيطة، ونحن هنا سنعالج موضوعًا خارجًا عن حدود عهد احتلال الهكسوس لمصر، وهو العهد الذي ينحصر على ما يظهر من المتون المصرية بين عامَيْ ١٧٥٠ و١٥٨٠ق.م؛ وإذا فحصنا اتجاه حركة هجرة الهكسوس، رأينا من الواضح أنهم قد استوطنوا سوريا وفلسطين قبل أن يحتلوا البلاد المصرية، ولكن السؤال الهام هو: ما مقدار السرعة التي احتُلَّتْ بها هذه الأماكن؟

والجواب على ذلك يتوقف على طريقة الغارة التي قام بها هؤلاء الغزاة، هل كان هجومًا خاطفًا مخربًا، أو كان تقدُّمًا جاء تدريجًا وعلى مهل، ولكن بقوة متزايدة ذات مفعول محس؟ ولا نزاع في أن طريق فحص مثل هذا الموضوع مليئة بالأحابيل التي تستلزم اليقظة والانتباه التام، وسنفرض أولًا أن الفخار والحصون والأشكال المعدنية، والمواد الأخرى التي ذكرناها فيما سبق كلها دلائل تحدثنا عن وجود الهكسوس في البلاد، وقد زعمنا أن كل فخار «تل اليهودية» وكذلك كل الفخار والأشياء الأخرى التي توجد معه، متصلة بالهكسوس، وكذلك اعتبرنا الثقافة الجديدة الخاصة بعصر البرنز المتوسط، وهو

ذلك العصر الذي يختلف اختلافًا يكاد يكون تامًّا عن التقاليد الثقافية لعصر البرنز الأول؛ لأنه جاء عن طريق الشعب الجديد وهم الهكسوس؛ فإذا حاز هذا الرأي قبولًا حسنًا فإنَّا نكون في حلٍّ من أن نحاول تأريخ بقايا آثار الهكسوس كما وجدناها في سوريا وفلسطين ومصر.

عندما وجد علماء الآثار طراز أواني «تل اليهودية» لأول مرة عدوه من إنتاج الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، ولم يكن مفهومًا وقتئذٍ أن هذه الأواني من إنتاج عصر الهكسوس، ولكن عندما عُرِفت صلتها بالهكسوس فيما بعدُ، تنحَّى العلماء عن اعتبارها معاصرة للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة؛ وذلك لأن عصر الهكسوس قد خلف سقوط الدولة الوسطى، وقد كانت المؤثرات السياسية والثقافية تُعتَبران إلى حدٍّ بعيد متعاصرتين، أي إنهما تقعان في عهد واحد؛ فمثلًا نجد الأستاذ «بيت» peet يحدثنا بالبيان التالي عن أواني «تل اليهودية»: أما فيما يتعلق بتاريخ هذه الأواني المحززة فليس فيه صعوبة كبيرة؛ إذ لا أعرف مثالًا واحدًا من عهد الأسرة الثانية عشرة.[١] ولا شك في أن هذا الدفاع كان طبيعيًّا للغاية بالنسبة لمعلومات الوقت الذي قيل فيه، ولكن منذ أن كتب الأستاذ «بيت» ما كتبه، ظهر في جو الكشوف الأثرية براهين جديدة في متناول الباحث الآن، وهي التي على ضوئها أصبح من الممكن إعادة فحص المواد القديمة التي سبق الحكم عليها خطأً، وفي الصفحات التالية سنستعرض البراهين الخاصة بهذا الموضوع كما وجدناها في مواقع أثرية تمتد ما بين نوبيا وسوريا.

آثار الهكسوس في «بوهن»

ففي «بوهن» القريبة من «وادي حلفا» من أعمال بلاد النوبة، عُثِر على عدة أوانٍ من طراز «تل اليهودية»، وقد ذكر كلٌّ من الأثريين «راندل ماك إيفر» و«وللي» أنه على الرغم من علمهما بأن فخار «تل اليهودية» هو من مميزات عهد الهكسوس في مصر، فإنهما مع ذلك لم يجدَا محيصًا من تأريخ أقدم نوع من هذا الطراز، وهو الذي وُجِد في «بوهن» بالأسرة الثانية عشرة؛ وذلك لأنه قد عُثِر على قطعتين أثريتين في الجبانة القديمة التي وُجِد فيها هذا الطراز من الأواني الفخارية، منقوش على كلٍّ منهما لقب الفرعون «أمنمحات الثالث»

[١] راجع: Naville and Peet, “The Cemetries of Abydos II”, (London 1914). p. 68.

(١٨٤٩–١٨٠١ق.م). هذا، ولم يوجد في هذا المدفن الذي نحن بصدده ما يمكن تأريخه بعهد بعد الأسرة الثانية عشرة.[٢]

آثار الهكسوس في الفيوم

وقد عُثِر كذلك في «الحرجة» الواقعة بالقرب من «الفيوم» على أوانٍ سوداء من طراز «تل اليهودية» المحزز بأشكال مملوءة باللون الأبيض، وقد عُثِر عليه في «الجبانة» ب التي تحتوي على مقابر حفرت في هيئة آبار، وقد أُرِّخت إحدى هذه الآبار بعهد الفرعون «سنوسرت» الثالث (١٨٨٧–١٨٤٩ق.م)،[٣] وقد وُجِدت أمثلة أخرى من هذا الطراز في أكوام من قطع الفخار المنسوبة للفرعون «سوسرت الثاني» (١٩٠٦–١٨٨٧ق.م). وقد قال عنها «انجلباخ»: إن معظم الأمثلة على ما يظهر قد انحدرت إلينا مع طائفة الصناع الذين كانوا يعملون في بناء هرم «سنوسرت الثاني» في «اللاهون».[٤]

آثار الهكسوس في اللشت

وقد وُجِد في «اللشت» الواقعة عند مدخل الفيوم عدة قطع من طراز «تل اليهودية»، بما في ذلك إبريقٌ ذو مقبض مزدوج، ومحلًّى بطيور ملونة وسمك، وقد وُجِد في نفس البئر المؤرخة بالأسرة الثانية عشرة عدة أوانٍ سوداء محززة، ولها مقابض وتُنسَب إلى طراز أواني «كاهون»، أيْ طراز «تل اليهوديةً»،[٥] وقد وافَقَ المستر «أمبروز لانسنج» على هذا التأريخ عندما كان يتحدث عن أعمالٍ قامت بعدُ في نفس هذا الموقع بقوله: «وجدت قطعة من نفس الفخار في حفرة منفردة يرجع تاريخها للأسرة الثانية عشرة، وقد كانت كل

---

[٢] راجع: D. R. Maclver and C. Woolley, “Buhen”, (Philadelphia 1911) p. p. 33. ff.

[٣] راجع: Engelbach, “Harageh”, (London 1923) p. 3.

[٤] راجع: ibid p. 10. Or. p. 18. Refrences is made to another pot. Pl. XLI. 99 d, found in apparently late 12 Dyn. Context Or. p. 17 fragment of the same type (Pl. X. 16) is attributed to IInd Dyn. This example stands alone as evidence of such an early date & naturally requries corroboration.

[٥] راجع: A. Mace in Bulletin of the Metropolition Museum of Art. (1921) Nov. Part. II. p. p. 17 f. & fig. 18.

محتوياتها أشياء من الأسرة الثانية عشرة، غير أنه لم يوجد من بينها قطعة مؤرخة بعهد ملك خاص.» ويجب أن نضيف إلى ما قاله أن هذه كانت القطعة الوحيدة التي وقعت تحت نظر المستر «لانسنج» مباشَرةً، والتي يمكن أن تُؤرَّخ في نظره بالتحديد إلى عهدٍ يرجع إلى الأسرة الثانية عشرة، على حين أنه كانت توجد قطع أخرى قد تكون من هذا العهد يمكن أن يرجع تاريخها كذلك إلى العهد الإقطاعي.

وقد كشف في «كاهون» الواقعة عند مدخل «الفيوم»، وهي التي ظهرت في عالم الوجود عندما أقام «سنوسرت» الثاني هرمه؛ عدة أشكال من الفخار المنسوب إلى «سوريا» في «فلسطين». ويقول الأستاذ «بتري» إن فخار «تل اليهودية» الأسود اللون قد وُجِد مع آثار أخرى يرجع تاريخها للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة،[٦] ولكنه قال فيما بعدُ: إن هذا الفخار لم يكن معروفًا حتى الآن في مصر في أي عصر من عصور تاريخ البلاد، إلا في عهد الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، وهذا يوجهنا إلى أن الفخار المستخرج من «كاهون» يجب أن يُفحَص فحصًا دقيقًا؛ لأنه علم فيما بعدُ أن طراز فخار «تل اليهودية» كان من خصائص الإنتاج الهكسوسي. وقد ذكر لنا «هرمان ينكر» أنه لا يوجد أساس لاعتبار فخار «كاهون» من عهد الأسرة الثانية عشرة،[٧] وأنه لمن الجائز أن يكون قد صُنِع بعد هذا العهد بزمن كبير، غير أنه على ما يظهر لا توجد براهين تدحض نسبته للأسرة الثانية عشرة.[٨]

آثار الهكسوس في كاهون

وكذلك عملت حفائر في «كاهون» في سنة ١٨٨٩، وقد وُجِد فيها ثانيةً قِطَع فخار من هذا النوع، وعُزِيت للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، غير أن هذه لم يكن في الإمكان تحقيقها بطريقة مرضية.[٩]

---

[٦] راجع: Petrie, “Kahun, Gurob and Hawara”. (London 1890) p. 25; See also Pl. XXVII, 199–202.

[٧] راجع: Ibid p. 42.

[٨] راجع: Herman Junker, Die Nubische Ursprung der Sogennanten Tell el Jahudiyeh-Vasen, “Akademie der Wissenschaften in Wien, Philos-Hist. Klasse”, Sitzungsberichte, CXCVIII, 3. Abhandlung (1921) p. 83.

[٩] راجع: Petrie, “Illahun, Kahun and Gurob”, (London, 1891), Pl. I. 17, and 20–21, p. 10.

ولكن لحسن الحظ عُثِر على طراز آخَر من الفخار يُنسَب إلى شكل طراز خاص بالهكسوس،[١٠] قد أشرنا إليه فيما مضى، ولكنه في هذه الحالة قد أُرِّخ بعهد «سنوسرت» الثاني (١٩٠٦–١٨٨٦ق.م).[١١]

وتفسير هذه الحجة بوصفها ذات علاقة بظهور الهكسوس في مصر يمكن أن يُعزَى إلى جلب عمال من «سوريا» و«فلسطين» للعمل في إعداد هرم هذا الملك، أو لإقامة مبانٍ أخرى ومشاريع للريِّ في الجهة المجاورة، وتاريخ الفخار الذي يجب أن يكون مبكرًا عن تاريخ ظهور الهكسوس حقيقة في مصر يجد سندًا إضافيًّا في الأدلة الحديث التي عُثِر عليها في «ببلوص» الواقعة على شاطئ سوريا.

آثار الهكسوس في ببلوص من عهد الأسرة الثانية عشرة

ففي القبرين رقم واحد ورقم اثنين في «ببلوص»، وهما في كل مظاهرهما يرجعان إلى عهدَيْ «أمنمحات الثالث» و«أمنمحات الرابع» (١٨٤٩–١٧٩٢ق.م)؛ عُثِر في قبر رقم ١ على إناء من حجر الأبسديان نُقِش عليه لقب «أمنمحات الثالث»، وفي القبر رقم اثنين وُجِد فيه صندوق من الأبسديان كذلك، وعليه لقب «أمنمحات الرابع»،[١٢] ووُجِدت أمثلة عدة لطرازين من الفخار يُنسَبان بوضوح إلى الأشكال الهكسوسية التي سبقت الإشارة إليها.[١٣]

وقد كشفت الحفائر الحديثة في «ببلوص» عن وجود طراز جديد آخَر متصل بقائمة فخار الهكسوس، ويمكن قرنه بفخار «بيت مرسيم»[١٤] (G–F.) الملوَّن، ويدل المتن الذي معه على أنه أقدم من القبر رقم واحد والقبر رقم اثنين، اللذين عُثِر عليهما في «ببلوص»، على أنه يكاد يكون من المستحيل الآن أن نحكم من أدلة «ببلوص» على مقدار هذا القدم.

---

[١٠] راجع: Ibid. Pl. I. II.

[١١] راجع: Petrie, ibid, p. 9.

[١٢] راجع: Montet, “Byblos et l’Egypte”, Pp. 155–159.

[١٣] راجع: Ibid Pls, CXVI. 791. and 800 & CXVIII, 791 & 800. Pere Vincent “Revue Biblique”, XX. (1922), p. 178.

[١٤] راجع: A. A. S. O. R, XIII. p. 69–71.

ولكن على ما يظهر كان هذا الفخار من عصرٍ لا يخرج عن نطاق القرن التاسع عشر ق.م، وذلك بسبب تاريخ القبرين رقم واحد ورقم اثنين، ومع ذلك فإن هذه الأدلة لا يجب أن تعبِّر عن أن الهكسوس كانوا يحتلون «ببلوص» في ذلك الوقت، وإن كان من الجائز وجود بعض أفراد الهكسوس وقتئذٍ في المدينة، والذي يظهر مؤكدًا هو أن الهكسوس كانوا معاصرين لأهل «ببلوص» في تلك الفترة.

والقول بأن فخار «مرسيم» (G–F.) يُنسَب إلى الهكسوس، يرتكز جزئيًّا على معاصرة فخار «مرسيم» لأقدم طراز من الفخار وُجِد في «تل اليهودية»،[١٥] وتوجد أدلة تعضد وجهة النظر هذه فيما أنتجته الحفائر التي عُمِلت في «تل كيسان» في سهل «عكة»؛ حيث وجد الأثري «رو» أن هذا الطراز من الفخار الملون كان أحدث ما لُوحِظ في حشو طوارات الهكسوس التي كانوا يقيمون عليها حصونهم.[١٦] والمنطق هنا هو أن يفترض الإنسان أن أحداث مواد توجد في بناءٍ مثل بناء الطوار الذي تتألَّف مواده إلى حدٍّ ما من تراب ومواد أخرى؛ أُخِذت من جهة مجاورة تمكِّن الإنسان من أن يؤرِّخ بها المبنى، فمثلًا الجدار الذي يوجد فيه قطعة نقود مطبوعة باسم الإمبراطور «هدريان» لن يكون أقدم من عهد «هدريان»، وبطبيعة الحال يمكن أن يكون الجدار قد بُنِي في أي عهد آخَر بعد عهد هذا الإمبراطور.

ولكن هذا الموقف يختلف بعض الشيء في حالة طوار بالنسبة لطريقة بنائه؛ إذ لا يمكن منع وجود قطع من الفخار في التراب المحلي الذي استُعمِل في حشوه.

وقد استعملت هذه البقايا الأثرية التي عُرِف تاريخها بصفة محققة أساسًا لبحثنا، وبخاصة تلك التي وجدت فيها مواد يمكن تأريخها خلافًا للفخار الذي نحن بصدده.

ولا يزال كثير من المواد الأثرية التي نسبها الحفارون للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة باقيًا، غير أنه لا يمكن عقد موازنة بينها على الوجه الأكمل![١٧]

على أن تفسيرنا للحجج السابقة يمكن الاعتراض عليه، ولكن إذا قبلت نظرية وجود الصفات المادية المعينة الخاصة بالهكسوس بأنها تحمل معنى وجود الهكسوس عندما

---

[١٥] راجع: Ibid. p. 79.

[١٦] راجع: Albright, A. A. S. O. R. XVII. (1938) p. 24.

[١٧] راجع: Griffith, “The Antiquities of Tell el Yahudiyeh” Egypt–Exploration Fund, Seventh Memoir, (London. 1890) Pp. 33–74, p. 56, Pl. XIX; for Khataanah material, G. A. Wainwright, “Balabish” (London, 1920) p. 66. esp. note. 5.

نجد لأول مرة هذه الصفات المميزة، فعندئذٍ يكون من الصعب أن ننظر إلى الحالات التي عرضناها الآن نظرة مخالفة.

يضاف إلى ذلك حقيقة أخرى، وهي أن هذه البراهين قد جاءت إلينا من عدد من الأماكن تقع في نطاق مساحة (جغرافية)[١٨] شاسعة.

وهكذا حتى الآن كان أساس بحثنا مرتكزًا على الفخار، ولكن قد يكون في الإمكان الحصول على صورة مماثلة للتي عرضناها إذا كان في مقدورنا معالجة أشياء من مواد أخرى غير الفخار، مثل الذهب والبرنز والعظم بنفس الثقة؛ ولكن الواقع أن علم الآثار المقارن لم يصل إلى الحدِّ الذي يمكن فيه معالجة الأشياء الصغيرة، التي يمكن أن تكون ذات أهمية في فهم ثقافة حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي في باكورة الألف الثانية قبل الميلاد. ولا نزاع في أن فحص النفوذ الأجنبي الذي برهن على وجوده بقطع آثار صغيرة يرجع تاريخها إلى عهد الدولة الوسطى في مصر، ستستمر متابعته بثقة متزايدة وفائدة أعظم بعد عمل قوائم شاملة للأشكال الفلسطينية.[١٩]

الآثار الأخرى التي تُنسَب إلى الهكسوس

ويظهر حتى الآن أن بعض أشكال الأسلحة الآسيوية قد جلبها الهكسوس إلى حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبي الشرقي في خلال عهد الدولة الوسطى، مثال ذلك: السيف «خبش»، وقد سُمِّي بذلك لأنه يشبه مقدمة ساق الحيوان،[٢٠] وكذلك مقبض خنجر على صورة هلال كالذي وُجِد في مقبرة «إتا»،[٢١] وفي نقش ملوَّن في مقابر «بني حسن»[٢٢] يرجع تاريخه إلى أوائل الأسرة الثانية عشرة يشاهد آسيويون يستعملون «بلطا» من طرازٍ يوجد

---

[١٨] وقد قال: قيل إن غزو الهكسوس قد حدث بعد انتهاء الأسرة الثانية عشرة مباشرة (راجع: J. E. A. XXI. p. 23) غير أن البراهين التي ارتكز عليها واهية من أساسها.

[١٩] ونجد ملخصًا في (O. I. P, XXXIII. table. V) للأشياء التي وجدت في المقابر الهكسوسية في مجد، ومع الإشارة إلى الاتصالات الأجنبية.

[٢٠] راجع: Montet, “Byblos et l’Egypte”, Pl. XCIX–C.

[٢١] راجع: J. de Morgan, “Fouilles” a Dahchour” 1894–1895 (Vienne, 1903), Pl. VI, cf. O. I. p. XXXIII, Pl. 149: 2–3.

[٢٢] راجع: Newberry, “Beni Hasan”, I. Pl. XLVII.

عادةً في «سوريا».[٢٣] أما مسألة النقوش أو أشكال الحلية الحلزونية التي نشاهدها على الجعارين التي كانت تستعمل أختامًا في عهد الأسرة الثانية عشرة، فإنها تحتاج إلى دراسة خاصة.[٢٤] وتوجد أدلة على أن هذه الجعارين قد صُنِعت في مصر، وكذلك لدينا براهين على أنها قد صُنِعت خارجها،[٢٥] وإذا سلم بأن فكرة الشكل الحلزوني قد استعارتها مصر، فقد يصبح من الضروري إذن أن نفحص الفن «المنواني» المبكر.[٢٦]

والدور الذي قام به الهكسوس في هذا الموضوع يخالف الحقيقة الثابتة في أن النقوش التي على الجعارين كانت من مميزات الهكسوس،[٢٧] وقد اختفت باختفائهم، وهذه مسألة مشكوك فيها، فنجد أن كلًّا من «نيوبري» و«جارستانج» يرى في مميزات بعض مجوهرات الأسرة الثانية عشرة التي وُجِدت في «دهشور»؛ أنها قد ترجع إلى تأثير أجنبي، وأن الحوادث التي تلت قد كشفت عن أهمية هذه الأشياء؛[٢٨] غير أنه قد يكون من باب المخاطرة ادِّعاء أن كل العناصر الجديدة في ثقافة الأسرة الثانية عشرة قد شملتها يد أجنبية، وإنْ كانت توجد دلائل على أن بعضها قد تأثَّرَ فعلًا بعوامل أجنبية، والواقع أنه لا يمكن أن نُجرِي فحصًا مرضيًا في مثل هذه الأمور إلا إذا نظمت قوائم مضبوطة لكل ثقافات الأقاليم المحيطة بمصر. كما حدث في أنواع الفخار، وقد عدت كل من هجرة الهكسوس وهجرة الكاسيين غالبًا أنهما مشهدان من هجرة عظيمة جدًّا، وفدت إلى الشرق الأدنى في باكورة الألف الثانية قبل الميلاد، ووجهة النظر هذه لا تحتاج إلى سند كبير، ومع ذلك فإنه لا يخلو من الفائدة أن نلفت النظر إلى تفاصيل معلومة عن غزو الكاسيين لبلاد «بابل».

---

[٢٣] راجع: Dunand in “Syria”, X. (1929), Pl. XXXIX, and Schaffer in “Syria”, XIII. (1932), Pl. XIII–4.

[٢٤] راجع: Newberry, “Scarabs”, p. 81.

[٢٥] راجع: G. A. Reisner and N. F. Wheeler in Museum of Fine Arts, Bulletin XXVII (1930) p. 54.

[٢٦] راجع: Evans, “The Place of Minos” I, Fig 76–77. 80–81. and 86–87 for E. M. III. examples.

[٢٧] راجع: Petrie, “Scarabs and Cylinders with Names” Pl. XXI.

[٢٨] راجع: “A Short History of Ancient Egypt” (8ed., London. 1911. Pp. 63. ff).

ويُشاهَد في الإيضاح الذي سيأتي بعدُ، العلاقات بين التقدُّم الكاسي، والتقدُّم الهكسوسي حسب السنين، والأخير منهما يرتكز على وجهة النظر التي نتتبعها في هذا الفصل عن الهكسوس.

موازنة بين هجرة الهكسوس وهجرة الكاسيين

وأول ظهور معروف للكاسيين في «بابل» كان في خلال حكم الملك «حمورابي»[٢٩] (١٩٤٧–١٩٠٥ق.م)، والظاهر أنهم كانوا في هذه الفترة سكانًا مسالمين في هذه البلاد، وعلى إثر موت «حمورابي» انتقل عرش الملك لابنه «سامسيولونا»،[٣٠] وهو الذي صَدَّ في السنة التاسعة من حكمه غارات الكاسيين التي انقضوا فيها من الجبال.[٣١] والوثائق الخاصة بأعمالهم مدة القرن ونصف القرن التالية تذكر لنا «الكاسيين» بوصفهم زراعًا وعمالًا،[٣٢] وعلى إثر غارة «الخيتا» على «بابل» أضحَتِ البلاد تحت سيطرة الأسرة الكاسية (١٧٤٩).

وتنقصنا التفاصيل عن نمو قوة الكاسيين، ومع ذلك يمكننا إدراك صورة معينة عن نموها، فقد أعقب صدهم تدخُّل سلمي في البلاد كانت نتيجته النهائية النجاح،[٣٣] وليس ثمة مانع من أن نزعم في بادئ الأمر أن غزو الهكسوس لمصر قد جاء على غرار نموذجٍ مماثِلٍ لما ذكرناه عن الكاسيين، ومن المحتمل أن «مانيتون» لم يكن بعيدًا عن الحق عندما قال إن الهكسوس قد استولوا على مصر من غير معركة.

الكاسيون: حموارbي = عمال في مسوبوتاميا (١٩٥٧–١٩٠٥ق.م) = عمال فى مصر.

الهكسوس: المغيرون الكاسيون — يصدون عمال في مسوبوتاميا — ١٩٠٠ق.م — عمال في مصر.

الأسرة الكاسية: (١٧٥٠–١٧٣٠ق.م) أول أسرة للهكسوس.

---

[٢٩] راجع: The Cambridge Ancient History I. 2nd ed, Cambridge والتواريخ من قوائم الأستاذ ألمتد (Olmstead), 2–552 .p (1928) لم تُنشَر بعدُ.

[٣٠] راجع: Ibid I. p. 554.

[٣١] راجع: A Ungad in Beitrage zur Assyriologie VI. Heft. 5 (1909). Pp. 21–26.

[٣٢] راجع: Cambridge “Ancient” History I. p. 561–63.

[٣٣] راجع: Cameron, “History of Early Iran” Chicago 1936. Pp. 92 f.

ومن جهة أخرى يحتمل أن سيطرة أسرة الهكسوس في «فلسطين» و«سوريا» قد حدثت في عهد مبكر عنه في مصر؛ وذلك لأن حركة هجرة الهكسوس قد اتخذت سبيلها من الشمال إلى الجنوب على الأقل على ساحل البحر الأبيض المتوسط، أما عن حالة كلٍّ من «سوريا» و«فلسطين» خلال حكم الهكسوس لهما، فليس هناك ما يحمل على الظن في أنهما كانتا تؤلفان وحدة سياسية أكثر ممَّا كانتا عليه في نهاية الأسرة الحادية عشرة المصرية؛[٣٤] حيث نجد أن عدة ولايات مستقلة قد وضحت بجلاء، وكذلك تشعرنا قصة «سنوهيت» بنفس الفكرة، وهو نفس النظام الذي كان موجودًا في عهدَيِ التحامسة وتل العمارنة (راجع تحتمس الثالث وخطابات تل العمارنة، وهذه الحقيقة يمكن ملاحظتها عندما أشار «أحمس» الأول الذي طرد الهكسوس من البلاد إلى أراضي «الفنخو» في صيغة الجمع كما ذكرنا آنفًا).

وإذا جاءت نتائج حفائر مقبلة معضدة للرأي القائل إن الهكسوس قد وصلوا حوالي عام ١٩٠٠ق.م درجةً في تقدُّمهم الثقافي بحيث كانوا يصنعون منتجات خاصة بجماعتهم كما نعرفهم فيما بعدُ، وأنهم على ذلك كانوا قد استوطنوا بعض أجزاء سوريا وفلسطين، فإنه سيكون من الضروري وقتئذٍ أن نفحص أدلة اتصالات الأسرة الثانية عشرة بالبلاد الآسيوية، وسيكون معنى ذلك أن أمثال هذه الاتصالات كلها بعد عام ١٩٠٠ق.م تجعلنا نشك في أنها تتضمن وجود الهكسوس.[٣٥]

على أن المسألة ليست بالأمر الهيِّن؛ إذ لا يمكن أن يقال إن كل «سوريا» و«فلسطين» لم تكونا تحت نفوذ الهكسوس، فمثلًا نجد أن «ببلوص» (جبيل) لم تكن خاضعةً لحكم الهكسوس قبل عام ١٧٣٠ق.م تقريبًا، وذلك على الرغم من وجود طراز من فخار الهكسوس[٣٦] فيها، والواقع أن «ببلوص» كانت متمصرة أكثر من الإقليم المحيط بها؛ ولذلك يمكننا أن نفرض على أية حالة أن الهكسوس كانوا مجاورين لها، وأن بعض صناع الهكسوس ومنتجاتهم الحديثة الطراز، كانت تلاقي سوقًا رائجة في «ببلوص»، ومن الجائز كما ذكرنا آنفًا أن عمالًا من الهكسوس كانوا يجدون مجالًا متسعًا لأعمالهم في «كاهون» بلدة الهرم التي أقامها «سنوسرت» الثاني. وقد كان الهكسوس بطبيعة

---

[٣٤] راجع: Sethe, "Achtung" p.p. 43–59; & Albright, J. p. O. S. VIII. (1928) p. 223–56.

[٣٥] راجع: مصر القديمة جزء ٣.

[٣٦] راجع: Kemi I (1928) p. 90–93.

الحال في عهد عزِّ الأسرة الثانية عشرة يأتون إلى مصر بوصفهم نزلاء مسالمين، كما كان الكاسيون في عهد «حمورابي» ينزلون في بلاد «بابل»، ومن المحتمل أن بعضهم قد رحلوا إلى مصر في الوقت الذي رحل إليها «إبشا» الذي صُوِّر على مقبرة حاكم المقاطعة «خنوم حتب» في «بني حسن»، وهذا المنظر قد أرخ بالسنة السادسة من حكم الملك «سنوسرت الثاني» (١٩٠٠ق.م)، وهو يمثِّل الحاكم «إبشا» ومعه ثلاثون تابعًا من العامو يحملون كحلًا لزينة العينين. ومن الجائز أن السوريين الفلسطينيين قد انخرطوا في عداد جيش الملك جنودًا مرتزقة، غير أن هذه الفكرة على الرغم من رجحان حدوثها لا يوجد ما يدعمها في الوثائق المعاصرة، على أن عدم الإشارة لأعداء مصر من الآسيويين باسم الهكسوس، لا يكاد يُعَدُّ دليلًا على أن الهكسوس لم يكونوا قد وضعوا أقدامهم في فلسطين وسوريا في عهد منتصف الأسرة الثانية عشرة، ولقد رأينا فيما سبق أن المصريين المعاصرين كانوا يسمون الهكسوس أنفسهم «عامو» و«ستتيو» و«منتيوستت»، وهذه الأسماء كانت تُستعمَل للتعبير عن الآسيويين في خلال الأسرة الثانية عشرة.

وطريقة البحث هذه تظهر غير مجدية للبرهنة على أي شيء، اللهم إلا أنها تترك بصفة جازمة السؤالَ مطروحًا أمام الباحث عمَّا إذا كان الهكسوس قد استوطنوا فلسطين وسوريا حوالي عام ١٩٠٠ق.م، أم لا.

عصر الهكسوس المتأخر

ظهور طراز جديد من الفخار غير فخار تل اليهودية

يتمثَّل الاتساع الذي قام به الهكسوس في عصرهم الثاني العظيم في مصر في خصائص حورانية كما سبقت الإشارة لذلك، فقد ظهر في هذا العصر طرازٌ من الفخار ذو لونين من صنع الحورانيين، وقد أظهرت أعمالُ الحفر التي عملت على أُسُس علمية على حسب طبقات الحفر في فلسطين، أن هذا الطراز من الفخار أحدث من طراز الفخار الذي استُخرِج من «تل اليهودية»، الذي كان يُعَدُّ رمزًا خاصًّا لإنتاج عهد الهكسوس القديم، والطراز الجديد يُؤرَّخ بعهدٍ يرجع إلى ما قبل الأسرة الثامنة عشرة؛ فلا بد من أن يكون تاريخ وجوده إذن في مصر قبل عام ١٨٥٠ق.م، وهذا هو السبب الرئيسي الذي من أجله يعتقد بأنه يُنسَب إلى الهكسوس والحورانيين على السواء، ولدينا حقيقة أخرى بدهية، وهي أن الفخار الحوراني لا بد أن يكون إحضاره إلى مصر قد وقع في حدود عهد الأسرة السادسة عشرة لا الأسرة الخامسة عشرة التي لم يوجد فيها، وإذن فليس من خطل الرأي أن نرى في ظهور الفخار الجديد في البلاد المصرية علامةً على تغيير أُسَري.

وقد كان كلٌّ من طراز الفخار الجديد والقديم على ما يظهر يُستعمَل بكثرة في مصر، ولكن لما كانت الأسرتان اللتان خصَّصهما «مانيتون» لعهد الهكسوس لم يمتد أجلهما أكثر من قرنٍ ونصف قرن من الزمان، فإنه قد يكون من المعقول أن نرجع ظهور الفخار الحوراني إلى حوالي عام ١٦٥٠، أما في فلسطين وسوريا فلا بد أن يكون قبل ذلك بزمن قليل، وعلى الرغم من احتمال وقف صنع الفخار ذي اللونين في مصر بشكله الخاص حوالي عام ١٨٥٠ق.م، عندما طرد «أحمس» الأول الهكسوسَ من البلاد، فإنه كان لا يزال بقية في البلاد من المتمسِّكين بالقديم، وقد استمروا في البلاد إلى منتصف القرن الخامس

عشر على أقل تقدير، وبين هؤلاء نلحظ وجود فخار حوراني في شكل مختلف،[١] هذا إلى ظهور طراز جديد من المرمر[٢] ومن الجعارين؛[٣] ومن ذلك نرى أنه في الوقت الذي لم يكن فيه نفوذ «الهكسوس» السياسي في مصر قائمًا بعد عام ١٥٨٠ق.م، نجد من جهة أخرى أن ثقافة الهكسوس لم تُمْحَ من الوجود في البلاد المصرية مباشَرةً، أما في «سوريا وفلسطين» فكان الموقف يختلف تمامًا في خلال الجزء الأول من الأسرة الثامنة عشرة، ففي نهاية الأسرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة اللتين كانتا تحكمان البلاد في مدة واحدة تقريبًا، هُزِم الهكسوس في «أواريس» ووَلَّوا الأدبار مخترقين الصحراء إلى أن وصلوا إلى «شاروهن»، حيث قاوموا حصار «أحمس» لهذه المدينة طوال ثلاثة أعوام، ثم دارت الحرب بعد ذلك في الشمال.

ولكن بعد أن أَحَسَّ «أحمس» أن الخطر قد زال عن بلاده، عاد إلى مصر ليلتفت إلى مهام البلاد الأخرى، والظاهر أن الهكسوس في الوقت نفسه لم يتقهقروا إلى أبعد من النقطة التي طُرِدوا إليها، بل من الجائز أنهم قد عادوا فتَقَدَّمُوا ثانيةً نحو مصر بعد عودة المصريين إلى بلادهم، غير أن عملهم هذا لم يَتَعَدَّ مجرد حركات حربية وحسب، وبطبيعة الحال بقي جزء كبير من السكان في مساكنهم، وتحدِّثنا الوثائق المصرية عن غزوتين أخريين لآسيا قبل عهد «تحتمس» الثالث؛ فقد قام تحتمس الأول بحملة إلى آسيا وصلت في سيرها حتى بلاد نهرين على نهر الفرات، على حسب ما جاء في حياة «أحمس بن أبانا»، وكذلك «أحمس» بن «بنخبت»، وهما اللذان جاء ذِكْرهما لأول مرة في عهد «أحمس» الأول، وقد قاد «تحتمس الثاني» في مدة حكمه القصيرة على أقل تقدير حملةً إلى «آسيا» كما سيجيء بعدُ، وقد ذكرنا فيما سبق الأسبابَ التي تحمل على الاعتقاد بأن الهكسوس كانوا لا يزالون في «فلسطين» و«سوريا» عندما اعتلى «تحتمس» الثالث العرشَ، وأنه هو وابنه «أمنحوتب» الثاني قد قضيَا على الهكسوس القضاء الأخير في هذه البلاد.

---

[١] راجع: (Balabish Pl. XIX, 3 late 18th Dynasty).

[٢] راجع: Howard Carter in J. E. A. III. p. 151–53. Pl. XXII. 1–4 & Brunton and Engelbach, "Gurob", (London 1927) Pl. XXIV p. 53 (Thuhmose III?) cf. O. I. p. XXXIII, Fig. 184:1–5.

[٣] راجع: Newberry, "Scarabs" p. 73 & Brunton and Engelbach, "Gurob", Pls. XXIV, 50 & XL, 22 (Thuhmose III); cf. O. I. p. XXXIII, p. 184 f.

تحتمس الثالث يقضي على فلول الهكسوس في آسيا

على أن الصورة التي كانت نتيجةً مباشرةً لهذه الحروب، على الرغم من أنه تنقصها تفاصيل كثيرة محسة، هي في الواقع تمثِّل عدم استقرار زمني، وسخط عظيم من جهة الآسيويين ظلَّ مدةً تنيف على قرن بعد طرد الهكسوس من مصر؛ وبعد ذلك عندما اعتلى «تحتمس» الثالث (١٤٧٩–١٤٤٧) عرشَ الملك بعد حكم «حتشبسوت» الذي سادَتْه السكينة، بدأت سلسلة غزواته في آسيا. ومن الواضح أن حلفًا من ولايات آسيا يقودهم ملك «قادش» قد شعروا في أنفسهم بالقوة الكافية لمقاومة ذلك الفرعون الذي كان مجهولًا وقتئذٍ، وقد ساق «تحتمس» جيوشه في ست عشرة حملة في خلال نحو عشرين عامًا إلى هذه البلاد، وبعد فترة ساد فيها السلام ظاهرًا في تلك الأصقاع، قام «أمنحوتب» الثاني بحملتين مظفرتين على إثر ثورات شبت بعد وفاة والده؛ والظاهر أنه بعد هذه الحملات المتتالية لم يَعُدْ للهكسوس وجودٌ في هذه البلاد من الوجهة السياسية أو الحربية، وتدل المعلومات الأثرية التي يتزايد ظهورها كلَّ يوم في فلسطين على أن نظام الحكم المصري لم يصبح ذا أثر فعَّال في البلاد الآسيوية حتى عهد «تحتمس الثالث»، وأن الهكسوس لم يُغلَبوا على أمرهم في هذه الأراضي الآسيوية إلا في هذا الوقت، ومن أهم العوامل التي تبرهن على ذلك أنه وُجِد طراز من الجعارين الخاصة بالهكسوس، قد بقي شائع الاستعمال بكثرة حتى عهد «تحتمس» الثالث، ولا نزاع في أن استعمال الجعارين خدَّاع من الوجهة التاريخية، وذلك بالنسبة لحجمهما، وفي عادة دسِّها في غير أماكنها الأصلية، ولكن عندما نجد الجعارين في أماكن لم تُمَسَّ بعدُ، ويشفع ذلك نتائج حفائر واسعة النطاق في موقع غير مشتبه فيه، يمكننا عند ذلك فقط أن نحكم بأننا قد كشفنا عن حقيقة جديدة.

وقد أصبح من الأمور التي تزداد وضوحًا كلَّ يوم، نتيجةً للملاحظات التي تُشاهد كلَّ يوم في خلال الحفائر التي تُجرى في فلسطين؛ أن الجعارين الخاصة بالعهد الذي قبل عهد التحامسة كانت من طراز جعارين[٤] الهكسوس، وكذلك الفخار الحوراني يُعَدُّ طرازًا

[٤] ففي «مجدو» (راجع: O. I. p. XXXIII, 185 and Gordon Loud in I L N June 20, (1936) p. 1108, Jericho (Garstang in A A A, XX, 1933) p. 21–38) نجد في كل هذه المصادر براهين مفصلة واستنباطات تحتم أن نعلم من آثار قبرين وُجِد فيهما جعارين من عهد حتشبسوت وتحتمس الثالث وأمنحتب الثاني، وكذلك جعارين من عهد الهكسوس (راجع كذلك في: Baisan Garstang, ibid p. 22).

خاصًّا بالإنتاج الهكسوسي، والظاهر أنه كان عظيمَ الانتشار قبل عهد «تحتمس» الثالث، غير أنه حدث فيه تغيير عظيم بعد ذلك العهد، هذا إلى أن بعض المواد المصنوعة من المرمر كذلك، والأسلحة المصنوعة من البرنز، والتطعيم بالعظام، قد بطل استعمالها في أشكالها الهكسوسية الخاصة بها في غضون عهد «تحتمس»[٥] الثالث.

ثقافة الهكسوس في فلسطين

ومما سبق نعلم أنه يوجد لدينا حجج تدل على أن ثقافة الهكسوس كانت سائدة في «فلسطين» على أقل تقدير حتى منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة، وبالعكس لا نجد أي تأثير للحكم الإمبراطوري المصري في أي طبقات أرضية قبل عهد «تحتمس» الثالث فيما كُشِف عنه حتى الآن.

والعصور التي مرت بها بلدة «مجدو» تعد ضابطًا ممتازًا لمعرفة ذلك؛ إذ من المعلوم أن «تحتمس» الثالث قد حاصَرَ هذه المدينة، واستولى عليها في حملته الأولى إلى فلسطين (١٤٧٩ق.م)، ونعلم من نتائج أعمال الحفر أن الطبقة الحورانية الرئيسية المعلمة برقم ٩ تُنسَب إلى طراز فن الهكسوس المتأخر المحض، ولكن الطبقة التي فوقها وهي الثامنة، يدل ما وُجِد فيها بوضوحٍ على أنها من آثار أواخر الأسرة الثامنة عشرة،[٦] ولا شك في أن المدينة التي استولى عليها «تحتمس» كانت تمثل آثار عهده في الطبقة التاسعة، ومنذ ذلك العهد نلحظ أن ثقافة الهكسوس قد تغيَّرت تغيُّرًا محسوسًا، والصورة الأثرية العامة لعهد «تحتمس» الثالث في «فلسطين» تمثل أمامنا القضاء على ثقافة الهكسوس.

ويمكن وضع تواريخ تقريبية لعهد الهكسوس المتأخر في فلسطين، وهو العهد الذي مُيِّز بوجه خاص بالفخار الحوراني؛ إذ يظهر لنا من المصادر المدونة ومن المصادر الأثرية أن هذا العهد قد استمر نحو قرنين من الزمان، أيْ من حوالي عام ١٦٥٠ق.م حتى عام ١٤٤٥ق.م، وذلك عندما أخمد «أمنحتب الثاني» ثورة أوقد نارها القوم الذين حاربهم والده سنين عدة.

وقد يكون من الأمور التي يظهر فيها التكلف أن يرسم الإنسان خطًّا فاصلًا بين عهد الهكسوس والعهد الذي جاء بعده؛ وذلك لأن نفوذ الهكسوس لم يُقْضَ عليه في سنة

---

[٥] راجع: O. I. p. XXXIII Chap. IV.

[٦] راجع: Loud, Ioc. cit. & S. A. O. C. No. 17.

معينة، ولكن يمكن القول بوجه عام إن عمود الهكسوس الفقري قد كُسِر، وأن ثقافتهم قد قُضِي عليها بالحروب الطاحنة التي شنَّها «تحتمس» الثالث، ومن بعده ابنه «أمنحوتب الثاني».

ولقد حاولنا فيما سبق أن نوضِّح أن كلمة «حوراني» قد استُعمِلت بسبب أن بعض المظاهر الأشد تمييزًا لثقافة الهكسوس المتأخرة، يمكن قرنها بالصور المادية التي كان يستعملها قوم الحورانيين القاطنين شمالي «مسوبوتاميا»، وهم الذين كانوا يعاصرون الهكسوس، على أنه ليس من الضروري في هذه الحالة أن يكون قوم الهكسوس المتأخرين، يتكلمون اللغة «الحورانية»؛ وذلك لأن الثقافة يمكن نقلها بطرق ملتوية. وعلى أية حال فإن انتشار المواد الحورانية في بلاد الهكسوس يدل على حركة هجرة أقوام حدثت، ولدينا دليل أكيد في أحد الأسماء، وهو كلمة «خارو»،[٧] وهي التي استُعمِلت في عهد الإمبراطورية المصرية لتدل على «سوريا» وفلسطين، ولدينا حجج تدعم هذا الرأي فيما وجدناه في شكل بعض أسماء العبيد الذين وُجِدت أسماؤهم على قطعةٍ من الحجر الجيري عُثِر عليها في مصر، ويُحتمَل أن تاريخها يرجع إلى النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة.[٨]

وإذا وُجِدت متون أخرى زيادة على ما ذكرنا، يمكن أن توضِّح الموقف كثيرًا، فإن الاسم الجديد الذي أُطلِق على «فلسطين» و«سوريا» وحده ذو أهمية بالغة في توضيح الموقف، ويُلاحَظ أن انتشار الثقافة الحورانية في شكلها الثابت نسبيًّا في أنحاء أجزاء كبيرة من فلسطين وسوريا في عهد الهكسوس المتأخر (ومن المحتمل حتى حوالي عام ١٤٤٥ق.م)، يحمل معنًى أوضح لوجهة النظر إلى الحوادث التالية؛ إذ نجد بعد انقضاء جيلين من ذلك التاريخ (١٤١١–١٣٧٥ق.م) أن «أمنحوتب الثاني» قد واجَهَ في هذه البلاد عصيانًا علنيًّا أو سريًّا، وقد كان كثير من رؤساء الثورة يحملون أسماء حورانية كما هو معلوم من قبلُ.[٩]

---

[٧] راجع: Breasted. A. R. § 420 (Thutmose III), 798 A. (Amenhotp II) & 821–22 (Thutmose II). & cf. Griffith, “The Demotic Pap. in the John Rylands Library”, p. 421 etc.

[٨] وقد نشر محتويات هذا الأثير الأستاذ ستينورف الذي اعتبرهم أسماء سامية؛ راجع: (A. Z. XXXVIII p. 15–18) غير أن جتساف في (A. Z. LXIV p. 54–8) يلاحظ أنه وإن كان معظمها ساميًّا، فإن بعضها حوراني؛ وكذلك يقترح أن اسم «سمقن» أحد ملوك الهكسوس في مصر يحمل اسمًا حورانيًّا.

[٩] راجع: Gustavs, “Die Personennamen in den Tontafeln von Tell Ta-annek” (Deutscher Palestina. Verein Zeitschrift L. (1937) p. 1–18).

وفضلًا عن ذلك نجد أن مملكة «متني» وإن كانت في ذلك الوقت قد تحالَفَتْ مع مصر، كان لها مطامع في قطر مصبوغ بالصبغة الحورانية، على أن هذا البحث وإنْ كان ليس له اتصال بالمسألة التي نفحصها الآن، فإن الغرض منه إبراز نقطة خاصة هي أن العنصر الهكسوسي الحوراني الذي كان يعيش في فلسطين وسوريا في منتصف القرن الخامس عشر، يمكن أن يكون منتسبًا إلى عنصر حوراني في نفس البلاد في نهاية هذا القرن. والواقع أنه يُحتمَل أنَّ أهل متني والحورانيين الذين كانوا يقطنون سوريا وفلسطين كانوا ذوي قرابة وطيدة منذ حوالي منتصف القرن السابع عشر، وانتشروا جنبًا لجنب.[١٠]

وقبل أن نترك هذا الموضوع، ورغبة في تأكيد وجهة نظرنا، يُستحسَن أن نقيِّد هنا براهينَ أثريةً عن العلاقة بين الهكسوس المتأخرين، وعصور العمارنة، والواقع أن الروابط عديدة ومشجعة لتقرير حقيقة وجود علاقة كبيرة من الوجهة الثقافية، والوجهة الجنسية بين العهدين، ولا بد أن يُعتبَر ذلك طبعيًّا، ولا يكاد يكون فيه ما يناقض الرأي العام القائل بأن ثقافة الهكسوس كانت قد تغيَّرت من أساسها حوالي منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وهذه العوامل الخاصة التي لا يمكن تقديرها الآن تمامًا، ولكنها في الوقت نفسه تظهر على أعظم جانب من الأهمية؛ قد نشأت من فحص بقايا العهدين، وهي التي وُجِدت في «مجدو». فقد وُجِد في العهد الأخير أن الرسوم التي على الفخار الملون لا تخرج عن أنها رسوم «حورانية» محورة، وكذلك يظهر أن طراز الأختام الأسطوانية المستخرج من كركول-نوزي، كان من خصائص العصر الأخير، كما كان من خصائص العصر الأول، هذا ويدل فحص الهياكل التي وُجِدت هناك على أن نفس العنصر في كلا العهدين كان واحدًا،[١١] وكان العالم «الكنعاني» الذي واجَهَ العبرانيين عندما دخلوا هذه البلاد يرتكز إلى حدٍّ بعيد على شعب أساسه من الهكسوس.

---

[١٠] راجع: A. A. S. O. R., XIII, p. 44 & Reveue Biblique XLIV (1935) p. 34–41.

[١١] راجع (لأجل التفاصيل التي لا يمكن سردها هنا) O. I. p. XXXIII, 156 (Pottery) 182–84. (Cylinder Seals) & 192.

السلالات التي تألف منها شعب الهكسوس

إن أعمال الحفر الحديثة التي قامت بوجه خاص في «سوريا» قد وضعت أمامنا فكرة حسنة عن حياة الهكسوس وعاداتهم، وبذلك يمكننا أن نرى أولئك القوم في بيوتهم، وفي مصانعهم، وقد عثرنا على أشياء كثيرة من التي صنعوها، فيمكننا أن نصوِّرهم كذلك في معاملتهم التجارية مع البلاد الأخرى، كما أننا نعرف بعضَ السلع التي كانوا يتجرون فيها، وقد وصلتنا تفاصيل كثيرة عن حياة الهكسوس، ومع ذلك عندما يُطرَح السؤال مَن هم الهكسوس؟ فإنه لا يسعنا إلا الاعتراف بالجهل التام،[١] ولكن من المؤكد أن ثقافتهم كانت مختلفةً بدرجة ظاهرة تلفت الأنظار عن الثقافة التي سبقتها، ممَّا يحتم علينا الاعتراف بأن هذه الثقافة قد جاءت إلى حدٍّ بعيد عن طريق شعب جديد. على أن الأمر لم يكن ليقتصر على حد وفود طبقة قوية من الحكام ليقوموا بهذا التغيير الكلي في الثقافة؛ إذ كان الأمر أعظم من ذلك، فالقليل الذي لدينا من البراهين الخاصة بفحص الهياكل العظيمة، يدل على أن جنسًا من أجناس البحر الأبيض المتوسط القدامى، قد حلَّ محله جزئيًّا في خلال عهد الهكسوس جنسٌ يشبه الجنس الألبي، على أن هذا البيان لا يرتكز إلا على فحص أشكال بعض جماجم قليلة العدد عُثِر عليها في «مجدو»،[٢] غير أنها لا يمكن

---

[١] راجع الحصول على مختصر عن الآراء الخاصة بأصل هؤلاء القوم: (Walther, Wolf “Deutsche Mongenlandische Gesellschaft Zeitschift” LXXXIII. (1929) p. 67–79).

أن تمثِّل كل جماعة الهكسوس، وعلى الرغم من القليل الذي نعرفه عن هذا الموضوع المعقَّد، فإنه مع ذلك يُحتمَل أن عددًا من السلالات قد اشتركت في تنشئة الهكسوس،[٣] ولا غرابة إذن في أن تكون الجماجم التي وُجِدت تدل على أن أصحابها كانوا من سلالة من السلالات التي كان لها شرف الاشتراك في هجرة الهكسوس، وكذلك كان من بين الطوائف اللغوية التي ذُكِرت «الساميون» و«الحورانيون» و«الهنود الإيرانيون» و«الخيتا»؛ وقد أراد «يوسفس» أن يرى فيهم العبرانيين، والواقع أن نسبة كلٍّ أولئك الأقوام إلى الهكسوس لا يخرج عن دائرة الاحتمالات، فالأسماء السامية مثل «يعقوب هر» و«يعقوب بعل» قد عُرِفت بوضوح في النقوش الخاصة بالهكسوس.[٤]

وهذه الأسماء، بصرف النظر عن بعض الأسماء المصرية التي انتحلها الهكسوس لأنفسهم مثل «أبو فيس» و«تيتي»،[٥] هي الأسماء الوحيدة التي حققت نسبتها للهكسوس، وقد فشلت المحاولة التي بُذِلت لتوحيد العلاقات اللغوية لأسماء الهكسوس التي وردت في المصادر الإغريقية، إلا إذا كان رسم الأسماء المصرية المعروف كتابةً يحقق ما يماثله في المصادر الإغريقية؛ وعلى ذلك كان يوجد في الهكسوس عنصرٌ ساميٌّ واضح قد اختلط فيما يُطلَق عليه هجرة الهكسوس، هذا إذا استثنينا عنصرًا غير سامي لم يحقق بعدُ، وهذا ليس بغريب بالنظر إلى التفوق الشامل للسامية (ويشمل ذلك العامورِيين والكنعانيين) في فلسطين وسوريا حوالي ٢٠٠٠ق.م، كما يدل على ذلك متون[٦] «اللغة» التي تُنسَب إلى أواخر عهد الأسرة الحادية عشرة المصرية، وكذلك اللوحات الكابوديشية التي تشير إلى مدن شمال سوريا.

---

[٢] راجع: Hrdlicka in O. I. p. XXXIII p. 192 & S. A. O. C Strata XV–XII.

[٣] راجع: Spieser in A A S O R XIII, p. 47–52.

[٤] راجع: Hall. J. E. A., V. p. 75 & Max Borchardt A. Z., L. (1912) p. 6–8. غير أن تحقيقات بورخات لم تُقبَل كلها؛ إذ عَدَّ البعض أن اسم خيان ليس سامي الأصل.

[٥] راجع: Gauthier L. R. II, p. 139–44; Newberry, “Notes on the Carnavon Tablet No. I”, p. S. B. A., Vol. XXXV, (p. 117–22).

[٦] راجع: Sethe, “Achtung”; Albright, J. p. O. S. Vol. VIII. p. 223–56.

الساميون هم العنصر الهام لقوم الهكسوس

وعلى أية حال فإن الساميين لا يكاد يتألَّف منهم العامل الرئيسي المسئول عن الزحف الجديد الذي شنَّتْه آسيا على مصر، وقد تُعزَى غلبة الأسماء السامية المعروفة لنا الآن لتفوُّق الساميين في العدد، ولكن يمكن أن يرجع سببها لعدم كفاية الأدلة التي في متناولنا؛ أو لأن العناصر غير السامية قد هُضِمت بسرعة، ويجب ألَّا ننسى الاشتباكات الخاصة بالتغيير الأساسي في الثقافة، وأن أقوامًا من سلالة غير سامية كانوا يزحفون على حدود عريضة شمالية، فظهر الحورانيون في الأناضول، أما الكاسيون الذين كان يظهر أن بعض آلهتهم من أصل هندي إيراني، فكانوا ينجرفون كالسيل في «مسوبوتاميا»،[7] ومن مكانٍ ما خارج فلسطين وسوريا، وفَدَ قومٌ من الأجانب جلبوا معهم صناعة معادن راقية، وأفكارًا جديدة في صناعة الفخار، وكذلك أحضروا الحصان والعربة، وآراءً جديدة في إقامة حصون غريبة تمامًا عن البلاد التي اتخذوها موطنًا جديدًا لهم. ولما كنَّا لا نزال في فجر دراسة الشرق الأدنى، فلا يمكننا إذن أن نخبر من أين أتَتْ تلك العناصر؟ أو مَن الذين نقلوها[8] إلى مصر؟ ولكن منذ أن بدأنا نتعرَّف على الهكسوس في مصر، يمكن الإنسان عند البحث عن أصلهم أن يرجع في ذلك إلى اقتفاء آثارهم في شمالي «سوريا»، وبعد ذلك نجد على أية حال أن الأثر قد أخذ يتضاءل، فإذا أردنا أن نحصل عليه ثانيةً كان لا بد من قطع مسافات طويلة، وقد تزداد الصعوبة باحتمال أن الأثر لم يكن فرديًّا قبل «سوريا»؛ إذ من المحتمل أنه كان يحتوي على وحدات قد جاءت ثم عادت بحالة يسودها سوء النظام والارتباك التامان.

---

[7] راجع: Gotze, “Kleinasian” Handbuch der Altertums wissen schaft, 3 Abt. 1. Teil 3 Bd.; Kulturgeschichte des Alten Orients, 3 Abschnitt, I Lfg. (Munchen, 1933), p. 69, N. 4; Ignace J. Gelb, “Inscriptions from Alishar and Vicinity”, O. I. p. XXXVII. (1935) Pp. 13 f and 16.

[8] ومما يلاحظ أن المدنية في الأردن كانت قد محي معظمها منذ القدم في الألف الثانية. (راجع: Nelson Gluck in A. A. S. O. R. XIV. (1934) p. 82) وهذا الاتفاق مع الحوادث التي كانت جارية في فلسطين لا يمكن أن يكون مجرد صدفة.

من أين أتى الهكسوس؟

وإذا اقتفينا أثر المعدن الجديد وهو البرنز، والأشكال المعدنية الجديدة إلى منابعها الأصلية، فقد تكون هذه طريقة مجدية للوصول إلى الحقيقة التي نتبعها، ولا نزاع في أن ذلك يكون له في النهاية قيمة ثمينة للغاية، غير أن ما كُشِف من المواد للآن قليل جدًّا لا يكفي أن يكون أساسًا متينًا للبحث، وقد ظنَّ البعض[٩] أن بلاد القوقاز قد تكون مصدرَ هذا المعدن وهذه الأشكال المعدنية، غير أنه وُجِد بالمقايسة أن أشكال المعادن التي عُثِر عليها في هذه البلاد، كانت على وجهٍ عامٍّ أحدثَ من التي وُجِدت في «سوريا» وفلسطين، وقد نشر العالم «شيلدا»[١٠] النظرية القائلة بأن بلاد «سومر» نفسها كانت مركزًا مبكرًا لنشر هذه الأشكال المعدنية،[١١] ومما لا ريب فيه أن أقدم نماذج من الأشكال التي تشبه أو تقرن ببعض الآلات المعدنية[١٢] التي تُعَدُّ من الطراز الهكسوسي، قد وردت من «مسوبوتاميا»، ويمكن أن يذكر على وجه خاص مقبض الخنجر الذي على هيئة هلال، وكذلك رءوس «البلط» التي لها ثقوب تثبت فيها،[١٣] وقد ظهرت كذلك الدبابيس القصيرة في «مسوبوتاميا» منذ ٣٠٠٠ عام.

أما فكرة صناعة البرنز نفسها، فإن من الحقائق الثابتة أنها كانت معروفة في «سومر» والأناضول في النصف الأول من الألف الثالثة،[١٤] في حين أن مصدر الصفيح وحتى النحاس ووجود معدنَيْهما في «سومر»، يجب أن يُبحَث عنهما خارج هذه الأصقاع؛[١٥] ولذلك يقترح «لوكاس» أن كلًّا من «أرمينيا» و«إيران» قد تكون مصدرًا لاستخراج الصفيح؛ ومن

---

[٩] راجع: Henri Hubert “De Quelques objets de Bronze trouve à Byblos”, “Syria” VI, (1925) p. 16–29, Henri Frankfort, “Archaeology and the Sumerian Problem” (S. A. O. C. No. 4 (1932) Pp. 52–57).

[١٠] راجع: Stefan Przeworski in Archiv Orientali, VIII (1936) p. 395.

[١١] راجع: A A A. XXXIII (1936) p. 113–9.

[١٢] راجع مثل التي في: O. I. p. XXXIII, Pl. 149: 2–3, cf Woolley, “Ur Excavations II. The Royal Cemetery” (London, 1934) Pls. 152–154 b.

[١٣] راجع: Woolley, op. cit. 239, 310; Speiser, “Excavations at Tepe Gawra”, I, (Philadelphia, 1935), p. 109, 114, 183.

[١٤] راجع: O. I. p. XXXIII, p. 162.

[١٥] راجع: Albright, A. A. S. O. R, XII. § 20.

الأدلة التي سِيقَتْ حتى الآن، يظهر أن بلاد «مسوبوتاميا» لها ضلع في هذه المسألة، ولكن علينا أن ننتظر نتائج حفائر منتظمة في بلاد القوقاز، والأصقاع الأخرى التي يُظَن وجود هذه المعادن فيها، قبل أن نكوِّن فكرةً ثابتةً.[١٦] وإذا كانت المواد المسوبوتامية من عهد الألف الثالثة ق.م، وهي المقابلة لنفس مواد الهكسوس، تبرهن على أن لها علاقة مباشرة بالحالة التي نبحثها، فإن ذلك قد يبرهن على أنها إنتاج سامي أو سومري، مهما بعدت شقة الزمن بين العهدين.

الموطن الأصلي للحصان

والفكرة العامة المتفق عليها الآن أن الحصان له علاقة أصلية بالأقوام الآرية، والظاهرة أنه يمكن اقتفاء أثر أصل الكلمة المصرية والسامية الدالة على لفظة الحصان إلى اللغة الهندية الإيرانية، وهي «أسوا» في السانسكرت «أسفا».[١٧]

ومن الواضح أن الكلمة المصرية «سسمت» مشتقة من اسم الجمع العبري (الكنعانية) «سوسيم»، وكلمة «سسمت» لا تمثِّل إلا الحروف الساكنة للاسم، وحرف التاء فيها تاء التأنيث، وعلى أية حال فإن وجود وسيط «سامي» في نقل الكلمة إلى المصرية يجعلنا نظن بعض الشيء أن الجنس الهندي الآري نفسه لم يأتِ إلى مصر، ولكن من جهة أخرى يُحتمل أنهم قد اختلطوا بعنصرٍ ساميٍّ من بين الهكسوس. ولدينا كلمة أخرى نجدها في اللغة المصرية، وهي «مرين» ومعناها «جندي سوري» أو خيال (سائق عربة)، والظاهر أنها تُنسَب إلى الكلمة المتنية «مارينا»، وهذه الكلمة الأخيرة قد قُرِنت بالكلمة السانسكرتية «ماريا»، ومعناه «الرجل الفتي» (الشاب)؛[١٨] والكلمة المصرية «ورريت» التي تدل على «العربة» اشتقاقها غامض، وتوجد كلمة أخرى تدل على العربة وهي «مركبة»، وهي سامية الأصل.

وكذلك قد تكون عاملًا وسيطًا بين الهنود الإيرانيين والمصريين.

---

[١٦] راجع: Lucas in J. E. A. XIV. (1928) p. 108.

[١٧] راجع: Childe, “The Aryans” (New York, 1926) Pp. 18, 83, 109.

[١٨] راجع: Meyer. “Gesch”. p. 12. § 465; Childe. “The Aryans”, p. 19.; Gunn, A. A. S. O. R., XIII, p. 49. f. n. 119.

ولا نزاعَ في أن الحصان والعربة وما يلزمهما من عدد قد أُدخِلت في مصر في عهد الهكسوس، وبصرف النظر عن الاعتقاد السائد أن مهدها الأصلي آري، وأنها لم تُستعمَل في جنوب شرقي آسيا ومصر إلا في عهود[١٩] متأخرة نسبيًّا، فإن الاشتقاقات التي اقتبسناها عن أصل الحصان والعربة وغيرهما تُعَدُّ حججًا على وجود الهنود الآريين في الشرق الأدنى، ولكن مع هذه الحجج لا يمكن أن نثبت أو ننفي وجود الآريين في مصر.

نسبة اختراع الحصون المستطيلة للآريين

وكذلك قد نُسِب إلى الآريين اختراع بناء الحصن المستطيل وطواره الخاص، وإن كان ذلك لم يُدعَم إلى الآن بالبرهان البيِّن.[٢٠] حقًّا إن هذا الطراز من الحصون كان غريبًا عن مصر وفلسطين وسوريا، وكان أول ما ظهر في الآثار الخاصة بالهكسوس في هذه البلاد. ولا شك في أن النظرية التي تربط مثل هذا الطراز من الحصون بما يشابهها من المباني في «إيران» و«ترنس كاسبيا» (ما وراء بحر خوارزم)[٢١] نظرية مغرية، غير أنها تحتاج لإثباتات أكثر لتجعلها حقيقة مؤكدة. وعلى أية حال، هل هذه الحصون مباني آرية؟ والواقع أن الشكل المستطيل الذي اتخذته مدن الهكسوس عند تشييدها يُشعِر بأن هؤلاء القوم كانوا يسكنون في بلاد ذات سهول، حيث كان الشكل الذي تُبنَى على غراره المدن لا يُقيَّد بتعاريج طبيعة قمة التل الذي تقام عليه، وعلى ذلك نستنتج أن حل مسألة الهكسوس يقع بوضوحٍ تامٍّ في أراضٍ بعيدة جدًّا من مصر. والواقع أن التحصينات التي تُنسَب إلى العهد النيولتيكي وعصر البرنز المبكر كانت عظيمة الانتشار في أوروبا، بما في ذلك جنوبي «روسيا»، ويمكن أن يكون ذلك له علاقة بالمسألة، فإذا كان هذا الغرض

[١٩] وقد كانت العجلات تستعمل في بابل في أزمان أقدم قارة Henri Frankfort, Thorkild Jacobsen and Conrad Preusser, “Tell Armâr and Khafaje” “Oriental Institute Communications”, No. 13 (Chicago, 1932), Figs. 44–45.

[٢٠] راجع: Petrie, “Hyksos and Israelite Cities”, (London, 1906) Pp. 2–10; Albright in J. p. O. S. II, 122 f, in Society of Oriental Research, Journal, X, (1926) p. 245–254; B. A. S. O. R. No. 47 (Oct. 1932) p. 8.

[٢١] راجع: Garstang, “The Hittite Empire”, (London, 1929) pp. 81 f.

صحيحًا، فإن بلاد القوقاز يُحتمَل أن تكون طريقًا ممكنًا للهجرة. ومع كلٍّ يمكننا أن نقرِّر ما يأتي عن وجود المعسكرات الأجنبية في الجنوب الغربي من آسيا ومصر.

من المحتمل جدًّا أن سلالة جديدة، قد أحضروا الفكرةَ التي تشمل عدة خصائص ثابتة، وأنهم أقاموا تلك المباني بأنفسهم تحت إشرافهم، لا أن الفكرة قد نُقِلت إلى مصر ونفذت بطريق غير مباشر.

على أن الصعوبة الحقيقية في قبول فكرة وجود عنصر هندي إيراني بين الهكسوس، هو انعدام وجود العلاقات اللغوية في «فلسطين» و«سوريا» حتى عهد العمارنة،[٢٢] ولم يحقق وجود أسماء هندية إيرانية في الوثائق الحورانية المبكرة بما في ذلك الوثائق التي عُثِر عليها في «أربخا»[٢٣] في شمالي سوريا، على أنه من باب الحيطة فقط نعيد إلى الذاكرة أن من أهم النقط الخاصة بالهكسوس في مصر، أنهم على ما يظهر قد انتحلوا اللغةَ المصرية لغةً لهم، وأن ملوكهم اتخذوا لأنفسهم الألقابَ الملكيةَ، هذا إلى أنهم في بعض الحالات كانوا يحملون أسماء مصرية، ممَّا كان يغطي على سمات أصول مسمياتهم اللغوية.

الهكسوس يصطبغون بالصبغة المصرية

وقد يعترض بأن ما ذكرنا لا يُعَدُّ أدلةً حقيقية على قبول الهكسوس الذين وصلوا إلى مصر الثقافةَ المصرية قبولًا شاملًا، والجواب على ذلك نجده في أن ملوك البطالمة قد أقاموا مبانيهم على الطراز المصري، واستعملوا اللغة المصرية الفصحى في نقوش آثارهم، واتخذوا الألقاب الفرعونية التقليدية شعارًا لهم، ومع ذلك فإنهم عاشوا عيشة الإغريق.[٢٤] حقًّا قد يلفت النظر مع ذلك أن البطالمة لم يتسَمَّوا بأسماء مصرية كما فعل بعض ملوك

---

[٢٢] راجع: Joh. Friedrich Arier in “Syrien und Mesopotamian” “Reallexikon der Assyrlologie”, 1, (1928), p. 144–148; Childe, “The Aryans”, Pp. 18–20; N. D. Mironov in “Acta Orientalia” XI (1933) p. 150–170; A. B. Keith “The Indian Historical Quarterly”, XII. (Calçutta, 1936) p. 571–575.

[٢٣] راجع: Speiser in A. A. S. O. R. XIII, p. 51. and Gardiner “Onomastica”, II. p. 177 & Vol. II. p. 273.

[٢٤] راجع: Edwin Bevan, “A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty” (London, 1927) p. 118–124.

الهكسوس، ومن الأدلة التي تبرهن على أن الهكسوس قد حاولوا أن يعدوا أنفسهم لقبول الثقافة المصرية، ما نشاهده في استعمالهم إشارات هيروغليفية رديئة الصنع لا تُفهَم في نقشِ عددٍ عظيم من الجعارين، والنقطة الهامة في ذلك هي أنه على الرغم من أن اللغة المصرية كانت غريبة عنهم، وأن استعمالهم لها كان غالبًا استعمالًا رديئًا، فإنهم مع ذلك اتخذوها لغةً لهم.

والظاهر أن الحورانيين هم العنصر الوحيد الذي قد برز بوضوحٍ نتيجةً للبحوث الحديثة، دالًّا على أنه كان ضمن العناصر التي تكوَّن منها الهكسوس، ومع ذلك فإنه لم يتعرف على اسم من الأسماء غير السامية التي تسمى بها الهكسوس بأنه حوراني الأصل.[٢٥] وعلى أية حال فإن الأستاذ «ألبريت» يرى أن بعض الأسماء الملكية مثل «سمقن» و«شارك» و«خيان» ترجع إلى أصل حوراني، وقد استعملنا في مناقشاتنا حتى الآن كلمة الحورانيين؛ لتدل على عصر الهكسوس المتأخر، وقد كان أساسنا في ذلك تشابه الصفات في الصناعات التي كانت قائمةً في بقعة شمالي «مسوبوتاميا»، وهي التي كانت فيها اللغة الحورانية اللغة السائدة في ذلك العصر؛ ويدل مقدار صبغ مدنية الهكسوس بعناصر الثقافة الحورانية في عهدهم المتأخر، على أن ذلك لم يأتِ عفوًا، بل جاء عن طريق هجرة واسعة النطاق، ويُحتمَل أنها بدأت في «أرمينيا»[٢٦] حسب الرأي الحديث، وهذا الرأي مضافًا إلى صبغ مدنية فلسطين وسوريا بصبغة حورانية شديدة في عهد الهكسوس المتأخر، مما يرجح كفة اشتراك الحورانيين في هجرة الهكسوس بدرجة عظيمة، وعلى أقل تقدير في مظاهرها المتأخرة،[٢٧] في حين أنه قد يكون من الصعب أن يبرهن على عدم احتمال وجود التأثير الحوراني بين الهكسوس الأول، فإن هذا التأثير على أية حال لم يكن قويًّا كما كان في عهدهم المتأخر. وعندما نقول ذلك يحضر إلى ذهننا الأسماء القليلة التي

---

[٢٥] راجع: Speiser in A. A. S. O. R. Vol. XIII, p. 512, Leary, “From the Pyramids to Paul”, (New York, 1935) p. 17.

[٢٦] راجع: Gotze, “Hethiter, Churriter und Assyrer”, (Oct. 1936) p. 105.

[٢٧] والواقع أن هذه العلاقة الملحوظة الآن بين القوانين الحورانية وما جاء به الرسل العبرانيون له تأثيرٌ بَيِّنٌ في شرح هذه المسألة. أما عن الحورانيين والحوريين فيمكن الرجوع إلى ما قال: Speiser, A. A. S. O. R, Vol. XIII, 26–31; Albright, “The Horites in Palestine”, in “From the Pyramids to Paul”, p. 9–26.

من هذا النوع في المتون الكابوديشية، التي يرجع تاريخها إلى القرن العشرين قبل الميلاد، ولكن مهما كانت معلوماتنا قليلةً عن موضوع أصول هؤلاء السلالات التي يتألف منها الهكسوس، فإن وجود أي عنصر جديد في الجهات المجاورة يحتم فحصه؛ فبعد مرور قرن أو أكثر، أيْ في خلال القرن الثامن عشر، نجد سلاسلة الحورانيين في جماعات منظمة قد تصادموا مع «الخيتا» في غارتهم على «حلب» و«بابل»؛ ونرى أن ثلاثة أجيال من ملوك «الخيتا» (حنوشيليش، موشيليش، ختيليش) قد تكلموا عن الحورانيين في تاريخهم، وإذا كان بعض المتون يحيطه الإبهام بالنسبة لموقع بلاد هؤلاء القوم، فإنَّا نعرف مع ذلك أن بعضهم كان يسكن على وجه التأكيد شمالي «سوريا».[٢٨]

وعلاقة هؤلاء «الحورانيين» بهجرة الهكسوس الأولى محض تخمين، ومع ذلك فإنه بسبب عنصر الزمن الذي وجدوا فيه، وما لدينا من تأكيدات على أنه كان يوجد دم سامي بين الهكسوس، يجدر بنا إذن ألَّا نهمل ما قد يكون هناك من علاقة.

على أن أيَّ دليلٍ لقرْنِ الحورانيين بهجرة الهكسوس الأولى يكون أساسه الجوار، فإذا لم يكن للجماجم علاقة في تدعيمه، فعندئذٍ يجب أن تُعتَبَر «الخيتا» ضمن السلالات التي يحتويها شعب الهكسوس لنفس السبب وهو الجوار. على أن كل معلومات لدينا عن الحورانيين الأول الذين ذكرناهم الآن، ندين بها «للخيتا» الذين تلاقَوا معهم في غاراتٍ قاموا بها على «سوريا» و«مسوبوتاميا»، ويظهر أن فحص هذا الموضوع من الوجهة الأثرية ليس فيه أمل يُذكَر بالنسبة للأناضول، على أنه من المحتمل أن تُسفِر حفائر مقبلة في كلٍّ من بلاد «الأناضول» وشمالي «سوريا» عن علاقات ثقافية لها أهميتها.[٢٩]

والآثار الحورانية التي تُعَدُّ أقدم ممَّا سبق في شمالي «سوريا»، لم تحقق بعدُ بصفة قاطعة، وكذلك لدينا عنصر آخَر يُحتمَل عدُّه من الهكسوس، ويجب فحصه، مع العلم أنه يشتمل على صفة تختلف اختلافًا ظاهرًا عن العناصر التي عالجناها حتى الآن، وهذا

---

[٢٨] راجع: Emil Foreer, Die Boghazkoi-Texte in Unschrift II. (W. V. D. O. G. XLII), (1922) 12. A. i 24–25; 14 a i 12 and 16; 17. A rev. (?) III. 16, 18, 23, 33; 19: 4, 8; 20. I1. 15; 21. III. 9–15; 23. A. I. 30; 30; Edgar Sturtevant and George Bechtel, “A Hittite Chrestomathy”, (Philadelphia, 1935) p. 185.

[٢٩] راجع: T. J. Meek, “Hebrew Origins”, (New York and London, 1936) p. 5 حيث يقترح أن بعض الهكسوس يمكن أن يكونوا من أصل «لوي».

العنصر هم قوم «الخبيرو» وقد كان أول ظهورهم في التاريخ في «مسوبوتاميا» حوالي نهاية الألف الثالثة ق.م، وقد كان لهم اتصال وثيق بالحورانيين في القرون التي تلت،[٣٠] ولم يكن الخبيرو طائفة لها لغتها الخاصة أو جنسيتها الخاصة، بل كانوا على ما يظهر قومًا أَرْخَوا لساقهم العنان، يتألفون من سلالات مختلفة، ويحمل معظمهم أسماء سامية، ولكنهم أحيانًا يدَّعون لأنفسهم صلات لغوية أخرى.[٣١]

على أن تحقيق أسماء «الخبيرو» في المتون يتوقَّف كليةً على النص عليها بأنها أسماء «خبيرو»، فهؤلاء القوم على ذلك يؤلفون طائفةً لا جنسًا له طابعه الخاص، وإنه لَمِن الصعب أن يضع الإنسان تعريفًا يحدد به هذه الطائفة قبل رُقِيِّهم فيما بعدُ ووصولهم إلى مرتبة طائفة قومية هي طائفة اليهود؛[٣٢] ولكن كلًّا من الأثري «خبيرا» و«سيزر» قد وجد من دراسته لوحاتِ «نوزي» تعابيرَ خاصة يظهر أنها تنطبق على كلِّ «الخبيرو»، وهي: أغراب، عبيد مغيرون، جوَّالون، أعداء أجانب، مخاطرون.[٣٣]

وفي حين أن غالبية «الخبيرو» ساميون، فإنهم كانوا في العادة على اتصال وثيق مع العنصر الحوراني المنتسب إلى «الهكسوس»، ولما لم يكن هناك وحدة جنسية أو لغوية بين «الخبيرو» القدامى، فإنه من المحتمل عدم وجود وحدة ثقافية بينهم.

وفي الإمكان البرهنة على وجود علاقة بين الحقائق التي لاحظناها، وبين قصص الأنبياء، فمن المحتمل أن إبراهام هو «هاعبري» أيِ البدوي، قد صُوِّر يزور[٣٤] مصر في رحلة سلمية، والواقع أنه قد قرن غالبًا بين رحلته ورحلة «إبشا» الذي سار على رأس قافلة لزيارة مصر في عهد «سنوسرت» الأول كما أسلفنا، ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو العصر الذي لاحظنا فيه لأول مرة أدلةً على وجود الهكسوس في مصر كما سبق تفصيله،

---

[٣٠] راجع: Speiser in A. A. S. O. R., XIII. p. 34.

[٣١] راجع: Edward Cheira in A. J. S. L, XLIX. (1932) p. 117. F; Speiser in A. A. S. O. R., XIII, p. 35.

[٣٢] راجع: Meek, “Hebrew Origins”, Pp. 1–45. Wilson, “The Eperu of the Egyptian Inscriptions”, A. J. S. L., Vol. XLIX, p. 275–80; Parzen, “The Problem of the Ibrim (Hebrews) in the Bible”, ibid, p. 254–61; Gunn, “A Note on the Aperu”, A. A. S. O. R, Vol. XIII, p. 38, note, 93.

[٣٣] راجع: Chiera in A. J. S. L. Pl. XLIX, 118–24; Speiser A. A. S. O. R., XIII, p. 36. f.

[٣٤] راجع: Speiser in A. A. S. O. R. XIII, p. 43 & 52.

وبعد فترة من الزمن دخلت كل أسرة يعقوب مصر، واتخذوها موطنًا لهم، ومن المحتمل أن لدينا في هذا الحادث ذكرى لاحتلال الهكسوس الشامل للوجه البحري.[٣٥] والواقع أن تكوين الهكسوس الجنسي لا يزال موضوعًا بعيدًا عن الحل، ويجوز أن بعض نواحيه لن يُكشَف عنها أبدًا، غير أنه واضح أن العنصر السامي كان قويًّا فيه، وكذلك يظهر أن الحورانيين، قد لعبوا دورًا هامًّا في هجرة الهكسوس، ومن المحتمل أن بعضًا من طائفة «الخبيرو» المختلطة الأجناس قد صاحبوا المهاجرين، ومن بين الذين يجوز إسهامهم في هذه الهجرة كذلك الهنود الإيرانيون، فإنهم على ما يظهر قد قاموا بنصيبٍ هامٍّ في هذه الحركة.

ويجب عند فحص مسألة التكوين القومي للهكسوس أن تُعالَج من وجهات النظر اللغوية والجنسية والثقافية، على ألَّا تُعالَج ناحية من هذه النواحي بأهمية دون معالجة النواحي الأخرى بنفس الأهمية؛ لأنه من المعقول أن نفرض أن أسرة حورانية الأصل مثلًا، لها مخصصاتها الجنسية والثقافية، قد تتكلَّم بإحدى اللهجات السامية بعد استيطانها «سوريا» و«فلسطين» مدةَ جيلٍ من الزمان، وتشير البراهين اللغوية الخاصة بالألف الثانية قبل الميلاد إلى أن اللهجات السامية كانت سائدة في هذه البلاد،[٣٦] وإذا أردنا مثلًا أن نقتبس مثالًا حيًّا ينطبق على الحالة التي نتكلم عنها، حيث نجد كلَّ أنواع الجنسيات والقوميات والعادات يختلط بعضها ببعض تحت نفوذ لغة واحدة رئيسية؛ فلدينا الولايات

---

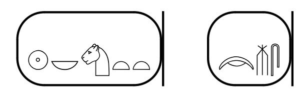
[٣٥] لا نزاع في أن قصص الأنبياء تحفظ لنا في ثناياها ذكريات في حوادثها لها قيمتها التاريخية، وقد أماط عن بعضها الكشوف الأثرية الحديثة من ذلك القصص التي تحتوي على عناصر من القانون الحوراني (Gen 31: 19–35). وتدل شواهد الأحوال على أن يوسف كان وزيرًا لأحد (Gen 41: 39–44) الفراعنة الهكسوس في مصر. وكذلك الآراميون يجوز أنهم كانوا ضمن هجرة الهكسوس. وقد وصف يعقوب بأنه آرامي جوَّال في وقتٍ كان يميِّز فيه العبرانيون بينهم وبين الآرميين بوضوح جلي (Deut. 26:5)، وهذا قد يدل على استمرار تقاليد قامت على حقائق. وكذلك يمكننا أن نشير هنا إلى أن إسحاق ويعقوب كانا قد تزوَّجَا من آراميات (Gen. 25:20 & 28: 2–5) والعبارة التي اقتُبِست كثيرًا (Nun. 13–22) عن «حبرون» بأنها بُنِيت قبل زاون (تانيس–أواريس) بسبعة أعوام، لم تُحقَّق قطُّ حتى الآن من الوجهة الأثرية. وكذلك من الصعب أن يعالج الإنسان موضوعَ شراء إبراهيم — عليه السلام — لكهف في حقل «ماخيلاه» من «عفريم الخيتي» (Gen. 23)، غير أنه ليس لدينا على ما يظهر سبب يدعو لعدم سكنى الخيتا في حبرون في ذلك العهد.

[٣٦] راجع: Albright, in J. p. O. S. Vol. VII, p. 254.

المتحدة الحالية. ومهما يكن أصل تكوين الهكسوس، فإن اللغات التي استعملوها كانت تميل إلى الاختفاء أمام اللغة السائدة في البلاد، في حين أن العادات كانت تمكث مدة أطول من اللغة والجنس على ما نعلم، ويمكن الكشف عن هذا الجنس إذا كان في الإمكان جمع طائفة كافية من الجماجم لدرسها، وقد أبرزنا فيما سبق الدورَ الذي لعبه الساميون في هجرة الهكسوس، والظاهر أن نفوذهم كان عظيمًا بسبب انتشار لغتهم، ومع ذلك فليس لنا الحق في أن نقول إن مَن يحمل اسمًا ساميًّا بين قوم الهكسوس لم يكن حورانيًّا أو حيثيًّا (خيتا) أو هنديًّا إيرانيًّا؛ إذ نجد من بين ملوك الهكسوس مَن كان يحمل أسماء مصرية محضة، ومع ذلك فإن أولئك الملوك لم يكونوا منتسبين إلى أصل مصري؛ على أن استمرار بقاء أسماء من مسميات الطوائف التي كانت لغاتهم خاضعة لسيادة لغة أخرى، يكون مفيدًا للغاية، وبهذه المناسبة يجب ألَّا نتغاضى عن التنبيه على أن عددًا من أسماء الهكسوس قد بقي إلى الآن لم يحقق لغويًّا؛ وهكذا سيظل موضوع أصل شعب الهكسوس في حاجةٍ إلى أدلة جديدة بعد أن استعرضنا الوثائق الحديثة العظيمة التي وصلتنا عنه حتى الآن؛ ولذلك كان الكشف عن متون جديدة من البقاع التي احتلَّتْها الهكسوس مساعدًا عظيمًا لحل هذه المسألة، ويجب أن يكون قيام بحوث أثرية جديدة في سوريا وما وراءها على أساس العناية الدقيقة في جمع الأدلة الثقافية ونتائج فحص العظام؛ جزءًا من الطريقة التي تُتَّبَع لحلِّ هذه المسألة.

الأسرة الثامنة عشرة

أحمس الأول (١٥٨٠–١٥٥٨)



(١) أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة

لقد كان «مانيتون» المؤرخ المصري القديم محقًّا عندما جعل «أحمس» الأول فاتحة ملوك الأسرة الثامنة عشرة، على الرغم من أنه من أسرة كانت تسيطر على جزء كبير من البلاد في عهد الأسرة السابعة عشرة؛ إذ الواقع أنه في حكم هذا الفرعون قد طُوِيت صحيفة من تاريخ البلاد سُطِّر عليها عهدُ استعباد الشعب المصري مدةَ قرنٍ ونصف من الزمان، ثم بدأ صحيفة جديدة كان أول ما خُطَّ فيها آيات بينات تحدِّثنا عن استقلال البلاد وطرد الغزاة الغاصبين من أرض الكنانة، ثم الإصلاحات التي قامت في طول البلاد وعرضها، بعد استتباب الأمن في الداخل والخارج على أُسُسٍ متينة هيَّأَتْ لَمن جاء بعده من الفراعنة الشجعان أن يؤسِّسوا دولةً مترامية الأطراف، تمتد من الشلال الرابع جنوبًا إلى أعالي نهر دجلة والفرات شمالًا، وتدين لها كل الأمم المجاورة ماديًّا وأدبيًّا، حتى أصبحَتْ في عهد «تحتمس» الثالث — الذي يلقِّبه مؤرخو الغرب «بنابليون» الشرق — الإمبراطوريةَ الأولى في عالم التاريخ القديم؛ وقد كانت المثل الذي احتذَتْه الإمبراطوريات الغربية العظيمة قديمها وحديثها في تأسيسِ ملكها ومدِّ سلطانها.



شكل ١: تابوت أحمس الأول.

(٢) أعماله الحربية في الخارج والداخل

والواقع أن الحادث الجلل الذي يعلم به حكم «أحمس» الأول الذي خلف أخاه «كامس»، هو متابعة الحروب العظيمة التي نشبت بين المصريين والهكسوس، وهي المعروفة بحروب الاستقلال التي كانت أمجدَ صحيفة في التاريخ المصري، وقد فصَّلنا القول في هذه الحروب الطاحنة في موضعه، ولم تمضِ أربع أو خمس سنوات على بداية هذا النضال العنيف حتى أفلح «أحمس» في طرد الهكسوس من البلاد جملةً، بل سار بجيشه حتى بلاد «زاهي» (فينقيا)، حيث يحدِّثنا «أحمس» عمَّا أحرزه من انتصار، وبعد أن تمَّ له الفوز في هذه الأصقاع الآسيوية عاد ثانيةً موليًا وجهه نحو الحدود الجنوبية؛ حيث كان السود قد اقتنصوا فرصةَ اشتغاله بالحروب في آسيا، وزحفوا شمالًا نحو البلاد المصرية، فلحق بهم وأعمل السيف فيهم في مذبحةٍ عظيمةٍ، كما دُوِّنَ ذلك على جدران قلعة «سمنة» الملك «تحتمس» الثاني.[١]

[١] راجع: L. D. III. Pl. 47c.

على أنه لما قفل راجعًا وجد أن بعض الثورات قد اندلع لهيبها في داخل البلاد، ولا يبعد أن الذين قاموا بتدبيرها أفرادٌ من الذين تخلفوا في البلاد من الهكسوس بعد طردهم، وهذا ليس بالحادث المستغرب؛ لأن طرد قوم بأكملهم استوطنوا البلاد مدة طويلة دفعة واحدة يُعَدُّ من الأمور الصعبة التحقيق، ولا نزاع في أن الثورتين اللتين قام بهما «آتا» ثم «تتاعان»، وكان يجري في عروقهما الدم الهكسوسي، قد هُزِم كلٌّ منهما في ثورته هزيمة منكرة، ومن ثَمَّ لم نسمع بقيام ثورات داخلية بعد ذلك.

والظاهر أنه بعد هذه الحروب لم تصادفنا حوادث خطيرة في حكم هذا الفرعون، بل تدل الأحول على أنه أخذ في تنظيم حكومة البلاد وإصلاح ما تخرَّبَ فيها خلال حرب الاستقلال، ممَّا استنفد الجزءَ الأكبر من مدة حكمه.

(٣) اللوحة التي أقامها في معبد الكرنك تخليدًا لأعماله وأعمال والدته

والواقع أنه ليس لدينا تواريخ بعد السنة الخامسة من حكم هذا الفرعون، وهي السنة التي قضى فيها القضاء المبرم على قوة أعدائه شمالًا وجنوبًا، إلى أن نصل إلى السنة الثانية والعشرين من حكمه، حيث نجد «أحمس» قد أقام لوحة عظيمة بمعبد «الكرنك» تكشف لنا عن نواحٍ عدة من نشاطه، وما قامت به والدته «أعح حتب» من أعمال عظيمة وعلاقتها بجزيرة «كريت» وملكها، وما قام به للآلهة — وبخاصة الإله «آمون» — من جليل الأعمال، ممَّا يكشف لنا عن حالة البلاد المادية والصناعية وقتئذٍ؛ ولذلك لم نَرَ بدًّا من إثبات محتويات هذه اللوحة بأكملها، على الرغم ممَّا فيها من النعوت البليغة التي يصف بها هذا الفرعون نفسه، ثم نعلِّق على ما جاء فيها من حقائق جسيمة قد نوَّهَ عن بعضها الأستاذ «إدورد مير» في مؤلَّفه التاريخ القديم.[٢]

وهاك النص كما جاء في الأصل المصري القديم مع التعليق عليه.

يبتدئ النص بذِكْر ألقاب الفرعون الخمسة الرسمية[٣]

وهي (١) حور — عظيم الشكل (٢) العقاب والصل = حسن الولادة (٣) حور القاهر = الضام الأرضين (٤) ملك الوجه القبلي والبحري = رب الأرضين نب بختي رع

[٢] راجع: Meyer, “Gesch.” II, 1. p. 54–55.

[٣] لم تذكر ألقاب هذا الفرعون الخمسة كلها على أثر واحد خلافًا لهذه اللوحة (راجع: Gauthier L. R. (V) Vol. II. p. 177).

(٥) ابن الشمس = الذي يحب أحمس عاش مخلدًا (راجع تفسير الألقاب الملكية مصر القديمة جزء أول).

ألقاب أحمس ووصف عظمة ملكه: ابن آمون رع من جسده ومحبوبه ووارثه، ومَن أعطى له عرشه، الإله الطيب حقيقة، قوي الساعد والذي لا يشوبه مين، وإنه أمير يشبه الإله «رع» وتوءم ولدي «جب» (إله الأرض) ووارثه الذي يتمتع بالسرور، وصورة لـ «رع» الذي فطره، والمنتقم له الذي جعله على الأرض، والذي يضيء دهورًا، رب الانشراح، ومانح النفس في أنوف السيدات (؟)، والشديد البأس … معطي الحياة، ومقيم العدالة، ملك الملوك على كل أرض، الملك (له الحياة والعافية والصحة) الذي يضم الأرضين، عظيم الاحترام، القوي في الظهور، … من يخضع له، وآلهتهم يحملون له الحياة والسعادة، وهو واحد في السماء، والثاني على الأرض، ومن يخلق من صوته النور، محبوب «آمون»، ومن يثبت الوظائف مثل الإله، حسن الوجه (أي بتاح)، المسيطر على السنين مثل جلالة «رع» (أي يحكم سنين عدة)، ومن يجعله الإله يعرف محرابه، وما يلزم لكل عيد إله، ملك الوجه القبلي في بلدة «بوتو»، والأمير على مصر، وعماد السماء، وسكان الأرض، ومن استولى على ما تحيط به الشمس، ومن قد ثبت على رأسه التاج الأبيض، والتاج الأحمر، ومن نصيب كل من «حور» و«ست» تحت سلطانه (أي مصر كلها)، والمضيء الطلعة في شبابه، ومن قدر لتاجه أعجوبة مزدوجة في كل ساعة، رفيع الريشتين، ومن يكون أمامه الصلان القويان على جبينه مثل ما يكونان على جبين «حور» عندما يسيطر على الأرضين، وهو ملك له الحياة والسعادة، مستولٍ على التيجان في «خمس»[٤] وصاحب التاج، حور المغمور بالحب، ومن يأتي له الجنوب والشمال والشرق والغرب، وهو سيد باقٍ، ومن وطد أرضيه (مصر) ومن استولى على إرث من أنجب، ومن تتراجع أمامه الأرضان قاطبة، وقد أعطاه إرثيهما والده الفاخر،

[٤] كوم الخبيزة الحالية في شمال الدلتا، وهي التي وُلِد فيها حور أو أهل الشمس أو بنو الإنسان كما يقول جاردنر (Onomastica Vol. I. p. 112).

وقد سيطر على طبقة «الخنمت»[٥] وقبض على طبقة الزخيت[٦] (المتعلمين)، وقدم له الخضوع «البعت» (القبلي الخاصة)، وكان كل فرد يقول إنه سيدنا، وسكان بحر إيجة جميعًا يقولون إنه إلهنا، والأراضي تقول نحن أتباعه وأنه ملك قد نصبه «رع» أميرًا، وجعله «آمون» عظيمًا، وقد أعطياه الشواطئ والأراضين دفعة واحدة، وكذلك ما تضيء عليه الشمس، ويقف الأجانب في موكب واحد عند باب قصره، والوجل منه في بلاد «خنت نفر» (قبائل البجة القاطنة ساحل البحر الأحمر والنيل)، وزئيره في أراضي «الفنخو»، والخوف من جلالته في هذه الأرض (مصر) مثل الخوف من الإله «مين» في السنة عندما يأتي (أي في سنة القحط)، وإنهم يحضرون الطرف الغالية عندما يأتون محملين بالهدايا إلى الفرعون، وعندئذٍ يخرج الملك وبصحبته أتباعه مثل القمر في وسط النجوم، يسير في رقة، ويخطو في تؤدة، وبقدم ثابتة، ونعل طائع، يرفرف عليه بهاء «رع» ويحميه «آمون» والده الفاخر، ويفسح له الطريق، والقطران يقولان: حقًّا إنا نراه، وحبه يملأ كل إنسان، وتنبهر العينان برؤية هذا الملك، والقلوب تنبض بحبه، وتلحظه كأنه «رع» عند إشراقه، وهو مثل قرص الشمس عندما يسطع، ومثل شمس الظهيرة عندما تضيء العينين، وأشعته في الوجوه مثل أشعة «آتوم»، وهو في شرق السماء عندما ترقص النعامة في وديان الصحراء (أي في وقت الظهيرة)، ومثل «ياخو» (إله الشمس) عندما يرسل أشعته وسط النهار، وقتما تكون الديدان جميعًا محرورة، وهو الإله الأوحد الذي أرضعه نجم الصباح (إيزيس)، ومن مدحته الإلهة «سشات» (إلهة الرياضة التي علمت الملك)، ومن تكتنفه هيبة الإله «تحوت» (إله العلم) الذي يمنحه معرفة الأشياء، وإنه الذي يهدي الكاتب إلى الدقة، وعظيم في فنون السحر، وإنه مالك للحب أكثر من كل الملوك، وهو «حور» (الملك) الذي يحبه «رع»، والذي يجعل القلوبَ تثني عليه والأفئدةَ تقدِّم له المديح في الأجسام.

طلب الملك إلى رعيته أن يحترموه: أصغوا يا أهل الوجه القبلي، ويا رجال الدين، ويا أهل الوجه البحري، ويا أيها الناس جميعًا، يا مَن يتبعون هذا الملك

[٥] الحنممت قد يُقصَد منها رجال الدين كما يقول «إدورد مير».

[٦] رخيت هم المواطنون سكان الدلتا.

في خطواته، أعلنوا فخاره للآخرين وتطهَّروا باسمه، وتطهَّروا بحياته (بحلف اليمين)، تأملوا إنه إله على الأرض فقدِّموا له الخضوع مثل «رع»، أثنوا عليه مثل ثنائكم على القمر، فهو ملك الوجه القبلي والوجه البحري «نب بحتي رع» الذي يضع في الأغلال كلَّ أرض أجنبية.

دعوة القوم إلى تبجيل الملكة «أعح حتب» ومديح تلك الأميرة لما لها من سلطان: قدِّموا المديح لسيدة البلاد، وسيدة جزر «بحر إيجة»، فاسمها رفيع الشأن في كل بلد أجنبي، فهي التي تضع الخطة للجماهير، زوج الملك، وأخته الملكية، لها الحياة والسعادة والصحة، وهي أخت ملك، وأم ملك، الفاخرة والحاذقة التي تهتم وتضطلع بشئون مصر، ولقد جمعت جيشها، وحمت هؤلاء، فأعادت الهاربين، وجمعت شتات الذين هاجروا، وهدأت روع الوجه القبلي (أيْ مملكة طيبة)، وأخضعت عصاته، الزوجة الملكية، «أعح حتب» العائشة.

الهدايا والمباني التي أمر الفرعون بإقامتها للإله «آمون»: والآن أمر جلالته بصياغة آثار لوالده «آمون رع» تشمل: أكاليل عظيمة من الذهب، وقلائد من حجر اللازورد الحقيقي، وتعاويذ من ذهب، وإبريق ماء عظيمًا من الذهب، وآنية ماء وأباريق من الفضة، وآنية لصبِّ ماء القربان من الذهب، ومائدة قربان من الذهب والفضة، وعقود «منت» من الذهب والفضة يتخلَّلها حبات من اللازورد والفاروز وآنية «تاب إن كا» من الفضة، وقاعدتها من الفضة، وآنية «تاب إن كان» من الفضة، وحافتها من الذهب، وقاعدتها من الذهب والفضة، وآنية «ثني» من الفضة، وآنية ماء من الجرانيت الأحمر مملوءة بالزيت، وآنية «وشمم» كبيرة من الفضة والذهب وحافتها من الذهب … من الفضة، وعودًا من الأبنوس، والذهب والفضة، وتماثيل الهول … من الفضة، وسبت من الذهب.

ثم أمر جلالته أن تنزل السفينة في النهر، واسمها «وسرحات» (تمثال آمون صاحب التمثال النصفي القوي)، وأن تكون من خشب الأرز الجديد من أحسن خشب المدرج (أي جبال لبنان) لتقوم برحلة السنة الجديدة … ولقد أقمت عمد أعلام من خشب الأرز، وكذلك السقف والأرضية، وأعطيت …

(٣-١) أهمية هذا النص من الوجهة التاريخية

هذا النص على ما يحتويه من تفاصيل دقيقة، وإشارات بعيدة إلى أمور جسام في حياة الفرعون «أحمس» الأول؛ يرى فيه المؤرخون أنه عبارات مدح تقليدية تشغل نحو ستة وعشرين سطرًا منه، وستة الأسطر الباقية تعدد إصلاحات هذا الملك التي قام بها لإعادة أثاث معبد «آمون» وأوانيه، وأن الملك لم يُشِرْ إلا إشارة عابرة مبهمة عن حروبه في خلال تلك الجمل المملة المتتابعة، ولكن الواقع أن هذه اللوحة تُعَدُّ على جانب عظيم من الأهمية من الناحية التاريخية والثقافية والأدبية في عهد هذا الفرعون؛ وبخاصة لأنها تشير من طرف خفي إلى علاقة مصر بجيرانها، وتصوِّر لنا حالة البلاد، وعلاقتها بالملك وأمه «أعح حتب»، ثم الدور التي لعبته هذه الملكة في إدارة سكان هذه البلاد؛ وقد كان أول مَن لفت النظر إلى مكانة هذه الملكة في تسيير أمور الدولة في عهد ابنها «أحمس» هو الأستاذ «إدورد مير» مما سنفصله هنا.

تبتدئ اللوحة بذكر ألقاب الفرعون الخمسة التي لا بد أن يحملها كل فرعون بعد تتويجه ملكًا على البلاد، ثم يذكر لنا «أحمس» أنه من نسل الآلهة، وأنه وارث «أوزير» والإله «رع» أول من حكم على الأرض، ونشر فيها العدالة، ثم يذكر لنا هذا الفرعون أنه أصبح ملك الملوك بعد انتصاراته على الغزاة القاهرين، حتى إن آلهتهم يقدِّمون له الحياة والسعادة، ثم يذكر لنا المتن أنه واحد في السماء، والثاني على الأرض، فهل يعني بذلك أن والدته كانت شريكته في ملك مصر؟ وبعد ذلك يقول إنه ملك الوجه القبلي في «بوتو»، و«بوتو» كانت العاصمة الدينية للوجه البحري منذ القِدَم، فهل معنى ذلك أنه بعد أن كان حاكمًا على الوجه القبلي وحده، أصبح يمتد سلطانه حتى «بوت» العاصمة الدينية للوجه البحري بعد طرد الهكسوس؟

ولا نزاع في أن هذا المعنى هو المقصود من المتن؛ إذ بعد هذه الجملة يأتي مباشَرةً أنه حاكم «تميرا»، أيْ أرض مصر كلها، ثم يستمر المتن قائلًا إنه قد استولى على ما تحيط به الشمس، وإن نصيبي «حور» و«ست» وهما الوجه القبلي والوجه البحري قد أصبحَا تحت سلطانه، وإن سكان الجنوب والشمال والشرق والغرب يأتون إليه طائعين، وإن طبقات سكان مصر الثلاث «رخيت» (العامة)، وسكان الوجه القبلي «بعت» (الأغنياء)، وبنو الإنسان (حنممت)؛ لا يعقدون الأيمان إلا باسمه، وإنهم يمدحونه، ويعظِّمونه مثلما يعظمون ويمدحون الشمس والقمر، ثم بعد ذلك تأتي فقرة لم نلحظ مثلها في النقوش الملكية قطُّ، وأعني بها ذلك الأمر الذي دعا به «أحمس» الناس للتعظيم من شأن أمه

الملكة «أعح حتب»، وهي التي تحمل لقب سيدة الأرض (أي مصر)، وأميرة شواطئ «حايونبوت»، وكلمة «حايونبوت» كناية عن سكان جزر البحر الأبيض، وهي في هذه الفقرة لا بد يقصد بها جزيرة «كريت» وما جاورها من الجزر. وبعد ذلك تأتي عقود المديح التي صيغت لهذه الملكة فاستمع إليها: «اسمها رفيع الشأن في كل بلد أجنبي، فهي التي تقود الجماهير، زوجة ملك، وأخت ملك، وبنت ملك، وأم ملك، الفاخرة والحاذقة التي تهتم وتضطلع بكل شئون مصر، وهي التي جمعت جيشها، وحمت أولئك الناس، وأعادت الهاربين، وجمعت شمل الذين هاجروا، وهدأت روع الوجه القبلي (أي مملكة طيبة)، وأخضعت عصاته بوصفها الزوجة الملكية «أعح حتب» العائشة.» ففي هذه الكلمات التي فاه بها ابنها، تظهر فيها هذه الملكة بأنها هي التي أنشأت مصر الجديدة، وأنها الروح الذي أقال مصر من عثرتها، وكتب لها النجاح، يُضاف إلى ذلك أنه قد يُستنبَط من هذه الكلمات أنها لا بد كانت قد قامت بنشاط محس في خارج بلادها؛ إذ كان لا يمكنها أن تحمي الهاربين وتجمع شتاتهم إلا في البلاد الأجنبية، وكذلك كان في مقدورها أن تقود هناك جيشها إلى النصر. ومن أجل ذلك يجب أن نسلم أنها بعد وفاة زوجها «تاعا» الشجاع، أخذت في يدها مقاليد الأمور بعزم وحزم، معضدةً ابنها «كامس» المحارب الذي كان على ما يظهر لا يزال حدث السن، على أن مظهرها هذا ليس فيه ما يتناقض مع موقف «كامس». ولما تولى «أحمس»، وقد كان على ما يظهر حدث السن أيضًا، أصبحت هي الوصية الحقيقية على عرش «طيبة»؛ ولكن لا بد أنها كانت في الوقت نفسه قد عقدت أواصر المودة والصداقة بينها وبين ملك «كريت»، ومن المحتمل أنها تزوَّجَتْ منه؛ وذلك لأنه لا يمكننا تفسير عبارة «أميرة شواطئ حايونبوت» على أي وجه آخَر كما يقول «إدورد مير».

وما سبق يتضح — إذا كان التفسير الذي أوردناه مقبولًا — أن الهكسوس قد وقعوا بين مخالب مملكة «طيبة» وجزيرة «كريت» التي أصبحت حليفتها، وبهذا أصبح من السهل حصار «أواريس» والتغلُّب عليها؛ ونجد في هذه الأنشودة الملكية فضلًا عن ذلك ما يُثبِت هذا الزعم، فطبقات الشعب الثلاث تقول: «إنه سيدنا.» ويقول أهل «حايونبوت»: نحن في ركابه. والأراضين تقول: نحن ملكه. وفي استطاعة الإنسان أن يميِّز بوضوح ثلاث طوائف مختلفة؛ الرعية المصرية، وأهل «كريت» حلفاء مصر، وهم الذين يقومون لها بالمساعدة الحربية، ثم سائر العالم (أيْ سوريا وبلاد السودان)، وهي الأراضي التي يظلها سلطان مصر.

وقد كان أثر هذه العلاقة الوثيقة التي توثقت عراها بين مصر «وكريت» على جانب عظيم من الأهمية، وبخاصة في الثقافة والصناعة التي تبودلت بين أهل البلدين منذ زمن بعيد، وقد زادتها هذه الروابط الجديدة قوةً، ممَّا جعلها تنمو وتعظم في الأزمان المقبلة.



شكل ٢: سلاح بلطة أحمس الأول.

والواقع أن تبادُل الثقافة والصناعة بين البلدين قد ظهر أثره في سلاحين من أسلحة الزينة في نفس العصر الذي نحن بصدده، قد كان يحملها الملك «أحمس»، وكذلك في قطعة أخرى من الحلي باسم «كامس» وُجِدت مع مجوهرات والدته «أعح حتب»، فنجد أنه قد نُقِش على أحد وجهَيْ خنجر «أحمس» المعلَّق في خيط من الذهبِ اسمُ الملك، وكل حرف من حروفه قد غُطِّي بصفيحة من الذهب الجميل الصنع، ثم نجد بعد ذلك أنه قد صيغ على نفس الوجه أسد يقتفي أثرَ ثور، ثم أربع جرادات، ويُرى في صنع هذا الخنجر تأثيرَ الفن الكريتي المحض؛ إذ قد وجد في هذه الجزيرة وفي «مسينا» خناجر مطابقة لخنجر الملك «أحمس»، غير أن الصناعة كانت مصرية، وكذلك نجد نفس التأثير «الكريتي» في

(بلطة) «أحمس»[٧] (انظر الشكل ٢)، يضاف إلى ما سبق أن الفرعون قد أشار إلى البلاد التي تغلَّبَ عليها كما ذكرنا آنفًا.

أما علاقة هذا الملك بشعبه، وما يحملونه له من رهبة وتجلة في قلوبهم، وما يحيط به نفسه من الأبهة والعظمة عند خروجه على الناس في المحافل الرسمية، فقد جاء وصف كل ذلك في قطعة رائعة ربما تذكِّرنا بعهد ملوك الدولة العباسية، وما كانت تُوصَف به مواكبهم، وكذلك ينطبق على سلاطين المماليك، وما كانوا يحيطون به أنفسهم من مظاهر الملك الرائعة، فاستمع إلى هذه الفقرة التي لم نجد لها مثيلًا في النقوش المصرية التي طبقت هذا العصر، ولم نقرأ ما يشابهها في العصور التي تلت: «ويطلع الملك وحاشيته كأنه القمر في وسط النجوم، ويسير في رفقٍ وبخطًى وئيدة، وبقدم ثابتة، ونعل ينطبع على الثرى أثره، ويرفرف عليه بهاء «رع»، ويحميه «آمون» والده الفاخر، مفسحًا له الطريق، والقطران يقولان: حقًّا إنَّا نراه، وحبه يغمر كل إنسان، وتنبهر العينان لرؤية هذا الملك، والقلوب تخفق له، وتنظر إليه كأنه «رع» عند إشراقه … إلخ.»

(٤) إصلاحات أحمس

ولا عجب في أن نرى «أحمس» يصف نفسه بهذه الأوصاف، ويجعل قومه المدينين له يردِّدونها بصوتٍ عالٍ، فهو جدير بكل مراسيم الاحترام، وآيات الحب والإعظام؛ لأنه هو الذي خلَّصَ البلاد من ربق العبودية الأجنبية.

ثم نرى بعد ذلك «أحمس» يوجِّه عنايته نحو إصلاح ما أفسده الدهر من آثار إلهه العظيم «آمون»، الذي كان بزعمه قد هيَّأَ له النصر على الأعداء، هذا فضلًا عن أنه كان إله الدولة، وحامي حماها، فأمر بصنع أوانٍ جديدة لمعبده «بالكرنك»، معظمها من خالص النضار والفضة، والأحجار الغالية على يد مَهَرَة الصنَّاع، ومن أوصاف تلك الأواني وحدها يمكننا أن نعرف ما وصل إليه الفن المصري من الدقة والإتقان، وحسن الذوق في زمنه، ولا بد من أن الذهب كان يوجد بكثرة في مصر الآن، وبخاصة بعد أن أخضع بلاد النوبة التي كانت أكبر مصدر لهذا المعدن الكريم، وكذلك نجد أن هذا الفرعون قد صنع سفينة

[٧] راجع: Furtwangler, Die Antiken Gemmen III, 20; Fimmen, "Die Kretische–Mykenische Kultur", p. 204. ff.

الإله «آمون» التي كانت تجري في النيل بين «الكرنك» و«الأقصر»، تحمل تمثالَ الإله في عيد رأس السنة من خشب الأرز الجديد. وفي وصف هذا الخشب بالجديد فوز جديد لـ «أحمس» الأول؛ إذ إنه قد أحضره من الجبال الواقعة على شاطئ «لبنان»؛ ممَّا يبرهن على أن هذه الجهات قد أصبحت في قبضة يده، كما يدل على ذلك النص المصري.

(٤-١) مبانيه

والظاهر أن هذا الفرعون كان في الوقت الذي أمر فيه بصنع الأواني والحلي الخاصة بمعبد «آمون»؛ كان قد بدأ يحوِّل عنايته لإعادة بناء المعابد الهامة في عاصمة الملك، على أن بقاء عاصمة البلاد وأهم مركز ديني بدون إصلاح ما خرب منها، لَأكبر دليل على ما كانت تحتاج إليه البلاد من تنمية الثروة الضرورية لنهوض البلاد من كبوتها المادية الطويلة الأمد، قبل أن يهتم مليكها بإنشاء الكماليات، وما تطمح إليه نفسه، وقد كان ذلك يحتاج إلى نهوض جيل جديد يجري في عروقه دم الحرية، تنتعش به البلاد ممَّا حلَّ بها من خراب واضطهاد.

على أن المباني التي أُقيمت في هذا العهد في «طيبة» و«منف» قد ابتلعتها التغيُّرات التي حدثت في مبانيهما في الأزمان التي تلت، والتخريب الذي لحق بهما على يد الأجانب، ولكن لحسن الحظ قد حفظت لنا الوثائق التي تحدَّثنا عنها في محاجر «طرة» أن «نفربرت» حامل خاتم الفرعون ورفيقه، قد نقش لوحتين مؤرَّختين بالسنة الثانية والعشرين من حكم «أحمس»، وقد سجل عليهما فتح محاجر لقطع الأحجار اللازمة لبناء معبد «بتاح» بمنف ومعبد «آمون» بطيبة، ونجد قبل النص في أعلى اللوحة ألقابَ الملك «أحمس»، ثم ألقاب زوجه «أحمس نفرتاري» بصورة بارزة تفوق ألقاب زوجها، والنص هو:

> السنة الثانية والعشرون من حكم الفرعون «أحمس» بن «رع» معطي الحياة. هذه الحجرات الخاصة بقطع الأحجار قد فُتِحت من جديد، واستُخرِج الحجر الجيري الأبيض الجميل من عيان (اسم الإقليم القديم) لبناء معابده التي ستبقى ملايين السنين، وهما معبد «بتاح» في «منف» ومعبد «آمون» في «الأقصر»، ولكل الآثار التي يقيمها جلالته له (أيْ لآمون)، وقد جرت الأحجار بالثيران التي غنمها جلالته في انتصاراته على «الفنخو».

وبعد هذا النص يأتي ذِكْر «نفربرت» الذي قام بهذا العمل، وما يحمله من ألقاب، وقد وصف نفسه بأنه ساهر على إصلاح المباني الأثرية، ويرى تحت هذا النقش رسم ستة ثيران تجرُّ زحافة عليها قطعة كبيرة من الحجر، ويلاحظ أن السائقين الثلاثة الذين يسوقون الثيرانَ أجانبُ كلٌّ منهم له لحية قصيرة، ولا يبعد أنهم كانوا من الأسرى الذين ساقهم «أحمس» معه إلى مصر.[٨]

(٤-٢) الملكة نفرتاري

ومما يلفت النظر في هذه اللوحة بروز اسم الملكة «أحمس نفرتاري»، ممَّا يدل على الأهمية العظمى التي كانت تمتاز بها الوارثة الملكية في الأسرة الفرعونية في هذا العهد، والواقع أن الأثري «ويجول» قد وجد اسمها منقوشًا وحده في محجر مرمر في وادي أسيوط.[٩] وقد كُشِف لها عن عدة تماثيل صغيرة تمثِّلها، مع أنه يُعثَر لزوجها «أحمس» على تمثال واحد حتى الآن، هذا وقد وُجِد لها تمثال ضاع رأسه في «معبد الكرنك».[١٠]

ومن المدهش أن هذه الملكة كانت تُقدَّس أكثرَ من زوجها، وقد بقي تقديسها على مر السنين أكثرَ من أي ملك آخَر، فقد وُجِدت آثارٌ تدل على ذلك حتى عهد الأسرة الواحدة والعشرين.

والواقع أنها كانت تُعَدُّ في نظر المصريين إلهةً مثل آلهة طيبة العظام، وكان لها طائفة خاصة من الكهنة تقوم على خدمتها، كما كان لها محراب مقدَّس يُوضَع على سفينة مقدَّسة، يُحمَل على الأكتاف في الاحتفال بالأعياد العظيمة، وقد كان القوم يدعونها بصيغة القربان المعروفة،[١١] وتُلقَّب على الآثار بالابنة الملكية، والأخت الملكية، والزوجة الملكية العظيمة، والأم الملكية، والحاكمة العظيمة، وسيدة الأرضين؛ فهي بذلك تضارع الملكة «أعح حتب» أم «أحمس» الأول في نفوذها؛ إذ كانت وصية عليه أيام حداثته كما أسلفنا.

---

[٨] راجع: L. D. III, Pl. 3; Petrie, “History”, II, p. 37.

[٩] راجع: A. S, XI, p. 176.

[١٠] راجع: Wiedemann, “Gesch”. p. 316.

[١١] راجع: Petrie, “History”, II, p. 37. ff.



شكل ٣: الملكة أحمس نفرتاري.

والظاهر أنها عاشت مدة طويلة بعد وفاة زوجها الذي مات في سن الأربعين، وقبرها مجهول مكانه حتى الآن، ولكن وُجِد تابوتها في خبيئة الدير البحري، وهو موجود الآن بالمتحف المصري، ويبلغ طوله أكثر من عشرة أقدام، وقد عمل الغطاء على هيئة صور الملكة، وتلبس التاج والريشتين الطويلتين، المميزتين للمليكة أو الإلهة، وذراعاها مثنيتان، وفي كل يدٍ من يدَيْها رمزُ الحياة، وقد وُجِد في تابوتها موميتان: إحداهما حقيرة في منظرها، والثانية التي كانت موضوعة في تابوت ثانٍ محفوظة حفظًا جيدًا ومحنطة تحنيطًا متقنًا؛ والظاهر أن أصحاب الشأن في المتحف المصري، قد ظنوا أن الجسم الذي كان في التابوت هو جسم «أحمس نفرتاري»، وأن الجسم الثاني كان دخيلًا وضعه الكهنة عندما كانوا ينقلون الجثث الملكية في مخدعهم الأخير؛ ولذلك حُفِظ في مكان خاص، غير أنه تأثَّرَ في هذا المكان بالرطوبة، فتصاعدت منه رائحة كريهة، فدُفِن في الحال في حديقة المتحف؛ ولكن

أخذ الشك يخامر «مسبرو»[١٢] بعدُ في أن الجسم الذي دُفِن في الحديقة هو جسم الملكة «نفرتاري»؛ ولذلك أخذ الأثريون يندبون النهاية المحزنة التي لاقتها جثة الملكة «أحمس نفرتاري»، غير أن «مسبرو» على ما يظهر أكَّدَ لنا أن الجسم لم يُفقَد قط، وأنه الآن في مكانه بالمتحف المصري، ولكن الدكتور «إليت سمت» عندما أخذ يفحص الأجسام التي وُجِدت في خبيئة الدير البحري أكَّد بأن واحدًا من الجسمين يُحتمَل أنه جسم الملكة؛ لأنه كان جسم امرأة قد حُفِظت على الطريقة التي كانت متَّبَعة في عهد باكورة الأسرة الثامنة عشرة، وتدل نواجز فكها الأعلى البارزة التي كانت من مميزات الأسرة على أنها «نفرتاري»، فإذا كان هذا هو الواقع، فإن جسمها هو الذي يحمل رقم ٦١٠٥٥[١٣] في متحف القاهرة.

ويمكن الإنسان أن يقول: إنها عند مماتها كانت امرأة طاعنة في السن هزيلة الجسم تكاد تكون صلعاء، وقد غطَّتْ هذا الصلع بجدائل من الشعر المستعار، ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى أنها كانت أكبر من أخيها «أحمس» بسنين عدة، وقد لفظت النفس الأخير في عهد ابنها «أمنحوتب الأول».

(٤-٣) اللوحة التي أقامها في العرابة للملكة تيتي شري

ومن الآثار القليلة الهامة التي بقيت لنا من عهد هذا الفرعون لوحةٌ عُثِر عليها في «العرابة المدفونة»،[١٤] ولا بد أنها نُقِشت في أواخر حكمه، وألفاظها تنمُّ على أنها ليست من الطراز التقليدي في عبارتها، بل يجد الإنسان فيها التعبير عن الأحاسيس بالبر البنوي نحو الوالدة؛ إذ الواقع أن «أحمس الأول» وزوجه «نفرتاري» قد أظهرَا في نقوش اللوحة فضْلَ جدتهما عليهما، وحبهما لإحياء ذكرياتها بتوسيع قبرها الرمزي المقام في «العرابة المدفونة»، وهاك النص:

> والآن اتفق أن جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «سنب بحتي رع» ابن الشمس «أحمس» كان جالسًا في قاعة الاستقبال (في القصر)، في حين كانت الأميرة الوراثية صاحبة الحظوة العظيمة والرقة الفائقة، بنت الملك،

[١٢] راجع: Maspero, “Guide” No, 1173. bis.

[١٣] راجع: Catalogue of Cairo Museum, No. 61. 55.

[١٤] راجع: Ayrton, Currelly, Weigall, “Abydos”, III, Pl. LII.

وأخت الملك، والزوجة المقدسة، والزوجة العظيمة «أحمس نفرتاري»؛ كانت مع جلالته، وكان الأول يتكلَّم للأخرى باحثين عمَّا فيه صلاح أولئك الذين هنالك (الأموات)، ويتكلمان عن تقديم القربان، وتقريب الضحايا على المذبح، وتزيين اللوحة الجنازية التي سيشرع في عملها في عيد أول يوم من كل فصل، وفي العيد الشهري لأول الشهر، وفي عيد خروج الكاهن «سم»، وعيد ليلة التضحية، اليوم الخامس من الشهر، وفي عيد اليوم السادس من الشهر، وفي عيد «حكرو»، وفي عيد «واج» (عيد الخمر)، وفي عيد الإله «تحوت»، وفي عيد بداية كل فصل في السماء والأرض؛ وعندئذٍ قالت له أخته إجابةً على ما قال: لماذا قد ذكرتَ هذه الأشياء؟ فقال لها الملك نفسه: إني قد كنتُ أفكِّر في والدة والدتي بنفسي (وهي التي كانت كذلك) والدة والدي، الزوجة الملكية العظيمة، والدة الملك الراحلة «تيتي شري».

وعلى الرغم من أن قبرها وضريحها موجودان في هذا الوقت على أرض طيبة والعرابة على التولي، فإني مع ذلك قلتُ لك ذلك لأن جلالتي يرغب في إقامة هرم لها ومحراب في جبانة «العرابة المدفونة» بمثابة أثرٍ لها من جلالتي، فبحيرته المقدسة ستكرى، وتُغرَس الأشجار حولها، ويُؤسَّس قربانه، ويمد بالرجال الذين تحبس عليهم الأراضي المجهزة بالماشية، وسيكون له كهنة جنازيون ومرتلون، كلٌّ واحد منهم يعرف واجباته، وعلى إثر نُطْقِ جلالته بهذه الكلمات أُقِيمت هذه المباني على وجه السرعة، وقد فعل ذلك جلالته لأنه كان يحبها أكثر من أي شيء، على أنه لم يفعل ملوك سبقوه مثل ذلك لأمهاتهم، وعندما تمَّتِ المباني جاء جلالته ومدَّ ذراعه، وحنى رأسه (إجلالًا)، ونطق لها بصيغة دعاء القربان الملكي، وقدَّمَ قربانًا للإله «جب» (إله الأرض) ولتاسوع الآلهة العظام، ولتاسوع الآلهة الصغار، وللإله «أنوبيس» في محرابه المقدس، ومقدمًا آلافًا من القربان من الخبز والجعة والثيران، والإوز والماشية إلى روحها … (بقية النقش قد فُقِد.)

(٤-٤) الكشف عن الآثار التي ذُكِرت على هذه اللوحة

وقد كشف كل ما تبقَّى من هذه المباني الأثرية «كارلي» (Abydos III) في الصحراء، على بُعْد بضعة أميال جنوبي «العرابة المدفونة»؛ إذ بنى لها «أحمس» الهرم على مسافة قريبة من الحقول، وعلى مسافة ميل في الصحراء أقام معبدًا مدرجًا على جانب التل، وبين هاتين النقطتين أقام محرابًا، وعلى مسافةٍ منه بنى الضريح الوهمي، وكان المحراب يحتوي على سلسلة من الحجرات الصغيرة أُقِيمت أمامه اللوحة التي ترجمناها الآن. أما الضريح أو القبر فيشتمل على عدة حجرات وممرات محفورة في أصل الصخر الذي تحت رمال الصحراء، وقد كان الوصول إليها من حجر صغير حقير قُطِع في الصخر الذي تغطيه الرمال، حتى إنَّ كشْفَه كان يُعَدُّ من المعجزات، ومع ذلك فإن هذه الحجرات السفلية قد نُهِبت في الأزمان القديمة، ولم يجد الحفَّارون المحدثون إلا بعض قطع صغيرة من ورق الذهب؛ مما يدل على أن حجرة الدفن كانت هناك أيضًا، وقد كان الرأي السائد أن القبر والمعبد اللذين في جانب التل هما للملك «أحمس» نفسه، ولكن من المحتمل جدًّا أن القبر والمحراب هما الضريح الأصلي للملكة «تيتي شري» المشار إليه في النقوش، وأن الهرم والمعبد المدرج هما اللذان أُشِير إليهما في النقش بأن «أحمس» قد أقامهما لجدته العظيمة.

ونجد لهذا الفرعون بعض الآثار تدل على أنه أقام بعض المباني في معبد «العرابة»؛ إذ عُثِر فعلًا على نقش غائر يمثِّل رأسَ «أحمس» الأول.[١٥]

(٥) أسرة أحمس الأول

وقد كانت أسرة الفرعون «أحمس» الأول كثيرة العدد، ومما يسترعي النظر هنا أن زوجته وأولاده كثيرًا ما كانوا يضعون أسماءهم في طغراء ملكية، وقد كان هذا الاستعمال شاذًّا في هذه الأسرة، ممَّا لم يوجد مثيله في أي عهد آخَر بهذه الصورة، وأكبر مميز عرفنا به أفراد هذه الأسرة هو أنهم كانوا يُعبَدون بعد مماتهم، وقد وُجِدت أسماؤهم منقوشة في مقبرة «أنحور خوري» (L. D. III. Pl. 2d)، وفي مقبرة «خع بخت»، ويشاهد كل منهما يتعبد إليهم (Ibid).

[١٥] راجع: Petrie. "Abydos", II, XXXII.

ومعظم أولاد هذا الفرعون من زوجه «نفرتاري»، ونخص بالذكر منهم «مريت آمون»، وهي أكبر أولاد الملكة «نفرتاري» وقد تُوفيت صغيرة، ثم الأميرة «سات آمون»، وهي ثاني بناتها وتُوفيت وهي طفلة، والأمير «سابا إير» وهو أكبر أولادها الذكور وتوفي صغيرًا، ثم «سا آمون» ومات كذلك صغيرًا، والملكة «أعح حتب» وهي ثالثة بناتها، ثم «أمنحتب» وهو ثالث أولاد «نفرتاري» الذكور، وقد أصبح فيما بعدُ ملكًا، وأخيرًا «سات كامس» وهي رابعة بناتها وتُوفيت في سن الثلاثين، وقد كانت تحمل الألقابَ التالية «بنت الملك»، وأخت الملك، وزوج الملك؛[١٦] ولذلك يقول عنها «ويجول» إنها كانت ابنة الملك «كامس»، وإنها تزوَّجت من «أحمس» الأول، وبذلك لا تكون ابنته كما ذكر «بتري»،[١٧] وقد وُجِدت موميتها مع المومياء الملكية الأخرى المحفوظة بالمتحف المصري،[١٨] ويدل جسمها على أنها كانت قوية البنية تكاد تشبه الرجال في تركيب جسمها، ويبلغ طولها ما بين خمس وست أقدام، وكانت ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين عند وفاتها؛ لأن شعرها الأسود لم يعبث به المشيب.

مربية الملكة نفرتاري: ومن مشهورات نساء هذا العهد مربية الملكة «نفرتاري» التي تُدعَى «ري»، وقد حُفِظ جسمها بين المومياء الملكية (رقم ٦١٠٥٤)، ويدل على أنها كانت رشيقة القوام، جميلة الطلعة، ماتَتْ وهي في مقتبل العمر، وكانت ذات شعر غزير مصفوف في ضفائر عدة، وكانت صغيرة القدمين واليدين جدًّا، ويدل بروز أسنان فكها الأعلى على أنها من الأسرة المالكة.

ومن بين زوجات «أحمس الأول» الثانويات «سنسنب»، وهي التي وضعت لهذا الفرعون ولدًا اسمه «تحتمس»، وهو الذي أصبح فيما بعدُ «تحتمس الأول»، ولما كان من غير زوجته الأولى أصبح لا يستحق وراثة الملك، بل تولَّى العرشَ بعد وفاة «أحمس» ابنُه «أمنحت» الأول كما يقول «بتري»، غير أن ذلك غير محقق.[١٩]

[١٦] راجع: Maspero, “Momies Royales”, p. 541.

[١٧] راجع: Petrie, “History”, Vol. II. p. 43.

[١٨] راجع: Cat. Cairo Mus No. 61063.

[١٩] راجع: Petrie, “History”, II, p. 43.

(٦) بعض آثار هذا الفرعون

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه وُجِد لهذا الفرعون بعض آثار أخرى، منها آنية من المرمر محفوظة بالمتحف المصري، ومنقوش عليها اسمه،[٢٠] وآنية للزينة على شكل صقر من الخزف الأزرق،[٢١] وقد رُسِم على أحد جوانب قاعدته صورة ثلاثة أسرى؛ سوداني، وسوري، ولوبي، على أن ما يلفت النظر في هذا النقش هو وجود لوبي بين أولئك الأسرى؛ ممَّا يدل على أن هذا الفرعون قد حارَبَ اللوبيين، اللهم إلا إذا كان هذا الرسم تقليديًّا وحسب، فإنه لا يدل على قيام أية حرب بينه وبين اللوبيين.

ووجد «شفرييه» حديثًا قطعة من الحجر يستدل منها على أنها جزء من جدار معبد له، وجدها في حشو «البوابة» الثالثة، في أثناء[٢٢] العمل في معبد «الكرنك».

ووجد له كذلك عدة جعارين محفوظة في كثير من متاحف أوروبا، وبخاصة المتحف البريطاني، و«متحف اللوفر»، ومتحف «ليدن»، ومتحف «تورين».[٢٣]

وله كذلك تمثال مجاوب في المتحف البريطاني من الجرانيت المحبب،[٢٤] وتمثال صغير من الحجر الجيري الأبيض في متحف «تورين».[٢٥]

(٧) مومية أحمس الأول

وتدل مومية هذا الفرعون الذي تدين له مصر بتحريرها النهائي من ربق عبودية الهكسوس، وبتأسيس أسرة تُعَدُّ من أشهر أسر العالم إن لم تكن أعظمها، مما جعله من أعظم ملوك التاريخ المصري، على أنه مات في ربيع العمر بين الأربعين والخمسين، وكذلك نستنبط من موميته التي وُجِدت بين الموميات التي عُثِر عليها في خبيئة الدير

[٢٠] راجع: Mariette, “Catalogue de Boulaq”, 6me. Ed. 536.

[٢١] راجع: Mariette, “Monuments”, p. 52.

[٢٢] راجع: A. S, Vol. XXXVI. (1936) p. 137.

[٢٣] راجع: Gauthier, L. R. Vol. II. p. 179–80.

[٢٤] راجع: Budge, “History” Vol. III. p. 185.

[٢٥] راجع: Orgurti, “Catalogo Illustrato dei Monumenti Egizii del R. Museo di Torino”. II. p. 72. & No. 39et. Regio museo de Turino I. p. 412. No. 3032.

البحري، أنها لرجل قوي الجسم عظيم المنكبين عريضهما، طوله نحو خمسة أقدام، وست بوصات، أسود الشهر مجعده، له ثنايا بارزة بعض الشيء، وتلك من مميزات الأسرة، وقد طوَّق جيده إكليل من الأزهار.



شكل ٤: مومية أحمس الأول.

(٨) الأميرة أحمس حنت تمحو والدة حتشبسوت

وبالإضافة إلى زوجته الأولى تزوَّج من نساء عدة، نذكر منهن غير ما ذكرناه آنفًا الأميرة «أنحابي» التي وضعت له ابنةً أطلق عليها الأميرة «أحمس حنت تمحو»، وهي التي يقال إنها أنجبت له من «تحتمس» الأول حتشبسوت الذائعة الصيت، ومن ثَمَّ نرى أن «أحمس الأول» لم يكن مؤسس الأسرة الثامنة عشرة فقط، بل كان له نصيب وافر في أنه أنجب لهذه الأسرة بعض أفرادها المشهورين.

(٩) عبادة أحمس الأوَّل

والظاهر أن عبادة «أحمس الأول» كانت منتشرة في البلاد، وبخاصة في العرابة المدفونة حيث أُقِيم له ضريح وهمي وشعائر دينية، وقد ظلت عبادته حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة؛ وبخاصة لأن تمثاله كان يقوم بالفصل في المخاصمات التي كانت تقوم بين أفراد الشعب، ولا أدل على ذلك ممَّا جاء على اللوحة التي عُثِر عليها في «العرابة المدفونة»، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري (راجع: A. S. XVI. p. 161).

وهذه اللوحة أقامها كاهن مطهر للإله «أوزير» ويُدعَى «موسى»، ويُشاهَد في أعلاها صورة السفينة المقدسة يحملها ثمانية من الكهنة، وفي وسطها محراب للإله «أحمس الأول»، وأمامه صورة الملكة «نفرتيتي» تلوح بكلتا يديها صاجتين، ويرى أمام السفينة الكاهن «موسى» يتضرع للإله «أحمس» ليحكم في صالح ابنه «باسر».

ويتلخص ما جاء من النقوش على هذه اللوحة فيما يأتي:

> كان «باسر» بن «موس» يملك حقلًا ادَّعى بعض الأهالي ملكيته (على ما يظهر)، وقد كان يظن أن «باسر» لا بد أن يرفع للإله أوزير وكهنته ظلامته؛ إذ إنه هو الإله الأعظم في تلك المنطقة، غير أنه رفعها إلى الملك «أحمس الأول» الذي كان على ما يظهر على جانب عظيم من القداسة بوصفه مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، والظاهر أن الحكم في هذه القضية قد صدر بحركةٍ قام بها حامل المركب المقدسة التي كانت تحتوي محراب تمثال الإله؛ وهذه الحركة كانت إما بلفته نحو صاحب الحق، وإما بإشارة من التمثال نفسه، وفي كلتا الحالتين كان هذا من عمل الكهنة أنفسهم؛ وهذا هو نفس ما نشاهده اليوم عندما يحمل جثمان أحد المشايخ، فإننا نشاهد الحملة يُحدِثون مثل هذه الحركات المصطنعة، فيقفون طويلًا أو يلتفتون نحو مكان خاص، ويفسرون ذلك بأنه كان مرتاد الشيخ، ومن الأماكن المحببة إليه، وأظن أن مثل هذه الحركات تأتي من إيحاء نفسي يصوِّره الخيال والشعور بالرهبة والخوف، فيتمثَّل حقيقةً في أذهان الحملة، وقد يكون ذلك كله محض تمويه واختلاق يدفع إليه الرشوة أو المحاباة.

(١٠) رجال الدولة والحياة الاجتماعية في عهد أحمس الأول

(١٠-١) مقدمة

عندما يفحص المؤرخ تاريخَ مصر في أي عصر من عصورها القديمة، تعترضه صعوبةً لا يمكن التغلُّب عليها إلا بعد بحوث طويلة قد لا تُجدِي في النهاية، وبخاصة عندما يريد إبراز شخصية فرعون من آثاره التي تركها لنا؛ حقًّا يمكننا أن نعرف طراز الفرعون الخاص، أما إبراز شخصيته وبيان الناحية التي ظهر فيها فذًّا ممتازًا، فذلك لا يتسنى لنا إلا في حالات قليلة جدًّا؛ لأنَّا نرى كل فرعون يحدِّثنا في آثاره عن فتوحه في الخارج، وما قام به من مبانٍ وأعمال ضخمة في داخل مملكته، في جمل وعبارات ومناظر تقليدية ثابتة تناقلتها الملوك منذ فجر ظهور الوثائق المدوَّنة، مثل منظر ضرب الفرعون المظفر أعداءه بصولجانه، وقد وجدناه للمرة الأولى على لوحة «نعرمر»، وقد بقي هذا المنظر ينتحله كل ملك بعده حتى العهد الروماني، وهذه التقاليد ثابتة في المناظر الملكية. هذا ونجد مثل ذلك في النقوش التي من هذا الصنف، فكانت متبعة عن قصد؛ لأن كل فرعون يرغب في أن يظهر أمام العالم بأنه هو الملك المؤله التقليدي، وكان لذلك تأثيره السيئ على فهمنا تاريخ أولئك الملوك. ولما كانت العادات تحتم أن يُوصَف الفرعون أو يُمثَّل وهو يقوم بعمل خاص، فإن كل فرعون كان يرغب في اتِّبَاع هذا التقليد دون مراعاةٍ للصدق في القول أو العمل؛ ففي عهد الأسرة الثامنة عشر مثلًا كان من مفاخر الملوك أن يسيروا على رأس جيوشهم، ويقهروا بلاد آسيا ويعودوا منها بالغنائم، وقد ذكر لنا «أمنحتب الثالث» وكذلك «توت عنخ آمون» أنهما ذهبا إلى بلاد آسيا وقهرَا الأعداء، والواقع أنهما لم يذهَبَا قطُّ إلى هذه الجهات للغزو والفتح كما تحدِّثنا الآثار صراحةً عن ذلك كما سيأتي بعدُ.

وكذلك نعلم أن «تحتمس الرابع» قد سار على رأس جيشه وهزم السوريين، وخلَّدَ انتصاراته برسم إحدى المواقع على ظهر عربته التي عُثِر عليهما في قبره، وقد أراد «توت عنخ آمون» أن يظهر هو من ناحيته بدور الفاتح، فترك لنا رسمَ موقعةٍ حربيةٍ على جدران أحد الصناديق التي وُجِدت في قبره، وهو كما نعلم لم يذهب قطُّ إلى ساحة القتال؛ كل ذلك يجعلنا نشك كثيرًا في القيمة التاريخية للمناظر التي تركها لنا أولئك الملوك.

حقًّا في استطاعتنا أن نستخلص بعض حقائق تاريخية من النقوش الملكية في كثيرٍ من الأحوال، على الرغم ممَّا فيها من مبالغات، ولكن إذا أردنا أن نعلم شيئًا عن الحالات الاجتماعية المعاصرة لكل فرعون، أو نختلس نظرات سانحة عن شخصيات

أولئك الفراعنة وشعوبهم؛ فعلينا أن نوجه عنايتنا وكل اهتمامنا إلى النقوش التي تركها لنا كبار رجال الدولة الذين كانوا يقومون بالأعمال الحكومية في عهد كل ملك، ويتعاملون مع أفراد الشعب من كل الطبقات؛ فالواقع أن الموظف المصري منذ عهد الدولة القديمة كان شخصًا مغرمًا بالتحدُّث عن نفسه؛ إذ كان دائمًا حريصًا على أن يذكر لخلفه كلَّ ما قام به من أعمال جليلة، وما ناله من شرف وفخار على يد سيده الفرعون مدة خدمته له، ولا شك في أننا مدينون لمثل أولئك الأفراد وما دوَّنوه على جدران مقابرهم، بجزء كبير من تاريخ البلاد الحقيقي، أيْ تاريخ البلاد الاجتماعي؛ فإن الموظف عندما كان يعدِّد لنا ما ناله من مِنَح وشرف على يد مليكه، يذكر لنا لمحات هامة عن أعمال سيده وعلاقته بشعبه، بل أحيانًا تسعدنا المقادير فنجد بعض المناظر في قبور علية القوم، يظهر فيها الفرعون وأفراد أسرته؛ فمثلًا يدين التاريخ لما دُوِّن على مقابر رجال عهد «أخناتون» في معرفة عصر الانقلاب الديني الذي قام في عهده، وأكثر من ذلك النقوش التي تركها لنا كلٌّ من «أحمس بن أبانا» و«أحمس بننخبت» اللذين عاصَرا أوائل ملوك الأسرة الثامنة عشرة، فهي تُعَدُّ حتى الآن مصدرنا الوحيد عن الحروب التي شنَّها «أحمس الأول»، ومن بعده «أمنحتب الأول» و«تحتمس الأول» لطرد الهكسوس من مصر؛ هذا فضلًا عن أن المقابر التي بقيت محفوظةً بعض الشيء من عهد الأسرة الثامنة عشرة، قد وُجِد على جدرانها مناظر عدَّة تكشف لنا الغطاءَ عن حياة القوم الاجتماعية والدينية والسياسية معًا.

ومُمَّا يُؤسَف له جد الأسف أن عهد باكورة الأسرة الثامنة عشرة كان فقيرًا في المقابر الشعبية المؤرَّخة التي تحتوي على مناظر ونقوش، ممَّا نحتاج إليه في كشف النقاب عن أحوال البلاد الداخلية وأحوال معيشة أهلها وعاداتهم، وبخاصة أخلاقهم.

على أننا مع ذلك عندما نفحص تاريخ موظفي هذا العصر وألقابهم الرسمية، نرى بعض الضوء على كثير من النقط الغامضة في تاريخ البلاد، وبخاصة من الوجهة الإدارية والدينية.

فمنذ عهد «أحمس الأول» نجد أن الألقاب الدينية المحضة قد أخذت تفسح الطريق لغيرها من الألقاب الحربية والإدارية الجديدة، على أننا نجد مع ذلك أن الفرد الواحد كان يشغل عدة وظائف في آنٍ واحد، ولا بد من أن نشير هنا إلى أن الأفراد الذين كانوا يحملون هذه الألقاب معظمهم من عامة الشعب، الذين كوَّنوا أنفسهم بأنفسهم في تلك الفترة التي اختفى فيها كلُّ الأمراء الوراثيين الذين قد قُضِي عليهم منذ نهاية الأسرة الثامنة عشرة.

وقد كان من أول نتائج توسيعِ رقعة البلاد ومدِّ حدودها في الجنوب، أنْ عيَّنَ الفرعون نائبًا له في السودان كما فصَّلنا القول في ذلك، وكذلك كان من جرَّاء ظهور «طيبة» واتخاذها

عاصمةً للملك بوصفها مقرَّ الإله «آمون»، أنْ عُيِّن لها حاكم خاص أُطلِق عليه لقب «عمدة المدينة الجنوبية»، كما أصبح للإله «آمون» أملاك خاصة وموظفون مختصون بإدارة شئون أملاكه التي كانت وقفًا عليه في آسيا وبلاد النوبة، وقد أصبح اسمه يُقرَن بهذه الوظائف مثل «مدير مخازن غلال الإله آمون»، كما كان يُقرَن اسم الفرعون باسم كل إدارة من إدارات مملكته.

ولا شك في أن ذلك يدلنا على كيفية زيادة ثروة الإله «آمون» بما كان يقدِّمه له الفرعون من أموال وأملاك، حتى انتهى الأمر إلى أن أصبحت أملاكه ورجاله إدارته يمثِّلون حكومةً في قلب حكومة الدولة؛ هذا فضلًا عن عظم سلطانه الديني في البلاد، فنجد مثلًا أن نائب بلاد «كوش» المسمَّى «سني»، الذي بدأ حياته الحكومية في عهد «أحمس الأول»، وبقي في خدمة الحكومة حتى عهد «تحتمس الثاني»؛ قد بدأ يصعد إلى قمة المجد بوظيفة «مدير مخازن غلال الإله آمون» و«مدير الأعمال في الكرنك» (راجع: Urk, IV. p. 40). وعلى الرغم من أن هذه الألقاب كانت موجودةً في وظائف الدولة منذ عهد الدولة القديمة، إلا أنها بدأت تأخذ معاني جديدة وسلطانًا أعظم في عهد الدولة الحديثة؛ فمثلًا وظيفة «مدير أعمال الفرعون في الكرنك» كانت تدل على بداية قيام مبانٍ ضخمة جدًّا في هذه البقعة، ممَّا جعل «طيبة» إحدى عجائب العالم، وأعطى حامل اللقب مكانًا عليًّا لم يكن يحلم بمثله ندُّه في عهد الدولة القديمة أو الدولة الوسطى، ومن التجديدات الهامة التي تسترعي الأنظارَ في الدولة الحديثةِ الوظائفُ والألقاب التي اكتسبتها المرأة في هذه الفترة.

والواقع أن المرأة المصرية، لم تكن محجوبة عن الأنظار كما هي العادة في التقاليد الشرقية، بل كانت الملكة والفلاحة على السواء تظهر كلتاهما في المجتمع منذ الدولة القديمة، ولكن ظهور المرأة في المجتمع الراقي قد ازداد زيادة محسة في عهد الدولة الحديثة، وبخاصة لتمسُّك القوم بتقاليد وراثة الملك، وما كان للمرأة من نصيب في حكم البلاد، فكان للملكة حاشيتها الخاصة وأملاكها وموظفوها، وقد عظم سلطان الملكات حتى كُنَّ يعيِّنَّ أصحابَ الحظوة عندهن في أعلى مناصب الدولة، وكذلك أخذ الفراعنة يتخذون لأنفسهم وصيفات وخليلات ومربيات ومرضعات لأولادهن، وقد نتج عن ذلك أن كلَّ مَن اتصل بأولئك النسوة عن طريق النسب أو المصاهرة، يمنح أعظم الوظائف في الدولة كما سنشرح ذلك في حينه.

ولما جُلِبت الخيلُ إلى مصر في تلك الفترة، وأُنشِئ أسطول بحري للبلاد، خُلِقت وظائف جديدة لم تكن معروفةً من قبلُ بطبيعة الحال، هذا فضلًا عن أن علاقات مصر بما جاورها

من البلاد قد أوجَدَ في البلاط الفرعوني جوًّا جديدًا وحياة جديدة، دعَتْ إلى إنشاء وظائف عدة لم يُسمَع بمثلها في عهد الدولة المصرية السابقة.

والآن سنحاول هنا فحص ألقاب أهم الموظفين في عهد الأسرة الثامنة عشرة، وما تركه كلٌّ منهم من آثار هامة يمكن أن تكشف لنا عن بعض نواحي حياة القوم في خلال هذه الأسرة، وسنتناول فحص آثار كل موظف وتاريخ حياته الحكومية في عهد الملك أو الملوك الذين عاصَرَهم، وبخاصة من الناحية الاجتماعية بقدر ما تسمح به الأحوال.

(١٠-٢) أحمس بن أبانا

كان «أحمس بن أبانا» في نظر المؤرخين المحدثين أهمَّ شخصية بين موظفي عهد «أحمس الأول»، وقد كان يحمل الألقاب التالية: (١) رئيس بحارة الفرعون. (٢) ورئيس بحارة ملك الوجه القبلي والوجه البحري الملك «زسر كارع» (أمنحوتب الأول). (٣) وحاجب الملك. على أن ألقابه لا يمكن أن نستخلص منها كثيرًا عن حياته، ولكنه ترك لنا على جدرانَ قبرِه في «الكاب» ترجمةَ حياته التي يحدِّثنا فيها عن شجاعته، وما ناله من فخار وترف، ولحسن الحظ قد قصَّ علينا فيها تاريخ الحروب التي شنَّها الفرعون «أحمس» على الهكسوس، وكانت نتيجتها طردهم من البلاد، وهذه الوثيقة تُعَدُّ مصدرنا الهام عن حرب الخلاص كما سبق شرحه؛ والمناظرُ التي تركها لنا على جدران قبره قليلةٌ فقد حُطم معظمها، وما بقي منها يقدِّم لنا معلوماتٍ ضئيلةً عن أسرته، فنرى من بينهم أحدَ أحفاده المسمَّى «جر إري»، الذي كان يحمل لقب «رسام آمون»، وقد مثل واقفًا أمام والده، كما نشاهد حفيدًا آخَر يُدعَى «باحري» ويشغل وظيفة «رسام آمون»، وقد نُقِش منظره واقفًا أمام جده «أحمس بن أبانا» وزوجه يرتل صيغة القربان.

وقد مثل «أحمس أبانا» وزوجه جالسين معًا، وتحت كرسيهما قرد أليف يأكل من سلة فاكهة، وقد كان يقلد في ذلك «أحمس» الذي كان يمدُّ يده ليأخذ بعض الطعام من مائدة قربان أمامه، غير أن هذه المائدة لم تُصوَّر على الجدار، ولكن النقوش تدل على وجودها، وهذا يعني أن المفتن لم يتم رسم المنظر.

(١٠-٣) أحمس بِننخبت

وكذلك ظهر في بلدة «الكاب» جندي آخر في هذه الآونة يُسمَّى «أحمس بننخبت»، وكان يحمل لقب «محارب الفرعون»، ولقب «حامل الخاتم»، و«حامل خاتم الوجه البحري»، وهذا اللقب الأخير يرجع تاريخ استعماله إلى الدولة القديمة. هذا، إلى أنه كان يحمل ألقاب الشرف القديمة الآتية: «الأمير الوراثي والحاكم والسمير الوحيد»، وقد كانت في الأزمان القديمة ألقابًا تحمل معناه الحقيقي، غير أنها أصبحت في ذلك العهد تُمنَح مثل ألقاب الشرف والأوسمة الحالية. وقد لعب «أحمس بننخبت» مثل «أحمس بن أبانا» دورًا هامًّا في حروب الهكسوس، وقد ترك لنا تاريخ حياته على جدران قبره في «الكاب»، وقد بلغ من العمر أرذله؛ إذ امتَدَّ به الأجل حتى عهد «تحتمس الثالث» والملكة «حتشبسوت»، وقد كانت آخِر وظيفة شغلها هي (مربي الأميرة «نفرو رع» ابنة «حتشبسوت») كما ذكرنا ذلك.

(١٠-٤) «سني»

أما «سني» الذي تحدَّثنا عنه فيما سبق، فقد بدأ حياته في عهد «أحمس الأول» حتى عهد «تحتمس الثاني»، وقد كانت دائرة عمله في الأصل بلدة «طيبة»؛ حيث كان يشغل وظيفة «أمير» أو «عمدة المدينة الجنوبية»، و«المشرف على مخازن غلال آمون»، و«مدير أعمال معبد الكرنك»، وقد عُيِّن فيما بعدُ «نائب الملك صاحب كوش» ولُقِّب ﺑ «ابن الملك» و«المشرف على الأراضي الجنوبية» (راجع: Urk. IV. p. 40, 142).

(١٠-٥) نفر برت

ومن رجال هذا العصر «نفر برت» الذي كان يُلقَّب «مدير الخزانة» إلخ كما أسلفنا.

(١٠-٦) عاباو

وكان من أهم الأسلاب التي يستولي عليها الفرعون من البلاد الأجنبية الماشية؛ ولذلك كان المشرف على ماشية الفرعون يُعَدُّ من الموظفين الذين لهم أهمية، ومن بين هؤلاء «عاباو» الذي كان يُلقَّب بالمشرف على ثيران الفرعون «أحمس الأول»، وقد عُثِر له على لوحة في

حفرة شجرة من التي غُرِست في معبد «سيتي الأول» في العرابة (راجع في J. E. A. Vol. XIX & XXII, 2).

(١٠-٧) باكا

وتدل النقوش على وجود مشرف آخَر على الماشية في عصر هذا الفرعون أيضًا، ويُدعَى «باكا»، وقبره في «طيبة» الغربية بذراع أبو النجا (Gauthier, Dra Abu'l'Naga p. 49).

(١٠-٨) إيوف

ذكرنا فيما سلف أن الملكات العظيمات اللاتي عشن في باكورة الأسرة الثامنة عشرة كنَّ يحتفظن بموظفين يقومون على خدمتهن الخاصة، ومن بين هؤلاء الموظفين الذين تركوا لنا شيئًا عن أعمالهم «إيوف»، الذي يقصُّ علينا خبرَ المِنَح التي نالها من اثنتين من هؤلاء الملكات على لوحةٍ عُثِر عليها في «إدفو»، فيقول لنا إنه بدأ خدمته في عهد الملكة «أعح حتب» والدة «أحمس الأول»، وظل في الخدمة حتى عهد الملكة «أحمس» زوج «تحتمس الأول» ووالدة الملكة «حتشبسوت»، والمتن الذي على هذه اللوحة هو:

> قربان يقدِّمه الفرعون «لحور إدفو» و«أوزير» و«أزيس»؛ ليقدِّموا خبزًا وجعة وثيرانًا وإوزًّا وكلَّ شيء طريف وطاهر، لروح الزوجة الملكية العظيمة وأم الفرعون «أعح حتب» المنتصرة، ولابنها «أحمس الأول» المنتصر. ولقد نصبني كاهنًا ثانيًا للقيام على أوقاف مائدة القربان، وحارسًا لباب المعبد، وكاهنًا مطهرًا. «أيوف بن أريت ست» يقول: «لقد أصلحتُ قبرَ بنت الملكة «سبك أم ساف» بعد أن وجدته آيلًا للخراب.» ثم يقول هذا الكاهن: «أنتم يا مَن تمرون بهذه اللوحة سأخبركم وسأجعلكم تسمعون عن حظوتي لدى الزوجة الملكية العظيمة «أعح حتب». لقد نصبتني لأقدم لها القربان، وكذلك وكَّلَتْ إليَّ أمر تمثال جلالتها، ومنحتني مائة رغيف «بنت» وعشرة رغفان «برسن»، وقدحين من الجعة، وقطعة لحم من كل ثور، وكذلك أعطيت أرضًا عالية وأرضًا منخفضة (للزرع)، وكذلك وهبتني كرة أخرى منحة، فقد أعطتني كل متاعها في إدفو لأديره لجلالتها، وكذلك أغدقت عليَّ الزوجة الملكية العظيمة «أحمس» التي يعزها «تحتمس الأول» المنتصر فضلًا آخَر، فقد نصبتني كاتبًا لحامل الخاتم

الإلهي، وقد وكَّلَتْ إليَّ رعاية تمثال جلالتها، وأعطتني مائة رغيف وإناءين من الجعة وقطعةَ لحمٍ من كل ثور، وكذلك منحت أرضًا عالية وأرضًا منخفضة» (راجع: Breasted, A. R. Vol. II. Par. III. ff).

(١٠–٩) حري

وفي جبانة «ذراع أبو النجا» في «طيبة الغربية» يوجد قبر موظف يدعى «حري» كان يحمل لقب المشرف على مخازن غلال زوج الملك وأم الملك «أعح حتب» (راجع: Gardiner and Weigall, Catalogue No. 12).

غير أننا لا نعرف عن هذا الموظف غير لقبه هذا، ولم يَبْقَ لنا من رسوم قبره إلا منظر وليمة، وقد بقي يشغل وظيفته هذه حتى عهد «أمنحتوب الأول».

(١٠–١٠) تتي كي

ومن كبار الموظفين في عهد «أحمس الأول» عمدة المدينة الجنوبية «طيبة» المسمَّى «تتي كي»، وكان يُلقَّب كذلك «ابن الملك»، غير أن هذا اللقب هنا لا يعني أنه كان نائب الفرعون في بلاد كوش، كما لا يعني أنه هو ابن الفرعون نسبًا؛ لأن والده كان مجرد موظف يُلقَّب «بالمشرف على متنزه الفرعون»، وكانت أمه تُدعَى «ربة البيت»، وهو لقب يطلق على كل زوجة عادية، وعلى ذلك فهذا اللقب كان مجرد لقب فخري أعطيه «تتي كي» وحسب.

أهمية مناظر قبر تتي كي

وتشمل مقبرة «تتي كي» هذا سلسلةَ مناظر قيِّمة على الرغم مما أصابها من تكسير ومحو، والواقع أنها تُعَدُّ مثالًا من أمثلة الآثار القليلة التي عُثِر عليها في هذا العهد في «طيبة» وغيرها؛ فبوساطتها أمكننا أن نأخذ فكرة عامة عن الحياة الاجتماعية في أوائل الأسرة الثامنة عشرة؛ فهذه المناظر بغض الطرف عن أنها تُعَدُّ مثالًا عن عهد الانتقال بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة، تمدنا ببعض نقط هامة ورسوم جديدة، كما نجد فيها المناظر القديمة التي يرجع عهدها إلى عهد الدولة القديمة (راجع: J. E. A. Vol. XI. p. 10, ff; Pl. II)؛ فنجد على الجزء العلوي من الجدار الشرقي من المزار منظرًا مزدوجًا، مُثِّل

فيه عبادة البقرة المقدسة «حتحور» العزيزة سيدة «دندرة»، وهنا نشاهد الملكة «أحمس نفرتاري» تحرق البخور وتصب الماء على قربان محروق وُضِع أمام البقرة المقدسة، التي يشبه لون جلدها لون البقرة التي على توابيت ملكات الفرعون «منتوحتب» (راجع ج٣). والظاهر أن هذا أول منظر من هذا النوع نشاهده في مقبرة خاصة، على أن طراز الرسم هنا يذكرنا بطراز الدولة الوسطى.

منظر الوليمة: أما الجزء الأعلى من الجدار الغربي فنشاهد فيه «تتي كي» يقدِّم قربانًا، ويحرق بخورًا للإله «أوزير»، وخلفه شخصٌ يُدعَى «سورس» يُلقَّب بالمحارب يضحِّي بغزالة، وفي أسفل يُشاهَد والدا «تتي كي» وهو يقدِّم لهما قربانًا (Ibid, Pl. III)، وعلى الجدار الشمالي نرى منظر وليمة، وقد جلس فيها «تتي كي» وزوجه «سنب» في مقصورة ترتكز على عمد على هيئة سيقان البشنين، وتحت مقعدهما جلس كلبهما المسمى «عزا»، وأمامهما الضيفان نساء وعذارى؛ ويلحظ أن أحد الضيفان قد غالى في التمتع بالوليمة أكثر مما يجب، وأفرط في معاقرة الشراب حتى غلب عليه القيء، فنراه في هذه الحالة وإحدى السيدات تقدِّم له بشفقة إناء يفرغ فيه ما زاد على جوفه (Ibid, Pl. IV)، على أن منظر القيء الذي كان يحدث لأولئك الذين يفرطون في المأكل والمشرب في الولائم يُرى هنا للمرة الأولى في عهد الدولة الحديثة على ما يُظن، ولم يكن هذا يقتصر على الرجال، بل تعدَّاهم إلى السيدات، فنراهن وقد أخذت منهن الخمر المصرية اللذيذة كلَّ مأخذ يَقِئْنَ من شدة الإفراط.

الإشراف على الحصاد: ومن المناظر الطريفة التي أخذت تظهر منذ هذا العهد، المنظرُ الذي مُثِّل فيه «تتي كي» وزوجه وهما جالسان تحت شجرة يشرفان على آخِر مرحلة للحصاد في حقلهما، فنرى أمام «تتي كي» رجالًا وبناتًا يذرون الحبوب التي كانت تُوضَع بعد ذلك في حقائب، وتُحمَل على ظهور الحمير، وقد خارت قوى حمار ناء بحمله، وبعد ذلك تُجمَع الحبوب حتى تصير كومة كبيرة حيث تُكال ويدون مقدارها كاتب جلس فوق كومة القمح، وهذه المناظر كانت مستعملة في الرسوم بطبيعة الحال منذ الدولة القديمة، ولا تزال تُشاهد حتى الآن في ريف مصر وصعيدها.

الاحتفال بالجنازة: أما الجدار الجنوبي فقد خُصِّص لمناظر الاحتفالات الجنازية، وقد كان معظمها يُستعمَل منذ عهد الدولة الوسطى، وكذلك في عهد الدولة القديمة (Ibid. Pl. V)، ففي الجزء الأعلى نشاهد تابوتَ المتوفى تحت عرش، وقد وضع على زحافة

يجرها ثوران وثلاثة رجال، ونشاهد مثل هذا المنظر في مقبرة «نب كاوحر» التي كشفنا عنها في سقارة (A. S. Vol. XXXVIII. Pl. XCVII)، وكذلك نشاهده في مقبرة «سنفرو آني مرتف» في دهشور (De Morgan, "Fouilles à Dahchour" Pl. XXII)، غير أنه في كلٍّ من هذين المثالين يُرَى أن التابوت قد وُضِع على قارب صغير بدلًا من الزحافة، وأنه كان يُجَر برجال فقط، وقد ظهرت الثيران والزحافات في عهد الدولة الوسطى في مقبرة «أنتف أقر» (Davies and Gardiner, The Tomb of Antefoker, Pl. XIX, XXI)، ونلحظ في هذا المنظر أنه يتقدم نحو الجنازة راقصون يسمون «موو» يرقصون رقصة جنازية خاصة، ويرجع تاريخ هذه الرقصة وممثليها إلى عهد الدولة القديمة، وقد عُثِر عليها أول مرة في مقبرة «نب كاوحر» في سقارة.

ومن المناظر الهامة كذلك هنا المنظر الذي نشاهد فيه مومية المتوفى موضوعة في محراب على تلٍّ من الرمال وأمامها كاهن يحرق البخور، وهذا المنظر جزء من الاحتفال بفتح الفم الذي نقرأ عنه في متون الأهرام، ونشاهده كذلك في مقابر الدولة القديمة، وسنتكلم عنه في ترجمة الوزير «رخ مي رع».

شعيرة تكنو: وفي مناظر مقبرة «تتي كي» نشاهد كذلك منظر إقامة الشعيرة الغامضة المسماة إحضار «تكنو»، فيشاهد رجل ملفوف في عباءة إلا رأسه، على أن صفة هذه الشعيرة الحقيقية غير معروفة، والظاهر أنها تمثِّل تضحية إنسان، ويحتمل أنها تمثِّل شعيرة قديمة تنحصر في ذبح خدم ليكونوا مع سيدهم في عالم الآخرة (راجع: Gardiner, The Tomb of Amenemhet, p. 51. & 52).

مركز المرضعة الملكية: وفي المنظر الذي مثلت فيه «أحمس نفرتاري» تتعبد للبقرة «حتحور» صورة امرأة واقفة خلف الملكة مباشرة، وقد كُتِب عليها مرضعتها «تتي حمت»، والظاهر أن هذه المرأة هي إحدى أقارب صاحب المقبرة «تتي كي»، ولا غرابة في أن نرى رسمها هنا؛ لأن مركز المرضعة الملكية على وجه عام كان له أهمية كبرى وتأثير عظيم كما سنرى بعدُ، فقد كان زوج المرضعة الملكية وأولادها يشغلون في كثيرٍ من الأحوال مناصبَ عظيمة في الدولة.

(١٠-١١) رعي

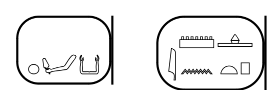
وقد حفظت لنا الآثار اسم مرضعة أو مربية أخرى للملكة «أحمس نفرتاري»، وتُلقَّب: مرضعة زوج الإله «أحمس نفرتاري» المرحومة، وهي السيدة «رعي»، وموميتها من أحسن الموميات التي بقيت سليمة بين موميات خبيئة الدير البحري (Elliot Smith, “The Royal Mummies”, Pls. VI).

(١٠-١٢) تحوتي

ومن الموظفين الذين عاصروا «أحمس الأول» الكاهن الأكبر للإله «آمون رع» المسمى «تحوتي»، وكان يحمل كذلك لقبَ المشرف على حاملي الأختام.

ومن المدهش أنه لم يُعثَر له للآن على آثار غير مخروط واحد في جبانة شيخ عبد القرنة (راجع: Legrain, “Repertoire”, p. 9. No. 14)، مع عظم مكانته بين موظفي الدولة.

أمنحتب الأول (١٥٥٧–١٥٣٥ق.م)



ذكرنا فيما سبق أن «أحمس» الأول كان له أولاد كثيرون من زوجاته الكثيرات، وقد كانت أكثرهن خصبًا على ما نعلم زوجه الأولى وأخته «نفرتاري»؛ إذ وضعت له ستة أطفال على أقل تقدير، وكانوا الأولاد الشرعيين الذين يُنتخَب من بينهم الوارث للعرش، وأكبر أولاد «أحمس» هو على ما يظهر، الأمير «سابا إيري»، وقد كان يحمل كل الألقاب التي تؤهله لولاية العرش، غير أن المنية عاجلته وهو في صباه، فأصبح الوارث بعده للعرش أخوه «أمنحتب».

ولما لاقى «أحمس» الأول حتفه كان ابنه «أمنحتب» الأول لا يزال حديث السن لم يبلغ مبلغ الرجال ليتولى العرش بنفسه، فأخذت «نفرتاري» زمام الحكم في يدها، وأصبحت الوصية على العرش، كما فعلت والدتها «أعح حتب» مع «أحمس» الأول كما سبق ذكره، ولا غرابة في أن نجد هذا النشاط من جانب «نفرتاري»؛ إذ قد عرفنا أنها كانت صاحبة نشاط عظيم في عهد زوجها «أحمس» الأول، وهي بلا شك تُعَدُّ ثانية الملكات اللائي — بما لهن من حق مقدَّس شرعي — لم يجلسن في عقر دارهن خاملات، بل أخذن على عاتقهن أعباء الملك ومهامه، مدَّعين لأنفسهن المساواة بل التفوق — بما يحملن من ألقاب — على أزواجهن وأولادهن في حكم البلاد؛ ولا نعجب إذا رأينا الملكة «أعح حتب» التي كانت قد بلغت من الكبر عتيًّا الآن تلعب دورها من وراء الستار في إغراء «نفرتاري» في أخذ مقاليد الأمور في يدها؛ لتكون هي الوصية على عرش ابنها الصغير كما فعلت هي من قبلها مع «أحمس» الأول، وقد عاشت «أعح حتب» حتى السنة العاشرة من حكم «أمنحتب» الأول،



شكل ١: أمنحتب الأول في صورة الإله «أوزير».

غير أنها قد أحجمت عن التدخُّل في مهام الحكم إلى أن وافاها المنون، وقد عُثِر على تابوتها كما سبق الكلام عن ذلك.

(١) حروب أمنحتب الأول

والظاهر أن أول حملة قام بها «أمنحتب» الأول كانت على بلاد «كوش»، كما سبق القول عن ذلك عند الكلام على ترجمة «أحمس» بن «أبانا»، فقد صعد الفرعون في النيل في سفينة «أحمس» بن «أبانا»، حيث يقول هذا الضابط البحري إنه هزم العدو وعاد إلى مصر مظفرًا، أما في آسيا فلا نعرف أنه قام بحروب فيها، ومع ذلك فإنه يحتمل أن هذا

الفرعون قد حاوَلَ طوال مدة حكمه أن يسير على متابعة سياسة والده الاستعمارية؛ والواقع أننا نجد في نقشٍ مؤرَّخ بالسنة الثانية من حكم «تحتمس» الأول، أن دولته كانت تمتد من «تمبوس» (في النوبة العليا) حتى «نهر الفرات»، وليس لدينا ما يحملنا على الشك في هذا التصريح، كما أنه ليس من المعقول أن يكون المصريون قد أوغلوا كلَّ هذه المسافة في السنة الأولى من حكم «تحتمس» الأول، بل يجب أن يُعزَى ذلك التقدُّم إلى عهد «أمنحتب» الأول. ولما كانت الوثائق تعوزنا لمعرفة مصدر هذا التقدم في الفتوح المصرية في عهد كلٍّ من هذين الملكين، فإنه من المحتمل جدًّا أن تأسيس الإمبراطورية يُعزَى إلى حكم «أمنحتب» الأول الذي كان حكمه طويلًا نسبيًّا.

أما عن الحملة التي يقال إن الفرعون قام بها على اللوبيين (؟) فقد جاء ذكرها في ترجمة حياة «أحمس بننخبت» (Urk. IV. p. 36)؛ حيث يقول: وقد رافقت ثانيةً ملك الوجه القبلي والبحري «زسر كارع» (أمنحتب الأول) المرحوم، وقد أحضرت له من شمالي «يامو» التابعة لحقول «كهك» ثلاث أيدٍ. وقد قال الأستاذ «زيته» إن حقول «كهك» هذه مكان غير معروف، يحتمل أنه في الشمال الغربي من مصر. كما يقول: إن «حقول يامو» يحتمل أن تكون إحدى الواحات الواقعة في الصحراء اللوبية.[١] أما «مسبرو» فيقول: «إن الفرعون قام بحملة إلى «لوبيا» بعد حملته على «إثيوبيا»، وتسكن قبيلة «كها كا» بين بحيرة «مريوط» و«واحة آمون»، ولا بد أنها قد هاجمت بجرأة المقاطعات الغربية من الدلتا، وقد نظم الفرعون حملةً عليهم مخلدًا ذكرى انتصاره بصنع لوحة صغيرة من الخشب، نجد ممثلًا عليها الملك المظفر ملوحًا بسيف في يده على العدو، الذي كان طريحًا على الأرض عند قدمَيْه.»[٢]

والظاهر أن أعمال «أمنحتب» الأول الحربية قد وقفت عند هذا الحد؛ إذ ليس لدينا من الآثار ما يشير إلى أي انتصارات أخرى قد أحرزها في مدة حكمه الطويل، غير أن هذا لم يمنع معاصريه من الاحتفال به بوصفه فرعونًا فاتحًا مظفرًا؛ إذ نشاهده مصورًا على لوحة صغيرة من الخشب محفوظة بمتحف «اللوفر» وهو يضرب بسرور أمراء البلاد الأجنبية،[٣] كما نراه في مشهد آخر واقفًا في عربته على أهبة مطاردة عدوين أو الحمل

[١] راجع: Sethe, Urkunden IV. Bearbeitet & Ubersitzt p. 19.

[٢] راجع: Rosellini, “Monumenti Storici”, Vol. III, 1. Pl. 108. & Pl. 11b.

[٣] راجع: Ibid. Pp. 108–110 & Pl. 11, A. D.

عليهما، وقد أمسك بهما وهما في حالة إغماء.[٤] أما في الصيد والقنص فتدل المناظر التي وصلتنا من عصره على أنه كان صيادًا ماهرًا؛ إذ نجده مثلًا وهو يقبض على أسد من ذيله، وقد رفعه في لمح البصر في الفضاء قبل أن يقضي عليه؛[٥] والواقع أن هذه المناظر كانت من الأمور التقليدية عند المصريين في حروبهم وصيدهم، غير أنها أحيانًا كانت ترتكز على حقائق تاريخية هامة.

ولا مراء في أن البلاد المصرية كانت في حاجة إلى فترة من الراحة، والنزوع عن متابعة الحروب ابتغاءَ أن تشفى من الجروح التي أصابتها مدة الحروب الطويلة التي عانتها البلاد في عهد والده وسلفه مع الهكسوس، وسواء أرغب «أمنحتب» عن الحروب لعدم ميله إليها، أو لأسباب سياسية، فإن الجيل الذي عاش فيه قد استفاد من كراهيته للحروب، كما استفاد الجيل السابق من حب والده «أحمس» لشن الغارة على العدو وقهره، ولا غرابة إذن في أن نرى المدن في عهد «أمنحتب» قد استعادت حياتها العادية، ونمت فيها الزراعة، وازدهرت التجارة؛ ممَّا زاد في ثروة مصر وجعلها على استعداد تام للقيام بفتوحها المقبلة على يد فراعنتها الشجعان.

(٢) المباني في عهده

لم يكن حب المباني الضخمة قد شاع في عهد هذا الفرعون لدرجة تستنفد مالية الدولة؛ وذلك لأن الحالة الاقتصادية لم تكن قد بلغت شأوًا بعيدًا من الرخاء، ومع ذلك نجد لهذا الفرعون آثارًا عدة في أنحاء البلاد؛ ففي «إبريم» نجد وثيقة تدل على أنه قد نحت كهفًا في جبال «إبريم» ببلاد النوبة، وأهداه للإلهة «ساتت» إحدى آلهة الشلال.[٦]

وفي «الكرنك» وُجِد له «بوابة» في الجانب الجنوبي من المعبد (A. S. IV. p. 15)، ونُقِش عليها ما يأتي: لقد أقام الملك «أمنحتب» تذكارًا لوالده «آمون» رب «طيبة» بوَّابة عظيمة، ذرعها اثنان وعشرون ذراعًا، عند واجهة المعبد المزدوجة، وقد صنعها من حجر «عيان» (أيْ من الحجر الجيري الأبيض المستخرَج من محاجر «طرة»). وكذلك يشير

---

[٤] راجع: Maspero, “The Struggle of the Nations”, p. 101.

[٥] راجع: Rosellini, “Monumenti Storici”, Vol. III, p. 110 & Pl, 11, E.

[٦] راجع: Ibid. Vol. III, I, Pp. 73–79. & Pl. XXVIII, 1.

النقش إلى … بناء بيته (آمون) وتأسيس معبده وإقامة «بوابته» الجنوبية التي يبلغ ارتفاعها عشرين ذراعًا من الحجر الأبيض الجميل.[٧]

وقد جاء في نقش مهشَّم في مقبرة شريف يُسمَّى «إنني» (وتقع مقبرته في «شيخ عبد القرنة» في الجهة الغربية من طيبة)، وكان مدير الأعمال في «الكرنك»، ما يشير إلى بعض مبانٍ ربما كانت «بالكرنك» نفسه، أقامها هذا الفرعون، وأحضر إليها المرمر من محاجر «حتنوب» الواقعة بالقرب من «أسيوط»، فيقول النقش:

> وكانت أبوابها مغشاة بنحاس عمل من قطعة واحدة، وبعضها كان من «السام» (خليط من الذهب والفضة)، وقد فحصت كل ما عمله جلالته من الجمشت والنحاس الآسيوي، من عقود وأوانٍ وقلائد (لتمثال الإله)، وكنتُ المشرف على كل أعماله، وكان كل الموظفين تحت إدارتي.[٨]

إقامة معبد بالدير البحري: وقد أقام هذا الفرعون معبدًا صغيرًا في مكان معبد «الدير البحري»، ولكن «سنموت» مهندس الملكة «حتشبسوت» أزاله من مكانه لإقامة معبد الملكة، وقد عُثِر هناك على لبنات باسم هذا الفرعون، ووالدته «أحمس نفرتاري».[٩]

وقد استعمل بناءو معبد «حتشبسوت» لبناته في بناء منحدرات لرفع الأحجار الضخمة، وهذا الكشف له أهميته؛ إذ يدل على أن هذا المكان كان موقعًا مختارًا لإقامة المعابد، وكذلك يدل على أن ملوك هذه الأسرة كانوا لا يعبثون بمعابد أجدادهم حتى ولو كانوا من أسرتهم.

وقد أقام «أمنحتب» كذلك بمناسبة الاحتفال بعيد «سد» (العيد الثلاثيني) معبدًا صغيرًا في النهاية الشمالية من جبانة «طيبة الغربية»،[١٠] ونجد هنا كلًّا من الإله «حور» (الصقر) والإله «ست» النوبي يقدم له رمز أبدية السنين.[١١]

---

[٧] راجع: Sethe, Urkunden IV. Pp. 42–43.

[٨] راجع: Sethe, Urkunden IV. p. 53–54.

[٩] راجع: Winlock. “Excavations at Dier el Bahri”, p. 113 & 208.

[١٠] راجع: J. E. A. Vol. III, 147.

[١١] راجع: J. E. A. Vol. IV. p. II. Pl. IV.

المعبد الجنازي: وكذلك بنى لنفسه معبدًا جنازيًّا لخدمة روحه «كا» في الصحراء، في نهاية الجزء الجنوبي من جبانة طيبة الغربية، وهذا المعبد يؤلف الآن جزءًا من الخرائب المعروفة بمعبد مدينة هابو، ولكنه عند بنائه كان قائمًا بمفرده،[١٢] والظاهر أنه كان بجوار هذا المعبد حديقة تحيط ببحيرة صناعية لا تزال بقاياها موجودة، وقد عُثِر على تمثال جميل لهذا الفرعون في هذا المعبد، وهو الآن بالمتحف المصري، وقد رُسِمت على قاعدته صورة والدة الفرعون الملكية «أحمس نفرتاري».

وفي «العرابة المدفونة» أقام هذا الملك معبدًا تكريمًا لوالده «أحمس» الأول، وكذلك أقام بعض المباني في «الكاب»،[١٣] وفي «معبد كوم أمبو» أقام محرابًا من الحجر الأبيض المستخرج من «طرة»،[١٤] وفي «شط الرجال» وهو وادٍ صحراوي بالقرب من جبل «سلسلة» بين الأقصر وأسوان، نشاهد على الصخور نقشًا لمهندس بناء يُدعَى «بنيتي»، يدل على أنه كان يعمل في عهد هذا الفرعون، والفراعنة الثلاثة الذين خلفوه لقطع الأحجار،[١٥] وفي «سلسلة» نفسها نشاهد لوحة محفورة في الصخر عليها صورة هذا الفرعون، مهداة من موظف يُدعَى «بينامون» Peynamon، وهذا النشاط في تلك المحاجر التي يُستخرَج منها الحجر الرملي، يدل على استعماله في عهد الأسرة الثامنة عشرة لأول مرة في بناء المعابد التي كان يُستعمَل في إقامتها الحجر الجيري المجلوب من «طرة»[١٦] فيما مضى.

ويوجد لهذا الفرعون آثار عدة «في متحف القاهرة» وفي مختلف متاحف أوروبا، غير أنه كالمعتاد لا يُعرَف مصدرها؛ لأنها وصلت إلى تلك المتاحف عن طريق تجار الآثار أو خلسة، وأهمها ما يأتي: (١) رأس جميل وطغراء، وهما جزء من لوحةٍ لفرد يُدعَى «بافون آمون» Pafunamon كان محفوظًا بمتحف الجيزة.[١٧] (٢) جزء من «محراب».[١٨] (٣) مائدة قربان من الجرانيت الأسود بمتحف برلين (No. 2292).

[١٢] راجع: Weigall, “Guide”, p. 243.

[١٣] راجع: Ibid. p. 311.

[١٤] راجع: A. Z. XXI. p. 78.

[١٥] راجع: Petrie, “Season”, p. 476.

[١٦] راجع: L. D. III, Pl. 200.

[١٧] راجع: Virey, Catalogue Giza p. 693.

[١٨] راجع: Wiedemann, “Geschichte”, p. 321.

(٤) إناءان وُجِدَا بمتحف «برلين» معلم على أحدهما حجمه وهو أحد عشر «هنًا»، أي: ٣١٧ بوصة مكعبة أو ٢٨٫٨ بوصة مكعبة لكل «هن»،[١٩] والإناء الثاني في متحف «اللوفر»،[٢٠] أما الجعارين فكثيرة جدًّا في عهد «أمنحتب الأول»، منها عدد عظيم ذو طابع خاص خشن الصنع، وكذلك توجد بعض لوحات مربعة الشكل، وأسطوانتان، واحدة منها عليها صورة الملك واقفًا،[٢١] وفي متحف «اللوفر» جعران يُشاهَد عليه الملك يضرب عدوًّا بحربة، ويتبعه فهد صيد.[٢٢]

(٣) لوحة كارس

هذا عن آثار الملك نفسه، وما قام به من أعمال، أما عن جدته «أعح حتب» التي بقيت على قيد الحياة مدة طويلة في أيام حكمه، فلدينا لوحة تذكارية لمدير أملاك هذه الملكة العظيمة، الذي يُدعَى «كارس»، واللوحة مؤرخة بالسنة العاشرة من حكم «أمنحتب» الأول حفيدها، وقد عُثِر عليها في جبانة «ذراع أبو النجا»، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري؛ ولما كانت هذه اللوحة تظهر لنا ما كانت عليه هذه الجدة المسنة من العظمة، والاعتراف بالجميل للموظف المخلص، وما كان يجب عليه بدوره أن يتصف فيه من جميل السجايا أوردناها بنصها،[٢٣] وهاك الترجمة:

> السنة العاشرة، الشهر الأول من فصل الصيف، اليوم الأول من حكم جلالة ملك الوجه القبلي، والوجه البحري «زسر كارع» ابن الشمس من جسده «أمنحوتب الأول» محبوب «أوزير» معطي الحياة، مرسوم صادر من أم الملك بتأسيس مقبرة وشعائر جنازية لمدير الأملاك «كارس».
>
> أمر الأم الملكية للأمير الوراثي حامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، ومدير بيتي الذهب، ومدير بيتي الفضة، والمدير العظيم لأملاك الأم

---

[١٩] راجع: Wiedemann, “Geschichte”, p. 32.

[٢٠] راجع: Birch, “A History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman”, 12.

[٢١] راجع: (Flinders Petrie Collection).

[٢٢] راجع: Petrie, “History”, II. p. 51.

[٢٣] راجع: Urkunden IV, p. 45–49.

الملكية «أعح حتب»، والحاجب المسمى «كارس»، لقد أمرت الأم الملكية أن يقام ضريح لك في «العربة المدفونة»، وأن يُدوَّن عليه كل الوظائف، وكل الإنعمات التي نلتها، وأن يبقى تمثالك في المعبد ضمن أتباع الإله العظيم (أي: لأجل أن يشترك في أعياد الإله)، وأن يوقف لها (أي: التماثيل) قربان من اللحم، وتعظم وتثبت قربانها كتابةً، وتقدم لك قربان ملكية كما تحب الزوجة الملكية أن يقدم للأمير الوراثي حامل خاتم الوجه البحري والحاجب «كارس».

مديح كارس: المحبوب الوحيد، الذي يسكن في جسم «سخمت»[٢٤] (الملكة)، ومَن يقتفي خطوات أميرته؛ ولذلك فإنه حل في قلبها قبل الناس، وهو واحد يسكن في قلب سيدته حقيقة، وهو الذي يفضي إليه بالأسرار، والذي يقف على مشاريع سيدته؛ ومَن يتجاوز حديثه ما في داخل القصر، ومَن يجد الكلام (أي: يجد حلًّا للكلام)، ومَن يجعل الصعب سهلًا، ومَن تعتمد سيرته على كلامه، ومَن تقر به إليها حقيقة، ومَن يعرف سوانح القلب، السعيد المنطق في حضرة سيدته، والمهاب كثيرًا في بيت الأم الملكية، الرزين في الملمات الممتاز القول، ومَن يخفي في نفسه أحوال القصر، ومَن فمه مختوم على ما يسمعه، الأمير الذي يحل المعضلات، مدير البيت العظيم «كارس» المرشد اليَقِظ لأعمال الأم الملكية، ومَن لا يفضل الليل على النهار الحاجب «كارس».

نداء لقارئي النقش: يقول: يا أيها الأمراء والكتَّاب والمرتلون والتابعون، ورجال الجيش، إن آلهتكم المحلية ستمد حكم وستحييكم، وإن وظائفكم سترثها أولادكم بعد عمر طويل، إذا قلتم قربانًا يقدِّمه الفرعون لـ «آمون» ذي الريشتين الرفيعتين رب الحياة، واهب الحب، ورب الدفن، ومَن يمنح الدفن بعد الشيخوخة، لأجل أن يعطي قربانًا من خبز وبقر وإوز، وكل شيء جميل طاهر ممَّا يقدم على مائدة رب الكل، لمدير الخزانة الملكية، ومدير البيت العظيم للأم الملكية «كارس»؛ لأنه رجل صدق أمام الأرضين، ومستقيم حقًّا، بريء من المين، وعميد العدالة، وحامي البائس، ومنجي مَن لا خلاص له، وجاعل المتخاصمين يخرجان من عنده منشرحين بما يخرج من فمه، يزن بالقسطاس المستقيم،

[٢٤] سخمت هي إلهة القوة والحرب في صورة لبؤة.

والثاني الذي يحييه (الملك) بالاسم، ومَن ينحني مثل الإله في ساعته (أي: ساعة خدمته) ليستمع إلى الحديث، وإنه في قلب سيدته حقيقة، ومَن رفعت منزلته أميرة الأراضين، مدير ما له ثدي، وما له قرن وحافر (كناية الحيوان بأنواعه)، مدير البيت العظيم «كارس» بن «عقا»، والذي وضعته ربة البيت «تشا».

مغزى هذا النقش

ومما جاء على هذه اللوحة نفهم أن الملكة المسنة لا بد كانت مغرمة بمدير قصرها، وإن شئتَ فقُلْ: مدير خاصتها، كما يُعبَّر عن ذلك الآن، وأنها بأمرها إقامة قبر له في «جبانة أوزير» المقدسة الواقعة في البلد المقدس (العرابة)، قدمت له هدية ثمنية كان يطمح إلى مثلها كل مصري يريد أن يكون له ضريح فخم بجوار إله الموتى العظيم، الذي يسكن في ذلك البلد المقدس.

والواقع أنه إذا كان «كارس» هذا صادقًا في نصف ما قصه علينا، فإنه كان حقيقة جدير بأحسن قبر يمكن للملكة المسنة سيدته أن ترفع بنيانه في العرابة، فأي عاهل من عواهل عصرنا لا يقدم عن طيب خاطر ونفس مطمئنة، ما يكافئ به خدمات رجل يحل المعضلات ويجعل الصعب سهلًا، ويضاف إلى ذلك أنه فضلًا عن حل المعضلات يجمع إلى نفسه تلك الصفة التي لا يقدر على إحرازها إلا القليل من الناس، وهي قدرته على أن يطبع على لسانه، ويختم عليه مما يصل إلى مسامعه؟ ولكن من الجائز أن أمثال أولئك الموظفين الذين تخرج في مدرستهم «كارس» كانوا وقفًا على مصر منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة مضت، وأنهم أصبحوا لا يتخرجون في تلك المدرسة بعدُ.

ولقد ضربت الملكة «أعح حتب» المثل في معاملة خدَّامها المخلصين، وهي بذلك تقدم المثل الأعلى لعالمنا الجديد قبل مماتها بقليل، في حياة حفيدها.

(٤) وفاة أمنحتب الأول

وقد توفي «أمنحتب» الأول بعد أن حكم البلاد ما يربو على عشرين عامًا، وقد خلد لنا «إنني» مهندس فن العمارة حادِثَ موته في الكلمات التالية في نقوشه التي تركها لنا عن حكم هذا الفرعون؛ إذ يقول: «ولما أمضى جلالته حياته في سعادة وسنين سلام، رفع إلى السماء وانضم إلى إله الشمس وذهب معه.»

(٥) ابتكاره في الدفن

وقد كشف عن معبده الجنازي عام ١٨٩٦ بعد الميلاد عند حافة الصحراء الغربية في «جبانة ذراع أبو النجا»، غير أنه لم يحقِّق حتى الآن مكان قبره، رغم ما قدم المستر «كارتر» من البراهين القوية،[٢٥] على أنه هو القبر الذي كشفه اللورد «كارنرفون» عام ١٩١٤ ميلادية، على مسافة ٨٠٠ متر من المعبد الجنازي الذي أقامه هذا الملك؛ إذ يعتقد المستر «ويجل» أن قبره هو القبر الذي يحمل رقم ٣٩ في النهاية الجنوبية من وادي الملوك؛ ولذلك فإن حقيقة مكان دفنه لا تزال غامضة للآن، وعلى أية حال فإنه على الرغم من الزعم القائل بأن خلفه «تحتمس» الأول، هو الذي يُعتبَر أول مَن أنشأ عادات الدفن في «وادي الملوك»، فلا بد من الإذعان بأن «أمنحتب الأول» كان أول مَن وضع تصميمَ فكرةِ فصل المعبد الجنازي عن القبر، وبذلك كان في إمكانه أن يحصل على سرية القبر لبُعْده من الخطر الذي كانت تُهدَّد به القبور، وقد زار قبر «أمنحتب الأول» لجنة الفحص التي شكلت في عهد «رعمسيس التاسع» لفحص مقابر الملوك في الجهة الغربية من «طيبة»، كما جاء في ورقة «أبوت»، وهاك ما جاء فيها:

> إن الأفق الأبدي للملك «زسر كارع بن شمس» «أمنحتب»، وهو الذي يبلغ عمقه مائة وعشرين ذراعًا في قاعته العظيمة، وكذلك في ممره الطويل، وهو الذي يقع في شمالي معبد «أمنحتب صاحب الحديقة»، وقد وضع عمدة البلد «بيزر» تقريره عنه للملك «خع أم واس» (رعمسيس التاسع) للضابط الملكي «نسو آمون»، ولكاتب الفرعون، ولمدير بيت المتعبدة المقدسة للإله «آمون رع» ملك الآلهة (أي: الملكة)، وللضابط الملكي «رع نفر كا إم با أسن»، ولحاجب الملك، وللحكام العظام قائلًا (في هذا التقرير): «إن اللصوص قد سرقوه» — قد فُحِص اليوم، ووجده البناءون سليمًا.

وأول ما تجدر ملاحظته هنا أن هذا القبر كان غريبًا في شكله بالنسبة للمقابر الأخرى التي فُحِصت، وبخاصة عمقه الذي كان يبلغ مائة وعشرين ذراعًا؛ إذ لم توجد مقبرة أخرى حُفِرت في واجهة هذه الصخور تقرب من هذا العمق؛ وذلك لأن المقابر

[٢٥] راجع: J. E. A. Vol. III. p. 147.

العميقة كلها قد حُفِرت في الواجهة الأخرى من الصخر في وادي الملوك، والواقع أن مقبرة هذا الفرعون تُعَدُّ الأولى بين طائفة المقابر الطويلة العمق التي انتشر نموذجها في عهد الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين.

(٦) عبادة أمنحتب الأول والملكة نفرتاري

ولا غرابة في أن يكون قبره عظيمًا بهذا الوصف، فإنه كان يُعَدُّ إلهًا يقدِّسه المصريون، ولما كانت أمه «نفرتاري» قد أصبحت في نظر الشعب تمثِّل «إزيس»، فإنه كان بدوره يمثِّل «أوزير» حامي الجبانة، وقد مثل على غراره في اتخاذ ألوان الآلهة الجنازية، فنجده ممثَّلًا باللون الأسود يتبعه ابنه «سابا إيري»،[٢٦] وفضلًا عن ذلك كان شكله يحشر مع الآلهة الأخرى لتزيين داخل التوابيت ولحماية موميات عباده.[٢٧] ولهذا الفرعون تمثال في «متحف تورين» يمثله جالسًا على عرشه في جلسة ملك يتحدث إلى رعيته، أو في هيئة إله يتقبل خضوع عباده،[٢٨] ورسم التمثال تقرأ فيه مرونة يد النحات في إبداع تصويره بدرجة مدهشة في عصر مثل هذا، فالرأس أعجوبة في اللطف والرشاقة الطبيعية. والواقع أن الإنسان يشعر بأن النحات كان يحس لذة وسرورًا في نحت تقاسيم هذا الفرعون، وفي إخراج هذا المحيا الذي ارتسمت عليه السماحة وهدوء الحالم في نومه،[٢٩] والواقع أن عبادة هذا الملك قد بقيت أكثر من سبعة قرون إلى أن نُقِل تابوته، ووُضِع مع توابيت أعضاء أسرته الآخرين في المكان الذي بقوا فيه مختبئين حتى كشف عنهم اللصوص في عصرنا هذا. على أن جسمه كان قد نُقِل قبل ذلك مرات عدة بعد أن سُرِق قبره طبعًا، فنعلم أن موميته قد دُفِنت ثانيةً في عهد الملك «باسبخانو» الأول، بعد مضي نحو خمس وستين سنة على ذلك، ونُقِل ثانيةً في حكم الملك «بترم» الأول، أيْ بعد ثلاثين سنة من دفنته الثانية، وبعد ذلك بنحو قرن نجد تابوت الملك مودعًا قبر الملكة «أنحابي»، وذلك في عهد الملك «سي آمون»، ولكن بعد ذلك لا نعرض إلى أي تاريخ بقي في هذا المخدع الأخير، وعلى أية حال

---

[٢٦] راجع: Rosellini, “Storici”, Vol. III. 1, Pp. 98–106.

[٢٧] راجع: Pl. XXIX.

[٢٨] راجع: Wiedemann, “Geschichte”, p. 319.

[٢٩] راجع: Champollion, “Letters à M. le Duc de Blacas d’Aulps Relatifs au Musee Royal de Turin” Vol. I, Pp. 20–21.

فإنه كان لا بد من نقله مرة أخرى كما ذكرنا؛ حيث وُجِد أخيرًا في الدير البحري، ومن ثَمَّ إلى «متحف القاهرة»، ثُم من هنا إلى ضريح سعد، ثُم إلى بيت مدير مصلحة الآثار في الدور السفلي، ثُم نُقِل إلى الدور العلوي، ثم نُقِل إلى المتحف أخيرًا.

(٧) وصف تابوته وموميته

وقد صُنِع تابوته على صورة جسم آدمي وطُلِي باللون الأبيض، ووجه يشبه وجه تمثاله، وقد رُصعت عيناه وخُطت بالكحل، ممَّا أصبغ على كل الجسم حيوية مدهشة، وقد لُفَّ الجسم بنسيج من الكتان برتقالي اللون، وقد ثبت في مكانه بشرائط سمراء اللون تقريبًا، ثم غُطِّي بغطاء وجهه من الخشب والنسيج المقوَّى، وقد طُلِي باللون الذي طُلِي به خارج التابوت، وكانت المومية مزينة بأكاليل زهر من الرأس إلى القدم، غير أنها قد ذبلت الآن، وعلى هذه الأكاليل وُجِد زنبور لا بد أنه قد اجتذبته رائحة الأكاليل العطرية في وقت الدفن، وبقي سجينًا بوضع الغطاء على التابوت، وقد استمرَّ الزنبور محفوظًا لم يُصِبْه أيُّ عطب بمواد المحنط، وقد حُفِظ جناحاه الشفيفان دون أن يصيبهما أي تعفُّن مدةَ هذه القرون الطويلة.[٣٠]

ولا تزال مومية هذا الفرعون ملفوفة في كفنها لم تُفحَص بعدُ، كأن قوته الإلهية في الأزمان القديمة قد بقي سرها حتى الآن، فحافظت على جسمه فلم يَنَلْه أيُّ ضررٍ على الرغم من التقلبات التي مرت عليه طوال هذه القرون، وكذلك بقي اسمه في الشعب المصري يتردد على شفاههم حتى يومنا هذا، دون أن يفطن إليه أحدٌ، اللهم إلا علماء الآثار؛ إذ ظل اسمه باقيًا في الشهر القبطي برمودة Pharmenoth، ومعناه عيد «أمنحتب».[٣١]

والظاهر أن زوجه «أعح حتب» الثانية لم تلعب دورًا هامًّا في تاريخ حياته؛ لأن أمه «أحمس نفرتاري» قد غطت عليها. حقًّا إننا نجد اسمها مذكورًا على عدة آثار، كما نجدها ممثَّلة على الآثار عدة مرات مع زوجها «أمنحتب الأول»، ولا بد أنها أخت الملك من أبيه وأمه؛ إذ كانت تحمل اللقب «الأميرة الوراثية» الذي أُعطِيته ابنتها «أحمس»، وإلا لما فضلت على أخيها وزوجها «تحتمس» الثاني الذي كان من أم من عامة الشعب، كما سنرى بعدُ،

[٣٠] راجع: Memoires de la Mission Française, Vol. I. Pp. 536–7.

[٣١] راجع: Memoires de la Mission Française, vol. I. Pp. 536–7.

وقد عُثِر على تابوتها في خبيئة الدير البحري، وهو الآن في المتحف المصري، أما الجثة فلم يُعثَر عليها (Gauthier L. R. Vol. II. p. 208)، وقد توفي «أمنحتب الأول» ولم يعقب منها ذكرًا، ممَّا عقد أمر وراثة العرش بعض الشيء كما سنرى.

(٨) عبادة أمنحتب الأول في جبانة دير المدينة

(راجع: B. I. F. A. O. Tome. 27 p. 159. ff).

كانت عبادة الفرعون أمنحتب الأول تُعَدُّ أهمَّ عبادة وأطولَها مدةً بين الفراعنة الذين قدَّسهم الشعب المصري بعد مماتهم، وليس بعجيب أن الجزء الأعظم من الآثار الخاصة بعبادته مصدرها طيبة؛ لأن كلًّا من معبده وقبره قد أقيم في هذه الجهة، غير أن الأهم من ذلك هو أنه إذا فحصنا هذه الآثار نفسها بالتفصيل نجد أنها كلها تُنسَب إلى جبانة «دير المدينة» التي كانت تُسمَّى قديمًا جبانة خدَّام مأوى الصدق. وقد دلَّتِ البحوث الحديثة على أن هذا الاسم يدل على عمال الجبانة الملكية، ومن ذلك نعلم أن خدام «مكان الصدق» هم العمال الذين كانوا يقومون بنحت مقابر الفراعنة في هذه البقعة، وهي المعروفة الآن «بأبواب الملوك»، وهؤلاء العمال كانوا بطبيعة الحال من طبقة فقيرة من أهل البلاد، ولم يكن من المحتمل أنهم هم الذين يقومون بالشعائر الجنازية لهؤلاء الملوك، بل كانت في أيدي كهنة المعابد الجنازية الخاصين بذلك، غير أن العمال كانوا بدورهم موظفين ملكيين، فليس من المدهش إذن أن يقوموا بعبادة الملوك رؤسائهم بعد موتهم. وقد كانت عبادة أمنحتب الأول على وجه خاص شائعة عندهم؛ ولذلك أصبح هذا الفرعون الوحي الذي يفصل بينهم في خصوماتهم الصغيرة (راجع: J. E. A. Vol. III. p. 176).

(٩) العمال وأمنحتب الأول

والواقع أن أمنحتب الأول كان أول مَن نحت قبره في صخور تلال طيبة، فكان أول مَن أحسن للعمال وأوجد لهم عملًا في الجبانة الملكية، وهم الذين أطلق عليهم خدَّام «مكان الصدق»، ولا يبعد أن يكون هو المؤسس الأول لطائفة العمال الذين كانوا يقومون بنحت المقابر الملكية، ولا غرابة في ذلك؛ فكلُّ ما لدينا من وثائق عن هذا الموضوع يرجع تاريخه

إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة (راجع: B. I. F. A. O., p. 161)، وقد قام بفحص هذا الموضوع الأستاذ «شرني» في مقال رائع (راجع ibid) ويتلخص فيما يلي:

(١) كانت عبادة الملك «أمنحتب الأول» منتشرة عند العمال في جبانة طيبة الملكية، كما يدل على ذلك آثارهم الجنازية والمدنية، والسبب في ذلك هو العلاقة الوثيقة التي توجد بين جماعتهم وأمنحتب الأول الذي أسَّس طائفتهم.

(٢) كان يوجد في «طيبة» الغربية أشكال عدة لعبادة «أمنحتب الأول» مقابلة للتماثيل الخاصة به في محاريب مختلفة، وقد عرفنا منها اثنين على وجه خاص من آثار عمال الجبانة، وهما أمنحتب سيد المدينة (أي: مدينة العمال)، وأمنحتب محبوب آمون؛ ويمكن تمييزها بالتاج الذي كان يلبسه كلٌّ من صورة الفرعون في هاتين الحالتين.

(٣) كان أحد محاريب الفرعون في قرية العمال، وكان تمثال الفرعون في الأعياد المختلفة يحمل في حفل جبانة «دير المدينة»، وأحيانًا كان يحمل حتى «وادي الملوك».

(٤) كان تمثال «أمنحتب الأول» يفصل في المخاصمات بين العمال، بوساطة الوحي الذي كان ينطق به التمثال في المحراب أو في خلال المواكب.

(٥) كان العمال أنفسهم يقومون بعمل الكهنة لعبادة هذا الفرعون، وقد كان العمال على وجه خاص هم الذين يقومون بحمل تمثال الفرعون في المواكب.

(١٠) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «أمنحتب الأول»

كارس

من أهم النقوش التي تحدثنا عنها في حكم هذا الفرعون نقوش لوحة الموظف «كارس»، ويرجع تاريخها إلى السنة العاشرة من حكم «أمنحتب الأول»، وقد تكلَّمنا عنها فيما سبق.

وكان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، والمشرف على بيتي الذهب، والمشرف على بيتي الفضة، ومدير البيت، وحاجب الفرعون، ومدير البيت العظيم للأم الملكية، والمدير العظيم لبيت الأم الملكية «أعح حتب» (Urk. IV. Pp. 44–49).

حورمني

في متحف «فلورنس» لوحة لموظف كبير، يُدعَى «حورمني» لم يُعثَر على قبره بعدُ، وكان يحمل الألقاب التالية: الكاتب وحاكم نخن. وتدل نقوش اللوحة على أنه كان من الأفراد أصحاب المكانة؛ إذ يقول: لقد أمضيتُ سنين عدة عمدةً لبلدة «نخن»، وقد جمعت خراجها لرب الأرضين، ولقد مُدحت ولم توجد فرصةٌ قطُّ للومي، ولقد بلغت الشيخوخة في «واوات» وأنا محبوب سيدي، وذهبت نحو الشمال بالجزية للملك كل عام، وقد خرجت من عنده وأنا بريء، ولم يوجد عندي زيادة (راجع: Urk. IV. p. 76–77)، ومن ذلك نعلم أن عمدة «نخن» التي كانت تُعَدُّ الحدَّ الفصل بين مصر وبلاد النوبة، كان مسئولًا عن جميع خراج البلاد الجنوبية، وعن حُسْن سير الأحوال فيها أمام الفرعون، ولسنا نعلم إذا كان هذا الموظف قد رُقي إلى مرتبة حاكم إقليم «واوات» في بلاد النوبة السفلية، أو أن بلاد «واوات» كانت تحت إدارة بلدة «نخن»؛ إذ نعرف فيما بعدُ خلال الأسرة الثامنة عشرة أن إدارة نائب الفرعون في بلاد النوبة، كانت تمتدُّ من نخن حتى كاراي.

رني بن سبك نخت

وفي متحف تورين تمثال لموظف يُدعَى «رني» (راجع: Urk. IV. p. 74) يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، والمشرف على كهنة نخب، وقد دُوِّن على التمثال النقش التالي: قربان يقدِّمه الملك لنخبت البيضاء صاحبة «نخن» (الكوم الأحمر) لتعطي كل شيء جميل وطاهر ممَّا يُوضَع على مائدتها في كل عيد للسماء للأمير والكاتب الماهر عند الإله الطيب، الحازم في كل الأشياء الصغيرة، المرحوم «رنني» يقول: «لقد خدمت ملك زماني وقد عرفته طفلًا ورجلًا، وذكراي موجودة في القصر، وعرفت «حور» (أي: الملك)، وقد بلغت من العمر أرفعه في مدينتي، وقد قادني قلبي لخدمة الملك، ولم أكن خسيسًا في فؤاد (الفرعون) ولا مثيل لي، واسمي طيب في كل البلاد الأمير الوراثي، والمشرف على كهنة نخب «رني»، الأمير الذي أنجبه الأمير الوراثي «سبك نخت» المرحوم.»

ومن النقش نعرف الاتصال الوثيق الذي كان بين هذا الأمير وبين الفرعون، والظاهر أنه كان في خدمة والده من قبلُ؛ لأنه يقول إنه عرف الفرعون طفلًا ورجلًا.

رني بن سبك حتب

وقد أنجبَتْ مدينةُ الكاب موظفًا آخَر في عهد هذا الفرعون يُدعَى «رنني» يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي والحاكم والمشرف على الكهنة والكاتب، ووالده يُدعَى الأمير الوراثي «سبك حتب»، وعلى الرغم من أن ألقاب هذا الموظف ليس فيها ما يسترعي النظر، إلا أن قبره الذي عُثِر عليه في «الكاب» قد زُيِّن بمناظر تكشف لنا القناع عن بعض نواحي الحياة الاجتماعية اليومية في هذا العصر، وتشمل مناظر زراعية نجد فيها تجديدًا لم يلحظ من قبلُ، فنشاهد عربة بخيلها تنتظر «رني» يركبها، وذلك خلافًا لما نشاهد في مناظر الدولة القديمة؛ إذ كان صاحب الضيعة يركب في محفته التي كانت تُحمَل على أكتاف خَدَمه عندما يريد الإشراف على مزارعه (راجع: Excavations at Giza Vol. V. Fig. 123)، أو كان يركب في هودجٍ يحمله حمار (راجع: Wrkh w. w, Ibid. p. 246)، ولكنا نشاهد الآن العربة التي تجرُّها الجياد تحت تصرُّف صاحب الضيعة منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة، أيْ في عهد ثاني ملوكها «أمنحتب الأول»، ممَّا يدل على أن صاحب المقبرة كان من أصحاب الثروة العظيمة؛ إذ كان لا يقتني الخيل والعربات إلا أغنياء هذا العهد، ومن المناظر الطريفة في هذه المقبرة منظر الإشراف على عدِّ الماشية وبخاصة الخنازير؛ فيقصُّ علينا النقشُ الخاص بذلك ما يأتي: «الإشراف على تسليم الماشية بواسطة الأمير الوراثي والحاكم المشرف على الكهنة والكاتب «رني» المرحوم: اثنان وعشرون ومائة ثور، ومائة رأس غنم، وعشرون ومائة من الماعز، وخمسمائة وألف خنزير.»

وكذلك يُشاهَد صاحب المقبرة في وليمة ومعه أفراد من أسرته، من بينهم حفيد يُسمَّى «سبك حتب»، وقد كان هذا الطراز من المناظر شيئًا شائعًا لتمثيل أفراد الأسرة بأسمائهم ورسومهم بطريقة منطقية مفهومة فنية، خلافًا لما كان متَّبَعًا في الدولة الوسطى، فقد كان يذكر على لوحة المتوفى الجنازية كل أسماء أفراد أسرته لمدة أجيال مضت بطريقة مرتبكة يصعب فهمها، ومثال ذلك أسرة «تحوتي حتب» حاكم مقاطعة البرشة (راجع: Newberry, “El Bersheh”, Vol. I pls. XXIII–XXX). وفي مناظر هذه المقبرة نشاهد الراقصين «مورو» والمسلتين والأشجار والحدائق، ويُرَى هنا الإله «أنوبيس» واقفًا داخل المحراب في حين أن «أوزير خنتي أمنتي» يقف خارجه وراء «أنوبيس» (راجع: L. D. III. Pl. lle.). وهناك منظر آخَر غريب في بابه نجد فيه كاهنين؛ أولهما هو الكاهن

المحنط «وتي»، ورئيس الخزانة المقدسة، وكلاهما يصبُّ ماء الطهور على رأس المتوفى الجالس على إناء كبير (راجع تفسير هذا المنظر في كتاب حفائر الجيزة "Excavatfons at Giza", Vol. IV. p. 69. ff.). وقد كان الملك في مثل هذا المنظر بدلًا من الكاهنين الإلهيين «حور» و«ست»، ثم فيما بعدُ «حور» و«تحوت» (راجع: Jequier, "Les Monuments Funeraires de Pepi I.", Vol. III. p. 39. fig. 27.)، وهذه المناظر الجنازية قد أصبحت من خواص قبور الأسرة الثامنة عشرة كما سنشاهد فيما بعدُ (راجع: Taylor, "The Tomb of Renni", Pl. II–VII.).

إنني

ومن أعظم الشخصيات البارزة في عهد الأسرة الثامنة عشرة «أنني» الذي عاصَرَ عدة ملوك، مبتدئًا بحكم الفرعون «أمنتحتب الأول» حتى «تحتمس الثالث»، وقد تكلَّمنا عن نقوشه فيما سبق، وكان يحمل الألقاب العظيمة التالية كما وجدناها في قبره بشيخ عبد القرنة: المشرف على مخازن غلال الإله آمون، والأمير، والحكم، والذي يملأ قلب مليكه، والكاتب، ومدير كل الأعمال في «الكرنك»، والمشرف على كل الأختام في «الكرنك»، ومدير كل الأعمال في الجبانة الملكية، والمشرف على كل الصناع في بيت آمون، والقاضي.

ويشمل قبر «أنني» بعض مناظر ثمينة يمكن تقسيمها ثلاثة أقسام: (١) مناظر خاصة بحياته اليومية. (٢) مناظر جنازية. (٣) مناظر تدل على حوادث معيَّنة في حياة الموظف الحكومية. وهذه الظاهرة أصبحت شائعة في نقوش مقابر الأسرة الثامنة عشرة، وقد بلغت قمتها في عهد «أخناتون»؛ حيث نجد طراز هذه المناظر قد شغل معظم جدران مزارات القبور كما سنرى بعدُ.

ففي القسم الأول من مناظر مقبرة «أنني» نرى المتوفى يتسلَّم الحيوانات الأليفة والطيور مثل الحمير والماعز والخنازير والغنم والكراكي (راجع: Porter and Moss "Bibliography" I, p. 109).

وكذلك نجد مناظر صيد السمك (Wreszinski "Atlas" I. Pl. 262b).

ومنظر وليمة، ومنظر صيد في الصحراء كذلك (Porter £ Moss, Ibid p. III. & Wreszinski 262a).

والمنظر الأخير رسم على طراز الدولة الوسطى، ويذكرنا بمناظر قبور «ميرو بني حسن» (راجع "The Rock Tombs of Meir", Vol. I, Pls. VI, VII, VIII, & "Beni

Hasan”, Vol. I. Pl. XII)؛ ومما يُلحظ في المنظر الأخير صورة لضبع قد رُميت بسهم وتحوَّلت بجزئها الخلفي لتهاجم كلب الصيد الذي انقضَّ عليها. أما المنظر الثاني (الجنازي) في هذه المقبرة، فيشاهد رسم سير الجنازة والمسلات والأشجار والبركة والراقصين «موو»، كما يشاهد بطبيعة الحال المتوفى جالسًا مع زوجه على كرسي وأمامهما مائدة القربان المحملة بكل ما لذَّ وطاب من أنواع الطعام (راجع Porter & Moss, Ibid. p. 109.). ويُشاهَد في القسم الثالث الحصاد، ولا بد أن ضيعته كانت واسعة النطاق؛ إذ ترى الكَتَبَة يحملون تقاريرهم، والمشرفين على الحصاد ذاهبين ورائحين، وقد يجوز أن هذا المنظر يعبِّر عن حصاد محصول الإله «آمون» الذي كان «أنني» مشرفًا على مخازن غلاله (Wreszinski, Ibid I, Pl. 264). وممَّا هو جدير بالذكر هنا أن المفتن المصري في مناظر الحصاد بدأ في محاولة رسم البقعة المجاورة لمكان الحصاد على جدران المقابر، وفي الدولة القديمة نجد رسم أدغال البردي في مناظر حياة البطاح (راجع: Capart, “Mem-phis, A l’Ombre des Pyramides”, fig. 381-382)، في حين أن مناظر الصحراء قد مُيِّزت برسم تعاريج وأعشاب من نباتات الصحراء مبعثرة هنا وهناك، ممَّا يدل على أنها أرض رملية قاحلة (راجع: Davies, Mastaba of Ptahhetep and Akhethetep Pl. XXII)، ثم نشاهد بعد الدولة القديمة أن مناظر الصيد قد خطت خطوة إلى الأمام، وذلك بإضافة إطار لمنظر الصيد للتدليل على وجود جزء خاص من الصحراء مسوَّر بشباك كانت تساق إليه الطرائد (راجع: The Rock Tombs of Meir Vol. I. Pl. 8. And Beni Hassan. Vol. I. Pl. 13)، أما في مقبرة «إنني» فلدينا منظر معين كامل نشاهد فيه بيتًا ذا طابقين محاطًا بجدار عالٍ، وفي الحديقة نرى مخازن غلال مخروطية الشكل ومباني مقببة يحتمل أن تكون مخازن من نوع خاص، كما يلاحظ أن المباني في هذا المنظر مختفية بعض الشيء بجدران سور، يدل على ذلك الأشجار التي قد ظهرت فروعها من فوق الجدران بصورة طبيعية (راجع: Wreszinski, Atlas. Pl. 60 a–c.)، كلُّ ذلك يوحي أن المصري قد أخذ يصور أمامنا الطبيعة كما هي Landscape.

وسترى مناظر طبيعية فيما بعدُ أكثر إتقانًا وتجديدًا في مقابر عظماء القوم في أواخر هذه الأسرة.

بن آتي

من النقوش الهامة التي بقيت لنا مدوَّنة على صخور «شط الرجال» نقوشُ «بن آتي»، الذي عاصَرَ ثلاثة فراعنة مبتدئًا بالفرعون «أمنحتب الأول»، والظاهر أنه كان مكلَّفًا قطع الأحجار من هذه الجهة، وكان يحمل الألقاب التالية: المشرف على أعمال «أمنحتب الأول» المرحوم «بن آتي»، والمشرف على أعمال «مباني الفرعون» تحتمس الأول «بن آتي»، والمشرف على أعمال الفرعون «تحتمس الثاني» (راجع: Urk IV, p. 52)، وكذلك نجد أنه عاش في عهد الملكة «حتشبسوت» و«تحتمس الثالث»، غير أننا نجده هنا مشرفًا على مباني معبد آمون، وقد وجد له النقش التالي في نفس الجهة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» معطي الحياة، والإلهة الطيبة «ماعت كارع» المبعوثة ثانية، والمشرف على أعمال معبد «آمون» «بن آتي» المرحوم (راجع: Petrie, Season, p. 14, 357). ولدينا موظفون آخرون من هذا العهد، غير أننا لا نعرف عنهم إلا القليل حتى الآن، وهم:

أمنمحات

وقد عثرنا له على لوحة محفوظة الآن في متحف «جنيفا»، وقد ذكر عليها ألقابه: كاتب قربان معبد «أمنحتب»، ويعتبر الأستاذ «فيدمان» أن هذا اللقب يعادل لقبًا آخَر يرجع إلى عهد الدولة القديمة، وهو كاتب المائدة (Rec. Trav. Vol. XVIII, P, 124).

آمو

وفي معبد سراية الخادم بشبه جزيرة سيناء كشف عن عتب باب لموظفٍ يُدعَى «آمو»، ولا بد أن الفرعون كان قد أرسله بوصفه حامِلَ خاتم ملك الوجه البحري في بعثة، والواقع أن صاحب هذه الوظيفة كان يقوم في معظم الأحيان برحلات إلى هذه الجهات في عهود مختلفة. أما ألقابه الأخرى فهي: الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، والدائم الحب في بيت الملك.

أتف نفر

توجد في متحف «اللوفر» لوحةٌ لموظف يُدعَى «أتف نفر»، وتذكر لنا لوحته أنه كان «حاكم الواحة»، وقد ذكرنا أن الواحات في عهد الأسرة الثامنة عشرة كانت مقسَّمة قسمين: الواحات الشمالية والواحات الجنوبية، غير أن «أتف نفر» لم يخبرنا في لوحته أي قسم كان تحت إدارته، والظاهر أنه كان عمدة المدينة قبل عمل هذا التقسيم، وقد ذكر لنا على هذه اللوحة أنه كان قريب الفرعون ومحبوبه، وقد عاش في عهد «أمنحتب الأول»، وقد جاء في آخِر لوحته هذه — التي لا تحتوي إلا على ألقابه وصيغة القربان الجنازية — أن ابنه «حورام أخت» الكاتب هو الذي أقام له هذا الأثر (Urk. IV. p. 50–51).

بازو

وفي المتحف المصري لوحة أهداها خادم الإله «منتو» رب «أرمنت» للفرعون «أمنحتب» الأول، ويشاهد في الجزء الأعلى منها الفرعون المذكور وأمير ملكي يتعبدان للإله «منتو»، وفي أسفل اللوحة نشاهد «بازو» نفسه راكعًا في هيئة تعبُّد، وتدل كل الأحوال على أن هذه اللوحة كانت في معبد «أرمنت» بالوجه القبلي (راجع: Lacau, Steles du Nouvel Empire, p. 10. ff. V). كان هذا الموظف يشغل وظيفة «رئيس خبازي معبد آمون»، وقد عُثِر له على لوحة في خبيئة مبعد الكرنك التي كشف عنها «لجران»، ويشاهد عليها الملكة «أحمس نفرتاري» والفرعون «أمنحتب الأول» يتعبدان لثالوث «طيبة»، وهم: «آمون»، و«موت»، و«خنسو».

وقد أهدى لهم «نب يوتب» هذه اللوحة (راجع: Legrain, Repertoire, p. 28. No. 43).

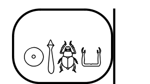
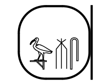
حوي

ذكرنا أن عبادة كلٍّ من «أمنحتب الأول» والملكة «أحمس نفرتاري» كانت شائعة في عصرهما، وظلت بعدهما عدة قرون، وفي عهدهما نجد «حوي» الذي كان يُلقَّب «خادم الإله آمون» قد ترك لنا لوحةً يتعبَّد فيها لهما، وكذلك نشاهده يتعبَّد للفرعون «أحمس الأول» (راجع: Lacau, Ibid p. 7 & Pl. XXIV).

تحتمس

عُثِر لهذا الموظف على أداة كتابة من الخشب عليها طغراء «أمنحتب الأول»، وقد لُقِّب عليها بالكاتب والمدير الملكي وكاتب الحريم، ممَّا يدل على أنه كان صاحب مكانة في البيت المالك (راجع: Rec. Trav. T. XIV. p. 56).

تحتمس الأول

(١) أسرة تحتمس الأول

خلف «أمنحتب الأول» على عرش الملك «تحتمس الأول»، وتدل المعلومات التي لدينا حتى الآن على أنه ليس ابنه كما يدَّعِي البعض أحيانًا؛ إذ إن «تحتمس» أعلن في صراحةٍ في المرسوم الصادر بتوليته الملك، أنه وضعته والدته «سنسنب»، ومن ذلك نعلم أن أمه لم تكن زوجة ملك شرعية، أو بنت ملك شرعية، ويُشاهَد في أعلى اللوحة التذكارية التي نُقِش عليها هذا المرسوم؛ «تحتمس الأول»، وخلفه زوجه «أحمس»، والملكة «نفرتاري» والدة «أمنحتب الأول» التي شاركته في عرش الملك.

ومن المحتمل كما يظن البعض أن زوجه «أحمس» هذه كانت إحدى أخوات «أمنحتب الأول» الشرعيات، وأن «تحتمس» بزواجه منها أصبح ملكًا على البلاد، غير أن هذا الزعم لا يمكن الجزم به، والواقع أن الدور الخفي الذي مثل في حادث تولية هذا الملك لا يزال مجهولًا لنا كما جرَتِ العادة في مثل هذه الأحوال الخاصة؛ على أن هناك رأيًا آخَر يدَّعي الآخذون به أن «أحمس» زوج الفرعون «تحتمس» هي أحمس «حنت تامحو» بنت الملك «أحمس» الأول من زوجةٍ ثانوية تُدعَى «إنحابي»، والحقيقة أننا نجد «تحتمس» يتكلَّم عن «أحمس» هذه بأنها أخته، ممَّا يدل على أنه هو كذلك كان ابن الملك، ولكن من زوجة أخرى تُدعَى «سنسنب» كما ذكرنا. وأخيرًا يتكلم «تحتمس» عن نفسه في بعض النقوش بأنه ابن ملك، وأن والده ابن ملك؛ وذلك يدل على أن والده وجده كانا ملكين، ولما لم يكن

ابن «أمنحتب الأول»، فلا بد إذن أن يكون ابن «أحمس الأول» وحفيد «سقننرع»،[١] ومهما يكن من أمرٍ فإن الموضوع لا يزال يحيطه الشك والإبهام معًا.

(٢) تاريخ تتويجه ملكًا على البلاد

ولا بد أنه تُوِّج ملكًا على البلاد حوالي عام ١٥٣٥ق.م، أيْ بعد وفاة «أمنحتب» مباشَرةً، وقد استقينا معلوماتنا عن إعلان تتويجه ملكًا على البلاد من نسخ مرسوم توليته على عرش البلاد، أُرسِلت إلى حاكم بلاد النوبة «توري» الذي كان قد عُيِّن حديثًا لإدارة شئونها، ولُقِّب بلقب جديد هو ابن الملك للبلاد الجنوبية (كوش)، وكان يقوم بإدارة هذا الإقليم في عهد سلفه «أمنحتب» الأول على ما يظهر حاكم الكاب، والواقع أنه كان الوالي على بلاد السودان كما سنشرح ذلك في حينه.

ولا نزاع في أن هذا المرسوم كما يبدو كان قد وُزِّع على حكام البلاد قاطبةً، وقد وُجِد منه حتى الآن ثلاث نسخ، وهاك[٢] نص المرسوم:

> مرسوم ملكي إلى ابن الملك حاكم بلاد «كوش» «توري»؛ لقد أُرسِل إليك هذا المرسوم لتكون على علمٍ بأن جلالتي (له الحياة والسعادة والصحة) قد أشرق ملكًا على الوجهين القبلي والبحري، جالسًا على عرش «حور» الأحياء، الذي لن يكون له مثيل طول الأبدية، وستكون ألقابي كالآتي: حور (١) «الثور القوي» محبوب آلهة العدالة، (٢) سيد العقاب والصل الذي يظهر بالصل العظيم في قوته، حور الذهبي — من سنيه جميلة، ومَن يجعل القلوب تحيا، ملك الوجه القبلي والوجه البحري عا خبر «كارع» — ابن الشمس «تحتمس» — يعيش مخلدًا أبدًا. مرَّ على ذلك بتقديم القرابين لآلهة إلفنتين (الواقعة) في نهاية الجنوب، لأجل أن يقدِّم الناس قربانًا لحياة وعافية وصحة ملك الوجهين القبلي والبحري «عا خبر كارع» معطي الحياة، وكذلك مر بحلف اليمين باسم جلالتي الذي ولدته الأم الملكية «سنسنب»، والتي تتمتع بصحة مجددة. وهذه رسالة لتُعلِمك بالأمر، وبأن البيت المالك في صحة وعافية. (التاريخ) السنة

---

[١] راجع: Weigall, “History”, Vol. II. p. 264. ff.

[٢] راجع: Urkunden IV. Pp. 79–81.

الأولى، الشهر الثالث من فصل الشتاء في يوم الظهور (أي: ظهور الفرعون وعلى جبينه الصل، وهو علامة على التتويج).

(٣) أوصاف تحتمس الأول

ولا غرابة في أن نجد هذا الفرعون يحمل لقب «الثور القوي»، فإن هذا اللقب كان ينطبق عليه وعلى ما قام به من أعمال الشجاعة؛ إذ كان طويلَ القامة، عريضَ المنكبين، متينَ البنية، قادرًا على تحمُّل أهوال الحروب من غير ملل وإعياء، وقد صوَّرته تماثيله بوجه ممتلئ مستدير، وأنف طويل، وذقن مربعة، وشفتين تميلان إلى الغلظ، ومحيا ترتسم عليه ابتسامة ولكنها في الوقت نفسه تمثِّل قوة الإرادة، ولا نزاع في أن هذا الفرعون قد حمل معه عند تولِّي العرش روح الجيل الناشئ، الذي جاء على أعقاب تخليص البلاد من نير الهكسوس، فقد نما وترعرع في عهد «أمنحتب الأول»، ذلك العهد الذي كان يسوده السلام بوجه عام، وكان أبناء جيله يفخرون بتلك الانتصارات التي أحرزوها على أقوام الجنوب من غير كبير عناء، مما جعل روح الطموح تدبُّ في نفوسهم إلى الغزو ومتابعة الفتح، وبخاصة في آسيا، تلك البلاد التي فرَّ إليها أولئك القوم الذين سيطروا على بلادهم بيدٍ من حديد أكثرَ من قرن ونصف. والواقع أنهم لم يفكروا في غزو بلاد أفريقية ثانيةً؛ إذ كان يُخَيَّل إليهم أنه ليس فيها مجال واسع يسعر نار مطامعهم؛ لأن كل البلاد السودانية حتى ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض كانت ملكًا لعاهلهم، وكان الآلهة المصريون يعبدون في «نباتا» كما كانوا يعبدون في «طيبة» بنفس الحماس والتقى.

(٤) حروبه في السودان

ولكن أهالي السودان من ناحيتهم أخذوا يقومون ببعض مناوشات، ولذلك عزم «تحتمس» على أن يقوم بنفسه بحملة عليهم لإخضاعهم قبل أن يولِّي وجهه شطر آسيا مطمح أنظاره ومعقد آماله، فسار على رأس جيشه حتى وصل إلى «تومبس» الواقعة بعد الشلال الثالث مباشَرةً، غير أنه وجد أن السودانيين الذين كانوا لا يزالون يذكرون هزيمتهم على يد «أمنحتب» الأول، لا يريدون قتالًا. وعلى أية حال فإن كل عصيان عند الحدود قد أُخمِد في الحال، وخُلِع على إثر ذلك كلُّ أمير معاد لمصر، وقد وصَلَنا وصفُ هذه الحملة من حياة



شكل ١: مومية تحتمس الأول.

«أحمس» بن «أبانا»، وكذلك من حياة سميه «أحمس بننخبت»، وكذلك على لوحةٍ نُقِشت في السنة الثانية من حكم هذا الفرعون على صخرة في جزيرة «تومبس» Tombos.[٣]

(٤-١) النص الذي يتحدَّث عن حروبه في السودان والنهرين

والنص الذي جاء على هذه اللوحة لا يحتوي على حقائق كثيرة في صميم الموضوع، بل معظمه تعابير بليغة في وصف الفرعون، وما له من جاه وسلطان وقوة وبطش، وسنضع ترجمتها حرفيًّا أمام القارئ بمثابة نموذج لتلك النصوص التي يشحذ المؤرخ فكره في عبارتها؛ ليستخلص منها حقائق تاريخية سهلة المأخذ، مختصرة العبارة، وهاك النص:

[٣] راجع: Urkunden VI. Pp. 82. ff.

السنة الثانية، الشهر الثاني من فصل الفيضان، اليوم الخامس والعشرون في حكم جلالة الثور القوي محبوب آلهة العدل … «تحتمس الأول».

لقد حضر وظهر بوصفه رئيسَ الأرضين ليحكم ما يحيط به قرص الشمس، والوجه القبلي والوجه البحري، وبخاصة نصيبي «حور وست» (أي: مصر كلها)، وهو الذي وحَّدَ الأرضين وجلس على عرش «جب»، ولبس التاجين القويين (سخمتي)، وقد تسلَّمَ جلالته بحق إرثه، واطمأن على عرش «حور» ذي الدرج؛ ليمدَّ حدود «طيبة» على «خفت حرنبس» (من ضواحي «طيبة») وليصبح سكان الرمال، والبرابرة الذين يمقتهم الإله، وسكان جزر البحر الأبيض، وقوم «رتحو قابت» خدَّامًا لها، وهو الذي جعل سكان الجنوب يقلعون شمالًا وسكان الشمال يصعدون جنوبًا، وكل البلاد الأجنبية يأتون محمَّلين بجزيتهم للمرة الأولى (في التاريخ) للإله الطيب «تحتمس» الأول عاش مخلدًا، وإنه «حور» المظفر، رب الأرضين، وهو الذي يخدمه … ومستعمراتهم تابعة له؛ لأنهم يقبلون الأرض بين يدَيْه، وأصحاب السقاية ينحنون أمام جلالته، ويخضعون أمام الصل الذي على جبينه، وهو الذي قد طرح أرضًا رجال بلاد النوبة، ولم يفلت من قبضته السود إلا بمشقة (؟)، وقد ضمَّ إليه الحدود التي على كلا الجانبين (للنيل)، ولم يفلت واحد من أهالي الذين أتوا، فلم يَبْقَ منهم واحد، أما بدو النوبة فقد سقطوا على وجوههم من الفزع، وخروا على جنوبهم في بلادهم، وانتشرت رائحة جثثهم في وديانهم، ولطخت أفواههم بالدماء كأنها صوب المطر، أما الذين قتلوا … فحملوا إلى مكان آخَر، وقد انقضَّ التمساح على الهارب الذي كان يريد أن يختبئ أما «حور» قوي الساعد، (وهذا كله) حدث بقوة الفرعون وحده، ابن آمون، ونسل الإله صاحب الاسم الخفي (كلمة آمون معناها الخفي) وسلالة ثور التاسوع (أي: سلالة آمون)، والصورة الفاخرة لأعضاء الإله، والذي يفعل ما تحبه أرواح «عين شمس» (أي: الملوك القدامى)، وهو الذي برأه أرباب «حت عات» (معبد بعين شمس)، وهو حصن لكل جيشه، والجسور على مهاجمة قبائل الأقواس التسعة مجتمعين كأنه فهد فتي بين قطيع من البقر المطمئنة، قد أعمتهم قوة جلالته، وهو الذي وصل إلى حدود الأرض من قاعدتها، والذي اخترق نهايتها بقوته المظفرة، والذي يبحث عن الحروب، وليس مَن يجسر على مواجهته، وهو الذي فتح الوديان التي كان

يجهلها الأولون، والتي لم يرها حاملو التاجين، وحدود بلاده الجنوبية وصلت إلى بداية هذه الأراضي (بلاد النوبة)، ومن الشمال إلى تلك المياه التي تسير من الشمال إلى الجنوب (يعني نهر الفرات؛ لأن مياهه تسير عكس مياه النيل الذي يجري من الجنوب إلى الشمال)، ولم يحدث لملك آخَر شيء مماثل لهذا، وقد وصل اسمه إلى دائرة السماء، وكذلك وصل إلى الأرضين … والناس تعقد الأيمان باسمه في كل البلدان؛ لأن شهرة جلالته عظيمة جدًّا، ولم يَرَ الإنسان مثيلًا لذلك في تاريخ الملوك القدامى منذ عهد أتباع «حور».

وهو الذي يعطي مَن يتبعه نفسه (أي: نفس الحياة)، ومَن يسير على نهجه قربانه، حقًّا إن جلالته هو «حور» الذي استولى على دولته لملايين السنين، وهو الذي تخدمه جزر المحيط، والأرض جميعها تحت قدمَيْه، ابن الشمس من جسده، ومحبوبه «تحتمس» عاش مخلدًا أبديًّا، المحبوب من «آمون» رب الآلهة، والده الذي صور جماله، ومحبوب تاسوع الكرنك، معطي الحياة، والثبات والعافية والصحة، وفرح القلب على عرش «حور»؛ لأنه قائد كل الأحياء، مثل رع مخلدًا.

ما نستخلصه من هذا النص

وهذه النقوش على ما بها من الإغراق في أوصاف الفرعون، وما قام به من ضروب الشجاعة لقمع أولئك السود، قد جعل بعض المؤرخين يستنتجون من استعاراتها أشياء لا وجود لها في المتن، ولا أدل على ذلك من استنتاج وجود قلعة بناها الفرعون في جزيرة «تومبس»، مع أن المتن الذي استخلص منه ذلك هو في الواقع تشبيه للفرعون بأنه حصن كل جيشه، والذي يجسر على مهاجمة قبائل الأقواس التسعة مجتمعة، الفهد الفتي بين قطيع من البقر الهادئة؛ على أن ذلك لا يمنع أن الفرعون كان قد أقام حصنًا في هذه الجهة، والمهم في هذا النقش هو أن مؤلِّف هذه الوثيقة كان يعرف من غير شك بلاد النهرين (كما يقول برستد) أو ذهب إليها، وقد نظر بدهشة واستغراب إلى اتجاه سير نهر الفرات الذي كان يخالف سير نهر النيل، فقد كان ذلك النهر يجري من الشمال إلى الجنوب نحو مصبه، بدلًا من أن يجري شمالًا مثل النيل؛ ولذلك سمَّاه المصريون «الماء المقلوب الذي يجري إلى أسفل بدلًا من الذهاب إلى أعلى». والواقع أن هذا وصف دقيق للغاية لمصري كان يعتبر

نهر بلاده هو النموذج الذي كان لا بد أن تكون كل أنهار العالم على غراره،[٤] والأهم من كل هذا هو السؤال التالي: كيف يمكن «تحتمس» الأول أن يدَّعِي وصول حدود إمبراطوريته إلى هذا النهر، مع أنه لم يمضِ على اعتلائه عرشَ الملك إلا سنة واحدة؟ وليس لهذا الجواب حل إلا إذا كان سلفه «أمنحتب الأول» هو الذي وصل في فتوحه إلى هذه البلاد النائية، وإن كانت آثاره لم تحدِّثنا عن ذلك كما سبقت الإشارة لذلك، والظاهر أن الفرعون في غزوته هذه قد مكث حوالي عام يحارب السود؛ إذ وُجِدت نقوش في «تنجور» التي تقع على مسافة خمسة وسبعين ميلًا فوق الشلال الثاني، تحدِّثنا عن عودته إلى مصر.[٥]

(٤-٢) نقوش أخرى عن حروبه في السودان

«السنة الثانية – الشهر الأول من الفصل الثالث – نهاية حملة الشتاء»، وكذلك وُجِدت لوحة في جزيرة «أرجو» التي تقع على مسافة أربعين ميلًا جنوبي الشلال الثالث، كُتِب عليها اسم هذا الفرعون، غير أنها لم تُنشَر.[٦] ومهما يكن من ضعف قوة النوبيين، فإن دلائل الأحوال تدل على أن حملة «تحتمس» إلى الشلال الثالث كانت عنيفة، وقد ازداد عنف هؤلاء القبائل النوبية في السنة التالية، في مهاجمة الحدود المصرية باستمرار، وليس لدينا معلومات تنقع الغلة إلا ما جاء في تاريخ حياة «أحمس بن أبانا»، وقد جاء ذكر هذه الحملة كذلك في حياة «أحمس بننخبت»؛ حيث يقول: «لقد تبعت الفرعون «عا خبر كارع»، وأسرت له في «كوش» أسيرين غير ثلاثة آخَرين أسرتهم في «كوش» لم تحسب (رسميًّا).»[٧] وقد عسكَرَ الفرعون في طريقه إلى عاصمة ملكه بعد انتهاء هذه الحملة بالقرب من جزيرة «سهل» عند الشلال الأول، وكانت القناة التي حفرها «سنوسرت» الثالث تكرى من جديد، وعندما تمَّ كريها مرَّتْ سفن الفرعون فيها، وقد دُوِّن نقش على صخور «سهل» يحدِّثنا عن ذلك، وهاك نصه: «السنة الثالثة، الشهر الأول من فصل الصيف، اليوم الثاني والعشرين من حكم جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عا خبر كارع» معطي الحياة، قد أمر

[٤] وقد دحض جاردنر هذا التقسيم وبرهن على أن المصري كان يفهم المتن على حقيقته لا بقلب المعنى (راجع: Gardiner “Onomastica” Vol. I. p. 160. ff).

[٥] راجع: p. S. B. A., Vol. VII, p. 121.

[٦] راجع: Wilkinson, “Topography of Thebes and General View of Egypt” p. 472.

[٧] راجع: Urkunden IV, p. 36.

جلالته بحفر هذه الترعة، بعد أن وجدها مسدودة بالأحجار، ولم تكن تمر فيها سفينة، وقد عاد فيها بعد ذلك (أي: بعد حفرها) بقلبٍ فَرِحٍ بعد أن قتل أعداءه (نقشه) ابن الملك «توري».»

و«توري» هذا هو ابن الملك (نائب الملك في السودان كما سبقت الإشارة إلى ذلك).[٨] وكذلك نُقِش على صخور «سهل» لوحة أخرى أُرِّخت بنفس التاريخ السابق، وقد جاء فيها: «لقد سار جلالته في الترعة منتصرًا مظفرًا في عودته بعد إخضاع بلاد «كوش» الخاسئة (نقشه) توري.» (راجع: Urk. IV. p. 89)، وفي نفس اليوم نجد نقشًا آخَر يدل على وصوله إلى «إلفنتين» دُوِّن على صخور «أسوان» نفسها، جاء فيه بعد ألقاب الفرعون أن ««تحتمس» المحبوب من الإلهة «ساتيت» سيدة «إلفنتين»، لقد عاد جلالته من «كوش» بعد أن أخضع أعداءه.» (راجع: Urk. IV. p. 88).

(٥) حروب تحتمس الأول في آسيا

وبعد أن فرغ تحتمس من حروبه في السودان، ووطد أركان ملكه هناك، أخذ يفكِّر في المشروع العظيم الذي قام بتنفيذ جزءٍ منه والده وأخوه، وذلك هو القضاء على الهكسوس في «آسيا»، بعد أن قضى عليهم والده في مصر، ثم أخذ أخوه في مطاردتهم في آسيا على ما يظهر، يُضاف إلى ذلك أنه كان يريد تأسيس إمبراطورية واسعة النطاق كان قد وضع أساسها في عهد الأسرة الثانية عشرة، وبقي حبل الاتصال بين المصريين والآسيويين موصولًا، كما نجد آثاره في عهد الأسرة الثالثة عشرة. والظاهر أن أهل سوريا أو بعبارة أخرى الهكسوس الذين كانوا يقطنون هذه البلاد، مضافًا إليهم مَن تقهقر منهم أمام «أحمس»، كانوا قد عقدوا أواصر المهادنة والإخاء بينهم وبين أهل نهرين[٩] على حساب مصر، ولا بد من أنه قد حدث بعد مناوشات أو غارات اتخذ منها الفرعون ذريعة للقيام بحملة تأديبية إلى تلك الأصقاع. ولقد كان في نفس هذا الفرعون كما قلت أن يغسل عن قلبه الأذى الذي بقي عالقًا في قلب الشعب المصري من أولئك الغزاة، الذين استعبدوا

[٨] راجع: Urkunden IV, p. 89–90.

[٩] المقصود من بلاد نهرين في خلال الأسرة الثامنة عشرة هو بلاد المتني، كما شرح ذلك الأستاذ جاردنر (راجع: "Onomastica", Vol. I. p. 171. ff).

بلادهم حقبةً طويلةً من الدهر. وسنرى فيما بعدُ أن تلك الخطة هي التي سار على نهجها الفراعنة الذين خلفوه حتى قضوا على الهكسوس، وأسَّسوا أعظم إمبراطورية ظهرت في الشرق القديم، بل في العالم كله في ذلك العهد.

وممَّا يُؤسَف له أن الآثار التي تحدِّد لنا تاريخ غزوه لآسيا بالضبط لم يُكشَف عنها بعد هذا، فضلًا عن أن كل ما وصل إلينا عن هذه الحروب قد جاء عن طريق غير مباشر، وهو ما سرده لنا «أحمس» بن أبانا و«أحمس بنتختب» في تاريخي حياتهما. وعلى الرغم من أن هذه المعلومات مقتضبة جافة عن هذه الحروب، فإنها تحدِّثنا عن أعظم المخاطرات الحربية التي حدثت في العالم القديم، وقد علمنا فيما بعدُ من غير المصادر المعاصرة أن «تحتمس الأول» قد وصل في زحفه على نهر الفرات إلى المنحنى العظيم بالقرب من «قرقميش»،[١٠] وأنه أقام هناك لوحة تذكارية لانتصاره، فقد أخبرنا «تحتمس الثالث» أنه وجد اللوحة التي أقامها جده هناك عندما وصل إلى هذه النقطة في حملته الثامنة، وأقام هو بدوره لوحةً أخرى على الجانب الأيمن لنهر الفرات؛ ليظهر للملأ أنه قد ذهب في فتوحه إلى أبعد من جده بقليل.

هذا هو كل ما وصَلَنا عن حروب تحتمس الأول في تواريخ مَن جاء بعده، وهو من مصدر مصري، أما عن المقاومة التي اعترضته أو عن قوة جيشه أو الخسارة التي حاقت به، وكذلك الطريقة التي حاول أن يحافظ بها على فتوحه، فإنَّا قد تُرِكنا في ظلام حالك، وإنْ شئتَ فقد بقي كل ذلك صحيفة بيضاء حتى الآن. والواقع أن الأعمال الحربية التي نهض بأعبائها «تحتمس الأول» قد غطَّتْ عليها حروبُ «تحتمس الثالث» الكثيرة، ومع ذلك فإن الحملة إذا كانت تُقدَّر بأهمية نتائجها بالنسبة لما كانت تشتمل عليه من قوة في ساحة القتال، فإنه لا يوجد إلا القليل من الحملات التي دوَّنها لنا التاريخ القديم، تستحق الالتفات أكثر من تلك المخاطرة التي قام بها «تحتمس الأول» في آسيا، وإذا نظرنا إلى عمله هذا باعتباره جزءًا من تاريخ الشرق القديم، فإنه كان بداية الصراع الدنيوي للاستعمار بين آسيا وأفريقيا، وبين ثقافة وادي النيل وثقافة بلاد نهرين، وهو ذلك الصراع الذي كانت عواقبه وبالًا على كلتا المدينتين، وانتهى أخيرًا بسقوطهما، فهَوَتْ أولًا مصر أمام

---

[١٠] تقع مدينة قرقميش (وبالبالية جرجميش) على أعالي نهر الفرات على مسافة نيف ومائة كيلومتر من الشمال الشرقي من مدينة حلب (انظر المصور التقريبي لشمال سوريا) راجع (Gardiner, "Onomastica", Vol. I. p. 132. ff).

الفرس، وثانيةً أمام الإسكندر الأكبر، أما إذا اتخذناها جزءًا من تاريخ مصر، فإنها كانت النقطة التي تحوَّلَ فيها الشعب المصري للمرة الثانية إلى شعب حربي ساد العالم، بعد أن كان سيده ومعلمه في الفنون والصناعات والعلوم قبل ذلك النهوض الحربي.

ومن الغريب أننا لا نعرف شيئًا عن الطريقة التي بها قبض تحتمس على زمام الأمور في تلك الأصقاع العظيمة التي فتحها بحد السيف، ومن البدهي أنه قد اتخذ بعض التدابير للمحافظة على هذا الفتوح، وأن حملته لم تكن مجرد انتقام، بل كانت محاولة حقيقية لتأسيس السيادة المصرية على تلك البقعة الشاسعة من آسيا، التي تبتدئ من الحدود عند برزخ السويس، وتنتهي عند منحنى الفرات العظيم، وهي التي يمكن تصوُّرها القنطرة بين آسيا وأفريقيا، ولا أدل على وجود نظام حكومي في هذه الجهات تحت سيطرة مصر من أنه لم تحدث حروب تستحق الذكر في عهد خلفه «تحتمس الثاني» والملكة «حتشبسوت»، كما أنه لم يسمع بثورات علنية في «سوريا» لتنتزع النير المصري عن عاتقها، وقد بقيت الحال كذلك إلى أن اعتلى عرش الملك «تحتمس الثالث»؛ وعندئذٍ ألَّفَ فلولُ أمراء الهكسوس والولايات الأخرى حلفًا لنزع النير المصري، ومن ثَمَّ شبت الثورات هناك، ولذلك قال «تحتمس الثالث» في نقوش تاريخ حروبه التي دوَّنها على جدران معبد الكرنك: تأمل! إنهم قد بدءوا بالعصيان على جلالته من أول «يرزة» (يوده) حتى مستنقعات العالم (أي: إلى ما وراء نهر الفرات).

(٦) مباني تحتمس الأول

ولا نزاع في أن «تحتمس الأول» بعد أن مد فتوحه إلى تلك الجهات النائية، أخذ يشعر بأن ضغط الهكسوس وجبروتهم قد زال نهائيًّا، وأنه كان من حقه وقتئذٍ أن يفتخر بسيادته على العالم كما جاء على نقشٍ تركه لنا في «العرابة المدفونة»، فاستمع إليه: «لقد جعلت حدود مصر واسعة كدائرة الشمس، وقويت الذين كانوا في خوف، وطردت عنهم الشر، وجعلت مصر سيدة كل الأراضي.»

ويدل ما وصَلَنا حتى الآن من الكشوف الأثرية على أن «تحتمس الأول» لم يَقُمْ بأية حروب أخرى، بل على ما يظهر وجَّهَ كلَّ جهوده إلى إقامة المباني العظيمة تخليدًا لأولئك الآلهة الذين وهبوه النصر على أعدائه، وبخاصة إله الدولة «آمون رع» وإله الآخرة «أوزير».

فكان أول أثر أقامه هو قاعة عمد فسيحة الأرجاء، كل عمود منها ذو ستة عشر وجهًا، وقد جاء ذكرها في نقش دون خلف «البوابة» الخامسة في معبد «آمون» كما يأتي: يعيش الملك الطيب رب الأرضين، وسيد القربان، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «تحتمس» بن الشمس من جسده، لقد أقامها (القاعة) لتكون أثرًا لوالده «آمون رع» سيد الأرضين، أقام له قاعة عمد فاخرة تمثِّل بجمالها الأرضين؛ ولذلك أُعطِي الحياة مخلدًا (راجع: Urkunden IV, p. 92).

(٦-١) إقامة مسلتين

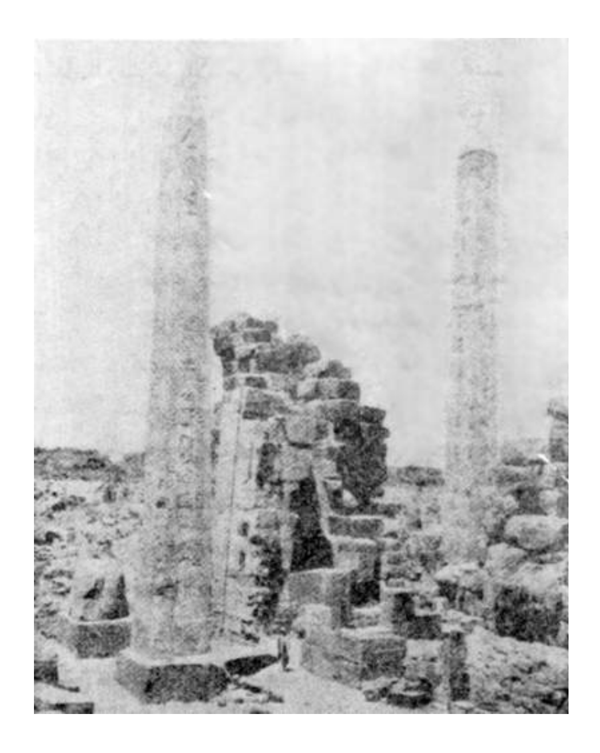
ولما اقترب أوان عيده الثلاثيني أراد أن يحتفل به على ما يظهر على نهج أصبح متبعًا فيما بعدُ، وذلك أنه رغب في إقامة مسلتين عظيمتين في معبد «آمون» أمام «البوابة» التي كان قائمًا ببنائها، وهي «البوابة» الرابعة الآن. وقد كان يدير أعمال البناء رجلٌ عظيمٌ يُدعَى «إنني»، وهو الذي كان يقوم لسلفه «أمنحتب الأول» بأعمال البناء كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وسندعه يتحدَّث إلينا عمَّا أنجزه في عهد «تحتمس الأول»، بعد أن فرغ من التحدُّث عن «أمنحتب الأول»، فنراه في بادئ الكلام عن أعماله يقدِّم بعض مدائح لسيده فيقول:

> الإله الطيب الذي يؤدِّب النوبيين، رب القوة ومبدِّد الآسيويين، والذي جعل حدوده تمتد حتى قرني الدنيا (تعبير عن نهاية الدنيا من الجهة الجنوبية) ونهايتها في سماء «حور»، والذي يُؤتَى له بخشب أرز الغابة مثل ما يُؤتَى له بخشب مصر، والذي يأتي إليه النوبيون يحملون جزيتهم، مثل ما يحمل له دوم إلفنتين، وسكان الرمال يحملون إليه جزيتهم مثل ما يُؤتَى إليه بجزية الوجه القبلي والوجه البحري، وهي التي يقدِّمها جلالته إلى والده «آمون» في «طيبة» كل عام، وتوكل إليه هذه الأشياء جميعًا … لأنه ملأ قلبه مني (وثق بي)، ولذلك رقيت أميرًا، ومدير شونة، وحقول القربان كانت تحت إدارتي، وكل المباني القيمة كانت جميعها تحت رعايتي، وقد أشرفت على المباني الأثرية العظيمة التي أقامها في الكرنك؛ فقد أقام قاعة العمد الفاخرة بأعمدة على هيئة سيقان البردي، وكذلك أقمت أبراج (البوابتين) العظيمتين بالقرب منها مستعملًا حجر «عيان» الأبيض الجميل، وكذلك أقام عمد الأعلام الفاخرة أمام المعبد من خشب الأرز من أحسن خشب المدرج (يعني جبال سواحل لبنان) ونهايتها من السام،

ورأيت كيف كان يقام ... موشى بالذهب، ورأيت كيف كان يقام الباب العظيم المسمَّى «قوى منظر آمون»، وكان مصراع بابه العظيم من نحاس آسيا وصورة الإله التي عليه (أي: المصراع) من ذهب، ورأيت كيف أُقِيمت المسلتان العظيمتان أمام مدخل المعبد من الجرانيت الأحمر، ورأيت كيف بُنِيت السفينة الفاخرة التي طولها مائة وعشرون ذراعًا، وعرضها أربعون ذراعًا، ليُنقَل عليها هاتان المسلتان (من محاجر أسوان إلى طيبة)، وقد أُحضِرتا صحيحتين لم تُمَسَّا بسوء، وأُنزِلتا في الكرنك، ورأيت كيف حُفِرت البحيرة التي حفرها جلالته على الجانب الغربي للمدينة، وغُرِست جوانبها بكل أنواع الأشجار البهيجة، وأشرفت على كيفية حفر قبر جلالته، وكنت وحيدًا ولم يَرَه إنسان، ولم يسمع به أحد، وكنت أنا الذي أبحث عن الصالح لذلك ... في عمل دائم (يقصد القبر)، وكان رأسي يقظًا للبحث عن كل مفيد، ووضعت ملاطًا من الطين على جدران مقابره ليرسم عليها؛ وهذه الأعمال لم تعمل منذ الأزمان الغابرة قطُّ. وقد أنجزت ما كُلِّفت بعمله هنا كما يجب ... سور لها؛ أديت للخلف (كل مفيد)، وكان ذلك ما يرغب فيه قلبي، وميزتي كانت في العلم، فلم أتلقَّ تعليمات مسن، ومُدِحت بعملي بعد السنين التي وصلت بها إلى ما أنجزت (من عمل)، وقد قدت ... لأني كنت الفم الأعلى لكل أعمال البناء، وثبت قدمي في القصر، وكافأني جلالته بالعبيد، وكان دخلي من مخازن بيت الفرعون يوميًّا، ثم ارتاح الفرعون من الحياة وصعد إلى السماء بعد أن أتمَّ سني عمره في حياة راضية.

(٦-٢) مسلات تحتمس الأول

استعرض «إنني» في هذا الجزء من تاريخ حياته كلَّ ما قام به «تحتمس الأول» من أعمال البناء والتعمير في معبد «الكرنك»، ولا تزال مسلة من المسلتين اللتين أقامهما منصوبة في مكانها، أما التي في الشمال فقد رآها السائح «بوكوك» قائمة في زمنه، وهي الآن ملقاة على الأرض، ويبلغ ارتفاع المسلة الجنوبية ٦٤ قدمًا، وقاعدتها سبعة أقدام مربعة، ويبلغ وزنها ١٤٣ طنًّا، وعمودها الأوسط قد نُقِش عليه من الجهة الشمالية والجهة الجنوبية ألقاب الفرعون، أما النقوش التي على جانبها الشرقي والغربي، فتحدِّثنا عن إهداء المسلة، وهاك الإهداء:



شكل ٢: مسلتَا تحتمس الأول وحتشبسوت.

الجانب الغربي: «حور: الثور القوي محبوب «ماعت»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عا خبر كارع» صورة «آمون» أقامه (الأثر) بمثابة أثر لوالده «آمون رع» سيد الأرضين، وقد أقام له مسلتين عظيمتين في الجهة الأمامية للمعبد، وصنعت قمتهما الهرمية من السام.»

الجانب الشرقي: «حور: الثور القوي الذي تحبه آلهة العدل، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، صاحب العقاب والصل (نبتي) الذي يضيء بالصل، العظيم في قوته، «عا خبر كارع» = الذي انتخبه رع – وحور = الجميل السنين، الذي ينعش القلوب، ابن الشمس من جسده «تحتمس» المضيء جمالًا،

> لقد أقامها بمثابة أثر لوالده «آمون» رب تيجان الأرضين في «الكرنك»، وعلى ذلك فإنه منح الحياة مثل رع مخلدًا.»

أما المسلة الثانية فمنقوش عليها اسم «تحتمس الثالث»، مما يجعل الإنسان في حيرة لأول وهلة؛ إذ إنه لم يتولَّ الملك إلا بعد سنين عدة بعد موت «تحتمس الأول»؛ ولذلك أصبح من الصعب أن يفهم الإنسان كيف يمكن أن تبقى المسلة الثانية بدون نقش هذه المدة الطويلة، ولماذا لم ينتحلها «تحتمس الثاني» لنفسه، مع أنه هو الذي خلف «تحتمس الأول»؟ ولهذا السبب نجد أن الأستاذ «زيته» جعل «تحتمس الثالث» خلف «تحتمس الأول» لمدة قصيرة، ثم خُلِع عن العرش وعاد إليه فيما بعدُ. ولكن لا يغرب عن الذهن أن «إنني» عاش حتى عهد «تحتمس الثالث»، وعلى الرغم من أنه أحضر المسلتين إلى الكرنك في عهد «تحتمس الأول»، فإن من الجائز إقامة إحداهما وإبقاء الأخرى ملقاة على الأرض دون نقش، كما حدث في المسلات التي جيء بها فيما بعدُ إلى أن أخذ في إقامتها لما تحتاج تلك العملية من عناء كبير في عهد تحتمس الثالث، ولا يبعد أن «إنني» كان مكلفًا بهذه العملية، وأنه قد تكلم عن موضوع إقامتهما معًا، على الرغم من أن واحدة منهما أُقِيمت بعد الأخرى بعد سنين، ويوجد جزء من مسلة في جزيرة «إلفنتين»،[١١] وهو البقية الباقية من مسلتين عظيمتين كان مزمعًا إقامتهما حوالي نفس الوقت في معبد هذه المدينة؛ إذ يقول النقش الذي بقي: «لقد صنع هذا بمثابة أثر لوالده «خنوم» (إله إلفنتين)، فقد قُطِع له مسلتان من الجرانيت بمناسبة عيده الثلاثيني الأول.»

ومن الجمل التي تلفت النظر فيما جاء على لسان «إنني» قوله عن قبر الملك:

> وأشرفت على كيفية حفر قبر الملك، وكنت وحيدًا، ولم يَرَه أحد ولم يسمع إنسان به.

وهذه الجملة تشعرنا بالتكتُّم الهائل الذي كان يُتَّخَذ عند حفر قبر الملك؛ وذلك لأن العصر المرتبك الذي سبق عصر الأسرة الثامنة عشرة والأسرة السابعة عشرة، كانت تُنهَب فيه قبور بعض الملوك، ويُسرَق ما فيها من الذهب والمجوهرات، ولا بد من أن الفرعون «أمنحتب الأول» كانت في ذهنه هذه الفكرة عندما نحت قبره في الصخر إلى عمق بعيد،

---

[١١] راجع: Brugsch, “Thesaurus”, V. p. 1290.

وفصل بينه وبين معبده الجنازي ليكون بمأمن من خطر اللصوص، وقد قلده «تحتمس الأول» في حفر مقبرته بعيدًا عن أعين اللصوص، وانتخب مكانًا لمدفنه في الركن الجنوبي من الوادي العظيم المشهور الآن باسم «وادي مقابر الملوك»، وقد كان في ذلك الوقت واديًا قاحلًا لم تمسه يد إنسان، وقد نُحِت لهذا القبر باب صغير مغالاة في إخفاء مكانه، هذا إلى أنه نُحِت نحتًا خشنًا بحيث لا يغري العين، فكان بمثابة حجر في سفح الصخرة لا يكاد يزيد ارتفاعه عن قامة رجل متوسط الطول، بعد ذلك يجتاز الإنسان عدة درجات تؤدِّي إلى حجرة مربعة مقطوعة في الصخر، ومن ثَمَّ عدة درجات تنحدر من هذه الحجرة مؤدِّيةً إلى حجرة الدفن التي يرتكز سقفها على عمود واحد في وسطها، وقد كانت جدرانها مغطَّاة بملاط من الطين الذي ذكره «إنني» في وصفه، وكان يوجد فيها تابوت من حجر الكوارتسيت، أي الحجر الرملي، لتوضع فيه الجثة، ولم يَبْقَ من هذا التابوت إلا بعض قطع.[١٢]

على أن نشاط هذا الفرعون في أعمال التعمير لم تقتصر على معبد الكرنك الذي وصفه لنا «إنني» مهندسه وصفًا رائعًا، بل نجد له آثارًا عظيمة في طول البلاد وعرضها، مما يدل على مقدار ما أصاب البلاد من التخريب في عهد الهكسوس، وبخاصة في المباني الدينية، وقد كانت أول ما وجه إليه عنايته بعد الكرنك الإصلاحات التي قام بها في معبد «العرابة المدفونة»، الذي كان يهتم به كل ملك مصري تقريبًا، وقد وُجِد له فعلًا لوحة خلد عليها أعماله الطيبة التي عملها في هذا المعبد المقدس للإله «أوزير»، واللوحة موجودة للآن بمتحف القاهرة.[١٣]

وهاك نص اللوحة:

> **مستشارو الملك يمتدحون تقريره في توجيه عنايته لمعبد أوزير:** ما أعظم هذا لإدخال السرور على قلوب الشعب، وما أمتع هذا لوجوه الآلهة عندما تنعم بآثار للإله «أوزير»، أو عندما تفخم الإله «خنتي أمنتي» (اسم من أسماء أوزير) الإله العظيم الأزلي، الذي رفع مكانته «آتوم»، والذي جعله عظيمًا أمام … والذي عمرت الأرض لحبه، والذي يخدمه ملوك الوجه القبلي والوجه البحري

١٢ راجع: Weigall, “Guide”, p. 223.

١٣ راجع: Urkunden IV, p. 94–102.

منذ أن عمرت هذه الأرض. إنك ملك، وإنك منه ولدت، وإنه أنجبك من سويداء قلبه لتعمل ما عمله على الأرض، ولتجدِّد محاريب الآلهة، ولتحفظ معابدهم، وإنك صاحب الذهب، والفضة ملكك، و«جب» إله الأرض ينفتح لك عمَّا فيه (من كنور)، والإله تنن (رب المعادن) يهب لك ما يملك، وكل البلاد الجبلية تخدمك، وكل البلاد السهلة تحت تصرُّفك، وكل الأحجار الثمينة محبوسة على بيتك، ولا يوجد حقًّا مَن يقول لك لا، مُرْ تجد، وما ترغب فيه نفسك يحدث لا محالة.

الملك يكلِّف وزير المالية أن يقوم بإنجاز العمل: وأصدر الملك الأمر إلى وزير المالية أن يشرع في العمل، وعلى ذلك أرسل صناع المعبد كل صانع ماهر عن طائفته، وأحسن مَن فيهم من خدمهم العاملين بالتعليمات، والمدرب فيما تعلمه والذي لا يتعدَّى ما كلفه.

وتم صنع الآثار لوالده أوزير، وثبت تمثاله إلى الأبد، وقد كانت صنعه متينًا وسريًّا جدًّا دون أن يراه أحد أو يلمحه، ودون أن يعرف صورته أحد، وكذلك صنع له القارب الذي يحمل على الأعناق المسمَّى «وتس نفرو» (حامل جمال الإله) من الفضة والذهب واللازورد، والنحاس الأسود، ومن كل الأحجار الأخرى الثمنية.

الملك يقدِّم للمعبد آلات ثمينة، ويهتم بالقربان التي تُقدَّم بانتظام: وقد أوقفت عليه موائد قربان معها أوانٍ كثيرة، وصاجات «سخم»، وصاجات سششت، وقلائد منيت، ومباخر، وأواني تني، وقرباني موجودة هناك، فلم أمنعها ولم أمتنع عن تقديمها.

تجديد قارب الإله المقدس الذي يسيح فيه: وصنعت له القارب «نشمت» الفاخر، من خشب الأرز الحقيقي من أحسن المدرجات (أي: جبال لبنان)، وكانت مقدمته ومؤخرته من معدن السام، فجعل الفيضان في عيد عندما يقوم برحلته في عيد إقليم «بقر» (وهو الإقليم الذي فيه قبر أوزير المقدس).

الملك يأمر بإقامة تماثيل الآلهة الأخرى التي تُعبَد في هذا المعبد: وأمر جلالتي بنحت تماثيل للتاسوع الأعظم الذي في العرابة، وأن يذكر كلًّا باسمه، وهم: «خنوم» رب «حرور» (الشيخ عباده الحالية) الذي يقطن هنا ضيفًا،

و«خنوم» رب الشلال، وهو ضيف العرابة، والإله «تحوت» مرشد الآلهة وساكن «حسرت»، والإله «حور» ساكن «ليتوبوليس»، و«حور المنتقم لوالده»، والإله «وبوات» رب الوجه القبلي، والإله «وبوات» رب الوجه البحري، ويجب أن تصنع تماثيلهم سرًّا وتكون فاخرة، وأن يكون حامل كل إله من معدن السام، وأن يكون صنعها أمتن من صناعتها من قبلُ، وأن تكون أفخم ممَّا عمل في السماء، ومخفية أكثر من تصميم العالم السفلي (دوات)، ومحترمة أكثر من سكان المحيط الأبدي (نون).

لماذا فعل الملك كل ذلك؟: لقد عمل جلالتي كل هذا لأجل والدي «أوزير»؛ لأني أحبه أكثر من كل الآلهة الأخرى ليبقى اسمي، وتدوم آثاري في بيت والدي «خنتي أمنتي» رب العرابة مخلدًا أبدًا.

الملك يأمر كهنة المعبد أن يحيوا ذكراه كما يجب: اسمعوا أنتم يا أيها الآباء المقدسون القائمون على هذا المعبد، وأنتم يا أيها الكهنة المطهرون، وأنتم يا أيها المرتلون، وأنتم يا أيها الكهنة «إميواست عا»، ويا خدمة المعبد أجمعين، قدِّموا القربان لهرمي، وقرِّبوا إلى مائدة قرباني، وحافظوا على آثار جلالتي، اذكروا اسمي وتذكروا لقبي، وقدِّموا الهدايا لتماثيلي، وعظموا صورة جلالتي، وضعوا اسمي في فم خدمكم، وذكراي عند أولادكم؛ لأني كنتُ ملكًا فاخرًا يستحق ما يفعل له (من القربان)، وكنتُ شجاعًا جديرًا بأن يذكر اسمه بحسب ما فعلت على هذه الأرض، وكما تقرون أنتم حقًّا، وليس فيما تشهدون كذب ولا مبالغة.

الملك يعلن الأعمال الطيبة التي عملها في معابد مصر والتي عملها في البلاد جميعًا: لقد أقمت آثارًا للآلهة، وفخمت محاريبهم للمستقبل، وجعلت معابدهم ثابتة الأركان، وأعدت ما كان قد تهدم، فعملت أكثر ممَّا عُمِل في الأزمان السالفة، وجعلت الكهنة يعرفون واجباتهم، ولقد أرشدت الجاهل إلى ما لا يعرفه، وعملت أكثر ممَّا عمله الملوك الذين كانوا قبلي، وكان الآلهة في غبطة في عهدي، ومددت حدود أرض مصر إلى ما تحيط به الشمس، وجعلت مَن كان في خوف منتصرًا (أي إن المصري الذي كان يمشي مكسور الجناح مهضوم الحق في عهد الهكسوس، أصبح الآن يمشي وهو المنتصر القوي)، وأبعدت ذلك الفزع عنه، وجعلت مصر السيدة، وكل أرض أخرى عبيدًا لها، كما يفعل إنسان

> منفرد يحب «آمون» وابن إله الشمس من جسده، والمحبب إليه «تحتمس» الذي يسطع مثل «رع» والذي يحبه «أوزير» «خنتي أمنتي» الإله الأعظم رب العرابة، وحاكم الأبدية، الذي منح الحياة والثبات والسعادة والصحة، وقد ظهر بوصفه ملكًا للوجه القبلي والوجه البحري على عرش «حور» صاحب الأحياء، وقلبه فَرِح مع قرينته مثل «رع مخلدًا».

مغزى هذه اللوحة: وتدل ظواهر الأمور على أن هذه اللوحة قد أُقِيمت في «العرابة المدفونة» بعد انتهاء الفرعون من حروبه في السودان وآسيا؛ إذ نجد فيها ما يشير إلى ذلك، ولا غرابة فقد كان ديدن الملوك من قبله ومن بعده أن يقيموا للآلهة العظام الذين وهبوهم النصرَ في ساحة القتال المباني العظيمة اعترافًا منهم لهم بالجميل على مساعدتهم، وكذلك ليُظهِر الفرعون ما فعله لبلاده، وما يرجو منهم أن يفعلوه له مكافأةً واعترافًا بالجميل.

والواقع أن هذه اللوحة مفعمة بالمعلومات العظيمة عن حالة البلاد في ذلك الوقت، ممَّا جعلنا نترجمها هنا برمتها؛ فنرى أولًا أن الملك قد جمع مستشاريه وحادَثَهم فيما يريد القيام به في معبد الإله «أوزير» بالعرابة المدفونة، ذلك البلد الذي كان الكعبة التي يحج إليها كل مصري غنيًّا كان أو فقيرًا، لزيارة الإله «أوزير» الذي كان أعظم الآلهة في أعين الشعب المصري وملوكه في عهد الدولة الوسطى، وفي الدول التي تلت، بوصفه إله الآخرة، التي كان يرجو كل مصري أن ينال فيها مقامًا محمودًا مثل «أوزير»؛ ولذلك فإنهم خاطبوا الفرعون بقولهم إنه بعمله هذا — وهو تجديد ما خربته يدُ الدهر في معبد هذا الإله — يُدخِل السرور على قلب الشعب المصري، وبخاصة ملوك مصر؛ فإنهم منذ الأزل كانوا ولا يزالون خدامًا لهذا الإله العظيم بوصفهم أولاده مثلما كان حور ابنه؛ فالملك بإقامة هذه الآثار، وصنع أثاثه نال مساعدة كل الآلهة بما لديها من كنوز ومال ونشب، وعلى ذلك أمر الفرعون باستخدام أمهَرِ الصنَّاع لإعداد المعبد بكل ما يلزمه، على أن ينفذ له ذلك وزير ماليته، وقد كان أهم ما صنع له تمثاله وقاربه اللذان يُستعمَلان في الاحتفال بعيده، كما كان يفعل منذ قديم الأزل في المكان المعروف باسم «بقر»، وهو المقر الذي يزعم القوم أن فيه دفن أوزير بالعرابة المدفونة.

على أن الفرعون لم يكتفِ بصنع تمثال «أوزير» وحده، بل أصدر الأمر بعمل تماثيل لتاسوع الآلهة الذين كان «أوزير» على رأسهم، ثم يذكر لنا الفرعون بعد ذلك السببَ

الذي من أجله عمل كل هذا للإله «أوزير»، فيقول لنا إنه كان يحبه أكثر من كل الآلهة؛ لأجل أن يخلد اسمه في العرابة، ولأن «أوزير» هو إله الآخرة الذي سيكون مصير تحتمس إليه في العالم السفلي؛ ولذلك طلب الفرعون من الكهنة فضلًا عن ذلك أن يحيوا اسمه، ويقدِّموا له القربان، وأن يجعلوا أولادهم من بعدهم يحيون ذِكْر الفرعون حتى تبقى على مدى الدهور ذكراه مثل «أوزير»، ثم إنه يذكرهم بأنه كان ملكًا شجاعًا دافَعَ عن بلادهم، وأنه ليس فيما يقوله كذب أو افتراء؛ ولذلك يذكِّرهم بما قام به من جليل الأعمال في أرض الكنانة فيقول إنه قد أقام المباني الأثرية الدينية للآلهة في طول البلاد وعرضها، وإنه أصلح ما خربه الهكسوس في زمن محنة البلاد، فهو بذلك قد عمل أكثر ممَّا عمله أي ملك قبله، هذا إلى أنه جعل الكهنة يعرفون حدودهم وواجباتهم، وعلم الجاهل ما يجب علمه، ثم ينتقل إلى ما قام به من الفتوح العظيمة المنقطعة القرين، فيقول: لقد وسَّعت رقعةَ أرض مصر، فجعلتها تشمل كل ما يحيط به قرص الشمس، وبذلك أصبح مَن كان يمشي خائفًا وَجِلًا مُزعَجًا من الهكسوس وطغيانهم، يمشي مرفوع الرأس؛ لأنه أصبح الفائز المنتصر على ذلك العدو الذي طُرِد من البلاد وجعل مصر سيدة العالم، مهيبة الجانب في كل المعمورة، وبعد أن كانت خاضعةً ذليلةً أصبحت كلُّ البلاد المتمدينة عبيدًا لها؛ ذلك هو «تحتمس الأول»، أو بعبارة أخرى ابن القمر الذي أضاء مصر وجعل نورها يمتدُّ من الشلال الرابع إلى أعالي دجلة والفرات.

وعلى الرغم ممَّا صرح به «تحتمس» بأنه أقام مباني كثيرة للآلهة، فإنَّا حتى الآن لم نعثر له على آثار في الوجه البحري ومصر الوسطى، أما في مصر العليا فنجد له غير ما ذكرنا عدَّةَ مبانٍ؛ ففي «نبت» القريبة من «نقادة» أعاد بناء معبد الإله «ست»، وقد عثر على قائمتي باب وعتب منه، وهي مصنوعة صنعًا جميلًا،[١٤] ومن المحتمل أن تصميم بناء معبد الدير البحري كان قد وضعه مهندسو «تحتمس الأول»، وإن كانت كلُّ الرسوم والأشكال قد عملت في عهد ابنته الملكة «حتشبسوت»، وفي دير المدينة وُجِدت لبنات طُبِع عليها طغراؤه (L. D. III, Pl. 17. ff). أما في الدير البحري فقد أقام معبدًا من أهم المعابد التي أُسِّست في عهد أسرته، وقد حدث في نقوشه تغييرات عدَّة ممَّا يدل على الأحقاد العظيمة التي كانت بين أولاده وأحفاده (L. D. III, Pl. 27, 2)، غير أن «ويجول» يقول:

[١٤] راجع: Petrie, “History”, Vol. II, p. 65.

إن الذي أقام هذا المعبد هو «أمنحوتب الأول»، وأن «تحتمس الأول» نسبه لنفسه،[١٥] وقد دلت أعمال الحفر على صِدْق ذلك.

ووُجِد له في «إبريم» محراب صغير قُطِع من الصخر، ويُشاهَد الملك منقوشًا عليه بين الإله «تحوت» والإلهة «ساتيت» معبودة الشلال،[١٦] ويُشاهَد في «سمنة» و«قمة» عند الشلال الثاني أن هذا الفرعون أخذ في إعادة بناء بعض الأجزاء المتهدِّمة فيهما، وذلك لما كان لهما من الأهمية لحماية الحدود منذ عهد الأسرة الثانية عشرة، ويُشاهَد في «سمنة» قائمة بالهدايا التي كانت تُقدَّم للإله «آمون»،[١٧] وفي «قمة» يُلاحَظ أن النقوش التي نقشها هذا الفرعون قد اغتصَبَها «تحتمس الثاني».[١٨]

وقد ذُكِر اسم هذا الفرعون على بعض مقابر طيبة.[١٩] هذا، وقد عُثِر له على بعض قِطَع من الآثار، منها تمثال جالس من حجر الديوريت بالحجم الطبيعي تقريبًا في متحف «تورين»،[٢٠] وكذلك يوجد له قطعتان من تمثالين ملقاتان حتى الآن في «الكرنك» أمام القاعة الواقعة خلف «البوابة» الخامسة كما يقول «بتري»،[٢١] هذا إلى بقايا تمثال ضخم أمام «البوابة» السابعة عند الطرف الغربي، وقد نصبه «تحتمس الثالث» في السنة الثانية والأربعين من حكمه.[٢٢] أما الجعارين فقد عُثِر له على كثير منها في صور مختلفة، ونخص بالذكر منها جعرانًا نُقِش عليه طغراؤه، واسم «حتشبسوت»، وقد سُمِّيت فيه ابنة «رع»،[٢٣] وهذا الجعران يحتمل أنه عُمِل في عهد اشتراكها في الملك مع والدها قبل وفاته بقليلٍ كما يقول «بتري».[٢٤]

---

[١٥] راجع: Weigall, “Guide”, p. 244.

[١٦] راجع: Champollion, “Letters”, (Ed. 1868) p. 114.

[١٧] راجع: L. D. III, Pl. 47c.

[١٨] راجع: Ibid. Pl. 59a.

[١٩] راجع: Champollion, “Notices”, p. 501 &, 519.

[٢٠] راجع: Lanzone, Catalogue of Turin, 1374.

[٢١] راجع: Petrie, “History”, II, p. 69.

[٢٢] راجع: Melanges d’Arch. Egypt. Maspero. I. p. 46.

[٢٣] راجع: Louvre Mus.

[٢٤] راجع: Gauthier, L. R, II, p. 221.

(٧) أسرة الفرعون تحتمس الأول

لم تكن أم «تحتمس الأول» كما ذكرنا من قبلُ من نسل فرعوني، بل كانت على ما يظهر من عامة الشعب، وقد جاء ذِكْرها في المنشور الذي أصدره «تحتمس» عن توليته الملك كما سبق ذكره.[٢٥]

ولم نعثر على اسمها ثانيةً إلا في نقشين: أحدهما في الدير البحري حيث نجدها ممثَّلة وقد ذُكِر اسمها مع صورتها،[٢٦] وكذلك على هرم صغير لمرتل الملكة المسمَّى «تتي»، وهو محفوظ الآن بمتحف «أشموليان» بأكسفورد.[٢٧]

وكان لتحتمس زوجتان: إحداهما شرعية وهي «أحمس»، ويحتمل أنها بنت الملك «أحمس الأول» وأخت «أمنحتب الأول»، وقد ولدت له الأميرة «حتشبسوت»، وفي هذا خلاف؛ والزوجة الثانية هي «موت نفرت» التي أنجبت له «تحتمس الثاني» كما سنرى. وكان لتحتمس الأول أولاد آخرون من زوجات أُخَر نخصُّ بالذكر منهم «أمنحتب»، وكان يشغل وظيفة كاهن، وقد عُثِر على قبره في شيخ عبد القرنة (راجع: Urk. IV. p. 105).

وقد جاء في نقوشه ما يأتي: «الكاهن المطهر بكر أولاد الملك «عا خبر كارع» أمنحتب الذي وضعته أمه «تحوتي سنتي».» وكان أمنحتب هذا له أسرة؛ إذ قد تزوَّجَ في حياة والده، وقد بقي لنا بعض مناظر من قبره، منها مناظر صيد الطيور، والنزهة في الحقول مع زوجه وأولاد (راجع: Urkunden, IV. p. 107. ff).

وكذلك كان له ابن آخَر يُدعَى «وازمس»، وقد عُيِّن رئيسُ الوزارة «أمحتب» للقيام على تربيته هو وإخوته، وقد عُثِر على قطعة من الحجر منقوشة من معبد هذا الأمير الذي مات على ما يظهر وهو صغير السن (راجع: Ibid, p. 108)، وقد جاء عليها ... ابن الملك «وازمس»، ولكن ينبغي أن يكون عمدة الحاضرة ورئيس الوزراء «أمحتب» هو المشرف على تربية أولاد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عا خبر كارع»؛ لأن مكانته عظيمة جدًّا. وكذلك أشرَفَ على تربية هذا الأمير وأخيه «أمن مس»، وهو ابن ثالث حاكم «نخبت» (الكاب الحالية) المسمَّى «باحري» (راجع: Ibid. 110).

---

[٢٥] راجع: A. Z. XXIX, (1891) p. 117.

[٢٦] راجع: "The Temple of Dier El Bahri". p. 12–14. & "Dier El Bahri", Part. I. Pl. XIII".

[٢٧] راجع: Newberry, p. S. B. A., Vol. XXVII, (1905) p. 102, No. 60.

وقد مُثِّل الاثنان على جدران قبر هذا الحاكم جالسين على حجره، وقد مُثِّل الأول في قبره على لوحة واقفًا وراء والده «تحتمس الأول»، أما الثاني وهو «أمن مس»، فقد عُثِر له على قطعة من إناء في[٢٨] منطقة أهرام الجيزة، كُتِب عليها ما يأتي: «السنة الرابعة من حكم الملك «تحتمس الأول»، ذهب بكر أولاد الملك الذي كان قائدًا أعلى للجيش للنزهة ليروح عن نفسه ...» هذا كل ما وصلنا من هذا النقش، وهو يذكرنا بقصة الحلم التي دوَّنها «تحتمس الرابع» على لوحته المشهورة أمام تمثال «بو الهول». والواقع أن الأمراء في عهد الأسرة الثامنة عشرة كان لزامًا عليهم أن يزوروا «بو الهول»، ويقوموا بالصيد والقنص هناك قبل توليهم الملك، والظاهر أن أول مَن ابتدع هذه العادة هو هذا الأمير أو أحد الأمراء الذين جاءوا قبله، وسنفصِّل القول عن ذلك في حينه. ومن تاريخ هذه اللوحة نفهم أن «تحتمس الأول» كان قد تولَّى الملك وهو في سن الكهولة تقريبًا، أي كان فوق الخامسة والأربعين على الأقل، ومات وهو في سن الستين تقريبًا، وقد دُفِن في القبر الذي أعدَّه له «إنني» مدير أعماله، غير أن جسمه نُقِل بعد ذلك ببضع سنين إلى قبر ابنته «حتشبسوت» الذي أَعَدَّتْه لها ولوالدها كما سنتكلم عن ذلك فيما بعدُ، وبعد انقضاء قرون عدة على ذلك نقل الكهنة كل الموميات الملكية التي بقيت إلى خبيئة الدير البحري، وقد وُجِد جسم هذا الفرعون من بين أولئك الملوك، وهو الآن بالمتحف المصري في تابوته المصنوع من الخشب.

(٨) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد «تحتمس الأول»

(٨-١) باحري

يُعَدُّ «باحري» من أعظم رجال عهد «تحتمس الأول» وقد كان أول ظهوره في مدينة «الكاب» مسقط رأسه، وألقابه كالآتي: «حاكم نخب»، وحاكم «دندرة»، والمشرف على الأراضي الزراعية في الجنوب من أول «إسنا» حتى «نخب» (الكاب)، والكاتب الماهر، وحاسب الحبوب، والمشرف على كهنة «نخب»، والمقرَّب لدى سيده، والمشرف على الكهنة، والحارس الوحيد على ممتلكات سيده، والمعروف لنفسه بقلمه، وكذلك كان يُلقَّب «مربي» ابن الملك «وازمس».

[٢٨] راجع: Breasted, A. R. II. § 321.

ومن ذلك نعلم أن هذا العظيم كان من أكبر رجال الدولة، إن لم يكن أعظم أمير فيها في هذه الفترة، ولا غرابة في ذلك؛ فإن أمراء «الكاب» كانوا منذ الأزمان القديمة موالين للبيت المالك؛ ولذلك بقوا يحملون ألقابهم الوراثية. وقبر «باحري» يُعَدُّ من أكبر المصادر التي يمكن للباحث الحصول منها على معلومات طريفة، تكشف لنا النقاب عن نواحٍ عدة من الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية في هذه الفترة التي بدأ يسطع فيها نجم ملوك الأسرة الثامنة عشرة في داخل البلاد وخارجها؛ ولذلك آثرنا أن نفصِّل القولَ عن محتوياته بعضَ الشيء لما يشمله من مناظر طريفة ووثائق هامة تكشف النقاب عن كثير من حياة القوم، ونبتدئ هنا بلوحته الجنازية التي ترك لنا عليها نقشًا دينيًّا يُعَدُّ من أهم المصادر عن ديانة القوم في هذا العهد؛ وبخاصة لأنه يقدِّم لنا نوعًا جديدًا من الوثائق التي كان يدوِّنها عظماء القوم من هذه الأسرة في مقابرهم، وتبتدئ اللوحة هكذا:

> **الصيغة الدينية:** قربان يقرِّبه الملك لآمون رب عروش الأرضين، وملك الأبدية والملك سيد الريشتين العظيمتين المنفرد بين مَن سبقه والعظيم، وأسن الأزليين … والذي خلق الناس والآلهة واللهيب الحي الذي يخرج من المحيط الأزلي (نون)، ويمنح الناس النور (مثل) «نخبت» البيضاء صاحبة «نخن» (الكوم الأحمر) ربة السماء، وربة الأرضين، وللإله «أوزير» «خنتي أمنتي» سيد «الأرض العظيمة» (اسم مقاطعة طينة)، وللإلهة «حتحور» ربة الصحراء صاحبة القلب القوي بين الآلهة، وللإله «بتاح سكر» رب «شتيت»،[٢٩] وللإله «آنوبيس» رب «روستاو» (جبانة الجيزة)، وللتاسوع الأكبر، وللتاسوع الأصغر … ألف من الخبز والجعة والثيران والإوز، وألف من القربان والمأكولات، وألف من المشروبات والخضر، وكل ما ينبت على ظهر الأرض، وألف من كل شيء جميل طاهر، تُقدَّم أمام رب الأبدية، وكذلك يُقدَّم خبز «سنو» ممَّا يخرج أمام الإله، ولبنًا ممَّا يقرب على مائدة القربان، وماء للشرب ممَّا يخرج من «إلفنتين»[٣٠] ومما فاض … في عيد الشهر، وفي عيد اليوم السادس، وفي عيد «نصف الشهر»، وفي عيد

[٢٩] مكان معبد الإله «سكر» إله الموتى في «منف» ثم أطلق فيما بعد على معابد آلهة أخرى (راجع: Gauthier, “Dic. Geog”. V. p. 150).

[٣٠] كان المعتقد على حسب خرافة قديمة أن منابع النيل هي في الشلال عند «إلفنتين».

«الخروج العظيم»، وفي عيد «ظهور نجم الشعرى»، وفي عيد «واج»، وفي عيد «تحوت»، وفي عيد «الولادة الأولى» الذي ولدت فيه «إزيس»، وفي عيد «ظهور مين»، وفي عيد «ظهور الكاهن سم»، وفي عيد «وجبة العشاء»، وفي عيد «بداية النهر»، في السماء في أيامها (الحقيقية) من الشهر، وفي عيد «كل يوم».

وتُوضَع لك الملابس الطاهرة المصنوعة من نسيج «بقت» (نوع فاخر من نسيج الكتان)، وهي الثياب المخلوعة من أعضاء الإله،[٣١] وتُصَبُّ لك الزيوت النقية، وتشرب المياه من حافة المائدة، وتشاركهم (أي الآلهة) في القربان التي عليها؛ لأنك شريف بين أول الممدوحين لأجل أمير «الكاب» الكاتب «باحري» المرحوم الذي يملأ قلب سيده جدًّا.

خطاب عن مصير المتوفى في عالم الآخرة: إنك تدخل وتخرج (من القبر)، وقلبك فَرِح بحظوة رب الآلهة (آمون)، وتدفن دفنًا جميلًا بعد عمر طويل عندما تحلُّ الشيخوخة، وإنك تتخذ مكانك في تابوتك، ويضمك القبر الصحراوي في الغرب، وتصير روحًا حية تحصل (أي: الروح) على الخبز والماء والهواء، وتتحول[٣٢] إلى بجعة (فنكس) أو حمامة أو باشق، أو طائر كما تحب، وتعبر في القارب، ولن تطرد، وتسبح في مجرى النهر؛ وسيحدث أنك تعيش مرة ثانية، ولا تبعد روحك عن جسمك، وتؤله روحك مع المنعمين، وتتحدَّث إليك الأرواح السامية، وتجتمع بها، وستأخذ ما يُقدَّم لك على الأرض، وستستولي على الماء، وتتنسم الهواء، وتخوض فيما يحبه قلبك، وستُرَدُّ إليك عيناك (ثانيةً) لترى بهما، وأذناك لتسمع بهما ما يقال، وفمك لتتكلم (به)، وساقاك لتمشي بهما، وتتحرك بذراعَيْك وكتفَيْك، ويكون لحمك قويًّا، وعروقك سليمة، وليس فيك شيء خبيث، ولبك معك صحيح، وقلبك معك كما كان من قبلُ، وإنك تصعد إلى السماء وأنت تخترق عالم الآخرة في كل صورة (تحبها)، وينادى بك يوميًّا

[٣١] كانت الملابس التي تُوضَع على تمثال الإله تُبدَّل من وقت لآخَر، كما يُفعَل بالكسوة الشريفة وكسوة الأولياء الآن في مصر الحديثة؛ فكان يستعملها الكهنة والأهلون كما هي الحال الآن.

[٣٢] كان المصري بعد الوفاة يستطيع بوساطة تعاويذ سحرية أن يتحوَّل إلى أشكال مختلفة، ويعود في صورها إلى الحياة الدنيا، وهذا الاعتقاد لا تزال بقاياه موجودة في مصر الحديثة، كما كان يُعتقَد أن روحه كانت تتمتَّع بما يُقدَّم له من ماء وطعام، وهذا أيضًا اعتقاد له نظيره في أيامنا.

إلى مائدة الإله الكاهن الطيب (أوزير)، وتتسلم الخبز «سنو» الذي يؤتى به أمامك، وقربان رب الأرض الفاخرة (أوزير أو أنوبيس) لأجل روح عمدة «نخب» وعمدة «دندرة» الذي يحسب الغلال من «دندرة» حتى «الكاب»، والمرشد اليَقِظ والخالي من التعب الكاتب «باحري» المرحوم.

إنك تأكل خبز «شنس» بجانب الإله عند «السلم[٣٣] العظيم» لملك رب التاسوع، وإنك تعود إلى بيتك إلى مكان إقامتك بين رجال محكمة «أوزير» العليا وتذهب للتنزُّه بينهم، وتتصادق مع أتباع «حور» وتطلع وتنزل، ولن تنكص على عقبَيْك، ولن تصد عن باب الآخرة (دوات)، ويُفتَح لك بابَا الأفق، ويُفتَح لك مزلاجَا الباب بنفسيهما، وتصل إلى قاعة العدالتين،[٣٤] ويُرحِّب بك الإله الذي فيها، وتنزل في أعماق العالَم السفلي، وتسير في مدينة النيل (حرًّا)، ويفرح قلبك بزراعتك حقولك في أرضك التي في حقول الغاب،[٣٥] وطعامك يتألَّف ممَّا عملته أنت، ويرد إليك الحصاد بكثرة، وتُرمَى لك حبال المرسى من سفينة العبور، وتسبح على حسب ما يحبه قلبك، وتخرج في كل صباح، وتسكن (في قبرك) ثانيةً كل مساء، وتضاء لك الشعلة ليلًا إلى أن تشرق الشمس على جسمك ثانية، ويقال لك: مرحبًا، مرحبًا بك في بيتك هذا للأحياء، وإنك ترى «رع» في أفق السماء وتشاهد «آمون» عندما يشرق، وتكون حسن اليقظة في كل يوم، وتمنع عنك كل الشرور في الأرض، وتمضي حياتك إلى الأبد سعيدًا في حظوة الإله الذي فيك،[٣٦] وقلبك معك وهو لا يغشك، وطعامك يبقى في مكانه (الصحيح)؛ لأجل الكاتب «باحري» المرحوم.

باحري يتحدَّث عن سلوكه في الحياة: يقول: كنتُ شريفًا نافعًا لسيده، وحازمًا لا ينسى، وكنت أنهج على طريق واحدة (فقط) بعد امتحانها، وأعرف مخارج الحياة، وكنت أفحص الحدود في الوثائق، وكذلك الشاطئ[٣٧] فيما يخص

[٣٣] مكان غير معروف في الكرنك.

[٣٤] أي: قاعة المحاكمة، وكان المصري ينظر لكل شيء من ناحيتين، وهما العدالتان.

[٣٥] الحقول التي كان لزامًا على المتوفى أن يقوم بالعمل فيها.

[٣٦] كان المصري يعتقد أن الإنسان يسكن فيه الإله وينظم حياته.

[٣٧] أي: ومثل النيل في طريقه السلسة إلى البحر، فإنه يحدد الحدود والشاطئ؛ فكذلك كان المتوفى يحدد أملاك الفرعون وشاطئه مع غزارتها.

كل الأشياء الحسنة للفرعون، وكذلك كل أمور بيت الملك (له الحياة والسعادة والصحة)، فإنها مثل النيل عندما يصبُّ في البحر الأبيض المتوسط (أي: تسير في مجراها الطبيعي)، وكان فمي ثابتًا؛ لأنه كان يعمل الخير للفرعون، وكنت أخاف عجز الحساب، ولا أتصامَّ عن الحساب، ولم آخذ رشوةً من المحاصيل، وكان قلبي هو الذي يقودني إلى الطريق التي يحبها الفرعون، وقد جعل قلمي معروفًا، وجعلني مبرَّأً في قاعة العدل (…)، ودلَّ على أخلاقي حتى إني أخضعت العظماء، وجعل (…) خطوتي إلى الأمام، وجعلتني أخلاقي الحسنة أرتفع، وقد نوديت (…) بوصفي إنسانًا خاليًا من الإثم، وقد وضعت في كفة الميزان فخرجت منها وافي الحساب خاليًا من الدين، ورحت وغدوت وقلبي يحمل نفس الأخلاق (لم يتغيَّر)، ولم أنطق كذبًا على أي إنسان آخَر؛ لأني أعرف الإله الذي في جوف الناس، وإني أعرفه، وأفرق بين هذا وذاك (الخير والشر)، وأنجز الأمورَ على حسب الأوامر، ولم أغيِّر رسالة مرسلها، ولم أنطق بألفاظ العامة، ولم أبلغ عن أناس لا يجب التبليغ عنهم، وكنت مثالًا للطيبة، وإني إنسان ممدوح خرج من بطن أمه ممدوحًا حاكم «نخب» «باحري» المرحوم الذي أنجَبَه مربي ابن الملك الكاتب «آتف تري» المرحوم، الذي وضعته ربة البيت «كامي» المرحومة.

باحري يطلب إلى قارئي نقوش قبره أن يدعوا له بقربان: يقول: استمعوا أنتم يا مَن في الوجود، إني أتحدث إليكم بدون كذب، يا أيها الأحياء والموجودون، وأنتم يا أيها الرجال العظماء الذين على الأرض، وأنتم يا أيها الكهنة المطهرون وزملاؤهم، وكل كاتب في يده لوحة كتابة، وكل مدرب على كلام الإله (أي: على اللغة المصرية)، وكل فرد ممتاز بالنسبة لمرءوسيه، وصاحب فم عالٍ في عمله؛ إنكم ستكونون ممدوحين من «رع» رب الأبدية، ومن «نخبت» البيضاء صاحبة «نخن»، ومن كل الآلهة الذين يجعلون الفرد سعيدًا في وظيفته (كان لكل وظيفة إلهها الحامي لها؛ ولذلك يطلب المتوفى أن يدعو له إلهه على حسب وظيفته)، ويرغب في أن يرثه أولاده في وظيفته، إذا قربتم قربانًا يقدِّمه الفرعون على حسب ما جاء في الكتب، وكذلك تعويذة خروج الصوت كما كان يقول الأولون، وكما كان يجب أن يخرج من فم الإله، وإنَّ كل إنسان يثني يده (أي: مقدِّمًا قربانًا) سيحصل على العدل بذلك، ويفعل كما يجب على حسب القانون … في هذا الأمر الكتابي: ألف لك من الخبز، وألف لك من الجعة، ومائة

ألف من كل شيء جميل مما يقرب وما يصب «يا أوزير» حاكم «نخب» وحاكم «إسنا»؛ ليشرح قلب المشرف على الخاتم في سياحته إلى الجنوب (للتفتيش)، الكاتب الماهر في الحساب «باحري» المرحوم.

ما يطلبه «باحري» من القرَّاء لا يكلفهم شيئًا، وما يبتغي هو أن يكافئوا عليه في عالم الآخرة: إني أتحدَّث إليكم، وإني أجعلكم تعرفون أنها قراءة بدون قصد، فليس فيها ذم ولا هجاء، وأنها ليست شجارًا مع آخَر، ولا استغلالَ فردٍ وقع في حرج مؤقتًا، بل إنه حديث لذيذ للتسلية لا يشبع القلب من سماعه، فهو نسيم الفم، ولا يؤكل، ليس فيه إجهاد ولا نصب، وإنه لحلو لكم عندما تسمعونه، وستجدونني عندما آتي إليكم، وطالما وجدت في أرض الأحياء هذه ولم يشك مني إله، ولقد أصبحت روحًا تام العدة، وحقًّا لقد أعددت مكاني في الجبانة ومعي حاجاتي من كل شيء، ولم أتركها لتعمل لي (أي: القربان)، حقًّا حقًّا إن والد ذلك المتوفى المبجل هو الذي قرب له القربان، وإنه لا ينسى مَن يقدِّم له الماء، وإنه لحسن أن يستمع إليه.

ولسنا في حاجة إلى الإشارة إلى ما جاء في نقوش تاريخ حياة هذا الرجل العظيم من معلوماتٍ على جانب عظيم من الأهمية من الوجهة الدينية والخلقية في هذا العهد، على الرغم مما تنطوي عليه عباراته من مبالغات يمكن معرفتها بدون كبير عناء، ومع ذلك فإننا نستخلص من هذه المبالغات نفسها أمورًا عدة عن حياة القوم.

المناظر الاجتماعية والخاصة في مقبرة «باحري»

تحتوي مقبرة «باحري» على مناظر عدة عن حياته الخاصة وحياته الحكومية، وكذلك على مناظر جنازية عامة، وهذه المناظر قد شُفعت لحسن الحظ بنقوش مفسِّرة لها، ممَّا جعلها ذات مزايا عظيمة؛ وبخاصة لأنها تُلقِي بعضَ الضوء على حياة القوم اليومية وأعمالها بما فيها من فكاهات ومداعبات حلوة قلَّ أن نحصل عليها في وثائق تلك الأزمان السحيقة، ففي منظرٍ نشاهد «باحري» يتبعه خَدَمُه حاملين ملابسه ونعاله وكرسيه والمعدات التي تلزمه، وتقول لنا النقوش عن هذا المنظر: إنه فحص أعمال فصل الصيف وأعمال فصل الشتاء، وكل الأعمال التي أنجزها في الحقول عمدة «نخب» وعمدة «دندرة»، وهو الذي يشرف على الحقول في أراضي الجنوب، الكاتب وحاسب الغلال «باحري» المرحوم.

ويلحظ في المنظر أن عربة «باحري» تنتظره، غير أن أحد جوادَيْها نفد صبره، وأراد أن يرخي لساقيه العنان، فوبَّخه السائس قائلًا: قف ولا تتحرك، ولا تكن عاصيًا أيها الجواد الممتاز، يا أيها (الأمير) الذي يحبه سيده، ومَن يفخر به الحاكم «باحري» أمامَ كل إنسان.

ويشاهد أمام «باحري» منظر الزرع والحرث، فيُرى محراثان تجرهما ثيران على حسب المعتاد، غير أننا نشاهد محراثًا ثالثًا يجره أربعة رجال بالحبال والعمال الذين يحرثون بالمحاريث التي تجرها الثيران، يقولون: إنه يوم جميل يشعر فيه الإنسان بالنسيم، والثيران تحرث، والسماء تعمل على حسب ما ترغبه قلوبنا؛ دَعْنا نعمل لهذا الشريف. (Taylor, "The Tomb of Pahari at El-Kab," Pl. III–VII) وكذلك نرى حرَّاثًا ينادي رفيقًا له يسير أمامه قائلًا: «أسرع أيها القائد إلى الأمام بالثيران تأمل! إن الأمير واقف ينظر إلينا.» مما يُشعِر — كما هي الحال الآن — أنهم لا يعملون إلا إذا كان صاحب العمل منتبهًا إليهم مراقبًا إياهم.

وفي نفس المنظر نجد رجلًا يحطم قطعًا من الطين بفأسه، وينادي رفيقه الذي يعمل معه قائلًا: «يا صديقي أسرع في العمل حتى ننتهي في وقت مبكر.» غير أن ذلك يحفظ زميله فيجيبه قائلًا: «إني سأعمل أكثر من العمل الذي يجب أن أعمله للشريف، فالزم الصمت.»

أما العمال الذين كانوا يجرون المحراث فإنهم كانوا مَرِحين؛ إذ إن «باحري» عندما كان متجهًا نحو النهر مارًّا بهم، حضَّهم على الإسراع في عملهم فأجابوه: إننا نفعل ذلك، انظر إلينا لا تَخَفْ على حقول الغلال، إنها حسنة جدًّا.

وقد أجاب على ذلك الحرَّاث المسن قائلًا: حقًّا إن مقالك مدهش جدًّا يا بني، فإن السنة طيبة خالية من الأمراض، وكل أعشابها جيدة، والعجول فيها ممتازة أكثر من أي شيء.

أما القمح الذي قد نضج فكان يحصده عمال بمحشاتهم وخلفهم امرأة وطفل يلتقطان ما تُرِك خلف الحصادين، في حين نشاهد امرأة ثالثة تحمل سلة وبعض الخبز، ويلحظ أن أحدهم ينادي الحصادين قائلًا: «أعطني حزمة؟ انظر سنأتي في المساء، فلا تعد لشح البارحة، تخلَّ عنه اليوم.» (أي: اترك لنا بعض السنبل نلتقطه اليوم). وفي نهاية حقل الحصاد توجد مظلة صف فيها أوانٍ للشرب على قواعد من الخشب، ويشاهد اثنان منها خارج المظلة يروح عليهما خادم بمروحة من عسف النخل لتحفظ برودتها،

وبعد ذلك يُحمَل القمح المحصود في سلال كبيرة معلقة في قضبان ومحمولة على الأكتاف للدرس، وهنا يُرَى «باحري» يقبض بيده على غصن، ويأمر حاملي السلال بالإسراع خوفًا من الفيضان الذي كان يهدِّد الحقول قبل حصد الغلال منها، ثم يسمع عامل وهو عائد ليأخذ حملًا جديدًا يقول بصوت عالٍ: «أَلَمْ أحمل القضبان طول اليوم كرجل؟ وهذا ما أحبه.»

ومما تجدر ملاحظته هنا أن النغمة التي كانت سائدة في هذه المحادثات نغمة مرح تدل على الجد والإخلاص، وهذا المرح بعينه نجده في الدولة القديمة، وقد عُبِّر عنه في أغنية حاملي المحفة (راجع كتاب الأدب جزء ٢ ص٢٢٣).

وبعد ذلك يفرغ العمال السنبل في مكان الدرس حيث تدوسه الثيران، وهناك يُرَى صبي يعمل بمكنسته باستمرارٍ ليحفظ السنبل[٣٨] في مكانه.

أما العامل الذي يسوق الثيران في دوراتها التي لا تنقطع، فكان يغني وهو ماشٍ: «ادرسي لنفسك، ادرسي لنفسك يا أيتها الثيران، ادرسي لنفسك، ادرسي لنفسك فإن التبن لعلفك، والغلة لأسيادك، ولا تجعلي قلوبك تجمد، فإن الجو بارد.»

ثم يُذرَى بعد ذلك القمح ويكال ويُوضَع في المخازن، ويُشاهَد كاتب جالس على كومة عالية من الغلال مسجِّلًا ما يكال ويخزن وهو «تحوتي نفر»؛ ويُشاهَد كذلك هنا حصد الكتان، وذلك أن شجيرات الكتان كانت تُنتزَع بجذورها ويُزال عنها ما علق بها من طينٍ، ثم تُحزَم السيقان وتُحمَل إلى رجلٍ مُسِنٍّ جالس تحت شجرة، حيث ينزع منها البذور بآلة كالمشط الضخم، ويخاطب الولد الذي أحضر له الحزم قائلًا: «إذا أحضرتَ لي تسعًا وإحدى عشرة ألف حزمة، فإني أنا الرجل الذي أفصلها كلها.» غير أن الولد يجيبه بوقاحة غير محترم سنه المتقدِّم قائلًا: «أسرِعْ لا تكن ثرثارًا يا أيها العامل القَذِر.»

وفي منظر آخَر يُشاهَد «باحري» يعمل بيدَيْه، فيجلس على كرسي وأمامه أدوات الكتابة يدوِّن حساب الحيوان الذي كان يساق أمامه، والنقوش المفسرة لهذا المنظر تقول: «حساب عدد القطعان بواسطة أمير «دندرة»، والمشرف على حقول بلاد الجنوب المحبوب لدى سيده من أول بيت «حتحور» حتى «الكاب»؛ الكاتب «باحري».» ومن ذلك نعلم أنه كان يدير أملاك الفرعون من «دندرة» حتى مدينة «الكاب»، ويلحظ أن الماشية التي كانت

[٣٨] هذه المناظر تُشاهَد حتى الآن في قرى الوجه البحري التي لم تدخلها الآلات الحديثة للحرث والزرع والدرس.

تُحصَى هنا كانت تشمل ثيرانًا وبقرات وعجولًا وحميرًا وماعزًا وجداء وخنازير، وقد كانت بعض هذه الماشية نائمة على الأرض لتكوى، ويُشاهَد أمام «باحري» أخوه المسمَّى كذلك «باحري» ويُلقَّب بالكاتب، ويُرَى «باحري» كذلك في منظر آخَر جالسًا في مقر وظيفته يتقبَّل الذهب من رؤساء البلاد الجبلية، وقد كان يُقدَّم إليه في هيئة حلقات، ويُوزَن أمامه ويُدوِّن أخوه «باحري» قيمةَ كل وزنة، وقد فسر هذا المنظر بما يأتي:

> تسلم ذهب رؤساء أهل الجبال، تسلم الجزية من رؤساء أهل هذه البلدة بيده المدير اليَقِظ الذي لا يكل، والذي لا ينسى ما هو مكلَّف به الأمير «باحري» المرحوم.

(راجع: Urk. IV. p. 126).

ثم نرى «باحري» يسير إلى شاطئ النهر على قدمَيْه، حيث يرقب شحن السفن المحملة بالغلال المستحقة لمخازن غلال الحكومة، وتقول النقوش عن ذلك: «شحن السفن بالقمح والشعير.» ويقول العمال: «هل سنمضي طوال اليوم في حمل القمح والشعير؟ إن المخازن مفعمة والأكوام تفيض على حافاتها، والسفن قد شُحِنت شحنًا ثقيلًا، والقمح يفيض منها، ومع ذلك فإن السيد يحضنا على السرعة، تأمل! فهل صدورنا من برنز (أي: لا تكل).»[٣٩]

ويلحظ أن البحارة الذين في السفن يميلون إلى جنب ويملئون أوانيهم للشرب.

وكل المناظر السالفة تحدِّثنا عن حياة «باحري» الرسمية، وهناك مناظر أخرى تبحث عن حياته الخاصة، وتصحبه زوجه، فنجده في منظر يلحظ سير العمل في ضياعه الخاصة ويتسلَّم محاصيله، وكذلك نجده مع تلميذه الصغير الأمير «وازمس» الذي يجلس على حجره معطيًا إياه هدايا بمناسبة يوم عيد، والنقوش تحدِّثنا: ابتهاج القلب بكل شيء، والراحة، وتسلم الهدايا، والتعبُّد «لنخب كاو» بوساطة مربي الأمير، «وازمس» الحاكم «باحري» (Naville Ibid. Pl. IV). والواقع أنه يُشاهَد أمام «باحري» والأمير

[٣٩] هذه هي الشكوى التي نجدها من أصحاب رءوس المال؛ فإنهم يريدون أن يبتزُّوا كلَّ مجهود العامل لكثرة الإنتاج؛ ولذلك يقول العامل: هل صدورنا من نحاس — أي: لا تُحس — ولذلك يريد السيد أن يجعلها تعمل باستمرار.

أطفال محضرون ... وقربان، وكل أنواع الأزهار في صباح السنة الجديدة (كما تحضر بعض الأطفال في أيامنا هدايا لبعضهم في العيد).

ولا بد أن «باحري» كان على وئام مع أقاربه وأصهاره؛ إذ نشاهد والدي زوجه وأقاربه كلهم مجتمعين على مائدته في يوم عيد رأس السنة الذي كان يُعَدُّ من أعظم الأعياد؛ ولذلك يلحظ أن منظر الوليمة الذي نشاهد فيه كل الأقارب تحتل مكانة عظيمة في رسوم مقبرته (Ibid. Pls. VI, VII)؛ غير أن هذه الوليمة قد جمعت بين مناظر الدنيا ومناظر الآخرة، فيرى «باحري» هو وزوجه جالسين على أريكة ربط في أسفلها قرد أليف يأكل من سلة فاكهة، والظاهر أنه كانت توجد أمام «باحري» وزوجه مائدة قربان غير أنها محيت فيما بعدُ على يد مغتصبين، ويشاهد ابنهما «أمنمس» الذي كان يرتدي جلد فهد واقفًا أمامهما يمثِّل دور الابن المحبوب لوالديه (كاهن) بعد موتهما، وذلك بتقديم القربان ممَّا يبرهن على أننا أمام وليمة جنازية لا تشاهد إلا في مثل هذه الأحوال، وإن كانت تمثِّل ما يحدث في عالم الدنيا حقيقة.

وأمام «باحري» وزوجه مائدة جلس إليها رجل وزوجه، وعلى المائدة ما لذَّ وطاب من طعام وأكاليل وأزهار وزجاجات نبيذ، وهذان هما «أحمس بن أبانا» المشهور وزوجه «إبوتي»، وعلى مائدة أخرى يُشاهَد «أتف تري» وزوجه «كم»، وهؤلاء هم أجداد «باحري» ووالده، وخلف أولئك نرى أقارب «باحري» وأصدقاءه جالسين على بساط يأكلون ويشربون الخمر ويشمون الأزهار.

ومن طريف ما يُشاهَد في هذا المنظر أن سيدةً تُسمَّى «سات آمون» (بنت آمون) قد رفعت يدها امتناعًا عن قبول قدح نبيذ قُدِّم لها، غير أن الساقية لم تأخذ هذه الإشارة علامة على الرفض وقالت: «لحضرتك، اشربي حتى السكر وافرحي، وأصغي لما تقوله رفيقتك، لا تضحي من تناول (الخمر).» ولكن ابنة عمها المجاورة لها لم تعبأ بمثل هذه الترهات، فتنادي الساقية: «قدِّمي لي ثمانية عشر قدحًا، تأملي! إني أحب أن أشرب حتى أثمل، فإن جوفي جاف كالهشيم» (راجع: Naville, Ibid p. 25. Pl. VII). ومن الغريب أننا نشاهد الساقيات يلحن على الضيفان في تناول الخمر، فتقول إحداهن: «اشربن لا ترفضن، إني لن أترككن.» وتقول أخرى: «اشربن لا تعكرن صفو الوليمة، ودَعْنَ الكأس يأتي إليَّ، تأملن! فإنه دور الأمير أن يشرب الآن.»

والظاهر من ذلك أن صاحب الوليمة كان لا يعدُّ نفسه سعيدًا إلا إذا ثمل كل ضيفانه، على أن هذه الوليمة لم تكن لتقتصر على احتساء بنت العنب، بل كان في نواحيها طائفة من المغنين والموسيقيين والراقصات.

ويمكن القول من صور أقارب «باحري» الممثلة على جدران قبره، أنه قد دُوِّن أسماء ستة أجيال من أسرته، ابتداءً من جد والدَيْه حتى أحفاده.

ولا نزاعَ في أن أمثال قبر هذا العظيم يُعَدُّ تحفةً لكلِّ مؤرخ يريد أن يبحث في الحياة المصرية من أي ناحية أراد، غير أنه ممَّا يُؤسَف له جد الأسف أن أمثال هذا القبر المحفوظ قليل جدًّا.

(٨-٢) رعي

يوجد قبر هذا العظيم في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ١٢٤)، وقد كان مزيَّنًا بمناظر عدة، ولكن لم يصلنا منه إلا بعض قطع في حيازة مستر «مند»، يُشاهَد فيها الكهنة يقومون بشعيرة دينية، وقد كان يحمل الألقاب التالية: مدير بيت الإله الطيب «تحتمس الأول»، وكذلك لقب «مدير مخازن الأرضين»، وكلا اللقبين من أهم ألقاب الدولة (راجع: Gardiner and Weigall, “Catalogue” No. 124).

(٨-٣) ساتب إحو

كان يحمل الألقاب التالية: عمدة طينة بالقرب من «العرابة المدفونة»، والأمير الوراثي، والحاكم، والمشرف على كهنة «طيبة»، وقد كانت زوجه كذلك من الشخصيات الهامة؛ إذ كانت مرضعةً لملكة المستقبل «حتشبسوت»، فكانت تحمل لقب مرضعة الملكة «حتشبسوت»، وقد جاء ذِكْرها في مقبرة زوجها (راجع: Urk. IV. p. 517)، ولا شك في أن المرضعات الملكيات كنَّ ذوات نفوذ عظيم في البلاط، ولدينا عدد عظيم منهن ذكرن في نقوش الأسرة الثامنة عشرة، ويلحظ أنهن كن أمهات لموظفين عظام في الدولة، ولا غرابةَ في ذلك؛ فمن المحتمل أن بعضهن كن يُنتَخبن من أُسَر كريمة، فضلًا عن أنهن كنَّ يخلقن بحكم مركزهن جوًّا من المحبة بينهن وبين الأمراء والأميرات الذين ربوا في حجورهن. وسنرى ما كان لذلك من تأثير في وظائف الدولة وسير الأحوال فيها عند الكلام على النظام الحربي، وقد أقام «ساتب إحو» قبرًا له هو وزوجه في «العرابة المدفونة»، وُجِد له فيه تمثال جالس، وهو الآن في مجموعة جامعة «بتسلفانيا» (راجع: Maciver and Mace, “El-Amrah and Abydos,” Pls. XXXII-XXXIII).

وقد خرب هذا القبر في عهد الأسرة الخامسة والعشرين، وعُثِر على أشياء دخيلة، غير أنه وُجِدت فيه لوحة لموظف يُدعَى «إن حرمس» يحمل لقب «المشرف» على مخازن

«طيبة» من عهد «تحتمس الثالث»، ويُحتمَل أنه أحد أعضاء الأسرة المحدثين (Porter and Moss, Bibliography, V, Pp. 67–68).

(٨-٤) سات رع

وهي مرضعة أخرى للملكة «حتشبسوت»، وكانت تُسمَّى كذلك «إن»، وتحمل لقب المرضعة التي ربت سيدة الأرضين، ممَّا يدل على أنها كانت تعمل في عهد حكم الملكة، وليس لدينا عن هذه السيدة إلا نقوش على لوحة من الحجر الجيري الأبيض محفوظة الآن بمتحف «فينا»، ولم تُذكَر عليها أسماء أفراد أسرتها (Urk, IV. p. 241).

(٨-٥) نفراعح

كانت هذه السيدة مربية أخرى من مربيات «حتشبسوت»، وكانت تحمل لقب «المربية العظيمة»، وكان زوجها «يويا» يشغل وظيفة الكاتب الملكي التي تُعَدُّ من أكبر وظائف الدولة؛ إذ كان شاغلها يُعَدُّ كاتم أسرار الفرعون. وقد كان ابنها «بوام رع» وهو أخو «حتشبسوت» من الرضاعة من أعظم رجال الدولة الذين كانت تعتمد عليهم «حتشبسوت» (كما سيأتي بعدُ)، وقد رسم في قبره (بالخوخة رقم ٣٩) المرضعة الملكية وزوجها (Davies, “The Tomb of Puyemra”, Pl. 28)، وليس من الغريب أن نجد أكثر من مرضعة واحدة لإرضاع طفل واحد؛ إذ علمنا أن الأطفال المصريين كانوا يرضعون إلى أن يبلغوا السن الثالثة من عمرهم (Maxims of the Scribe Ani. Erman, “The Literature of the Ancient Egyptians,” p. 239). هذا فضلًا عن أن لقب مرضعة كان يحمله الرجال والنساء على السواء، كما شاهدنا في نقوش «أحمس بننخبت»، وفي هذه الحالة كان اللقب بطبيعة الحال يعني «مربي»، ومن المحتمل أن بعض المرضعات من النساء كنَّ يعملن بوصفهن مربيات للأطفال الملكيين بعد فطامهم، وهذا ما يُوحِي به لقب «سات رع».

(٨-٦) أحمس (حومعي)

عاش في عهد هذا الفرعون، وكان يحمل الألقاب التالية: «مدير بيت زوج الإله»، ومدير مخازن غلال زوج الإله «أحمس نفرتاري» (L. D. Text. III. p. 286). وقبر هذا العظيم في «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٢٢٤)، وليس فيه من المناظر إلا منظر وليمة عادي مُثِّل فيه بعض أقاربه (راجع: Gardiner and Weigall, "Catalogue," No. 224).

(٨-٧) أمنحتب بن سني تحوتي

كان هذا الموظف يحمل لقب «كاهن مطهر»، كما كان يحمل اللقب الهام «بكر أولاد الفرعون تحتمس الأول»، وهذا مثلٌ آخَر لعدم دلالة هذا اللقب على معناه الأصلي؛ وذلك لأننا نعلم من قبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» أن والده يُدعَى «سني تحوتي» (راجع: Urk. IV, Pp. 105–106). ومن بين المناظر الهامة في قبره منظرٌ مُثِّل فيه هو وزوجه يتسلَّمان هدايا رأس السنة، ومنظر آخَر وهو يقدِّم قربانًا لوالديه؛ ونعلم من نقوش قبره أن أخاه «نفر حتب» كان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي والحاكم، ورجل الملك العظيم، والرجل الممتاز في خزانة ملك الوجه البحري، والد الإله الرابع للإله «آمون» (لقب كاهن) (راجع: Porter and Moss, "Bibliography" Vol. I. p. 184)، وكذلك الكاهن الرابع للإله آمون.

(٨-٨) نخت

كان «نخت» أيضًا يحمل لقب كاهن مطهر، وقد عُثِر له على تمثال في معبد «رعمسيس» الثاني في الكرنك، ومن ألقابه أيضًا «مطهر الإله خنسو» ورئيس طائفة الكهنة الأولى، وكذلك رئيس الطائفة الثالثة (راجع: Legrain, "Repertoire," No. 76).

(٨-٩) بوي

لم يُعثَر لهذا الموظف إلا على لوحة محفوظة الآن بمتحف مدينة «درسدن» بألمانيا (راجع: A. Z. XIX. p. 66 ff)، ويُلقَّب الباني العظيم للفرعون «تحتمس الأول»، وهذا يذكِّرنا بالنشاط العظيم الذي قام به ملوك هذه الأسرة في هذا المضمار، وقد كان ابنه يحمل نفسَ اللقب في عهد «تحتمس الثالث».

(٨-١٠) وسر

يُعَدُّ «وسر» — من مناظر قبره الذي حُفِر في «جبانة شيخ عبد القرنة» — شخصيةً غريبة؛ إذ تدل ملابسه المزركشة وتأنقه على نوع من الطراوة والليونة؛ إذ نراه مرتديًا حلة ذات أهداب بألوان مختلفة، وممسكًا بيده منديلًا أُحكِم لفُّه في يده اليمنى، ونرى في يده اليسرى طاقة أزهار قد افتنَّ في تنسيقها، يشم رائحتها بنوع من الرخاوة (J. E. A., X. Pl. IX, p. 41). ويجب ألَّا نُخدَع بمثل هذا المنظر الذي يدل على الترف والإغراق في التأنُّق الذي يظهر به أولئك الأفراد المنعمون في أوائل الأسرة الثامنة عشرة؛ فإن هؤلاء المتأنقين وأولادهم هم الذين ساعدوا على بناء مستقبل مصر العظيم الذي جعلها على رأس ممالك العالم؛ إذ لم يكن الفساد بمعناه الحقيقي قد دبَّ في نفوسهم، فعندما بدأت الإمبراطورية تنحطُّ، لم يكن اللوم واقعًا على أولئك المترفين في «طيبة»، أو على النسوة اللائي كنَّ يعاقرن بنت الحان، بل كان يرجع إلى أسباب أخرى.

وكان «وسر» هذا يُلقَّب بالكاتب ومدير بيت الفرعون «تحتمس الأول»، وقد تُعزَى رفاهيته ورقته في الملبس إلى الوظيفة التي كان يشغلها. ومن المناظر الهامة في قبره منظر صيد، وقد استعمل فيه العربة، وهو من المناظر الأولى التي استُعمِلت فيها العربة للصيد في عهد الأسرة الثامنة عشرة، وهذا دليل آخَر على أنه من علية القوم؛ إذ كانت العربة وقفًا على الأغنياء والمياسير في هذه الفترة (Davies, “Five Theban Tombs”, Pl. XXII. p. 23).

(٨-١١) وسرحات

ولدينا مدير بيت آخَر من عهد هذا الفرعون يُدعَى «وسرحات»، وقد جاء ذِكْره على لوحة أخيه في «تورين» (Rec. Trav. Vol. IV. p. 125).

(٨-١٢) باك

ولدينا مخروط نُقِش عليه اسم موظف يُدعَى «باك»، ويحمل لقب مدير البيت العظيم (Mission Archeologique Française, Vol. VIII. p. 15).

(٨-١٣) سبك حتب

أما قصر «تحتمس الأول» فكان له حارس يُسمَّى «سبك حتب»، كما كان يحمل لقب «حارس قاعة الإدارة» (راجع: Schiaparelli, "Catalogue" No. 1566).

(٨-١٤) بن إن رع

كان مراقب الماشية (راجع: Mission Archeologique Française, Vol. VIII. p. 64).

(٨-١٥) عا خبر كا

كما كان «عا خبر كا» مدير المهمات (Ibid. p. 289–171).

(٨-١٦) منخ

وكان للملكة كذلك مديرُ بيتٍ يُدعَى «منخ»، وقد أهدى محرابًا نُحِت في الصخر غرب السلسلة، وقد مُثِّل فيه مع زوجه، وهو ابن «إنني» الذي تكلمنا عنه فيما سبق (راجع: Weigall, "Guide to the Antiquities of Upper Egypt," p. 368).

(٨-١٧) تحوتي بن قاري

كان هذا الموظف يُلقَّب مدير النحاتين، وله قبر في «الكوم الأحمر» (هيرا كنبوليس) (Porter & Moss, "Bibliography", V. p. 197)، وفيه لوحة سُرِد فيها تاريخ حياته على الصورة المألوفة من مدائح وصفات عظيمة (راجع: Urk. IV. Pp. 130. ff).

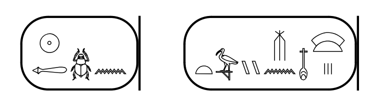
جاء فيها:

> مدير النحاتين الذي قد حباه الإله منذ طفولته، وهو مرشد الفرعون، والذي يسير على الأعمال، ذكي الفؤاد في عمل كل شيء ممتاز، ثابت الجنان بين العظماء، ومَن يذكر اسمه لصفاته (الطيبة)، وليس فيه ما يعيبه عند سيده، لا يخرج الإثم من فمه، صادق الجنان بين الأشراف.
>
> **ترجمة حياته:** لقد فعلت ما يحبه الناس، وما تمدحه الآلهة، ليجعلوا بيتي يبقى إلى الأبد، ويمكث اسمي في فم الناس بعد سنين تمرُّ عندما يرى

(القوم) الآثار التي أقمتها، فقد بنيت لنفسي بيتًا للنزهة وهو بيت الجبانة، وقد عمل الناس فيه على حسب ما يحبون، ولم يكن هناك إنسان متذمِّر من العمل، وكنتُ أخرج من بيوتي إلى سفينتي، وإلى حقولي التي كنت أديرها بنفسي، وكنت أحرث بثيراني الصغيرة السن في حقولي التي اكتسبتها بنفسي حتى قربان الجبانة، وإنه إلهي الذي أعطانيها، وقد أنجزت ما يمجده قريني (روحي)، وقد أرشدني إلى قبر متين، وكنتُ في حظوة رب الأرضين، وهو الذي جعلني في قلب الناس حتى أصبحت ممدوحًا عند الإله؛ ولقد عمل ذلك لأني كنتُ ذا أخلاق ممتازة، ولم ينسب لي عمل سوء عند القوم؛ إذ لم أغتصب من آخَر متاعه.

هذه لمحة عن حياة «تحوتي بن قاري» كتبها عن نفسه، على الرغم ممَّا فيها من جمل نجدها مكرَّرة في حياة غيره من عظماء هذا العصر؛ إلا أننا نلحظ فيها بعض جملٍ تدل على ما كانت تنطوي عليه روح هذا المثال العظيم، صاحب الشعور المرهف؛ إذ يخبرنا أنه قد كسب كل شيء يمتلكه بكده واجتهاده، وأنه قد بنى قبره دون أن يُرهِق العمالَ في إقامته، بل كانوا يعملون على حسب ما يحبون، فلم يكن هناك سبيل لذمه؛ إذ لم يتذمر أحد من العمل، هذا فضلًا عن أنه كان شفيقًا على الحيوان، فلم ينتخب لحرث أرضه إلا الثيران الصغيرة السن القوية البنية، وكانت تعمل في حقوله التي اكتسبها بنفسه حتى قبره، كل ذلك يُظهِر لنا روحَ ما كانت عليه حالة البلاد في ذلك الوقت، ونجد اسمه كذلك مذكورًا في بردية جنازية محفوظة الآن في متحف «اللوفر»، ومنها نعرف أن والده كان يُسمَّى «قاري»، وأمه تُدعَى «تي» (راجع: Urk. IV. p. 135).

الفرعون تحتمس الثاني



(١) كيف تولَّى الملك؟

ذكرنا أن «تحتمس الأول» لم ينجب من زوجه الشرعية «أحمس حنت تاوي» وارثًا لعرش الملك، وأن أولاده الكبار الذي كان يرغب في أن يتولَّى واحدٌ منهم من بعده المُلْكَ قد ماتوا في حياته، ولم يَبْقَ له من خلفه الذكور إلا ابن واحد من زوجةٍ غير شرعية تُدعَى «موت نفرت»، وفي الوقت نفسه كان له ابنة واحدة من أخته وزوجه الشرعية «أحمس حنت تاوي»، وهي «حتشبسوت». والظاهر أن «تحتمس» الأول كان يرغب في أن يجعلها خليفته على عرش الملك، كما تدَّعِي هي ذلك في النقوش التي خلفتها لنا ممَّا سيأتي ذِكْره، ولكن يظهر أن الأمور سارت على غير رغبته، وتولَّى العرش «تحتمس» الثاني ابنه بعد أن تزوَّجَ من أخته «حتشبسوت»، وبذلك أصبح تولِّيه الملك في نظر الشعب شرعيًّا لا غبارَ عليه. وتدل كل الأحوال على أن هذا الزوج كان زواجًا رسميًّا، ليظهر أمام الشعب المصري أن على أريكة الملك فرعونًا، ولكن الواقع كانت «حتشبسوت» هي المسيطرة على البلاد؛ لأنها كانت الوارثة الحقيقية للعرش، هذا فضلًا عن أن «تحتمس» الثاني لم يُخلَق ليكون فرعونًا.



شكل ١: مومية الملك تحتمس الثاني.

(٢) وصف تحتمس الثاني

حقًّا إنه كان شابًّا أنيقًا طويل القامة، عريض المنكبين، غير أنه مع ذلك لم يكن قوي البنية،[١] ويدل شكل رأسه الكبير على أنه كان أكثر ذكاءً من والده المحارب العظيم، وقد كانت ملامحه تتفق مع ملامح أفراد أسرته؛ فنشاهد فيها أسنان الفك الأعلى البارزة، والذقن الغائرة بعض الشيء، ويلحظ أنه وقت وفاته كان أصلع الرأس، وأن الشعر الذي كان باقيًا على رأسه كان شعرًا مستعارًا مجعدًا تجعيدًا مصطنعًا ليظهر طبيعيًّا، وقد دلَّ تجميل أظافر قدمَيْه على أنه كان يعتني بها اعتناءً بالغًا، ولا نزاع في أن كل مظاهره كانت تدل على إغراقه في الترف والتأنق، كما تنمُّ على ذلك تقاسيمه التي تُشعِر بشيء من الأنوثة، وإنْ شئتَ فقُلِ التخنُّث. والحقيقة أنه كان على النقيض من أخته وزوجه «حتشبسوت»،

[١] راجع: Elliot Smith, “The Royal Mummies,” p. 28–31.

التي كانت تدَّعِي الرجولة في معظم مظاهرها؛ ولذا كان النفور مستحكمًا بينهما طوال مدة حكمه.

(٣) أول وثيقة تدل على تولِّيه حكم البلاد

وأول وثيقة لدينا تدلُّ على أنه تولَّى الحكم مباشَرةً بعد والده «تحتمس» الأول، ما تركه لنا «إنني» في تاريخ حياته عن هذا الفرعون؛ إذ يقول عند ممات «تحتمس الأول» (راجع: Urkunden IV, p. 58):

> وقد ارتاح الفرعون من الحياة، وصعد إلى السماء بعد أن أتَمَّ سنيه في سعادة، ثم ظهر الصقر الذي في العش على العرش، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عا خبرن رع» (تحتمس الثاني)، وبذلك أصبح ملكًا على الأرض السوداء (مصر)، وسيطر على الأرض الحمراء (الصحراء)، واستولى على الأرضين مظفرًا. وكنت أثير الفرعون في كل أماكنه، وما فعله لي كان أعظم ممَّا عمله لي مَن سبقه؛ وفي عهده وصلت إلى سن الشيخوخة الموقرة، وكنت في حظوة جلالته كل يوم، فأجلس على مائدة الملك، وآكل من خبز إفطار الفرعون، وأشرب من جعته، وكذلك كنتُ أتمتع باللحم السمين والخضر وأنواع الفاكهة المختلفة، والشهد والفطير، والخمر وزيت الزيتون، وكان الكل يسألون عن أحوالي راجين لي الصحة والحياة؛ لأن الملك نفسه كان لحبه لي يسألني عن أحوالي وصعد إلى السماء، وانضمَّ إلى الآلهة.

ففي هذه الفقرة من تاريخ حياة «إنني» نعلم علم اليقين أن «تحتمس الثاني» هو الذي تولَّى العرش مباشَرةً بعد وفاة والده «تحتمس الأول»، أما ما يقال من أن «حتشبسوت» أو «تحتمس الثالث» هو الذي تولَّى الحكم بعد «تحتمس الأول»، فقولٌ لا يرتكز إلا على أسباب ظاهرية، فقد خلقها التطاحُن على عرش الملك في عهد التحامسة.[٢]

---

[٢] راجع: Sethe “Das Hatshepsut Problem noch Einmal.” Untersucht.

(٤) منزلة «إنني» عند تحتمس الثاني

ومع هذا التحقيق التاريخي الذي تركه لنا «إنني» في هذه المسألة العويصة، قصَّ علينا كذلك حياته مع هذا الفرعون ومكانته في القصر الملكي، ووضع لنا كذلك صورةً من ألوان الطعام الذي كان ينفرد به الفرعون، والذي كان «لإنني» شرف مشاركة سيده في تناوُله معه حتى في الإفطار، فكان يأكل فطير شعت، ولا بد أنه هو نفس الفطير الذي يأكله علية القوم وقتَ الإفطار مع الشهد حتى الآن، كما كان يأكل اللحم السمين والخضر، وأنواع الفاكهة والخمور وزيت الزيتون، كل هذه الألوان تُعَدُّ حتى الآن أحسنَ المأكولات وأشهاها وأغلاها قيمةً، وسنعود إلى «إنني» كرةً أخرى عندما يحدِّثنا عن عهد «تحتمس الثالث».

(٥) محاربة تحتمس الثاني بلاد السودان

وقد كانت فاتحة أعمال هذا الفرعون إخماد العصيان الذي قام به بعض القبائل السودانية على مقربة من الشلال الثالث، وقد حفظت لنا نقوش هذه الحملة على الصخور الواقعة على الطريق بين أسوان والشلال الأول، وهاك ما جاء فيها حرفيًّا:

> السنة الأولى، الشهر الأول من فصل الفيضان، اليوم الثامن، وذلك عندما ظهر جلالة «حور» الثور المظفر، الشديد القوي، صاحب العقاب والصل – صاحب المملكة الإلهية «حور الذهبي – صاحب الصور القوية، ملك الوجه القبلي والوجه البحري – عا خبرن رع» ابن الشمس – تحتمس الجميل الطلعة على عرش حور الأحياء؛ لأن والده «رع» حاميه، وآمون رب عروش الأرضين يقهران أعداءه.
>
> **وصف قوة الملك:** كان جلالته في قصره، وكان صاحب شهرة عظيمة، وخوفه يعمُّ الأرض، وهيبته في أقاليم بحر «إيجة» (حاونبوت)، وكان شطرا الأرضين (أي: مملكة حور ومملكة ست) تحت سلطانه، وأقوام الأقواس التسعة تحت قدمَيْه جميعًا، وإليه تأتي سكان سينا «منتيو» حاملين الجزية، وبدو بلاد النوبة (أنتو بزت) بسلالهم (التي فيها إتاواتهم)، وحدوده الجنوبية قد وصلت حتى قرن الأرض، وحدوده الشمالية حتى آخر العالم، وآسيا أصبحت من رعايا جلالته، فلا يصد رسوله أراضي الفنخو.
>
> **إعلان قيام ثورة في بلاد النوبة:** وجاء مَن يخبر جلالته أن بلاد «كوش» الخاسئة في طريقها إلى الثورة، وقد كانوا رعايا رب الأرضين يفكِّرون في إعلان

العدوان، وقد كان الثوار على وشك أن يسرقوا المصريين، وذهبوا للاستيلاء على قطعان الماشية التي كانت خلف الحصون التي أقامها والدكم في حملته المظفرة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «تحتمس» الأول عاش مخلدًا، ليصد البلاد الأجنبية الثائرة، وهم بدو النوبة أهل «خنت حن نفر»، وهو أمير يقطن شمالي بلاد كوش الخاسئة، وقد أرسلت الأسرى للمساعدة، ومعهم اثنان من بدو بلاد النوبة من أبناء أمير «كوش» الخاسئة، وهما اللذان فرَّا أمام رب الأرضين في اليوم الذي قام فيه الإله الطيب (الملك تحتمس الأول) بمذبحة، وكان من جرَّائها أن قُسِّمت هذه البلاد خمسة أجزاء، وكان ابن كل أمير يحكم جزءًا، وعندما سمع جلالته هذا الخبر هاج كما يهيج الفهد وقال جلالته: إني ما دمت حيًّا، وما دام «رع» يحبني، وما دام والدي رب الآلهة، وسيد تيجان الأرضين يرعاني، فإني لن أدع واحدًا من رجالهم يعيش، وسأجعل الموت يحل بينهم.

الثورة تخضع وتعود المياه إلى مجاريها: وأرسل جلالته جيشًا عرمرمًا إلى بلاد النوبة للمرة الأولى ليشن حربًا لإخضاع كلِّ مَن أعلَنَ الثورة على جلالته، والذين عصوا سيد الأرضين، وقد وصل جيش جلالته إلى «بلاد كوش» الخاسئة، وقد كانت شهرة جلالته هي القائدة لهم، والخوف منه جعل طريقهم حرة، وعلى ذلك هزَمَ جيشُ جلالته أولئك الأجانب، دون أن يفلت واحد من رجالهم جميعًا، وذلك حسب أمر جلالته، عدا واحد من أبناء «كوش» الخاسئة سيق حيًّا أسيرًا، ومعه أهله إلى حيث كان جلالته، ووُضِعوا تحت نعل الإله الطيب، ثم ظهر جلالته على العرش المدرج، عندما جيء بالأسرى الذين ساقهم جيش جلالته، ومن ثَمَّ أصبحت هذه الأرض تابعةً لجلالته، كما كانت من قبلُ؛ وعندئذٍ هلَّل المدنيون المصريون، وفرح رجال الجيش، وابتهلوا بالدعاء لرب الأرضين، ومجدوا هذا الإله الممتاز بما تستحقه إلهيته، وقد وقع ذلك لما لجلالته من الشهرة؛ وذلك لأن والده آمون يحبه أكثر ممَّا أحب أيَّ ملكٍ آخَر منذ أن وُجِدت هذه الأرض، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «تحتمس الثاني» الذي وهب الحياة والثبات والسعادة مثل رع مخلدًا.

أهمية هذه النقوش

وهذه النقوش في الواقع تكشف لنا عن حقائق عدة:

أولًا: يظهر أن أهل بلاد «كوش» كانوا يعلمون بأنه كان يوجد خلاف على تولية العرش، وأنهم قد انتهزوا هذه الفرصة وأعلنوا العصيان، وقد ظنَّ الأستاذ «زيته» أن «حتشبسوت» التي خلعها هذا الملك من العرش، هي التي أرسلت الجنود الأسرى لمساعدة الثورة على الملك «تحتمس» الثاني،[٣] وذلك عندما يقول المتن: «وأرسل الأسرى للمساعدة.» ورأى «زيته» أن هذا يحبذ الفكرة القائلة إن «حتشبسوت» تولَّتِ الملك أولًا، ثم خُلِعت منه كما سيجيء تفصيل ذلك.

ثانيًا: نعلم أن الفرعون والده «تحتمس الأول» كان قد أقام حصنًا عند الشلال الثالث، وأن البلاد على ما يظهر كانت قد قُسِّمت خمسةَ أقسام تحت إدارة خمسة من أولاد الأمراء، هرب منهم اثنان وأصبح مكانهما خاليًا، ولا يبعد أن هذا التقسيم قد حدث في عهد «تحتمس» الأول. وتدل شواهد الأحوال على أن الملك لم يرافق هذه الحملة، بل يُحتمل أن الفرعون قد قابَلَ الحملة في عودتها عند الشلال الأول، والظاهر أنها قد قطعت المسافة ذهابًا وإيابًا في مدة خمسة أسابيع، وبخاصة أن الفيضان قد جعل المرور في الشلال أمرًا يسيرًا؛ ولا يبعد أنه قد جمع حاشيته في «أسوان»، حيث قابَلَ هناك رجالَ جيشه يسوقون إليه الأسرى، ومما يذكر بهذه المناسبة أن الملك «مر نرع» أحد ملوك الأسرة السادسة قد عقد مجلسًا لحاشيته في صحراء أسوان منذ ألف سنة مضت، وربما كان ذلك الحادث سُنَّة اتَّبَعَها الفراعنة من بعده. ومما يُلاحَظ في نقوش هذه اللوحة أيضًا أن الفرعون أعلن في بداية كلامه أنه كان صاحب شهرة عظيمة، وخوفه منتشر في الأرض، وهيبته في أقاليم بحر «إيجة» … إلخ؛ مما يدل على أنه كان يريد أن يسير على نهج والده الذي سلَّمه إرث ذلك الملك الواسع، ولكنه على ما يظهر كان ضعيف الأخلاق سهل القياد، ممَّا جعل زوجه «حتشبسوت» تجعله طوع بنانها؛ إذ لم يمضِ طويل زمن حتى جعلَتْه يأتمر بأمرها، وأصبحت هي صاحبة الحل والعقد في البلاد.

[٣] راجع: Urkunden IV, p. 139, and translation, p. 68.

النقوش الأخرى التي تشير إلى حروبه في السودان وسوريا

وقد عُثِر على اسم هذا الفرعون على قِطَع من الحجر في جبل بركال عند الشلال الرابع؛ ممَّا يُشعِر بأن فتوح مصر قد امتدَّتْ إلى هذه النقطة في عهده،[٤] وكذلك وجد «نافيل» نقوشًا مهشمة جدًّا من عهد هذا الفرعون في الدير البحري، يظهر أنها تُنسَب إلى حملة قام بها «تحتمس» الثاني إلى سوريا، غير أنها مهشمة جدًّا، وغير مرتبط بعضها ببعض، مما جعلنا نعرض عن إثباتها هنا.[٥] وذكر لنا «أحمس بننخبت» حربًا أشعل نارها هذا الفرعون على البدو (شاسو) الذين يعيشون على الحدود السورية، فيقول: وتبعت الملك «عا خبرن رع» (تحتمس الثاني)، وأسرت في أرض «الشاسو» عددًا عظيمًا من الأسرى الأحياء لم أعدهم.[٦]

وفي واحة الفرافرة التي تقع على بُعْد ٢٠٠ ميل غربي أسيوط، يوجد نقش ذُكِر فيه اسم «تحتمس الثاني» يُشعِر بأن هذا الفرعون قد أخضع القبائل اللوبية التي تسكن في هذه الواحة والواحات الأخرى الواقعة في الصحراء الغربية.

والظاهر ممَّا وصَلَنا حتى الآن من الآثار أن «تحتمس» الثاني لم يَقُمْ بأية حروب أخرى غير التي أشرنا إليها.

(٦) مباني تحتمس الثاني

وقد قام بأعمال التعمير والمباني التي تركها والده من غير أن تتمَّ في معبد «الكرنك»، بل يُحتمَل أنه نحت تماثيل لنفسه وأقامها هناك، ومن المدهش أنه لم ينحت اسمه على المسلة الثانية التي تركها والده خاليةً من النقش، بعد أن أحضرها إلى «الكرنك»، وقد يُعزَى ذلك لعدة أسباب:

أولًا: أن هذه المسلة ربما لم تنصب عدة سنين؛ وذلك لأن المباني الأخرى التي كانت قائمة على قدم وساق في هذا المعبد، قد حتمت تأخير نصبها في مكانها مؤقتًا، وبخاصة أن ذلك كان يحتاج إلى مجهود جبَّار.

---

[٤] راجع: Wilikinson, “Thebes”, p. 472.

[٥] راجع: (Naville, “Dier el-Bahari”, Vol. III, p. 80).

[٦] راجع: Urkunden IV. p. 43.

ثانيًا: إن الجفاء الذي كان بين الملك وبين «حتشبسوت» قد يكون حائلًا في انتحالها لنفسه، وبخاصة أن الملكة كانت متفانيةً في حب والدها وآثاره كما سنرى بعدُ.

وثالثًا: يُحتمَل أن المسلة كانت تُعَدُّ في نظر الملوك أثرًا يقام بمناسبة العيد الثلاثيني، وأن «تحتمس الثاني» لم يحتفل لنفسه بأي عيد من هذا النوع؛ لأنه لم يكن قد أتمَّ مدةَ الثلاثين سنة اللازمة للاحتفال بهذا العيد؛ لأنه لم يحكم أكثر من عشرين سنة، ولم يُعترَف به ولي عهدٍ من قبل للملك قبل توليته العرش؛ ولذلك فإنه لم يقطع مسلات لنفسه، ولم ينتحل المسلة الثانية التي أحضرها والده من «أسوان»، بل نصبها «تحتمس الثالث»، وانتحلها لنفسه في عيده الثلاثيني، وهذا ما يظن أنه قد حدث.[٧]

وقد بدأ «تحتمس» الثاني إقامة «البوابة» الثامنة، وكتب جزءًا من نقوش المدخل، وكذلك نحت لنفسه تمثالين نصبَا أمام هذه البوابة، هذا بالإضافة إلى أن عددًا من حجرات هذا المعبد قد تَمَّ نقشها في عهده.[٨]

وفي مدينة «هابو» تدل النقوش على أن هذا الفرعون قد أضاف بعض المباني للمعبد الذي أقامه في الأصل «أحمس» الأول، وانتحله لنفسه فيما بعدُ «تحتمس» الأول، وفي معبد الأمير «وازمس» في طيبة عُثِر على قطع من تمثالٍ كُتِب عليه السنة الثامنة عشرة من حكم تحتمس الثاني (A. S., I. p. 99)، وهذا التاريخ غاية في الأهمية؛ لأنه يبرهن لنا على أن ما قاله «مانيتون»، من أن هذا الملك حكم عشرين عامًا يقرب من الحقيقة.

والظاهر أنه أقام بعض المباني في «إسنا»؛ إذ وُجِد عمودان هناك نُقِش عليهما اسمه، واحد منهما عليه ألقاب واسم الابن المحبوب من الإلهة «ساتت»،[٩] أما الثاني فقد اغتصبه لنفسه «رعمسيس» الثاني، وهو جزء من مسلة، وقد ذكر عليه الإلهين «تننت»، «ومنتو».[١٠] ومن المحتمل أن هذين العمودين قد نُقِلَا من معابد «طود» المقابلة «لإسنا» على الضفة الثانية للنيل؛ وذلك لأن اسمها ذُكِر على كلٍّ منهما.

---

[٧] راجع: Weigall, "History," II. p. 286.

[٨] راجع: Petrie, "History," II. p. 76.

[٩] راجع: Pierret, "Rec. d'Inscription," p. 3.

[١٠] راجع: Ibid. II. p. 43.

آثار في معبد قمة: وقد ترك لنا على معبد قلعة «قمة» نقوشًا على بابه، قام بتدوينها حاكم السودان «سني» الملقَّب بابن الملك، والظاهر أنه وضع اسمه بدلًا من اسم والده، وهاك النص:

> **على المصراع الأيسر:** دوَّنها بتعطُّف الملك عمدة المدينة الجنوبية، والمشرف على مخازن غلال «آمون» وابن الملك، ومدير البلاد الجنوبية «سني»، والذي يسيطر على كل بلاد المازوي؛ لأنه كان رجلًا ممتازًا في قلب جلالة ملك الأرضين، له الحياة والسعادة والصحة.
>
> **على المصراع الأيمن:** التعبُّد للإله «ختوم» وتقبيل الأرض أمام … ضرب حتى عنان السماء، وحتى عرض الأرض، وحتى قرار البحر، على يد ابن الملك المشرف على البلاد الجنوبية «سني»، يقول: الحمد لك هكذا لك آلهة الأفق، ويتضرع لك حاكم النجوم، ويرفع من شأنك تاسوع الفيضان العظيم (الفيضان العظيم هو المحيط في صورة بقرة)، كلَّ يوم أبد الآبدين (راجع: Urkunden IV. p. 141. ff).

وفي «سمنة» نجد اسم «تحتمس» الثاني مع والده في نقشٍ مدوَّن فيه قائمة عطايا للإله «آمون» على الجدار الأمامي للمعبد (راجع: L. D, III. Pl. 47c). ووجد له لوحة يُحتمَل أنها من معبد «هليوبوليس»، نقش عليها ألقابه (Urkunden IV, p. 144). وتوجد عدة آثار أخرى مختلفة ذُكِر عليها اسمه، منها لوحة لشخص يُدعَى «باخن» يقدِّم قربانًا لهذا الملك، وهي محفوظة في متحف تورين،[١١] كما نجد اسمه في النقش الذي خلفه «بنعاتي» مدير الأشغال على صخور شط الرجال (راجع: Petrie, “Season” p. 476). وقد نحت «تحتمس» الثاني تمثالًا لوالده «تحتمس» الأول، وهو محفوظ الآن بمتحف «تورين»، وقد جاء عليه: «الإله الطيب رب الأرضين «عا خبرن رع» محبوب «آمون» معطي الحياة مخلدًا، صنعه (التمثال) بمثابة أثر لوالده «تحتمس» المشرق مثل الشمس المرحوم.»[١٢] وكذلك أهدى لوالدته تمثالًا كشف عنه في معبد الأمير «وازمس» أحد أولاد تحتمس الأول.

---

[١١] راجع: Lanzone, “Catalogo Generaie dei Musei di Antichità Regio Musco di Torino”, 1458.

[١٢] راجع: Urkunden IV, p. 143.

وقد نُقِش عليه ما يأتي: «الإله الطيب رب الأرضين «عا خبرن رع»، صنعه بمثابة أثر لوالدته الزوجة الملكية، ووالدة الملك المرحومة «موت نفرت».» هذا وقد أُقِيم في عهده معبد في «بوهن» (وادي حلفة)، وقد ظهر هذا الملك على جدرانه هو و«حتشبسوت» في مرتبة واحدة من الأهمية.[١٣] وفي عهد هذا الفرعون بدأ يظهر في أفق الحكومة المصرية «نب آمون» الذي كان يُلقَّب الأمير، والحاكم اليَقِظ الذي لا يعرف الملل، مدير قاعة الفرعون (أي: إدارة الموظفين) المرحوم «نب آمون»، وقد كان له مكانة عظيمة في عهد تحتمس الثالث.

(٧) تحسُّن الأحوال بين تحتمس الثاني وحتشبسوت في أواخر أيامه

والظاهر أن الجفاء الذي كان بين «حتشبسوت» وتحتمس الثاني أخذت تقل حدته، وحلَّ محله بعض الود والمهادنة، وبخاصة في أواخر أيام هذا الفرعون الذي كان يمتاز بضعف البنية، وخور الإرادة، ولا نعلم سببًا لهذا الجفاء إلا ادِّعاء «حتشبسوت» أنها هي الوارثة الشرعية للملك، وأن أخاها دخيل على العرش. والظاهر أن سبب هذا الود والصفاء الذي ظهرت بوادره بينهما أن «حتشبسوت» لم تكن قد أنجبَتْ بعدُ ولدًا ليكون وارثًا لعرش البلاد، ولم تكن رُزِقت من «تحتمس» الثاني إلا ابنة واحدة، وهي الأميرة «نفرو رع» التي وضعتها في أول عهد هذا الفرعون؛ ولذلك أُعِيدت أواصر الزوجية بينه وبينها رجاء أن تُنجِب ولدًا يتولَّى عرش مصر، ولكن الأقدار جاءت على عكس ما أرادت، ووضعت أنثى سمَّتْها «مريت رع حتشبسوت». ومن الغريب أن الآثار لم تحدِّثنا عنها قطُّ في أول الأمر، وبذلك ضاعت آخِر فرصة على «حتشبسوت» الطموحة في إبقاء الحكم في يد ابنٍ لها.

(٨) تحتمس الثالث والعقبة في تولية الملك

وكان الملك «تحتمس» الثاني بلا شك قد أنجب أولادًا آخَرين من زوجات أخريات، ولكن من بين هؤلاء كان له ولد يُدعَى باسمه وكان بارزًا، وهو الذي تسمَّى فيما بعدُ «تحتمس الثالث»، وهو من إحدى زوجات الفرعون الثانويات، ولم يكن الدم الملكي يجري في

[١٣] راجع: Maciver & Woolley, “Buhen”, p. 11.

عروقها، وكانت تُسمَّى «إزيس»، وتدل ظواهر الأحوال وما وصل إلينا من النقوش التي ترجع إلى عهد «تحتمس الثالث» أن والده قد نصبه ملكًا على البلاد على الرغم من صغر سنه، على أن يتزوج من أخته «نفرو رع» عندما يبلغ الحلم، ومن ثَمَّ حانت الفرصة «لحتشبسوت» أن تضرب ضربتها السياسية الهائلة التي كانت نتيجتها أن تولَّتْ حكمَ البلاد بوصفها وصيةً على «تحتمس» الثالث، وابنتها «نفرو رع»، وبعد ذلك نفَّذَتْ ما كانت تصبو إليه نفسها، فأعلنت نفسها ملكةً شرعيةً على البلاد.

(٩) الموظفون في عهد تحتمس الثاني والحياة الاجتماعية

نب آمون

كان «نب آمون» بن «تتي رس» من أشهر الموظفين الذين عاشوا في النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة؛ إذ قد بدأ حياته الحكومية في عهد «تحتمس الثاني»، واستطاع أن يمر بالعاصفة التي هبَّتْ بين «حتشبسوت» و«تحتمس الثالث»، وبقي يعمل في خدمة الأخير. وقد كان في أول الأمر يُلقَّب: الأمير الوراثي، والحاكم، والمدير اليَقِظ الذي لا يكل، ومدير ديوان الفرعون؛ وذلك في عهد «تحتمس» الثاني.

أما في عهد «تحتمس» الثالث فكان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، والحاكم، ومدير بيت الزوجة الملكية «نبتو» المرحومة، وكذلك نجده يُلقَّب: المدير اليَقِظ الذي لا عيبَ فيه، ومدير السفينة الملكية (وفي رواية أخرى السفن الملكية)، ومدير المطابخ، وأخيرًا المحفوظ عند رب الأرضين، الممدوح من الإله الطيب (أي: الملك). وقبره في جبانة «ذراع أبو النجا»، وقد ترك لنا فيه لوحة ذكر فيها صيغة القربان الذي يطلب أن تُقرَأ له، ثم تكلَّمَ عن مصيره بعد الموت وتاريخ حياته الحكومية، وأخيرًا قدَّمَ رجاءً للقارئ في هذه اللوحة، وسنورد ترجمتها لأهميتها وهي:

> قربان[١٤] يقدِّمه الملك «لآمون رع» الذي خلق كل كائن، ملك الأبدية والملك حاكم «تاسوع الآلهة»، وللإله «أوزير خنتي أمنتي» (أول أهل الغرب)، وللإله «أنوبيس» رب «روستاو»، ولآلهة الأزمان الأولى الذين برءوا السماء والأرض

---

[١٤] راجع (Urk. IV. p. 145. ff).

والأرض العالية (الجبانة)، أرباب الطيبات والمأكولات، والغذاء والقربان … لأجل أن تبقى مائدة القربان حافلة بكل شيء طيب وطاهر بما ينزل من السماء، وينبته النيل على ظهور الحقول من شراب ونبات …

حديث عن مصير المتوفى بعد الموت: إنه يتخذ مكانته في التابوت، ويُدفَن على الأرض في القبر الصحراوي في الغرب، ويمكث صحيحًا فيه على الأرض دائمًا مخلدًا، الأمير الوراثي والحاكم الممدوح من الفرعون «نب آمون» المرحوم الذي أنجبه «تتي رس» المرحوم، والذي وضعته سيدة البيت «إبو» المرحومة، ولأجل أن يصبح روحًا حيًّا. ليت الخبز والماء والهواء تصل إليه، ويتحوَّل إلى صورة بجعة أو حمامة … إنك تتسلم خبزًا مما يخرج أمام «أوزير»، وقربانَ ربِّ الأرض العالية لأجل حضرة مدير بيت الزوجة الملكية «نبتو» … وتذهب للنزهة معهم، وتتنعم مع أتباع «حور» وتطلع وتنزل، ولا أحد يعترضك، ولا أحد يمنعك عند باب العالم السفلي … والمزالج تنفرج لك من نفسها، وأنت تصل إلى قاعة العدالتين، والإله الذي فيها يرحب بك ويجعلك تنزل في داخل العالم السفلي … وقلبك مبتهج بحرثك أراضيك، وحقول الغاب (يارو) وحاجياتك توجد مما عملته، ويأتي إليك المحصول بكثرة، ويؤذن لك بالخروج نهارًا والعودة ليلًا إلى قبرك، وتقاد لك عين «حور» هناك (أي: المصباح) إلى أن تضيء الشمس على جسمك … كما كانت حالتك على الأرض، وترى «رع» في أفق السماء، وتشاهد «آمون» … تخترق الأبدية بصحة في حظوة الإله الذي فيك، وقد عُملت لك عيناك لتبصر بهما، وأذناك لتسمع ما يقال، وفمك لتتكلم … ولحمك صلب (أي: لم يتعفن في القبر) وعروقك جيدة، وأنت تتمتع بكل أعضائك، ويُوضَع لك الخبز والماء على الموائد كل عيد … ومَن يقدِّم لك قربانًا بعد يوم الدفن سيُعطَى الحقول والماشية، ويُنعش بالماء ويُمنَح العبيد والإماء، ليسرَّ قلبه عندما يقدِّم لي الماء … ويقول ابنه ويتوارث حفدته هذا القول (لأنه لم يتحوَّل عن سيده): إن روحي تحيا وتصير نفسي قدسية، ويصبح اسمي معظمًا في فم الناس، وأطلع مع الشمس في وقت واحد، وسأحرق البخور في المعابد، وسأتبع إلهي الذي في

بلدتي[١٥] إلى «زسرو» (الدير البحري) إلى الأفق الغربي، وسيخرج الناس إليَّ بطاقة[١٦] زهر هذا الإله عندما يغيب في أفقه.

ترجمة حياة «نب آمون»: لقد منحني سيدي ملك الوجه القبلي والوجه البحري «تحتمس الثاني» المرحوم حظوات، فنصبني «مدير إدارة الفرعون»، وقد منحني سيدي ملك الوجه القبلي «تحتمس الثالث» معطي الحياة حظوة؛ إذ رفعني أكثر مما كنتُ من قبلُ، فنصبني مدير بيت الزوجة الملكية «نبتو» المرحومة. وقد منحني سيدي ملك الوجه القبلي والبحري «تحتمس الثالث» معطي الحياة فضلًا، فقد عينني «مدير كل سفن الفرعون»، ولم يعمل ما يشقيني، ولا يوجد اسم ضدي، ولم أقترف غلطة مع زميلي، ولقد وصلت إلى (سن) التبجيل؛ لأني كنت ممدوحًا عند الفرعون.

المتوفى يطلب إلى قارئ اللوحة أن يقول صيغة القربان له: اسمعوا أنتم يا مَن في الوجود، إن ما قلته ليس فيه كذب، وأنتم يا أيها الأحياء، يا مَن في الوجود، وأنتم يا أيها العظماء، ويا أيها الرجال الذين على الأرض، وأنتم يا أيها الكهنة المطهرون، ويا أيها المرتلون، ورجال مجلس عدالة «الكرنك»، وكل الكتَّاب الذي يمسكون بألواح كتابتهم، والماهرون في كلام الإله، إن «رع» رب الخلد سيمدحكم، و«آمون» الذي كان في الأرضين منذ الأزل سيغني أولادكم عندما تقولون: قربانًا يقدِّمه الفرعون من الخبز وألفًا من الجعة، ومائة ألف من كل شيء طيِّب وطاهر ممَّا يعيش منه الإله لروح مدير بيت زوج الفرعون المسمَّى «نب آمون» المرحوم، بالقرب من الإله العظيم حاكم الأبدية.

مضمون هذه اللوحة: ومن كل ما جاء على لوحة «نب آمون» نستطيع أن نكوِّن فكرةً واضحة عن عقائد القوم في هذه الفترة، وما كان للإله «آمون» من مكانة، واعتقاد القوم في إمكان رجوعهم إلى عالم الدنيا بأجسامهم الأصلية؛ ولذلك كان المتوفى يعمل كلَّ ما

[١٥] كان لكل بلدة إله محلي يتعبَّد القوم إليه ويحترمونه، ولعل المشايخ التي لها أضرحة في القرى والبلدان المصرية الآن صدًى لذلك.

[١٦] ومن ذلك نعلم أن وضع طاقات الأزهار على القبور كانت عادة مصرية ترجع إلى آلاف السنين، ونجد الطاقات موضوعةً بمثابة قربان منذ عهد الدولة القديمة، كما نشاهد ذلك في مقبرة «دوا كا» بالجيزة.

في قدرته ليجعل كلَّ أجزاء جسمه سليمة معفاة؛ حتى يمكنه أن يخرج من القبر في خلال النهار ويعود إليه ليلًا، وكان كذلك يمقت الظلمة؛ ولذلك كانت تضاء له عين «حور»، وهي هنا تعبِّر عن مصباح، ولكنها في الواقع تعبِّر عن كل شيء طيِّب في الحياة الآخرة. وكذلك نشاهد في النص أن المتوفى لا بد أن يُحاسَب على أعماله في الحياة الدنيا، ويقف أمام «أوزير» رب الآخرة، وهناك تُفحَص كلُّ أعماله؛ ولذلك نجد المتوفى لم يعترف بأي خطيئة ارتكبها مع زميل له، وليس له شيء من الآثام، وأخيرًا نجده يطلب من كل مارٍّ على قبره أن يقرأ له صيغة القربان التي كان يعتقد أنها تنقلب إلى حقيقتها المادية بعد تلاوتها بالألفاظ، ويُلحظ أنه يُغرِي المارة بأن كلَّ مَن يقرؤها سيناله خير كثير؛ وبخاصة لأن الآلهة «سيمدحونه» ويكيلون له الثراء والغنى، وأن أبناءه سيرثونه من بعده.

ومن المناظر التي تلفت النظر في قبر هذا الموظف، منظرُ تسلُّمِ «نب آمون» وزوجه جزيةَ الوجه البحري، من خادمات (راجع: Urk. IV. p. 153. ff)، ولا بد أن تكون هذه الجزية هي ما كان يُجبَى من خراج من أرض الملك الخاصة؛ لأن «نب آمون» كان مدير بيته.

خع أم واست

كان «خع أم واست» من أبناء الجندي العظيم «أحمس بننخبت» الذين شاهدناهم ممثَّلين على جدران قبره «بالكاب»، حيث كان يحمل لقب «ابن الملك» الأول في «نخب»، ثم ألقابًا أخرى مهشمة، وأخيرًا لقب «كاهن الروح» لملك الوجه القبلي والوجه البحري «أمنحتب الأول» (راجع: L. D. III. Pl. 43b). ومما هو جدير بالملاحظة أن لقب خادم الروح (كا) كان خاصًّا بالأفراد في عهد الدولة القديمة، وكان في الاستطاعة أن يكون للفرد أكثر من خادم واحد من هذا الصنف، وفي عهد الدولة الوسطى أصبح لكلِّ فردٍ خادمٌ واحدٌ على وجه عام، أما الملوك فكان لهم كهنة يُطلَق على الواحد منهم لفظة «حم نتر» (خادم الإله)، وكان هذا الكاهن لا يخدم إلا الملك والإله فحسب، وفي عهد الدولة الحديثة نرى أن خادم الروح (كا) كان يقوم بخدمة الملوك، كما كان يقوم بخدمة الأفراد، ولعل السبب في ذلك يُعزَى إلى الانقلاب الذي حدث في العهد الإقطاعي، والمساواة الدينية المطلقة التي نشأت في هذا العهد.

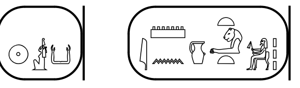
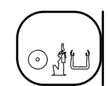
تحوتي نفر

وكان يُلقَّب «الكاتب حاسب الغلال»، ويُشاهَد في رسوم مقبرة «باحري» الكائنة بالكاب وهو يؤدي واجباته تحت إشراف هذا الرجل العظيم، وهو الذي نشاهده جالسًا على كومة القمح مسجلًا المقادير التي كانت تُخزَّن في المخازن. وفي مقبرة والده «سن رس» عمدة «طيبة» (شيخ عبد القرنة رقم (٣١٧)) كان يُلقَّب «الكاتب حاسب الغلال» في مخازن قربان «آمون» المقدسة (راجع: Porter and Moss, “Bibliography”, Vol. I. p. 171).

إبو

وهي المرضعة العظيمة التي ربَّتِ الإله «تحتمس الثالث»، وقد تزوج «تحتمس الثالث» من ابنتها «سات أعح» وكانت أخته من الرضاعة؛ ولذلك أصبحت تُلقَّب زوج الملك العظيمة «سات أعح»، وهذا يدل دلالة واضحة على المكانة السامية التي كانت تحتلها مربيات الفراعنة في هذا العهد (Urk. IV. p. 604).

حتشبسوت وتحتمس الثالث

مقدمة: تعقُّد الأمور بعد وفاة تحتمس الثاني بسبب وراثة العرش

لما ارتاح الملك «تحتمس الأول» من الحياة الدنيا وصعد إلى السماء، بعد أن أتمَّ سني حياته بقلب فَرِح — كما ينص التعبير المصري على لسان مدير أعماله «إنني» — كان الشيب قد خضب لحيته وذهب بشعر رأسه، ولا بد أنه قد مات محزونًا كسير القلب؛ إذ قد وارى التراب ثلاثة من أنجاله الذكور في حياته، أكبرهم «وازمس»، وقد توفي في أول حكمه، ثم لحق به أخوه «أمنمس» الذي كان قائدًا للجيش وولي عهده، وأخيرًا ابنة تُدعَى «نفرو بتي»، وهي ابنة زوجه الشرعية المسمَّاة الزوجة الملكية العظيمة «أحمس حنت تامحو» أكبر بنات سلفه «أمنحتب» الأول كما يدَّعِي بعض المؤرخين، وبنت أحمس الأول على أشهر الأقوال كما سنبرهن على ذلك بعدُ، وقد عاشت «أحمس» هذه بعد وفاة زوجها «تحتمس الأول»، وكذلك بقي لها بنت على قيد الحياة تُدعَى «حتشبسوت»؛ ولكن تحتمس كان له ابن آخَر من زوجةٍ تُدعَى «موت نفرت»؛ وقد كان الموقف إذن معقدًا كما سبق شرحه، فقد كان الوارث الحقيقي في مثل هذه الأحوال أكبر ابن شرعي خلفه الفرعون، ولكنه كان في هذه الظروف ابنة لا ابنًا وهي «حتشبسوت»؛ ومهام الملك كان لا بد أن يتولَّاها رجل.

وقد كان الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق أن يتزوَّج «تحتمس» ابن الملكة «موت نفرت» من أخته «حتشبسوت»، وبذلك يُتوَّج ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وقد كان هذا الزواج غير مُوفَّق، ولما توفي هذا الفرعون أصبح الموقف أشد تعقيدًا؛ إذ قد تكررت



شكل ١: الملكة حتشبسوت.

نفس المأساة ولم تُرزَق «حتشبسوت» من «تحتمس» الثاني إلا بنتين كبراهما تُسمَّى «نفرو رع»، والصغرى تُدعَى «مريت رع حتشبسوت»، وتوفي بعدها هذا الفرعون دون أن يعقب وارثًا شرعيًّا ذكرًا للعرش؛ وبذلك وجدت «حتشبسوت» نفسها بعد ذلك أمًّا لوارثة العرش، ورئيسة البيت المالك التي لا ينازعها منازع، وكانت لا تزال في مقتبل العمر وريعان الشباب، وقد وقع على عاتقها مسألة وراثة الملك في نفس الصورة التي وجدت فيها البلاد بعد وفاة والدها «تحتمس» الأول.

والواقع أن الموقف كان حرجًا، ولا بد من الخروج منه بصورة ترضيها وترضي الشعب المصري، وتدل شواهد الأحوال على أن «تحتمس» الثاني كان ميَّالًا إلى أن يخلفه ابنه «تحتمس» الذي أنجبه من إحدى زوجاته غير الشرعيات المسمَّاة «إزيس»، وقد كان «تحتمس» هذا لا يزال في طفولته لم يبلغ الحادية عشرة وقت وفاة والده؛ والظاهر أن والده كان قد وكَّلَ أمره إلى كهنة مبعد الإله «آمون» لتربيته تربية دينية، غير أنه لم يكن قد أصبح كاهنًا بعدُ، وقد كان تحتمس هذا هو الذي انتُخِب ليكون وارثًا لعرش الملك مع أخته «نفرو رع»، وتحدِّثنا الآثار أن «تحتمس» الثاني هو الذي اختاره وارثًا له كما سيقصه علينا «تحتمس» الثالث نفسه فيما بعدُ على آثاره، والظاهر أن هذا الملك الفتي كان متفانيًا في حب والده، فكان يمقت «حتشبسوت» التي كانت تتجاهل والده مدة حياته، واتخذت من اعتلال صحته فرصة للسيطرة على شئون البلاد، وقد كان لها هي من جهة

أخرى حزب يشدُّ أزرها من أشراف البلاد وعظمائها طول عهد زوجها «تحتمس» الثاني، ولم ينفض عنها هذا الحزب بعد موته، بل أخذ يقوي حجتها في تولِّي الملك، غير أنه على ما يظهر لم يكن في مقدورها هي وحزبها أن يمنعوا تتويج الملك تحتمس الثالث؛ لأن حكم النساء كان غير مرغوب فيه.

(١) تحتمس الثالث يتولَّى عرش الملك

وتولَّى «تحتمس» الثالث عرشَ الملك، غير أن الوصاية بحكم التقاليد والشرع كانت لا بد أن تبقى في يد الملكة «حتشبسوت»، ما دام «تحتمس» وزوجه «نفرو رع» لم يبلغَا الحلم، ولم يكن في ذلك ما يدعو إلى الغرابة، وقد حدَّثنا عن ذلك مهندس البناء «إنني» في تاريخ حياته؛ إذ يقول في صراحةٍ: «ثم صعد «تحتمس» الثاني إلى السماء واختلط بالآلهة، ونصب في مكانه ابنه «تحتمس» الثالث ملكًا على الأرضين، وقد صار حاكمًا (تحتمس الثالث) على عرش مَن أنجبه، ولكن أخته (أخت تحتمس الثاني) الزوجة الملكية «حتشبسوت» كانت هي التي تدير شئون الأرضين حسب آرائها هي، وقد كانت مصر تعمل مطأطئة الرأس لها وهي صاحبة الأمر، وهي بذرة الإله الممتازة التي خرجت منه، وأمراس سفينة الوجه القبلي، ومرسى أهل الجنوب، والأمراس الممتازة لمؤخرة سفينة الوجه البحري، وهي سيدة الأمر، وآراؤها متفوقة، وكلتا الأرضين تطمئن عندما تتحدث، وقد جعلني عظيمًا، وملأ بيتي فضة وذهبًا، وكل الأشياء الجميلة الأخرى التي في بيت الملك دون أن أقول: إني في حاجة إلى شيء.»[١]

وهذا الوصف الرائع يقفنا على جلية الأمر؛ إذ لا بد أن تسير الأمور على هذه الحالة، ولم يكن لأي إنسان ممَّن كانوا ينظرون إلى الموقف من جهته القانونية أن يبدي أي اعتراض، وبخاصة إذا علمنا أن التأريخ كان بسني حكم «تحتمس» الثالث، وقد اتخذ لنفسه الألقاب الملكية الآتية عند اعتلائه عرش الملك، وهي التي يقول عنها في نقوشه فيما بعدُ: إن الإله «آمون» هو الذي اختارها[٢] له، (١) فاسمه الحوري = الثور القوي المتوَّج في طيبة، أو الثور القوي الذي ينعم في الصدق، أو الثور القوي محبوب إله الشمس.

---

[١] راجع: Urkunden IV. p. 61 ff.

[٢] راجع: Breasted, A. R. II, § 143.

(٢) ولقبه سيد العقاب والصل = باقٍ في الملك مثل إله الشمس في السماء، ومع هذا اللقب كان كذلك يُلقَّب: جاعل الصدق يضيء، محبوب الأرضين، عظيم القوة في كل الممالك. (٣) ولقبه حور الذهبي = عظيم القوة، متفوق في المظاهر، عظيم الشجاعة، ضارب شعوب الأقواس التسعة. (٤) ولقبه ملك الوجه القبلي والبحري = مثبت وجود إله الشمس. (٥) ولقبه ابن الشمس = «تحتمس»، وكان يضاف إليه أحيانًا الواحد الطيب صاحب الوجود، والواحد الطيب صاحب المظاهر، أمير الصدق، وأمير طيبة، وأمير عين شمس … إلخ.

(٢) ألقاب حتشبسوت قبل تولي الملك

أما «حتشبسوت» فقد كانت تُلقَّب الزوجة الإلهية، والزوجة الملكية العظيمة، وقد ظهرت في النقوش في بادئ حكمه مرسومة خلفه كما كانت والدتها تظهر خلف «تحتمس الثاني». ومما هو جدير بالملاحظة هنا حتى في قبرها الذي أقامته لنفسها حوالي هذا الوقت، أنها لم تتعدَّ أطماعها غير ما سمحت به التقاليد من الألقاب؛ إذ نجد أنها كانت تُلقَّب على تابوتها الأميرة العظيمة التي أُحِبَّتْ لرشاقتها، وسيدة كل الأراضي، والابنة الملكية، والأخت الملكية، والزوجة الملكية العظيمة، وسيدة الأرضين «حتشبسوت»، وقد اعترف بمكانتها بعض كبار رجال الدولة الذين كانوا معاصرين لها ممَّن خدموا البيت المالك منذ أن أسَّسه «أحمس» الأول، ولم يألوا جهدًا في إظهار شعورهم نحوها.

ونخص بالذكر منهم «أحمس نبتخبت» الذي مرَّ ذكره؛ إذ يقول: إن «حتشبسوت» قد أغدقت على الإنعام مرارًا، وقد كنت مربيًا لكبرى بناتها الأميرة «نفرو رع»، وهي لا تزال طفلة تُحمَل على اليدين. وكذلك كتب «إنني» بحماس: «إن جلالتها كانت تحبني، ولحظت قيمتي في البلاط، وملأت بيتي بالفضة والذهب وكل الأشياء الجميلة من البيت الفرعوني.» وكذلك نشاهد أن «توري» حاكم السودان نائب الملك، و«بنياتي» كان لا يزال موكلًا إليه قطع الأحجار في جبل «سلسلة»، وقد بقي «تحتمس» الثالث مدة سبع السنين الأولى بعد تتويجه على ما يظهر هو الحاكم للبلاد، ولم تحاول «حتشبسوت» أن تعلن نفسها ملكة على البلاد، وكل ما لدينا من الآثار يؤكِّد لنا ذلك، غير أنه ممَّا لا شكَّ فيه

أن مقاليد الحكم كانت في يدها فعلًا؛ فمثلًا نجد في «سمنة» في بلاد النوبة نقشًا[٣] مؤرَّخًا بالسنة الثانية، اليوم السابع من الشهر الثاني من الفصل الثالث، وفي هذا النقش ذُكِرت كل ألقابه، وقد أمر فيه بإقامة معبد وتجديد القربان للآلهة، وهي التي كان قد أسَّسها «سنوسرت» الثالث في عهد الأسرة الثانية عشرة. وقد ذكر لنا «تحتمس» أنه وجد في «سمنة» معبدًا مقامًا من اللبن، ولكنه أقام مكانه معبدًا بُنِي بالحجر الجيري الأبيض، وأهداه إلى الإله «ددون» إله بلاد النوبة، وكذلك إلى روح الملك «سنوسرت الثالث» مؤسِّس هذا المعبد، هذا إلى أنه قرَّر أن العيد المعروف «بهزيمة القبائل» الذي أسَّسه هذا الفرعون، لا بد أن يخلد وأن يكون تاريخ الاحتفال به في اليوم الواحد والعشرين من الشهر الرابع من الفصل الثاني، ثم يتحدَّث إلينا «تحتمس» الثالث عن عيد آخَر يحتفل به في الشهر الأول من الفصل الثالث، ويُحتمَل أن هذا هو عيد تتويج الفرعون. وأخيرًا يذكر لنا عيدًا ثالثًا يُعرَف بعيد «غل المتوحشين»، وهو العيد الذي أسَّسه «سنوسرت» الثالث تكريمًا لزوجه «مرسجر»، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعدُ.

وفي متحف «تورين» توجد بردية (رقم ١)، يذكر فيها كاتب يُدعَى «وسرمان» أنه خدم التاج ثلاث سنوات، وقد أرَّخ الورقة بالسنة الخامسة من حكم تحتمس الثالث، ولم يذكر اسم الملكة «حتشبسوت»، ممَّا يدل على أنه بعد توليته بخمس سنوات لم تعلن «حتشبسوت» نفسها ملكةً شرعيةً على البلاد رسميًّا.

(٣) مدير بيت الإله «سنموت» والدور الذي لعبه مع حتشبسوت

والظاهر أن «حتشبسوت» كانت تفكِّر منذ تولية تحتمس العرشَ في تكوين حزبٍ يضمُّ بين أعضائه كلَّ رجالات الدولة المخلصين، الذين أظهروا مهارةً وحذقًا من أبناء جيلها لتستعين بهم على قضاء مآربها، ولتضرب ضربتها الحاسمة عندما تحين الفرصة، على أنه لم يَفُتْها أن تجعل رجالَ الدولة القدامى لا ينفضُّون من حولها، وقد كان أول مَن وقع اختيارها عليه من شباب عصرها مدير بيت الإله «آمون» المسمَّى «سنموت»، وقد كان شابًّا نَشِطًا يسترعي محياه النظرَ، قادرًا طموحًا، وقد رأى بثاقب نظره أن الفرصة سانحة ليكون لنفسه منذ باكورة هذا العهد الجديد مجدًا خالدًا؛ ولذلك يقول لنا: لقد

[٣] راجع: L. D. III. Pl. 47.

كنتُ في هذه الأرض تحت إدارة «حتشبسوت» منذ اللحظة التي لاقى فيها سلفها حتفه (أي: تحتمس الثاني)، فلم أضيع أي وقت لاكتساب حظوة الملكة التي كانت تقبض بيدَيْها القادرتين الخلَّابتين على أقدار البلاد وإدارتها.

ولا نزاع في أن «حتشبسوت» قد وحَّدت روحها بروح «سنموت» منذ أن وقع بصرها عليه، وقد كان مستقبلها مرتبطًا تمام الارتباط بأمر الوصاية، ومنذ اللحظة التي وطدت فيها أركانَ الوصاية على العرش بدأ نجم سعد «سنموت» السياسي يظهر في الأفق ويسطع، وقد كان أول خطوة في تمكُّن هذه العلاقة الوثيقة التي أحكمت أواصرها بينهما حقبة توفي على عشرة أعوام، هي أن تجعل «حتشبسوت» خدنها «سنموت» المربي الأول لابنتها الابنة الملكية، وأميرة الأرضين، والزوجة الإلهية «نفرو رع»، وأن يكون بجانب ذلك مدير البيت العظيم لأملاكها وأملاك ابنتها «نفرو رع»، ويُحتمَل كذلك أنه كان قَيِّمًا على أملاك ابنتها الطفلة «مريت رع حتشبسوت»، والواقع أنها بإسنادها كلَّ هذه الوظائف إلى «سنموت» قد جعلته شريكًا فعليًّا معها في حكم البلاد.

ولا نعرف عن ماضي هذا المحظوظ الجديد إلا النزر القليل، وإنْ شئتَ فقُلْ لا نعلم شيئًا البتة، وتدل الأحول على أن والدَيْه لم يكونَا من أصحاب المكانة في الحياة الاجتماعية؛ فقد كان والده يُدعَى «رعموس»، ووالدته السيدة «حات نوفر» وحسب، وكان له ثلاثة إخوة لم يتربَّع منهم واحد مكانةً رفيعة في الدولة إلا «سن من»، وتُعزَى رفعته هذه إلى أخيه «سنموت» الذي عيَّنه مساعدًا في إدارة شئون الأميرات، أما أخوه الثاني فكان كاهنًا بسيطًا لسفينة «آمون» المقدسة، والثالث وهو «با إري» كان يشغل وظيفة «مشرف على الماشية». وقد تزوَّج «سنموت» من اثنتين إحداهما تُسمَّى «نفرت حور»، والظاهر أنه لم يُرزَق أولادًا؛ ولذلك فإنه في أواخر أيامه وكَّلَ لأخيه «أمنحتب» القيام له بأداء الشعائر الجنازية التي كان يقوم بها ابن المتوفَّ حسب التقاليد المصرية المرعية. ويُلاحَظ أن «سنموت» لم يهتم بذكر وظائفه الدينية؛ إذ لم يكن لها علاقة في ترقيه، وإذا ما ورد ذكرها ذكرت بغير اهتمام وبصفة عابرة. والواقع أنه كان يحمل لقب «كاهن السفينة المقدسة للإله آمون» ورئيس كهنة معبد «منتو»، وكان من المعابد الصغيرة وقتئذٍ في بلدة «أرمنت»، هذا ولم تكن تغريه الوظائف الحربية في جيلٍ كانت تسوده السكينة والاستقرار.

وقد كان «سنموت» دائمًا إداريًّا من الطراز الأول، ويُحتمَل أنه بدأ حياته في إدارة ضياع «آمون» بمعبد الكرنك الشاسعة، فلقد كان مع صعود نجمه وعلوِّ منزلته ورفعة مكانته يُعرَف دائمًا بمدير بيت «آمون». والواقع أن كل شيء في إدارة ممتلكات معبد

هذا الإله كانت بإشرافه، وكذلك كان المشرف على الغلال والمخازن، والحقول والحدائق، والماشية والعبيد، ومراقب قاعة «آمون»؛ كل ذلك في قبضته بوصفه مدير البيت العظيم، هذا وكان يُلقَّب كذلك المشرف على أعمال «آمون»، وأحيانًا كان يُلقَّب «مدير كل أشغال الملك في معبد «آمون»» أيضًا، ولما رسخت قدمه وأصبح صاحب حظوة في نفس «حتشبسوت» وتمكَّنَ من عطفها، أصبحت تحت إدارته كلُّ ثروة البيت المالك، وقد بدأ بالقيام بوظيفة مدير البيت العظيم للملكتين «حتشبسوت» وابنتها الصغيرة «نفرو رع»، وانتهى به الأمر بعد فترة من الزمن أن أمسى المراقب والمشرف، والمشرف على المشرفين لكل أشغال الفرعون، كما كان كذلك المسيطر على عبيد الفرعون والمالية والأسلحة وقصر التاج الأحمر. يضاف إلى هذه الوظائف العامة الرفيعة وظائف أخرى خاصة كان لا يشغلها إلا المقربون جدًّا، الذين كانت حظوتهم تسمح لهم بأن يشتركوا في الإشراف على إعداد أخصِّ أدوات الزينة الملكية للزيارات الرسمية وغيرها؛ ومن ثَمَّ نجده لا يفخر بأنه حاكم القصر الملكي وحده، بل كان يتيه عجبًا؛ لأنه ملاحظ الغرفات الخاصة والحمام، وحجرة النوم أيضًا. على أن الإنسان بعد أن يأتي على نهاية كل ما سردناه هنا عن قصة «سنموت»، يرى من الصعب عليه أن ينسب ما بلغه من المراتب إلى المهارة والحذق في تيسير الأمور وحدهما، وكثيرًا ما ينسب الإنسان إلى الأشخاص الذين يمثِّلون قصة من القصص أدوارًا لم يقوموا بها قطُّ في الحياة، وهذا هو الواقع في الحالة التي نحن بصددها على وجه خاص؛ إذ قد ذهب الكثيرون في العلاقة التي بين «سنموت» و«حتشبسوت» مذاهب شتى. وفي الوقت الذي كان فيه «سنموت» يجمع الوظائف التي تدرُّ عليه الذهب والفضة تباعًا في الكرنك والقصر، كانت «حتشبسوت» وقتئذٍ المسيطرةَ الوحيدةَ التي لا منازعَ لها في مصر.

(٤) سلطان حتشبسوت والعقبات التي اعترضتها في تولِّي العرش

والواقع أنها منذ موت والدها كانت سيدة الأرضين، أولًا مع أخيها «تحتمس» الثاني الذي كان لا حول له ولا قوة، والآن مع ابنتها الطفلة وابن أخيها «تحتمس» الثالث، وما دام شريكاها لم يبلغَا الحلم، فقد كانت الحاكمة المطلقة في البلاد، ومع ذلك كانت تشعر في قرارة نفسها بأنه لو فُحِص موضوعها بعين العدل بوصفها الوارثة الشرعية لعرش والدها «تحتمس» الأول، لكانت هي الحاكمة المطلقة للبلاد شرعًا من بادئ الأمر، مع أن الفرق بين ما في يدها وبين ما تطمح إليه هو في اللقب وأسلوب الملكية، وقد منعته التقاليد



شكل ٢: سنموت يحتضن الأميرة الصغيرة نفرو رع.

فحرمه النساء، ولم تغتصبه امرأة منذ حكم الملكية «نفرو سبك» في أواخر عهد الأسرة الثانية عشرة.

والواقع أن تولِّي المرأة حكمَ البلاد المصرية كان من الأمور النادرة جدًّا، فقد ذكر لنا هردوت في كتابه عن مصر (الفصل الثاني الفقرة المائة) أن من بين الملوك الذين حكموا مصر وعددهم ٣٣٠ ملكًا، وهم الذين قرأ له أسماءهم أحدُ كهنة منفيس من كتابٍ لم يكن بينهم إلا ملكة واحدة تُسمَّى «نوتكريس»، وهي التي تولَّتِ العرشَ بعد قتل أخيها، وقد ذكر لنا «مانيتون» أنها آخِر ملوك الأسرة السادسة، وكذلك ذكر لنا «أرستاتونيس»، وجاء في ورقة «تورين» أيضًا أنها الخلف الثاني للملك «بيبي» الثاني، وقد كانت مدة حكمها عامًا واحدًا، ويقع تاريخ حكمها في نهاية عهد هام من التاريخ المصري؛ إذ بانقضاء مدة

حكمها ينتهي عهد مملكة «منف»، وعلى الرغم من أن هذه الملكة كانت صاحبة شهرة فيما بعدُ في التقاليد المصرية، فإنه لم يصل إلينا شيء قطُّ عن حكمها، غير أن قائمة الملوك التي في متناولنا تحتوي ثلاث ملكات يحملن لقب ملكات شرعيات لبسن التاج. ففي نهاية الأسرة الثانية عشرة نجد الملكة «نفرو سبك» أو «نفرو سبك شدتي» أخت الملك «أمنمحات الرابع» قد تولَّتِ الحكم بعد وفاته (راجع الجزء الثالث من مصر القديمة)، وقد جاء ذكرها في ورقة «تورين» بوصفها ملكة تحمل لقب ملك مصر، أما الملكتان الأخريان اللتان ذكرهما «مانيتون»، فيقع حكمهما في الأسرة الثامنة عشرة، والظاهر من المعلومات التي وصلتنا حتى الآن أن «مانيتون» قد خلط في ترتيبهما التاريخي؛ إذ يقول لنا إن أولاهما قد جاءت في أواخر الأسرة الثامنة عشرة وسمَّاها «أكرفيس» Kerphs، وأنها ابنة الملك «هوروس» والخلف الثاني للملك «أمنحتب» الثالث، ولا بد إذن أن تكون إحدى بنات «أمنحتب» الرابع، غير أن كلتيهما كانت تحمل لقب الزوجة الملكية، ولكن قائمة الملوك «بسقارة»، وقائمة «العرابة» لم يذكرَا لنا اسمَيْ هاتين الملكتين، وكذلك لم يُذكَر فيهما اسم الملكة «نفرو سبك»، يضاف إلى ذلك أن «مانيتون» قد ذكر لنا ملكة تولَّتْ حكم البلاد في وسط عهد الأسرة الثامنة عشرة، وأنها كانت خلف الفرعون «أمنوفيس» الأول الذي حكم البلاد عشرين سنة وسبعة أشهر، وقد حكمت إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر، ثم جاء بعدها الملك «تحتمس» (أي: تحتمس الثالث).

ولا نزاع في أن «مانيتون» يقصد هنا على الرغم ممَّا في قائمته من الخلط والارتباك «الملكة حتشبسوت» = (سيدة النساء الشريفات)؛[4] ومن ذلك يرى القارئ أن حكم النساء كان نادرًا جدًّا في مصر، ولم تعترف به القوائم الرسمية كما ذكرنا. ومع ذلك نجد أن «حتشبسوت» كانت على وشك أن تخطو الخطوة الثانية لتقفز بها إلى عرش الملك رسميًّا، وكان «سنموت» في هذا الموقف يغضي بصره أو يتجاهل ما تريده «حتشبسوت»، بل من المرجح جدًّا أنه كان محرضًا فعَّالًا لها؛ إذ لا يمكن للمرء أن يتصوَّر نجاحها في مثل هذه المؤامرة الجرئية، دون أن يكون مدير خاصتها وبيتها له فيها النصيب الأوفر، بل كيف كان يمكن حدوث تعدٍّ على حقوق هذين الطفلين الملكيين دون اتفاق المربي الأعظم للملكة «نفرو رع» ورضائه التام، أو كيف كان يمكن إقامة أي مبنى في معبد «آمون» على يد

[4] راجع: Sethe, “Das Hatshepsut Problem”, p. 1. ff.

غاصب بغير اتفاق ورضى من مدير المباني، وقد كان «سنموت» يشغل كل هذه الوظائف الضخمة، وقد كان مصيره في النهاية أن يقع عليه انتقام «تحتمس الثالث»، والواقع أنه في مثل هذه الأحوال لا يمكن تبرئته من الاشتراك في هذه السياسة المعوجة التي كانت تسير في تنفيذها سيدته التي رفعته إلى تلك المكانة العلية؛ غير أن السؤال الهام الذي يتساءله المرء عن سبب اتخاذ «سنموت» هذه الخطة: أكان ذلك لافتتان «سنموت»، أم كان طموحًا منه إلى مرتبة أعلى ممَّا وصله، حتى إنه ضرب بكل تقاليد القوم عرض الحائط؟

(٥) أسباب ادِّعاء حتشبسوت أحقيةَ عرش البلاد

ومن الجائز أن «حتشبسوت» من جهتها قد أقنعت الشعب بأنها بنت الإله «آمون» نفسه من جهة، وأن والدها قد نصبها على عرش البلاد من جهة أخرى، وجعلها وارثته الشرعية، وقد حاكَ خيالُ الكهنة قصةً طريفةً لذلك قد يكون في ثناياها شيء من الحقيقة، ومن المحتمل أن «حتشبسوت» قد أذاعتها قبل اغتصابها العرش مباشَرةً، لتكون بمثابة دعاية، وقد نقشتها على جدران معبدها «بالدير البحري» الذي يُعَدُّ بناءً فريدًا في بابه، نقشَتْ عليه «حتشبسوت» كلَّ تاريخ حياتها، وما قامت به من جليل الأعمال في حياتها كما سنفصل القول في ذلك بعدُ.

وسنورد هنا ملخصًا لهذه القصة من النقوش التي دوَّنتها «حتشبسوت» فيما بعدُ على معبد الدير البحري، في مناظر لا تزال باقيةً؛ ففي المنظر الأول من هذه المناظر نشاهد فيه مجلسًا من الآلهة يرأسه الإله «آمون»، وقد قرَّرَ فيه الجميع خلق «حتشبسوت»، وفي خلال هذه الجلسة يذكِّر الإله «تحوت» الإله «آمون» بوجود «أحمس» الجميلة زوج الأمير الذي أصبح فيما بعدُ «تحتمس الأول».

ويقترح عليه أن يتقمَّص صورته عندما يكون الأمير غائبًا، وبذلك يمكنه أن يدخل حجرةَ الملكة؛ ثم تحدِّثنا القصة أن الإله «آمون» قد تزَيَّا بزيِّ «تحتمس الأول»، ووجد الملكة في غفوةٍ في قصرها الجميل، فأيقظها شذى عطور الإله الذي استنشقته على الرغم من أنها كانت في حضرة جلالته (الملك) (ظنًّا منها ذلك)؛ وعندئذٍ ذهب إليها في الحال وضاجَعَها، وفرض عليها رغبته فيها، وجعلها تنظر إليه بوصفه إلهًا (بعد أن تمثَّلَ لها بشرًا سويًّا) من أجل ذلك فرحت عندما وقف أمامها وكشف لها عن جماله، وسرى حبه في أعضائها التي غمرها شذى العطر؛ وعندئذٍ قالت الملكة «أحمس» لجلالة هذا الإله «آمون» الفاخر رب طيبة: ما أعظم فخارك! إن رؤية محياك شيء بهي! لقد ألحقت جلالتي بجمالك، وإن

روحك قد تمثَّلَتْ في كل أعضائي، وبعد ذلك فعل جلالة هذا الإله كلَّ ما يرغب فيه معها، ثم قال لها: «سيكون اسم ابنتي التي وضعتها في جسمك خنمت آمون «حتشبسوت»؛ لأن هذه هي الكلمة التي خرجت من فمك أنت، وستتولى الملك في هذه البلاد قاطبة، وستكون روحي روحها، وسيكون فضلي فضلها، وكذلك «تاجي» حتى يمكنها أن تحكم الأرضين.»

وبعد ذلك طلب الإله «آمون» مساعدةَ الإله «خنوم» صانع الفخار الإلهي ليصوِّر الطفل في صورةٍ تجمع كلَّ الجمال، وعندما أجاء الملكة المخاض اجتمع الآلهة، ووقف بجانبها القابلات عند الوضع، ولما وضعت الطفلة قدَّمَتْها الإلهة حتحور «لآمون» الذي باركها، وقدَّمها لكل الآلهة قائلًا: «تأمَّلوا أنتم! ابنتي حتشبسوت كونوا محبين لها.» وبعد ذلك نمت جلالتها بسرعة، وقد كان النظر إليها يفوق أي شيء، وقد أصبحت عذراء جميلة مزهرة مثل الإلهة «بوتو» في عصرها[٥] (أي: حتحور).

ولا يعزب عن الذهن أن «حتشبسوت» لم تُذِعْ هذه الأقصوصة في عهد والدتها، بل كان ذلك بعد مماتها، فلا بد أن الملكة «أحمس حنت تاوي» قد ماتت وابنتها لا تزال تحمل لقب الزوجة المقدسة والزوجة الملكية العظيمة، فلم تَرَ ابنتها ملكة رسمية.

وكانت «حتشبسوت» تقصد من نشر هذه القصة التي ذكرناها هنا غرضين: الأول لتثبت أنها كانت ابنة تحتمس الدنيوية، والثاني أنها ابنة الإله «آمون» من جسمه؛ وذلك لأن دمها الملكي لم يكن خالصًا بالمعنى الحقيقي من جهة والدها؛ لأن جدتها عن أبيها لم تكن من دم ملكي، بل كان يعرف عنها أنها كانت من عامة الشعب، وبعد مرور عدة أعوام على ذلك أمرت بنقش وثيقة تثبت فيها أن والدها «تحتمس» الأول قد نصبها على ملك مصر في حفل عظيم من عظماء الشعب؛ إذ تدَّعِي فيها أن «تحتمس» الأول أرسل إليها وهي لا تزال طفلة، وقال لها:

> تعالي لأضمَّ بهاءكِ بين ذراعي لأجل أن ترى إدارتك في القصر (بعد أن رأتها مع والدها في أنحاء البلاد)، فتقومي بأعمالك الشرعية الفاخرة، وتتسلَّمي شرفك الملكي، وإنك ستصبحين ممتازة بسحرك، وستصبحين غنية بقوتك، وإنك ستسيطرين على الأرضين، وإنك ستتغلبين على العصاة، وإنك ستشرقين في القصر وسيتحلى جبينك بالتاج المزدوج، وستسرين بإرثك لي، وإنك وُلِدت

---

[٥] راجع: Breasted, A. R. Vol II, § 217 ff.

لي، وأنت يا أخت التاج الأبيض، والتي تحبها «وازيت» (صاحبة التاج الأحمر)، وسيقدم إليك التيجان مَن يجلس على عروش الأرض (آمون)، وقد أمر جلالتي أن يحضر أشراف الملك، والأعيان، والسمار، ورجال البلاط، ورءوس كبار المدنيين؛ لأعلن لهم مرسومًا بأن جلالتي قد ضمَّ بين ذراعيه جلالة ابنتي هذه في قصرها مقر الملك، وقد عقد الملك الجلسة بنفسه في قاعة طائفة «أمي ورت» (طائفة من الكهنة)، وقد كان هؤلاء القوم ساجدين على بطونهم في البلاط، فقال لهم جلالته: إن ابنتي هذه «خنمت آمون» «حتشبسوت» لها الحياة، أنصبها بوصفها نائبتي، وعلى ذلك فهي وارثتي في الملك، وهي التي ستجلس على عرش المدهش، وهي التي ستأمر وتنهى الرعايا في كل وظائف القصر، وهي التي ستقودكم فاسمعوا كلامها، فهي التي تربطكم بأوامرها، فمَن يقدم لها الطاعة فإنه سيعيش، أما مَن يقول سوءًا في حقها فإنه سيموت، وكل مَن يسمع اسم جلالتها عندما تعين ينبغي عليه أن يأتي وينادي بها ملكةً مثل ما كان يفعل عندما يسمع اسمي؛ وذلك لأن هذه الإلهة هي ابنة إله، والآلهة هم الذين يحاربون لها، وهم الذين يحوطونكم بحمايتهم كل يوم كما أمر والدها سيد الآلهة «آمون».

الشعب يرحب بالملكة حتشبسوت ويعترف بها ملكة: وعلى ذلك سمع أشراف الملك وأصحاب المقامات ورءوس المدنيين، هذا الأمرَ الخاص بإعلاء شأن ابنته ملكة الوجه القبلي والوجه البحري «ماعت كارع» لها الحياة مخلدة، فقبَّلوا الأرض تحت قدمَيْها، ووقعت كلمات الملك في نفوسهم، ودعوا كل الآلهة لملك الوجه القبلي والوجه البحري «عا خبر كارع» (تحتمس الأول) عاش مخلدًا، ثم خرجوا فَرِحين راقصين مغتبطين من عنده، وقد سمعهم كل الناس وكلُّ مَن في حجرات القصر الملكي، وقد أتوا وهلَّلوا وفرحوا بذلك أكثر من كل شيء، وقد كانت كل حجرة تختلف عن الأخرى (في إظهار فرحها)، وكان الجنود يأتون طائفة بعد أخرى يرقصون ويقفزون وقلوبهم فَرِحة، وقد أعلنوا اسم جلالتها ملكة، ولكن جلالتها كانت لا تزال صغيرة السن؛ والإله العظيم قد استمال قلوبهم نحو ابنته «ماعت كارع» عاشت مخلدة، ولقد كانوا يعرفون أنها حقيقة ابنة إله، وقد دهشوا من شهرتها العظيمة أكثر من أي شيء آخَر؛ ولذلك كان كل إنسان يحبها من قلبه، ويدعو لها كلَّ يوم، وكلُّ مَن ... وسيكون

نضرًا أكثر من كل شيء؛ وكل إنسان يذكر (بسوء) جلالتها يقرِّر الإله موته في الحال؛ لأن الآلهة هم الذين يحوطونها برعايتهم كلَّ يوم.

وهكذا سمع جلالة والدها هذا، ورأى أن كل الشعب قد أعلن اسم ابنته هذه ملكةً، مع أن جلالتها كانت لا تزال طفلة؛ ومن أجل ذلك فرح قلب جلالته أكثر من كل شيء آخَر، وأمر جلالته بإحضار المرتِّلين ليعلنوا اسمها العظيم بتسلُّمها شرفَ ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وأن اسمها يختم به في كل الأعمال الخاصة بعيد ضمِّ الأرضين والطواف حول الجدار، ولأجل زينة كل الآلهة الموحدين للأرض؛ لأنه علم أن من الخير الاحتفال بالعيد في يوم رأس السنة بمثابة بداية سنين طيبة، وأن تحتفل لها في ملايين السنين بأعياد ثلاثينية عديدة جدًّا، وعلى ذلك أعلنوا أسماءها ملكة الوجه القبلي والوجه البحري.

هذا ما ادَّعَتْه «حتشبسوت» لنفسها في دعايتها التي قامت بها لأجل اعتلاء العرش، ويرى القارئ من ذلك أنها كانت على عرش الملك منذ حياة والدها، أيْ إنها كانت شريكةً له في حياته، هذا فضلًا عن أنها في نقوش أخرى تدَّعِي أن والدها قد درَّبها على صناعة الملك قبل أن يعلنها ملكة.

(٦) تولِّي حتشبسوت عرشَ الملك فعلًا

غير أن الواقع لا يتفق مع هذه الأقصوصة الجميلة؛ إذ ظلَّتْ بعيدةً عن تولِّي عرش البلاد بصفة حقيقية طوال مدة حكم زوجها «تحتمس الثاني»، وسبعة أعوام من حكم ابن زوجها «تحتمس الثالث»، وعندئذٍ كانت قد أحكمت مؤامرتها، واعتلَتْ عرشَ البلاد مدة ثلاثة عشر عامًا انزوى في خلالها «تحتمس» الثالث، فلم يسمع عنه التاريخ إلا في مناسبات قليلة.

وقد ظل الشكُّ يحوم حول العام الذي أعلنَتْ فيه «حتشبسوت» نفسها ملكةً شرعيةً على البلاد، وإنْ شئتَ فقُلْ: العام الذي اغتُصِب فيه الملك من ابن زوجها وابنتها الشرعيين، إلى أن كشف «لانسج» و«هايس» في شتاء عام سنة ١٩٣٦ عن قبر والدي «سنموت»، وممَّا وجد في هذا القبر أمكنه أن يحدِّد التاريخَ الذي اغتصبت فيه «حتشبسوت» عرشَ الملك، وقد حدده بين منتصف الشهر الأول من فصل الزرع، أو منتصف الشهر الثاني منه، في السنة السابعة من حكمها، أيْ حوالي ١٥ يناير أو ١٥ فبراير سنة ١٤٩٤ق.م، وفي

هذا التاريخ أعلنت نفسها ملكة الوجه القبلي والوجه البحري، ومن ثَمَّ عرفت بذلك، ولا ندري لماذا تجرَّأَتْ «حتشبسوت» على اتخاذ هذه الخطوة دون أن تتبعها بما يليها من خطوات كان لا بد منها في مثل هذه الأحوال، وأعني بذلك القضاء على ابن أخيها جملةً، ولكنها وقفت عند هذا الحد، وتركت «تحتمس» الثالث يعيش في عزلة وفي أمان، ولكنه موحش، وقد كان اسمه يُذكَر أحيانًا على الآثار بصفة ثانوية، ولكن لا يُذكَر إلا بعد اسمها الذي كان يحتلُّ المكانةَ الأولى. والواقع أن «حتشبسوت» لم تكن سفَّاحةً ولا محاربةً، وما وصل إلينا من المعلومات عنها يدل على أنها كانت بعيدة عن العنف، ولم يكن حبُّ سفك الدماء من طباعها، ويمكن أن نستخلص ذلك من شخصيات الذين كانوا ملتَفِّين حولها، ويسيرون في ركابها، ونخصُّ بالذكر منهم «سنموت» و«حبوسنب» و«نحسي» و«توري»، وهم كهنة ورجال إدارة لا رجال حرب وسفك دماء، وسنتناول الكلام عنهم في حينه، على أن الحملة الوحيدة التي قامت بها كانت حملة سلمية أرسلتها إلى بلاد بنت بعد اغتصابها الملك كما سيأتي شرحه.

(٧) أعمال حتشبسوت

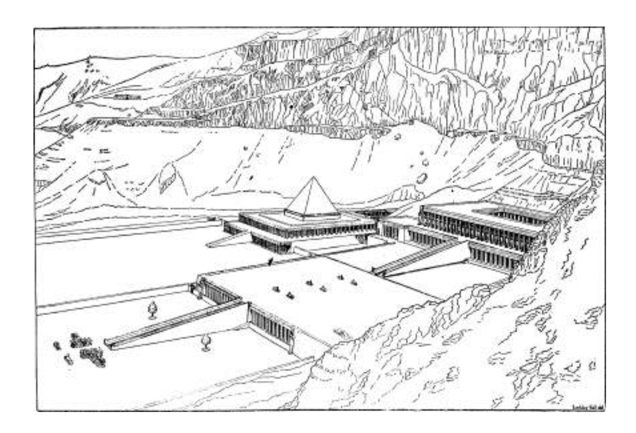
(٧-١) إقامة معبدها الجنازي المعروف باسم الدير البحري

أما باكورة أعمال «حتشبسوت» هي ورجل ثقتها عند بداية هذا العهد الجديد من تاريخ حياتها، فتمتاز بالمنهاج الضخم لإقامة معبدٍ كان الغرض منه دعاية سياسية قبل كل شيء، فقد كان المعبد الذي وضع «سنموت» تصميمه، وأتمَّ بناءه يُعَدُّ أكبر دعاية وأخلد عمل على مرِّ الدهور كُتِب بالحجر وعلى الحجر لتبرر اغتصابها للعرش، وقد كان غرضها أن تنقل جثمان والدها من قبره الذي جهَّزَه له مديرُ المباني «إنني» كما أسلفنا، إلى قبر جديد في «وادي الملوك»، على أن يُوضَع فيه جثمانها بعد وفاتها مع جثمان والدها الذي خلفته على عرش الملك متجاورين في تابوتين منفصلين، وأن تقام لهما الشعائر الجنازية في المعبد الذي أخذت في إقامته في الوادي؛ يضاف إلى ذلك أنها اعتزمت تخصيصَ رواقٍ يُنقَش على جدرانه مناظر تلك الأقصوصة المدهشة، التي كان الغرض منها إظهار «حتشبسوت» بمنظر الملكة التي أنجبها الإله الأعظم من ظهره، وأن الإله «آمون» ووالدها «تحتمس» الأول اشتركا معًا في تتويجها ملكة شرعية على عرش مصر في حياة الأخير. يضاف إلى ذلك أنه لما كان والدها «آمون» سيشاركها هو ووالدها «تحتمس» الأول في هذا المعبد، فقد

خصَّصَتْ أروقةً أخرى فيه ليُنقَش عليها مناظر تظهر فيها تعبُّدها وإخلاصها البنوي للإله، وقد تمثَّلَ ذلك التقى والتعبُّد في صورة الحملة التي أرسلتها إلى بلاد «بنت» في العام التاسع من حكمها، ثم في نقل المسلات من أسوان في السنة السادسة عشرة من سني توليها العرش.

وقد اختارت لإقامة هذا المعبد الجون العظيم الواقع في صخور صحراء لوبية عند الدير البحري، حيث أقام «منتوحتب» الثاني معبده منذ حوالي ستمائة سنة مضَتْ (راجع مصر القديمة ج٣)، ولا بد من أن معبد «منتوحتب» كان قد تهدَّمَ في ذلك الوقت بعض الشيء، ولكنه على أية حال كان نموذجًا يمكن مهندس الملكة أن يهتدي به في إقامة معبدها، غير أنه قد تدركه الخيبة في تقليده إذا لم يراعِ الحدودَ التي تفرضها طبيعةُ المكان الذي سيقام عليه البناء عند إنشائه من حيث الذوق والتأثير. ومنذ أن كشف عن معبد «منتوحتب» وتصميم بنائه، صار من المعتاد أن ينكر المهندسون على واضِع تصميم معبد «حتشبسوت» أيَّ ابتكارٍ في إقامة هذا المعبد، فمثلًا يقول الدكتور «هول»: «إن معبد «حتشبسوت» كان تقليدًا محضًا لمعبد سلفها، وإليه يرجع الفضل في تصميمه لا إلى الملكة أو مهندسها «سنموت».» غير أن هذا الحكم مبالغ فيه، حقًّا قد يكون مهندس «حتشبسوت» قد أخذ فكرة المعبد المدرَّج من بناء المعبد القديم الذي كان يقام معبد الملكة بجواره، غير أن هذا كل ما أخذه «سنموت» عن تصميم المعبد القديم. نعم، قد يكون «سنموت» قد عظمت في عينه فكرةُ هذا البناء عندما رآه وأخذ الفكرة عنه، وهذا بلا شك دليلٌ على حُسْن ذوقه، ولكن القول بأنه لم يُظهِر أيَّ عبقرية في إقامة البناء العجيب الذي شيده للملكة، كمَن ينكر على شاعر أخذ فكرة عن شاعر آخَر، وصاغها في قالب شعري خلَّاب يفوق القالب الذي احتذاه صناعةً ولفظًا وتنسيقًا.

والواقع أن «سنموت» بعد أن أخذ فكرةَ المعبد عن المهندس «ارتسن» سلفه (باني معبد منتوحتب الثاني)، عمل على تفخيمها وتنسيقها حتى أخرج للناس بناءً يمتاز عن سابقه في كل شيء إلا أعمال البناء نفسها، فعلى الرغم من أن المعبد الذي أقامه المهندس «ارتسن» على ما يقال يروق بهاؤه الناظرين إليه على حدة، فإنه عندما يقرن بمعبد «حتشبسوت» الذي يدل درجه المتتابع ومنحدراته الطويلة وأعمدته الأنيقة على حسن ذوق مهندسه، يظهر كأنه جذع شجرة بقي مغروسًا في الأرض إلى جانب شجرة نامية الأغصان وارفة الظلال، ومعبد «منتوحتب» كما هو يشتمل على منحدر واحد وطبقتين، ويشغل الجزء الجنوبي من جون للدير البحري العظيم، وقد تُرِك متسع عظيم في جهته الشمالية للمعبد الذي أقامته «حتشبسوت».



شكل ٣: معبد الدير البحري.

سنموت وتصميم معبد الدير البحري

وقد كان التصميم الذي قدَّمه «سنموت» للملكة عظيمًا، على الرغم من أنه أخذ فكرة إقامته في هذه البقعة عن سلفه؛ لأنه توسَّعَ فيه بطريقةٍ ابتدَعَ فيها شيئًا جديدًا من الدقة والتأثير، فقد كان الإنسان يصل إلى طبقاته الثلاث بمنحدرات خفيفة الميل، تُشعِر الناظر بأن المهندس قد أراد أن يجعل مبناه يكاد يكون أفقيًّا في هيئته الخارجية، بما أظهره من المهارة في جعل تدرجه لا يُحَسُّ. هذا إلى أن تناسُبَ قاعات العمد التي تواجه هذه المدرجات تكشف لنا كما يقول الأستاذ «برستد» عن حاسة التناسُب والتنسيق المتقن، ممَّا يدحض القول السائد بأن الإغريق هم أول شعب فهم فن تنسيق قاعات العمد الخارجية في المباني، وأن المصريين لم يعرفوا إلا استعمال العمد داخل مبانيهم وحسب، وقد دلَّتِ الحفائر التي عُمِلت حديثًا على أن «سنموت» قد أزال بعض المباني الدينية التي كانت موجودةً لإقامة معبد «حتشبسوت»، منها معبد صغير للملك «أمنحتب الأول» ووالدته «أحمس»، وكذلك معبد صغير من عهد الأسرة الحادية عشرة.[٦]

[٦] راجع: Winlock, “Excavations at Dier el Bahri”, p. 114.

وقد زُيِّن الطريق الذي يبتدئ من باب المعبد شرقًا إلى مسافة نحو ٥٠٠ متر، حتى يصل إلى باب آخَر وجدت آثاره بتماثيل «بو الهول» في صورة الملكة نفسها على كلا الجانبين، وقد كان الرواق السفلي كذلك مزيَّنًا بمثل هذه التماثيل، وظاهرٌ أن تحتمس الثالث أزالها من أماكنها، عندما تربَّعَ على عرش الملك ثانيةً؛ وقد عثر على بعض أجزاء منها. هذا وقد عثر على تماثيل الملكة في صورة «أوزير»، واحد منها في النهاية القصوى من الرواق السفلي، وكذلك كان يوجد واحد منها في الرواق الأعلى، وفي قاعة العمد وُجِدت عدة كوًى كانت تحتوي تماثيل للملكة في صورة «أوزير».

وكان الرواق الأعلى في المعبد مؤلَّفًا من صفٍّ من تماثيل «أوزير» تمتد على طول المعبد، ويمكن للآهلين أن يروها عندما يعبرون إلى الشاطئ الشرقي من عند معبد الكرنك،[٧] والواقع أن الطريق التي كان لا بد أن يمرَّ فيها موكب الإله «آمون» من الفخامة بقدرٍ عظيمٍ، وذلك عندما يقوم بزيارته من معبد الكرنك إلى معبد الدير البحري في وقت «عيد الوادي» المشهور، فقد كانت تماثيل «بو الهول» مصفوفةً على جانبي الطريق، كل منها رابض على قاعدته التي يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار، وعرضها نحو متر، مزيَّنة بإطاراتٍ صُوِّر عليها أسرى يرسفون في الأغلال، فكانت هذه التماثيل تصور أمام الناظر موكبًا مترامي الأطراف مؤلَّفًا من تماثيل أسود، نرى فيها قوة الفرعون تسيطر على مدن العالم المغلوبة على أمرها. ولا شك في أن هذه التماثيل حينما كان يسطع عليها شمس مصر في سمائها الصافية، تمثل صورة رائعة لما كان لمصر من قوة خارقة للعادة في ذلك العهد، ولكن لا نكاد نتأمَّلها حتى ندرك أن ذلك وَهْم كاذب، فإن ذلك البطل الفاتح الذي صُوِّر في هيئة أسد ذي لحية، هو في الواقع امرأة قد جلست على عرشها بمساعدة شرذمة قليلة من رجال البلاط، ومن المحتمل أنها لم تَرَ جيشًا غازيًا قطُّ، ومع ذلك نراها مرسومة وهي تطأ الأعداء بقدمَيْها، حتى أولئك الآشوريون الذين يسكنون في الجهات النائية غير المعروفة، ولا شك في أن هذا نوع من الزهوِّ لم يكن يحقُّ حتى لتحتمس الثالث أن يفاخر به.

وهكذا تضيع الحقائق التاريخية أحيانًا عندما تختلط بالفخر وحب الظهور، وبخاصة في التاريخ المصري المفعم بمثل هذه المناظر الكاذبة، وقد عُثِر على بقايا أكثر من مائة وعشرين تمثالًا من هذه التماثيل التي تمثِّل الملكة في صورة «بو الهول»، غير

[٧] راجع: Ibid. p. 214.

أنه لم يوجد منها واحد سليم، كما لم يمكن جَمْع أجزاء تمثال واحد منها؛ فقد أمر «تحتمس الثالث» بتحطيمهما جميعًا، وشتَّتَ أجزاءها في جهات مختلفة، وكانت كل هذه التماثيل تؤلِّف عنصرًا من عناصر بناء المعبد، اللهم إلا تمثالًا واحدًا من المرمر كان في مقصورة الملكة، فكان بعضها لتزيين الطريق المقدَّسة المؤدِّية للمعبد على كلا الجانبين، وكان البعض الآخَر مُقامًا في صور عمد في الأروقة، وبخاصة الرواق الأعلى فإن أعمدته كانت تتألَّف من تماثيل الملكة في صورة أوزير.

ومن التماثيل الطريفة التي وُجِدت: بقايا تمثال لمربية الملكة، وقد مُثِّلت جالسةً تحمل صورةً مصغَّرةً لملك،[٨] وهذه المرضع تُدعَى «ين»، وقد نُقِش على ظهر التمثال أنه عمل لأجل مربية الملكة «ماعت كارع» (حتشبسوت)، غير أننا لم نعثر على تمثال مربيتها الأولى «ست رع» التي كانت تُعَدُّ من أكبر الشخصيات حظوةً عندها، وهم الذين كان على رأسهم «سنموت».

(٧-٢) الحملة على بلاد بنت

الغرض من الرحلة

بعد أن بدأت الملكة «حتشبسوت» في إقامة معبدها الجنازي الذي أرادت أن تدوِّن على جدرانه كلَّ ما قامت به من جليل الأعمال لوالدها «آمون»، ثم لنفسها، فكَّرَتْ في إرسال حملة سلمية إلى «بلاد بنت» لتحضر منها الأشجار ذات الروائح العطرية التي اشتهرت بها تلك البلاد النائية، وهي التي كانت تُعَدُّ في نظر المصريين بلادَ الآلهة، على أن فكرة الرحلة إلى هذه البلاد كما رأينا من قبلُ لم تكن بالأمر المستحدث لدى ملوك مصر؛ إذ الواقع أنها قد عملت عدة مرات في عهد الدولة القديمة، والدولة الوسطى، وقام بها بحَّارة مصريون (راجع مصر القديمة جزء٣). ولا شك في أن هذه البلاد كانت ذات قيمة عظيمة للمصريين؛ وبخاصة لأنها كانت منبع شجر المر (عنتي) الذي كان يُستعمَل بخورًا في الاحتفالات والشعائر الدينية، هذا فضلًا عن أنها كانت تمدُّ المصريين بمنتجات أخرى مثل التبر والأبنوس والعاج والحيوان، يضاف إلى ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون أن لهم علاقةً

[٨] راجع: Ibid p. 212.

قديمةً بهذه البلاد، وأنهم من نفس الجنس الذي تألَّفَ منه شعب «بنت»، فقد كان رجال شعبها يُرسَمون بلحًى تقليدية طرفها مقلوب كالتي يلبسها الآلهة المصريون، وكانت البلاد نفسها تُسمَّى في الأدب المصري الأرضَ المقدسةَ أو أرض الإله؛ غير أن الرحالات بين البلدين كانت قد انقطعت أسبابها لمدة طويلة من الزمن، وقد يُعزَى هذا إلى حالة البلاد التي كانت في اضطراب قبل عهد الهكسوس مباشَرةً وفي خلال حكمهم، وقد دبَّرَ شئون هذه الرحلة الكاهن الأعظم «حبوسنب»، ومن المحتمل أنه هو الذي وضع فكرتها؛ لأنه يقال إنها قد جاءت على لسان وحي «الإله آمون» وهو كاهن أكبر، وقد نُقِشت خطواتها ذهابًا وإيابًا على الجدار الذي يقسم الرواق الأعلى من المعبد، وبداية المنظر على يمين الناظر إذ يرى الإله «آمون» جالسًا.[٩]

ونشاهد كذلك الملكة تقصُّ ما قاله الوحي فاستمع إليه: «كان جلالة الملك يتضرع إلى رب الآلهة (آمون رع) عند درج مائدة قربانه، وعندئذٍ سمع أمرًا من العرش العظيم؛ إذ يقول وحي من الإله نفسه إنَّ طُرُقَ أرض بنت ستُقتحَم؛ وإن الطُّرُق العامة إلى الهضاب التي تنتج أشجار البخور ستُخترَق، وإني سأقود الحملة بحرًا وبرًّا لتُحضَر الأشياء العجيبة من تلك الأرض المقدسة لهذه الإلهة (حتشبسوت)؛ ولأجلي أنا مبدع جمالها.»

قيام الحملة

وقد وُضِع على رأس هذه الحملة رئيس الخزانة، ويُدعَى «نحسي» (= العبد)، وكانت الحملة تتألَّف من خمس سفن كبيرة شراعية يمكن عند الحاجة تسييرها بالمجاديف، ولما كانت تفاصيل رسم هذه السفن كما نشاهدها على جدران المعبد تُشعِر بأنها تشبه السفن الشراعية التي كانت تسير في النيل، وأنه ليس لدينا ما يوحي بأية عملية نقل، فلا بد إذن أن يفرض المرء أن هذه الرحلة قد عُمِلت في النيل، ومن ثَمَّ سارت في قناةٍ تخترق وادي طليمات إلى البحيرات المرة، ومن ثَمَّ إلى البحر الأحمر، أما في الأزمان القديمة فقد كان المعتاد أن تبدأ الرحلة من قفط على النيل، ثم تخترق الصحراء عن طريق وادي الحمامات المشهور بمحاجره إلى «القصير» الواقعة على ساحل البحر الأحمر، وهناك كانت تُبنَى السفن ليركبها رجال الحملة إلى بلاد «بنت»، ولكن هذه القناة التي سبقت قناة السويس

[٩] راجع: Naville, “Dier el Bahari”, III. Pls. 69–86, Breasted, A. R. II. § 246.

الحالية، وهي التي نسمع عنها بعد ذلك بقرون قليلة على وجه التأكيد، يُحتمَل أنها كانت موجودةً فعلًا في عهد «حتشبسوت». وبعد ذلك تخبرنا النقوش أن الحملة وصلت إلى بلاد «بنت»، وعلى الرغم من أن الميناء التي رست عليها الحملة ليست معروفة، فإن المناظر التي رُسِمت على معبد الملكة تُظهِر لنا أن الأشجار فيها كانت متصلة حتى شاطئ الماء، ممَّا يدل على أنها كانت بعيدةً بعض الشيء عن مصبِّ النهر، الذي يُحتمَل أن يكون نهر الفيل الذي يقع بين رأس الفيل ورأس جردافوي. أما أكواخ السكان التي كانت تُبنَى تحت ظلال الأشجار فكانت من أشجار الدوم، وعلى شكل خلية النحل، وكان كلٌّ منها مُقامًا على طوار عالٍ يرتكز على أوتاد دُقَّتْ في الأرض، وكان الإنسان يصل إلى باب الكوخ بسلم، وربما كان ذلك لوجود الماء في هذه الأماكن، أما السكان فكانوا من صورهم يمثِّلون ثلاث سلالات مختلفة، اثنتان منها من الجنس الأسود الزنجي، أما السلالة الثالثة فكانت تُنسَب إلى الشعب المصري وهو الجنس السائد؛ وذلك لأن المصريين قد لوَّنوا أجسام هذه السلالة باللون الذي انتخبه المصريون لأنفسهم، وهو اللون الأحمر، وهذه السلالة الأخيرة المنتسبة للجنس المصري كان أفرادها يلبسون لحية مستعارة صغيرة أسطوانية الشكل، وهي تشبه اللحية المستعارة التي يلبسها الآلهة المصريون، ولكن كانت وجوههم حليقة تمامًا، وكانت شعورهم ترجل على الطريقة المصرية، وكذلك كانوا يلبسون القميص المصري القصير وحسب، وكانوا يستعملون الحمار لحمل أثقالهم، وكانت تحرس أكواخهم كلابٌ بيضٌ مرخية الآذان، وقد شُوهِدت كذلك النسانيس والقِرَدة يتسلَّقون فروع الأشجار ويقفزون من غصن إلى غصن، كما نجد كثيرًا من الطيور ممثَّلة، وقد شُوهِد في هذه البلاد الفهود وأفراس البحر والزرافة وغير ذلك من الحيوانات الأفريقية، ويُحتمَل أن أكواخ القوم قد أُقِيمت عاليةً تفاديًا من هذه الحيوانات الضارية التي كانت تأوي إلى الأدغال التي كانوا يسكنونها، أو اتِّقاءً لضرر رطوبة المكان الذي أُقِيمت عليه.

الوصول إلى بلاد بنت

وعندما رست سفن الحملة عند الشاطئ، نزل قائدها «نحسي» إلى الشاطئ أعزل، ولكن كان يتبعه حرسٌ من الجنود يحملون الحراب «والبلط» والقوس والنشاب والدروع، وبعد ذلك أُنزِلت الهدايا من السفن، واستُعرِضت بصفة مغرية على أخونة منخفضة؛ فنشاهد عليها معروضًا السماط من الخرز والأساور والخناجر «والبلط»، والصناديق المصنوعة من الخشب، وفي الحال حضر رئيس البلاد إلى البقعة التي عُرِضت فيها هذه الأشياء، وقد

كُتِب على صورته عظيم «بنت» «برحو»، ولما كانت كلمة «برحو» قد تعني فقط متكلم القبيلة، فإنها قد لا تكون الاسم الحقيقي الذي كان يُدعَى به، وقد كانت تتبعه زوجه، وهي امرأة قد بدأ الكبر يبدو على محياها، وترتدي ملابس صفراء، ولا بد أنها كانت بدينةً فوق المعتاد في شبابها، ثم زالت عنها تلك البدانة المفرطة فارتخى جلدها، وتدلَّى في تجاعيد بعضها فوق بعض، وقد اتَّخَذَ المثَّال المصري من ساقَيْها القصيرتين، وفخذيها الضخمتين، موضعًا لتمثيلها بشيء من المبالغة الفكهة، وقد كتب فوقها: زوجة «إتي»، وهنا كذلك نعرف أن كلمة «إتي» قد تعني رئيسة؛ لذلك لا يُحتمَل أن هذا هو اسمها العَلَم، ويلاحظ خلفها ولدان وابنة، وقد مُثِّلوا ضخامَ الأجسام مثل والدتهن، وبعد ذلك يأتي ثلاثة أتباع يقودون حمارًا مسرجًا، وقد كتب فوقه المثَّال المصري: «الحمار الذي كان يحمل زوجه» (أي: زوج الرئيس)، وقد كتب فوق المنظر الذي يمثِّل هذه المقابلة التي كانت تتمثَّل في رجال الحملة والأهالي، ما يأتي: «وصول السفير الفرعوني إلى أرض الإله ومعه الجنود الذين يساعدونه، ومقابلته رؤساء «بنت»، ثم مجيء رؤساء بنت ليقدِّموا الطاعة برءوس خاشعة ليستقبلوا أولئك الجنود التابعين للفرعون، وقد قدَّموا المديحَ لرب الآلهة (آمون رع) … وعندما كانوا يلتمسون الأمان قالوا: لماذا أتيتم هنا إلى هذه الأرض التي لا يعرفها قوم (مصر)؟ هل نزلتم من مسالك السماء أم هل سحتم في ماء ذلك البحر الذي يملكه إله البلاد؟ أم هل سلكتم سُبُل إله الشمس؟ أما فيما يخص ملك مصر، أليس لجلالته طريق حتى يمكننا أن نذهب إليه ونعيش بالنفس الذي يمنحه.»

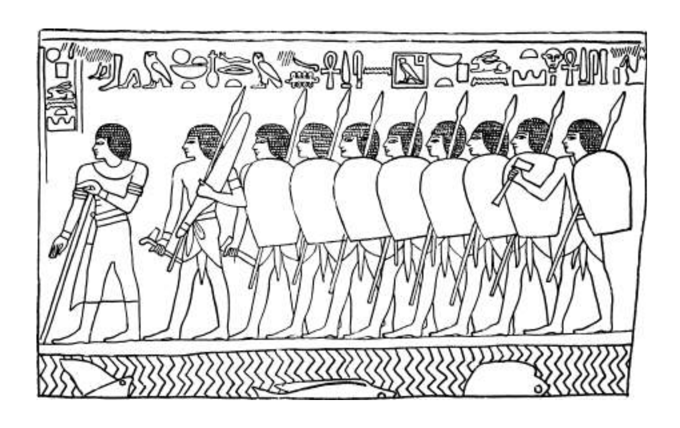
وقد نشأت بين الطرفين علاقات ودية، وعلى ذلك ضرب القائد المصري خيامه، وفيها أقام وليمة لضيفانه، وهنا تقول النقوش المفسِّرة: لقد نُصِبت خيمة السفير الملكي وجنوده في خمائل «بنت» ذات الشذى العطر، بالقرب من ساحل البحر لأجل أن يستقبلوا رؤساء هذه البلاد، وقد قُدِّم لهم الخبز والجعة والخمر واللحم والفاكهة، وكل شيء يوجد في مصر حسب التعليمات التي أعطاها البلاط. أما الرؤساء فأحضروا معهم هدية: أختام من الذهب، وعصي للصيد، وكومة عظيمة من راتنج (البخور)، وهو الذي يقدِّره المصريون بدرجة عظيمة.

شحن السفن بمنتجات بلاد بنت

أما الحادث الثاني الذي سنضعه هنا فهو شحن السفن بمنتجات البلاد المختلفة، مثل: العاج، والأبنوس، والأخشاب الأخرى، وجلود الفهد، والذهب، والبخور، والقِرَدة الحية،

والنسانيس، وبخاصة أشجار البخور التي نُقِلت بجذورها محفوظةً في سلات وقدور من الفخار، والنقوش التي على هذا المنظر كالآتي:

شحن السفن بحمولة ثقيلة جدًّا بالأشياء العجيبة من أرض بنت وهي: كل الأخشاب الجميلة الغالية من أرض الإله، أكوام من راتنج (البخور)، وأشجار البخور المزهرة، والعاج، والعاج النقي، وبالذهب الأخضر (الناعم) من أرض «أمو»، وبخشب القرفة، وخشب خسيت (نوع من الخشب لم يُعرَف أصله غير أنه ذكي الرائحة) والبلسم (؟) (أموت) والراتنج، والتوتية، والنسانيس، والقِرَدة، والكلاب، وجلود الفهود الجنوبية، ومواطنين من سكان هذه البلاد وأولادهم، ولم يُؤْتَ بمثل هذا لأيِّ ملك وُجِد منذ الأزل.



شكل ٤: الجنود المصريون في بلاد بنت.

عودة الحملة إلى مصر

وبعد ذلك عادت الحملة، وعندما رست نجد السفن المحملة وحقائب البخور مرصوصة على ظهر السفن، وأشجار البخور في قدورها مزهرة، والقردة والنسانيس تتسلق أمراس السفن وغير ذلك.

والنقش الذي يتبع هذا المنظر يقول: «السياحة (إلى الوطن) والوصول بسلام: إن السياحة إلى طيبة قد قام بها بقلب فَرِح جنودُ ربِّ الأرضين، ورؤساء هذه الأرض (بنت)

وخلفهم، وقد أحضروا معهم أشياء لم يحضرها من قبلُ أيُّ ملك …» ويلي هذه مشاهدة رئيس «إرم» و«إلم» ورئيسي «تميو» وهما قبيلتان غير معروفتين من بلاد بنت يتبعهما رجالهما، وكلهم قد ركعوا أمام «حتشبسوت» مقدمين لها الهدايا. والآن ترى بصورة أكثر تفصيلًا الأنواع العظيمة المختلفة من منتجات هذه البلاد، والمخلوقات الحية التي أُتِي بها إلى مصر؛ فقد كانت تحتوي على نوعين من الثيران ونوعين من الفهود، واحد منها يظهر أنه كان أليفًا؛ لأنه مُثِّل وحول رقبته طوق وله رسن، وزراف ونسانيس وقردة، وأشجار بخور نامية، وأخشاب ثمينة مثل الأبنوس والعاج، والتوتية للتكحُّل بها، وحقائب من البخور، وذهب وفضة، وسام ولازورد، وفيروزج، وأصداف، وعصي صيد، وغيرها؛ ثم قدمت الملكة «حتشبسوت» كلَّ هذه الأشياء إلى الإله «آمون»، وتنص النقوش هنا على أنها أشرفت على وزن الراتنج والمعادن الكريمة، وكانت جلالتها تعمل بيديها، فوضعت أحسن العطور على أعضائها، حتى إن عبيرها كان كالأنفاس القدسية، وانتشر شذاها حتى اختلط بشذى أرض «بنت»، وكان جسمها مرصَّعًا بالسام يسطع كالنجوم في قبة السماء على مرأًى من كل الأرض؛ فعمَّ الفرح كل الشعب، ودعوا إلى رب الآلهة، وامتدحوا صفات «ماعت كارع» الإلهية لما حدث لها من معجزات عظيمة؛ إذ لم يحدث مثل ذلك في عهد أي آلهة قبلها منذ الأزل.

وفي مقابل ذلك فرض أن «آمون» أجابها بالخطاب التالي:

> مرحبًا بابنتي الجميلة محبوبتي، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «ماعت كارع» (حتشبسوت) التي تقيم آثاري الجميلة، والتي تطهر عرش تاسوع الآلهة الأعظم ليكون سكنًا لي بمثابة ذكرى لحبها. وإنك الملكة التي استولت على الأرضين «خنمنت آمون حتشبسوت» عظيمة القرابين، وما تقدِّمين من قرابين الطعامِ طاهِرٌ، وإنك تسرين قلبي في كل الأزمان، وإني قد منحتك كل الحياة، والسلام من عندي، وكل الثبات من لدني، وكل العافية مني، وكل الصحة من قِبَلي، وأعطيتك كل الأقطار، وكل البلاد ليسرَّ قلبك بها؛ لأني كنت منذ زمن طويل قد عزمت أن أمنحك إياها، وستراها الأحقاب عشرات الآلاف من السنين المفيدة التي فكرت في قضائها، ولقد أعطيتك بلاد «بنت» حتى حدود أقاليم الآلهة التابعة لأرض الإله، فإنه لم يطأ أرض خمائل البخور أحد، والناس لم تعرفها؛ بل كان يُسمَع بها مشافهةً عن طريق الإشاعة منذ زمن الأجداد.

على أن الأشياء العجيبة التي أُتِي بها هنا في عهد آبائك ملوك الوجه القبلي والوجه البحري قد نُقِلت من يدٍ إلى يد أخرى، وكذلك منذ عهد أجداد ملوك الوجه القبلي والوجه البحري الذين عاشوا في قديم الزمان، وقد سلمت على أن يدفع ثمنها غاليًا، وإنه لم يصل فعلًا إلى تلك الخمائل إلا رسلك، ولكني سأجعل جنودك تطؤها؛ لأني أقودهم بحرًا وبرًّا، وجاعلهم يخترقون مضايق مالية لا يمكن اختراقها، وقد جعلتهم يصلون إلى خمائل البخور وأرض الإله إقليم فاخر، وهو حقًّا مكان سروري، وقد أوجدته لنفسي ليكون تسلية لقلبي، وقد جمع الجنود البخور كما يرغبون، وحملوا سفنهم كما تشتهي قلوبهم من شجر البخور المزهرة ومن كل منتجات هذه البلاد الطيبة. أما أهل «بنت» الذين لم يعرفهم قوم مصر أولئك الأجانب أصحاب أرض الإله، فإني استملتهم بالحب، ليقدِّموا لك الحمد؛ لأنك إلهة، ولما لك من الشهرة في كل الممالك؛ وإني أعرفهم لأني سيدهم الحكيم … وإني «آمون رع» الخالق، وابنتي التي تغل الأرباب «الملك ماعت كارع» (حتشبسوت) ولقد أنجبتها لنفسي، وإني أنا الوالد الذي يبثُّ الخوفَ بين قبائل الأقواس التسعة عندما يأتون في سلام إلى كل الآلهة، وقد عاد الجنود ومعهم كل الأشياء العجيبة، وكل شيء طريف من أرض الإله أرسلت جلالتك في طلبها؛ فأكوام راتنج البخور، وأشجار نضرة تحمل بخورًا عذبًا، قد كُدست في قاعة الأعياد لتُحمَل إلى رب الآلهة: ليت جلالتك تجعلينها تنمو في (حدائق) معبدي حتى أستطيع أن أمتع قلبي بها، وإن اسمي أمام الآلهة، واسمك أمام كل الأحياء مخلد، وعلى ذلك فإن السماء والأرض قد غمرتا بشذى البخور، وسيكون عبيق العطر في البيت العظيم.

وأخيرًا نجد نقشًا ربما كان أهم نقوش الحملة إلى «بنت»؛ لأنه يمدنا بتاريخ عودة الحملة في السنة التاسعة، وفيه تحدِّث الملكةُ بلاطَها عن نجاح الحملة، فاستمع إليه: «في السنة التاسعة عُقِدت جلسة في قاعة الاستقبال ظهرت فيها الملكة متوَّجة بتاج «آتف» على العرش العظيم المصنوع من السام في وسط أبهة قصرها، وقد حضر الأشراف وعظماء رجال البلاط ليستمعوا إلى الخطبة، التي كانت ستُلقَى بمثابة تصريح للأشراف.

خطبة الملكة: لقد ظهرت مخلدة أمام وجوهكم على حسب ما رغب فيه والدي، حقًّا لقد كانت رغبتي هذه في عمل ذلك، لأعظم من أنجبني، وأعترف بجميل

والدي الذي يمكنني من جعل قرابينه فاخرة وأقوم بما عجز عنه آبائي، وهم الأجداد الملكيون، كما فعلت الواحدة العظيمة (إزيس) لرب الأبدية (أوزير)، وإني أضيف زيادةً على ما كان يُفعَل سابقًا، وإني سأجعل الخلف يقولون: ما أجملها تلك التي حدث هذا على يديها! لأني سلكت مسلكًا حسنًا جدًّا معه، وكانت أعماق قلبي ممتلئة بفكرة ما يجب له (وإن بهاءه في السماء وعلى هذا العالم) … ولقد فطن لتفوقي عندما أتكلم عن أشياء عظيمة أقولها بينكم … ولقد صدر مرسوم من جلالتي يأمر قومي بإرسال خمائل البخور من «بنت»، وأن يجتازوا مسالكها، ويكشفوا اتساعها، ويفتحوا طرقها العامة على حسب أمر والدي آمون … وقد اقتُلِعت أشجار من بلاد الإله، وغُرِست في أرض مصر … وقال جلالتي: إني سأجعلك تعرف ما أمرت به؛ لأني أصغيتُ لوالدي، وسمعت ما رسم به، وهو أن تُؤسس له «بلاد بنت» في هذا المعبد، وأن تُغرَس أشجار «بلاد الإله» بجانب معبده في حديقته كما أمر. والآن وقد تمَّ ذلك … فقد أنشئت له «بلاد بنت» في هذه الحديقة كما أمرني في «طيبة»، وهي حديقة واسعة الفناء لأجله وسيتنزه فيها …»

(ونهاية هذا النقش مفقود.)

وتدل الكشوف الحديث على أن الأشجار العطرية التي أتي بها من «بلاد بنت» قد غُرِست فعلًا في حفرٍ نُقِرت في الصخر أمام المعبد، ومُلِئت بالطين الخصب، أو وُضِعت في جفان على مدرجات المعبد، وقد عثر على هذه الحُفَر الحفَّارون المحدثون في الردهة التي أمام المعبد، وقد وُجِد أن بعضها كان لا يزال محفوظة فيه جذوع هذه الأشجار الجافة، غير أن هذه الأشجار ظهر أنها شجر اللبخ أو «برسا».[١٠]

ولا نزاع في أن مناظر هذه الحملة تحتوي على تفاصيل كثيرة جديرة بالاهتمام من الوجهة الفنية والعلمية والاجتماعية، لَمن أراد درس الجهات التي تشير إليها، وهي تلك البلاد الواقعة على ساحل البحر الأحمر، وتشمل الصومال حتى خليج عدن، وما يقابلها

[١٠] راجع: Naville, “Un dernier mot sur la Succession des Thoutmes”, A. Z. XXXVII, p. 52.

من الجهة الأخرى. ومما يلفت النظر ملامح أهل «بنت» التي أحكم المثال إبرازها، وهي تشبه كثيرًا المصريين الذين نشاهدهم في رسوم الدولة القديمة وكذلك شكل اللحية، التي تشبه لحية الآلهة المصريين. ومما يلفت النظر بنوع خاص أنواعُ السمك التي نشاهدها مصوَّرة تحت السفن، فهي في الحقيقة ليسَتْ من نسج خيال المفتن، بل درست ووُجِد أن كلَّ نوعٍ منها قد وُجِد له نظيره في سمك البحر الأحمر، ممَّا يدل على قوة ملاحظة المصري القديم في إخراج صورة طبق الأصل، وهذا السمك إما أن يكون قد أُحضِر للمفتن المصري بخاصة، وإما أن يكون بعض رجال الفن قد صحبوا الحملة، وهذا الرأي الأخير هو المعقول.

وكذلك نلاحظ طائفة أخرى من التفاصيل في الملابس الحربية التي كان الجنود المصريون يرتدونها، والأعلام التي كانوا يحملونها، هذا إلى صور في قوارب مقدسة، «وبلط» وأقواس، وعصي رماية، وطبول يدقُّ عليها من كلا الجانبين، كل هذه الأشياء قد مُثِّلت في أشكال رائعة. والواقع أن النقوش التي خلدت ذكرى هذه الحملة العظيمة، تُعَدُّ فذَّةً وأفخم صورٍ نُشِرت لأيِّ رحلة كشفية عرفها العالم، وهي جديرة بذلك البناء الفخم الذي تزينه، ولكن السير «فلندر زبتري» قد نقدها بأنها جامدة لا روح فيها ينقصها قوة التعبير، ولا نزاع في أنها تنقصها تلك القوة والدقة المدهشة التي يصبها المفتن في صوره عندما يكون عليمًا بأصول التشريح.

وهذا ما نشاهده في نقوش الدولة القديمة عندما يسمو الفن بالمفتن إلى أعلى مراتبه في ذلك العصر السحيق، ولكن إذا نظرنا إلى نقوش الرحلة باعتبارها أجزاء من تصميم زخرفة عامة عُمِلت على نطاق واسع، فإنها تُعَدُّ ناجحة نجاحًا باهرًا، ومن المحتمل أنه لو وُضِعت فيها تفاصيل أكثر لكانت أقلَّ تأثيرًا في النفس في هذه الأحوال.

(٧-٣) وصف معبد الدير البحري

على أن السير «فلندر زبتري» عندما تحدَّثَ عن تأثير المعبد برمته، مدح هذا البناء العظيم بكلمات ستظلُّ على وجهٍ عامٍّ أكثرَ دليل على مهارة المصري في فن البناء والذوق السليم، فاستمع إليه: «فَلْيَقُمْ أيُّ نوعٍ آخَر من البناء هناك، فإنه لن يكون بجانبه إلا دخيلًا هزيلًا؛

وذلك لأن خطوط المدرجات والسقف المنبسطة الطويلة، والظلال العمودية التي ترسلها قاعات العمد، تنسجم انسجامًا تامًّا مع طبيعة المكان الذي يحيط بها.»

وقد وصف مستر «ربرت[١١] هتشتر» معبد الدير البحري على ما هو عليه الآن وصفًا دقيقًا، فقال: «إن معبد الدير البحري يشبه حسناء رقيقة، قد تعطَّرَتْ وتزيَّنَتْ، يلفُّها رداءٌ جمَعَ بين الأبيض والأزرق والبرتقالي، وقد وقفت وقفة العالمة المتدلِّلة بجمالها، ومستندة إلى جبل يجمع بين اللون البرتقالي والقرنفلي والأحمر والأسمر والفاتح، ممَّا جعلها فاتنة الجيل المبتسمة.» وقد يكون هذا الوصف مطابِقًا لبعض الواقع، فإن «سنموت» قد صمَّم بناءه، ولكن ممَّا لا نزاع فيه أنه كان يترجم عن إلهام امرأة بما أقام من حجر وجص.

(٧-٤) مقبرة حتشبسوت وعلاقتها بمعبد الدير البحري

أما نحت قبر جديد للملكة «حتشبسوت» ووالدها، فقد عُزِي أمره إلى «حبوسنب»، وقد حفر خلف جدار الصخرة العظيمة الواقعة وراء المعبد نفقًا طويلًا في الجانب الشرقي من «وادي الملوك» حيث كان الباب، وقد كان غرض الملكة أن تكون حجرة دفنها تحت محراب معبدها في المعبد، وهي تقصد من وراء ذلك أن تعقد شعائرها الدينية الخاصة بروحها (كا) في معبدها الذي أقامته لذلك، على أن تقام هذه الشعائر في محراب المعبد الذي حُفِرت تحته مباشَرةً حجرة الدفن، وبذلك يمكن لروحها أو قرينتها أن تصعد من الصخرة الصماء لتستقبل الشمس المشرقة كلَّ يوم، وترحب بها على ردهات المعبد. ويبلغ طول النفق الذي يؤدِّي إلى حجرة الدفن هذه حوالي سبعمائة قدم، وعمقه عموديًّا يبلغ ثلاثمائة قدم، وهو منحرف نحو اليمين، وربما يرجع السبب في ذلك إلى عيب في الصخر، ممَّا جعل العمال ينحرفون عن الاتجاه المستقيم. وحجرة الدفن التي وُضِع فيها تابوت الملكة قد كُسِيت جدرانها الخشنة بقِطَع من الحجر الجيري الأبيض، عليها متون دينية، أما التابوت الذي كان فيه جثمان «حتشبسوت» فمصنوع من الحجر الرملي (كوراتسيت).

[١١] راجع: Baikie, “A History of Egypt”, Vol. II, p. 74.

(٧-٥) نقل مومية تحتمس الأول والدها إلى قبرها

وكذلك وضعت الملكة تابوتًا آخَر لمومية والدها «تحتمس الأول»، الذي نقلته من مخدعه الأصلي ودفنته ثانيةً بجوارها، وقد حقَّقَ هذا الزعم وجود بعض قِطَع من جهازه الجنازي في مدفنها الأصلي؛[١٢] إذ عُثِر على إناء كبير من المرمر باسمها، غير أنها كانت تُلقَّب هنا بالزوجة المقدسة «حتشبسوت»، وهذا لقب كانت تُنادَى به في عهد زوجها «تحتمس الثاني»، في الوقت الذي كان فيه «تحتمس الأول» قد دُفِن، وقد نبذت هذا اللقب وتسمَّتْ بأسماء الملك عندما نُحِت هذا القبر لها. وكذلك وُجِد إناء منقوش عليه اسم «تحتمس الأول» واسم زوج والده «أحمس نفرتاري»، وآخَر كُتِب عليه اسم «تحتمس الأول» واسم ولده «تحتمس الثاني» الذي قدَّمه له، وتلك الأواني لا يُحتمَل أن تكون ضمن أثاث الملكة الجنازي.

وهذه المغالاة في التعبُّد لوالدها قد جعلها تتخذ تلك الخطوة النادرة، وهي نقل جثمان والدها إلى القبر الذي أَعَدَّتْه لنفسها، وذلك ما أحفظ «تحتمس الثالث»؛ إذ عُدَّ ذلك العمل إحدى الإهانات المتكررة التي كانت تنهال عليه في خلال تلك الفترة؛ لأن ذلك يجعل والده «تحتمس الثاني» أمام القوم مغتصبًا، وأن «حتشبسوت» قصدت أن تتجاهل ذكراه بربط حكمها بحكم والدها «تحتمس الأول» دون فاصل، وجعل إقامة شعائرها وشعائر والدها واحدة؛ ثم رأت الملكة فضلًا عن اقتسام قبرها مع والدها أن تضيف مقصورة في معبدها الجنازي بالدير البحري، قد أهدتها إلى روح والدها «تحتمس الأول»، وإلى روح والدته «سنسنب» التي كانت تُعَدُّ جدتها؛ على أنها لم تَقُمْ بعمل شيء مثل هذا «لتحتمس الثاني»، بل كان اسمه لا يكاد يُذكَر في كل نقوش المعبد، وإن كان «تحتمس الثالث» بدوره لم يُذكَر اسمه إلا نادرًا. وقد تغالت «حتشبسوت» في إظهار والدها على مباني المعبد لدرجة أنها رسمت صورته، وذكرته في النقوش التي على الجدران حتى يكون ظاهرًا يراه كل الناس، ويشعرون بأنه مرتبط بها روحيًّا.[١٣]

أما القبر الأول الذي كانت قد حفرته «حتشبسوت» في وجه صخرة تقع في وادٍ عميق، فقد هُجِر وبقي فيه تابوتها الجميل إلى أن كشف عنه «كارتر» في عام ١٩١٦،

---

[١٢] راجع: Davis, “Excavations at Biban el Moluk”, The Tomb of Hatshepsut, p. 106.

[١٣] راجع: Weigall, “History”, II, p. 321.

ولما ازداد خطر لصوص القبور في العهد المتأخر، اضطرَّ الكهنة إلى نقل الموميات من توابيتها ووضعها مع جماعة الملوك الذين جُمِعت جثثهم في مقبرة الملكة «أنحابي»، التي لم يكن قد تمَّ حفرها في الدير البحري، وهناك بقيت جثة الملكة هادئة في مضجعها مدةً تربو على ألفين وخمسمائة سنة، على مقربة من المعبد الذي كان يومًا موضوع فخارها. وعندما نقل «إميل بركش» الموميات الملكية من خبيئتها في عام ١٨٨١ بعد الميلاد، عرفت مومية «تحتمس الأول» في الحال، أما جثة «حتشبسوت» فلم يُعرَف لها أثر قطُّ، على أنه من المحتمل جدًّا أن تكون إحدى الموميات العدة التي لم تُعرَف شخصيتها بعدُ في هذه المجموعة الغريبة. والآن لا يمكن لمخلوق أن يقول إن هذه هي جثة «حتشبسوت» بعينها من بين هاتيك الجثث التي لم تُحقَّق، وربما سرها ذلك أكثر من أن تترك معروضة للمتفرجين كما كانت الحال إلى زمن غير بعيد، عندما كانت موميات بعض أعاظم ملوك التاريخ المصري معروضةً للنظارة تُشاهَد هي والآثار التي خلفوها على حدٍّ سواء.

وقد كان قبرها الضخم لا يزال مفتوحًا في عهد «سترابون» عام ٢٤ق.م، وكذلك فُتِح جزئيًّا في عهد حملة «نابليون» سنة ١٧٩٩، وقد قام ببعض العمل فيه «لبسيسوس» سنة ١٨٤٤، غير أنه لم يُعرَف في كلتا الحالتين بأنه قبر «حتشبسوت»، وأخيرًا كشف عنه «دافيز» سنة ١٩٠٣، وأتمَّ العمل الذي بدأه «دافيز» المستر «كارتر»، وقد وجد القبر منهوبًا نهبًا تامًّا، وكان أهم ما وُجِد فيه التابوتان المصنوعان من حجر «الكوارتسيت»، وهما اللذان كانا يضمان جسمَيْ «تحتمس الأول» و«حتشبسوت».

على أنه في الوقت الذي كان منكبًّا فيه «حبوسنب» في نحت مقبرة الملكة، كما أشرنا إلى ذلك، كان «سنموت» موجِّهًا عنايته بوجه خاص إلى إتمام المعبد كما ذكر لنا هو ذلك صراحةً.

وتدل الحفائر التي قام بها «ونلك» على أن تصميم المعبد الأصلي قد زيد فيه، ولم يتم بناؤه إلا في العام السادس عشر من حكم الملكة، أي حوالي عام ١٤٨٥ق.م،[١٤] وفي الوقت نفسه كان نشاط «سنموت» رئيس الأعمال الملكية كلها قد ظهر في معظم بقاع الوجه القبلي ومصر الوسطى مما سنفصل فيه القول، وبخاصة المسلات العظيمة التي أقامها تخليدًا لذكرى هذه الملكة العظيمة في الكرنك.

[١٤] راجع: Winlock. “Dier el Bahari”, P 149.

(٧-٦) حتشبسوت تقيم مسلات

وقد ذكرنا من قبلُ أنه في عهد «تحتمس الثاني» أحضرت مسلتان لإقامتهما احتفالًا بعيد الملكة الثلاثيني، وهذا العيد كان أول خطوة حاولت بها أن تعلن نفسها ملكةً على البلاد، وقد تُرِكت هاتان المسلتان دون أن يُنقَش عليهما كلمة واحدة، ولكنها بعد هذا الحادث بثلاث عشرة سنة كان في مقدورها أن تنقشهما كما أرادَتْ، فحفرت على جهاتهما الأربع اسمها الجديد وألقابها، وذكرت أن المسلتين قد أقامتهما احتفالًا بعيدها الأول الثلاثيني، وتذكارًا لوالدها «تحتمس الأول» والإله «آمون». وعلى قاعدة إحدى هاتين المسلتين نقشت متنًا هامًّا بُدِئ بمديح نفسها، ثم ذكرت فيه أن هذين الأثرين قد قطعَا من أحسن أنواع جرانيت الجنوب، وأن قمتهما كانت من السام الذي يمكن مشاهدته من كلا جانبي النيل، عندما تسطع عليهما أشعة الشمس حين شروقها، وكذلك تحدثنا كيف أنها لم تَذُقْ طعمَ النوم ليلًا لتفكيرها في معبد «آمون» هذا؛ وذلك لأنها أبصرت أن الكرنك كان موطن الإله، والموضع الذي يميل إليه قلبه، وكيف أنها وهي جالسة ذات يوم في قصرها قد فكَّرَتْ أن «آمون» هو الذي برأها، وأنها قد أقامت هاتين المسلتين له، فتقول:

> أنتم يا أيها الناس، يا مَن سترون آثاري هذه في السنين المقبلة، يجب أن تتحدَّثوا عمَّا فعلت، واحذروا أن تقولوا: لا نعلم لماذا قد عمل هذا، وأن جبلًا صُنِع كله من الذهب كأنه شيء عادي قد حدث، وإني أحلف بقدر ما يحبني إله الشمس، وبقدر ما يحبوني إلهي «آمون»، وبقدر ما يملأ أنفي بالحياة الممتعة، ولبسي تاج الوجه القبلي الأبيض، وبظهوري بتاج الوجه البحري الأحمر، وبما ضمَّ إليَّ الإلهان «حور وست» من نصيبهما في مصر، وبما أحكم من أرض مصر هذه مثل (حور) بن «إزيس»، وبما صيَّرني قويًّا مثل «أوزير» ابن السماء، وبمثل ما يغيب إله الشمس في سفينة المساء، ويشرق في سفينة النهار، وبقدر ما ينضم إلى «إزيس» و«نفتيس» والدتيه في السفينة المقدسة، وبقدر ما تبقى السماء، وبما صنعه إله الشمس ليبقى، وبخلودي في الأبدية مثل النجوم التي لا تغيب، وبذهابي وغيابي وراء جبال الغرب مثل «آتوم» (الشمس المغربة)، بهذا أحلف أن هاتين المسلتين اللتين عملتهما جلالتي من السام، هما لوالدي «آمون» حتى يصير اسمي مخلدًا باقيًا في هذا المعبد أبد الآبدين. وإني أحلف أن كل واحدة منهما قد صُنِعت من قطعة واحدة من الجرانيت الصلب دون شدخ أو وصلة،

وأن جلالتي هي التي أمرت بعملهما، وقد بدأ ذلك من السنة الخامسة عشرة اليوم الأول من الشهر الثاني من الفصل الثاني، وإن العمل في المحاجر نفسها استغرَقَ سبعة أشهر.

والآن يتساءل الإنسان ما الداعي لهذا اليمين المغلظ الذي عقدته لنا حتشبسوت في ألوان شتى مما تعقد بها الأيمان العظيمة؛ هل عقدَتْ هذا اليمين لتؤكِّد لنا أن كلًّا من المسلتين كانت قطعة واحدة، وأن قطعهما لم يستغرق من الوقت أكثر من سبعة أشهر معدودات؟ إن هذا ليس بالأمر المستغرب؛ لأنه قد حسب أنه في مثل هذا الوقت يمكن إنجاز مثل هذا العمل،[١٥] ولكن شواهد الأحوال تنبئ بأن الملكة إنما أغلظت أيمانها لتدلِّل على أنها لم تغتصبهما، بل أمرت «حتشبسوت» نفسها بصنعهما، وكذلك أرادت «حتشبسوت» أن تفهم العالم بأنها كانت صاحبة الأمر والنهي في السنة التي أمرت بقطع المسلتين فيها؛ ولذلك احتفلت بعيدها الثلاثيني الذي من أجله قطعت المسلتين مُبرهِنةً بهذا العمل على أنها كانت خلف «تحتمس» الأول على العرش، وقد أثبتنا فيما سبق أن المسلتين لم تُنقَشَا إلا بعد أن أصبحت هي الحاكمة المطلقة على البلاد، ولكنهما كانَا قد أُقِيما في عهد «تحتمس الثاني»، وعلى ذلك يكون قد مضى نحو خمس عشرة سنة بين نصبهما ونقشهما، أي إنها في كل ذلك كانت تريد أن تُثبِت أنهما قد أُقِيمتَا أولًا بأمرٍ من «حتشبسوت» نفسها لا بأمرٍ من «تحتمس الثاني»، ومن ثَمَّ كان حلفها هذا اليمين المغلظ على صدق ما ادَّعته.

وبعد ذلك تستمر الملكة في قولها عن المسلتين: «اسمعوا أنتم يا أيها الناس! لقد أعددتُ لهاتين المسلتين أحسن معدن «السام»، وقد كلته بالحقت (هو مكيال سعته خمسة لترات) كأنه حقائب (بر)، وقد حددت جلالتي المقدار بكميةٍ لم تَرَ الأجداد من قبلُ أكثرَ منها، فدَعْ أولئك الذين يجهلون الحقيقةَ يعرفونها مثل العالِمين بها، ولا تجعل مَن سيسمع ذلك يقول إن هذا الذي قلته مين وكذب، بل دعه يقول: ما أشبه ذلك بها! (أي: الملكة) إنها صادقة في نظر والدها «آمون». وإنه هو الذي جعلني أحكم على الأرض السوداء والأرض الحمراء، مكافأة لي على ذلك، وليس لي عدو في أي بلد، فكل البلاد خاضعة لي، وإنه وضع حدودي عند أقاصي السماء، وقد عملت لي دائرة الشمس (نفسها)، وقد أعطاني من وحدت معه هذا؛ لأنه يعلم أني سأقدِّمها له (ثانيةً). حقًّا إنني ابنته وهو الذي يرفع من شأني

[١٥] راجع: Engelbach, “The Problem of the Obelisks”, p. 48.

… وهو الذي أوجد مملكتي، والأرض السوداء والأرض الحمراء قد أصبحتَا تحت قدمي، وحدودي الجنوبية قد بلغت حتى بلاد «بنت»، وحدودي الشرقية قد وصلت إلى مستنقعات آسيا، والآسيويون في قبضتي، وحدودي الغربية بعيدة جدًّا عن جبال «مانو» (جبل خرافي تغيب وراءه الشمس)، وحدودي الشمالية قد وصلت … وشهرتي بين كل رجال البدو.»[١٦]

الملكة تقيم مسلتين بمعبد الكرنك

وتدل الآثار على أن الملكة «حتشبسوت» قد أقامت مسلتين أخريين في معبد الكرنك، غير أن موقعهما بالضبط لم يُعلَم للآن، ولم يَبْقَ منهما إلا قمة واحدة محفوظة الآن «بمتحف القاهرة»،[١٧] والظاهر أن «حتشبسوت» قد أقامتهما احتفالًا «بعيد سد» العيد الثلاثيني الثاني، هذا مع العلم بأن المدة التي كانت تنقضي بين الاحتفال بهذا العيد والذي يليه لا تُحدَّد عادةً بثلاثين سنة، بل كان ذلك العيد يُقام حسب هوى الفرعون الحاكم وما تقتضيه الأحوال، وليس في مقدورنا الآن أن نحدِّد المدة التي انقضت بين الاحتفال بعيدها الأول وعيدها الثاني. وقد تُرِك لنا على نقوش الرواق الأسفل من معبد الدير البحري منظرُ نقْلِ مسلتين وإهدائهما، فنشاهد في النقوش سفن النقل ممثَّلة فعلًا ذاهبة نحو الشمال، كأنها منحدرة في النيل من أسوان حيث قُطِعت المسلتان، ثم نجد بعد ذلك في الجهة الشمالية من الجدار الإهداءَ في «طيبة»؛ ويبتدئ المتن الخاص بهاتين المسلتين بألقاب الملكة ومدائح فيها، ثم الأمر بجمع المواد لبناء السفن اللازمة لنقلهما، ويلي هذا أمرٌ بإعداد الرجال والجنود للنقل، وأخيرًا نقل المسلتين، وقد هشم جزء كبير من هذه النقوش؛ فبعد ذِكْر ألقاب الملكة نجدها تُوصَف بأنها هي هذا الجزء الفاخر من والدها «آمون رع» رب السماء، الذي لم يفصل بعيدًا عن والد رب كل الآلهة، والمضيئة اللمعان مثل إله الأفق، وإلهة الشمس التي تمنح النور مثل الشمس، والتي تنعش قلوب الأهلين، ومن شهرتها قد اشتملت الدائرة العظمى (الأرض)، ثم يلي ذلك بعض جُمَل غير متصلة لتهشيم المتن، نقرأ فيها ما يشير إلى بناء سفن كبيرة جدًّا لنقل المسلتين من محاجر «أسوان» إلى «معبد الكرنك»، ثم ما يشير إلى جمع كل الجيش لشحن المسلتين عند «إلفنتين»، وتجنيد الشباب من كل الأرضين قاطبةً.

---

[١٦] راجع: Breasted, A. R., II. § 304–321.

[١٧] راجع: Ibid § 304.

هذا بالإضافة إلى مناظر محفورة نشاهد فيها المسلتين موضوعتين على هذه السفن التي كانت تجر إلى أسفل النهر بسبعة وعشرين قاربًا تسير بالمجاديف، وهذه القوارب كانت مرتَّبةً في ثلاثة صفوف، كل منها يقوده قارب رئيسي، في حين أن قوارب أخرى مرافقة للسابقة كان فيها كهنة يرتلون الصلوات، ويحرقون البخور، رجاء نجاح المشروع، والنقوش التي على هذا المنظر تتحدَّث عن «السياحة شمالًا مع التيار بقلب فرح»، وتشير إلى عيد الملكة الثلاثيني، ثم نقرأ عن رسو السفن بنجاح عند «طيبة» المظفرة، في حين أن السماء تبتهج والأرض في عيد. ونشاهد على الشاطئ عند الكرنك جنودًا يحملون أغصان الأشجار احتفالًا بهذه المناسبة، كما نشاهد فرقةً من الرماة يتقدَّمهم حامل بوق، كما نشاهد الكهنة والجزارين يعدون الضحايا والجنود والضباط مسرعين ذهابًا وإيابًا، وهنا يقول المتن عند ذلك: «فرح بحَّارة سفن الملكة فيصيحون: أصغوا إلى الصياح! إن في السماء لعيدًا، وإن في الأرض لفرحًا؛ لأن «آمون» قد زاد في عدد سني ابنته التي أقامت هذه الآثار لتجلس على عرش «حور» الأحياء مثل إله الشمس مخلدًا. وهناك صيحات من مجندي الجنوب والشمال، ومن شباب طيبة، ومن فتيان «خنتنفر» (النوبة) بحياة وفلاح وصحة ملك الوجه البحري والوجه القبلي منخبر رع (تحتمس الثالث)، حتى تكون قلوبهم فَرِحة مثل إله الشمس مخلدًا.» ونلاحظ أنه قد نُقِش فوق ضحايا القربان ما يأتي: «قربان لروحك يا رب الآلهة لأجل أن تمنح «ماعت كارع» الصحة في هذا العيد الثلاثيني لملايين السنين.»

وممَّا يلفت النظر هنا أن الجماهير كانت تحيي «تحتمس الثالث» كما كانت تحيي «حتشبسوت»، ومن ذلك يتَّضِح جليًّا أن «حتشبسوت» على الرغم من قبضها على كل السلطة في يدها، وأنها كانت الحاكمة المطلقة اسمًا وفعلًا، فإنها كانت مضطرةً إلى أن تعترف ولو شكلًا بأن «تحتمس الثالث» كان شريكًا لها في الملك، على أن ذلك ليس بالمثال الوحيد الذي لدينا من هذا النوع عن ذِكْر «تحتمس الثالث» بصفة ثانوية مع «حتشبسوت»؛ إذ لدينا مثَلٌ آخَر، وهو لوحة دُوِّن عليها إصلاح قلعة الجبانة في «طيبة»، نجد فيها أن الملكة قد ذكرت ألقابها وأسماءها، ثم تتحدث عن العمل الذي قامت به هي في هذه القلعة محبةً منها لوالدها «آمون»، وكل ما فعلته لتحتمس الثالث هو أنها سمحت بأن تمثل صورته على أعلى اللوحة، واقفًا وراء صورتها في استكانةٍ وذلةٍ، واسمه لم يُذكَر

قطُّ في إهداء هذه اللوحة،[١٨] وهكذا كانت «حتشبسوت» من وقت لآخَر تسمح بنقش اسمه أو صورته على جدران المعبد، ولكن وجوده لم يَكَدْ يُحَس؛ إذ كان يُرسَم خلفها، ولا بد من أن هذه الأعمال كانت تحزُّ في نفسه، وتجعله يتَّقِد غيظًا منها، ومن أولئك النفر الذين كانوا عونًا لها على إثبات تلك الأفعال التي كانت تتنافى مع التقاليد والحق معًا؛ ولذلك كان أول ما قام به بعد اختفاء تلك العاهلة الطموحة، التنكيل بأولئك الذين ساعدوا على إقصائه عن عرش ملكه الشرعي كما سنرى بعدُ.

وفضلًا عن المسلات التي أقامها «سنموت» لسيدته، يقصُّ علينا ما قام به في معبد «الأقصر» وفي معبد الإله «آمون»؛ حيث وُجِد له تمثال هناك، وفي «أرمنت» حيث وضع أساس معبد، ويحتمل مقبرة للعجل المقدَّس للإله «منتو».[١٩]

(٨) سنموت يُقِيم لنفسه مقبرةً في جبانة شيخ عبد القرنة

على أنه لم يَنْسَ نفسه في هذا الوقت، بل كان قد أصبح رجلًا ميسورًا، ولا أدل على ذلك من أنه أقامَ لنفسه قبرًا فخمًا يشعر بثراء صاحبه وكثرة ماله؛ فقد أقامه في جبانة «شيخ عبد القرنة» التي تقع على تلٍّ عالٍ، وفي هذه المقبرة عثر «إثناسي» على تمثالٍ له من الجرانيت ممثَّل فيه وهو مُمسِك بالطفلة «نفرو رع»، والتمثال موجود الآن بمتحف «برلين»، ومن المدهش أنه كشف في نفس المقبرة عن تمثالين مثل الأول، وهما الآن بالمتحف البريطاني، وفي هذا القبر كذلك وجد «لبسيوس» لوحةً من حجر «الكوارتسيت» تشبه في رسومها وصناعتها اللوحةَ التي عثر عليها «ونلك»، وبالقرب من هذا المكان أيضًا رأى «ديفز» قطعًا من تابوت من «الكوارتسيت» عليها اسم «سنموت»؛ وقد ذُكِر على كل تماثيل «سنموت» التي وُجِدت في قبره أنها هدية ملكية، وكذلك التمثال الذي وُجِد في معبد الإلهة «موت»، وآخَر يُحتمَل أنه وُجِد في «الكرنك»، وهو الآن بمتحف «شيكاجو»، وقد أهدَتْه الملكة هذين التمثالين أيضًا، ولكن من الطبيعي أن الرجل الذي كان في يده كل الأعمال الملكية، كان من السهل عليه أن يحصل لنفسه على بعض ما أنتجته تلك المصانع الملكية.

---

[١٨] راجع: Piehl, “Inscriptions Hieroglyphiques Recueilles en Europe et én Egypte”, p. 129.

[١٩] راجع: Winlock, “Excavations at Dier el Bahri”, p. 149.

ولعمر الحق لقد كان كلُّ ما يريد «سنموت» أن يظهر به من مظاهر العظمة والأبهة والفخار في أعين الشعب قد دوَّنه على هذه التماثيل؛ ليكون إعلانًا ثابتًا أمام أهل جيله، ومخلدًا له عند الأجيال المتعاقبة، ويمكننا أن نضع أمام القارئ صورةً عن تقدير «سنموت» لنفسه من مجموعة تماثيله، ومن النقوش الأخرى المختلفة كما يأتي يتحدَّث عن نفسه، فيقول:

> لقد كنتُ أعظم العظماء في كل الأرض، وكنت أمين أسرار الملك في كل أماكنه، وناصحًا خاصًّا على يمين الملك، مأمون الحظ، أُعطِيت شرف الاستماع منفذًا، محبًّا للصدق، لا أُظهِر تحيُّزًا، وإني إنسان تصغي القضاة إليه، وصمتي هو البلاغة بعينها، وقد كنتُ إنسانًا يعتمد السيد على ما ينطق به، ومَن تنشرح سيدة الأرضين بنصيحته، ومَن قد أفعم قلب الزوجة المقدسة به تمامًا، وكنتُ شريفًا يُصغَى إليه؛ لأني كنتُ أعيد كلمات الملك للرفاق، وكنتُ إنسانًا تُعرَف خطواته في القصر، ونجي الملك المخلص، أدخل محبوبًا وأخرج محظوظًا، أُدخِل السرورَ على قلب الفرعون كلَّ يوم؛ وكنت نافعًا للملك، مخلصًا للإله، لا غبار عليَّ أمامَ الشعب، وكنتُ إنسانًا منح الفيضان حتى أستطيع إدارة النيل، وأُسنِدت إليَّ شئون الأرضين، وما يُجنَى من الجنوب والشمال كان تحت تصرُّفي، وأعمال كل الممالك تحت إدارتي، يضاف إلى ذلك أني كنتُ أطَّلِع على كتب الكهنة، ولم يوجد شيء منذ الأزل كنتُ أجهله.

(٨-١) مكانة سنموت في التاريخ

ولا نزاع في أن معظم هذه الجمل التافهة إلى حدِّ السخرية ليست إلا صيغًا محفوظة لإطراء النفس، قد استعملها أفرادٌ كثيرون قبل «سنموت» من عظماء القوم منذ أزمان سحيقة، غير أنها في حالة بطلنا هنا لم تكن كلها مبالغًا فيها، وأن «سنموت» كان حقيقة شخصية من أعظم العظماء في البلاد قاطبة، ولا أدل على ذلك ممَّا وُجِد مدوَّنًا على قطعة من الفخار عثر عليها الأستاذ «ونلك»؛ فقد خطَّ عليها كاتب بالمداد الأسود حسابًا يشمل خمسة الأشهر الأول من سنةٍ ما من هذا العهد، فقيد مواد ما خص الفرعون منها ويبلغ عددها أربع عشرة، وما خص ضياع الملكة خمس عشرة، وما خص بيت المال تسع عشرة،

وما خص «سنموت» تسع عشرة، ففي هذا المتن ذكرت السلطات الأربع في البلاد، فلم يُذكَر من بينها بالاسم المجرد إلا «سنموت»، أي إن هذا الكاتب كان يعتبر «تحتمس» و«حتشبسوت» والمالية مجرد مؤسسات، أما «سنموت» فكان لا يحتاج إلى لقب يفسِّر لنا مركزه أو مَن هو.

أما مقدار ما بلغه «سنموت» من الافتنان والجرأة في الرفع من شأن نفسه ما يشاهد من وضْعِ صورةٍ له خلف كل باب من أبواب معبد الدير البحري، وذلك أن معبد الملكة «حتشبسوت» كان ذا ردهات عظيمة تؤدِّي إلى مقاصير عدة؛ ولذلك كان له نحو عشرين خزانة صغيرة أو يزيد لحفظ أدوات العبادة، وقد كان لكلٍّ من هذه المقاصير والخزانات باب خشبي يفتح إلى الداخل، وعندما يقام احتفال كان الكهنة يفتحون الأبواب، ويقومون بأداء الشعيرة، ثم يُغلَق الباب ويُختَم كرَّةً أخرى؛ فلم يمكن بهذه الكيفية أن يوجد فرد في المقصورة والباب مغلق عليه، وعلى ذلك لم يكن في استطاعة إنسان أن يرى ما كان مخبَّأً على الجدار الواقع خلف الباب عندما يكون مفتوحًا، وقد استفاد «سنموت» من هذا الوضع، فأمر برسم صورته وهو يتعبَّد أمام الآلهة، وقد كلَّفَ نحَّاتًا أن يكرِّر هذه الصورة ويضعها في الجدران خلف باب كل مقصورة أو خزانة في المعبد، وقد نحت كلًّا منها بما يناسب المقام، على أن يجعل الصورة تتجه يمينًا أو شمالًا لتكون دائمًا مواجهة للمذبح.

وقد كتب أمام كل صورة صيغة الدعاء الذي يُتلَى ويتبعه باسم «سنموت»، والواقع أن هذا العمل كان يُعَدُّ جرأةً منقطعة القرين؛ إذ إن ذلك من حقِّ الملوك وحدهم، فهم الذين كانوا يصورون في محراب المعبد لمناجاة الآلهة، ولم يكن لأحد من الشعب أن يرسم في مثل هذه الأحوال إلا إذا كان تابعًا للفرعون وحسب، وفي هذه الحالة كان يرسم بصورة صغيرة جدًّا بالنسبة للفرعون، والواقع أن «سنموت» كان ضمن عصابة سياسية مجرمة تترنح نحو الهلاك، وأعني بها عصابة الملكة «حتشبسوت».

ونحن نعلم أن «حتشبسوت» قد اختفت من مسرح الحياة قبل إتمام المعبد، وأن كل عصابتها قد انتقم منهم «تحتمس الثالث»، ولا بد من أنه في هذه الفترة قد أفشى أحد أعداء «سنموت» سرَّ وضع «سنموت» صوره هذه في هذا الوضع الشاذ؛ ولذلك فإنها كما نشاهدها الآن قد هُشِّمت تهشيمًا مريعًا لانتهاكه حرمةَ المعبد لفعلته هذه، وكذلك لتشيعه السياسي، ومع ذلك فإن الذين كُلِّفوا بهذا التهشيم قد أخطأهم حسابهم فتركوا بعضها، وبخاصة في الخزانات الصغيرة التي كان لا ينفذ النور إليها، ويمكن الإنسان أن يرى الآن منقوشًا أمام صور «سنموت» ما يأتي: «تقديم لمديح للإلهة «حتحور»» وأمام صورة

أخرى نقرأ: «تقديم المديح لآمون لأجل حياة وسعادة وصحة «حتشبسوت» من مدير البيت «سنموت»».[٢٠] على أن «سنموت» قد ذهب في غلوائه إلى أكثر من ذلك؛ إذ كشف الأستاذ «ونلك» حديثًا عن قبرٍ جديدٍ له كان القصد منه أن يكون على غرار مقبرة «حتشبسوت»؛ ولذلك حفر نفقه وحجرة دفنه تحت معبد الدير البحري مباشَرةً، وفي سقف حجرة الدفن المزيَّنة بالنقوش التي أعَدَّها «سنموت» لنفسه هنا، أمَرَ بأن يُنقَش بحروف جميلة ضخمة ما يأتي: «عاش «حور» طويلًا، صاحب الأرواح العظيمة، محبوب الإلهتين، النضر السنين، حور الذهبي صاحب الأكاليل المقدسة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «ماعت كارع» محبوبة «آمون» العائش، وحامل الخاتم، مدير البيت «آمون» «سنموت» الذي أنجبه «رع مس»، والذي وضعته «حات نفرت».» وهكذا نجد في هذه العبارة اسم «سنموت» قد كُتِب بدون فاصل أو جملة إيضاحية، ممَّا يجعلنا نشعر أنه قد ربط اسمه باسم «حتشبسوت»، ولا شك في أن أيَّ فردٍ من شيعة «تحتمس الثالث» كان يعلِّق على ذلك النص بما يطيب للخصم، وبما تتطلبه عداوة الأحزاب وحب الانتقام، كلما وجد إلى ذلك سبيلًا، ولو في أتفه الأشياء وأحقرها. وفي هذا النقش يشعر الإنسان أن «سنموت» كان يمهِّد السبيلَ للاشتراك مع «حتشبسوت» في الملك.

(٩) مبانيها الدينية خارج طيبة

ومن المحتمل أن «سنموت» في أواخر أيامه قد كلَّفَتْه الملكة إصلاحَ المعابد، وبخاصة ما بقي مخرَّبًا منها منذ عهد الهكسوس، وكذلك بإقامة بعض المباني خارج طيبة.

معبد الإله «بخت»: وقد كان من أهم هذه المباني الدينية المعبدان اللذان حُفِرَا في الصخر على مقربة من «بني حسن»، وقد أُهدِي كلٌّ منهما للإلهة «بخت» التي تُمثَّل في صورة لبؤة.

المعبد الذي أقامته حتشبسوت في المكان المعروف ببطن البقرة: غير أن أحدهما قد أقامته بالاشتراك مع أخيها في أوائل حكمهما المشترك، وهو الذي يُسمَّى عند العامة «ببطن البقرة»، وهو مبعد صغير كشف عنه «الدكتور أحمد فخري»، ويقع على مسيرة

[٢٠] راجع: Winlock, ibid, p. 105.

خمس عشرة دقيقة من معبدها الكبير «سبيوس أرتميدوس»، وقد لخص الدكتور أحمد فخري ما جاء في نقوش هذا المحراب بما يأتي: يوجد في نفس الوادي الذي أُقِيم فيه معبد «سبيوس أرتميدوس» (أي: كهف أرتميدوس)؛ كهفٌ آخَر يُنسَب نحته للملكة «حتشبسوت» والفرعون «تحتمس الثالث»، ويُدعَى باسم «حت من»، والوادي يُسمَّى «ست»، وقد كان مقدَّسًا للإلهة «بخت»، ويشاهد على جدران واجهة الصخرة حول الكهف وعلى الجدران «حتشبسوت» التي مُحِيت صورها واسمها، والفرعون «تحتمس الثالث»، يقرِّبان للإلهة «بخت» والإله «خنوم» سيد حرور (الشيخ عبادة)، وإلى حتحور سيدة نفروس (بلنصورة)، وإلى الإله «حوراختي»، وقد تُرِكت صورة الأميرة «نفرو رع» التي نشاهدها تتبع والدتها دون أن يلحقها أذًى، ونجد اسمها في طغراء مسبوقًا بلقبين لها، ثانيهما لم تُعرَف به من قبلُ على الآثار التي كُشِفت لها حتى الآن، وهو لقب «يد الإله»، وهو في الواقع يشبه لقب الزوجة المقدَّسة الذي كان يُعَدُّ من ألقابها، وفي عهد «سيتي» الأول أُعِيدت الصور والطغراءات الملكية التي كانت قد مُحِيت من كهف «أرتميدوس» الكبير، أما في هذا المعبد الصغير فيظهر أنه لم يقم فيه بأي إصلاح من هذا النوع.

وأما معبد «سبيوس أرتميدوس» فقد أقامته في أيام حكمها المنفرد، ويطلق عليه المصريون المحدثون «إصطبل عنتر»، وقد نُقِش على واجهة الصخر فوق المدخل ذي العمد متنٌ طويلٌ تعدِّد فيه «حتشبسوت» ما فعلته لهذا المعبد، وما قامت به من الأعمال الصالحات للآلهة، وكذلك تقصُّ علينا كيف أنها أعادت بناء المعابد التي هشمها أولئك الهكسوس الغزاة، وهاك نص ترجمة المتن حرفيًّا (راجع: J. E. A, Vol. XXXII. (1946) p. 45):

> الحياة «لحور» = صاحب الصفات القوية، وصاحب الإلهتين، ذو السنين السعيدة، حور الذهبي = المقدَّس المظاهر، الإلهة الطيبة سيدة الأرضين «ماعت كارع» بنت الشمس حتشبسوت … لقد أقامت هذا (؟) الأثر الخالد لتثبت اسمها مثل السماء، حتى تستطيع أن تحفر بمهارةٍ تواريخ سيادتها على إقليم تلك التي على الجبل (يُحتمَل أن يشير هنا إلى الإلهة «بخت» ربة هذا المعبد)، وعلى ما تضيء الشمس عليه فوق الصحراء (؟) ولهيبه منتشر على ظهر سلسلتي الجبال (الصحراء الشرقية والصحراء الغربية)، فهناك تنصب المواقد، وهناك امتدت المعابد لتكون متعةَ كل الآلهة، كل منهم في

المعبد الذي يرغب فيه، وروحه (كا) جالسة على عرشه، ولقد فتحت … وسر بقاعات عمدهم، ولقد صنعت الحجرة الخفية، وهي الجزء الداخلي من البيت لتناهض حجرة إزالة أثر القدم (وإزالة أثر القدم شعيرة خاصة تقضي بإزالة كلِّ أثر للإنسان بعد الاحتفال بالوجبة المقدسة)، وكل إله قد صنع جسمه من ذهب «عامو»، وأعيادهم قد خلدت في أفواه الناس، ودورة العيد كلها تحدث في وقتها المعتاد، وذلك بالتمسُّك بالقواعد التي وضعتها بشدة، والشعائر لإقامتها على حسب ما عمله (إله الشمس) في الزمن الأزلي (؟) قد زيد فيها، وكان قلبي القدسي يبحث وراء (أهل) المستقبل، وقلب جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري آخِذ في التفكير في طاعة مَن نطق بتبريك شجرة أشد[٢١] (أي: شجرة اللبخ) إلى الأبد، أي الإله «آمون» رب ملايين السنين، ولقد عظمت الصدق الذي يحبه؛ لأني أعرف أنه يعيش عليه وأنه غذائي، وأني ألتهم لذته، وأني والصدق لحم واحد، وقد ربَّاني لأجعل شهرته قويةً في هذه الأرض … إله الوجود «خبري» الذي برأ كل كائن، والذي قدر «رع» وجوده عندما ذرأ الأقطار، وكانت كلها مجتمعة تحت إدارتي، فالأرض السوداء والأرض الحمراء كانتا في وجلٍ مني، وقوتي جعلت البلاد الأجنبية تنحني لي؛ لأن الصل الذي على جبيني يهدي لي كل البلاد.

وبلاد «رشوات» (شبه جزيرة سيناء) و«أوو» (بلاد مجهولة) لم تَعُدْ مختفيةً بعد عن عين شخصي الفاخر، وبلاد «بنت» تفيض لي على الحقول، فأشجارها محملة بالمر الجديد، والطرق التي كانت مغلقةً على كلا الجانبين أصبحت الآن مطروقة، وجيشي الذي كان غير مُعَدٍّ قد أصبح يملك ثروةً منذ أن أشرقت ملكًا.

ومعبد سيدة «القوصية» الذي كان قد صار إلى الخراب، قد التهمت الأرض محرابه العظيم، وأمست الأطفال ترقص على سقفه، وإلهة الثعبان أصبحت

[٢١] هذه الجملة تشير إلى خرافة تقول إن إله الشمس أو الإله «تحوت» أو آلهة الكتابة، كتب بالنيابة عن نفسه اسم الملك على أوراق شجرة إشد الكريمة، التي كانت في قصر «الفنكس» في «عين شمس»؛ وبذلك تضمن له ملايين السنين للأعياد الثلاثينية. ولا نزاع في أنه كان يعتقد أن هذا قد عمل للإله «رع» نفسه في بادئ الأمر، الذي يمكن أن يقال بأنه افتتح مهرجان هذه الشجرة، ويُحتمَل أن شجرة «عين شمس» الحالية هي صدًى لذكريات هذه الشجرة.

لا تخيف، والوضعيون اعتبروا … بمثابة انحراف، وأعيادها المقررة لم يحتفل بها، وإني قد قدستها وأعدت بناءها، وصنعت صورتها المقدسة من الذهب لتحفظ مدينتها في قارب الموكب الأرضي.

أما الإلهة «بخت» العظيمة التي كانت ترود الوديان في وسط الشرق، والتي … الطرق التي غمرتها مياه المطر — إذا لم يكن هناك كاهن لصبِّ الماء — فقد جعلت معبدها جديرًا (؟) … لأجل تاسوعها، وأبوابه من خشب السنط المطعَّم بالنحاس لأجل أن يكون … في الوقت المناسب؛ وكان الكهنة قد عرفوا ميقاتها (يذكر بعد ذلك بعض الآلهة ممَّن عنيت الملكة بمعابدهم وقربانهم).

والإله تحوت الذي أنجبه «رع» قد علَّمني … مائدة قربان من الفضة والذهب وصناديق كتان، وكل أنواع الأثاث قد وضعت في مكانها … والذي كان يدخل وجهًا لوجه قائد التاسوع المقدَّس هو الإله «آمون» كان جاهلًا بها، ولم يكن هناك واحد على علم تام ببيته؛ وذلك لأن والد الإله كان معدمًا (؟) … ناظرًا مع (؟) والده، وقد منح حاملو الإله ثاقب نظري الفخم، ولقد أقمت معبده العظيم من حجر عيان الأبيض (وبواباته) من مرمر «حتنوب»، وأبوابه من نحاس آسيا، والنقوش التي عليها صيغت من الذهب، وصارت مقدَّسة بوجود صاحب الريشتين العاليتين بينها (يقصد الإله مين)؛ ولقد فخمت هذا الأمجد في عيدين، وهما عيد تآلف الأرواح وعيد الإله «تحوت»، وهما اللذان قررتهما له من جديد، وقد كانا من قبلُ في فم الناس فقط … وقد ضاعفت له القربان، زيادة عمَّا كان مقرَّرًا من قبلُ، وذلك بأن جعلت قربانًا للآلهة الثمانية، أي للإله «خنوم» في صوره المختلفة، وللإلهة «حكت»، والإلهة «رننت»، و«مسخنت» التي اتخذت لتشكيل جسمي، وللإلهة «نحمت عاواي»،[٢٢] والإلهة «نحمت كاو»، والإلهة «أزيت-أو-ناس-ب-تو» (مَن يقول الناس عنها إن السماء والأرض ملكها)، والإله «إمي»[٢٣] وتيو (الذي بين المحنطين) والبلدان لذلك في عيد، مما يدل على أن ذلك كان غير معروف (من قبلي)، وكذلك الشرفات كانت لا تزال في حيِّز التصميم قد

[٢٢] إلهة، وهي رفيقة الإله «تحوت» في الأشمونين (معنى الاسم) التي تخلص المنهوب.

[٢٣] اسم للإله أنوبيس (؟).

هيَّأتها وجعلتها بهجة، في حين تأمل! كنتُ أقدِّم بيوتًا لأصحابها، وكل إله قال في نفسه عني: إنه واحد سيخلد، والإله «آمون» جعله يظهر ملك الأبدية على عرش «حور».

اسمعوا أنتم يا أيها المواطنون، ويا عامة الشعب مهما كان عددكم، لقد أنجزت هذه الأشياء بتدبير قلبي، ولم أغفل بوصفي إنسانًا نساءة، بل لقد قويت ما تداعى، ولقد رتقت ما تمزَّق، وذلك منذ أن كان الآسيويون في «أواريس» الشمال، ومعهم قبائل جائلة بينهم، هادمين ما كان قائمًا، وقد حكموا بدون رع، وإنه لم يعمل حسب الأمر الإلهي حتى عهد عظمتي، وإني ثابت المكانة على عروش «رع»، ولقد تنبئ بي لعهد مستقبل لأني ولدت فاتحًا، والآن لقد أتيت بوصفي وحيدة «حور» أقذف النار على أعدائي، ولقد نفيت ما تلعنه الآلهة، والأرض قد محت طابع أقدامهم، وهذه كانت القاعدة التي سار على هَدْيها والد آبائي، الذي جاء في أوقاته المحدودة، وهو الإله «رع»، ولن يحدث قط تخريب ما أمر به «آمون»، وإن أمري سيبقى ثابتًا كالجبال، وسيضيء قرص الشمس، ويرسل الأشعة على ألقاب شخصي الفاخر، وسيحلق صقري فوق العلم الملكي حتى الأبدية.

هذا النص الذي تركته لنا الملكة «حتشبسوت» يكشف لنا بعضَ الشيء عن الحالة التي كانت عليها المعابد المصرية في العهد الذي تلا طرد الهكسوس من البلاد؛ إذ إنه على الرغم ممَّا قام به أسلافها من ملوك الأسرة الثامنة عشرة من أعمال التعمير والإصلاح، فإن كثيرًا من المعابد كان لا يزال مخرَّبًا تخريبًا تامًّا، وقد نهب ما كان بها من أدوات لإقامة الشعائر الدينية، ولم يَبْقَ منها قليل أو كثير، حتى إن معبد «القوصية» وهي آخِر بلدةٍ وصَلَ إليها الهكسوس في زحفهم على مصر الوسطى قد وجدته «حتشبسوت» مخرَّبًا، وأن الأرض قد التهمت معبدها المجيد وأصبح سقفه ملقًى على الأرض ترقص عليه الأطفال؛ ولذلك كان أول همٍّ الملكة «حتشبسوت» أن تقيم معبد الإلهة «بخت» العظيمة، وتاسوعها، فنحتت لها معبدًا في الصخر يقاوم الدهر ويغالبه ترسل الشمس عليه أشعتها، ولقد أجادت أو أجاد «سنموت» في تنسيق حجره الداخلية، ونُقِش عليها صور آلهة تاسوعها بالذهب، وخلد أعيادهم، وتضاعفت القرابين عمَّا كانت عليه من قبلُ، وبعد أن قامت ببناء هذا المعبد، وتجديد أعياد الآلهة الذين كانوا في هذا الإقليم كما ذكر في هذا المتن، نجدها تحدِّث العالم في هذا النقش بأنها أعادت المواصلات

بين مصر والبلدان الأخرى التي كانت قد انقطعت أسبابها بينهم، فتقول لنا: إن شبه جزيرة «سينا» لم تَعُدْ بعدُ خافيةً عن نظر جلالتي، وإن بلاد «بنت» تفيض على البلاد بأشجارها العطرية، وإن الطرق التي كانت مسدودةً في وجه المصريين شمالًا وجنوبًا قد فُتِحت، ثم تحدِّثنا «حتشبسوت» في نهاية المتن عن الأعمال التي قامت بها في طول البلاد وعرضها، وبخاصة فيما خربه الهكسوس كما سبقت الإشارة إليه عند الكلام على طردهم.

والواقع أن هذه الملكة قد أقامت هذه المباني، ونفَّذت تلك الإصلاحات دعايةً لها كما ذكر في فاتحة هذا المتن؛ إذ يقول:

> لقد أقامت هذا الأثر الدائم لتثبت اسمها العظيم بقوة مثل السماء؛ حتى تستطيع أن تنقش بمهارة تواريخَ سيادتها على ذلك الإقليم … إلخ.

والواقع أن «سنموت» كان لا يرى وسيلةً للدعاية لهذه الملكة الصديقة دون أن يلجأ إليها وينفذها، إرضاءً لها وتفانيًا في حبها، غير أن «حتشبسوت» لما رأت سلطان «سنموت» قد طغى على سلطانها، أخذت تقلب له ظهر المجن، ولكن الوثائق الرسمية تعوزنا في هذا الصدد، غير أنها على ما يظهر أخذت تستلُّ منه السلطة التي كانت في يده كما سيجيء بعدُ.

(١٠) الأميرة نفرو رع وسنموت

والواقع أن نجم سعده قد أخذ يأفل عندما فارقت الحياة الأميرة والزوجة المقدسة «نفرو رع» التي كان يقوم على تربيتها ويدير أملاكها، وباختفائها فقد أعظم ركن من أركان مجده، وقد كانت على قيد الحياة بطبيعة الحال عندما وضع حجر أساس معبد الدير البحري في السنة السابعة من عهد «حتشبسوت»، وكذلك كانت لا تزال حيةً تُرزَق في السنة الثالثة عشرة كما نعلم ذلك من نقش في محاجر «سينا»، وكانت تتمتع بالصحة عندما أقام «سنموت» قبره الأول، وأقام فيه تماثيله المحفوظة بمتحف «برلين» ومتحف «لندن» و«شيكاجو»، ولم تكن قد فارقت الحياة عندما كان محراب الدير البحري يزين

بالنقوش،[٢٤] غير أنها لم تظهر في باقي مناظر المعبد التي بُدِئَ فيها حوالي العام السادس عشر من حكم والدتها، يضاف إلى ذلك أن «سنموت» لم يدع لنفسه أنه كان القائم على شئونها في نقوش قبره الجديد حوالي نفس التاريخ، أو على تمثاله المحفوظ الآن بمتحف القاهرة.[٢٥]

(١١) مريت رع حتشبسوت زوج تحتمس الثالث

وكانت الزوجة الثانية للفرعون «تحتمس الثالث» «مريت رع حتشبسوت» التي لُقِّبت الزوجة الملكية العظيمة، ووالدة وارث عرش الملك (أمنحتب الثاني)، وفضلًا عن ذلك فإنه إذا كانت «نفرو رع» قد واراها التراب فانتهت وصاية «سنموت» والقيام على تربيتها، فإن عهد حداثة «تحتمس الثالث» وقصر سنه أصبحت كذلك في خبر كان؛ إذ قد نَمَا وترعرع حتى صار كهلًا، قصير القامة قوي البنية، ممتلئًا نشاطًا نابليونيًّا متأججًا، كانت جذوته قد أخمدت حتى الآن، غير أن لهيبه سيندلع فيجعل العالم المعروف وقتئذٍ يحترق بناره، فقد كان الواجب أن يكون منذ زمنٍ بعيدٍ الحاكم المنفرد لمصر لولا قيام «حتشبسوت» في وجهه، وإنَّا لا نحتاج إلى شحذ مخيلتنا لنتصور ما كان يكنُّه من الحقد والبغضاء وحب الانتقام من هؤلاء الذين حرموه حقوقه الشرعية، أو نرى الخطر الذي كان لا بد أن يداهم «سنموت» حينما يتولى «تحتمس الثالث» الملك؛ وآخِر تاريخ لدينا عن حياة «سنموت» الحكومية هو ما وجدناه على قطعة الخزف المؤرخة بحوالي منتصف السنة السادسة عشرة من حكم «حتشبسوت». وإذا فرضنا أنه قد مضَتْ سنة أو سنتان أخريان قبل الانتهاء من نقوش معبد الدير البحري وتركيب آخِر الأبواب التي خبئت وراءها صوره، فإن في استطاعتنا أن نقول إنه عاش حتى السنة الثامنة عشرة، أي حوالي ١٤٨٣ق.م، وإذا كان هو الذي قام بآخِر أعمال أقامتها «حتشبسوت» في الكرنك، فإنه لا بد قد عاش حتى السنة التاسعة عشرة، ولا نظن أنه عاش بعد ذلك التاريخ؛ إذ لا يمكن أن يفلت من يد «تحتمس الثالث» الذي كاد صبره ينفد من رؤية هذا الرجل الذي أضاع عليه الملك نحو خمس عشرة سنة.

---

[٢٤] راجع: Gauthier, L. R. II. p. 250.

[٢٥] راجع: Gauthier, L. R. II. p. 250.

والأمر الذي لا نزاع فيه هو أنه قد سقط من عليائه، وقُضِي عليه قبل اختفاء سيدته من عرش الملك، وتلك الحقيقة يمكن استنباطها من القبر الذي أقامه في هذه السنة؛ إذ نجد في قبره الجديد أن صوره قد هُشِّمت في حين أن صور «حتشبسوت» قد بقيت لم تُمَسَّ بسوء؛ ولذلك أعتقد أن الملكة نفسها هي التي غدرت به أو أهملته عندما رأت أنه يسيطر على كل شيء في البلاد، كما يلمس من تصرُّفاتها معه بعد موت «نفرو رع».

(١٢) سنموت يُقِيم قبرًا ثانيًا لنفسه

وتدل شواهد الحال على أن قبره الذي حفره تحت معبد الدير البحري ليخفيه عن أنظار اللصوص لم يُدفَن فيه بعد وفاته، والقبر يُعَدُّ من التحف الأثرية النادرة المثال؛ إذ يصل إليه الإنسان بدرج طويل يبلغ طوله ما يربو على تسعة وتسعين مترًا، وهذا القبر كان يتألَّف من بعض حجر بعضها فوق بعض، ومتصلة بدرج منحدر، فعلى مدخل الحجرة الأولى عتب منقوش عليه الأمير والحاكم، والفم الوحيد، الذي يتكلَّم بسكون (أو بعبارة أخرى من سكوته بلاغة) وعظيم عظماء الملك، والرفيق المحبوب بعزة مدير بيت «آمون» «سنموت» المرحوم الخادم الصادق في حبه، والذي يفعل ما يلقى موافقة سيد الأرضين.

وبعد ذلك ينحدر الإنسان عدة درجات إلى أن يجد لوحتين مستديرتي النهاية، قد ثبتتا في الجدار على كلا جانبي المنحدر، وعلى إحداهما يوجد رسم تخطيطي بالمداد الأحمر لرأس صاحب المقبرة، وكتب عليها مدير بيت «آمون» «سنموت»، وعلى الرغم من أن هذه الصورة رسم تخطيطي على الطريقة المعتادة التقليدية، إلا أن المثال كان في مقدروه أن يقنع أبناء العصر الحالي بأن «سنموت» كان ذا وجه يلفت النظر بأنفه الأقنى، ووجهه المغضن الذي ينمُّ عن مزاج عصبي، وكانت تجاعيد محياه من الأوصاف التي عُرِف بها، كما يدل على ذلك رسم تخطيطي هزلي له عثر عليه اللورد «كارنرفون» و«كارتر» في مقبرة بهذه الجهة. والواقع أنه لم يتمَّ إلا نقش حجرة واحدة في مقبرته، ومع ذلك فإنه لا يزال باقيًا فيها، ممَّا يدل على أن يد النقاش لم تكد تنتهي منها إذ وجد على الجدران ما يدل على تواريخ التفتيش في أثناء سير العمل فيها.

(١٢-١) وصف محتويات القبر

وجدران هذه الحجرة الأربعة قد نُقِشت بدقة نقوشًا عمودية من الإشارات الهيروغليفية، تحتوي على فصول انتُخِبت من كتاب ما يوجد في العالم السفلي، وكتاب البوابات، وكتاب الموتى، وهي الكتب الدينية التي ترشد روح المتوفَّ في الحياة الآخرة عندما يسبح مع الشمس في سفينتها مخترقة محيط العالم السفلي، وتخترق في سياحتها «بوابات» جهنم المخيفة، أو حقول القربان، وقبالة باب هذه الحجرة لوحة رُسِمت على هيئة الباب الوهمي الذي تخرج منه روح «كا» «سنموت»، ثم تعود منه ثانية بعد أن تتنزه في عالم الدنيا كل يوم؛ ونجده كذلك مرسومًا مع إخوته وزوجه على هذه اللوحة، ونراه كذلك جالسًا يتحدَّث إلى والده ووالدته من نافذةٍ في أعلى اللوحة، وأخيرًا نراه كرَّةً ثالثة جالسًا وحده، وأمامه غداؤه في داخل الباب الواقع أعلى اللوحة.

على أن الدرة الثمينة في رسوم هذه الحجرة هو سقفها؛ إذ نرى فيها مصوَّرًا جغرافيًّا للسماء، وهو يُعَدُّ من أقدم المصوَّرات التي وصلَتْ إلينا وأحسنها، وقد رسمه مفتن من أمهر المفتنين الذين عاشوا في منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة؛ ففي وسط النصف الشمالي نشاهد مجموعةَ النجوم التي لها رأس ثور، وهي ما يُعرَف في عهدنا بالدب الأكبر، ومجموعة النجوم القطبية. وفي عرض السماء رُسِمت الأعياد الشهرية الاثنا عشر، كلٌّ منها في هيئته، بدورتها التي تقطعها في أربع وعشرين ساعة، وتحت ذلك نجد الأجرامَ السماوية الواقعة في شمالي السماء تمر في موكب. وقبالة هذه في جنوبي السماء، نشاهد نجمَ الجوزاء أو الجبار يلفت بعنادٍ وجهَه بعيدًا عن نجم الشِّعْرَى اليمانية التي تسعى وراء اقتناصه، وهي ترنو إليه بطرفها سنةً بعد سنةٍ دون جدوى، وفوقها نشاهد قائمةَ نجوم (الدكان)[٢٦] وقد أُدخِل بينها اسمُ «حتشبسوت» بوصفها من الأجرام السماوية.

والواقع أنه مصوَّر جغرافي جميل للسماء أقدم من الذي عُثِر عليه في قبر «سيتي» الأول، ولا نزاع في أن كل مَن أراد أن يدرس علمَ الفلك عند قدماء المصريين لا يستطيع الاستغناءَ عن هذا المصوَّرِ الفذِّ، وقد برهَنَ الأستاذ ونلك على أن هذا القبر حُفِر حوالي السنة السادسة عشرة من عهد «حتشبسوت»،[٢٧] على أن الأحوال التي قُضِي فيها على

---

[٢٦] معنى كلمة دكان عشرة أيام، وكانت السنة مقسَّمةً عند المصريين إلى ٣٦ «دكانًا».

[٢٧] راجع: Winlock, “Excavations at Dier el Bahri”, p. 141.

«سنموت» وعلى مجده، لا بد أن نتركها لخيال القارئ؛ لأن الآثار لم تحدِّثنا عنها حتى الآن بكلمة واحدة، غير أن الإنسان يمكنه أن يتصوَّر أنه على أثر وصول الأخبار بنهاية مدير البيت العظيم، صدرت الأوامر بسد قبره الجديد المتناهي في الفخامة، وهو الذي أراد أن يباهي به في الأبهة والسرية قبرَ سيدته وخليلته «حتشبسوت»، ولا يبعد أن تكون هي التي أمرت بذلك، وقد نفَّذَتْ هذه المؤامرة على جناح السرعة؛ إذ قد نزل العمَّال إلى حُجرة دفنه المزخرفة، وهشَّموا وجوهَ «سنموت» أينما وجدوها في المناظر التي على الجدران، ولم يَفُتْهم الرسمُ التخطيطي للرأس السالف الذكر؛ إذ أصابوه ببعض العطب، والظاهر أنه لم يكن لديهم وقتٌ للبحث عن اسم «سنموت» في النقوش، بل يُحتمَل أنه لم يكن واحدٌ منهم يعرف القراءة، أما طغراءات «حتشبسوت» فلم يمسُّوها بسوء. وأخيرًا جمع العمَّال بسرعة لبناتٍ وأحجارًا عند مدخل القبر، ومن ثَمَّ أخذوا يسدُّونه، غير أنهم لم يستمروا في عملهم طويلًا حتى النهاية، بل تركوا بناءَ سد الباب، وأخذوا يهيلون الترابَ والأوساخَ بما يكفي لسده.

(١٣) مصير سنموت

والظاهر أن «سنموت» كان يعلم علم اليقين أنه إذا ماتت «حتشبسوت» قبله، أو إذا غضبت عليه، فإنه لن يلقى أيَّ رحمةٍ على يد خلفها أو على يدها؛ وذلك لأنه أخذ احتياطًا غريبًا يحتال به على بقاء اسمه إذا أُزِيل من جدران قبره؛ لأن في ذلك يكون القضاء على شخصيته أو روحه في عالم الأرواح، فيمكن الإنسان أن يرى في قبره الذي بقي إلى الآن مخربًا كيف أنه أمر بكتابة اسمه في جهات متفرِّقة على واجهة الصخر، تحت طبقة الملاط التي وُضِعت على الجدران، فإذا أُزِيلت الرسوم التي على طبقة الجص، ظهر اسمه منقوشًا هناك مخفيًّا عن أعين أعدائه، ولكنه ظاهر للأرواح (راجع: Weigall, “Guide” p. 148).

على أن هذا المصير المؤلم لم يكن من نصيب «سنموت» وحده، بل كان النهاية المحتومة لعددٍ من كبار الرجال البارزين في عهد «حتشبسوت»، أو بعبارة أخرى رجال العصبة الذين آزروها وعزَّزوا ملكها، وسنتحدث عنهم فيما بعدُ.



شكل ٥: صورة سنموت (بالمداد الأحمر).

(١٤) مكانة الملكة حتشبسوت

ولا بد أن «حتشبسوت» قد مضَتْ أيام حكمها تحفها الأبهة، وتحيط بها العظمة، وتتقلب في أعطاف النعيم والمجد المؤثل، يلتفُّ حول عرشها ويشدُّ أزرها هؤلاء الرجال العظماء، الذين ذكرناهم فيما بعدُ، وذكرنا بعض ما قاموا به من عظائم المشروعات الضخمة التي جعلت اسمها في أفواه أبناء الأجيال التي تلت حتى عصرنا الحالي، وستبقى ذكراها ما دام التاريخ يتحدَّث عن عظماء الرجال والنساء، ولا بد أن شهرتها بطبيعة الحال كانت قد ذاعت في كل العالم المتمدين في عصرها، ولا أدل على ذلك ممَّا نشاهده على قطعة صغيرة من الرسوم الملوَّنة التي بقيت لنا من قبر «سنموت»؛ إذ نرى عليها صور مبعوثين من جزيرة «كريت» النائية يحملون للملكة هدايا، ويظهر أن نشاطها كان منتشرًا في كلِّ الجهات.

(١٥) آثار حتشبسوت في جهات القطر وخارجه

فنرى أنها قد أعادت فتح المناجم في «سرابة الخادم» في شبه جزيرة «سينا»؛ إذ قد عُثِر على بعض قِطَع الفخار الملوَّن في تلك الجهة باسمها، ويمكن أن نذكر عرضًا هنا أن كاتب أحد النقوش في ذلك المكان قد كان مرتبكًا في موضوع اشتراك «حتشبسوت» مع «تحتمس الثالث» في الحكم، حتى إنه كتب «ماعت كارع-تحتمس» بوصفها اسم فرعون واحد،[٢٨] وفي «وادي مغارة» توجد لوحة مؤرَّخة بالسنة السادسة عشرة من حكمها، عليها رسم كلٍّ من «حتشبسوت» و«تحتمس الثالث»، الأولى ترتدي فوق ملابسها نوعًا من السجف، وفي «بوتو» من أعمال الدلتا وُجِد خاتم معبد «آمون» عليه اسمها،[٢٩] وكُشِف في «العرابة المدفونة» عن بعض أواني المعبد عليها اسمها[٣٠] كذلك، وفي مدينة «هابو» يوجد ما يدل على بعض أعمالها في هذه البقعة.

وفي الكرنك تركت لنا آثارًا عدة، من أهمها ما عثر عليه حديثًا المهندس «شفربيه» عندما كان يشتغل بإصلاح «البوابة» الثالثة؛ إذ قد وجد أن «أمنحتب الثالث» صاحب هذه «البوابة» قد أخذ معظم أحجار معبدٍ أقامته «حتشبسوت» في هذه البقعة، ووضعه في حشو هذه البوابة، وقد قُطِعت أحجاره من الجرانيت الأحمر المحبب، ونقوشه غاية في الدقة، وقد زُينت جدرانه الخارجية بأسماء مقاطعات القطر المصري، كلٌّ منها في صورة إله النيل، وفوق رأسه اسم الإشارة الدال على المقاطعة، وهذه القائمة تُعَدُّ من أهم القوائم التي عُثِر عليها حتى الآن.

وفي مدينة الكاب عُثِر على نقش لها هناك،[٣١] وقد عثر «لبسيوس» على بوابةٍ عليها اسمها في «كوم أمبو»،[٣٢] وفي «وادي حلفا» (بوهن) أقامت معبدًا عظيمًا.[٣٣]

وتوجد لها آثار عدة صغيرة كذلك، منها لوحة في «متحف اللوفر» مقدَّمة من «حتشبسوت» للملك «تحتمس الأول» والدها، وقد مُثِّل عليها جالسًا يتقبَّل القربان؛[٣٤]

---

[٢٨] راجع: Gardiner and Peet, “Sinai”. Pl. LX. No. 186.

[٢٩] راجع: Mariette, “Abydos” No. 1468.

[٣٠] راجع: L. D. III. Pl. 27.

[٣١] راجع: Rosellini, “Mon. Storici”. III, I. 130.

[٣٢] راجع: L. D. III, Pl. 28.

[٣٣] راجع: Maciver and Woolley, “Buhen”, Pl. 10.

[٣٤] راجع: Lepsius, Auswahl. XI.

كما توجد لوحة أخرى في «متحف الفاتيكان»، حيث نشاهد «حتشبسوت» تقدِّم القربان للإله «آمون»، ويُرَى «تحتمس الثالث» واقفًا خلفها،[٣٥] وكذلك عُثِر على لوحة صغيرة نشاهد فيه الملكة ترضعها البقرة «حتحور» كما نشاهد في الدير البحري؛[٣٦] إذ قد أقامت مقصورةً خاصة لعبادتها تُعَدُّ من تحف هذا المعبد، وترجع عبادة هذه البقرة إلى عهود قديمة، كما تكلَّمنا عنه فيما سلف في الجزء الثالث (راجع جزء ٣)، هذا وقد عُثِر لها على عدة تماثيل، بعضها موجود في المتاحف الأوروبية، وبخاصة من تماثيل «بو الهول» التي عُثِر عليها من بقايا التماثيل التي نصبت لها على الطريق المؤدِّي إلى معبد الدير البحري، رءوسها رءوس رجال ملتحون، وقد أصلح الأستاذ «ونلك» عددًا منها بعضه في متحف «متربو ليتان»، وبعضها في المتحف المصري، وخلافًا لذلك نجد رأسين محفوظين من هذه التماثيل في «برلين»، وكذلك رأس تمثال، وتمثال من غير رأس للملكة،[٣٧] كما يوجد تمثالان آخَران لها في «ليدن»،[٣٨] ويوجد للملكة تمثال مجاوب في «لاهاي».[٣٩]

(١٦) سبب تزيِّي حتشبسوت بزيِّ الرجال

ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نذكر هنا أن بعض المؤرخين ينسبون تزيِّي «حتشبسوت» بزيِّ الرجال إلى سبب خاص، فيقول الأستاذ «ويجول» في كتابه تاريخ مصر ما يأتي:

من المعلوم أن الملك «أحمس» الأول قد تزوَّجَ من امرأةٍ تُدعَى «أنحابي»، وقد رُزِق منها بنتًا تُسمَّى «أحمس حنت تامحو»، ومعنى «حنت تامحو» كما يقول «ويجل» سيدة قوم «التمحو»، وهم أهل «لوبيا»، ويستنتج من ذلك قوله: إنه من الجائز أن «أحمس» هذه كانت أميرة من «التمحو»، ولكنها لما كانت تُلقَّب «بالابنة الملكية» فيُحتمَل أن ملوك غرب الدلتا كان لهم ملك خاص في أوائل حكم «أحمس» الأول؛ إذ اقتبَسَ المؤرخ «يوسفس» عن «مانيتون» أن الثورة التي قامت على «الهكسوس» كان قد نظمها ملوك «طيبة»، أي ملوك الأسرة السابعة عشرة، وملوك آخَرون من أجزاء مصر، وأن والدة هذه الملكة «أحمس

[٣٥] راجع: Champollion, “Notices”, II, 700–1.

[٣٦] راجع: Grant collection. Petrie, “History”, II, p. 91.

[٣٧] راجع: L. D. III, Pl. 25.

[٣٨] راجع: A. Z, XIII. p. 25.

[٣٩] راجع: Wiedemann. p. S. B. A. Vol. VII. p. 183.

حنت تامحو» كانت بنت ملك من ملوك غربي الدلتا، وقد ذكر الأستاذ «نيوبري» في كتابه عن تاريخ مصر القديمة ص١١٠ أن الأميرة «أحمس حنت تامحو» هي أم الملكة الشهيرة «حتشبسوت» التي ميزت نفسها بالتزيي بزي الرجال، ولكن لباس نساء «التمحو» كان لا يمكن تمييزه من لباس الرجال، وعلى ذلك يمكن القول بأن «حتشبسوت» كانت في ذلك تقلد والدتها، وعلى الرغم مما يعتور ذلك من الشكوك فإنه يقال إنه كان يوجد ملك يحكم في غرب الدلتا في أوائل حكم «أحمس» الأول، وأن الأخير قد تزوَّجَ من ابنةٍ له تُدعَى «أنحابي» لأسباب سياسية، ومن الواضح على كل حال أن أحمس قد تخلص منه كما يدل على ذلك انفراده بالحكم، وكذلك تدل شواهد الأحوال على أن «أنحابي» قد توفيت قبل نهاية حكمه؛ إذ يقول الدكتور «أليوت سمث» أن تحنيط جسمها يرجع إلى طراز التحنيط الذي يُنسَب إلى أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة، وتدل موميتها على أنها كانت قوية البنية، عريضة المنكبين، صغيرة السن، عظيمة القدمين، بدينة، ويُحتمَل أنها قد ماتت بعد وضْعِ ابنتها «أحمس» مباشَرةً،[٤٠] غير أن هذا الاستنباط في نسب «حتشبسوت» لا يخرج عن الظن والتخمين.

فالواقع أنه كان يوجد ملكتان في بداية الأسرة الثامنة عشرة: إحداهما تُسمَّى أحمس سيدة تامحو «أي: سيدة أرض الشمال»، والثانية تُسمَّى أحمس سيدة تمحو (بلاد تمحو أي: لوبيا)، ومن ثَمَّ يُلاحظ في النطق بالاسمين تورية ظاهرة.

وقد كان أول مَن فطن لوجود هاتين الملكتين الأثري «دارسي»، ثم جاء بعده الأستاذ «نيوبري» وقال إن اشتقاق هذين الاسمين من أصل واحد، أي إن «تامحو» «وتمحو» موحدين لفظًا ومعنًى، وهذا الزعم غير صحيح (راجع: Ancient Egypt, 1915 p. 99).

وحقيقة الأمر ما يأتي: عُثِر على مومية في خبيئة الدير البحري محفوظةً في تابوتٍ عارٍ عن النقوش، وقد كُتِب على صدرها بالخط الهيراطيقي ما يأتي: البنت الملكية والأخت الملكية والزوجة الملكية سيدة «تمحو». هذا وقد وُجِد على لفائف كتب عليها متن من كتاب الموتى نسب إلى هذه الملكة وهو: الابنة الملكية أحمس المسمَّاة سيدة تمحو المرحومة، وهي طفلة البنت الملكية المسماة «تنت حابي».

ومن جهة أخرى وُجِد تابوت من الخشب كُتِب على غطائه البنت الملكية والأخت الملكية أحمس سيدة «تامحو»، وقد قال الأثري دارسي في تفسير ذلك إنه قد حدث خطأ

[٤٠] راجع: Weigall, “History,” Vol. II, p. 246.

في وضع الغطاء على هذه المومية، ومن الجائز أن ذلك حدث في عصرنا أو في الأزمان القديمة، وأن هذا الغطاء هو لصاحبة التابوت الأول؛ على أن «مسبرو» يعتقد أنهما اسمان مختلفان، وموضوع بحثنا حتى الآن هو في أميرةٍ تُسمَّى أحمس سيدة «تامحو»، وقد وُجِد اسمها على قطعة صغيرة من الآثار في مجموعة بتري (History. of Egypt. II. p. 43.) هكذا: الأخت الملكية «أحمس سيدة تامحو». وكذلك وُجِد منقوشًا في مقبرة رجل يُدعَى «أمنمحات» الواقعة في «جبانة شيخ عبد القرنة» رقم ٥٣ من عهد «تحتمس الثالث»، وذلك على لوحةٍ رُسِم على جزئها الأعلى المتوفى وهو يقدِّم القربان إلى سيدتين جالستين، الأولى تُلقَّب البنت الملكية «أحمس» سيدة الأرض الشمالية (تامحو)، والثانية أمها وتُلقَّب: زوج الملك «أحمس أنحابي». يضاف إلى ذلك أنه قد عُثِر على لقب الأميرة الأولى فيما بعدُ في قبرين أحدهما قبر «خع يخت» في «دير المدينة» (رقم ٢)، ويرجع عهده للأسرة التاسعة عشرة أو العشرين. ويلاحظ أن المتوفَّى قد ظهر يقدِّم القرابين إلى صفين من ملوك الأسرة الثامنة عشرة الجالسين أمامه، ومن بينهم الزوجة الملكية العظيمة سيدة الشمال (تامحو)، وكذلك وُجِد اسمها مرةً أخرى بنفس الصورة في مقبرة «أنحر خعو» (مقبرة رقم ٢٩٩) التي يرجع عهدها إلى عصر رعمسيس الثاني، فنجد إذن من هذين النقشين أن الاسم موحد، ولا شك أن أحمس سيدة بلاد الشمال هي «أحمس» بنت أنحابي. وقد وُجِدت مومية «أنحابي» في تابوت امرأةٍ تُدعَى «رعي»، كما يُستنبَط ذلك من النص الهيراطيقي الذي وُجِد على لفائف المومية، وهو: الابنة الملكية والزوجة الملكية «أنحابي» العائشة. وقد وُجِد اسم هذه الملكة كما ذكر «مسبرو» على توابيت «رعمسيس الأول» و«سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني»، ومن كل ما سبق نعلم الحقائق التالية؛ أولًا: نعلم أنه كانت توجد ملكة تُدعَى أحمس حنت تمحو (أي: سيدة بلاد التمحو)، ووالدتها تُدعَى تنت حابي. وثانيًا: توجد ملكة أخرى تُدعَى أحمس حنت تامحو (سيدة بلاد الشمال)، وتُسمَّى والدتها «أنحابي». وعلى ذلك يظهر أنه لا يمكن توحيد اسم الملكتين ولا اسم الأمين، مع وجود تورية في كلٍّ من اسمَي الابنتين والأُمَّيْن.

ولا نزاع في أن أحمس سيدة بلاد الشمال ابنة «أنحابي» هي والدة الملكة «حتشبسوت» وابنة الفرعون «أحمس الأول» (راجع: Holscher, “Libyer und Agypter”, p. 51–52 & Chronique d’Egypte No. 31. Janvier 1941. p. 39–42).

وخلاصة القول إذن أنه ليس هناك أية صلة بين الملكة «أحمس حنت تامحو» وبين بلاد التمحو أي بلاد لوبيا، وبذلك يكون ما ظنَّه «ويجل» وغيره لا أساسَ له من الصحة،

بل يجوز أن «أحمس حنت تمحو» التي يشير إليها «ويجول» هي بنت الملكة «تنت حابي» التي أشرنا إليها فيما سلف، ومن الجائز أنها بنت «أحمس الأول».

وأما تزييها بزي الرجال، فإنها فعلته لتُسمَّى ملكًا لا ملكة؛ إذ إن مصر كان لا يحكمها إلا الرجال، وقد ضربت لها المثل في ذلك الملكة «خنت كاوس» في عهد الأسرة الخامسة؛ إذ سمَّتْ نفسها على نقوشها ملك الوجه القبلي والبحري. وقد حافظت «حتشبسوت» على أن تكون مذكرًا لا مؤنثًا في نقوشها كذلك، فكان ضمير الغائب المذكور هو السائد في كل وثائقها، ولم يُعرَف لها غير تمثال واحد في زي النساء.

(١٧) آثار أخرى للملكة حتشبسوت

هذا وقد عُثِر على صندوقٍ نُقِش عليه طغراءات الملكة في خبيئة الدير البحري، ولكن لما كان اسم «آمون» قد مُحِي منه، فلا بد أن هذا القبر كان يمكن الوصول إليه في عهد «أخناتون»، ولم يكن وقتئذٍ في قبر الملكة، وعلى ذلك فقد ظنَّ البعض أن الكلية التي وُجِدت في هذا الصندوق كانت لملكة تُدعَى «ماعت كارع» من عهد الأسرة الواحدة والعشرين، على أنه قد تكون من الصدف السعيدة إذا كان هذا الصندوق قد استُعمِل ثانيةً بعد صنعه بعدة قرون، وتكون التي استعملته ملكة تحمل اسم ملكتنا «حتشبسوت»،[٤١] ولدينا بعض آثارها الخاصة، منها إستركون من الحجر الجيري الأبيض، كُتِب عليها اسم «سات رع» مربية «حتشبسوت» الأولى، فنشاهدها تدعو لمليكتها بقربان ملكي بوصفها إلهة، وهذه المربية كانت تُعرَف باسم «ين» أيضًا،[٤٢] وكذلك وُجِد تمثال لشخص يُدعَى «أنيبي» بالمتحف البريطاني يمدح الملكة «حتشبسوت» و«تحتمس الثالث»،[٤٣] وقد عُثِر على بعض قِطَع من الآثار في مدفنها، وأهمها جزء من إناء منقوش عليه اسم الملكة، والكلمات التي تلي الاسم تدل على أنها قد توفيت عندما نُقِش هذا الإناء؛[٤٤] ولذلك يُعتقَد أن بعض الأشياء وُجِدت بالقرب من قبرها يحتمل أنها كانت جزءًا من أثاثها الجنازي.

---

[٤١] راجع: Maspero, “Momies Royales”, p. 584.

[٤٢] راجع: p. S. B. A. IX. p. 183.

[٤٣] راجع: Lepsius, Auswahl. Pl. XI.

[٤٤] راجع: Davis “The Tomb of Hatshepsut”, p. 109, 5.

والواقع أن هذه الآثار تُعَدُّ ذات أهمية عظيمة،[٤٥] ويحدثنا الأستاذ «بتري» عن هذه الأشياء حديثًا ممتعًا، وعن الملابسات التي أدَّتْ إلى كشفها نقلًا عن «جرفيل شستر» الذي أهداها للمتحف البريطاني؛ فيقول لنا: إن مستر «شستر» كان قد أخبره لصوص الآثار أنه توجد مجموعة من الآثار تحتوي على عرش ورقعة «ضامة»، وأحجار «ضامة» عدة، وقطعة من خرطوش من الخشب، وقد وُجِدت كلها مخبَّأة في إحدى الحجرات الجانبية لمعبد الفرعون «رعمسيس التاسع» تحت حجر غير مثبت يسد المكان، وقد أرشد أحدُ تجارِ آثارِ الأقصر المسترَ «شستر» إلى هذه البقعة، أما عن المكان فلا يمكننا إثباته أكثر من أنه كان في بداية تلك الناحية من الوادي التي تقع بالقرب من الصخرة خلف معبد «حتشبسوت»، وهي التي كان فيها قبرها.

على أن الآثار التي خبئت بهذه الكيفية تشعر بأن قبرها كان قد سُرِق في الأزمان القديمة، وحمل اللصوص معهم كلَّ ما خفَّ حمله من أشياء حتى يمكنهم أن ينقلوها إلى حيث شاءوا على مهل، بعد أن لفت نظر رجال الحراسة إلى ما حلَّ بقبر الملكة، ولا بد أن اللصوص قد دفنوا الأشياء التي ليس لها قيمة عظيمة في مقبرة «رعمسيس التاسع» التي كانت بدورها قد نُهِبت فعلًا وتُرِكت مفتوحة، وتقع عند فم الوادي، إلى أن يجدوا الوقت المناسب لنقلها، ويظهر أن القطع التي تتألف منها المجموعة كانت في الواقع مرتبطة، فجزء الطغراء المصنوع من الخشب لم يكن من السهل قراءة ما عليه من النقوش إلا لَمَن عرف إشارات اسم الملكة، عن ظهر قلب، كما أن التاجر الذي باعها لم يكن يعرف الاسم، وعلى ذلك لم يحاول أحد في ذلك الوقت نسبة هذه الأشياء لهذه الملكة، غير أن قطع «الضامة» المصنوعة من الخشب التي كانت كلها في صور رءوس أسود هي من طراز قطعة «الضامة» الجميلة المصنوعة من حجر اليشب الذي يحمل اسم الملكة على الرأس والطوق،[٤٦] وهذه القطعة محفوظة الآن في المتحف المصري، ولا يمكن أن تكون قد استُعمِلت نموذجًا للمقلدين الأحداث للآثار؛ وعلى ذلك نجد أن القطعة الموجودة بالمتحف تؤرِّخ لنا القِطَع التي توجد في مجموعتنا هذه وتؤكِّد أثريتها؛ وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه القِطَع مرتبطةٌ بقطعة الطغراء التي وُجِد عليها اسم الملكة، وكذلك يُحتمَل كثيرًا أن

[٤٥] راجع: Rec. Trav. X. p. 126.

[٤٦] راجع: Macgregor Collection. 2965.

رقعة الضامة هي التي كان عليها هذه القطع، ومن ثَمَّ لدينا دليل على صدق قصة هذه الآثار، هذا إلى أن أسلوب صناعة العرش المصنوع من خشب نادر مطعَّم بدقة بالسام (يُضاف إلى ذلك أن الصل الذي عليه مصنوع من نفس خشب الطغراء)، وشكله الدقيق الجميل المنظر يتفق مع ذوق صناعة العهد الأول من الأسرة الثامنة عشرة، ولا يوجد سبب يدعو إلى الشك في هذه القصة على حسب ما أمكننا أن نصل إليه في ظلِّ نظامٍ يسوده الإخفاء والسرية، فرضه قانون مصلحة الآثار المصرية.[٤٧]

والواقع أن ما يلفت النظر في هذه القصة الطريفة هو إلقاء اللوم على قانون الآثار المصرية، وعدم إلقاء أية مسئولية على جامعي الآثار من الإفرنج ممَّا يشجع اللصوص على الاستمرار في سرقة الآثار، وإخفاء مكان وجودها، وذلك ما يجعل قيمتها الأثرية تضيع، والمثال السابق الذكر أكبر دليل على ما ذكرناه.

(١٧-١) أشكال الجعارين في عهد حتشبسوت

وقد عُثِر لهذه الملكة على عدة جعارين ولوحات صغيرة، بعضها يحمل لقبها، وبعضها يحمل اسم العقاب والصل، غير أن أهم طائفة من جعارين هذه الملكة هي التي نجد عليها اسمها مع اسم ملك ممَّن سبقوها، فنجد من ذلك اسمها مع الملوك؛ «سنوسرت الثالث» و«سبك حتب» و«أمنحتب الأول» والثالث، وكذلك توجد جعارين تضمُّ اسمها، واسم تحتمس الثالث.[٤٨]

وقد كانت «حتشبسوت» أول مَن اخترع الجعارين التذكارية على ما نعلم، فقد وُجِد لها جعران يحمل العبارة التالية: «ماعت كارع» ذات الرائحة الذكية في أنف آلهة «طيبة». وهذه العبارة تشير إلى حملة «بنت» العظيمة التي كان أهم غرض لها إحضار أشجار العطور والروائح العطرية لمعبد الإله «آمون»، بل لأجل تأليه الملكة نفسها.[٤٩] هذا وقد وُجِد لها جعران في الواحة البحرية كما أخبرني بذلك الدكتور أحمد فخري مدير آثار الصحاري.

---

[٤٧] راجع: Petrie, “History”, Vol. II, p. 93.

[٤٨] راجع: Ibid. p. 94.

[٤٩] راجع: A. S. XXXIX. p. 113.

(١٨) مصير حتشبسوت

ولكن ممَّا يُؤسَف له أننا لا نعلم مصيرَ مومية هذه الملكة كما ذكرنا، على أن الشيء المحقَّق أن «حتشبسوت» قد دُفِنت في مقبرتها التي أَعَدَّتْها لنفسها ولوالدها، ولكن الغريب في ذلك أنها اختفت من مسرح التاريخ فجأةً؛ إذ نرى «تحتمس الثالث» يقود جيوشه إلى الحدود الشمالية لإخضاع الثورات التي قامت في أملاك الدولة في آسيا (راجع ما ذكرناه عند كلامنا على الهكسوس).

(١٩) تحتمس الأول وآثار حتشبسوت

ويُخَيَّل لي أن «تحتمس الثالث» لم يُظهِر حبَّ الانتقام مباشَرةً من «حتشبسوت» وآثارها في البلاد، بل لا بد أنه كان يساير الرأي العام الذي كان على ما يظهر لا يبغض «حتشبسوت»، وبخاصة إذا كانت هي التي أبعدت «سنموت» عن إدارة دفة الحكم، وبذلك كفَّرت عن أغلاطها معه أمام الشعب المصري، ومن المحتمل جدًّا أن «تحتمس الثالث» لم يَرَ أن مركزه كان بعيدًا عن الخطر لدرجةٍ تسمح له بمهاجمة أعمال سلفه بعنفٍ منذ بداية الأمر، بل ربما اتبع سياسة الانتظار، ثم الانقضاض.

وفي خرائب الكرنك نجد بقايا مقصورة جنازية قد أُهدِيت للملكة «حتشبسوت»، وقد عثر عليها «الجران»،[٥٠] وفي النقوش التي على جدرانها قد مُثِّل الاحتفال بجنازتها، على أنه من المحتمل أن هذا المبنى قد أقامته «حتشبسوت» نفسها ليكون لها بعد وفاتها، كما نشاهد مثل هذه المناظر في قبور الأشراف، وربما أُقِيمت هذه المقصورة في وقت الاحتفال بعيدها الثلاثيني؛ لأنه في الواقع عيد يرمز به لإحياء الفرعون ثانيةً بعد حكم ثلاثين سنة، وتجديد جسده ليحكم مدة غيرها، وهذا العيد بلا نزاع عيد أوزيري الصبغة؛ وعلى أية حال فإنَّا نرى في المناظر التي على جدران هذه المقصورة، «تحتمس الثالث» يشترك في الاحتفال بدفنها، فيُرَى وهو يتقدَّمها في هيئة «أوزير» عابرًا النيل إلى الجبانة الغربية كأنه يسير في جنازتها، ومن المحتمل أن هذه المقصورة قد أُقِيمت بعد موتها مباشَرةً،[٥١] ولكنَّا مع ذلك نرى بعد مدة لا يمكن تحديد مقدارِها على وجه التأكيد أن العمل كان يسير بجدٍّ

[٥٠] راجع: Legrain and Naville, “Annales du Musee Guimet”, XXX.

[٥١] راجع: Weigall, “History”, Vol. II, p. 339.

ونشاط في معبد الدير البحري كرَّةً أخرى بعد ممات «حتشبسوت»، غير أنه في هذه المرة كان عمل تهديم لا عمل بناء، فهُشِّمت تماثيلها ومُحِي اسمها واسم من اشترك معها في إبعاد «تحتمس» عن أريكة الملك، ولا غرابةَ في ذلك إذا عرفنا أنه كان من الأمور التي تثير الحقد، وتوري نار البغضاء، أن يضطر شاب طموح في مقتبل العمر أن يعيش عيشة خمول مستمرة، وكذلك ممَّا لا شك فيه أن تقاليد البلاط لم يتراخَ في أمرها عندما تشبَّثَتِ الملكة بحقوقها بشدة في شيخوختها، ولم تسمح لهذا الملك الفتي بأية سلطة، ولا شك في أن «تحتمس» عندما رأى السنين تمرُّ سراعًا، وأنه قد دخل على الثلاثين دون أن يرخى له العنان، كل ذلك كان لا بد ممَّا يجعله ثائرًا هائجًا حتى أصبح يحقد على كل شيء خاص بهذه المرأة المُسِنَّة، غير أن كل شيء كان يأتي طوعًا لَمن ينتظر ويتأنى.

والواقع أن مصر قد نَمَتْ نموًّا عظيمًا في خلال العشرين عامًا التي قضتها البلاد في سلام، وبفضل تجارتها وحسن تدبير مواردها، واستغلال تربتها؛ ولذلك فإنه عندما ذهبت الملكة إلى السماء، وهي تربي على الخمسين، وكان تحتمس في السنة الأولى من العقد الرابع من سني حياته، عندما أخذ مقاليد الأمور في يده جميعًا، وجد أداة عظيمة في يدَيْه استطاع بها بعد بضعة أسابيع من تولِّيه العرشَ منفردًا أن يقذف بجيش عرمرم في ساحة القتال، في سلسلةٍ من الحملات ارتفعت مكانة مصر في نهايتها، وامتدَّ سلطانها وعظمتها، وعلى رأسها أول بطل فاتح في تاريخ العالم القديم، يغزو ويفتح بقوة لا تعرف الكلل، وجيش أصبح مدرَّبًا مثابرًا مدة تربي على الثمانية والعشرين ربيعًا.

(٢٠) عهد حتشبسوت كان عهد رخاء

وعلى ذلك فإن «تحتمس» الثالث مهما يكن رأيه في سلفه وسياستها السلمية، ومهما يكن رأينا في الطرق التي استعمل هو فيها موارد البلاد وخيراتها التي تركتها له، فإنه ممَّا لا جدالَ فيه أن العشرين عامًا التي جنحت فيها عن الحروب، وعملت على تنمية ثروة البلاد، كانت أكبر هدية قدَّمتها «حتشبسوت» لتحتمس الثالث الذي قلب لها ظهر المجن بعد موتها، على الرغم من تهيئتها له الفرصةَ للصعود إلى تلك المكانة السامية التي لم يسبقه إليها عاهل في الشرق القديم، بل في العالم المتمدين في عصره. وهكذا طُوِيت صحيفة هذه الملكة بعد أن حكمت إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر كما ذكر لنا «مانيتون»، أي في السنة الثانية والعشرين من حكم «تحتمس الثالث» الذي أنكر وجودها ملكة على البلاد، كما أُغفِلت مدة حكمها من القوائم الرسمية التي خلفها لنا المؤرخون المصريون،

ولكن كل ذلك لم يُجْدِ نفعًا، وأنَّى لهم ذلك، والفرد العظيم لا يمكن القضاء عليه بطرق العنف والجبروت، فإذا حُووِل إخفاء أعماله من ناحية برزت نواحيه الأخرى الخالدة مناديةً بصوت عالٍ بعظمة لا يمكن محوها، بل تكتسح بقوتها ما أمامها من عوامل الشر، وتفيض بضوئها على العالم، وهكذا نجد «حتشبسوت» يزدهر اسمها ويسطع كلَّ يوم وعلى مر الدهور، بين أولئك العظماء الذين أسَّسوا مجد مصر، وهي إذن بذلك من النساء الخالدات التي لم يَقْوَ أعداؤها على القضاء على ما قامت به من جليل الأعمال.

(٢١) الموظفون والحياة في عهد «حتشبسوت»

(٢١-١) سنموت

لا نزاع في أن مهندس البناء «سنموت» يُعَدُّ أهمَّ شخصية في عهد الملكة «حتشبسوت»، وقد تكلَّمنا عن حياته الحكومية على وجه الإجمال فيما سبق. وقد كان هذا الرجل العظيم يحمل ألقابًا عدة متنوعة، غير أنه يشار إليه في النقوش في معظم الأحيان بوصفه مديرَ بيتِ الإله «آمون»؛ لأن هذه الوظيفة كانت على ما يظهر عمله الأصلي، وقد أقام لنفسه قبرين الأول في «جبانة شيخ عبد القرنة»، وقد خرب تخريبًا مريعًا على يد رجال «تحتمس الثالث» (راجع: Gardiner & Weigall, “Catalogue” No. 71)، ولا بد أنه كان من أجمل المقابر في هذه الجبانة إذا حكمنا بما تبقى لنا من رسوم سقفه الملون؛ إذ قد بقيت لنا قطعة من منظر استقبال الجزية الأجنبية، نشاهد فيها ثلاثة من أهل «كريت» يحملون أواني مزخرفة بأشكال تنمُّ عن الطراز المنواني الذي يضمُّ أشكالًا حلزونية ورءوسَ ثيران وزهيرات، ويتميَّز الرجال بخصرهم النحيل، وأحزمتهم العريضة، وحللهم المزركشة إلى حدٍّ بعيد، كما نشاهد في رسوم قصر «مينوس» في «كريت» مثل ذلك (Wreszinski “Atlas” Pl. 235)؛ وهذا شاهد عدل على مهارة الرسام المصري وحسن إبرازه للصورة الصادقة التعبير، وقد خلف «سنموت» عدة آثار، وهاك ألقابه كما نجدها على هذه الآثار التالية:

(١) يوجد له نقش على صخور أسوان دُوِّن عليه قطع مسلتين للملكة «حتشبسوت» وعليه الألقاب التالية: حامل خاتم الوجه البحري، والسمير العظيم الحب، ومدير البيت العظيم، والأمير الوراثي، وصاحب الحظوة العظيمة عند زوج الإله، ومدير البيت العظيم للابنة الملكية «نفرو رع» (Urk. IV. Pp. 396–7).

(٢) وله محراب حفر في الصخر في السلسلة الغربية، ويلحظ هنا أن «سنموت» قد مثل في حضرة الآلهة، غير أنه مثل بنفس حجمهم، وهذا حق كان يتمتع به الملوك وحدهم، ونجد له غير ما ذكر من الألقاب ما يأتي: المشرف على مخازن غلال «آمون»، والمشرف على القصر الخاص، ومدير كل وظيفة مقدسة (راجع: Ibid, p. 398).

(٣) أما النقوش التي على جدران قبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» فقد هشمت كلها تقريبًا، وما بقي من ألقابه غير ما ذكرنا هي: «مدير أعمال … والمشرف على أعمال الفرعون، ومدير بيت «آمون»، والمشرف على حقول «آمون»».

(٤) وعلى عتب من قبره نجد: المشرف على حقول «آمون»، ومدير بيت زوج الإله «حتشبسوت»، والمشرف على إدارة الحكومة (Ibid. p. 400).

(٥) وعلى مخروط من الفخار نجد الألقاب التالية: كاهن «آمون» وسرحات (وهو اسم لقارب «آمون» المقدَّس)، والمشرف على ماشية «آمون» (راجع: Ibid, p. 403).

(٦) تمثال من الجرانيت الأسود «لسنموت» يُشاهَد فيه وهو محتضن الأميرة «نفرو رع»، وهو الآن في «برلين» (No. 2296)، وعليه الألقاب التالية غير ما ذكرنا: «النائب … جب، العظيم الحظوة عند رب الأرضين، والذي يمدحه الإله الطيب المشرف على مستأجري حقول «آمون»، والمشرف على عمال حقول «آمون»، ورئيس عمال «آمون»، والمشرف على إدارة الحكومة المزدوجة، فم كل بوتي (أي: من أهالي بوتو) الرئيس العظيم في بيت «نيت» مدير القاعة الواسعة في بيت الأمير (أي: عين شمس) (أي: قاعة العدل)» (راجع: Urk. IV. Pp. 404–406).

(٧) تمثال من حجر الكوارتسيت (الحجر الرملي الأحمر) وُجِد في معبد الإله «موت» بالكرنك، وهو الآن بالمتحف المصري (رقم ٥٧٩)، ويشمل الألقاب التالية الجديدة غير ما ذكرنا (١) محبوب الملكة (الصقرة) صاحبة الأرواح القوية، ومَن في قلب «حور» الظاهر في «طيبة»، والمشرف على البقرات الجميلة ملك «آمون»، ومدير البيت العظيم للملك، والسمير الوحيد، ومدير بيت النسيج للإله «آمون». ومن نقوش هذا التمثال نعلم أن «سنموت» كان موكلًا بكل المباني في «طيبة» و«أرمنت» و«الدير البحري» ومعبد «موت».

ثم يقول لنا إنه عظيم العظماء في كل الأرض قاطبةً، والذي يسمع له بين الناس، والرسول الحقيقي، ومهدي الأرضين بلسانه، وكاهن «ماعت» (إلهة العدل)، ومدير القصر، والسمير، ومدير أعياد كل الآلهة، ومدير المديرين، ومدير أعمال بيت الفرعون، ومدير الصناع، والمشرف على كل كهنة «منتو» صاحب «أرمنت» ومرشد الناس، ورئيس الأرض

قاطبةً، ورئيس طائفة الكهنة، والمشرف على بيوت الإلهة «نيت»، وحاجب ملك الوجه البحري لكل السمار، والمرافق للفرعون في كل البلاد الأجنبية، في الجنوب والشمال والشرق والغرب.

(٨) نقوش الدير البحري (Urk. IV. p. 416).

(٩) قطعة من تمثال من الجرانيت الرمادي عُثِر عليها في «إدفو» (A. S. Vol. IX. p. 106).

(١٠) ثلاثة أوانٍ من الحجر المصقول (Urk. IV. p. 416–7).

(١١) قطعة من الحجر مزخرفة من طيبة وعليها اسم موظف يُدعَى «توسي» Tws، ويحمل لقب المشرف على خضر آمون (؟) وقد كتب عليه لقب «سنموت» بوصفه مدير بيت «آمون» (راجع: Urk. IV. 417).

(١٢) تمثال من الجرانيت الرمادي «لسنموت» وهو ممسك بالأميرة «نفرو رع»، عُثِر عليه في خبيئة «الكرنك»، ويحمل لقب الأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الوحيد، وكاتم السر في بيت «آمون» (معبد آمون)، ومرشد بلاد الشمال (الوجه البحري) وعماد القوم، والمشرف على مخازن غلال «آمون» في المدينة الجنوبية «طيبة»، والمشرف على عمال حقول «آمون» في ... والمشرف على عبيد «آمون»، ونائب الفرعون في بيت «جب»، والمشرف على ثيران «آمون» في «الكرنك»، ومدير بيت «آمون».

(١٣) تمثال من الجرانيت الأحمر «لسنموت» والأميرة «نفرو رع» من خبيئة الكرنك، وهو الآن بالمتحف المصري رقم (No. 42115).

(١٤) تمثال آخَر من الجرانيت الأسود من نفس المكان له وللأميرة «نفرو رع» (No. 42116)، وعلى ذلك يمكن تلخيص ألقابه قبل اعتلاء حتشبسوت الملك وبعده ممَّا ذكرنا من الآثار وغيرها فيما يلي:

ألقاب سنموت قبل اعتلاء حتشبسوت العرش

(١) مدير البيت العظيم. (٢) مدير البيت العظيم للزوجة الملكية. (٣) مدير بيت رب الأرضين. (٤) مدير البيت العظيم للزوجة الملكية «حتشبسوت». (٥) مدير القصر الخاص. (٦) مدير البيت العظيم للابنة الملكية «نفرو رع». (٧) مربي الابنة الملكية (نفرو رع). (٨) مدير كل المباني الملكية. (٩) المشرف على بيتي الفضة، والمشرف على بيتي الذهب، والمشرف على الأختام. (١٠) المشرف على مخازن غلال «آمون». (١١) المشرف على حقول

«آمون». (١٢) المشرف على أراضي «آمون». (١٣) المشرف على ثيران «آمون». (١٤) رئيس عبيد «آمون». (١٥) المشرف على بيت «آمون» وسرحات (المركب المقدسة). (١٦) المشرف على مخازن غلال «آمون» (وسرحات). (١٧) … آمون وسرحات. (١٨) الأمير الوراثي المشرف على كهنة «منتو» في «أرمنت».

ألقابه بعد اعتلاء حتشبسوت العرش

(١) مدير بيت آمون. (٢) مدير البيت. (٣) المدير العظيم للبيت (الملكي). (٤) المدير العظيم لبيت آمون. (٥) المدير العظيم لبيت الملك. (٦) الوالد المربي الكبير للبنت الملكية سيدة الأرضين والزوجة المقدسة «نفرو رع». (٧) المشرف على إدارة الأرضين (؟). (٨) مدير كل أعمال الفرعون. (٩) المشرف على أراضي آمون. (١٠) المشرف على حقول آمون. (١١) رئيس فلاحي آمون. (١٢) المشرف على الأرض المنزرعة للإله آمون. (١٣) المشرف على بقرات آمون. (١٤) المشرف على ثيران آمون. (١٥) المشرف على مخازن غلال آمون في المدينة الجنوبية (طيبة). (١٦) المشرف على مزارع آمون في «من إست». (١٧) المشرف على ثيران آمون في معبد الكرنك. (١٨) المشرف على أعمال الإله آمون. (١٩) المشرف على مخازن غلال الإله آمون. (٢٠) كاهن الإله آمون للسفينة «وسرحات». (٢١) المشرف على كهنة الإله منتو في «أرمنت». (٢٢) المشرف على إدارة آمون.

قطع الاستراكا المخطوطة التي وُجِدت في مقبرة سنموت وأهميتها التاريخية

كان من أعظم الكشوف الأثرية التي أماط اللثام عنها الأستاذ «ونلوك» أثناء تنظيف مقبرة «سنموت» مستشار الملكة «حتشبسوت»، وأكبر شخصية في عهدها كما ذكرنا؛ مجموعة قطع الفخار المكتوبة باللغة المصرية القديمة، وكلها خاصة بطوائف العمال والرسَّامين الذين وكل إليهم أمر حفر مقبرته وتزيينها؛ وقد دلَّ فحص نقوش هذه المجموعة على أنها تكشف لنا عن ناحيةٍ من نواحي الحياة الاجتماعية، وهي حياة طائفة العمال الذين عملوا في خدمة رجل من عظماء الدولة وأشهرها في خلال الأسرة الثامنة عشرة.

وتشمل هذه المجموعة نحو خمسين ومائة قطعة من الخزف، يرى فيما دون عليها كل من المؤرخ والقارئ العادي على السواء كل البيانات الضرورية لسير العمل في هذه

المقبرة، وسنورد هنا مقدمة قصيرة مفيدة تحدِّثنا عن ظروف هذا الكشف، وكذلك تُظهِر لنا كيف أن أنواع المجاميع التي كُشِف عنها من هذه «الاستراكا» المختلفة، يمكن ربطها بأوجه نشاط الصناع المكلَّفين بنحت المقبرة.

فقد كان الكتَّاب المكلَّفون بالعمل يجمعون كلَّ يوم أثناء حفر المقبرة قِطَع «الاستراكا» المستوية السطح، ممَّا تراكم من الحفر، ويرسمون عليها تصميم الحجرات الجنازية التي لم تكن قد حُفِرت بعدُ، وكذلك كانوا يرسمون رسومات تخطيطية «كروكي» تمهيدًا للقيام بالعمل في نقوش القبر، فينظمون المتون الدينية والجنازية التي كان لا بد منها لتُحلَّى بها الحجرات، وكذلك كانوا يقدمون تقارير مختصرة عن حالة العمل، كما كانوا يدونون القوائم الخاصة بأسماء العمال، وأخرى للجرايات أو الأشياء التي تسلَّموها أو ورَّدوها.

ويلفت النظر أن بعض هذه القطع من «الاستراكا» التي وُجِدت حول المقبرة كان قد استعملها التلاميذ الذين جاءوا ليدرسوا بأشراف الكتبة الذين نصبوا للقيام بالأعمال الكتابية في القبر، لكتابة تمارينهم التي كانت تنتخب من المتون الأدبية والدينية الشهيرة، كما نجد قطعًا نقشها أفراد لمجرد التسلية واللهو وقت ملاحظتهم سير العمل، فنشاهد من بينها من وقت لآخر رسمًا تخطيطيًّا لحيوان وأشياء أخرى على حسب مزاج الرسام وهوايته. هذه نظرة عامة على ما تحتوي هذه «الاستراكا»، والواقع أن هذه القطع يمكن تصنيفها عدة مجاميع، وهي:

الاستراكا التي رُسِم عليها أشكال ليست من طراز ممتاز كلها، ويظهر أن رساميها كانوا بدائيين أو هواة وحسب، وتنحصر فائدة ما جاء عليها في أنها مسودات ورسم تمهيدي للوحات التي كانت تتألف منها نقوش مقصورة القبر الجنازية؛ فمثلًا نجد على أحدها رسمًا تخطيطيًّا لرءوس رجال يمكن الإنسان أن يتعرف فيها ملامح «سنموت»، ومن بينها وُجِد رسم رأس بالحبر الأسود، ويُشاهَد فيه أنه رُسِم على حسب قانون النسب المتبع عند المصريين؛ وكذلك نجد رسومًا تخطيطية أخرى كثيرة لمناظر مركبة مثل منظر الأسرة ومناظر دينية وأكوامًا مكدَّسة من القرابين، ولا بد أنها كانت تُرسَم على الجدران بحجم أكبر، ويكفي أن نذكر هنا تصميمين مختصرين، وهما يدلان بلا شك على مشروع تنظيم جزء من دهاليز القبر وحجراته، فقد وجدت إشارات تدل على مقاييس الأبعاد لهذه المباني.

وفي مجموعة ثانية نجد المتون ونشاهد طائفةً لا بأس بها تشمل رسومًا تحضيرية للنقوش العظيمة التي كان لا بد منها لكمال زينة القبر، ومعظم هذه النقوش قد دُوِّن

بالهيروغليفية التخطيطية، وقد كُتِب في سطور عمودية أو أفقية على حسب ما تقتضيه طبيعة الرسوم التي معها، ويُلاحَظ هنا أحيانًا أن الرسم الأولي لا يقدِّم لنا إلا بداية السطور، ممَّا يدل على أن هذه القِطَع لم تكن إلا توجيهات مباشِرة لتزيين المزار الجنازي، والغرض منها رغبة الرسَّام في أن يحسب حسابه مقدَّمًا عن الطريقة التي يجب أن يُوزَّع بها المتن حتى يملأ به سطح الجدار الذي تحت تصرُّفه.

وبجانب هذه الاستراكا المكتوبة بالخط الهيروغليفي وُجِدت أخرى خُطَّتْ بالهيراطيقية وتشمل متونًا دينية وجنازية، ونظن أنَّ كثيرًا من هذه الاستراكا كانت تحتوي على المسودات الابتدائية للمتون التي انتخبها الكتَّاب لنقشها على جدران المزار، فقد وجد فعلًا متن جنازي على الجدران وما يقابله على قطع «استراكا». ومن بين «الاستراكا» الغريبة المكتوبة بالهيروغليفة واحدة منها (رقم ٥٧)، وتحتوي على المتن الذي يفسر عادةً في مناظر أخرى بلوحة الصيد في المستنقعات، أما الاستراكا الخاصة بالأعمال التي نُفِّذت في القبر فتُعَدُّ أكثر أهميةً أيضًا؛ إذ نجد الكَتَبَة الذين كانوا يديرون العمل يوميًّا يدوِّنون تقارير مختصرة عن سير العمل، وهي التي تُعَدُّ لتُكتَب في يوميات الأعمال بلا شك، وعلى الرغم من أن أعمال الحفر لم تنتج لنا إلا عددًا صغيرًا من هذه الوثائق، فقد كانت كافيةً لإعطائنا فكرةً عن تنظيم الأعمال ولتوضيح مدة سير العمليات، فنجد مثلًا على إحدى الاستراكا (رقم ٦٢) أن حفر المقبرة قد بدأ في السنة السابعة من حكم تحتمس الثالث، وعلى قطعة أخرى (رقم ٨٠) نعرف من المتن أن العمال كانوا ما زالوا مشتغلين فيه في السنة الحادية عشرة. وهاك ما جاء على الاستراكون الأولى (رقم ٦٢): «السنة السابعة، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم الثاني، بداية العمل في المقبرة في هذا اليوم: أحد عشر بناءً حفروا عمقًا كبيرًا في ستة قضب عرضًا بجانب ذراع واحد في الداخل.» وفضلًا عن التقارير اليومية يوجد كذلك قوائم بأسماء المأكولات والمشروبات وتعدادها، والغريب أن مجاميع الوثائق المختلفة من هذه الاستراكا تقدِّم لنا معلومات يظهر أنها خاصة بطوائف كثيرة كانت تقوم بأعمال مميزة، فمثلًا نجد بعض الاستراكا تشير إلى أن بعض العمال قد انتخبوا من الرجال التابعين لموظفين كبار في وقت معين.

وفي الاستراكون (رقم ٨٣) نجد التكوين التالي: الرئيس الأعلى الملكي (ربما يكون هذا هو «سنموت») واحد وعشرون رجلًا، الوزير، سبعة رجال، مدينة نفروس، ثلاثة وعشرون رجلًا. وكذلك ذُكِر على الاستراكون (رقم ٨٥) أن الكاهن الأعظم لسفينة «وسرحات» المسمَّى «سني من» الذي يمكن أن يكون أخا «سنموت» قد قدم ثلاثة عشر بنَّاءً؛ ويظهر أنهم كانوا من المذنبين الذين يقومون بالعمل سخرةً.

وعلى حسب ما جاء في مجموعة الاستراكا (رقم ٦٣–٧٤)[٥٢] يُفهَم أن الجزء الأعظم من العمل في هذه المقبرة كان يقوم به طائفة من العمَّال مؤلَّفة من خمسة أو ستة أشخاص، منهم أربعة بنَّائين أو قاطعي أحجار، وهم: «تتي» Tety، و«حابي حرسا أف» Hapy-her Sa ef، و«سني نفر» Seny Nefer، و«بشاو» Beshaou، وقد كلفوا نحت المقبرة وصقل الجدران، وكذلك الكاتبان «أي أم حتب» Ii em Hetep و«أموتون»، وكانا يعملان في تلوين الجدران والزينة، وفضلًا عن ذلك كان هناك حاملون لحمل المياه وعجانون للجص (المونة). ويمكن الإنسان أن يذهب إلى أن هذه الطائفة من العمال كانت تحت إدارة موظف يقوم بوضع التقارير، على أن المعلومات التي يستقيها من قطع الاستراكا هذه تكون ذا فائدة عظمى لو وضع عليها تواريخها بصفة كاملة؛ ولكن مما يُؤسَف له جد الأسف أن الكاتب كان يكتب التاريخ مبينًا الفصل والشهر واليوم، مغفلًا ذِكْر السنة، ومن بين هذه القِطَع التي لها علاقة غير مباشرة بالصنف الأخير الذي ذكرناه قطعةٌ تثير الضحك، ويظهر أن كاتبها كان ميَّالًا للتنكيت (ورقهما ٧٨)، وقد جاء عليها: لقد حضرتُ إلى هذه المقبرة لأجل أن أفتِّشَ على الذين يعملون في نحت الأحجار من جهة، وفي يدي شظية من الحجر الصلب لأكتب عليها أسماءهم، ولكن القطع التي تحت تصرُّفي عديدة جدًّا أكثر من ثمار شجر البرسا.

ونعود بعدُ إلى الاستراكا المكتوب عليها بالخط الهيراطيقي، فنجد بعضها تحتوي على نقوش دينية (١٣٢–١٤١)، وكانت كمتن تُنقَل منه المتون التي تُنقَش على جدران المقبرة كأنشودة الصل التي على الاستراكا (رقم ١٤٠)، وقد ذُكِر «سنموت» في عنوانها. أما البعض الآخَر فكانت أدبية (١٤٢–١٥٢)، وتتميز عن السالفة بأنها ليس لها غرض جنازي قط، بل كانت مجرد قطع من الشظيات كتب عليها التلاميذُ الذين كانوا يتلقَّون دروسهم على يد الكتَّاب المكلَّفين بتسيير العمل في المقبرة، كما كانت العادة المتبعة، وربما يُعزَى ذلك إلى كثرة قطع الاستراكا عند حفر مثل هذه المقبرة الضخمة؛ إذ كان الكاتب ينتهز هذه الفرصة ويدعو تلاميذه لتلقِّي الدروس في هذه الجهة، على أن هذه التمارين يمكن معرفتها ممَّا تحتويه من كتابات رديئة، وما عليها من محو وإثبات، وممَّا هو جدير بالذكر هنا أن المتون المصرية الكلاسيكية، أيْ متون العهد الإقطاعي الأول، كانت

[٥٢] الأرقام هنا تشير إلى مقال الأثري «هايس».

هي النماذج التي يسير القوم على هديها في عهد «تحتمس الثالث»، كما كانت نماذج احتذاها كتَّاب عهد الرعامسة في الأوساط العلمية، وأهمها قصة سنوهيت (١٤٠)، وذم الحرف (١٤٧–١٤٨)، وتعاليم «أمنمحاب الأول» (١٤٢–١٤٣)، وعلى الرغم من أن هذه قليلة، فإنه يجب علينا ألَّا نهملها، فهي أصح نقلًا وأجمل خطًّا بكثير من التي عُثِر عليها فيما بعدُ في عهد الرعامسة (راجع: W. C. HAYES, Ostraka und Name Stones from the Tomb of Sen–Mût (No. 71) at Thebes (The Metropolitan Museum (Egyptian Expedition Vol. XV.) New York. 1942).

(٢١-٢) سن من

وهو شقيق «سنموت» السالف الذكر، غير أنه لم يكن واسع الشهرة مثل أخيه، ومع ذلك كان يحمل ألقابًا عظيمة، فكان يُلقَّب «الأمير الوراثي»، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والمشرف المربي العظيم للابنة الملكية (راجع: Urk. IV. p. 48). أما في قبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» فكان يحمل الألقاب التالية: الكاهن المطهر لمقبرة «أحمس الأول»، ومربي زوج الملك «نفرو رع»، ومربي زوج الملك «حتشبسوت»، ومدير بيت بنت الملك (Urk. IV. p. 418). وقد عُثِر على تمثال له في مقبرته، وعليه لقب مدير البيت، ومربي الزوج الإلهية، ثم الأمير الوراثي والحاكم وكاهن «آمون»، وأخيرًا لقب الذي يقترب من شخص الإله (الفرعون) (راجع: Davies, p. S. B. A, Vol. XXXV. p. 283. ff. Pl. LII, LIII).

(٢١-٣) حبو سنب

يُحتمَل أن «حبو سنب» هذا كان أكبر شخصية في عهد «حتشبسوت»؛ لأنه كان يحمل لقب الوزير، غير أن «سنموت» قد غطى عليه بما كان له من حظوة لدى الملكة؛ فمن قبره «بجبانة شيخ عبد القرنة» نعرف أنه كان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير العظيم الحب، والقاضي والكاهن الأول للإله «آمون»، والمرتل الثالث للإله «آمون»، والمرتل الثالث للإله «آمون» في معبد الكرنك، ومدير كل الأشغال الملكية، والمشرف على كل كهنة الوجه القبلي والوجه البحري (Urk. IV. p. 487–789). وقد نحت محرابًا للإله في السلسلة الغربية، وقد ذكر عليه ألقابه التي ذكرناها، وكذلك الألقاب التالية: «القاضي الممدوح من إلهه المحلي، وفم ملك الوجه القبلي وأذنا ملك الوجه

البحري، والفم الذي يهدئ كل البلاد قاطبة» (Ibid. 485)، ولكن ألقابه التي تُعَدُّ أهمَّ ممَّا سبق توجد على تمثالٍ له من الجرانيت محفوظ الآن «بمتحف اللوفر»، وهي كما يأتي (راجع: Urk. IV. p. 471–7).

رئيس مقاطعات الجنوب العظيم، والكاهن الأعظم «سم» لمحراب «حت بنو» (أي: محراب المقاطعة السابعة لمصر العليا)، وعمدة المدينة، والوزير المشرف على المعابد … والمشرف على كل وظائف بيت «آمون»، وحاسب أبقار «آمون»، والسمير الوحيد، وفم ملك الوجه القبلي وأذنا ملك الوجه البحري، والذي في قلب الإله الطيب، والكاهن الأول للإله «آمون».

أما الدور الذي لعبه «حبو سنب» في حملة بلاد «بنت» فقد تكلَّمنا عنه، ويحدِّثنا على تمثاله الذي في متحف اللوفر عن النشاط الذي قام به هذا الوزير في عهد الملكة «حتشبسوت» ومن قبلها «تحتمس الثاني» (راجع: Breasted, A. R. II. § 389).

الملك الطيب «عا خبر رع» (تحتمس الثاني) … ويقول: ولقد نصبني لأقوم بالعمل في مقبرته المنحوتة في الصخر، وذلك لسمو تصميماتي، وقد عيَّنني سيدي الملك «تحتمس الثاني» رئيسًا في «الكرنك» في بيت «آمون» في كل …

والنقوش التي على هذا التمثال مهشمة، غير أنه يمكننا أن نفهم منها أن هذا الوزير قد كُلِّف إقامة قربان جنازية للإله «آمون رع» على حساب الفرعون، فكان مكلَّفًا عمل باب عظيم مغشى بالذهب والفضة والنحاس الأسود، على أن يُكتَب الاسم العظيم بالسام؛ وكذلك قام بعمل محاريب من الأبانوس مغشاة بالذهب وموائد قربان عدة من الذهب والفضة واللازورد والأواني والقلائد، وأقام معبدًا من الحجر الجيري الأبيض يُسمَّى «تحتمس الثاني» مقدس الآثار …

ومما يجب التنويه عنه هنا أن ذِكْر «تحتمس الثاني» في النقوش محض اختلاق؛ وذلك لأن النقش كان في الأصل للملكة «حتشبسوت»، ولكنه مُحِي في عهد «تحتمس الثالث» ووُضِع مكانه اسم والده كما يُشاهَد ذلك في كثيرٍ من الآثار، وقد كان نصيب مقبرة «حبو سنب» في «جبانة شيخ عبد القرنة» هو نفس نصيب مقبرتي «سنموت»، ولا يزال فيها بعض بقايا لمناظر ملوَّنة توضِّح لنا بعضَ الصناعات والحِرَف، وهي تدل على الفن الرفيع في الصناعة كما يحدِّثنا «حبو سنب» نفسه في نقوشه (راجع: Porter and Moss, “Bibliography”, I. p. 96).

ولا نزاع في أن «حبو سنب» كان يُعَدُّ أقوى شخصية في حزب «حتشبسوت»؛ لأنه فضلًا عن كونه الوزير الأول والقابض على زمام المالية، فإنه كان الكاهن الأكبر للإله

«آمون»، والمشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري، وبذلك نراه جمع في شخصه كلَّ الوظائف الإدارية ووظائف الكهانة في جميع البلاد. والواقع أن هذه كانت خطوة لجمع كلِّ طائفة الكهنة تحت سلطان الكاهن الأول للإله «آمون»، وهذا دليل آخَر على سيادة الإله «آمون» على كل الآلهة المصرية قاطبةً.

(٢١-٤) حبو

وكان والد «حبو سنب» يُدعَى «حبو»، وقد أقام له ابنه لوحة جنازية نعلم منها أنه كان يحمل الألقاب التالية: المرتل الثالث للإله «آمون» في «الكرنك»، والقاضي الذي يمدحه رب مدينته. وقد جاء على هذه اللوحة كذلك ذِكْر اسم أخ «حبو سنب» ويُدعَى «سا» «آمون»، وكان يُلقَّب الخازن الأول المقدس لمالية «آمون» (راجع: Urk. IV. p. 469–71).

(٢١-٥) تحوتي المشرف على خزانة حتشبسوت

وقد كان «تحوتي» أحد الذين ناصروا الملكة «حتشبسوت» بكلِّ ما لديهم من قوة؛ ولذلك فإن قبره قد حاق به من التخريب والتلف ما نال قبورَ كلِّ مَن كان حول «حتشبسوت»؛ غير أن التلف الذي أصاب قبره كان منصبًّا على اسم الملكة، وما يتصل به من ألقاب، وقد خلف «تحوتي» هذا «إنني» في الإشراف على بيتي الفضة وبيتي الذهب، وهذه الوظيفة قد أهَّلَتْه للإشراف على القيام بعمل عدة آثار من المعادن الكريمة، فهو الذي أنجز عمل غطاءي مسلتي «حتشبسوت» العظيمتين، وكذلك هو الذي أشرف بشخصه على كيل الذهب ووزنه، والمعادن الثمينة الأخرى التي وردت من حملة الملكة إلى بلاد «بنت»، وهذا العمل قد خلد له في نقوش الدير البحري ومناظره (Naville, “Dier el Bahari”, Vol. III. p. 79).

ومنظر الدير البحري قد رسم مزدوجًا، ففي أحد الرسمين يشاهد «تحوتي» الموظف يسجل الكيل للملكة، والثاني يُشاهَد فيه الإله «تحوتي» يقوم بنفس العمل للإله «آمون»، ومن اللوحة التي في قبره نعلم أنه كان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والكاتب، والمشرف على الخزانة، والسمير الوحيد، والمقرَّب الممتاز عند سيد رب الأرضين، والممدوح من الإله الطيب، مدير المباني، والمشرف على بيتي الفضة، والمشرف على بيتي الذهب، والمشرف على ثيران «آمون»، وحامل خاتم مالية الملك (راجع: Urk. IV. p. 420 ff).

ما أنجزه من الأعمال

يقول: «لقد عملت بوصفي رئيسًا مصدرًا التعليمات، وأرشد الصنَّاع في عملهم عند بناء السفينة العظيمة (لأجل عيد) بداية الفيضان (المسماة) «عظيمة في حضرة آمون»، وكانت موشاة بالذهب من أحسن ما وُجِد في الصحراء، وقد أضاءت الأرض بأشعتها (وكذلك أردت عمل) محراب لأفق الإله، وكذلك عرشه العظيم من السام (وأدرت العمل في) «زسر زسرو» (اسم معبد الدير البحري)، وهو معبد عشرات آلاف السنين (بوابته العظيمة مصنوعة من النحاس الأسود وأشكالها مرصعة بالسام)، وكذلك المعبد المسمَّى «مضيئًا على الأفق» عرش آمون العظيم الذي هو أفقه في الغرب، وكل أبوابه من خشب الأرز الحقيقي المغشى بالبرنز، ومعبد آمون الذي هو أفقه الدائم الأبدي، ورقعته موشاة بالذهب والفضة، حتى إن جمالها كان مثل أفق السماء، وكذلك أشرف على عمل محراب عظيم من أبنوس بلاد النوبة، والسلم الذي تحته عالٍ ومتَّسِع من المرمر الحر من محاجر حتشبسوت، و(عمل) جوسق للإله موشى بالذهب والفضة، حتى إنه ينير وجوه الناظرين بلألائه.»

وكذلك أشرفت على عمل الأبواب العظيمة العالية الواسعة في معبد الكرنك، وقد غشيت بالنحاس والبرنز، وأشكاله المرصعة كانت من السام، وعمل قلائد فاخرة وتعاويذ كبيرة (لتمثال الآلهة) من السام، وكل الأحجار الغالية، وعمل المسلتين العظيمتين اللتين يبلغ طولهما ١٠٨ أذرع (ربما يقصد أن طول كل واحدة منها ٥٤ ذراعًا) موشاتين بالسام، وهما اللتان ملأتا الأرضين ببهائهما (وأشرفت على عمل) بوابة فاخرة اسمها «ذعر آمون»، وصنعت من النحاس من قطعة واحدة وعلى الجهة المقابلة أيضًا، وعلى عمل موائد قربان كثيرة للإله «آمون في الكرنك» مصنوعة من السام الذي لا يُحصَى، ومن كل حجر ثمين، وعلى عمل عرش عظيم ومحراب مصنوع من الجرانيت الذي دعامته مثل عمد السماء وصنعه أبدي، والآن قد أهديت كل طرائف البلدان وجزيتها، وأحسن ما في تحف أرض بنت للإله «آمون» رب الكرنك، وكنت أنا الذي عملت قوائمها؛ لأني كنت ممتازًا في نظر الفرعون، وقد عرف أني إنسان يفعل ما يقول كتوم الأسرار، وقد نصبتني الملكة مرشدًا في القصر عالمة بأني عالم في عملي. وقد أمرني جلالتها أن أكيل السام من أحسن ما تنتجه الصحراء في وسط قاعة العمد الخاصة بالأعياد، وقد كلته بمكيال «حقت» لأجل الإله «آمون» في البلاد كلها، وقد بلغ حسابه $\frac{1}{2}$٨٨ «حقت» (أي: نحو $\frac{3}{4}$١٣ بوشل) … وكل هذه الأشياء حدثت وليس فيها كذب. وكنت يَقِظًا وكان لبُّي ممتازًا في رأي مليكي، حتى إنه أصبح في استطاعتي أن أرتاح (بعد الموت) في الصحراء العالية الخاصة بالمنعمين الذين

في الجبانة، وحتى تبقى ذكراي على الأرض، وحتى يعيش روحي مع (أوزير) رب الأبدية، وحتى لا يصدها الحراس الذين يحرسون أبواب العالم السفلي، وحتى تستطيع أن تخرج عند مناجاة أولئك الذين يصنعون القرابين أمام قبري في الجبانة، وحتى يغزر طعامها، وحتى يكون عندها الماء، وحتى تنهل ماء النهر الحي.

والنقوش التي على جدران معبد «الدير البحري» التي تصوِّر لنا نشاط «تحوتي» يوجد ما يؤكِّد صحة ما جاء فيها من الوثائق التي تركها لنا على جدران قبره إذ يقول (راجع: Breasted, A. R. II. §. 377): «تأمَّلْ! إن كل الطرائف، وكل الجزية من الأراضي كلها وأحسن عجائب بلاد «بنت» قد قُدِّمت «لآمون» رب «الكرنك»، لحياة وسعادة وصحة الملكة «باعت كارع» (حتشبسوت) (معطاة الحياة والثبات والصحة)، وإنه (أي: آمون) قد منحها الأرضين؛ لأنه يعلم أنه (أي: الملك) كان سيقدِّمها (الطرائف والجزية) له. والآن كنت أنا الذي حسبتها؛ وذلك لأني كنت ممتاز جدًّا في قلبه ... وقد بصر بأني إنسان أعلم ما يقال، مخفيًا كلامي فيما يخص قصره، وقد نصبني مديرًا للقصر، عالمًا بأني كنت مدربًا في العمل، ولقد حافظت (؟) على بيتي الفضة، وكل الأحجار الثمينة في معبد «الكرنك»، وهي (الخزانة) التي كانت مفعمة بالجزية حتى سقفها، ولم يحدث مثل ذلك في زمن الأجداد، وقد أمرني جلالته أن أضع ... (ميزانًا؟) من السام من أحسن ما تنتجه الأرض العالية (أي: جبال النوبة) في داخل قاعة الأعياد؛ التي تكال فيها (أي: الجزية) بالحقت، لأجل «آمون» أمام وجه الأرض جميعًا.

قائمة بذلك: ثمانٍ وثمانون ونصف حقت من السام (أي: ¾١١ بوشل) أي ما يساوي: اثنين وتسعين وخمسمائة وثمانية آلاف دبن ونصف، لأجل حياة وسعادة وصحة الملك «ماعت كارع» (حتشبسوت) معطاة الحياة مخلدة، ولقد تسلمت رغفانًا من التي تُقدَّم للإله «آمون رع» رب «الكرنك». وكل هذه الأشياء قد حدثت لي حقًّا، وليس فيها مين ولا كذب فقد فعلتها، ولقد كنت يَقِظًا، وكان قلبي مخلصًا لسيدي حتى يمكنني أن آوي إلى الأرض العالية للمنعمين الذين في الجبانة» (راجع: Urk. IV. p. 426).

أهمية هذه الوثيقة: ولا نزاع في أنه من الأشياء الهامة تاريخيًّا أن يجد الإنسان وثائق ملكية رسمية، ووثائق خاصة يؤكِّد بعضها بعضًا، على أن هذه ليست الحالة الوحيدة، فسنرى وثائق من هذا النوع من عهد «تحتمس الثالث»، على أن ذلك يُظهِر لنا من جهة أخرى أن جزءًا كبيرًا من ترجمة حياة عظماء القوم يمكن الاعتماد عليه إلى حدٍّ ما، على الرغم ممَّا يحتويه من أسلوب منمق وألفاظ ضخمة.

(٢١-٦) أمنحوتب المدير العظيم للبيت

ومن كبار الموظفين الذين كانوا يعملون على تحقيق أطماع «حتشبسوت» ومقاصدها «أمنحتب»، الذي نحت لنفسه قبرًا في «جبانة شيخ عبد القرنة» رقم ٧٣، وقد ظلَّ هذا القبر لا يُعرَف اسمُ صاحبه حتى عهد قريب؛ وذلك لأن رجال «تحتمس الثالث» كانوا قد محوا اسمه من كل أجزاء المقبرة على إثر وفاة «حتشبسوت» وتولِّي «تحتمس» العرشَ، غير أنه عُمِل مجهودٌ جديدٌ في رسم المقبرة رقم ٧٣، وقد عُرِف في النهاية أن صاحبها هو «أمنحتب» (راجع: Porter & Moss, “Bibliography”. I, p. 100)، وألقابه كما يأتي: الأمير الوراثي، والسمير الذي يقترب من أعضاء الإله (أي: المخلص له) ورئيس كل البلاد، والمقرب العظيم لدى رب الأرضين، ومدير كل الأعمال الخاصة بالمسلتين العظيمتين لبيت «آمون»، ومدير البيت العظيم، وشجاع الفرعون، والذي يهدِّئ بفمه كلَّ الأرض قاطبةً، وعظيم العظماء في كل الأرض جميعًا، ومدير البيت العظيم للفرعون، والمشرف على ثيران «آمون»، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد (Urk. IV. p. 456–62).

مناظر قبره الباقية

ولا يزال على جدران قبره عدة مناظر تشير إلى علاقة «أمنحتب» بالملكة، ومناظر أخرى من حياته اليومية، منها منظر يُشاهَد فيه مقدِّمًا للملكة قلادتين ثمينتين، كما يُرَى خلف «أمنحتب» قِطَع فنية ثمينة، منها: عمد من الأبنوس ومموهة بالذهب، ومرصعة باللازورد، وعربات عظيمة مصنوعة من خشب السنط المجلوب من بلاد «كوش» مصفحة بالذهب، وأقواس وكنانات من الفضة والذهب (؟) وتمثال للملكة في صورة «بو الهول» من الحجر الأسود، وتمثال للإله «آمون» من المرمر. وكذلك نشاهد المتوفى أمام مسلتين عظيمتين، وقد جاء في النقوش أنه هو الأمير الوراثي الذي يدير العمل، وقد أقام هاتين المسلتين العظيمتين في بيت «آمون» (Urk. IV. p. 461). ويُرَى كذلك منظر يتسلَّم فيه المتوفى أزهارًا، وفي آخَر يصطاد السمك والطيور.

(٢١-٧) دوانحح

تقع مقبرة هذا العظيم في «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ١٢٥)، والظاهر أنه لم يحِقْ به غضبُ المخربين وسخطهم في عهد «تحتمس الثالث»، كما أصاب قبور غيره من موظفي «حتشبسوت»؛ إذ قد بقي لنا بعض مناظر طريفة. وتدل ألقابه على أنه كان من أصحاب الحظوة العظيمة؛ إذ كان يتقلَّد الوظائف التالية (راجع: Urk. IV. p. 451): الحاجب الأول، والحاجب الأول لكلتا الأرضين، ومدير أعمال الفرعون، والمشرف على كل الصناعات الملكية، والمشرف على إدارة «آمون»، والمشرف على مخازن غلال الآلهة الطيبة … إلخ، كما كان يحمل الألقاب الفخرية الآتية: الأمير الوراثي، والسمير العظيم الحب، والسمير الوحيد.

ومن أهم المناظر التي تُشاهَد في مزار قبره منظرُ الصنَّاع وهم يقيمون عمودَ بوابةٍ، وكذلك وهم يضعون بابًا وهميًّا وصندوقًا كما تدل على ذلك النقوش، وهذه الأشياء كانت تُعمل للإله «آمون» (راجع: Wreszinski, “Atlas”, Pl. 341. & Pl. 342; Urk. IV. p. 453-4).

(٢١-٨) نب آمون كاتب الحسابات الملكية في حضرة الفرعون

لدينا موظفان من عهد «حتشبسوت» بهذا الاسم، وهما «نب آمون» كاتب الحسابات الملكية في حضرة الفرعون، والمشرف على الغلال، وقد اغتُصِب قبره في عهد الأسرة العشرين، ومن أهم المناظر التي بقيت لنا فيه منظر تمثالين للفرعون «أمنحتب الأول» والملكة «نفرتاري» (راجع: Prisse, “L’Art Egyptien” II)، وقبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٦٥) (راجع: Gardiner & Weigall, “Catalogue”, No. 65).

(٢١-٩) نب آمون الثاني كاتب حساب الحبوب

وقبره في «الخوخة» على الضفة اليمنى من النيل «بطيبة»، ولم تنتشر مناظره بعدُ ويُلقَّب صاحبه بالكاتب حاسب الحبوب في مخازن القربان المقدسة للإله «آمون» (راجع: Ibid No. 179).

(٢١-١٠) آمون أمحب ويُسمَّى محو أيضًا

وُجِد ضمن التماثيل التي كُشِف عنها في خبيئة «الكرنك» تمثالٌ لموظَّف يُدعَى «آمون أم حب»، وهو الآن بالمتحف المصري (راجع: Legrain, “Statues”, No 42112).

ويحمل الألقاب التالية: خادم الكاهن الأول للإله «آمون» (حبو سنب)، ومدير بيت الكاهن الأول؛ وذلك يدل على عظم مكانة الكاهن الأكبر للإله «آمون»، فقد كان له موظفون خاصون به، كما كان للفرعون.

(٢١-١١) بو أم رع

كانت مقبرة «بو أم رع» من أهم المقابر التي كُشِف عنها في عهد الأسرة الثامنة عشرة، وقد عمل في عهد كلٍّ من «حتشبسوت» والفرعون «تحتمس الثالث»، وأهم وظيفة كان يشغلها في كلا العهدين هي وظيفة مهندس بناء، وإن كان لا يحمل هذا اللقب صراحةً، وقد أبقى عليه الفرعون «تحتمس الثالث»؛ لأنه كان أخاه من الرضاعة؛ فقد كانت «نفر أعح» والدة «بو أم رع» مرضعةً للفرعون «تحتمس الثالث»، أما والده «بويا» فقد كان يحمل لقب «الكاتب الملكي»، وكذلك كان يُلقَّب بالقاضي، أما ألقاب «بو أم رع» الأخرى فهي: الأمير الوراثي، والفم الذي يهدئ كل الأرض قاطبة، وحامل خاتم الوجه البحري، والكاهن الثاني للإله «آمون»، والمقرب من الفرعون في كل الأشغال، والمشرف على الثيران، والمشرف على حقول «آمون» والد الإله ومحبوبه (راجع: Urk. IV. p. 521).

وقد كُشِف لهذا العظيم عن تمثال في معبد الإله «آمون» «بالكرنك»، وقد جاء عليه نقوش عن بعض ما كلَّفَتْه الإشرافَ على إنجازه الملكةُ «حتشبسوت»، وهاك النص حرفيًّا: الأمير الوراثي، والسيد، ومهدئ الأرض جميعها، والذي يملأ قلب الملك في كل عمل، والذي ينادي بكل عمل فاخر، حامل خاتم ملك الوجه البحري، والكاهن الثاني «لآمون» «بو أم رع» يقول: لقد فتشت عن محراب عظيم من الأبنوس المغشى بالسام من قبل ملكة الوجه القبلي والوجه البحري «ماعت كارع» (حتشبسوت) لأمها «موت» سيدة «أشرو»، وأشرفت على إقامة باب مصنوع من الحجر الجيري الأبيض المستخرج من «عن» بوساطة ملكة الوجه القبلي والوجه البحري «ماعت كارع» لأمها «موت» سيدة «إشرو»، ولقد أنقذت مقبرة «بو أم رع» المقامة في «الخوخة» (بالعساسيف رقم ٣٩) من عبث رجال «تحتمس»؛ وذلك لاتصاله به كما ذكرنا.

ويشمل هذا القبر عدة مناظر تمثِّل لنا نواحي من حياته الحكومية ونشاطه، وقد تحدَّثنا عن بعضها مثل منظر المسلتين، ومن أهم المناظر منظر «بو أم رع» وهو يستقبل وفودَ رؤساء البلاد الأجنبية، وهم يحملون الجزيةَ إلى مصر، وكاتبه أمامه يحصي ما يقدِّمونه، فنشاهد فوق صورة «بو أم رع»: «تسلم جزية محصول مستنقعات آسيا وطريق «حور» (وأنف حور) وجزية الأراضي الجنوبية، والواحات الشمالية، مقدَّمة للملك لمعبد «آمون» رب تيجان الأرضين، والمشرف على الكرنك على يد الأمير الوراثي، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد الحب … المرتل الأول … «بو أم رع» صادق القول.»

والمنظر قُسِّم ثلاثة صفوف بعضها فوق بعض، ففي الصف الأعلى نشاهد الآسيويين يحملون جزيتهم، وقد نُقِش فوقهم: «جزية نهاية بلاد آسيا»، والصف الثاني يُرَى فيه أناس من الشرق الأقصى للدلتا على حدود آسيا، وقد نُقِش فوقهم: «تسجيل جزية «وتت حور»»، ثم نشاهد أحد أولئك الرجال «رئيس البساتين للقربان المقدس للإله آمون» وبجانبه نجد مائدتين محمَّلتين بالقرابين (راجع: Urk. IV. p. 523)، أما الصف الأسفل فنشاهد فيه رجال من الواحات، وقد كُتِب عنهم: «تسجيل جزية إقليم الواحات رؤساء الواحات الجنوبية والشمالية»، وفي أحد المناظر نراه يراقب كيل غنائم الحرب التي كسبها «تحتمس الثالث»: «مراقبة كيل الأكوام العظيمة من البخور (صمغ عنتي)، وسن الفيل والأبنوس والسام من بلاد «عمو» وكل نباتات حلوة … والأسرى الأحياء الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته.»

كما نشاهده يفتش عن الآثار والأشياء الثمينة التي أهداها الفرعون لمعبد «آمون»: «التفتيش عن الآثار العظيمة الفاخرة التي عملها ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «منخر رع» لولده «آمون» في «الكرنك» من الفضة والذهب، وكل الأحجار الكريمة الغالية بوساطة الأمير الوراثي، محبوب الإله «بو أم رع».»

وفي منظر آخَر نرى توريد الذهب إلى خزائن الإله «آمون» (راجع: Wreszinski, “Atlas”, Pl. 149) حيث نشاهد كاتب خزائن الإله الأول والثاني يزنان ستة وثلاثين ألفًا واثنين وتسعين وستمائة دبن (أي: ما يساوي ٣٣٣٩ كيلوجرامًا من الذهب)، ويقول الذين أحضروه وهم واقفون في خضوع: «إن الجبال قد فتحت أيديها بالذهب لأجل آثار «آمون» لحياة وصحة وعافية الفرعون.»

وفي أسفل هذا المنظر منظر آخَر يُشاهَد فيه كيل الذهب أمام كاتب خزانة الإله الأول والثاني، وفيه ممثِّلو الدول التي كانت تخضع أو تصادق مصر وهم يقدِّمون الذهب

الذي كان يُكال بمكيال، وبلغ عدد كيله سبعة وثمانين ونصف مكيال، وهؤلاء يمثِّلون: سوريا، وخيتا، وكريت، ولوبيا. وكذلك تشاهد مناظر صنع العربات والسروج، والأسلحة، والنجارة، وصناعة الحدادة، والمجوهرات، والمحاريب، وصناعة الأواني (راجع: Ibid Pl. 151–4).

(٢١-١٢) نحسي

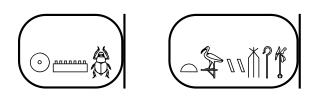
لقد ذكرنا فيما سبق أن «نحسي» هذا قد لعب دورًا هامًّا في الحملة التي أرسلتها الملكة «حتشبسوت» إلى بلاد «بنت»، وقد كان يحمل لقب حامل خاتم ملك الوجه البحري أو المشرف على الخاتم، ممَّا يدل على أن حامل هذا اللقب كان يوكل إليه قيادة الرحلات كما ذُكِر ذلك في (الجزء الثالث)، هذا فضلًا عن أنه كان يحمل لقب الشرف «الأمير الوراثي»، وفي المنظر الذي يمثِّل عودة الحملة سالمةً نشاهد أن «نحسي» كان أحد ثلاثة العظماء الذين ظهروا أمام «حتشبسوت»، وهي على عرشها (راجع: Naville, “Deir el Bahari”, Vol. III. p. 85–6).

وقد قيل عن «نحسي»: «تأَمَّلْ! لقد صدر الأمر من صاحبة الجلالة إلى الحاكم الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الوحيد، والمشرف على خاتم «نحسي»؛ أن يسير بالجيش إلى «بنت»».

وهذا ممَّا يفسِّر لنا أهميةَ الدور الذي لعبه في هذه الحملة، وفي محراب منحوت من الصخر في «السلسة الغربية» قد ذكر لقبه «المشرف على الختم».

وممَّا يُلحظ أن اسمه قد مُحِي من النقوش التي على معبد «الدير البحري»، مثله في ذلك كمثل «سنموت» وغيره؛ ولذلك يجب أن نفهم أنه كان في خدمة «تحتمس» عندما كان مشتركًا مع «حتشبسوت» في الملك (راجع: Urk. IV. p. 419).

تحتمس الثالث – انفراده بالحكم



مقدمة

لقد كان موضوع الخلافة على عرش مصر في أسرة التحامسة مصدرَ نقاشٍ عنيف ومجادلات طويلة بين علماء الآثار؛ وذلك لصمت الوثائق الأثرية عن الإدلاء بتصريح واضحٍ شافٍ في هذه المسألة، فقد تناوَلَ الأستاذ «زيته» هذا الموضوعَ مرتين، وعارَضَه في رأيه علماء آخرون، وبقيت الآراء والاستنباطات لحل هذا الموضوع متضاربةً متناقضةً إلى أن كتب أخيرًا الأستاذ «إجرتون» بحْثَه المشهور بعد دراسة عميقة ردًّا على الأستاذ «زيته» عن مقاله الذي عنوانه «مسألة حتشبسوت مرة أخرى» تحت عنوان «خلافة التحامسة».[1]

وقد أدلى بحجج قوية تجعلنا نعتقد أن الموضوع قد حلَّ على وجه تقريبي إلى أن تطالعنا الآثار بما يدحضه أو يؤيده؛ ولذلك أصبح الرأي السائد كما ذكرتُ من قبلُ أن «تحتمس الأول» أعقبه على عرش مصر ابنه «تحتمس الثاني»، الذي تزوَّجَ من أخته من أبيه المسماة «حتشبسوت»، وبعد وفاته خلفه ابنه «تحتمس الثالث» الذي رزقه من زوجة ثانوية تُدعَى «إزيس»، وقد أصبح ملك مصر رسميًّا وهو لا يزال طفلًا لم يبلغ الحلم بعدُ، وقد نصبت «حتشبسوت» نفسها وصية عليه وعلى ابنتها «نفرو رع» التي كانت كذلك لا

[1] راجع: W. F. Egerton, “The Thutmosid Succession”.

تزال قاصرةً، غير أنها لم تلبث أن أعلنت نفسها ملكةً شرعية على البلاد كما فصلنا فيما سبق، وقد بقي «تحتمس الثالث» منزويًا بعيدًا عن الحكم إلى أن ماتت «حتشبسوت»، ولا نعلم إذا كانت هذه الملكة العظيمة قد ماتت حتف أنفها أو من جرَّاء ثورة قام بها حزبٌ كان يناصِر الفرعون الفتى؛ ليقضي على تلك المرأة التي كانت شوكةً في جنب والده وشجًا في حلقه. وعلى أية حال فإن «تحتمس الثالث» عندما اختفت هذه المرأة من مسرح الحياة المصرية، قبض على مقاليد الأمور وأخذ ينكل بأعدائه، وهم أولئك الذين كانوا في ركاب «حتشبسوت» أو عاملين في بلاطها، ثم أخذ بعد ذلك في القضاء على كل آثارها بصورة مروعة يشهد بشناعتها وعنفها ما أحدثه من التدمير والتهشيم في الدير البحري، وبخاصة في تماثيلها وطغراءاتها، هذا فضلًا عمَّا ألحَقَه بسائر آثارها في كل أنحاء البلاد.



شكل ١: إزيس والدة تحتمس الثالث.

ولم يعترف «تحتمس الثالث» بحكم هذه الملكة، بل جعل تواريخه التي تُدوَّن بها آثاره تبتدئ بالسنة الأولى التي نُصب فيها فرعونًا لمصر عندما أعلنه الإله «رع» ووالده «تحتمس الثاني» ملكًا شرعيًّا على عرش مصر (١٥٠٤–١٤٥٠ق.م).

(١) قصة تتويج تحتمس الثالث

وقد نقش «تحتمس الثالث» منظرَ تتويجه على جدران معبد الكرنك في حفلٍ رائعٍ مثل بوصف تمثيلي تتضاءل أمامه تلك القصص الخيالية التي نقرؤها أو نشاهدها على الشاشة البيضاء. وقبل أن نتكلم عن أعمال هذا الملك الفذِّ، سنضع أمام القارئ ترجمةَ تلك النقوش العجيبة التي برَّرَ بها «تحتمس الثالث» وراثته لعرش الملك أمام شعبه الذي كان يقدِّسه.

وهذه النقوش ما تزال موجودةً حتى الآن على الجدار الجنوبي الخارجي من المباني، التي أقامها في معبد الإله «آمون» بالكرنك قبالة سلسلة الحجرات الجنوبية، التي كانت تقام فيها الشعائر الدينية «لتحتمس الثالث» و«أمنحتب الأول»، ويُحتمَل أنه نقشها في العام الثاني والأربعين من حكمه بعد أن عاد مظفرًا من آخِر حملة سار على رأسها إلى بلاد آسيا،[٢] وهاك ترجمة النص على ما فيه من تهشيم:

> السنة الثانية والأربعون، عقد الملك جلسة … حضر السمار … أمر ملكي لأصدقاء الفرعون … إنه الإله «آمون» والدي وأنا ابنه حينما كنت لا أزال فرخًا في عشه، ولقد أحبني حقًّا من لبه (وخصني بالملك)، وليس في ذلك مبالغة ولا مين، وكنت وقتئذٍ صبيًّا؛ إذ كنتُ لا أزال طفلًا حدثًا في معبده، ولم أكن قد أصبحتُ بعدُ كاهنًا … في جانب جلالتي، وكنتُ في هيئة الكاهن الذي يلقب عمود أمه، أيْ كنت مثل الإله «حور» الطفل في بلدة «خميس» (وتقع «خميس» في المكان المعروف الآن «كوم الخبيزة» في شمال الدلتا)، وقد كنتُ واقفًا في القاعة ذات العمد البردية الشكل الواقعة في الجهة الشمالية من المعبد (وهذه القاعة قد بناها «تحتمس الأول» بين البوابتين الرابعة والخامسة)، وعندئذٍ خرج الإله «آمون» من بهاء أفقه[٣] مثل إله الشمس، وكانت السماء والأرض

[٢] راجع: Urkunden IV, p. 155.

[٣] أي: في احتفال كان يحمل فيه تمثال الإله «آمون» في سفينته المقدسة على الأعناق.

في عيدٍ لجمال طلعته، وعندئذٍ أتى بمعجزة عظيمة، فقد كانت أشعته في أعين الشعب كأنه «حور» إله الشمس عندما يشرق في الأفق، وعندئذٍ أخذ الشعب يبتهل إليه بالدعاء رافعين أيديهم … ثم قرب له جلالته (يقصد الملك الحاكم وقتئذٍ) البخور على النار، وقدَّمَ له قربانًا عظيمة من الثيران الكبيرة والصغيرة ومن صيد الصحراء … ثم طاف حول القاعة ذات العمد البردية الشكل مارًّا بكلا جانبيها، ولم يكن يدور في خلد الناس الذين شاهدوا عمل الإله هذا أنه يبحث عن جلالتي في كل مكان في القاعة، ولكنه عرفني عندما كنت واقفًا … وعندئذٍ انبطحت على بطني ساجدًا أمامه، فعرفني ثانيةً وأنا على الأرض، ثم انحنيت أمامه … فوقفني أمام جلالته ثم جعلني أقف في مكان السيد (وهو مكان خاص في المعبد لا يدخله إلا الملك) … وتعجَّبَ مني … وإن ما أقوله ليس ببهتان، وكان ذلك … على مرأًى من الناس، وقد حفظ سرًّا في قلوب الآلهة الذين يعرفون هذه … ولم يكن هناك ما يدل عليها … وفتح لي أبواب السماء، وفتح لي بوابات الأفق (السماء والأفق يدلان على مسكن الإله في المعبد، وهو قدس الأقداس الذي لا يدخله أحد إلا الملك)، وطرت إلى السماء بوصفي صقرًا إلهيًّا لأطَّلِع على سره الذي في السماء، ودعوت لجلالته … ورأيت المخلوقات سكان الأفق في طريقهم السري في السماء، وأجلسني «رع» نفسه وزينت بتيجانه التي كانت على رأسه وصله الفريد الذي كان على جبينه … ثم حليت بكل فضائله، وأعانني كل علية الآلهة ثم … «حور» عندما يقدم بشخصه نحو معبد والده «آمون رع».

وكذلك حليت بشرف الآلهة … وألبسني تيجاني، ونقش لي ألقابي، وثبت صقري على البوابة (شعار الملك)، وصيَّرني مظفرًا مثل الثور المنتصر، وجعلني أشرق في طيبة بوصفي «حور الثور المظفر» الذي يضيء في «طيبة»، وجعلني أتوج بتاج السيدتين (العقاب والصل، وهما رمزا الوجه القبلي والبحري)، وبارك مملكتي بوصفها مملكة «رع» في السماء وباسمي هذا صاحب السيدتين (أي: مملكة مباركة مثل «رع» في السماء)، وقد صورني صقرًا من الذهب ومنحني قوته وشدة بأسه، وكنتُ بهيًّا بتيجاني هذه وباسمي هذا «حور الذهبي» (أي: القوي صاحب البأس الفخم التيجان)، وقد جعلني أشرق بوصفي ملكًا على الوجه القبلي والوجه البحري (منخبرع)، وإني ابنه الذي خرج كريم الولادة

> مثل الإله صاحب «حسوت» (أي: «تحوت» إله العلم)، وإنه يضمُّ كل صوري، بوصفي ابن الشمس «تحتمس سما خبر» له الحياة أبد الآبدين، وقد جعل كل الأراضي الأجنبية تأتي خاضعةً لقوة جلالتي؛ لأن الفزع مني كان في قلوب قبائل الأقواس التسعة، وكل البلاد وُضِعت تحت موطئ قدمي، وكذلك جعل النصر في ساعدي، وبذلك أمد حدود مصر.
>
> وقد فعل ذلك والدي «آمون»؛ لأن حبي كان عظيمًا من لدنه، وكذلك فرح بي كثيرًا أعظم من فرحه بأي ملك آخَر وُجِد على الأرض منذ خلقت، وإني ابنه محبوب جلالته وما ترغب فيه نفسي يُنفَّذ.

ومما سبق نعلم أن «تحتمس الثالث» أراد أن يقابل أقصوصة تولي حتشبسوت عرش الملك بمثلها، ويثبت للعالم أن الإله ووالده هما اللذان وضعاه على عرش مصر، وأن ما فعلته «حتشبسوت» كان اغتصابًا.

(٢) الملك الذي كان يحكم عند تولية تحتمس الثالث عرش الملك

على أن العقدة التي لم تُحَلَّ بعدُ في هذا المتن هي أننا لم نقف بعدُ على شخصية الملك الذي كان يحكم البلاد وقتئذٍ، هذا فضلًا على أننا لم نعرف ماذا وقع من الأحداث بعد هذا المنظر؛ لأن النقوش مع الأسف وُجِدت مهشمة عند اسم الملك الذي حضر هذا الحفل؛ لأن «تحتمس الثالث» لا بد كان قد ذكر اسمه وهو يقصُّ علينا قصته الخارقة للعادة، من أجل ذلك سنضطر هنا إلى الاستنباط ممَّا بقي لنا من الآثار، فعلى حسب نقوش «إنني» نعلم أن «تحتمس الثالث» تولى العرش بعد وفاة «تحتمس الثاني»، غير أن بعض المؤرخين يعزو تولية «تحتمس الثالث» إلى مؤامرةٍ قام بها كهنة معبد «آمون»، وعلى رأسهم الكاهن الأعظم، على أن وقائع الأحوال وتقاليد وراثة العرش في تلك الفترة لا تُشعِر بأية مؤامرة ظاهرة؛ إذ نقرأ في النقوش سردَ حوادث الاحتفال الرسمي الذي انتُخِب فيه الفرعون الذي كان على عرش الملك في «طيبة» وقتئذٍ وإرثه من بعده، ولكن بصورة تمثيلية تدعو إلى العجب ممَّا جعلها من المعجزات، وهذا الفرعون الذي انتُخِب هو «تحتمس الثالث»، حقًّا إن تدخُّل الإله آمون المباشِر في انتخاب الفرعون قد يكون فيه ما يشوِّش فكرَ القارئ، ويجعله يظن أن ذلك كله كان حديث خرافة؛ لأنه خارق للمألوف، ولكن لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الدهشة أو العجب عند المصري القديم، بل قد لا يكون فيه غرابة للقارئ الحديث

إذا وقف على الدور الهام الذي كان يلعبه الإله، أو بعبارة أخرى الكهنة، في حكم البلاد في تلك الفترة؛ أليس هو الإله الذي كان يُعتبَر والد الفرعون، وإن هذا الادِّعاء كان يُعلن ويُعرف في كل العالم أجمع، ولدينا قصة تولية «حتشبسوت» التي دوَّنتها على جدران معبدها بالدير البحري شاهد عدل، ولقد قلَّدها في ذلك فيما بعدُ «تحتمس الثالث» في معبد الأقصر، ثم «الإسكندر الأكبر»، ثم يوليوس قيصر.

وفي كثيرٍ من الأحوال عندما كانت تحتم الظروف، كان لا بد قبل التتويج من عمل انتخابٍ للملك من بين أعضاء الأسرة المختلفين، إذا لم يعقب الفرعون ولدًا يخلفه على العرش من دم ملكي طاهر، وليس لدينا معلومات أكيدة عن كيفية الاحتفال بهذا الانتخاب إلا من عصور متأخرة.

(٣) وصف الاحتفال بتتويج تحتمس

إن نقوش تولية «تحتمس الثالث» تضع أمامنا لأول مرة المناظر التي كانت متَّبَعة بعد التتويج في «طيبة»، في خلال النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة؛ ولما كانت النقوش التي سردناها هنا ليست واضحة، فقد آثرنا أن نستعرضها هنا بصورة جلية؛ ذلك أنه كان يُحدَّد يومٌ لتتويج الفرعون مقدمًا، وعند حلول هذا اليوم كان الكهنة يضعون الفرد الذي سيقع عليه اختيار الإله الأعظم «آمون» في قاعة المعبد العظمى، ثم يخرج بعد ذلك الإله من محرابه في موكبٍ محمولًا على الأعناق في سفينته الإلهية، ثم يتقبَّل التضحية المقدسة التي كانت تُعَدُّ لمثل هذا الاحتفال العظيم، ثم يُحمَل بعد ذلك الإله على الأعناق ويطوف في أركان القاعة باحثًا عن ابنه الذي سيوليه العرش، وعندما يصل إلى المكان الذي يقف فيه هذا المحظوظ يوحي إليه، فيقدِّمه له الملك الجالس على العرش فعلًا، وفي العادة يكون أباه، ثم يملي عليه الإله ألقابَ التتويج الرسمية التي سيحملها مدةَ حكمِه، وهذا هو ما حدث بالضبط عند تتويج «تحتمس الثالث»، والواقع أن نغمة هذه النقوش كانت لا تُشعِر بأي شيء مستغرب في نظر المصري، بل كان كل شيء فيها يجري عاديًّا.

وعلى أية حال لم نفهم منها أن هناك روح ثورة، بل كان كل ما حدث لا يخرج عن حد التقاليد التي كان يرتكز عليها نظام الحكم في مصر، وأعني بذلك تدخُّل الإله المباشِر في كل ما يتصل بالحياة السياسية في البلاد، وبخاصة في كل أطوار الفرعون، وكان لزامًا على سلف «تحتمس الثالث» أن يشترك في توليته على العرش، كما فعل «تحتمس الأول»

عندما ولَّى «حتشبسوت» أريكةَ ملكه، إذا صدَّقنا ما نقشَتْه في أقصوصتها العريضة، وكما فعل «رعمسيس الثاني» مع ابنه «ستي الأول» كما سيأتي بعدُ.

(٤) سن تحتمس الثالث عند توليه العرش وتربيته الأولى

غير أنه في موضوع تولية «تحتمس الثالث» يعترضنا سؤال جوهري لا بد من الإجابة عليه، وهو كم كان عمر «تحتمس الثالث» عندما وقع اختيار الإله «آمون» عليه، وعندما انتزعه من أحضان الكهنة في المعبد لتوليته عرش الملك؟ وقد ظنَّ بعض المؤرخين أن «تحتمس الثالث» كان قبل هذا الحادث قد تزوَّجَ من أخته «نفرو رع» بنت «حتشبسوت» وأخته من أبيه، بَيْدَ أن الوثائق التاريخية لم تحدِّثنا عن هذا الزواج، والألفاظ التي استُعمِلت في المتون المصرية في وصف «تحتمس الثالث» في هذه الآونة تقطع بأنه كان لا يزال صبيًّا لم يبلغ الحلم بعد أن كان يُطلَق عليه في اللغة المصرية لفظة «أنوب»، ومعناها الصبي الذي لا يزال قاصرًا، هذا فضلًا من أن والده كان قد وضعه بين أيدي رجال الدين في معبد «آمون»؛ لتنشئته وتربيته بين أحضان العلم والدين، وليحبب إليه الكهنة الذين كان في أيديهم مقدار عظيم من السلطة والقوة، هذا فضلًا عن أن والده كان يشعر بأنه هو الذي سيخلفه على عرش الملك، وكان «تحتمس» وقت توليته العرش لم يبلغ سن الرجال بين رجال الدين، بل كما ذكرنا كان يشغل وظيفة «الطفل حور» أو «عمود أمه»؛ ومن ذلك نعلم أنه كان طفلًا حدثًا أوحى إليه تمثال الإله «آمون» بأنه هو الذي سيتربع على سدة الملك، وتدل كل الشواهد على أنه لم يكن يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وكان هذا الاختيار بطبيعة الحال آتيًا عن طيب خاطر من الفرعون الذي كان في قبضته مقاليد الأمور في البلاد وقتئذٍ.

والآن بقي علينا أن نُثبِت على وجه التأكيد اسم الفرعون الذي كان قد أُقِيم هذا الحفل في حضرته، وقد جاء في نقوش «إنني» أنه عندما صعد «تحتمس الثاني» إلى السماء ولحق بالآلهة، تولَّى مكانه ابنه «تحتمس الثالث» بوصفه ملكًا على الأرضين، وحكم على عرش من أنجبه، وأخذت أخته «حتشبسوت» (أخت تحتمس الثاني) في يدها إدارة حكومة البلاد، ومن ثَمَّ نعلم أن «تحتمس الثالث» بدأ حكمه تحت وصاية «حتشبسوت» مدة، ثم استأثرت هي بالملك فيما بعدُ كما شرحنا ذلك من قبلُ، إلى أن ماتت وخلا له الجو، فنراه يتسلَّم مقاليدَ الأمور في يده، وكان أول عمل قام به أن طار بجيشه العظيم إلى ربوع آسيا.

(٥) تحتمس الثالث يعلن الحرب على بقايا الهكسوس في آسيا

وتدل شواهد الأحول على أن «تحتمس الثالث» لم يتوانَ طويلًا في مصر بعد اعتلاء أريكة العرش، فقد كان الخلاف القائم في مصر على تولية عرش البلاد، والجفاء بين «تحتمس الثالث» و«حتشبسوت» معروفًا في الأقطار الآسيوية العامرة بالجمِّ الغفير من الهكسوس، الذين شتَّت شملهم أسلاف «تحتمس الثالث» وطردوهم من مصر جملةً، والذين ما زال حب الانتقام والأخذ بالثأر يأكل صدروهم، وبخاصة أنهم أصبحوا هم المحكومين، ويدينون لمصر بالطاعة؛ ولذلك لما تولَّتْ «حتشبسوت» اتخذوا على ما يظهر هذا الحادث ذريعةً لإعلان الثورة؛ ليتحرَّروا من ربق الاستعباد المصري.

وقد أعلنت «سوريا» كلها العصيان على مصر في تلك الفترة، وقامت بثورة محبوكة الأطراف، حتى أصبح لزامًا على هذا الفرعون الفتي الجسور أن يقابل حلفًا قويًّا مؤلَّفًا من قبائل آسيا والولايات التي وطدت العزم على خلع النير المصري الذي أثقل عاتقهم به «تحتمس الأول» وسلفه من قبله، منذ خمسين سنة مضَتْ، ولا شك في أن أكثرهم تحمُّسًا كان أولئك الأقوام الذين طُرِدوا من مصر من غير رجعة، وكان كل أولئك قد ألفوا حلفًا بقيادة ملك «قادش»، وهي بلدة على نهر الأرنت (نهر العاصي) على مسيرة مائة ميل تقريبًا شمالي دمشق، وقد زحف الفرعون لمقابلة أولئك العصاة، يحدوه غرض معين وهو منازلة ملك «قادش» والقضاء عليه، فإذا تمَّ له ذلك، كان كل شيء عداه سهلًا ميسورًا نسبيًّا؛ وذلك لأن سوريا لم تكن وقتئذٍ مملكة واحدة متحدة الكلمة بطبيعتها، بل كانت مقسَّمةً ولاياتٍ صغيرةً يحكم كلًّا منها أميرٌ أو ملك، كما كان لها «بعل» أو إله خاص بها، وكانت أقوى هذه الممالك الصغيرة وأغناها مملكة «قادش»، وقد أفلح ملكها في أن يضمَّ مؤقتًا الولايات الأخرى تحت قيادته، فإذا كان في الاستطاعة هزيمته، فإن الحلف لا يفتأ أن تنحلَّ عراه، وتعود كل دويلة سيرتها الأولى من الاستقلال الذاتي؛ ولذلك يصبح من السهل على «تحتمس» الاستيلاء على ولايات هذا الحلف الواحدة تلو الأخرى، والظاهر أن «تحتمس» قد صمَّم على الزحف بسرعة خاطفة إلى «قادش» مباشَرةً ليضرب ضربته الحاسمة هناك.

(٥-١) موقعة مجدو

تُعَدُّ موقعة «مجدو» التي قابَلَ فيها «تحتمس الثالث» جيوشَ الحلف السوري بإمرة حاكم «قادش»؛ أول معركة حربية في تاريخ العالم القديم قد بقي عنها تفصيلات تُذكَر؛ ويرجع الفضل في ذلك إلى اليوميات التي خلفها «تحتمس الثالث» على أحد جدران معبد الكرنك، فقد جرَتِ العادة على ما يظهر في الجيش المصري في عهد الإمبراطورية أن تُدوَّن يوميات عن سير القتال في أثناء الحملات التي كان يقوم بها الفرعون، وقد كان المكلَّف بهذه المهمة العظيمة رئيس كتاب الجيش،[٤] وقد كانت تُحفَظ نُسَخٌ من هذه اليوميات في معبد الإله «آمون رع» «بطيبة»، ولم تصل إلينا منها إلا اليوميات التي أمر «تحتمس الثالث» بأن تُنقَش مقتطفاتٌ منها على جدران معبد الكرنك،[٥] ومن حسن الصدف أنه قد وصلتنا تفاصيلُ عن أول انتصار له في بلاد آسيا، وهو ذلك الفوز العظيم الذي أحرزه في موقعة «مجدو»، وما وصلنا من تفصيل هذه الموقعة يُعتبَر أوسع تفصيل عرفناه عن غزواته في هذه الأصقاع، وبهذه المعلومات أصبح في مقدرونا أن نتتبَّع بوضوحٍ سير الحملة بصورة جلية أكثر ممَّا كان يُنتظَر في مثل هذا العصر القديم.

طريق جيش تحتمس إلى مجدو

وسنكتفي هنا بتلخيص حركات جيش «تحتمس الثالث» الأولى التي قام بها لتنفيذ خطته التي رسمها لنفسه من بادئ الأمر، فقد سار بجيشه من قلعة «سيلة» (وهي القنطرة الحالية) في اليوم الخامس والعشرين، من الشهر الرابع، من فصل الشتاء، في السنة الثانية والعشرين من حكمه، وهذا التاريخ على حسب قول الدكتور «نلسن» يوافق ١٩ أبريل سنة ١٤٧٩ق.م، مخترقًا الصحراء التي تقع على الحدود الشرقية والحدود الجنوبية لفلسطين، فوصل «غزة» بعد مسيرة عشرة أيام قطع فيها نحو مائة وخمسة وعشرين ميلًا، وكان قد حطَّ رحاله فيها في اليوم الرابع من الشهر الأول من فصل الصيف، في السنة الثانية والعشرين من حكمه، ممَّا يدل على أن الجيش كان يقطع في سيره يوميًّا نحو اثني عشر

[٤] راجع: Helk, “Der Einfluss der Militarfuhren in der 18 Agyptischen Dynastie”, p. 14.

[٥] راجع: Urkunden IV, p. 662, 5.

ميلًا ونصف ميل، وهي سرعة حسنة في بقاعٍ معظمُ طرقِها صحراوية قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع، وبخاصة إذا عرفنا أن عددًا عظيمًا من جيشه كانوا مشاة. ولم يمكث «تحتمس» في بلدة «غزة» إلا سواد ليله؛ وفي الصباح المبكر سار على رأس جيشه ميممًا شطر «يحم» (يُحتمَل أن تكون يما الحالية) (انظر: المصور ٢)، وتقع على مسافة ثمانين ميلًا من «غزة»، وعلى الرغم من أن النقوش التي في متناولنا قد أغفلت ذِكْر يوم وصوله إليها، نستطيع أن نستنبط أنه ألقى فيها عصا تسياره في اليوم الحادي عشر من نفس الشهر؛ وذلك إذا فرضنا أنه كان يسير يوميًّا بنفس السرعة التي كان يزحف بها في ذهابه إلى «غزة».

الجيش يعسكر في بلدة «يحم» ويعقد فيها تحتمس مجلسًا حربيًّا

والظاهر أن الجيش قد ضرب خيامه فيها بضعة أيام، استطاع في خلالها «تحتمس» أن يطلق عيونه ليقفوا على مواقع العدو ومكانه، وفي اليوم السادس عشر من نفس الشهر عقد الفرعون مجلسه الحربي؛ ليتشاور مع ضباطه في أحسن الطرق التي يجب أن يقتحمها الجيش إلى «مجدو»، وسنترك المؤرخ المصري عند هذه النقطة يقصُّ علينا سير الحوادث (راجع: Urk. IV. p. 648 ff):

> السنة الثالثة[٦] والعشرون، الشهر الأول من فصل الصيف، اليوم السادس عشر في بلدة «يحم»، لقد أمر جلالته أن يعقد مجلس حربي ليتشاور فيه مع رجال جيشه قائلًا: إن ذلك العدو الخاسئ صاحب «قادش» قد جاء بجيشه ونصب خيامه فيها، وهو مقيم بها في تلك الآونة، وقد ضمَّ إليه كل أمراء الأقاليم الذين كانوا يدينون بخضوعهم لمصر حتى نهر الفرات … ومعه السوريون وقوم «قودة» بخيلهم وجنودهم وعشيرتهم، وأنه يقول على حسب ما وصل إلى مسامعنا: سأقف هنا لمحاربة جلالته في بلدة «مجدو»، فحدِّثوني ما يدور بخلدكم في هذا الخطب. فأجابوا جلالته قائلين: كيف يتسنَّى للمرء أن يسير في هذا المضيق، وقد وصلتنا الأخبار بأن العدو على تمام الاستعداد هناك في خارج

[٦] يُلاحَظ أن تغيير السنة من الثانية والعشرين إلى الثالثة والعشرين يرجع إلى أن «تحتمس» وصل غزة في يوم عيد تتويجه، أي في اليوم الأول على حسب سني حكمه.

المدينة، وأن عددهم قد أمسى هائلًا؟ وهل يكون السير مستطاعًا إلا إذا سار الجواد إثر الجواد، والجندي إثر الجندي أيضًا؟ وهل ستكون مقدمة الجيش بهذه الطريقة في ساحة القتال، في حين أن المؤخرة تكون لا تزال واقفةً هنا في «عرونة» عاجزة عن محاربة العدو؟ على أنه يوجد طريقان أخريان؛ واحدة منهما تؤدِّي إلى «تاعناخ»، والأخرى تقع في الجهة الشمالية من بلدة «زفتى» مؤدِّية إلى شمال «مجدو»، وبذلك لا نضطر إلى سلوك هذا المضيق الوعر.

وفي هذه الأثناء جيء بمعلومات عن ذلكم العدو الخاسئ، وبذلك استقرَّ النقاش في موضوع الخطة التي كانوا يتحدَّثون عنها فيما قبلُ.

ما قيل في الخيمة الملكية: فأجاب الملك قائلًا: إني ما دمتُ حيًّا، وما دام الإله «رع» يحبني، وما دام والدي «آمون» يرعاني، وما دام نفس الحياة ينعشني بالحياة والقوة؛ فلن أسلك إلا هذه الطريق المؤدية إلى «عرونة»، وليذهب منكم مَن يشاء في إحدى هاتين الطريقين الأخريين اللتين تحدثتم عنهما، وليتبعني منكم مَن يريد أن يسلك الطريق التي سيتخذها جلالتي؛ لأن الأعداء الذين يمقتهم الإله «رع» سيقولون: هل سلك جلالته طريقًا آخر؛ لأنه يخاف بأسنا وبطشنا؟ وعندئذٍ أجابوا جلالته قائلين: ليت الإله «آمون» والدك رب تيجان الأرضين وساكن الكرنك يرعى شعبك ويتعهَّده، تأمَّلْ! إنَّا سنكون في ركاب جلالتك أينما توجَّهت؛ لأنه من واجب الخادم أن يتبع سيده دائمًا. وعندئذٍ أمر جلالته بإصدار منشور لكل الجيش جاء فيه: إن سيدكم المظفر سيكون في طليعتكم لاقتحام ذلك المسلك الوعر الضيق. تأملوا، لقد أقسم جلالته يمينًا قائلًا: إني لن أسمح لجيشي المظفر أن يشقَّ طريقه إلا في هذا المكان؛ لأن جلالته عقد العزم على أن يتقدَّم طليعة جيشه بنفسه، وقد وزعت التعليمات على كل جندي بالأمر بالزحف، على أن يكون الجواد في إثر الجواد، في حين أن جلالته كان يسير في مقدمة جيشه.

الجيش يعسكر في عرونا

وفي السنة الثالثة والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف، اليوم التاسع عشر، استيقظ الفرعون في السرادق الملكي الذي كان قد ضُرِب له في بلدة «عرونا»، ثم سار

جلالته موليًا وجهه شطر الشمال في رعاية الإله «آمون» رب تيجان الأرضين ليفتح الطريق أمامه ... وكان الإله «آمون رع» يشدُّ ساعِدَ جلالتي ... وزحف جلالته على رأس جيشه المنظم فرقًا (ولم يجد للعدو أثرًا)، بل كان قد عسكر جناحه الأيسر عند بلدة «تاعناخ»، في الوقت الذي كان جناحه الأيمن قد ضرب خيامه في المنحنى الجنوبي من وادي مجرى «قنا» (؟).

وقد نادى جلالته أن سيروا في هذه الطريق، فالتقى بالعدو فكسره، وولى ذلك العدو الخاسئ الأدبار ... فيا أيها الجند مجدوا المليك وتغنوا بشجاعة جلالته؛ لأن ساعِدَه أشد بأسًا من أي ملك، وأنه هو الذي سيحمي مؤخرة جيش جلالته في «عرونا».

وقد كانت مؤخرة جيش جلالته المظفر لا تزال في بلدة «عرونا»، في حين أن مقدمته قد برزت في وادي مجرى «قنا»، حتى ملئوا فم هذا الوادي.

وعندئذٍ قال رجال الجيش لجلالته: حقًّا إن جلالته قد ظهر بجيشه المنتصر وملأ جنودُه الواديَ، فَلْيصغِ جلالته لقولنا هذه المرة، فيحمي لنا سيدنا مؤخرة جيشه وقومه الذين معه، وعندما تتصل بنا المؤخرة نحارب أولئك الأجانب؛ إذ لا نكون في شغل شاغل من جرَّاء مؤخرة جيشنا، وعلى إثر ذلك اتخذ جلالته مكانه عند فم الوادي حاميًا مؤخرة جيشه المظفر، وعندما تم خروج الفرقة الأمامية على هذه الطريقة كان الظل قد مال (أي: عند الظهيرة).

الجيش يعسكر عند مجدو ويستعِدُّ للموقعة

ووصل جلالته جنوبي «مجدو» على شاطئ مجرى نهر «قنا» في مدة سبع ساعات بعد ميل الشمس، وقد ضربت خيام معسكر جلالته هناك، ثم أصدر أمرًا لكل رجال الجيش وهاك نصه: «استعدوا أيها الجنود وانتضوا سيوفكم؛ لأن الفرعون سيخوض غمار حرب مع ذلك العدوِّ الخاسئ عند الصباح الباكر؛ لأنه ...» ثم ذهب الفرعون ليستريح في السرادق الملكي، وقد أمدَّ الضباط بما يحتاجون، ووُزِّعت الجرايات على الجنود، واتخذ كلُّ حارسٍ مكانَه بعد أن تلقَّى التنبيهات بأن يكون ثابتًا في مكانه شجاعًا.

الجيش يهاجم الأعداء ويهزمهم

السنة الثالثة والعشرون، الشهر الأول من الفصل الأول، اليوم الحادي والعشرون، وهو اليوم الذي أعلن فيه الضباط عيد الهلال الجديد، وفيه ظهر الفرعون في الصباح وقد

أعطى كلَّ رجال الجيش الأوامر للاستعداد للمعركة (؟) … وبعد ذلك انطلق جلالته في عربته المصوغة من الذهب النضار مدججًا بدرعه وزرده مثل الإله «حور» القوي الساعد رب البأس، ومثل الإله «منتو» إله طيبة (وهو إله الحرب)، وكذلك كان والده آمون يشد ساعده.

وكان جناح جيش جلالته الأيسر يقف على ربوة جنوبي «… قنا»، أما الجناح الأيمن فكان معسكرًا في الشمال الغربي من «مجدو»، وكان جلالته في وسطهما يحميه الإله «آمون» في حومة الوغى. وكانت قوة بأس الإله «ست» (إله الحرب) تدبُّ في أعضائه، ففاز جلالته فوزًا مبينًا وهو على رأس جيشه، وقد رأوا (أي: الأعداء) جلالته والنصر حليفه؛ ولذلك ولَّوا الأدبار نحو «مجدو» بوجوهٍ يغمرها الذعر، تاركين خيلهم وعرباتهم المصوغة من الذهب والفضة، وتسلَّقوا أسوار هذه المدينة بملابسهم (أي: مستعملين ملابسهم ليتسلَّقوا بها)؛ وذلك لأن أهل المدينة قد غلقوا أبوابها في وجوههم، ولكنهم مع ذلك دلوا ملابسهم ليجروهم بها إلى داخل المدينة؛ ولو أن جنود جلالتي لم يتهالكوا على نهب متاع العدو، لَكان في استطاعتهم الاستيلاء على «مجدو» وقتئذٍ عندما كان عدو «قادش» الخاسئ وعدو هذه المدينة يجرون متسلِّقين الأسوار ليدخلوا المدينة هربًا؛ لأن الخوف من جلالته كان قد سرى في أجسامهم وضعفت أسلحتهم؛ لأن صله (الذي على جبينه) قد طغى عليهم وهزمهم، واستولى جلالته على خيلهم وعرباتهم المصوغة من الذهب والفضة غنيمة باردة؛ أما صفوف جنودهم فكانوا قد طرحوا أرضًا مثل السمك في حبائل شبكه، وجيش جلالته المنتصر كان يحسب متاعهم؛ لأن سرادق هذا العدو الخاسئ الذي كان محلًّى بالفضة … وقد أخذ كل الجيش بأسباب الفرح مقدمًا الثناء لآمون؛ لما وهبه من نصر لابنه في هذا اليوم، وكذلك قدَّموا الشكر لجلالته مادحين انتصاره، ثم أحضروا الغنيمة التي استولوا عليها حتى الأيدي والأسرى والخيل والعربات المصوغة من الذهب والفضة والكتان الجميل.

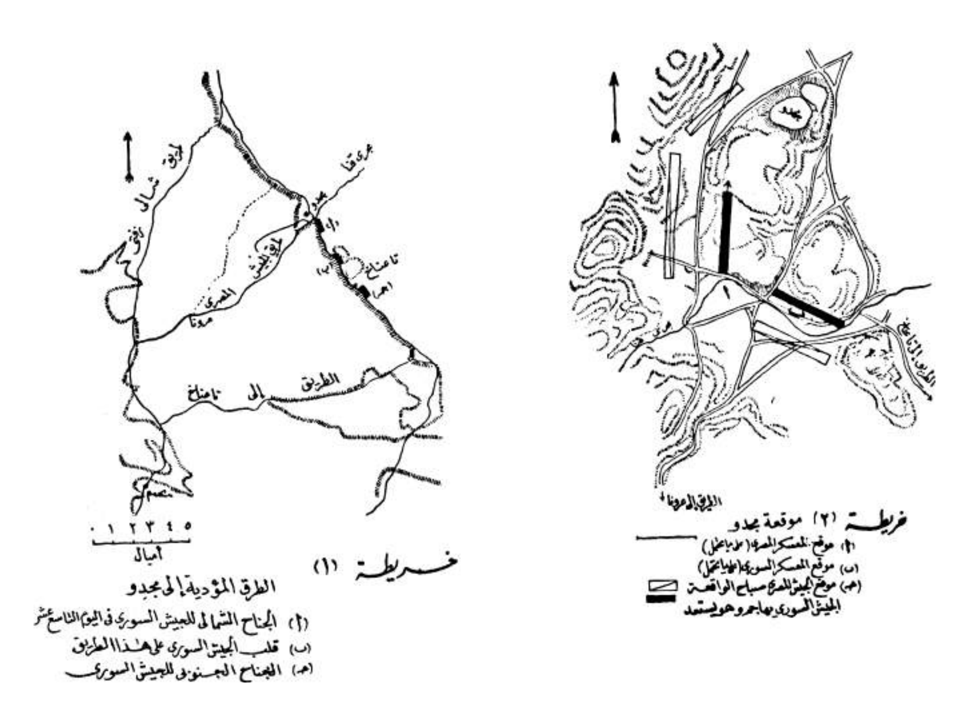
وصف حركات الجيش في هذه المعركة

هذه هي رواية الكاتب المصري بنصها، وهي أول وصف لمعركة حربية في العالم، ويمكن تلخيص حركات الجيش الذي كان يقوده ذلك القائد المبتكر فيما يأتي: لما عقد «تحتمس الثالث» مجلسه في «يحم» في اليوم السادس عشر من الشهر، صمَّم هذا الفرعون على اختراق الطريق من «عرونا» إلى «مجدو»، فأمضى اليوم السابع عشر في الاستعداد للزحف،

وفي اليوم الثامن عشر زحف الجيش نحو «عرونا»؛ حيث قضى فيها ليلة، وفي اليوم التاسع عشر استؤنف الزحف نحو «مجدو»، وكان الفرعون نفسه يغلظ الأيمان أن يسير في مقدمة طليعة جيشه في المعبر الضيق، فسار على رأس الجيش مخترقًا هذه الطريق الوعرة، ولم يحدث في خلال اجتيازها حوادث تستحق الذكر، اللهم إلا بعض مناوشات صغيرة، وسرعان ما تخطَّتْ مقدمةُ الجيش التلالَ، حتى عسكر «تحتمس الثالث» بعد مشاورة ضباطه عند فم الممر؛ ليكون في مأمن من هجمات العدو على جناح كتائبه الممتدة في طول المعبر وهم يسيرون متعثرين نحو العراء، وقد تمَّ خروج الجيش من هذا المعبر عند الساعة السابعة بعد الظهر، ومن ثَمَّ عسكر الجيش المصري في وادي قنا، وفي هذه الأثناء كانت قوة السوريين بلا نزاع قد ضربت خيامها في نفس الوادي بالقرب من «مجدو»، وكانت لهم قوة أخرى قد عسكرت عند «تاعنخ»، وكانت مهمتها منع زحف المصريين وإعاقة تقدُّمهم من كلتا الطريقين، ومن المحتمل أنه كان للسوريين قوة أخرى تؤازرهم قد عسكرت وسط هذين المكانين، غير أن هذه القوة التي كانت عند «قنا» قد أخفقت في مهاجمة الجيش المصري الزاحف لجهلهم بموقعهم، وكان السوريون على ما يظهر قد حشدوا كل جيوشهم في وادي «قنا» لصد الجيش المصري، غير أن المصريين هنا قد خدعوهم أيضًا، ففي الساعة الأولى من اليوم العشرين انتشر الجيش المصري عبر وادي نهر «قنا» إلى الشمال الغربي من «مجدو»، ثم إلى الجنوب الشرقي من تل هناك، مهدِّدين بقطع مواصلات العدو ببلدة «مجدو»، ثم هاجمهم المصريون ثانيةً على غرة.

وعندما كشف السوريون حركةَ الجيش المصري وقد ضرب عليهم الحصار في وادي «قنا»، حاولوا على ما يظهر أن يقوموا بهجوم مضاد، ولكن الجيش المصري لم يعطهم الفرصة لتنفيذ خطتهم، ولم يكد المصريون يهاجمونهم حتى هُزِموا وولوا هاربين، ولما رأى سكان بلدة «مجدو» ما حدث لجيوشهم غلقوا أبواب مدينتهم في الحال، وأخذوا يجرون الفارين على جدران المدينة بحبالٍ صُنِعت ارتجالًا من الملابس التي كان يرتديها أولئك الفارون، وقد هيَّأَتْ عوامل الرعب والفزع والذعر التي انتشرت بين رجال الجيش السوري فرصةً سانحةً للجيش المصري للاستيلاء على المدينة، بالهجوم أثناء الاضطراب الذي أحدَثَه فرار جيش السوريين، غير أن جنود الجيش المصري لم يكن في استطاعتهم أن يقاوموا حب السلب الذي دبَّ في نفوسهم، عندما رأوا أسلاب العدو أمامهم مكدَّسة، وبخاصة معسكر السوريين الذي كان يفيض بالخيرات والذخائر المغرية؛ ولذلك ضاعت عليهم فرصة الاستيلاء على «مجدو»، ممَّا جعل ضرب الحصار عليها أمرًا لا مفرَّ منه، وقد

امتدَّ زمنُ حصارها سبعةَ أشهر، استسلمت بعدها المدينة صاغرةً، غير أن ملك «قادش» الذي كان رئيس العصاة وحامل لواء الثورة على «تحتمس» قد فرَّ من المدينة، لا لينجو بنفسه، بل ليستعِدَّ لاستئناف الحرب من جديدٍ على مصر، وليكون سببًا في مضايقة الفرعون سنين عدة.



شكل ٢: خريطة موقعة مجدو.

أهمية هذه الموقعة في تاريخ الحروب

وأهمية سرد حوادث هذه الموقعة لا ينحصر في وصفها وحسب؛ بل كذلك لأننا نقرأ في وثيقة تاريخية لأول مرة في تاريخ العالم أن قائدًا حربيًّا لم تقتصر مواهبه على أنه جندي شجاع وقائد قدير ماهر فقط، بل لأنه كانت لديه الشجاعة كذلك ليخوض غمار مخاطرة

قد كان يعرف عواقبها من قبلُ ليصل إلى غرضه بسرعة خاطفة، بل قد أظهر فضلًا عن ذلك مهارةً حربيةً في وجه العدو الذي جعله يتأرجح في يده كاللعبة في يد الصبي.

ولا يبعد أن كان لهذا الحادث العظيم في تاريخ الحروب في الشرق القديم منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة أثره في تدبير سير الحملة، التي قام بها القائد الإنجليزي «ألني» عام ١٩١٨ على الترك، عندما هزمهم في نفس المكان؛ إذ كان قد ألقى بخيالته في ممر «عرونا» خلف الأتراك المنهزمين، وقد يتساءل المرء الآن في استغراب عمَّا إذا كان الضابط «لورنس» — بما كان له من المعلومات في التاريخ القديم — قد أوحى إلى «ألنبي» بالفكرة التي جعلته يقوم بهذه الحركة الجريئة الماهرة، التي كان قد سبقه إليها «تحتمس الثالث»، الذي يلقِّبه مؤرخو الغرب بحق «نابليون الشرق القديم».

وصف حصار مجدو

بعد انتصار «تحتمس» على جموع العدو الذي احتمى داخل أسوار مجدو نفسها، حشد «تحتمس» جيشه الذي كان منهمكًا في السلب والنهب، وحاصَرَ المدينة، فأقام المتاريس حولها من الأشجار الخضراء ومن كل أشجار فاكهتها، ثم أخذ الفرعون مكانه في الجانب الشرقي من المدينة، بعد أن خصَّصَ جنودًا ليحموا سرادق جلالته، ثم أصدر أوامره لجيشه قائلًا: لا تجعلوا واحدًا منهم يخرج خلف المتاريس إلا إذا كان آتيًا ليسلم باب هذه الحصون (أي: يُلقِي سلاحه)، والظاهر كما ذكرنا أن ملك «قادش» قد تسلَّلَ من المدينة قبل أن تُسلَّم؛ إذ لم يُعثَر له على أثر. وقد استمر الحصار سبعة أشهر أتى بعدها الأمراء خاضعين مسلِّمين متاعهم ومقدِّمين طاعتهم لاسم جلالته «طالبين النفس لأنوفهم».

وفي مكان آخر تحدِّثنا النقوش أن أولئك الآسيويين الذين كانوا في «مجدو» الخاسئة قد خرجوا … قائلين: «هيِّئ لنا الفرصةَ لنسلِّم لجلالتك الغرامة …»

وقد تعطَّفَ الفرعون وأمر بأن يُوهبوا نفس الحياة؛ وذلك لأن المصريين كما يقول الأثري «ويجول»[٧] كانوا أعظم شعوب العالم القديم رحمةً وإنسانيةً. ولكن كان ضمن شروط الهدنة على ما يظهر أن يرسل كل أمير وارثه إلى مصر ليتعلَّم طرائق الحياة المصرية، وبعد ذلك أتى هؤلاء الأمراء حاملين عطاياهم من الذهب والفضة واللازورد

[٧] راجع: Weigall, “History”, Vol. II, p. 351.

والفيروزج، ومعم كذلك برنقي وخمر وماشية كبيرة وصغيرة ومؤن للجيش … وبعد ذلك عين الأمراء من جديد، أي إنه صفح عنهم وأعادهم إلى ولاياتهم التي كانوا يحكمونها بوصفهم تابعين له. أما ملك قادش الفار، فإن المصريين قد أخذوا أسرته رهينةً عندهم؛ إذ يقول في ذلك «تحتمس»: «تأمَّلْ، إن جلالتي قد أسر زوجات الخاسئ ملك قادش وأولاده، وكذلك زوجات الأمراء الذين كانوا هناك.»[٨]

ولما عاد «تحتمس» إلى مصر كان يفخر بقوله: «إن الإله «آمون» قد سلَّطه على كلِّ الممالك المتحالفة في أرض زاهي، فحاصرها جميعًا في بلدة واحدة … وقد حاصرتهم في مدينة واحدة، وبنيت حولهم سورًا جداره كثيف، وقد أطلق على هذا الجدار «تحتمس صياد الآسيويين».»

وصف حملة تحتمس الأولى كما جاءت في لوحة جبل بركال

هذا وقد وصف لنا فيما بعدُ «تحتمس الثالث» بنفسه حملتَه الأولى على بلاد «رتنو» (سوريا)، في نصِّ اللوحة العظيمة التي أقامها في جبل «بركال» على مقربة من الشلال الرابع في معبد «آمون» في السنة السابعة والأربعين من حكمه، وربما كان سبب إقامتها هناك ليظهر عظمته وجبروته لأهل هذه الأقاليم النائية لتكون عظةً وعبرةً، فلا يقومون بثورات أو يحرضون على فتن، وهاك ما جاء فيها:

> والآن أقصُّ عليكم أعمالًا أخرى عظيمة فاسمعوا أيها القوم: لقد منحني الإله كلَّ أراضي «رتنو» الأجنبية في الحملة الأولى، عندما هبوا بثورة لمحاربة جلالتي بملايين الرجال ومئات الألوف من عظماء كل الأراضي الأجنبية، وقد اصطفوا في عرباتهم، وكان عددهم ثلاثمائة وثلاثين أميرًا، وكان على كل رأسٍ جيشُه.
>
> وكانوا إذ ذاك في وادي «قنا» معسكرين بخيامهم كأنهم في الواقع في فخ، وكان النصر حليفي عليهم؛ إذ هاجمتهم ففروا في الحال وسقط منهم على الأرض أكداس من القتلى، ثم دخلوا «مجدو» فحاصرتها سبعة أشهر إلى أن اضطروا إلى الخروج منها متضرعين لجلالتي قائلين: أعطنا نفسك يا سيدنا؛ لأن أجانب «رتنو» لن يعودوا قط مرة أخرى للعصيان، وبعد ذلك أرسل الخاسئ

[٨] راجع: Urkunden IV, 662–663.

(أمير قادش) ومَن معه من الأمراء إلى جلالتي كلَّ قومهم حاملين هدايا كثيرة من الذهب والفضة، وكل جيادهم وما يتبعها من معدات، هذا إلى عرباتهم الفخمة المصفحة بالذهب والفضة، وكل دروعهم وقسيهم ونشاشيبهم وكل آلات الحرب، وكانوا قد حضروا بكل هذه الأمتعة من أماكن قاصية لمحاربة جلالتي، وها هم أولاء قد أحضروها الآن هدايا لجلالتي، وكانوا في ذلك الوقت واقفين على جدرانهم (وقت الحصار) مقدِّمين الخضوع لجلالتي، راجين أن يمنحوا نفس الحياة، وعندئذٍ جعلتهم يحلفون يمينًا قائلين: لن نقوم قط بأي عمل عدائي كرَّةً أخرى على «منخبر رع» (تحتمس الثالث) أمدَّ الله في عمره أبديًّا، وهو سيدنا ما دمنا أحياء؛ لأننا شهدنا عظمته، فَلْيمنحنا نفس الحياة كما يجب؛ لأن والده «آمون رع» هو الذي أكسبه النصرَ في الواقع لا قوة الإنسان، وعلى إثر ذلك سمح لهم بالسير إلى بلادهم، فعادوا جميعًا ممتطين حميرًا؛ لأني كنت استوليت على خيل عرباتهم وأخذت مواطنيهم معي غنيمةً لمصر، وكذلك استوليت على ماشيتها.

الغنائم التي استولى عليها الفرعون تكشف عن ثروة هذه البلاد

والواقع أن قائمة الغنائم التي غنمها «تحتمس الثالث» في هذه الموقعة، كما جاء ذكرها في نقوش الكرنك تكشف لنا عن ثروة هذه البلاد المفتوحة، وما كان يتمتع به أمراء سوريا من نعيم العيش والأبهة، هذا فضلًا عن أنها تعطينا فكرةً عن مقدار ما كانت عليه تلك الولايات من التقدُّم في الصناعات والحِرَف وفنون الحياة ممَّا لم يكن في الحسبان، وسنذكر هنا بالتفصيل قائمة هذه الأسلاب التي استولى عليها جيش «تحتمس الثالث» من «مجدو»؛ لنضع أمامنا فكرةً عامةً عن مقدار ثراء القوم، واستعداداتهم الحربية التي كان لا بد للفرعون أن يقف أمامها وجهًا لوجه:

«فاستولى على ثلاثمائة وأربعين أسيرًا، وثلاثة وثمانين يدًا (كان الجندي تُقطَع يده بعد قتله)، وألفين وواحد وأربعين فرسًا، ومائة وتسعين مهرًا، وستة جياد … وعربة مغشاة بالذهب وقضبانها من الذهب من متاع العدو، وعربة جميلة مصفحة بالذهب ملك أمير مجدو، وثمانمائة واثنين وتسعين من عربات جيشه المخذول مجموعها تسعمائة وأربع وعشرون عربة (لا بد أنه قد ذكر ثلاثين عربة في الأماكن المهشمة من النقش)، ودرع جميل من البرنز ملك الأعداء، ودرع آخر من البرنز لأمير «مجدو» … وعلى مائتي

درع من دروع الجيش الخاسئ، وعلى خمسمائة قوس وسبعة قضبان من خشب المرو مصفحة بالفضة، وهي من قضبان سرادق العدو.»

أسلاب الحيوان: واستولى جلالته على الحيوانات الآتية من هذه المدينة: «… ثلاثمائة وخمسة وثمانين … وألف وتسعمائة وتسعة وعشرين من الحيوانات الكبيرة، وألفين من الحيوانات الصغيرة، وعشرين ألفًا وخمسمائة من حيوانات بيضاء صغيرة.»

ثم استولى فيما بعدُ من أمير قادش على غنائم أخرى: «قائمة بما استولى عليه الفرعون فيما بعدُ من متاع هذا العدو الذي كان في مدينة «ينعم»[٩] وفي «نجس»[١٠] وفي «حر نكر» (بالقرب من البلدين الآخرين في رتنو العليا)، هذا بالإضافة إلى كل السلع التي هي ملك تلك المدن التي خضعت وأحضرت لجلالتي، وهي: أربعمائة وسبع وأربعون من نسائهم والأمراء الذين كانوا معهن، وثمانٍ وثلاثون سيدة من سيداتهم، وسبعة وثمانون طفلًا من أطفال هذا العدو ومن الأمراء الذين كانوا معه، وخمسة من أشرافهم، وألف وستمائة وستة وتسعون من الذكور والإناث من العبيد والإماء والأطفال، هذا غير المحاربين الذين استسلموا بسبب الجوع الذي لاقوه، ومائة وثلاثة رجال فيكون مجموعهم ألفين وخمسمائة واثنين (والعدد المدوَّن فعلًا هو ألفان وتسعة وعشرون، فلا بد أن يكون العدد الناقص وهو أربعمائة وأربعة وسبعون قد جاء ذكره في الأماكن المهشمة من المتن).

هذا خلاف الأطباق من الأحجار الغالية والذهب وأوانٍ أخرى … وإناء ذي مقبضين من صنع خارو (البلاد الآسيوية)، وأوانٍ وأطباق مفرطحة، وأقداح للشرب مختلفة، وغلايات وسكاكين يبلغ وزنها سبعمائة وأربعة وثمانين دبنًا (أي: إن الأدوات السالفة الذكر يبلغ وزنها ١٩١ رطلًا من الذهب).

هذا إلى خواتم من الذهب كانت في يد الصناع، وفضة مصنوعة خواتم عدة تبلغ زنتها نحو تسعمائة وستين دبنًا (أي: ما يقابل ٢٣٥,٤٦ رطلًا من الذهب)، وتمثال من الفضة مصنوع … ورأسه من الذهب، وعصًا بأوجه بشرية، وستة كراسي للعدو من العاج والأبنوس وخشب الخروب كلها مغشاة بالذهب، وستة مساند للأقدام من متاع

---

[٩] ذُكِرت بلدة «ينعم» كذلك في متون تل العمارنة، وتقع على مسافة خمسة أميال ونصف ميل في الجنوب الغربي من «تيبرياس» Tiberias.

[١٠] أما «نجس» فهي نوخاشش التي ذُكِرت كذلك في خطابات تل العمارنة، وهي إقليم وبلدة قريبة من «حلب» (راجع: Gardiner, “Onomastica” I, p. 169).

العدو، وست موائد من العاج وخشب الخروب، وعصًا من خشب الخروب مغشاة بالذهب، ومرصعة بالأحجار الثمينة في هيئة صولجان من متاع هذا العدو أيضًا، وكلها مصفَّحة بالذهب، وتمثال لهذا العدو من الأبنوس مصفحة بالذهب، ورأسه مرصع باللازورد، وأوانٍ من الشبه، وملابس كثيرة لهذا العدو.»[١١]

وهذه المدن الثلاثة التي استولى منها الفرعون على الأسلاب الأخيرة تقع بعضها قريبة من بعض في الطرف الشمالي من لبنان، وقد هاجمها «تحتمس الثالث» عن قصدٍ لغرض معين؛ وذلك لأنه فكَّرَ أولًا في إيجاد وسيلة لمنع ملك «قادش» من الوصول إليها، وقد كان لم يُقهَر بعدُ، فزحف جنوبًا وثانيًا ليجعل الطريق الشمالي الواقع بين جبال لبنان في قبضة يده لأهميته العظمى لحركاته الحربية؛ ولذلك سار بجيشه شمالًا واستولى على هذه المدن، وممَّا يؤيِّد صحة ذلك أنه بنى هناك قلعة «تحتمس قاهر الأجانب».

وبعد أن تم لتحتمس النصر على هذه الصورة، وجَّهَ عنايته لتنظيم الأقاليم التي فتحها، فقد أصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين لسلطانه، وكذلك الجزء الأعظم من بلاد فينيقيا.

(٥-٢) سياسة تحتمس في حكم الأقاليم المقهورة

غير أن «تحتمس الثالث» لم يكن قد كسر شوكة ملك «قادش» بعدُ؛ لأن شمالي سوريا كان لا يزال خارجًا عن سلطانه؛ إذ كان ملك المتني (النهرين) في ذلك الوقت المسمَّى «ساو ششتار» قد توغَّلَ في هذه الجهة، واستولى على مملكة «حلب» التي كانت إلى هذه اللحظة خاضعةً لحكم الخيتا؛[١٢] ولذلك نجد أن «تحتمس الثالث» قد اكتفى في هذه الحملة بما فتحه من أقاليم ونصب أمراء جددًا غير الذين ثاروا عليه، وقد اتبع مع هؤلاء الأمراء الجدد طريقةً تدل على بُعْد النظر في الاستعمار السلمي؛ إذ قد تركهم مدةً طويلةً يحكمون كما شاءوا ما داموا يدفعون الجزية السنوية بانتظام، بَيْدَ أنه ضمانًا لحُسْن نياتهم والوفاء

[١١] راجع: Urkunden. IV, p. 664.

[١٢] راجع: Meyer. “Gesch”., II. 11. § 125.

بعهودهم صحب معه إلى مصر بكر ولد كلٍّ منهم، وأسكنهم في ناحية خاصة فخمة في «طيبة» في مكانٍ يُدعَى «القصر في طيبة»، وكان ينشئهم ويربيهم تنشئةً خاصةً تجعلهم يميلون كلَّ الميل بأرواحهم وأجسامهم إلى مصر والتفاني في خدمتها، وكان كلما خلا مكان أمير أو مات أحد الأمراء في تلك الجهات الآسيوية نصب «تحتمس» ابنه الذي تربَّى في مصر خلفًا له، وهذه هي نفس السياسة التي سار على منوالها الإنجليز في تربية أمراء الهنود في الكليات الإنجليزية، التي أُسِّست عن قصدٍ لتنفيذ هذا النظام، ونخصُّ بالذكر منها كليتي «أجمير» و«لاهور».

غير أن سياسة «تحتمس» ومن بعدها سياسة الإنجليز الذين اقتفوا أثَره، لم تأتِ بالغرض المطلوب منها؛ لأن كلًّا منهما قد نسي أن التعليم يفتق الأذهان، وأن أول ما يستفيد منه الشخص هو حب الحرية والاستقلال، وهذا بعينه ما رأيناه بعد وفاة «تحتمس» ومَن اتبع هذه السياسة، فإن أولئك الأبناء الذين عادوا من مصر إلى بلادهم قد شقوا عصا الطاعة على مَن استعمر وطنهم، وهو نفس ما نجده اليوم مع الإنجليز وأولئك الأمراء الهنود، الذين يحاربون حتى النهاية لنيل استقلالهم في بلادهم ورفع النير الإنجليزي عنهم.

وبعد أن تمَّ «لتحتمس الثالث» النصر على هذا الوجه، عاد إلى مصر بعد ستة أشهر من مغادرته لها، وهذه مدة قصيرة جدًّا إذا قيست بما أحاطها من المصاعب في تلك الأزمان السحيقة، بل تُعَدُّ سرعته في الواقع أعجوبةً؛ إذ ممَّا لا شك فيه أنه حتى في عصرنا هذا تُعَدُّ سرعةُ غزو بلادٍ كهذه والعودة منها بعد تنظيمها، من الأمور العظيمة، ولا بد أن المصريين قد شعروا أن «تحتمس الثالث» عندما عاد إلى مصر محمَّلًا بكل تلك الغنائم الهائلة، قد انتقَمَ لقومه انتقامًا أثلج صدورهم التي كانت تحترق غيظًا بسبب ما حاق بهم من الذل والخذلان في أيام سيادة الهكسوس، الذين ارتدوا بين أولئك الأمم الذين دحرهم «تحتمس»، وجعل بلاده الأولى بين دول العالم. ولا نزاع في أن الجملة المألوفة التي كان يستعملها كل فرعون لما قام به من جليل الأعمال، كانت جديرةً بأن تقال بحق عن أعمال «تحتمس الثالث» في غزوته الأولى هذه المنقطعة النظائر في تاريخ الحروب، وهي: «إذ لم يحدث مثلها قط في عهد الآلهة الذين سلفوا منذ الأزل.»

(٥-٣) تحتمس يقيم لنفسه معبدًا جنازيًّا

وقد كان مثل «تحتمس الثالث» كمثل كل فراعنة مصر، نسب كلَّ انتصاراته العظيمة لإرشاد ومساعدة والده العظيم الإله «آمون رع»، وغيره من الآلهة الذين يسكنون ربوع طيبة، فأراد أن يخلد ذكرى هذه الانتصارات بإقامة بعض المباني الضخمة، غير أنه على ما يظهر قبل أن يبدأ في مثل هذا العمل قد أخذ في بناية معبده الجنازي العظيم على حافة صحراء «طيبة» في الجهة الغربية من النيل، على مسافة قريبة من معبد «الرمسيوم» الحالي، وأمام هذا المعبد — أيْ في الجهة الشرقية — تقع الحقول، وفي الجهة الغربية على مسافة ثلاثة أرباع ميل بعيدًا عنه تشرف الصخور، التي كان معبد الدير البحري العظيم الذي أقامته «حتشبسوت» ملاصقًا لواجهتها؛ وهذا المعبد الذي بدأ إقامته «تحتمس الثالث» أطلق عليه اسم «منحة الحياة»، وكان يتألَّف من ثلاث ردهات، الأولى يصل إليها الإنسان من «بوابتين» عظيمتين أُقِيمتَا من اللبن، وربما كانتا مكسوَّتين بالحجارة التي لم يَبْقَ منها شيء، والردهة الثانية بُنِيت في مستوًى أعلى بقليل من الردهة الأولى، وكانت مكسوَّة بالحجر الجيري الأبيض، وتوصل إلى الردهة الثالثة بطريق منحدر، وكانت هذه كذلك مكسوَّة بالحجر الجيري، أما جدران المعبد فكانت من الحجر الرملي والحجر الجيري، وجدرانه محلَّاة بنقوش جميلة ملوَّنة بألوان زاهية. والظاهر أن العمل في هذا المعبد لم يتخذ شكلًا جديًّا إلا بعد وفاة الملكة «حتشبسوت» مباشَرةً، أو قبل موتها ببضعة أشهر؛ وذلك لأن المعبد قد تمَّ بناؤه بعد عودة «تحتمس» من حملته الأولى بستة أشهر، على أنه يمكن القول بأنه قد تمَّ بناؤه بعد وفاة الملكة؛ لأننا لم نجد اسمها مذكورًا على جدرانه قطُّ،[١٣] هذا فضلًا على أننا لم نقرأ في قائمة الأعمال التي قام بها «ثوتي» ما يشير إلى ذلك.

وقد جاء ذكر هذا المعبد على تمثال موظف يُدعَى[١٤] «دودي»؛ إذ يقول إنه كان رئيس الأعمال في معابد عدة، منها هذا المعبد ومعبد الدير البحري، ولكن لما كان هذا الموظف قد ذكر أن مليكه وقتئذٍ كان «تحتمس الثالث» ولم يذكر «حتشبسوت»، وكذلك لما كان «تحتمس الثالث» قد قام ببعض أعمال الدير البحري بعد وفاة هذه الملكة صاحبته، فإنه من المحتمل جدًّا أن «دودي» هذا قد نقش تمثاله هذا عندما كان «تحتمس الثالث» يحكم البلاد منفردًا، ومن المحتمل إذن أن هذا المعبد قد شرع في إقامته بعد وفاة «حتشبسوت».

---

[١٣] راجع: A. S. VII, p. 121.

[١٤] راجع: Legrain, “Statues”, Cat. Cairo Museum, No. 42122.

(٥-٤) إقامة معبد للإله بتاح

وقد شرع هذا الفرعون في إقامة معبد صغير شمالي معبد الإله «آمون» في الكرنك (غير معبده الجنازي)، وأهداه للإله «بتاح» إله منف ولزوجه «الإلهة حتحور»؛ إذ يقول: «لقد وجد جلالتي هذا المعبد مبنيًّا باللبن، وأعمدته من الخشب.»[١٥] غير أننا نعلم أن «حتشبسوت» قد أقامت «بوابتين» من الحجر لهذا البناء القديم،[١٦] وأن الملك «تحتمس الثالث» قد أكمل البناء بإقامة محراب صغير من الحجر الرملي، بدلًا من الذي كان مقامًا من اللبن والخشب، ثم أضاف له «بوابة» ثالثة.

(٥-٥) إقامة لوحة بها انتصارات تحتمس بالقرب من وادي حلفا

وقد كان من أول أعماله عندما وصل مظفرًا إلى عاصمة ملكه أن أرسل رسولًا إلى حاكم «كوش» الملقَّب «بابن الملك»، الذي كان معسكرًا بقوة عظيمة في بلاد النوبة السفلية، يخبره بانتصاراته، ومن المحتمل كذلك أنه أمر بإذاعة ذلك بين الجنود وأهالي السودان، وأن يُنقَش ذلك الخبر على معبد «بوهن» (وادي حلفا)، وقد تمَّ ذلك في الحال، وما بقي من هذا النقش يُشعِر بأنه قد وضع في قالب يجعل القارئ يحسُّ أن هذا الفرعون كان في بأس الإله وقوته، وقد أُرِّخ هذا النقش بالسنة الثالثة والعشرين، وقد جاء فيه بعد عباراتٍ تَصِفُ الفرعونَ بأوصاف طنانة مبالَغ فيها، ما يأتي:

> لقد قاد الفرعون بنفسه جيشه، وقد كان ذا بأس على رأس الجيش، وكان الفرعون كلهيب من النار يعمل بسيفه، وقد انقضَّ على العدو، ولم يكن أحدٌ مثله يذبح المتوحشين (السودانيين)، ويتغلَّب على الآسيويين، وقد أحضر معهم أمراءهم أسرى أحياء، وعرباتهم المصفحة بالذهب تجرها جيادها، وكذلك خضعت له قبائل اللوبيين متذللين تذلُّل الكلاب؛ رجاء أن يُمنَحوا نفس الحياة.[١٧]

---

[١٥] راجع: A. S. III, 107–110.

[١٦] راجع: Weigall, “Guide”, p. 106.

[١٧] راجع: Maciver and Woolley, “Buhen”, p. 30.

ولا نزاع في أن عودة الفرعون مظفرًا كانت من الحوادث التي لا يمكن أن تُنسَى قط في تاريخ البلاد؛ لأن هذه كانت المرة الأولى التي نشاهد فيها فرعونًا على رأس جيش مصري اشتبَكَ في ساحة القتال، في موقعة حاسمة، في أرض أجنبية، مع ملك يسيطر على مملكة آسيوية كبيرة يؤازره جيش آسيوي جبار، وقد شتَّتَ الفرعونُ شملَه بعد هزيمة نكراء. على أن هذا الحادث كان في الوقع يُعَدُّ مسابقةً حربيةً في مضمار كانت مصر فيه هي الفائزة فوزًا حاسمًا، ولا بد من أن هذا النصر قد غيَّرَ نظرةَ الأمة المصرية إلى العالم الذي حولها وعلاقتها الخارجية به.

ويحدِّثنا الفرعون بقوله: «إن جلالتي قد أسَّس للإله «آمون» عيدَ نصر، وقد احتفل به لأول مرة عندما حلَّ جلالتي بأرض «طيبة»، من حملته الأولى المظفرة في السنة الثالثة والعشرين، بعد أن هزمت السوريين الخاسئين ووسَّعت حدودَ مصر.»

(٥-٦) تحتمس يقيم الأعياد لانتصاراته

والواقع أن «تحتمس الثالث» أقام ثلاثة أعياد ابتهاجًا بانتصاراته في عاصمة ملكه، وقد أصبحت هذه الأعيان سُنَّةً متَّبَعة تقام فيما بعدُ كلَّ عام، وهذه الأعياد هي: العيد الأول للإله آمون، وعيد إحضار الإله، أما العيد الثالث فلم يُعرَف اسمه، وإنما نعرف أنه كان يُقام في معبد «منحة الحياة»، وهو كما ذكرنا اسم معبد «تحتمس الثالث» الجنازي، وكل هذه الأعياد كانت تُعرَف باسم أعياد النصر.[١٨]

(٥-٧) تحتمس يفرِّق الهدايا على معبد آمون

وقد كان من نتائج هذا الثراء الذي كان يتدفَّق على مصر منذ غزوته الأولى هذه، أن أصبحت موائد قربان الإله «آمون» مفعمة بالضحايا، وتضاعفت ثروة معابد الكرنك وعَمَّها الخير، وفضلًا عن ذلك تحدِّثنا الوثائق أن الفرعون أخذ في بناء محاريب جديدة في الكرنك، وأن كل الأواني التي أُعِدَّتْ لها كانت من السام والذهب وكل حجر ثمين من الأسلاب التي غنمها جلالته في حملته الأولى المظفرة، ويقول الفرعون: «إن جلالتي قد ساق معه كلَّ زوجات

[١٨] راجع: Breasted, A. R. II. § 550–552.

ملك قادش الخاسئ وأولاده، وأزواج الأمراء الذين كانوا هناك ومعهم أولادهم، ووضع جلالتي هؤلاء النسوة ...» (هنا بكل أسف هشم النقش ولم يُذكَر أين أسكنهن، وذكر فقط اسم اثنتين أو ثلاث منهن) «وقد أهدي كل ما خسروه لمعبد والدي «آمون»، بمثابة جزء من الجزية التي فُرِضت على سوريا، أما مجوهرات زوجات ملك قادش الخاسئ، فقد أُخِذت واستعملها جلالتي لتجميل السفينة المقدسة لعيد بداية الفيضان.» (المعروف الآن بفتح الخليج) وهذا العيد كان يُعقد في الشهر الأول من الفصل الثالث.

(٥-٨) العيد السنوي للإله آمون

أما ثاني حادث نقرأ عنه في النقوش فهو احتفال الفرعون بالعيد السنوي الكبير للإله «آمون» بالأقصر، وهو الذي كان يحمل فيه تمثالَ الإله في سفينة من الكرنك إلى الأقصر والعودة به ثانيةً، والنقوش التي عُثِر عليها في «الكرنك» عن هذا العيد مؤرَّخة في السنة الرابعة والعشرين، في اليوم الرابع عشر من الشهر الثاني من الفصل الأول، وفي هذا اليوم يحدِّثنا الفرعون قائلًا: «إن جلالة هذا الإله الفخم سار في احتفالٍ ليقوم برحلته إلى مقره الشمالي (الأقصر)، وإن جلالتي قد أسَّس له قربانًا عظيمة لهذا اليوم عند المدخل المؤدِّي إلى الأقصر، وتحتوي خبزًا وعجولًا وثيرانًا وطيورًا وبخورًا وخمرًا، وكل هذه تؤلف جزءًا من غنائم أول الانتصارات التي منحتي إياها «آمون»، وقد أهديته ... لأجل أن أملأ مخازنه فلاحين ليصنعوا له أنواعًا مختلفة من الكتان، وفلاحين لحرث الأرض حتى تُجنَى محاصيل تملأ مخازن والدي «آمون».» ثم استمر يقول إنه أهدى لهذا الإله ثلاثَ مدن، وهي «ينعم» و«نجس» و«حرنكر»، وهي التي سلمت له في سوريا جزءًا من ضياعه المقدسة.[١٩]

وتدل الأحوال والنقوش التي لدينا على أن خبر انتصار مصر قد وصل إلى بلاد «آشور»، التي كانت وقتئذٍ قد بدأت تظهر في الأفق الدولي، والظاهر أن ملك هذه البلاد قد رأى بثاقب فكره أنه من الخير لبلاده أن يربط أواصر الصداقة والمهادنة بينه وبين مصر، التي ظهرت على الملوك والدول المجاورة له؛ لذلك أرسل هدايا للفرعون في السنة الرابعة والعشرين من حكم «تحتمس»، وقد حرص الفرعون على أن يدوِّنها في يوميات تاريخ

[١٩] راجع: Breasted, A, R. II, § 554.

فتوحه الحربية؛ إذ كانت هذه الهدايا في الواقع دليلًا على قوة سلطانه وشهرته، وإن كانت في الواقع لم تخضع له بلاد «آشور»، وهناك قائمة بهذه الهدايا (راجع: Urkunden IV. p. 668).

جزية أمراء آشور: «قطعة من اللازورد الحقيقي تزن عشرين دبنًا وتسع قدات، وكذلك قطعتان أخريان من اللازورد (المجموع ثلاث قِطَع)، وقِطَع وزنها ثلاثون دبنًا، فيكون مجموعها خمسين دبنًا وتسع قدات (أي: ما يعادل ١٢ رطلًا من اللازورد)، وكذلك لازورد جميل من بابل، وأوانٍ من آشور من حجر حرت الملوَّن ...»

جزية سوريا: وفي الوقت نفسه وصل إلى الفرعون رسل من سوريا يحملون الجزية والهدايا من بينها: «بنت الأمير ومعها حليها ولازورد من بلاده، ومعها كذلك ثلاثون من العبيد، هذا إلى خمسة وستين من العبيد والإماء، ومائة وثلاثة من الجياد، وخمس عربات مصفحة بالذهب وقضبانها كذلك من النضار، وخمس عربات مغشاة بالسام وقضبانها من «العجت»، فيكون المجموع عشر عربات؛ هذا إلى خمس وأربعين ثورًا وعجلًا، وسبعمائة وتسعة وأربعين ثورًا، وخمسة آلاف وسبعمائة وثلاثة رءوس من الماشية، وأطباق مفرطحة من الذهب ... لا يمكن وزنها، وأطباق مفرطحة من الفضة، وقِطَع «زنتها» مائة وأربعة دبنات وخمس قدات، هذا إلى بوق من الذهب مرصع باللازورد وزرد من البرنز مطعم بالذهب ومحلى بحجر «نخن» الحقيقي ... وثمانمائة وثمانية وعشرين إناءً من البخور، وألف وسبعمائة وثمانٍ وعشرين زجاجة من النبيذ الحلو، هذا إلى خشب «عجت»، وخشب «عجت» ذي الألوان المختلفة، وعاج وخشب خروب، وخشب مرو وخشب «بسجو»، وحِزَم عدة من خشب الحريق، وكل طرائف هذه البلاد.»

أثر هذه الجزية في الحياة المصرية: ولسنا في حاجةٍ هنا إلى لفت نظر القارئ إلى ما كانت عليه هذه البلاد من الثراء والغنى والتفنُّن في الصناعة، والتأنُّق في إخراج قِطَعٍ تُعَدُّ في عصرنا من قِطَع الفن الرفيع والذوق السليم، كما يُلاحَظ أن الأمراء السوريين أخذوا يرسلون بناتهم ليكنَّ في القصر في خدمة الفرعون بين وصيفاته وهن مجهَّزات

بحليهن وخَدَمهن وحشمهن، ويُلاحَظ من الآن أن كل هذه الخيرات التي كانت تُجبَى من سوريا ومن كل الفتوحات الأخرى، كان للإله نصيب وافر منها، ولم يَفُتِ الفرعون ذِكْر كل ذلك في نقوشه الدينية التي دوَّنها على المعابد التي كان يقيمها للآلهة المحليين في طول البلاد وعرضها، فنراه مثلًا يقصُّ علينا ما قدَّمه للإله «بتاح» في المعبد الذي أقامه له في الكرنك في هذه الفترة؛ إذ يقول على اللوحة التذكارية التي أقمها في هذا المعبد ما يأتي: «لقد ملأت معبد «بتاح» بكلِّ شيء طريف[٢٠] من ثيران وإوز وبخور وخمر وقربان، ومن كل أنواع الفاكهة عندما عاد جلالتي من سوريا بعد حملته الأولى المظفرة التي منحني إياها والدي «آمون»، عندما سلَّطني على كل بلاد زاهي المتحالفة، وهم محصورون في مدينة واحدة «مجدو» … لأني احتبلتهم في هذه المدينة، وأقمتُ حولهم حصارًا يتألَّف من متاريس سميكة.»

وكذلك يحدِّثنا: «أنه أقام لهذا المعبد أبوابًا من خشب الأرز الجديد من أحسن أخشاب منحدرات لبنان وصفحتها بنحاس آسيوي وجعلته (بتاح) ثريًّا، وجعلته أعظم ممَّا كان عليه من قبلُ، فقد صفحت عرشه العظيم بالسام من أحسن ما تنتجه البلاد، وكذلك أصبحت كلُّ أواني المعبد من الذهب والفضة وكل حجر ثمينٍ غالٍ، وقدمت نسيجًا من الكتان الجميل والكتان الأبيض والعطور المصنوعة من عناصر قدسية، وكذلك لتكون إقامة شعائره سارَّةً.»

ثم تحدِّثنا اللوحة بعد ذلك عن احتفالات ثلاثة كان لا بد لإقامتها من قرابين خاصة، وأول هذه الاحتفالات هو عيد الإلهة «موت حتحور» التي كانت تُعتَبَر زوج الإله «بتاح»، وكان يُعقد في آخِر يوم من السنة، والعيد الثاني كان يُعقد في اليوم السادس والعشرين من الشهر الأول من الفصل الأول، والعيد الثالث هو كما ذكرنا من قبلُ، وهو عيد زيارة الإله «آمون» لمعبد الأقصر، وكان الإله «آمون» في عيده هذا يزور وهو سائر في موكبه معبدَ الإله «بتاح»، الذي كان في طريقه، وهكذا كان اهتمام الفرعون بأولئك الآلهة الذين قدروا له النصر في ساحة القتال.

[٢٠] راجع: A. S. III. p. 107.

(٥-٩) موت أحمس بننخبت ومآثره

وفي هذه الفترة من حكم «تحتمس الثالث» مات رجل من أعظم رجالات مصر الذين خدموا بلادهم، وخلدوا ذكراهم بأعمالهم لا بمَحْتِدهم وشرف أرومتهم، ذلكم هو «أحمس بننخبت» الذي عاصَرَ ستة فراعين من ملوك مصر وخدم خمسة منهم، وقد ذكرنا ما قام به من عظيم الأعمال فيما سبق؛ فقد انخرط في سلك الجيش في عهد «أحمس»، وهو في الخامسة عشرة من عمره، واشترك معه في حملته على سوريا في السنة الحادية والعشرين من حكمه، ثم يقصُّ علينا في نقوشِ تاريخِ حياته أنه خدم في عهد أخلافه «أمنحتب الأول» و«تحتمس الأول والثاني»، وعاش حتى عهد «تحتمس الثالث»، وعندئذٍ يقول لنا إنه «بلغ من الكبر عتيًّا، وكنت موضع رعاية جلالتهم، وكنت محبوبًا في البلاط.» ثم يستمر قائلًا: «إن الزوجة المقدسة والزوجة الملكية العظيمة «ماعت كارع» المرحومة كانت قد أغدقت عليَّ الإنعامات ثانيةً، وكنتُ قد ربيتُ أكبر بناتها، وهي الابنة الملكية «نفروع رع» المرحمة عندما كانت طفلةً رضيعةً.»

ومما يُؤسَف له أن سائر نقوش تاريخ حياته قد هشمت ولم يَبْقَ منها شيء، ومما سبق نعلم أن هذا الجندي العظيم قد عاش بعد موت «حتشبسوت»، وأن «نفرو رع» كانت قد توفيت على ما يظهر منذ زمن بعيد، والمعلومات التي نستنتجها من تاريخ حياته لها أهمية عظمى، فنعلم أولًا: أنه بعد ممات «حتشبسوت» بعامين كان لا يُشار لاسمها بوصفها ملكة حكمت البلاد، وعلى الرغم من أن اللقب الذي كانت تحمله وهو «ماعت كارع» بوصفها ملكة فعلية، فإن «أحمس بننخبت» لم يذكرها هنا بلقب الملكة، بل «بالزوجة الإلهية» و«أرملة تحتمس الثاني».

كما نعلم ثانيًا أن «تحتمس الثالث» لم يعجل بمحو اسمها من الآثار بعد اعتلائه عرش الملك، بل انتظر مدة كما ذكرنا. وثالثًا: نعلم أن «أحمس بننخبت» كان مربي الأميرة «نفرو رع» قبل أن يقوم على تنشئتها «سنموت»، اللهم إلا إذا كان لقب مربي الأميرة لقبًا فخريًّا يمنحه المصريون في البلاط أحيانًا. ورابعًا: نفهم من الحملة التي قام بها «أحمس الأول» على بلاد سوريا أنها كانت قد حدثت في أواخر أيامه لا في أوائل حكمه كما هو المفهوم؛ لأنه لو صحَّ ذلك لكان «أحمس بننخبت» قد بلغ سنًّا أرفع من التي وصل إليها؛ إذ كان قد تخطَّى المائة عندما لاقى حتفه على فراش الشيخوخة.

(٥-١٠) تحتمس يقيم معبدًا خاصًّا للإله آمون في الكرنك

والظاهر أن «تحتمس الثالث» عندما عاد من حملته الأولى المظفرة التي جنى منها الخيرات الكثيرة والمال الوافر، أراد أن يقيم للإله آمون معبدًا يناهض في عظمته وبهائه وضخامته معبدَ الدير البحري الذي أقامته «حتشبسوت» للإله آمون ولنفسها، غير أنه أراد أن يقيم معبدًا للإله «آمون» وحده بالقرب من معبده بالكرنك، والظاهر أنه بدأ في إقامته على إثر عودته في الحال كما تحدِّثنا عن ذلك اللوحةُ التي تركها لنا في معبد الكرنك، وهي لوحة عظيمة مصنوعة من حجر الجرانيت، وقد احتفل بعيدِ وَضْع أساس هذا المعبد في السنة الرابعة والعشرين، اليوم الثلاثين من الشهر الثاني من الفصل الثاني، وقد كان هذا الاحتفال يوافق أول يوم في الشهر القمري (Mariette, "Karnak" p. 12).

وهذه اللوحة مهشمة ولم يَبْقَ منها إلا الأسطر الافتتاحية، غير أننا نفهم منها أن «تحتمس الثالث» قد أقام قائمتي العمد والمحراب اللتين يتكوَّن منهما الجزء الشرقي من امتداد معبد الكرنك، وقد كان هذا المعبد شاسع المسافة، حتى إن «تحتمس الثالث» أمر بإزالة معبد قديم للإله «نون»، ووضعه في أقصى الشرق ليفسح المكان لمعبده، على أن السبب الجوهري على ما يظهر لإقامة «تحتمس الثالث» هذا المبنى العظيم شرقي معبد الكرنك، يرجع إلى أن قائمة العمد التي أقامها «تحتمس الأول» بين «بوابتيه» الرابعة والخامسة، تكون المدخل لمعبد الكرنك، وكانت وقتئذٍ أكبر قاعة في المعبد، والوحيدة التي كان يمكن عقد احتفالات للإله فيها، مثل الاحتفال الذي أُقِيم عند تولية «تحتمس» العرش على يد الإله «آمون» ووالده، غير أن هذه القاعة كانت قد أصبحت غير صالحة لإقامة الاحتفالات؛ إذ كانت «حتشبسوت» قد نصبت مسلتها فيها، وبذلك أصبحت بدون سقف، وكان فيها طائفة من العمد عددها ستة في الجهة الشمالية؛ منها أربعة كان قد صنعها «تحتمس الأول» من خشب الأرز، وهي التي جدَّدها «تحتمس الثالث» ودوَّنَ عمله هذا على أحد هذه الأعمدة إذ قال: «لقد أقامها (أي: تحتمس الثالث) أثرًا لوالده «آمون رع»، وذلك بإقامة أربعة عمد من الحجر الرملي أُقِيمت في قاعة العمد تجديدًا للتي أقامها الإله الطيب رب القربان (تحتمس الأول) من خشب الأرز، وقد أضاف جلالتي أربعة عمد زيادة على العمودين اللذين في الجانب الشمالي، ومجموعها ستة مغشاة بـ … ومؤسسة … والذي أحضر بسبب اسم جلالتي، وهي جزية كل البلاد التي منحني إياها والدي الإله «آمون» مصنوعة من الحجر الرملي، وارتفاع كل منها ثلاثون ذراعًا على كل جانبي

«البوابة» السامية العظيمة … وكانت تضيء الكرنك … من الحجر الرملي نقش بالألوان صور والدي «آمون»، وكذلك صور جلالتي، وكذلك صور والدي الطيب «تحتمس الأول».

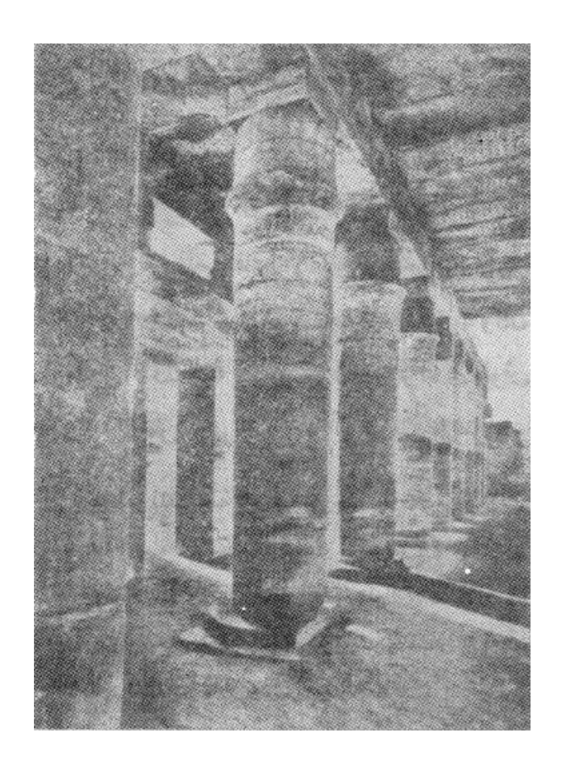
تأمَّلْ! لقد أقمتُ ما كان متداعيًا فيها بالحجر الرملي؛ لكي يصبح هذا المعبد مؤسسًا … مثل السماء مرتكزة على عمدها الأربعة بوصفها آثارًا ممتازة مفيدة لوالد الأبدية من الجرانيت والعاج والحجر الرملي … والفضة «لجميل الوجه» (لقب يطلق على الإله بتاح)، وإني أقسم بقدر ما يحبني الإله «رع» وبقدر ما يحبني الإله «آمون»، بأني أقمتها من جديد في الجهة الجنوبية، بالإضافة إلى ما كان قد أضافه والدي.»

وعلى ذلك نجد أن الجزء الشمالي من القاعة — وهو المكان الذي كان قد وقف فيه «تحتمس الثالث» عندما تُوِّج ملكًا على البلاد — قد أصلحه هو، ولكن الجزء الجنوبي كان لا يزال بدون عمد وسقف، وكانت قاعدة مسلة «حتشبسوت» التي أُقِيمت فيه قد شغلت مكان ثمانية أعمدة؛ أيْ ما يقرب من ثلث قاعة العمد كلها، وعلى ذلك أصبحت القاعة غير صالحة لإقامة المحافل فيها لوجود المسلة في وسطها، ممَّا عاق في الوقت نفسه وضع سقف لها، ولهذا أقام «تحتمس الثالث» بناء حول كلٍّ من المسلتين ليكسو نقوش «حتشبسوت» التي كان يكره ذكراها، هذا إلى أنه توقَّف عن عمل أي إصلاح في القاعة التي تُوِّج فيها.

قاعة الأعياد: ولما كانت مثل هذه الحجرة لا غنًى عنها لإقامة المحافل العظيمة، فإنه بنى في الجهة الشرقية من المعبد قاعةَ الأعياد التي نحن بصددها، وقد كلَّفَ مهندس مباني «منخبر رع سنب» الإشراف على هذا المبنى، وكان هذا المهندس يحمل كذلك لقبَ الكاهن الأول للإله «آمون»، وقد ذكر لنا في نقوش مقبرته علاقته بهذا المعبد الجديد،[٢١] أما النقش الذي على اللوحة التي دُوِّنت عن بناء هذا المعبد فهو:

> **الوحي:** … لقد أمر الملك نفسه بتدوينها على حسب ما ذكر الوحي لتنفيذ آثاره أمام الذين على الأرض، لقد رغب جلالتي في إقامة هذا الأثر لوالدي «آمون رع» في الكرنك، وهو إقامة مسكن يجمل الأفق ويزين «خافت حرنبس»، وهو المكان المختار لوالدي منذ الأزل (أحد ربوع طيبة) «آمون رع» رب طيبة، ولقد أقمته

[٢١] راجع: Breasted, A. R, II. § 772. ff.



شكل ٣: قاعة الأعياد بالكرنك.

له على هذه الكتلة من الحجر الصلب، رافعًا اسمه ومعظمًا له بدرجة عظيمة منذ ... ماء محراب «نون» عندما يصل في مواعيده.

إزالة المباني القديمة: لقد أقمته له على حسب رغبته وأرضيته بما فعلته له؛ لأني أقمتُ أولًا محرابًا في الجهة الشرقية من هذا المعبد. تأَمَّلْ! لقد وجد جلالتي الجدارَ المحيط من اللبن، وقد أزلت الجدار المبني من اللبن لأجل أن أمدَّ بناء هذا المعبد فنظَّفْتُه، وأزلتُ الأجزاء المخربة منه، وأزلت السور الذي كان بجانبه، وهو الذي امتدَّ حتى المعبد، وقد أقمت هذا المكان حيث كان السور لأُقِيم عليه هذا الأثر ... الكرنك، فأقمته من جديد ونفذت ما كان قد أمر به،

ولم أستحل لنفسي آثارَ غيري، وإن جلالتي ينطق صدقًا ليعلمه كل واحد؛ لأني أمقت الكذب والمين. حقًّا إني أعلم أنه مسرور بذلك.

محافل التأسيس: وقد أمر جلالتي أن يُعَدَّ الحفل لوضع الحجر الأساسي عند حلول يوم العيد بالقمر الجديد، وأن يُمَدَّ حبلُ المقياس على هذا الأثر في السنة الرابعة والعشرين، الشهر الثاني من الفصل الثاني، اليوم الأخير من الشهر، وهو يوم العيد العاشر للإله «آمون» في … وقد جلس الإله على عرشه العظيم، وبعد ذلك سرت وراء والدي «آمون»، وقد بدأ الإله في ذهابه للاحتفال بعيده هذا الجميل، وقد تعجَّبَ هذا الإله … وقد اتخذ هذا الإله مكانه لمدِّ حبل القياس لوضع الأساس، وقد وضع جلالته أمامه هذا الأثر الذي حدَّده لجلالته، وقد سُرَّ جلالة هذا الإله بهذا الأثر … ثم تقدَّمَ جلالة هذا الإله واحتفَلَ بهذا العيد الجميل لسيده.

ويلحظ هنا أن الجزء الأخير من هذا النقش مهشم، ولا يمكن فهم شيء منه على وجه التأكيد.

هندسة المعبد

وهذا المعبد العظيم الذي سردنا ذكره ممَّا بقي في اللوحة التي نقشت عنه، لا يزال قائمًا حتى الآن، ويحتوي على قاعة رئيسة فسيحة الأرجاء يرتكز سقفها على صفين من العمد، يشتمل كلٌّ منهما على عشرة عمد ذات تيجان غريبة تمثِّل في الواقع عشرة محاور ارتكازية لسرادق؛ ولذلك يجد المتأمِّل في القاعة أنها تمثِّل خيمة عظيمة، وتحقيقًا لهذه الفكرة أُقِيم دهليز منخفض السقف حول جوانب القاعة مماثِل للهدب المرفوعة على جوانب الخيمة، ومن المحتمل جدًّا أن هذا الطراز الفذ من المباني كان يقصد به «تحتمس الثالث» أن يُبرِز به في صراحة صفات الفرعون الحربية، وأن يُبرِز اعتقادَه بأن الإله «آمون» إله حرب من جهة أخرى، وأنه إنما يأوي إلى معسكر في سرادق مثل هذا لا إلى بيت أو محراب على غرار الآلهة الآخرين. وفي جوانب هذه القاعة وخلفها أُقِيمت حجرات عدة كما أُقِيمت أمام المعبد في الجهة الغربية ردهة مكشوفة تفصل بين هذا المعبد ومعبد الإله آمون الأصلي،[٢٢]

[٢٢] راجع: Weigall, “Guide”, p. 103.

وهذا المعبد يُعرَف بقاعة الأعياد، ويُعَدُّ بحقٍّ من أجمل المباني في طيبة، ويبلغ طول القاعة العظمى التي وصفناها نحو ١٤٠ قدمًا، وخلفها يقع المحراب أو قدس الأقداس.

حجرة الأجداد: أما الحجرة التي حولها فيبلغ عددها نحو خمسين حجرة، ومن بينها الحجرة التي تُعرَف «بحجرة الأجداد»، وتقع في الجهة الجنوبية، وهي التي أمر «تحتمس الثالث» بأن تُنقَش فيها نخبةٌ من أسماء أجداده ملوك مصر، وأن يزاد في قربانهم، وأن تُصنَع لهم تماثيل، وهذه الأسماء الملكية من المصادر التي يُعتمَد عليها في تاريخ ملوك مصر كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وقد انتزع «بريس دافن» أحجارَ هذه الحجرة برمتها ونقلها إلى باريس حيث بُنِيت من جديدٍ بمتحف اللوفر بالقسم المصري، ومن غريب الصدف أن بعض التماثيل، التي أمر بنحتها الفرعون لهذه الحجرة، عُثِر عليها في خبيئة الكرنك مع غيرها من التماثيل التي كان منصوبةً في هذا المعبد.

(١١-٥) الحملة الثانية

لم تحدِّثنا الآثار عن أي عمل حربي قام به هذا الفرعون في حملته الثانية إلى بلاد رتنو؛ لأن النقوش هنا مع الأسف مهشمة حتى عند الجزية التي كان يحملها له أمراء الممالك المختلفة، وهاك ما بقي لنا من النص:

> السنة الرابعة والعشرون: قائمة بالجزية التي أُحضِرت إلى عظمة جلالته من بلاد رتنو.

(١) جزية بلاد آشور: قطعة عظيمة واحدة من اللازورد الحقيقي …

(٢) جزية بلاد رتنو: … جلود الحيوان «مخاو» لتجليد عربة صُنِعت من أحسن الأخشاب، ومائة واثنتان وتسعون عربة، وثلاثمائة وثلاث وأربعون قطعة من خشب «نحب»، وخمسون قطعة من خشب الخروب، ومائة وتسعون قطعة من خشب «مرو»، ومائتان وست قِطَع من خشب «نبي» وخشب «كانك» وأخشاب زيتون …

ومن ذلك نرجح أن هذه الحملة قد قام بها «تحتمس الثالث»؛ لتفقُّد أحوال البلاد التي فتحها من قبلُ، وما كان عليه الأمراء من الولاء له، ولإحضار مقدار عظيم من الخشب التي كانت البلاد المصرية تفتقر إليه، والظاهر أن ملك آشور لم يَفُتْه إظهارُ ولائه، فبعث لجلالته بهدايا كثيرة أخرى.

(٥-١٢) الأشجار والحيوانات التي جلبها الفرعون من بلاد سوريا

وفي السنة الخامسة والعشرين (المتن هنا مهشم)، والظاهر أن الفرعون قد حارب بعض الولايات هناك، وأنه أشعل النار في بعض مدن واستولى على أسلاب من العدو، وفي هذه الحملة أحضر الفرعون مجموعةً من الأزهار انتخبها لتُغرَس في مصر، وقد غُرِست في «طيبة» وأزهرت إزهارًا يانعًا، ونشاهد أنه لما تمَّ بناء المعبد فيما بعدُ نُقِشت أنواع هذه الأشجار على جدران إحدى حجراته، ويمكننا أن نشاهد ما تبقَّى منها إلى يومنا هذا، ونستطيع أن نعرف الأزهار العدة التي كانت تزيِّن حديقة معبد «آمون». وتحدِّثنا النقوش في السنة الخامسة والعشرين أن هذه الأزهار هي التي أحضرها جلالته في هذه السنة، والظاهر أنه كان قد أحضر مع مجموعة الأزهار هذه عدةَ طيور وحيوانات استُؤنِست في طيبة كما يظهر من المجموعة التي على جدران إحدى حجرات هذا المعبد، ويُطلَق على مجموعة الأزهار هذه جنينة النباتات، وعلى الرغم من أن الجزء الأعلى من الجدران التي رُسِمت عليها هذه الأزهر والنباتات قد زال من عالم الوجود، فإن ما تبقَّى منها يعطينا فكرةً عمَّا كانت تشتمل عليه تلك الحديقة.

ونجد عليها كلَّ النباتات التي وجدها جلالته في أرض «رتنو» (بلاد سوريا)؛ إذ يقول المتن: «إن كل النباتات التي كانت تنمو، وكل الأزهار التي في أرض الإله التي كشفها جلالته هناك، قد أحضرها عندما ذهب ليُخضِع كلَّ الممالك على حسب أوامر والده آمون، وهو الذي ألقاهم تحت موطئ نعلَيْه.»

وقد بقي على الجدران حتى الآن رسم ١٧٥ نباتًا أو أجزاء من نباتات، وقد درسها العالم الألماني «شفينفورت» فوصل إلى النتائج الآتية: ظهر أن رسم بعض النباتات كان رسمًا علميًّا صحيحًا متقنًا، وأن بعضها كان رسمًا تقريبيًّا قد اعتمد فيه على ذكريات مبهمة ممَّا رآه المفتن، كما أن بعضها كان خياليًّا محضًا، والواقع أن المفتن الذي رسمها كان يقوم برسم نباتات غريبة عنه، ولما لم يكن لديه وثائق يرجع إليها فإنه كان يعتمد على الخيال.

وقد عرف «شفينفورت» بعضَ النباتات من بين هذه التي وُجِدت على الجدران، منها الرمان الذي كانت زراعته قد أُدخِلت في مصر في تلك الفترة مباشَرةً، وكذلك عرف Arum italicum، وDracunculus Vulgaris وCalenchoe والإيرس (زنبق)، غير أننا لسنا متحققين من وجود نبات Dipsacus، وChrysanthemum، ونبات Convolvulus. ومع أننا وجدنا بعض النباتات قد رُسِمت بدقة، فإنه مع ذلك لم يمكن معرفتها، وقد أمر

«تحتمس الثالث» بأن تُرسَم كل هذه النباتات ليضعها أمام والده آمون في معبده العظيم، حتى يذكر اسمه إلى الأبد (راجع: Capart, "Thebes" P 176–7; Breasted, A. R. II, § 193).

ولم يأتِ ذِكْر السنة الخامسة والعشرين في النقوش الأخرى إلا على لوحة صغيرة نُقِشت في الصخر في «سرابة الخادم» في شبه جزيرة سينا،[٢٣] ذكر لنا فيها رئيس المالية المسمَّى «ري» أنه جاء على رأس حملة في هذه السنة إلى تلك الجهة للحصول على الفيروز.

ولم يصلنا شيء عن حملته الرابعة، ويُحتمَل أن نقوشها قد فُقِدت، وربما كانت لتثبيت سلطانه في الممتلكات التي فتحها؛ ولذلك لا نعلم شيئًا عن حروبه في السنة السادسة والعشرين.

وفي السنة السابعة والعشرين لم نعرف له أثرًا يُذكَر، اللهم إلا لوحة نُقِشت على صخور «سرابة الخادم»، وكذلك في السنة الثامنة والعشرين لم يصلنا عنها شيءٌ مباشَرةً، ولكن لدينا نقوش قبر هامة ذُكِر فيها هذا التاريخ، وهي لمدير بيت الوزير «وسر» المسمَّى «أمنمحات»، وكان قد جمع ثروةً طائلةً، وأقام لنفسه مقبرةً فخمةً في طيبة،[٢٤] وفي نقوش مقبرة «أمنمحات» هذا معلوماتٌ هامةٌ تُلقِي بعضَ الضوء على حياة القوم، وبخاصة الطبقة العليا منهم؛ مما جعلنا نقتطف منها ما يأتي، يقول أمنمحات عن نفسه:

> **حالة البلاد الاجتماعية والدينية من نقوش أمنمحات:** لقد كنتُ خادمًا خدم سيده، ورجلًا قديرًا عمل ما قال، وقد وضع رئيس الوزراء كل ضياعه تحت إدارتي، وكل خاتم له تحت تصرُّفي، وكان رئيس الوزراء يفعل كلَّ ما يرضي الفرعون يوميًّا، وجعل الحق يذهب لسيده الذي يحبه جلالته في كل الأوقات، وقد فعل كلَّ ما يحبه الإله في تأدية الأوامر وتنفيذ الأنظمة … وذلك بعمل الحقِّ الذي يحبونه مراعيًا الفقير كما يراعى الغني، وحاميًا الأرملة التي لا أقارب لها، ومسريًا عن روح المسن والشيخ، ومنصبًا الأولاد في الوظائف التي كان يشغلها آباؤهم، وجاعلًا كلَّ إنسان سعيدًا. والآن صاغ رئيس الوزراء مجوهرات عدة من الذهب والفضة واللازورد والفيروزج، وكل أنواع الأحجار

[٢٣] راجع: L. D. III, Pl. 29a.

[٢٤] راجع: Gardiner, "The The Tomb of Amenemhet", p. 71 ff.

> الكريمة، وصاغ أواني من ذهب وفضة ونحاس وبرنز، وصنع أثاثًا من العاج والأبنوس وخشب الأثل (السنط)، وكنت أنا الذي أشرفت على هذا. وكذلك نحت عدة تماثيل للقصر نفسه لتُوضَع في محاريب الآلهة، وكنتُ أنا الذي أشرف على هذا العمل أيضًا، وغرس لنفسه حديقةً غنَّاء كبيرة جدًّا في غرب المدينة الجنوبية (طيبة)، فيها كل أنواع الأشجار الجميلة، ومزيَّنة بكل أنواع أشجار الفاكهة، وقد قمتُ أنا بهذا العمل، وكذلك أقام لنفسه قصرًا كريمًا، جدرانه من اللبن وأبوابه من الحجر، وقد كُلِّفت بهذا العمل أيضًا.

ولا نزاع في أن هذا المتن يُلقِي بعض الضوء على علاقة الملك بوزيره، وعلاقة الوزير بمدير بيته وحاسب غلاله، كما يكشف لنا عن الثراء الذي كان يتدفَّق على البلاد في ذلك الوقت، وما كان يتمتع به الأغنياء وأصحاب الجاه في هذه الحياة الدنيا من قصور فاخرة تُبنَى باللبن، وحدائق غنَّاء تُزرَع فيها أشجار الفاكهة ممَّا لذَّ وطاب، ولقد كان هذا الثراء والنعيم هو نفس ما يتطلبه المتوفى في الآخرة؛ ولذلك نجد المصري يتضرع للآلهة أن يوهب روحه أو قرينه مثل ذلك، فاستمع إلى أهل «أمنمحات» وهم يتوسلون إليه:

> يا «أمنمحات» ليت ذكراك تبقى في بيتك، وتماثيلك في محاريبك، وروحك حي، وجسمك محفوظ في قبرك بالجبانة، ويبقى اسمك في فم أطفالك إلى الأبد، يا أمنمحات! إن الصخرة تمدُّ إليك ذراعَيْها، وأرض الغرب تبتهج بصلاحك وتنحني إجلالًا لك بعد تلك السنين من عمرك الطويل المحترم، وتفسح لك مكانًا بين أتباعها الذين يعيشون فيها إلى الأبد يا أمنمحات! ليتك تدخل وتخرج من الجبل الغربي كما تريد، وتسير داخل (بوابات) العالم السفلي لتعبد إله الشمس عندما يطلع من الجبال، وتنحني له عندما يغرب في الأفق، ليتك تتسلَّم القربان وتشبع بالأكلات على مائدة «أوزير» رب الأبدية! وليتك تتنزه كما ترغب على شاطئ بحيرة حديقتك! وليت قلبك ينعم بأزهار حديقتك، وليتك تروح عن نفسك تحت ظلال أشجارك! وليت ظمأك يطفأ من ماء البئر التي حفرتها أبد الآبدين! وليتك تخترق جبال الجبانة وتخرج لترى بيتك في أرض الأحياء، وتسمع صوت الغناء والموسيقى التي على الأرض، وتكون روحًا حارسًا لأولادك إلى الأبد!

ويرى القارئ من هذا النص أن المصري كان متعلِّقًا بعالم الدنيا، ولا يرغب إلا في العودة إليه ليتمتع بنعيمه ولذائذه بعد الموت، حتى إنه كان يتمنَّى أن يخترق جبال الجبانة، ويخرج إلى عالم الحياة الدنيا، ويتمتع بالغناء والموسيقى في قاعة بيته التي طالما تقلَّبَ في أعطاف النعيم فيها.

(٥-١٣) تحتمس الثالث يستولي على مواني ساحل فينيقية لتكون قاعدة لجيوشه

وتدل ظواهر الأحوال وما يُستنتَج من النقوش على أن «تحتمس الثالث»، بعد أن وطَّدَ أركان السلام في الربوع التي فتحها أخيرًا، رأى أنه لا يمكنه أن يسير في طريق الغزو شمالًا بين جبال لبنان ليقضي على مملكة قادش، دون أن يستولي على مدن فينيقيا الساحلية التي قد تصبح خطرًا يهدِّده دائمًا من خلفه؛ وكذلك رأى أنه من العسير عليه أن يهاجم بلاد النهرين (مملكة المتني) دون أن يستولي على مملكة «قادش» الواقعة على نهر العاصي، وكانت لا تزال خارجةً عن سلطانه؛ ولذلك بنى «تحتمس الثالث» أسطولًا عظيمًا وجهَّزَه بكل ما يلزم من عتاد ليتمكَّنَ بمساعدته من النزول في شمال ساحل فينيقية، وبخطته هذه يمكنه أن يتخذ الساحل قاعدةً حربيةً لمهاجمة قادش وما حولها من البلاد المعادية، حتى إذا ما استولى عليها استطاع أن يسير بجيشه من الساحل موغلًا في الداخل نحو بلاد المتني وكل إقليم بلاد النهرين، ولا نزاع في أن هذه الخطة المبتكرة تدل على نبوغٍ في الخطط الحربية لم يصل أحدٌ إليه ولم يسبقه بها، يضاف إلى ذلك أنه نفَّذَها بنشاط ومثابرة لا تعرف الملل، وعزم لا يعرف الكلل، وقد قال أحد المؤرخين المحدثين: لو كانت هذه الخطط بعينها استُخدِمت في الحرب العالمية الأولى في الحملة على الأتراك، لَانتهت الحملة في العام الأول.

(٥-١٤) الحملة الخامسة

قام «تحتمس الثالث» بجيشه زاحفًا نحو «سوريا» في حملته الخامسة؛ ليطفئ نار ثورة محلية في مكانٍ لم يُعرَف اسمه، وربما كان «وارثت» على ساحل فينيقية، فإنه يقصُّ علينا دون مقدمات أنه استولى على المدينة، ولا بد أنها كانت ذات شهرة عظيمة وثراء جم؛ إذ استولى منها على مغانم كثيرة، وقد كان فيها معبد للإله آمون بناه أحد آبائه، وبعد أن

استولى على تلك المدينة المجهولة أقلع بأسطوله وسار شمالًا محاذيًا للشاطئ حتى وصل إلى مدينة «أرواد» العظيمة، فحاصرها (انظر مصور رتنو العليا)، ولم يمضِ طويل زمن حتى سلمت، وبسقوطها استولى المصريون على مقدار عظيم من ثروة فينيقية، واتفق أن الاستيلاء عليها كان في فصل الخريف، وقد كانت الحدائق والخمائل محمَّلة بالفاكهة، والخمر يجري كالغيث، وحبوبها تنحدر على جوانب الرمال أكثر من رمال الشاطئ، وقد غنم رجال الجيش مغانم عظيمة بالسلب والنهب حتى إن «تحتمس» لم يكن في مقدروه في مثل هذه الأحوال أن يحفظ النظام بين رجال جيشه. والواقع أن رجال جيشه في الأيام الأولى كانوا ثملين ومعطرين بالزيوت الزكية الرائحة، كأنهم يحتفلون بعيد في مصر.

وعلى إثر هذه الهزيمة جاء أمراء الساحل حاملين جزيتهم مقدِّمين خضوعهم، وبذلك ضمن «تحتمس» لنفسه منفذًا بل منافذ على سواحل البحر في الشمال؛ ليربط بينه وبين مصر من جهة، وبينه وبين جيوشه الموغلة في الداخل من جهة أخرى، ومن ذلك الوقت أصبحَتْ مدنُ هذا الساحل قاعدةً لأعماله الحربية في داخل هذه البلاد؛ تنفيذًا لخطته التي كان قد وضعها لمهاجمة ملك «قادش».

وقبل أن ننتقل إلى حروبه مع ملك قادش نورد النص المصري القديم عن هذه الحملة؛ ليقف القارئ على مقدار الأسلاب التي استولى عليها الفرعون خلالها:

> **السنة التاسعة والعشرون:** تأمَّلْ! كان جلالته في أرض «زاهي» ليخضع البلاد الأجنبية الثائرة عليه في حملته الخامسة. تأمَّلْ! إن جلالته استولى على «وارثت» ... وهلَّلَ هذا الجيش لجلالته كما قدم ثناءه للإله آمون لما وهبه من نصر لابنه، وقد كان ذلك سارًّا لقلب جلالته أكثر من أي شيء، وعلى إثر ذلك اتجه جلالته نحو مخازن القربان ليقدم القرب للإلهين «آمون» و«حواراختي»، من ثيران وعجول وطيور لأجل فلاح وعافية «منخبرع» (تحتمس الثالث) العائش مخلدًا.
>
> **الغنائم التي استولى عليها من هذه المدينة:** قائمة الأسلاب التي استولى عليها رجاله من العدو صاحب مدينة «تونب»: أمير المدينة، ثلاثمائة وتسعة وعشرون محاربًا، ومائة دبن من الفضة، ومائة دبن من الذهب، هذا إلى لازورد وفيروزج وأوانٍ من البرنز والجمشت.
>
> **الاستيلاء على سفينتين من العدو في أثناء عودة الفرعون إلى وطنه:** تأمَّلْ! إنه استولى على سفينتين مجهَّزتين ببحارتهما ومحمَّلتين بكل شيء، من عبيد وإماء ونحاس وقصدير واستفياذج (صنفرة)، وكل ما طاب.

وبعد ذلك سار جلالته إلى مصر إلى والده «آمون رع» بقلب فَرِح.

نهب أرواد: تأمَّلْ! إن جلالته نهب مدينة «أرواد» بما فيها من حبوبٍ، كما قطع كلَّ أشجارها الجميلة.

خيرات بلاد زاهي: تأمَّلْ! لقد وجد كل منتجات بلاد زاهي؛ فكانت حدائقها محمَّلة بالفاكهة، وقد بقي نبيذها في معاصرها يسيل كالماء، كما كانت حبوبها مكدَّسة في أجرانها أكثر من رمال الشاطئ، وقد غمر رجال الجيش بأنصبتهم.

قائمة الجزية التي جلبها جلالته من هذه الحملة: أحضر واحدًا وخمسين من العبيد والإماء، واثنين وثلاثين جوادًا، وعشرة أطباق من الفضة، وكذلك أحضر أربعمائة وسبعين إناءً من الشهد، وستة آلاف وأربعمائة وثمانية وعشرين إناءً من الخمر، ونحاسًا وقصديرًا ولازوردًا، وفلسبارًا أخضر، ونحو ستمائة وثماني عشرة من الماشية الكبيرة، وثلاثة آلاف وستمائة وستة وثلاثين رأسًا من الماشية الصغيرة، ورغفانًا مختلفة أنواعها، وقمحًا نقيًّا، وحبوبًا مطحونة … وكل فاكهة جميلة من هذه البلاد. تأمَّلْ! إن جنود جلالته كانوا ثَمِلين ومعطرين بالزيت كلَّ يوم كأنهم في عيد في مصر.

أثر الغنائم في المصريين: والواقع أن هذه المغانم (إذا كانت الأرقام التي تدل عليها صحيحةً) تُشعِر ببداية إدخال الترف والنعيم على قوم مصر بصورة مزعجة مما لم يُسمَع به من قبلُ في تاريخ البلاد؛ ولذلك لا ندهش إذا كنَّا نرى أن هذا اليسار والثروة الطائلة كان الخطوة الأولى في انحلال الأخلاق، وفساد العناصر الطيبة في البلاد، ممَّا أدَّى بعد زمنٍ غير طويل إلى الانحطاط الخلقي والعسكري معًا. وسنرى أن الدم المصري أخذ يلتحم بالدم الأجنبي ويمتزج به من جرَّاء ما كان يرد على البلاد من أجنبيات فاتنات لا ينقطع معينهن.

(٥-١٥) الحملة السادسة في السنة الثلاثين

وفي السنة الثلاثين قام الفرعون بحملته السادسة، وكان غرضه على ما يظهر الاستيلاء على بلدة «قادش» (تل بني مند)، فأقلع من مصر ونزل بجيشه عند «سميرا» شمالي «أرواد»، وتقدَّمَ نحو «قادش» الواقعة على الجانب الأيمن لنهر العاصي في أقصى شمال

الوادي العالي الواقع بين جبلي لبنان، وكانت المدينة وقتئذٍ محصَّنة من جميع الجهات، بنهر العاصي وفرع منه، ثم بقناة حُفِرت لتوصل بينهما، هذا إلى وجود تحصينات أخرى خلف هذه التحصينات الطبعية لتحمي المدينة؛ ولذلك كان الاستيلاء عليها يُعَدُّ من الأعمال الحربية العسيرة المنال.

حصار قادش والاستيلاء عليها

وقد حاصَرَها «تحتمس» مدة طويلة، انتهزت في خلالها بعضُ المدن الساحلية هذه الفرصةَ وشقَّ أهلها عصا الطاعة على الفرعون، من بينها مدينة «أرواد» التي قامت بثورة للتخلُّص من الجزية التي كانت تدفعها للفرعون سنويًّا، ولكن على إثر سقوط «قادش» طار «تحتمس» على جناح السرعة إلى «سميرا»، وأنزل جيشه في الأسطول الذي كان في انتظاره، وأقلع به إلى مدينة «أرواد» وأوقع بأهلها عقابًا صارمًا، وقد كان هذا العصيان من جانب «أرواد» درسًا عمليًّا «لتحتمس الثالث» ألَّا يسير في خطته لغزو بلاد «النهرين» قبل أن تدين لسلطانه كلُّ بلاد الساحل؛ ولذلك نجده قد أمضى صيف السنة الواحدة والثلاثين من حكمه وهي الحملة السابعة في القضاء على أي ثورة، وكبح جماح أي عصيان في هذه الجهات.

وهاك النص المصري الذي دوَّنه عن الحملة السادسة في السنة الثلاثين:

السنة الثلاثون: تأمَّلْ! كان جلالته في بلاد «رتنو» في حملته المظفرة السادسة.

الاستيلاء على قادش: وصل جلالته إلى مدينة «قادش» فاستولى عليها، واجتثَّ أشجارَ خمائلها، وحصد غلَّاتها، ثم سار إلى إقليم «سشريت»، ومن ثَمَّ وصل إلى بلدة «سميرا»، ثم وصل إلى بلدة «أرواد» وفعل فيها بالمثل.

جزية رتنو: قائمة بالجزية التي أحضرتها قوة جلالته من أمراء رتنو في هذه السنة. تأمَّلْ! إن أولاد الأمراء وإخوتهم سيقوا إلى المعاقل المصرية. تأمَّلْ! إنَّ كل مَن مات من بين هؤلاء الأمراء كان جلالته ينصب ابنه مكانه.

قائمة بأولاد الأمراء الذين أُحضِروا هذا العام: ستة وثلاثون رجلًا، ومائة وواحد وثمانون من العبيد والإماء، ومن الخيل مائة وثمانية وثمانون، وأربعون عربة مصفحة بالذهب والفضة المطلية بالألوان.

ونعلم من هذا النص فضلًا عن الغنائم التي استولى عليها الفرعون، أنه كان يستولي على أبناء الأمراء، ويُنشِئهم في مصر تنشئةً مصريةً، ثم يضعهم مكان آبائهم بعد موتهم كما سبق شرح ذلك.

(٥-١٦) الحملة السابعة والغرض منها

وقد كان الغرض الأول من هذه الحملة هو إخضاع بلدة عاصية تُدعَى «انراثو» (ألاوزا)، وتقع على الساحل بالقرب من «سميرا»، وقد كانت في حلف مع بلدة «تونب»، وقد كان في مقدور الفرعون وقتئذٍ أن يحشد قوة كبيرة في أسطوله، ويسير بها مباشَرةً لإخضاع هذه البلدة، وقد تمَّ له ما أراد؛ إذ زحف بجيشه وأخضعها في سرعة خاطفة، وهاك النص المصري عن هذه الحملة:

السنة الواحدة والثلاثون: مجموع الأسلاب التي استولى عليها جلالته في مدينة «انراثو» (أولازا) الواقعة على ساحل «نهر الكلب» (إليوتيرس) أربعمائة واثنان وتسعون أسيرًا أحياء … ابن العدو صاحب «تونب» … ورئيس … الذين كان فيها والمجموع أربعمائة وأربعة وتسعون رجلًا، وستة وعشرون جوادًا، وثلاث عشرة عربة، وكل معداتها من آلات الحرب، وقد استولى جلالته على هذه المدينة في مدة قصيرة، وكل متاعها كان غنيمة له.

الجزية من بلاد رتنو: جزية أمراء «رتنو» الذين أتوا ليقبلوا الأرض من أجل قوة جلالته في هذه السنة … عبيدًا وإماءً … ذهبًا، واثنين وسبعين طبقًا من الفضة من صنع هذه البلاد، وسبعمائة وواحدًا وستين دبنًا، وقدتين من الفضة، وتسع عشرة عربة مصفحة بالذهب، ومعدات من كل الآلات الحربية، ومائة وأربعة ثيران وعجول، ومائة واثنين وسبعين بقرة، فيكون المجموع مائتين وستة وستين، وكذلك أربع آلاف وستمائة واثنين وعشرين من الماشية الصغيرة، وأربعين قالبًا من نحاس البلاد، وقصديرًا … وإحدى وأربعين سوارًا من الذهب المحلَّى بالصور، وكذلك كل محصولها، وكل الأخشاب ذات الرائحة العطرة في هذه البلاد.

تموين الثغور: تأمَّلْ! إنَّ كل ثغر وصل إليه جلالتي كان قد مُدَّ بالخبز الجميل وبالرغفان المتنوعة، وبالزيت وبالبخور والنبيذ والشهد وكل الفاكهة

الجميلة من هذه البلاد ... وكانت كثيرة يخطئها العد، وأكثر ممَّا عرفها جيش جلالتي من قبلُ، وهذا ليس بكذب فقد دونت في المذكرات اليومية في القصر (أي: الفرعون له الحياة والفلاح والصحة)، وقائمتها لم تدون في هذه النقوش بعدًا عن كثرة الكلام، ولأجل أن نورد مناسبتها في هذا المكان (وكذلك فيما يخص محصول بلاد رتنو)، فإنه لم يُدوَّن هنا لنفس السبب السالف الذكر، بل دُوِّن في إدارة بيت المال.

وكذلك لم يعلن محصول بلاد «رتنو»، ويحتوي على كثير من البر النقي، وعلى قمح في سنابله وشعير وبخور وزيت أخضر، ونبيذ وفاكهة وكل شيء حلو من البلاد، وستسلم للخزانة مثل محصول بلاد كوش.

جزية بلاد آسيوية أخرى:[٢٥] جزية أمير ... بلاد ... في هذا العام ... وثلاثة وثلاثون قدحًا للشراب، وكذلك جلود وكل حجر ثمين من هذه البلاد، وكذلك أحجار أخرى عدة مرصعة بكل الأحجار الثمينة التي في هذه البلاد.

وفي هذه السنة وصلت بعثة من بلاد بنت إلى مصر يحمل رجالها إلى الفرعون جزية هذه البلاد من العطور والفاكهة.[٢٦]

وكذلك وصل إلى الفرعون من بلاد «كوش» وبلاد «واوات» الجزية السنوية التي كانت تؤدِّيها هذه البلاد لجلالة الفرعون، وهي تلك المحاصيل التي اشتهرت بها هذه الأصقاع، وهاك النص:

جزية بلاد كوش الخاسئة في هذا العام: ... دبنًا من الذهب، وعبيدًا وإماء من الزنوج س + ٦ وأسرى من الذكران السود بصفة تابعين، ويبلغ عددهم عشرًا؛ هذا إلى مائة وثلاثة عشر من البقر والعجول، ومائتين وثلاثين من الثيران مجموعها ثلاثمائة وثلاثة وأربعون؛ هذا إلى سفن محمَّلة بالعاج والأبنوس وجلود الفهود، ومن كل المحصولات الجميلة من هذه البلاد، يُضاف إلى ذلك حصاد الإقليم.

جزية بلاد واوات: جزية واوات ... دبنًا من الذهب، وعبيدًا وإماء من سود واوات، وواحدة وثلاثين بقرة، وواحدًا وستين ثورًا، فيكون المجموع اثنين

[٢٥] راجع: Urkunden, IV, p. 694.

[٢٦] راجع: Urkunden, IV, p. 695.

وتسعين؛ هذا عدا سفن محمَّلة بكلِّ ما لذَّ وطاب من هذا الإقليم، وكذلك حصاد واوات.

ويُلحَظ في محصول هذه الجهات السودانية أنها كلها كانت مواد أولية وحيوانات، هذا على عكس ما نشاهده من المنتجات الفنية العظيمة التي كانت ترد من بلاد آسيا، ممَّا يضع أمامنا الفرق بين البلدين المحتلين من حيث التقدُّم والحضارة.

(٥-١٧) الحملة الثامنة وتُعَدُّ أعظم غزواته

ظلَّ تحتمس الثالث في مصر عامين بعد حملته السابعة، ثم قام بحملته الثامنة في السنة الثانية والثلاثين، وتُعَدُّ أعظمَ غزوة قام بها في كل حروبه بعد الغزوة الأولى؛ إذ تمَّ «لتحتمس الثالث» في نهايتها كلُّ ما كانت تصبو إليه نفسه وتتطلع إليه آماله، وهو الوصول إلى نهر الفرات وإخضاع كل البلاد المجاورة له. وقد دوَّنَ لنا انتصاراته في هذه الحملة في النقوش التي على جدران معبد الكرنك، وكذلك في لوحة جبل «بركال»، وسنفصل القول أولًا في هذه الحملة، ثم نورد المتنين اللذين وصلَا إلينا، وكذلك نشير إلى ما جاء عن حملته هذه في حياة «أمنمحات» الذي كان يرافقه في كل حملاته في بلاد آسيا.

في السنة الثالثة والثلاثين من سني حكمه شرع «تحتمس الثالث» في القيام بحملته الثامنة، وهي التي وصل فيها إلى قمة مجده الحربي؛ إذ في غضونها عبر نهر الفرات غازيًا بلاد النهرين (المتني)، وقد كانت أول حركة قام بها هي غزو أقاليم «قطنة» (وهي بلدة المشرفة الحالية على مسيرة ثمانية عشر كيلومترًا شمالي شرقي حمص).[٢٧]

وتدل الأحوال على أنه كانت قد قامت اضطرابات في بلدة «نجب» الواقعة جنوبي فلسطين؛ ولذلك أرسل الفرعون قوة من جنوده لإخضاعها وإخمادها بسرعة، وقد كان «أمنمحات» ضمن فرقة الحرس المختارة الذين يُطلَق عليهم الشجعان، وكان هو بالذات ضمن حرس الفرعون الذين ذهبوا في حملة «نجب» هذه، وقد استولى فيها على ثلاثة أسرى، ولدينا من الأسباب ما يؤكِّد لنا أن الفرعون «تحتمس الثالث» لم يشترك في حملة «نجب» هذه بالذات؛ لأن نقوش التواريخ التي على جدران معبد الكرنك لم تأتِ بذكره،

[٢٧] راجع: Gardiner, “Ancient Egyptian Onomastica”, I, p. 166.

بل ذكرت أنه هو الذي بدأ الحملة في «قطنة» بسوريا، ويظهر[٢٨] أن «أمنمحات» قد سافَرَ شمالًا لينضمَّ إلى سيده في سوريا في الوقت المناسب، ليشترك معه في الواقعة التي دارت رحاها بالقرب من حلب، مستصحبًا معه الأسرى الثلاثة، الذين استولى عليهم في «نجب» ليقدِّمهم إلى الفرعون.

وقد زحف الجيش المصري نحو الشمال، واشتبك مع العدو في موقعة عند مرتفع «وعن» الواقعة غربي «حلب»، حيث يذكر لنا «أمنمحاب» أنه استولى على ثلاثة عشر أسيرًا وعلى سبعين حمارًا، وعلى عددٍ من الأسلحة المصنوعة من البرنز.[٢٩]

كيفية الاستيلاء على قرقميش

أما الحادث الذي تلا هذه الموقعة فهو نشوب موقعة في «قرقميش»، وقد كان الاستيلاء على هذه المدينة معناه فتح الباب لأحسن طريق ممكن لعبور نهر الفرات، وقد تمَّ للفرعون عبور هذا النهر بقوارب بناها على مقربة من «ببلوص» (جبيل) بأخشاب من غابات لبنان، ثم نُقِلت بطريق البر إلى «قرقميش» على عربات تجرها ثيران، والمفروض في هذه الحالة أن هذه القوارب كانت قد حُمِلت أجزاء منفصلة على هذه العربات، ثم رُكِّب بعضها مع بعض في «قرقميش»؛ وذلك لأنه يكاد يكون من ضروب المستحيل نقل القوارب برمتها غير مفككة الأجزاء مسافة طويلة مثل هذه برًّا، في ممرات وعرة كانت تستخدم طرقًا وقتئذٍ، وهذا أول استعمال لعربات النقل المصرية التي تسير على عجلات؛ إذ كانت قبل ذلك تنقل الأشياء على زحافات مثل الأحجار وغيرها، وهذا النوع من العربات مميَّز عن عربة الركوب التي كان يجرها الجياد، وهي العربة ذات العجلتين، وهذا التجديد في وسائل النقل مثال آخَر يضاف إلى الأمثلة الكثيرة التي تدلُّ على عبقرية «تحتمس» في الفنون الحربية. والواقع أن هذه العربات كانت جديدة على المصريين لدرجة أنهم أطلقوا عليها اسمًا جديدًا «وررت» ومعناها «العظيمة»، يضاف إلى ذلك أن موضوع نقل الجنود الغزاة في قوارب يعبرون بها النهر يُعَدُّ المثال الأول في تاريخ العالم.

أما الحرب التي حدثت بين الفريقين بعد اقتحام المصريين نهر الفرات، فلا نعرف منها إلا الشيء القليل، اللهم إلا أن الحرب انتهت كالعادة بانتصار المصريين، ولدينا فقرة

---

[٢٨] راجع: Ibid I. p. 155.

[٢٩] راجع: Urkunden VI, p. 891.

مهشمة في تاريخ تحتمس تقدِّم لنا بعضَ التفاصيل: «وقد اقتفى أثرهم بمسافة نحو «إتر» (مقياس طول غير محدَّد يتراوح بين كيلومترين وعشرة كيلومترات ونصف) في النهر، ولم يفلت واحد منهم خلفهم، بل فروا مثل قطعان الصيد؛ لأن الخيل كانت تعدو (؟) …»

ومن ذلك يظهر أن الجيش المصري بعد أن عبر نهر الفرات، سار مع مجراه منحدرًا مع التيار مسافة قصيرة ليشتبك مع العدو الذي أَبَى الوقوف لمنازلة الجيش المصري.

غنائم هذه الموقعة

وممَّا يلفت النظر أن المصريين لم يقع لديهم في الأسر إلا ثمانون أسيرًا، أما باقي الأسرى الذين سلَّموا أنفسهم، فهم ثلاثة أمراء مع أولادهم ونسائهم وعبيدهم، ويبلغ عددهم جميعًا ستمائة وستة وثلاثين نسمة، وقد ولى ملك المتني الأدبار إلى بلاد أخرى وهي بلاد بعيدة، وقد وصفت بلاده بأنها بلاد نهرين التي تركها سيدها خوفًا، في حين أن «تحتمس» استولى على مهل على الأراضي الواقعة شرقي نهر الفرات مباشَرةً، قبل أن يعود لنصب لوحته التذكارية على الشاطئ الأيمن من النهر بجوار لوحة «تحتمس الأول»، والظاهر أن «تحتمس الثالث» لم يوغل في داخل أراضي المتني إلى مسافة بعيدة، ولم يصل إلى عاصمتها «واش شوجاني»، ولو كان وصلها لما فاته قط أن يدوِّن مثل هذا العمل العظيم على نقوش لوحته التذكارية، ومن الجائز أن الأرض الأخرى التي هرب إليها ملك المتني ليست إقليمًا بعيدًا عن دولته، وذلك أنه كما يشير الأستاذ «جاردنر»[٣٠] كانت أرض «المتني» عبارة عن اتحاد من البلدان، وأنه يُحتمَل أن نهرين لم تكن إلا إقليمًا من هذه الدولة.

علاقة المتني بمصر

وعلى الرغم من أن «تحتمس الثالث» أعلن بإقامة لوحته على جزء من بلاد المتني، أن هذه البلاد كانت تُعَدُّ تحت الحماية المصرية ومن رعاياها، فإنها في الواقع بقيت محافظة على سيادتها القومية، ولم تُمَسَّ ماديًّا بأي سوء، وبقيت تُعتبَر إحدى الدول العظمى في ذلك

[٣٠] راجع: Gardiner, Ibid. I. p. 178.

الوقت. وبعد مضي حكم فرعونين من فراعنة مصر على هذا الحادث، نجد أن «تحتمس الرابع» قد تزوَّجَ من بنت ملك المتني الذي كان على عرش هذه البلاد في عهده، والواقع أنه لم يكن في مقدور مصر أن تسيطر على الإقليم الذي على الضفة الأخرى من نهر الفرات، ولا شك في أن «تحتمس الثالث» نفسه كان يعلم ذلك في قرارة نفسه.

نتائج الحملة

ومن نتائج هذه الحملة المظفرة أن ملك الخيتا (ختي العظيم) أرسل للمرة الأولى سفيرًا إلى الفرعون يحمل هدايا غالية؛[٣١] لأنه قد رأى من الخير أن يطلب ود دولة فاتحة كانت قاب قوسين أو أدنى من حدود بلاده، ولا يبعد أن بلاد «بابل» قد حذت حذوه، أما بلاد آشور فقد طلبت ودَّ مصر منذ السنة الرابعة والعشرين من حكم هذا الفرعون،[٣٢] ويُحتمَل أنها عادت إلى طلب مهادنتها ثانيةً الآن.[٣٣]

(٥-١٨) العودة إلى مصر

ولما فرغ «تحتمس الثالث» من الوصول إلى مطامعه العظيمة، وهي غزو «نهرين»، أخذ في العودة إلى وطنه، غير أن رحلته إلى أرض الوطن لم تكن خاليةً من الحوادث؛ فقد حاوَلَ بعض أمراء سوريا عرقلةَ طريقه في عودته، ويقصُّ علينا «أمنمحات» أنه حدثت معارك في «سنجار»،[٣٤] ويُحتمَل أن هذه هي قلعة «سنجار» على نهر العاصي بعد بلدة «حماة»[٣٥] بالقرب من «قادش»،[٣٦] وفي أرض «تخسي» التي لم تبعد كثيرًا عن «قادش» يقصُّ علينا «أمنموسى» أن ثلاثين مدينة قد نُهِبت.[٣٧] والظاهر أن «تحتمس» بعد أن هدأت الأحوال في

[٣١] راجع: Urkunden IV, p. 701.

[٣٢] راجع: Urkunden, IV. p. 701.

[٣٣] راجع: Ibid, 701.

[٣٤] راجع: Ibid, IV. p. 891.

[٣٥] راجع: Gardiner, Ibid, I, 158.

[٣٦] راجع: Urkunden, IV, p. 892.

[٣٧] راجع: Gardiner Ibid. I, 150 & 157.

«تخسي» سار شمالًا ثانيةً؛ إذ كان على ما يظهر يشكُّ في إخلاص الولايات الصغيرة التي تركها خلفه، غير أنه ليست لدينا وثائق تُثبِت وقوعَ حروب في هذه الجهات.

(٥-١٩) تحتمس الثالث يخرج لصيد الفِيَلَة

ولما فرغ الفرعون من أعماله الحربية أراد أن يرفه عن نفسه ببعض الرياضة بالصيد والقنص، مقتفيًا في ذلك أثر جده، فضرب سرادقه عند بلدة «ني» (يُحتمَل أنها «قلعة الموضيق» الواقعة على مسافة ٤٠كم شمالي غربي حماة) لصيد الفيلة،[٣٨] ولقد أظهر «أمنمحات» شجاعة في هذا الطراد، عندما قطع خرطوم الفيل الذي التفت نحو سيده ليقتله، وبعد هذا الصيد استأنف «تحتمس» سيره نحو الوطن دون وقوع أي حادث آخَر، اللهم إلا إذا كان الهجوم الثاني على «قادش» قد حدث في هذه الفترة، ولكن لأسباب ذكرناها من قبلُ يظهر أن هذا الاحتمال ليس له مبرر.[٣٩]

(٥-٢٠) عبقرية تحتمس الثالث في تنظيم هذه الحملة وأثرها في توطيد ملكه

وهكذا أتمَّ هذا القائد أعظم فتوحه خطرًا وأبعدها أثرًا وأعظمها شأنًا، فلم تكن حملاته المُقبِلة موجَّهةً إلا لتدبير أحوال الإمبراطورية التي كسبها بحدِّ السيف ولتوطيد الأمن فيها، ولقد أظهر «تحتمس» ثانيًا في هذه الحملة عبقريته الحربية التي كانت لا تنحصر في الوصول بنجاح باهر إلى هدفه البعيد المرمى فحسب، بل ظهرت بصورة بارزة في بنائه السفن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ثم نقلها بطريق البر حتى مكان الموقعة على عربات نقل، وهذا في الواقع يُعَدُّ عملًا جبَّارًا، وبخاصة عندما يعلم الإنسان أن جيشه كان يبلغ عدة آلاف من المحاربين، غير الخيل والعربات التي كان لا بد من نقلها بعد تجميعها عبر الفرات، مضافًا إلى ذلك جيش مشاته.

---

[٣٨] راجع: Urk. IV, p. 698, Gebel Barkal, 17. Armant, 7.

[٣٩] راجع: Urk. IV, p. 894.

(٥-٢١) القائد تحتمس الثالث والقائد مونتجمري

وعندما نقرن الأشياء الصغيرة بالأمور العظيمة، نرى أن هذا العمل المبتكر الذي قام به «تحتمس الثالث» بحد السلاح والذكاء، وبما لديه من وسائل ساذجة، يذكِّرنا بما قام به القائد «مونتجمري»، عندما عبر نهر الرين على سفن عبور جيء بها برًّا من الساحل بسرعة خاطفة، ونجد أن الأول قد ابتكَرَ هذا الحل منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة تقريبًا، وعمل به الثاني في عصر الابتكار والمخترعات الفذة، ومع ذلك فلا بد من الاعتراف بأن الفضل للمتقدم.

والآن نورد المتونَ الخاصة بهذه الحملة من المصادر المصرية:

الحملة الثامنة عام ثلاثة وثلاثين من حكم «تحتمس الثالث»: السنة الثالثة والثلاثون. تأمَّلْ! كان جلالته في بلاد رتنو، ثم وصل إلى إقليم «قدنا» في حملته الثامنة المظفرة.

عبور نهر الفرات والتغلُّب على الأراضي الواقعة على تلك الضفة: سار جلالته إلى بلاد «نهرين» في مقدمة جيشه شرقي هذا النهر وأقام لوحةً أخرى بجوار اللوحة التي نصبها والده «عا خبر كارع» (تحتمس الأول) ملك الوجه القبلي والوجه البحري. تأمَّلْ! إن جلالته سار شمالًا متغلِّبًا على البلاد ومخرِّبًا أقاليم «نهرين» التابعة للعدو الخاسئ.

الحروب المظفرة على نهر الفرات: … وبعد ذلك انحدر شمالًا مقتفيًا أثرهم مسافة «إتر»، فلم يلتفت واحدٌ منهم خلفه، ولكنهم أرخوا لسيقانهم العنان كأنهم قطيع بقر الوحش. تأمَّلْ! إن خيلهم هربت.

غنائم هذه المدينة: قائمة الأسلاب التي غنمها كل الجيش: ثلاثة أمراء ونساؤهم وعددهن ثلاثون، كما أخذ ثمانين أسيرًا، ومن العبيد والإماء ستمائة وستة ومعهم أولادهم، أما الذين سلموا خاضعين ومعهم زوجاتهم وأولادهم …

تحطيم مؤسساتهم: … وحصد غلالهم.

عودة الفرعون إلى بلدة «ني» حيث اصطاد فيلة: ثم وصل جلالته إلى مدينة «ني» في سيره جنوبًا، وعندما عاد جلالته نصب لوحة تذكارية في حدود نهرين، فمدَّ بذلك حدود مصر …

جزية بلاد «رتنو»: قائمة الجزية التي أحضرها أمراء رتنو: خمسمائة وثلاثة عشر من العبيد والإماء، ومائتان وستون جوادًا، وخمسة وأربعون دبنًا،

وتسع قدات من الذهب (أي: نحو أحد عشر رطلًا)، وأطباق من الذهب من صنع بلاد «زاهي» … وعربات مصفحة بالذهب وكل معداتها الحربية، وكذلك ثمانية وعشرون ثورًا وعجلًا صغيرًا وعجولًا كبيرة، وخمسمائة وأربعة وستون فحلًا، وخمسة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وعشرون من الماشية الصغيرة، وثمانمائة وثمانية وعشرون إناءً من البخور وزيت أخضر … وألف من كل شيء طريف من هذه البلاد، هذا إلى مقادير عظيمة من كل أنواع الفاكهة.

إمداد المواني – جزية لبنان – حصار بلاد زاهي: تأمَّلْ! كانت هذه المواني تُمَدُّ بكل شيء مما يُجبَى لها على حسب ما فرض سنويًّا على أمراء لبنان سنويًّا.

جزية بلد آسيوي آخر (اسمه مهشم): جزية أمير … وأربعة طيور من هذا البلد. تأمَّلْ! إنها في عيد كل يوم (؟).

جزية بلاد سنجار (بابل): جزية أمير بلاد «سنجار» س + ٤ دبنات من اللازورد الحقيقي، وأربعة وعشرون دبنًا من اللازورد الصناعي، ولازورد بابلي …

جزية بلاد آشور (؟): جزية أمير آشور رأس كبش من اللازورد الحقيقي، ولازورد زنته خمس عشرة قدة، وكذلك أوانٍ …

جزية بلاد «خيتا» العظيمة: جزية بلاد «خيتا» هذا العام ثماني حلقات من الفضة زنتها أربعمائة وواحد دبن (أي: ٩٧,٧٤ رطلًا)، هذا إلى قطعتين كبيرتين من حجر أبيض ثمين وخشب «ثاجو».

العودة إلى مصر: عاد جلالته إلى مصر في سلام بعد مجيئه من بلاد نهرين بعد أن وسَّعَ حدود مصر.

أسلاب غزوة إلى بلاد بنت: أحضرت إلى جلالته هذا العام طرائف؛ ألف وستمائة وخمس وثمانون «حقت» من البخور المجفَّف (عنتي) (نبات عطري) … دبنًا من ذهب بلاد عامو (وهي بلاد مشهورة بالذهب على ساحر البحر الأحمر) …

جزية بلاد كوش: جزية بلاد كوش الخاسئة هذا العام وهي ١٥٥ دبنًا وقدتان من الذهب، ومائة وأربعة وثلاثون من الإماء، ومائة وأربعة عشر ثورًا وعجلًا، وثلاثمائة وخمسة وعشرون فحل بقر، مجموعها أربعمائة وتسعة عشر

من الماشية، هذا عدا سفن محمَّلة بالعاج والأبنوس وجلود الفهود، وكل شيء طريف من هذه البلاد.

جزية بلاد واوات: جزية بلاد «واوات» هذا العام … دبنًا من الذهب، وثمانية من العبيد والإماء، واثنا عشر عبدًا مجموعها عشرون نسمة، هذا إلى أربعة وأربعين ثورًا وعجلًا، وستين فحلًا من الأبقار مجموعها مائة وأربعة رءوس من الماشية، يضاف إلى هذه سفن محمَّلة بكل طريف من هذه البلاد، ومن حصاد هذا الإقليم أيضًا.[٤٠]

أما المصدر الثاني الذي جاء فيه ذكر هذه الحملة فهو ما دُوِّن على «لوحة بركال»، وقد وصف «تحتمس الثالث» هذه الحملة بما يأتي:

والآن سار جلالتي إلى شمال حدود بلاد آسيا، وقد أمرت ببناء سفن نقل من خشب الأرز في «جبيل» ممَّا تنبته تلالها، وهي أرض الإله الواقعة على مقربة من «صيدا»، ثم حُمِلت على عربات ذات عجل وجُرَّت بالثيران، وقد أرسلت قبل جلالتي لتُستعمَل في عبور ذلك النهر العظيم الذي يجري في هذه الأرض الأجنبية وهي «نهرين».

التعليق على هذه المتن

فمن هذه المتون نعلم خلافًا لما ذكرناه أن الفرعون قد أرسل حملة في هذه الفترة إلى بلاد «بنت»، عادت محمَّلة بخيرات هذه البلاد المعروفة وهي البخور والذهب، هذا فضلًا عن أنه عندما عاد إلى مصر، كانت بلاد «كوش» وبلاد «واوات» قد أرسلت جزيتها السنوية المعتادة، ممَّا يدل على أنها كانت على ولائها للفرعون. ومما يُلحَظ هنا أن «تحتمس الثالث» قد عدَّ الهدايا التي قدَّمها له كلٌّ من ملك «بابل» وملك «خيتا» بمثابة جزية كالجزية التي كانت تدفعها البلاد الخاضعة لحكمه، وإنْ عدَّ ذلك مخالفًا للواقع.

[٤٠] راجع: Urkunden, IV, p. 696–703.

أما قضية صيد الفِيَلة عند «ني» فقد جاء ذِكْرها في ترجمة الجندي «أمنمحاب»، كما جاءت كذلك في لوحة «بركال»، وقد قصَّها علينا الفرعون نفسه، وذلك أنه عندما كان الفرعون يستجمُّ في بلدة «ني»، قام بنزهة للصيد والقنص، وبخاصة صيد الفيلة في هذه الجهة، ممَّا يدل على أن هذا الحيوان كان لا يزال يوجد على شاطئ نهر الفرات في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ويقصُّ علينا «أمنمحاب» حادثةً مثيرةً خَطِرة وقعت للفرعون، وهي أن قطيعًا من الفِيَلة شُوهِد واقفًا على شاطئ النهر، وقد كان الصائد في استطاعته أن يكون على مقربة منه دون أن يرى إذا اختبأ خلف الصخور، غير أن أكبر هذه الفِيَلة لمح الفرعون وهاجَمَه على حين غفلة، وعلى ذلك يقول «أمنمحاب»: بينما كنتُ واقفًا في الماء بين صخرتين، ضربت يد الفيل (خرطومه) وهو حي أمام جلالته، وقد كافأني جلالته على ذلك بالذهب، وخلع عليَّ ثلاث حلل. والظاهر أن هذه الهدية كانت بدلًا من الملابس التي كانت لا بد قد مُزِّقت خلال هجومه على الفيل.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن بطلنا «أمنمحاب» هذا كان على ما يظهر مغرمًا بسرد القصص العريضة النسج؛ إذ قصَّ علينا كذلك مخاطرة أخرى حدثَتْ له مع ضبعٍ هاجمه في الصحراء في وقت كانت عصاه كلَّ ما يحمله من سلاح، وعندما دوَّن هذه القصة على جدران قبره أوعز إلى المفتن أن يمثِّل الضبع في حجم جواد ضخم ذي عينين متَّقدتين، مكشرًا عن أنياب حادة كأنه يريد أن يلتهم من أمامه التهامًا.

قصة صيد الفيلة كما جاءت على لوحة بركال: أما تحتمس الثالث فقد ذكر لنا قصة صيد الفيلة على لوحة «بركال»:

> والآن أقصُّ مغامرةً أخرى هيَّأ لي الإله «رع» فيها النصرَ، فقد أظهر على يدي فيها عملًا عظيمًا من أعمال الشجاعة عند مورد ماء في بلدة «ني»، فقد هيَّأ لي أن ألتقي بقطيع من الفيلة، وحارَبَ جلالتي سربًا عدده مائة وعشرون فيلًا لم يسبقني إليه ملك منذ عهد الآلهة من الذين توجوا قبلي بالتاج الأبيض، والظاهر أن الفرعون قد نسي أن يسر «أمنمحاب» بطل هذه القصة، فيذكر لنا مخاطرته ونجدته القيِّمة لمليكه، اللهم إلا إذا كانت قصته من نفس نسيج قصة الضبع.

(٥-٢٢) الحملة التاسعة في السنة الرابعة والثلاثين والغرض منها

وفي السنة الرابعة والثلاثين قام تحتمس الثالث بحملته التاسعة المظفرة إلى بلاد زاهي، والظاهر أنه بعد عودته من إقليم الفرات لم يكن الأمن قد استتب فيه تمامًا، هذا إلى أن «لبنان» قد شقَّتْ عصا الطاعة على الفرعون في تلك الآونة؛ ولهذا اضطر إلى القيام بحملته هذه للاستيلاء على ثلاث مدن منها، وقد غنم مغانم كثيرة، وفي نفس العام نشاهد الفرعون قد وسع سلطانه في الجنوب؛ إذ أسر أولاد أمير «أرم» المجاورة لبلاد كوش، وأخذهم رهينةً عنده لعصيان والدهم.

المتن المصري

مقدمة: قهر إقليم نجس السنة الرابعة والثلاثون. تأَمَّلْ! لقد سار جلالته إلى أرض «زاهي» في حملته التاسعة المظفرة، وقد استولى جلالته على بلدة «نجس»، وأهالي بلاد أخرى كانت في إقليمها، وقد أخضعهم جلالته جميعًا.

قائمة بالبلاد التي قُهِرت هذا العام: بلدان، وثلاثة بلدان خضعت في إقليم «نجس» فيكون المجموع ثلاثة أماكن (؟).

أسلاب الحرب: الأسرى الذين أحضرهم جلالته من هذه البلاد … أما الرجال الذين ساقهم أسرى فعددهم تسعون، وهم الذين سلموا ومعهم نساؤهم وأولادهم … ثم أربعون جوادًا، وخمس عشرة عربة مغشاة بالفضة والذهب، وأواني ذهب وحلقات من الذهب وزنها خمسون دبنًا، وتسع قدات، وآنية من الفضة من هذه البلاد، هذا إلى حلقات من الفضة زنتها مائة وثلاثة وخمسون دبنًا، ونحاس غفل وقصدير وجمشت وأسلحة من كل أنواع الخشب المختلف، وثلاثمائة وستة وعشرون ثورًا وأربعون ماشية صغيرة بيضاء، وما يربي على أربعين ماشية صغيرة أخرى وسبعين حمارًا، وخشب كثير من خشب «ثاجو»، وكراسي عدة من الخشب الأسود وخشب الخروب، هذا إلى عمد سرادق منمَّقة بالجمشت ومرصَّعة بالأحجار الثمينة، وكذلك كل نوع جميل من خشب هذه البلاد.

جزية بلاد رتنو: جزية أمراء رتنو هذا العام (ثلاثون + س) من الجياد، وعربات مصفحة بالذهب والفضة وملوَّنة عددها تسعون، هذا إلى سبعمائة

واثنين من العبيد والإماء، وخمسة وخمسين دبنًا وست قدات من الذهب، وأواني فضة مختلفة من صنع البلاد زنتها ... دبنًا وست قدات، وذهب وفضة ولازورد وحجر «منو» الثمين، وأوانٍ من كل نوع، وثمانين قالبًا من نحاس بلاده (أي: مستخرج من هذه البلاد)، وأحد عشر قالبًا من القصدير، ومائة دبن من الألوان وبخور جاف وأخضر وجلد؟ ... وثلاثة عشر من الثيران والعجول، وخمسمائة وثلاثين فحل بقر، وأربعة وثمانين حمارًا، وأسلحة كثيرة مرصَّعة بالجمشت؟ وأوانٍ كثيرة من النحاس، وستمائة وثلاث وتسعين آنية بخور، وزيت حلو أخضر، وألفين وثمانين آنية، وستمائة وثماني زجاجات خمر، وعربات من خشب «ثاجو»، وكل نوع ثمين من خشب هذه البلاد.

تموين الثغور: تأمَّلْ! لقد كانت كل مواني جلالته مموَّنة بكل شيء طريف مما أخذه جلالته من بلاد زاهي، ويشمل ذلك سفنًا من «كفتيو»، وسفنًا من «جبيل»، وسفنَ «سكتو» المصنوعة من خشب الأرز، محمَّلة قضبانًا وساريات، هذا إلى أشجار عظيمة لنجارة جلالته.

جزية بلاد قبرص: جزية أمير قبرص في هذه السنة مائة وثمانية قوالب من النحاس النقي، وسبيكة من النحاس زنتها ألفان وأربعون دبنًا، وكذلك خمسة قوارب قصدير، وألف ومائتا قطعة من القصدير، وعشرة ومائة دبن من اللازورد وسن فيل واحد، وقطعتان من خشب «ثاجو».

جزية بلاد كوش: جزية بلاد كوش الخاسئة، وهي (٣٠٠ + س) دبن من الذهب، وستون من العبيد والقيان السود، وأولاد أمير «أرم» ... فيكون المجموع أربعًا وستين نسمة، هذا إلى ثيران وعجول فيبلغ عددها مائة وخمسة، وفحول بقر عددها مائة وسبعون فيكون المجموع الكلي مائتين وخمسة وسبعين، هذا عدا سفن محمَّلة بالعاج والأبنوس وكل منتجات هذه البلاد، وكذلك غلة «كوش».

جزية واوات: خراج بلاد واوات هو ألفان وخمسمائة وأربعة وخمسون دبنًا من الذهب، وعشرة من العبيد والإماء، وثيران ... ثيرانًا وعجولًا ... وفحولًا ... مجموعها ... هذا فضلًا عن سفن محمَّلة بكل طريف من هذه البلاد، وغلة واوات أيضًا.

تعليق على هذا المتن

مما سبق يتضح أنه فضلًا عن الجزية التي كانت تأتي إلى مصر من جهات آسيا المختلفة، قد أخذت قبرص كذلك ترسل جزيتها، وربما كانت ضمن البلاد الخاضعة لمصر وقتئذٍ، هذا ونشاهد أن «تحتمس الثالث» قد فرض على أمراء لبنان وغيرهم أن يمدوا المواني الفينيقية بالمؤن اللازمة لحملاته، كما فرض عليهم بناء السفن نفسها، وبذلك أصبح في مقدوره أن ينزل في أي ميناء، ويسير بجيشه في داخل البلاد، ويقبض على كل ثورة في حينها، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن قوة «تحتمس» الحربية ونظامها كانت الأولى من نوعها في العالم المعروف وقتئذٍ، ولا أدل على ذلك من أن ملك قبرص بما له من سفن كان يخشى بأس هذا الفرعون، وأصبح خاضعًا لإرادته، هذا إلى أن الأسطول المصري جعل جزر الشمال تخشى بأس الفرعون، وأصبح سلطانه ممتدًّا على شرقي البحر الأبيض المتوسط حتى بحر إيجة، مما جعل قائده «تحوتي» يعدُّ الجزرَ التي في وسط البحر (بحر إيجة) من الممتلكات التي تحت سلطانه؛ إذ كان يُلقَّب حاكم الأقطار الشمالية.

(٥-٢٣) الحملة العاشرة

والظاهر أن أمراء بلاد «نهرين» الذين غاب عنهم «تحتمس الثالث» مدة عامين بعد حملته القاسية، أخذوا يتألبون عليه وكوَّنوا حلفًا قويًّا على رأسه أمير نعته «تحتمس الثالث» بقوله: «ذلك العدو الخاسئ صاحب نهرين»؛ ومن المحتمل أنه يقصد به ملك «المتني» أو أحد الأمراء الذين كان ضلعهم مع الهكسوس، والذين كانوا لا يزالون يأوون إلى هذه الجهات؛ ولكن «تحتمس الثالث» كان دائمًا على أهبة الاستعداد لمنازلة عدوه في آية لحظة كانت، ويرجع الفضل في ذلك لاستعداد أسطوله بكل المؤن والذخائر لنقل جيشه وسيره في محاذاته أينما حلَّ؛ ولذلك لما دعا داعي الحرب سار «تحتمس» في الحال بجيشه إلى سهول بلاد نهرين في السنة الخامسة والثلاثين على رأس حملته العاشرة المظفرة، فقابل العدو في مكانٍ يُدعَى «إرينا»، ويحتمل أنه في أسفل بلاد نهر العاصي، وانتصر عليهم جلالته وسقط الأعداء الواحد فوق الآخَر أمام جلالته، وبذلك انقصم عرى اتحاد بلاد نهرين وشتَّت شملهم جملة، واستولى على كل ما كان لهم من عدة وعتاد، حتى أصبحوا عاجزين عن أي مقاومة أخرى، بل ظلوا خاضعين تمام الخضوع لهذا الفرعون الجبَّار مدةً طويلةً.

نص المتن المصري

الحملة العاشرة سنة خمس وثلاثين من حكم تحتمس الثالث:[٤١] السنة الخامسة والثلاثون تأمَّلْ! كان جلالته في «زاهي» في حملته العاشرة المظفرة.

الانتصار على أمراء «نهرين» وحليفتهم أرينا: ولما وصل جلالته إلى بلدة «أرينا» تأمَّلْ؛ إن هذا العدو الخاسئ صاحب نهرينا قد جمع خيله ورجله ... من أطراف الأرض، وكانوا أكثر عددًا من رمال الشاطئ، وكانوا على استعداد لمحاربة جلالته، ومن ثَمَّ زحف جلالته لمنازلتهم، وقام جيش جلالته بهجمة فجدل العدو واستولى عليه وانتصر جلالته على هؤلاء الأجانب بقوة والده «آمون الذي منحه الشجاعة والنصر» ... نهرينا، وولوا الأدبار مجدلين على الأرض بعضهم فوق بعض أمام جلالته.

الأسلاب الحربية التي استولى عليها الفرعون: قائمة الأسلاب التي استولى عليها الملك نفسه من هؤلاء الأجانب أمراء «نهرين» ... دروع من الجلد الُمطعَّم بالجمشت، وقبعة من النحاس الُمطعَّم بالجمشت.

الأسلاب التي استولى عليها الجيش: قائمة بأسلاب جيش جلالته من هؤلاء الأجانب الخاسئين: عشرة أسرى، ومائة وثمانون جوادًا، وستون عربة ... خمسة عشر زردًا مرصَّعة بحجر الجمشت ... وخمس قبعات من النحاس المرصَّع بالجمشت، وخمس أقواس من صنع بلاد خارو.

جزية بلاد رتنو: جزية أمراء رتنو في هذا العام وهي: مائتان وستة وعشرون جوادًا، وعربة واحدة مصفحة بالذهب، وعشر عربات + س مصفحة بالذهب والفضة، وأوانٍ من الذهب ... وأربعة وثمانون إبريقًا من البخور، وتسعمائة وتسعة وثمانون إبريقًا من الزيت الحلو، وثلاثة آلاف وتسعمائة وتسع وتسعون زجاجة من الخمر.

تموين الثغور وخراج بلاد لبنان – حصاد بلاد زاهي: تأمَّلْ! كانت كل الثغور ممونَّة بكل شيء طريف حسب جزيتها التي كانت تُدفَع سنويًّا، هذا إلى جزية «لبنان» وحصاد «زاهي» من حبوب وبخور وزيت أخضر ونبيذ ...

---

[٤١] راجع: Urkunden IV, 707.

جزية بلاد آسيوية أخرى: (المتن هنا مهشم ولكن يحتمل أنه قياسًا على ما سبق يشير إلى قبرص وبلاد الخيتا) «... آنية من الذهب ... خشب ثاجو وكل الخضر الجميلة من هذه البلاد.»

جزية كوش وبلاد واوات: ... وسفن محمَّلة بكل شيء طريف (المتن هنا مهشم، ولم يَبْقَ منه إلا الجملة السابقة).

ومما يلحظ في أسلاب هذه الحملة والجزية التي يدفعها الأهلون أن الزيت والخمر وحصاد البلاد أخذ يتدفَّق على مصر بكثرة، كما أن الذهب كان يأتي إلى مصر في هيئة حلقات، ولا بد أنه كان يُستعمَل في الصناعة، كما نلحظ أن الزرد والدروع والأقواس كانت تأتي إلى مصر جزية أو أسلاب حرب، وأهم من ذلك كله أن «تحتمس الثالث» لم ينسَ قطُّ في أي حملة من حملاته التي ذكرناها أن يجعل المواني دائمًا على استعدادٍ تامٍّ، وذلك بفرض ضريبة خاصة لتموينها وإعدادها؛ إذ كانت في الواقع قوام المحافظة على جيشه أثناء إيغاله في الجهات النائية داخل آسيا، وكذلك نلحظ أن البلاد التي كانت ترسل ما فُرِض عليها من جزية كان لا ينقص عددها، بل ظلَّ آخِذًا في الازدياد.

(٥-٢٤) الحملتان الحادية عشرة والثانية عشرة

(٣٦، ٣٧ من سني حكم هذا الفرعون) لم تمدنا الآثار المكشوفة حتى الآن عن الحملة الحادية عشرة بأية معلومات قط،[٤٢] أما الحملة الثانية عشرة فلم يَبْقَ لنا منها إلا بعض أجزاء تحدِّثنا عن الجزية التي كانت تُدفَع لمصر سنويًّا، وقد ضاع الجزء الأول وبخاصة اسم الحملة والسنة التي سارت فيها، وكذلك جزية «رتنو» وتموين المواني الساحلية، وخراج «لبنان» وحصاد بلاد «زاهي»، ثم يذكر لنا متن مهشم جزية بلاد لم تُسَمَّ باسمها، ولم يَبْقَ فيها إلا بعض كلمات وهي: «معدن شاكر من إلفنتين، وكحل ... وحيوانات صغيرة، وخشب للإحراق.»

جزية بلاد كوش الخاسئة: «سبعون دبنًا من الذهب وقدات وس + ١٠ عبيد وإماء سود، س + ٢ من الثيران وعجول وس بقرات مجموعها ... هذا عدا السفن المحمَّلة

[٤٢] راجع: Urkunden IV, p. 714.

بالأبنوس والعاج، وكل الأشياء الطريفة من هذه الأرض، يضاف إلى ذلك حصاد هذه الأرض من البر.»

جزية واوات: «... دبنًا من الذهب، وأربعة وثلاثون من العبيد والإماء، وأربعة وتسعون من الثيران الكبيرة والعجول والفحول، هذا عد السفن المحمَّلة بكل طريف وحصاد «واوات» أيضًا.»

(٥-٢٥) الحملة الثالثة عشرة: السنة الثامنة والثلاثون

والظاهر أن تحتمس الثالث سار بجيشه إلى بلدة «يونجس» من أعمال سوريا؛ إذ على ما يظهر قد قامت ثورة بجوارها، وهذه البلدة هي إحدى المدن الثلاث الواقعة جنوبي «لبنان»، والتي أعطى كهنة «آمون» خراجها، وقد أخمدت نار الفتنة بسهولة، واستولى جيش الفرعون على خمسين أسيرًا، وكذلك استولى على أسلاب كثيرة كما سنرى في المتن.

المتن المصري

السنة الثامنة والثلاثون: تأمَّلْ! سار جلالته إلى بلاد «زاهي» في حملته الثالثة عشرة المظفرة، قد أخضع جلالته بلدة ... هذا إلى البلاد التي في إقليم نجس.

أسلاب الجيش من هذا الإقليم: قائمة الغنائم التي أحضرها جيش جلالتي من «نجس»: خمسون أسيرًا ... وخيلًا ... وعربات مصفحة بالذهب والفضة ومجهَّزة بأسلحتها، هذا إلى الذين استسلموا في إقليم «نجس» مع زوجاتهم وأولادهم.

جزية بلاد رتنو: قائمة الجزية التي أُحضِرت بقوة جلالتي في هذه السنة: «٣٢٨ جوادًا، وخمسمائة واثنان وعشرون عبدًا وقينة، وتسع عربات مصفحة بالذهب والفضة، و٦١ عربة ملوَّنة، فيكون المجموع ٧٠ عربة، هذا إلى قلائد من اللازورد الحقيقي ... وأواني «إكنا» ذات مقبضين، وثلاثة أطباق مفرطحة ورءوس ماعز، ورأس أسد، كلها من صناعة «زاهي» ... وألفان وثمانمائة وواحد وعشرون دبنًا وثلاث قدات من ... (؟)، ومائتان وست وسبعون قطعة من النحاس، وستة وعشرون قالبًا من القصدير، وستمائة وستة وخمسون قالبًا من «الكندر»، وألف وسبعمائة واثنان وخمسون آنية من الزيت الحلو،

والزيت الأخضر، وزيت «سفت»، ومائة وخمس وخمسون زجاجة نبيذ، واثنا عشر ثورًا … وألف ومائتان من الماشية الصغيرة، وستة وأربعون حمارًا وزرافة (؟)، وخمس أسنان فيلة، وموائد من العاج وخشب الخروب، وأحجار «منو» البيضاء زنتها ثمانية وستون دبنًا، وإحدى وأربعون درع حرب، وحراب من الشبه، ودروع وأقواس، وكل الأسلحة الحربية، وخشب حلو من هذه البلاد.» وكل الأشياء الطريفة من هذه البلاد.

تموين الثغور – جزية لبنان = حصاد بلاد زاهي: وقد مُوِّنت الثغور بكل شيء طريف على حسب ما ضرب لها سنويًّا في خلال سياحة السفن منها شمالًا وجنوبًا، وكذلك إتاوة «لبنان» حصاد بلاد «زاهي»، وهي: غلال، وزيت أخضر، وكندر، ونبيذ، وشهد.

جزية قبرص: الجزية التي يحملها أمير قبرص … قالب نحاس من بلاده … وجواد واحد.

جزية إقليم «إرخ»[٤٣] (الالاخ): «جزية أمير «إرخ» خمسة عبيد وجارية، وقطعتان من نحاس بلاد وخمسة وستون شجرة خروب، هذا إلى كل أنواع الخضر الحلوة من بلاده.»

غنائم حملة بلاد بنت: «الطرائف التي أحضرتها قوة جلالتي من بلاد «بنت» مائتان وأربعون «حقت» من البخور المجفف.»

جزية بلاد كوش الخاسئة: «١٠٠ + س دبنًا وست قدات من الذهب، وستة وثلاثون عبدًا وأمة من الزنوج، ومائتان وإحدى عشرة من البقرة والعجول، ومائة وخمسة وثمانون فحل بقر، مجموعها ثلاثمائة وستة من الأبقار والفحول، هذا إلى سفن محمَّلة بالعاج والأبنوس، وكل المحاصيل الجميلة من هذه البلاد، وكذلك حصاد هذه البلاد.»

جزية بلاد واوات: «ألفان وثمانمائة وثلاثة وأربعون دبنًا من الذهب، وست عشرة أمة وعبدًا من الزنوج، وسبعة وسبعون رأسًا من الثيران والعجول، هذا إلى سفن محمَّلة بكل الحاصلات الجميلة لهذه البلاد.»

---

[٤٣] أو إربخ (= الالاخ) في شمال سوريا كما يظن «جاردنر» (راجع: Gardiner “Onomastica”, Vol. II. p. 273).

ومما هو جدير بالذكر في هذه الحملة جزية بلاد جديدة لم تُذكَر من قبلُ، وهي «إرخ» (الالاخ)، وهي إقليم في بلاد آشور؛ غير أن أميرها على ما يظهر كان فقير الحال كما تدل ضآلة الهدية التي قدَّمها إلى الفرعون، وكذلك نشاهد أن الفرعون لم يغفل عن علاقته مع البلاد المجاورة له، فأرسل حملة إلى «بلاد بنت» عادت إلى مصر محمَّلة سفنها بطرائفها المعتادة وهي البخور (عنتي).

على أن أهم شيء يلفت النظر هو ما نشاهده من زيادة الضرائب التي كانت تُجبَى للمواني التي اتخذها قاعدةً حربيةً للمحافظة على أملاكه الآسيوية، فكانت هذه الثغور محطًّا لتموين السفن الداخلة إليها والخارجة منها؛ ولذلك كان ما يُجبَى لها يُؤخَذ من بلاد «لبنان» وبلاد «زاهي» ممَّا تنتجه من حبوب وزيت وكندر وشهد. وكذلك يُلاحَظ أن ما يُجبَى من بلاد النوبة وبلاد «كوش» وبلاد «واوات» من الذهب والماشية أصبح مقداره عظيمًا جدًّا، كما تدل على ذلك الأرقام التي جاءت في القوائم، ويُحتمَل أن هذا الذهب كان يُستخرَج من «وادي علاقي» الشهير بتبره الغزير.

(٥-٢٦) الحملة الرابعة عشرة في السنة التاسعة والثلاثين والغرض منها

يظهر أن أول غرض للفرعون من هذه الحملة كان تأديب البدو الذين يقطنون الشمال الشرقي من الأقاليم الواقعة على الحدود المصرية؛ وذلك لأنهم كانوا دائمًا في حاجة إلى تذكيرهم بوجود يد قوية تكبح جماحهم، وتحدُّ من غربهم حينما يثور ثائرهم، وتطيش أطماعهم، غير أن «تحتمس» بعظمته قد مرَّ على حادث إخضاعهم مر الكرام، فلم يدوِّن لنا كاتب يومياته أيَّ تفصيل، فبعد أن ذكر لنا عرضًا أن جلالته كان في بلاد «رتنو»، وبعد أن ذهب لإخضاع البدو الخاسئين (شاسو)، أخذ يعدِّد لنا ما تدفَّقَ على البلاد المصرية من خراج البلاد التي كانت تدين بطاعته، كما سنوردها هنا.

المتن المصري

السنة التاسعة والثلاثون: لقد كان جلالته في بلاد رتنو في حملته الرابعة عشرة المظفرة بعد أن ذهب لإخضاع البدو الخاسئين.

جزية بلاد رتنو: قائمة جزية أمراء «رتنو» في هذا العام: مائة وسبعة وتسعون من العبيد والإماء، ومائتان وتسعة وتسعون من الجياد، وطبقان من

الذهب، وحلقات منه أيضًا زنتها اثنا عشر دبنًا وقدتًا ... وثلاثون دبنًا من اللازورد الحقيقي، وطبق من الفضة، وكذلك س حقات من الفضة، وإبريق ذو مقبضين، وإناء برأس ثور، وثلاثمائة وخمس وعشرون آنية من الفضة، وكذلك حلقات من الفضة زنتها ألف وأربعمائة وخمس وتسعون دبنًا وقدتًا واحدًا (يعادل ٣٣٤,٤٣ رطلًا)، هذا إلى عربة مغشاة بالذهب والفضة ... صنعت من حجر أبيض ثمين وحجر متو الأبيض، وكل الأحجار الغالية المختلفة من هذه البلاد، وكندر، وزيت حلو، وزيت أخضر، وزيت «سفت»، وشهد؛ هذا إلى ثلاثمائة وأربعة وستين إناءً، وألف وأربعمائة وأربعة من قدور «منو» مملوءة بالنبيذ، وأربعة وثمانين فحلًا، وألف ومائة وثلاثة وثمانين من الماشية الصغيرة ... وجمشت ... وكل أنواع الفاكهة الحلوة من هذه البلاد، هذا عدا كل المحاصيل الجميلة التي تنتجها هذه البلاد.

تموين الثغور – جزية بلاد لبنان – محصول بلاد «زاهي»: كانت كل الثغور مموَّنة بكل طريف كما كان مفروضًا لها من الجزية لأجل السفن المنحدرة شمالًا والصاعدة إلى الجنوب، وكذلك جزية بلاد «لبنان»، ومحصول بلاد «زاهي» من برنقي وكندر وزيت أخضر ونبيذ.

جزية بلاد آسيوية أخرى: (المتن مهشم).

جزية قبرص: جزية أمير قبرص (إسي): «سنا فيلين، وأربعون قالبًا من النحاس، وقالبًا من ... القصدير ...»

جزية بلاد أجنبية أخرى: جزية أمير ... (المتن مهشم).

جزية بلاد كوش: «جزية بلاد كوش الخاسئة في هذا العام: ١٤٤ دبنًا وثلاث قدات من الذهب، ومائة وواحد من العبيد والإماء الزنوج، وأبقار وعجول، وفحول بقر ... المجموع ... هذا عدا سفن محمَّلة بكل شيء طريف من هذه البلاد، ومحصول بلاد «كوش» الخاسئة أيضًا.»

جزية بلاد واوات: «جزية بلاد «واوات» هذا العام ... دبنًا من الذهب و... من العبيد والإماء ... وثيران وعجول عددها خمسة وثلاثون، وأربعة وخمسون فحلًا، مجموعهما الكلي تسعة وثمانون من الماشية، هذا عدا سفن محمَّلة بكل طريف من هذه البلاد ومحاصيلها أيضًا.»

وممَّا يلفت النظر في قوائم هذه الجزية التي دُوِّنت في هذا العام، أنه لم يذكر بينها بلاد «نهرين» وبلاد آشور وغيرها من البلاد التي تقع على مقربة من نهر الفرات، ربما تكونان قد ذُكِرتا في المتنين المهشمين.

(٥-٢٧) الحملة الخامسة عشرة: السنة الأربعون

الظاهر أن «تحتمس الثالث» لم يَقُمْ بحروب في هذه الحملة، وكل ما ذكره لنا المؤرِّخ المصري هو الجزية التي جُبِيت من الأراضي التي كانت تحت سلطان الفرعون، إذا كان ما ذكره الأستاذ «زيته» حقًّا؛ والواقع أنه لم يَبْقَ من بداية النقش ما نستنير به.[٤٤]

ويُخَيَّل لنا أن الفرعون لم يَقُمْ بأي غزو في السنتين الأربعين والحادية والأربعين، بل كانت تأتي الجزية إليه دون قيامه بأية حروب، مما يدل طبعًا على استتباب الأمن، وقد أورد لنا الأستاذ «زيته» تحت حوادث السنة الأربعين ما يأتي:

(السنة الأربعون) تأمَّلْ! ذهب جلالته إلى بلاد ... في حملته المظفرة.

قائمة جزية أمير «آشور» وأمراء «رتنو» في هذا العام: (راجع خراج السنة الرابعة والعشرين) (Urk. IV. p. 726).

وهاك قائمة الجزية التي أُرسِلت إلى مصر من البلاد الخاضعة في السنة الحادية والأربعين:

قائمة جزية بلاد رتنو: «قائمة جزية أمراء رتنو التي أُحضِرت بقوة جلالته في السنة الحادية والأربعين ...: أربعون قالبًا من القصدير، وجمشت لتزيين الدروع، وسيوف «أقحو» (بلطة)، وحراب مرصَّعة بالجمشت ... من هذه البلاد، وثماني عشرة سنًّا من أسنان الفيلة، و٢٤١ شجرة خروب، و١٨٤ ثورًا، و... ماشية صغيرة ...»

تموين الثغور – محصول «زاهي»: تأمَّلْ! كانت الثغور مموَّنة بكل شيء طريف كالمعتاد في كل سنة، هذا إلى محصول «زاهي» كذلك من بر وكندر.

[٤٤] راجع: Urkunden IV, p. 726.

الجزية من بلاد «خيتا» العظيمة: «جزية أمير «الخيتا» هذا العام … ذهب … وفضة …»

جزية بلاد كوش الخاسئة هذا العام: «١٩٥ دبنًا وقدتان من الذهب، ومن العبيد والإماء الزنوج ثمانٍ، هذا إلى ثلاثة عشر عبدًا زنجيًّا جيء بهم ليكونوا خدمًا، مجموعهم واحد وعشرون نسمة، و… ثيران وعجول و… فحول بقر مجموعها … هذا إلى سفن محمَّلة بالعاج والأبنوس وكل شيء طريف من هذه البلاد، وكذلك محصول بلاد «كوش» الخاسئة.»

جزية بلاد «واوات»: «ثلاثة آلاف ومائة وأربعة وأربعون وثلاث قدات من الذهب، وخمسة وثلاثون ثورًا وعجلًا، وتسعة وسبعون فحل بقر، مجموعها مائة وأربعة عشر، هذا إلى سفن محمَّلة بسن الفيل وخشب الأبنوس وكل شيء طريف، وكذلك حصاد بلاد «واوات».»

وأهم ما يسترعي النظر في هذه الجزية مقدارُ الذهب الذي كان ينهال على مصر من هذه الأصقاع، وبخاصة من بلاد «واوات»، هذا إلى استمرار إرسال العبيد والإماء من بلاد «كوش»، وكذلك العاج والأبنوس، والواقع أنها لا تزال المواد الرئيسة في التجارة بين مصر والسودان، اللهم إلا الرقيق، وقد بطل الاتجار فيه منذ زمن قريب.

(٥-٢٨) الحملة السادسة عشرة والأخيرة عام ٤٢ والغرض منها

تدل كل الأحوال على أن ملك «قادش» كان لا يزال مصرًّا على عناده وتمسُّكه بقوميته واستقلاله، فلم يعترف يومًا بالسيادة المصرية على بلاده؛ ولذلك كان دائمًا يتحين الفرص ليثير الأمراء المجاورين له ويحرِّضهم على العصيان، والقيام يدًا واحدة بثورة للخلاص من عبء النير المصري، وقد أفلح فعلًا في اجتذاب ملك «المتني» وإقليم «تونب» إلى جانبه، فأعلنوا العصيان على مصر، ولما علم «تحتمس» بهذا الحلف، سار بأسطوله إلى شواطئ فينيقيا، ونزل في ميناء «سميرا» وهاجَمَ ميناء «عروقات» فاستولى عليها عنوةً، ومن ثَمَّ زحف مباشَرةً على «تونب» (بعلبك؟) على مقربة من قادش ونهر العاصي، ونذكر هنا أن أميرًا من أمراء هذه البلدة كان قد دافَعَ عن بلدة «وارثت» في خلال الحملة الخامسة التي قام بها هذا الفرعون.

على أن النقوش لم تقدِّم لنا أية تفاصيل عن الاستيلاء على «تونب»، وعلى أية حال فإنه بعد سقوطها بدأ الفرعون حصار قادش، وتفاصيل حصار هذه البلدة قد يكون

مجهولًا لنا لولا ما قصَّه علينا «أمنمحاب»، والظاهر أن الفرعون لم يهاجم المدينة إلا بعد فصل جني الحصاد، ولم يجد كبير عناء في الاستيلاء عليها، وذلك أن العدو كما يقصُّ علينا «أمنمحاب» تفاديًا لمحاصرة المدينة اشتبك في موقعة مع الفرعون خارجها، وفي هذه الموقعة لجأ ملك «قادش» إلى حيلة ساذجة ظنًّا منه أنه ربما استطاع بها تشتيت شمل الجيش المصري والتغلُّب عليه؛ ذلك أنه أطلق العنان لفرس أمام جياد عربة الفرعون ظنًّا منه أنها تهيج الجياد وتجعلها غير صالحة للقتال، وبذلك ينشر الذعر والارتباك في صفوف الجيش المصري، ولكن «أمنمحاب» لما رأى ذلك فطن للحيلة التي دبَّرها العدو، وقفز من عربته في الحال والسيف في يده، وانطلق خلف الفرس وشقَّ بطنها وقطع ذيلها وحمله للفرعون.

فلما رأى الأعداء أن حيلتهم قد انفضح أمرها، لاذوا بالفرار إلى داخل المدينة واحتموا وراء جدرانها، وقد أمر الفرعون بعمل نقب في سورها، وهنا نجد أن «أمنمحاب» يُظهِر شجاعته ثانيةً ويفخر بأنه هو الذي اخترق جدران هذه المدينة الحصينة، وقد سلمت بعد أن أُسِر أمراء «نهرين» الذين اشتركوا مع ملك «قادش» في هذه الحروب؛ ولذلك لم يَرَ الفرعون ضرورةً للسير شمالًا، ولا غرابة إذ قررنا هنا أن سقوط «قادش» قد سحق آخِر قوة للهكسوس الذين أحاقوا بالبلاد المصرية أكبر مصيبة، وبذلك اختفت آثارهم جملةً، وكانت لا تزال عالقة بالأذهان في البلاد المصرية؛ وقد برهنت الكشوف الحديثة على أن ما رواه كتَّاب اليونان في هذا الصدد صحيح، «وهو أن «تحتمس الثالث» هو الفرعون الذي قضى على قوة الهكسوس، الذين التجئوا إلى آسيا بعد أن طردهم أسلافه من مصر وقضوا عليهم قضاءً مبرمًا»، كما تحدَّثنا عن ذلك من قبلُ.

المتن المصري

السنة الثانية والأربعون: تأمَّلْ! كان جلالته في بلاد «زاهي» في حملته السادسة عشرة المظفرة لقمع الثورة التي كانت في أراضي «الفنخو». تأمَّلْ! كان جلالته على طريق الساحل لإخضاع بلدة «عرقت»، وكذلك البلاد الواقعة في إقليمها … ثم زحف حتى … (اسم بلد مهشم) فأخضع هذه المدينة وإقليمها.

التغلُّب على تونب (بعلبك؟): ثم زحف إلى تونب، وقهر المدينة وحصد غلاتها، واجتثَّ أشجارها.

الغنائم من هذه المدينة: ... تأمَّلْ! الأسرى الذين أسلمتهم (هذه المدينة) إلى جلالته وما أحضره الجيش إليه.

العودة إلى قادش والتغلُّب على ثلاث مدن في إقليمها: تأمَّلْ! لقد عاد في سلام ووصل إلى إقليم «قادش» واستولى على ثلاث مدن فيه.

قائمة الغنائم التي استولى عليها منها

ممتلكات أمراء «نهرين» التي استولى عليها الفرعون من ثلاثة المدن: تأمَّلْ! لقد استولى جلالته على أهالي «نهرين» الخاسئين ومَن ساعَدَهم، وعلى خيلهم، وستمائة وواحد وتسعين أسيرًا، وتسع وعشرين يدًا، وستة وأربعين جوادًا ...

جزية بلاد رتنو: قائمة جزية أمراء بلاد رتنو هذا العام: ٢٩٥ عبدًا وقينة، وثمانية وستون جوادًا، وثلاثة أطباق من الذهب، وأطباق من الفضة، وأوانٍ من النحاس اللامع، هذا إلى حلقاتٍ من الفضة ... و٤٧ قالبًا من القصدير ١١٠٠ دبن من القصدير، وألوان، وخشب جوز، وكل الأحجار الجميلة من هذه البلاد، ودروع من النحاس مرصعة بالجمشت، وآلات حرب ... وكل فاكهة حلوة من هذه البلاد.

تموين الثغور ومحصول زاهي: وكانت كل الثغور مموَّنة بكل شيء طريف، كما هو المتبع في حساب كل سنة، وكذلك محصول هذه البلاد أيضًا.

جزية بلاد آسيوية أخرى (يحتمل أنها قبرص أو الخيتا): الجزية التي أحضرها أمير ... في هذه السنة ... فضة ... وكذلك أطباق ورءوس ثيران زنتها ٣٤١ دبنًا وقدتان، وثلاثة وثلاثون قدتًا من اللازورد الحقيقي، وعصًا جميلة من خشب «ثاوجو» ... قالب نحاس منها (من مناجم هذه الجهة) ...

جزية أمير «تني»: الجزية التي أحضرها أمير «تني»: آنية من الفضة من صنع «كفتو» (كريت؟)، وكذلك أوانٍ من حديد، وأربع أيدٍ من الفضة زنتها ستة وخمسون دبنًا وثلاث قدات.

جزية بلاد «كوش»: جزية بلاد كوش الخاسئة في هذه السنة: ... دبنًا من الذهب، و... عبيدًا وإماءً من الزنوج وثيرانًا وعجولًا، و... فحول بقر مجموعها

> ... هذا إلى سفن محمَّلة بكل شيء طريف من هذه البلاد، وكذلك حصاد بلاد كوش الخاسئة.
>
> **جزية «واوات»:** جزية واوات في هذه السنة ٢٣٧٤ دبنًا من الذهب وقدت واحدة، وعبيد وإماء من الزنوج ... وثيران وعجول ... وفحول بقر مجموعها ... هذا إلى سفن محمَّلة بالعاج والأبنوس، وكل شيء طريف من هذه البلاد، وكذلك حصاد بلاد «واوات».

وأهم ما يُرَى في جزية هذه السنة جزيةُ أمير «تيناي»، وقد ورد فيها لأول مرة ذكر الحديد، وكذلك الفضة من صنع «كفتيو»، وقد اختلف المؤرخون في موضع هذا الإقليم المسمَّى «كفتيو»، وقد كتب أخيرًا «وين رايت» مقالًا عنه، وقال إنه يقع في آسيا الصغرى على ساحل البحر الأبيض المتوسط (J. E. A. Vol. XVII, p. 26)، غير أن هذا الرأي واهٍ من أساسه كما سنذكر ذلك بعدُ.

وبعد أن انتهى «تحتمس الثالث» أو كاتبه بعبارة أخرى من تدوين حملاته على جدران معبد الكرنك، ختمها بالعبارة التالية: تأَمَّلْ! لقد أمر جلالته بتدوين الانتصارات التي أحرزها منذ عام ٢٣ من حكمه حتى العام الثاني والأربعين منه، وهو نفس العام الذي دُوِّنت فيه هذه النقوش على هذا المحراب لأجل أن يمنح الحياة مخلدًا.

(٥-٢٩) حروب تحتمس الثالث ونتائجها

هذه هي الحروب التي أمر «تحتمس الثالث» بتدوينها على جدران معبد الكرنك، وهي الحروب الخاصة بفتوحه في آسيا وحدها كما يرى القارئ، ولا نعلم أنه توجَّه إلى آسيا ثانيةً بعد هذا العام، هذا ولا نعرف له حروبًا أخرى قام بها إلا حملة واحدة إلى بلاد السودان في آخِر أيام حياته كما سيأتي.

والظاهر أن الحملات التي قام بها «تحتمس الثالث» على بلاد آسيا مرة بعد أخرى والقضاء على كل مقاومة وعصيان، وقد أعطت أمراء «سوريا» وبلاد «نهرين» درسًا عمليًّا في نهاية الأمر بأنه لا طائل من العصيان وبثِّ الثورة على هذا الفرعون الجبار؛ إذ قد علموا أنه مهما كانت سرعتهم في جمع شملهم وتحالفهم على «تحتمس» فإنه كان أسرع منهم، وأن أية مساعدة كانوا ينالونها من أولئك الأقوام الذين حقدوا على مصر، وأضمروا لها العداء لا تُجدِي، فإن تحتمس كان أعظم منهم خطرًا وأشد بأسًا، وأن أبعد هذه

الولايات من مقر حكمه كانت كأقربها إليه، ويمكنه أن ينقضَّ عليها في سرعة خاطفة بما اتخذه من استعداد، وما أوتيه من يقظة وانتباه، فقد جعل البحر خادمًا خاضعًا له يركبه وينقضُّ على عدوِّه من خلفه، في حين أنه كان يرقب هجومه من الأمام، وكذلك علم هؤلاء الأقوام أن «تحتمس الثالث» ذلك الجندي السريع الحركة القوي البطش لم يكن وحشًا كاسرًا محبًّا لسفك الدماء في ساحة الوغى، بل كان إنسانًا رحيمًا رقيق الطبع لم يَرُقْ في عينه — حتى في أشد المواقف — ذَبْحُ ألدِّ أعدائه إذا كان في استطاعته الخروج من هذا المأزق بأية وسيلة.

وقد كان من نتائج كلِّ ذلك أن أمضى «تحتمس» المدةَ الباقية من حياته دون أن يرى أيَّ ثورة في الأقاليم الآسيوية التي فتحها، ولم يكن أخلافه من بعده في حاجة إلى إشعال حروب مستمرة في تلك البقاع كالتي خاض غمارها «تحتمس الثالث»، بل كانت حروبهم لا تتعدى حملة أو حملتين، إذا ما دعا الأمر لتذكير أولئك الأقوام بقوة مصر الحربية وعظمتها، وقد بقي هذا الولاء، واستمر هذا الرعب من قوة مصر مدةً طويلةً؛ إذ قد عرف الولاة من حروبهم مع «تحتمس» أن مصر عدوة يُخشَى بأسها، وأن «تحتمس» في الوقت نفسه كان صديقًا يُعتمَد عليه، حتى إن أولئك الأقوام المغلوبين في آسيا قد زعموا أنهم سيجدون هذه الصفات في أخلافه، ممَّا جعلهم يطلبون يدَ المساعدة فيما بعدُ عندما تحرجت الأحوال في بلادهم، وانقضَّتِ الممالكُ المجاورة الفتِيَّة القوية على ولاياتهم، فكانوا يذكرون أيام سيادة «تحتمس» وقوة سلطانه ووفائه، وبعد انقضاء أربعة أجيال على وفاته لم يكن في مقدور أخلافه أن يحموا الأمراء التابعين لهم في بلاد نهرين من عسف الخيتا؛ ولذلك ذكر أولئك التعساء أيام بطل مصر الأكبر «تحتمس الثالث»، وما كان عليه من قوة وسلطان، فكتبوا إلى ملك مصر إذ ذاك قائلين: مَن ذا الذي كان يجسر على نهب «تونب» دون أن يفتك به «منخبريا» (لقب تحتمس الثالث باللغة الآشورية).

ولا نزاع في أن الرجل الذي استطاع أن يترك في نفوس القوم الذين فتح بلادهم منذ أربعة أجيال، مثل هذا الأثر بقوته وبأمانته الساهرة في المحافظة على وعده لهم بحمايتهم؛ لا بد أن يكون أعظم بكثيرٍ من رجل حرب وحسب، كما يصفه أحيانًا بعض مَن لم يدرس حياته درسًا دقيقًا، بل الواقع أن «تحتمس الثالث» كانت فيه كل صفات الرجولة الكاملة.

(٦) منشآت تحتمس الثالث الدينية

لم يغفل «تحتمس الثالث» أيام قيامه بالحروب الطاحنة التي شنَّها على أمراء آسيا عن إقامة المباني الضخمة لآلهته الذين منحوه النصر على أعدائه، بل على العكس كان يعتبر إقامة المباني لهم من أعظم الواجبات وأقدسها، وقد ذكرنا جانبًا منها، وبخاصة ما أقامه في معبد الكرنك للإله آمون والإله «بتاح»، وقد كان أكبر عون له على إقامة المباني الدينية، ما كانت تفيض به البلاد ممَّا كان يتدفَّق عليها من الذهب والفضة والمواد الأولية الأخرى، وبخاصة الأخشاب النادرة التي كانت تُجلَب إليها من آسيا وبلاد «الكوش»، هذا فضلًا عمَّا كان يُجلَب إليها من أوانٍ من صنع تلك الجهات.

(٦-١) مسلات تحتمس الثالث

وقد كانت إقامة المسلات الضخمة في عصر هذه الأسرة أهم ما يلفت النظر، حقًّا إنها لم تكن بدعةً محدثةً، بل كانت قد أُقيمت في عهد ملوك الأسرة الثانية عشرة وحتى في عهد الدولة القديمة، غير أن نحت المسلات الضخمة كان قد بطل استعماله، وربما كان سبب ذلك ما صارت إليه حالة البلاد من فقرٍ وما انتابها من اضطرابات داخلية، وظلت الحال كذلك حتى جاءت الأسرة الثامنة عشرة فأحيا ملوكها تلك العادة، فقطع «تحتمس الأول» مسلتين ضخمتين أُقيمتا في «معبد الكرنك»، ثم جاءت بعده الملكة «حتشبسوت» وأقامت أربع مسلات كما فصلنا القول في ذلك آنفًا، غير أن «تحتمس الثالث» قد ضرب الرقم القياسي في هذا المضمار، فأقام ما لا يقل عن سبع مسلات.

العيد الثلاثيني الأول

وقد كان المعتاد أن تقام هذه المسلات احتفالًا بعيد «سد»، وهو العيد الثلاثيني، أيْ في العام الثلاثين من إعلان ولي العهد ملكًا على البلاد، وقد احتفل «تحتمس الثالث» بعيده الثلاثيني ثلاث مرات، ولا بد أن أول هذه الأعياد كان في السنة الثلاثين من تنصيبه ملكًا؛ وذلك لأن إعلانه وارثًا على العرش قد وقع في نفس السنة التي تولَّى فيها عرش البلاد.

ونعلم من نقوش مهندس البناء «بو إم رع» الذي كان يعيش في عهد «حتشبسوت»، أنه قد كُلِّف بقطع مسلتين من محاجر «أسوان» لعيد «تحتمس» الثلاثيني الأول، وقد ترك لنا «بو إم رع» نقوشًا في مقبرته ومنظرًا نشاهده فيه وهو يتسلَّم تقاريرَ من ستة

من المشرفين على الأعمال، ويُرَى خلفهم مسلتان، وقد كتب فوق صورته ما يأتي: «فحص الآثار الضخمة العظيمة التي أقامها ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» لوالده «آمون» في الكرنك من الذهب والفضة، وكل حجر ثمين غالٍ، بوساطة الأمير الوراثي والحاكم والد الإله «بوام رع».»[٤٥]

أما النقوش التي على المسلتين فهي: إن «تحتمس الثالث» قد أقامها أثرًا لوالده «آمون» ليمنحه الحياة مخلدًا، ويُحتمل أن المسلتين اللتين يتحدَّث عنهما «بو إم رع» هما اللتان كانتا منصوبتين أمام «البوابة» السابعة في الجهة الجنوبية من الكرنك، ومن القطعة الباقية من المسلة الشرقية أمكن «أنجلباخ» مهندس البناء أن يستخلص أن طولها يتراوح بين ٩٥–١٠٥ أقدام، أيْ إن المسلتين كانتا أطول من مسلتي «حتشبسوت» اللتين كان يبلغ طول الواحدة منهما ٩٧,٥ قدمًا، ويحتمل أنهما كانتا تماثلان مسلة «اللاتران» القائمة الآن في روما، ويبلغ ارتفاعهما ١٠٥,٥ أقدام، وتُعَدُّ أطول مسلة موجودة الآن، وقد كُشِف حديثًا عن بقايا المسلة الغربية كما كُشِف عن أساسها. وفي عيد «تحتمس الثالث» الثلاثيني الثاني، كلَّفَ مهندسًا ثانيًا أن يقطع مسلتين لإقامتهما احتفالًا بهذا العيد، ويحتمل أن «منخبر رع سنب» السالف الذكر هو الذي قام بهذه المهمة، ويوجد بجانب محراب معبد الكرنك منظر يُشاهَد فيه «تحتمس الثالث» يقدِّم سلات للإله آمون وعدة هدايا، ومن بينها مسلتان يُحتمل أنهما هما اللتان كلف «منخبر رع سنب» قطعهما وإعدادهما، ونجد على واحدة منهما النقش التالي: «لقد أقامه أثرًا لوالده «آمون» رب طيبة، فنصب له مسلتين عظيمتين شامختين من الجرانيت، قمتهما من السام عند (بوابة) المعبد المزدوجة.» ويشير «منخبر رع سنب» إلى عمله في إقامة هاتين المسلتين بما يأتي: «كنتُ أفتِّش عندما كان جلالته يقيم مسلاتٍ وأعلامًا عدة لوالده «آمون»، وقد أدخلت السرور على جلالته عندما كنتُ أقيم آثاره.»[٤٦]

مسلة القسطنطينية

ومن المحتمل أن واحدة من هاتين المسلتين أو جزءًا من واحدة منهما هو القائم الآن في القسطنطينية، وهي التي نقلها الإمبراطور «ثيودورس»، والواقع أن الموجود في

[٤٥] راجع: Breasted, A. R. II. § 624.

[٤٦] راجع: Urkunden IV, p. 933.

القسطنطينية الآن وهو الجزء الأعلى من مسلة كانت في الأصل أطول بكثيرٍ من آية مسلة موجودة الآن، غير أنه لا يمكن الجزم بأنها إحدى هاتين المسلتين اللتين كلف إقامتهما «منخبر رع سنب» أولًا، والنقوش التي على هذه المسلة من الأهمية بمكان؛ إذ يمكننا أن نحدِّد بها على وجه عام تاريخَ إقامتها، فاستمع إليها:

> رب النصر وغال كل البلاد، والذي جعل حدوده تصل إلى قرون الأرض ومياه نهرين بقوة وظفر على رأس جيشه.

ولما كان «تحتمس» قد عبر نهر الفرات بعد عيده الثلاثيني الأول، فلا بد أن هاتين المسلتين قد أُقِيمتا بعد هذا التاريخ، أيْ بعد الحملة الثامنة، ومن ثَمَّ نعلم أن المسلتين قد أُقِيمتا في عيده الثلاثيني الثاني، والنقوش التي على مسلة «القسطنطينية» هي:

> **على الواجهة الجنوبية:** ... تحتمس الثالث قد أقامها أثرًا لوالده «آمون رع» رب طيبة، أقام له مسلة عظيمة من الجرانيت الأحمر وقمتها من السام ليهبه الحياةَ مثل «رع» مخلدًا.
>
> **الواجهة الشمالية:** ... تحتمس الثالث الذي رباه «آمون» بمثابة طفل بين ذراعَيِ الإلهة «نبت» الأم المقدسة ليكون ملكًا، وهو الذي استولى على كل الأراضي طول الزمن: رب الأعياد.
>
> **الواجهة الشرقية:** ... تحتمس رب الظفر غال كل الأراضي، والذي جعل حدوده تمتد إلى كل قرون الأرض، والمستنقعات إلى نهرين ...
>
> **الواجهة الغربية:** ... «تحتمس الثالث» الذي عبر المنحنى العظيم لنهرين بالقوة والظفر على رأس جيشه، موقعًا مذبحة عظيمة بينهم.

هذا ونجد «تحتمس الثالث» قد أقام في آخِر أيامه على ما يظهر مسلةً واحدةً أمام «البوابة» الثامنة في الجهة الجنوبية من معبد «الكرنك»، وهذه المسلة يبلغ ارتفاعها ١٠٥٫٥ أقدام، وقد أتى بها من أسوان بعد حفر نقوشها وإعدادها، وقد كان «تحتمس الثالث» يفخر بهذه المسلة على وجه خاص؛ لأنها تُعَدُّ المثال الوحيد لإقامة مسلة منفردة لا اثنتين، كما كانت العادة المتَّبَعة، وها هو ذا يقول:

الواجهة الجنوبية: لقد أقامها بمثابة أثر لوالده «آمون رع» رب طيبة، فنصب له مسلة في الردهة الأمامية للمعبد قبالة «الكرنك» بمثابة المثال الأول لإقامة مسلة فرد في طيبة لأجل أن يمنح الحياة.[٤٧]

الواجهة الشمالية: ... تحتمس الثالث بن آمون من جسده، والتي حملته له الإلهة «موت» في «أشرو» (وهم اسم معبد الإله «موت» بالكرنك)، وأعضاؤه مثل أعضاء الذي صورها ابن الشمس «تحتمس» جميل الخلق، محبوب «آمون رع» رب طيبة، معطي الحياة مثل رع.

الواجهة الشرقية: ... تحتمس الثالث الغني بآثاره في بيت آمون الذي جعل آثاره أعظم من آثار أجداده الذين كانوا قبله، وهي تفوق كل ما سبق، ولا تشبه في أي شيء ما عُمِل في بيت والده آمون لأجل أن يعطي ابن رع تحتمس حاكم هليوبوليس الحياة بوساطته.

الواجهة الغربية: ... تحتمس الثالث الذي يمدح «آمون» عندما يشرق في «الكرنك»، وإنه يرسل آمون ليستريح في البيت المسمَّى «حامل التيجان»، في حين أن قلب آمون يكون فَرِحًا لآثار ابنه المحبوب المسمَّاة «البقاء في الملكية»، فاجعله يبقى ويكرِّر الاحتفال بملايين هذه الأعياد الثلاثينية، ابن الشمس «تحتمس» جميل الخلق معطي الحياة.

تحتمس الرابع يقيم مسلةَ جدِّه في مكانها

غير أن تحتمس الثالث قد عاجلته المنية قبل أن يرى هذه المسلة مُقامة أمامه؛ إذ قضى وهي لم تُنصَب بعدُ، وقد بقيت مهملة بعد موته نحو خمس وثلاثين سنة؛ لأن ابنه «أمنحتب الثاني» على ما يظهر لم يكن ميَّالًا لإتمام الآثار التي لم تكن قد تمَّتْ إقامتها في عهد والده، ولكن «تحتمس الرابع» كان يتَّصِف بأخلاقٍ تمتاز عن أخلاق سلفه؛ إذ كان يميل كلَّ الميل لإتمام وإصلاح الأعمال العظيمة التي عملت في الماضي، ولا أدل على ذلك ممَّا فعله لتمثال «بو الهول» من إزالة الرمال عنه، ونصب لوحة تذكارية أمامه دوَّنَ عليها ما قام به من جليل الأعمال لهذا الإله العظيم الذي كافأه بتنصيبه على عرش الملك كما سنرى

[٤٧] راجع: Breasted, A. R. Vol. II. § 626 ff.

بعدُ، ومن أجل ذلك اهتمَّ بنصب مسلة جدِّه في مكانها الأصلي، ودوَّنَ عليها نقوشًا طويلةً تدل على ورعه واحترامه لجده العظيم، وهي:[٤٨]

الواجهة الشمالية من اليمين: … تحتمس الرابع الذي يقبض بقوته مثل رب «طيبة» عظيم البأس مثل «منتو»، والذي جعله والده «آمون» مظفرًا على كل البلاد، والذي تأتي إليه البلاد المجهولة وخوفه في نفوسهم — ابن الشمس «تحتمس الرابع» الذي يضيء في التيجان محبوب «آمون»، ثور أمه، معطي الحياة.

الواجهة الشمالية من اليسار: ملك الوجه القبلي والوجه البحري، محبوب الآلهة ومَن يمدح عظمته تاسوع الآلهة، ومَن يرسل رع ليستريح في سفينة الشمس المسائية، والذي يمدح «آتون» في سفينة النهار، رب الأرضين «منخبرو رع» (تحتمس الرابع) الذي يجمل طيبة دائمًا، والذي يقيم آثارًا في الكرنك، وتاسوع آلهة بيت آمون مرتاحون لما فعله ابن آتون من جسده ووارثه على العرش «تحتمس الرابع» الذي يضيء بالتيجان محبوب «آمون رع».

الواجهة الجنوبية من اليسار: … تحتمس الرابع الذي أنجبه «رع» ومحبوب آمون لقد كان جلالته هو الذي جمل المسلة الفردية المتناهية في العظم، وهي التي كان قد أحضرها ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» (تحتمس الثالث)، وبعد أن وجد جلالته أن هذه المسلة بقيت مُلقاةً على جانبها خمسًا وثلاثين سنة في يد الصناع في الجهة الجنوبية من معبد الكرنك، أمر والدي بأن أنصبها له، أنا ابنه والمخلص له.

الواجهة الجنوبية من اليمين: ابن الشمس تحتمس الرابع، المضيء في التيجان، لقد أقامها في الكرنك، وصنع قمتها من السام حتى إن جمالها أصبح يشعُّ على طيبة، وقد نُحِتت باسم والده الإله الطيب «منخبر رع» (تحتمس الثالث)، وقد فعل ذلك ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «منخبرو رع» (تحتمس الرابع) محبوب «رع» في بيت «آمون» ليعطي الحياة بواسطته، ابن الشمس «تحتمس الرابع» الذي يضيء في التيجان.

---

[٤٨] راجع: Breasted, A. R. Vol. II. § 830.

الواجهة الغربية من اليمين: … تحتمس الرابع الذي انتخبه آمون أمام الشعب، والذي أنجبته له الإلهة «موت» التي يحبها أكثر من أي ملك، وعندما يرى جماله يُسَرُّ؛ لأنه وضعه تمامًا في قلبه، وهو الذي وضع الجنوبيين والشماليين تحت تصرُّفه، وجعلهم يقدمون الخضوع لاسمه، وقد أقامها بمثابة أثره لوالده «آمون رع» ناصبًا له مسلة عظيمة عند (البوابة) العليا للكرنك (أيْ مدخل الكرنك في الجهة الجنوبية، وهو الذي تؤدِّي إليه البوابات الأربع الجنوبية) قبالة طيبة؛ لأجل أن يعطي الحياة على يدَيْه ابن «رع» ومحبوبه «تحتمس الرابع» الذي يضيء في التيجان.

الواجهة الغربية من اليسار: … منخبرو رع (تحتمس الرابع) الابن الأكبر، النافع لَمَن أنجَبَه، والذي يفعل ما يسرُّ ربَّ الآلهة منذ أن عرف سمو تصميمه، وأنه هو الذي أرشده إلى الطريق الجميلة، والذي غل له قبائل الأقواس التسعة تحت قدمَيْه. تأمَّلْ! إن جلالته كان يَقِظًا في تجميل أثر والده، فقد كان الملك نفسه هو الذي يوجِّه العمل؛ لأنه كان ذكي الفؤاد مثل «الذي جنوبي جداره» (يقصد الإله «بتاح» إله الحِرَف والصناعات والجمال)، وقد أقامها في الوقت المحدَّد، وقد سرَّ قلب من صوره، ابن الشمس «تحتمس الرابع» الذي يضيء في التيجان.

الواجهة الشرقية من اليمين: الإله الطيب الشديد القوي، ملك يستولي بانتصاراته ويبثُّ ذعره بين الآسيويين، وزئيره بين البدو والنوبيين، وهو الذي ربَّاه والده آمون ليقوم بمهام الملك ثانيةً، في حين أن أمراء البلاد كلها يقدمون الخضوع لاسم جلالته، وهو الذي يتكلَّم بفمه، وينفِّذ بيدَيْه، وكل ما أمر به قد تمَّ، ملك الوجه القبلي «منخبرو رع» (تحتمس الرابع) صاحب الاسم الخالد في الكرنك معطي الحياة.

الواجهة الشرقية من اليسار: … منخبرو رع الذي ضاعَفَ الآثار في الكرنك من ذهب ولازورد وفيروزج، وكل حجر ثمين فاخر، والسفينة العظيمة لعيد ابتداء النهر المسمَّاة «وسرحات آمون» قد صُنِعت من خشب الأرز الجديد الذي قطعه جلالته من بلاد رتنو، وغشاها كلها بالذهب، وكل زخرفتها صُنِعت للمرة الأولى لأجل أن تستقبل جمال والده «آمون» عند سياحته في عيد «ابتداء النهر». ليت ابن «رع» تحتمس الرابع الذي يضيء في تيجانه يعطي الحياة على يديه.

(أ) تاريخ هذه المسلة

وهذه المسلة تُعَدُّ مثالًا فخمًا لما أخرجته يد المفتنين والمهندسين المصريين المَهَرَة، ويبلغ وزنها حوالي ٤٥٥ طنًّا، ولها تاريخ مُخجِل؛ ففي عام ٣٣٠ بعد الميلاد نقلها «قسطنطين» الأكبر عاهل الدولة الرومانية إلى الإسكندرية؛ رغبةً منه في إرسالها إلى بيزنطة لتجميل عاصمة ملكه الجديدة، ولكن بعد ٢٧ عامًا من هذا التاريخ، نقلها ابنه «قسطنطنيوس» إلى «روما»، وأقامها في ميدان «ماكسيماس»، وفي عام ١٥٨٧ بعد الميلاد كشف عنها ملقاةً ومكسورةً ثلاث قطع، فأصلحت ونصبت في المكان الذي هي فيه الآن، وهو ميدان «اللاتيران» عام ١٥٨٨ على يد «دومنيكو فونتانا»، بأمرٍ من البابا «سكتس الخامس» الذي كان يعتقد في قرارة نفسه أن أمره برفع الصليب على قمتها مشوهًا إياها برهانٌ على انتصار المسيحية على الوثنية، ومن المضحك أن نفس هذا التشويه قد نال تسع المسلات الأخرى المنتشرة في أنحاء روما، ويبلغ ارتفاع كل واحد منها حوالي تسع وعشرين قدمًا. وربما لا نكون مبالغين في مطلبنا إذا انتظرنا من أولي الأمر في «روما» — إذا كانوا يريدون المحافظة على تلك الآثار الرفيعة التي تدلُّ على عظمة القومية المصرية، والتي اختلست من أرضهم — أن يعيدوها إلى سيرتها الأولى التي كانت عليها بقدر المستطاع، ولعمر الحق إن تعاليم المسيح السامية لا تحتاج إلى مثل هذه الرفعة الوضيعة؛ لأن البعوضة قد تتسنم أعلى قمم الجبال وأشهقها وهي مع ذلك بعوضة.

تحتمس الثالث يقيم مسلتين في معبد عين شمس وتنقلان إلى الإسكندرية

وقد أقام هذا الفرعون احتفالًا بنفس العيد الثالث الثلاثيني الذي أقام من أجله المسلة السابقة الذكر؛ مسلتين أخريين بمعبد الشمس «بهليوبوليس»، ويربي طول الواحدة منهما على سبعين قدمًا، وقد نقلهما من مكانهما الأصلي مهندس إغريقي يُدعَى «بنتيوس» إلى الإسكندرية حوالي العام الثاني عشر ق.م، وفي خلال القرن الرابع عشر من الميلاد سقطت إحداهما من فوق قاعدتها، وقد نجَتْ بأعجوبة من التهشيم الذي أصاب زميلتها في «اللاتران».

إحداهما نُقِلت إلى «لندن»: وقد أهداها محمد علي باشا إلى الأمة الإنجليزية عام ١٨٣١، بعد أن كانت قد أُهدِيت لها مرات عدة من قبلُ، وقد بقيت بعد إهدائها ملقاةً على الأرض حتى عام ١٨٧٧، وهو العام الذي نُقِلت فيه إلى إنجلترا على يد «جون ويمان دكسون»، بالنيابة عن السير «أرزمس ولسن»، وقد أُقِيمت على شاطئ نهر التاميز. ومن العجب العجاب، أو من الجهل المخجل الفاضح أن يسمِّيها القوم هناك «مسلة كليوباترا».

الأخرى تُنقَل إلى نيويورك: وقد أرادت الولايات المتحدة أن تجاري إنجلترا في ذلك، فنقلت المسلة الثانية إلى «نيويورك»، وسمَّاها الأمريكيون «مسلة كليوباترا» أيضًا، وهي الآن قائمة في «سنترال بارك».

والنقوش التي على مسلة «لندن» ليست على أهمية عظمى، وأهم ما فيها نقش الإهداء:

> «تحتمس الثالث» قد أقامها تذكارًا لوالده «حوراختي»، الذي أقام له مسلتين في عيد «سد» الثالث «العيد الثلاثيني»؛ لأنه أَحَبَّ والده كثيرًا، ليت ابن الشمس تحتمس يعطي الحياة على يديك.

أما نقوش مسلة «نيويورك» فمطموسة ولا تُقرَأ، وبخاصة نقش الإهداء، والنقوش الأخرى هي:

> **الجانب الشرقي:** حور الثور القوي الذي يضيء في طيبة محبوب الإلهتين الباقي في الملك مثل «رع» في السماء، والذي أنجبه «آتوم» رب عين شمس من جسده، والذي سواه «تحوت»، وهما اللذان صوَّراه في البيت العظيم في جمال أعضائه، عالمين أنه سيدير شئون الملك؛ باقٍ إلى الأبد، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» (تحتمس الثالث)، محبوب آمون الإله العظيم، التاسوع المقدس معطي الحياة والثبات والسرور مثل «رع» مخلدًا.
>
> **الجانب الشمالي:** حور الذي أخذ التاج الأبيض المغتبط بضرب حكام الممالك التي تقترب منه، كما قرَّرَ والده «رع» له النصر على كل الأرض، وقوة السيف بساعده لأجل أن يمدَّ حدودَ مصر «ابن الشمس تحتمس».

(٦-٢) تعليق المؤرخين المحدثين على نقل المسلات من أماكنها الأصلية

وهكذا يرى القارئ أن بعض ما أقامه أعظم فرعون في مصر من الآثار قد نصبت كالأعلام في العالم المتمدين تطلُّ على ربوع «القسطنطينية» «فروما» «فلندن»، ثم «نيويورك»، في حين أن بلاد الآلهة التي أُهدِيت إليهم هذه الأعلام الشامخة لا تملك مسلة واحدة من بينها. حقًّا إن مصر موطن المسلات الأصلية لا تملك إلى خمسة أمثلة من أعظم منشآتها المعمارية، من بينها مسلة حقيرة قُطِعت من الحجر الخشن أقامها «سيتي الثاني»، في حين أن أعظم هذه المسلات شهرةً وأكثرها جمالًا منصوبةٌ الآن في ممالك متحضرة لا يعتني أهلها بها عنايةً تليق بها، لدرجة أنهم لا يسمونها بأسماء الملوك العظام الذين أقاموها، والواقع أنه ممَّا يسجل بالعار على المدنية الحديثة أن نشاهد هذه الآثار الفخمة التي تتحدث عن مجدٍ أثيل غابر، قد أخذت تفقد من روائها وجمالها، إلى درجة أن نقوشها قد أخذت كذلك تتلاشى ويضيع رونقها.

ويقول «أنجلباخ» مهندس البناء الإنجليزي: ماذا عساه يكون شعور «تحتمس الثالث» عندما أمر بقطع هذه المسلات للإله «رع»، لو أدرك أن واحدة منها ستُنقَل إلى أرضٍ لم يكن يحلم بوجودها في العالم، وأن الثانية ستقع في يد قومٍ كانوا وقتئذٍ شعبًا يهيم على وجهه في الأحراج؟ ومع ذلك فإن هذه المسلات بعد أن تقلبت عليها غير الزمن، وخيف عليها الغرق وأخطار القنابل، لا تزال باقيةً منتصبةً في مكانها بعد أن مضى على صنعها حقبةٌ من الزمن تربي على ٣٤٠٠ عام.

وكذلك يعلِّق على ذلك المؤرخ «ويجل» بقوله الصائب: وإذا كان غرور جيلٍ مضى من الإنجليز، قد استحلَّ لنفسه إقامةَ مسلة في بلادهم قُطِعت من أفخر حجر الجرانيت الأحمر، لا يمكن أن تحفظ قيمتها وما تنطوي عليه من معانٍ إلا إذا كانت قد بقيت في التربة التي نشأت فيها، كما أن جمالها كان في حفظ لونها الرشيق الأصلي، فإن أقل ما كان يمكن أن يقوم به أهالي «لندن» في أيامنا هذه من الاحترام والتقدير لهذا الجندي القديم، الذي لا بد أنه يحتدم غيظًا وحنقًا (يعني تحتمس الثالث)، هو أن يحافظوا على نظافة أثره الذي أقامه لعيده الثلاثيني المقدَّس، فيميطوا عنه ما لحق به من أذًى، وألَّا يسموه بالاسم المفجع الخاطئ «مسلة كليوباترا».

(٧) تحتمس الثالث والسودان

(٧-١) حملته إلى بلاد السودان في السنة الخمسين

يدلُّ ما وصل إلينا من النقوش على أن آخِر حملة حربية سار على رأسها «تحتمس الثالث» كانت إلى بلاد السودان في السنة الخمسين من حكمه؛ أيْ قبل الاحتفال بعيده الثلاثيني الثالث.

والظاهر أنه مكث في هذه الحملة مدة أكثر من المعتاد في تلك الجهات، ممَّا يدلُّ على أن الأمر على ما يظهر لم يكن هيِّنًا، فقد بقي «تحتمس الثالث» قرابة ثمانية أشهر في السودان، وما لدينا من الوثائق يدلُّ على اهتمام هذا الفرعون منذ بداية حكمه بشئونه وعلاقته به، وبخاصة من الوجهة الدينية، وقد أشرنا فيما سبق إلى أعماله الدينية في هذه الجهات، ولكن لما كانت علاقة مصر بالسودان لها خطرها في كل الأزمان، فإنَّا سنتناول هنا أعمالَه منذ حكمه الأول المنفرد حتى وفاته.

(٧-٢) إصلاح معبد سمنة

وقد كان أول عمل صالح قام به هذا الفرعون بعد توليته العرش على إثر وفاة والده، هو إصلاح محراب الفرعون «سنوسرت الثالث»، الذي كان قائمًا في معبد «سمنة» الواقع عند الشلال الثاني، والواقع أننا لم نعثر على شيء من بقايا المعبد الذي أقامه «سنوسرت الثالث» هناك قطُّ، اللهم إلا إذا كانت لوحة «سمنة» الثامنة جزءًا منه، وقد ثبتها «تحتمس الثالث» في جدار المعبد الجديد الذي أقامه، هذا إلى أنه دوَّن على الجدران الجديدة القوائمَ التي كان قد نقشها «سنوسرت الثالث» بأسماء الأعياد والقرابين.

تأليه سنوسرت الثالث

يضاف إلى ذلك أن هذا المعبد قد خُصِّص للإلهين «خنوم» و«يدون»، ولكن يُلاحَظ أن «تحتمس الثالث» قد أضاف إليهما إلهًا ثالثًا وهو «سنوسرت الثالث»؛ إذ كان مؤلهًا بوصفه بطلَ مصر الذي فتح بلاد النوبة، وثبت حدودها عند الشلال الثاني؛ وأقام هناك

لوحته الشهيرة،[٤٩] وهنا يلحظ من جانب «تحتمس الثالث» لفتة سامية تُشعِر باحترام أكبر فاتح للأسرة الثامنة عشرة، لأكبر فاتح في الأسرة الثانية عشرة، وتلك اللفتة لم نشاهدها بكلِّ أسف في الأسرة التاسعة عشرة التي كان دين ملوكها تخريب معابد مَن سبقهم حتى آبائهم، اللهم إلا «سيتي الأول»، فكان مُصلِحًا لا مخرِّبًا، وقد أتمَّ «تحتمس الثالث» هذا المعبد في السنة الثانية من حكمه، وتدل النقوش دلالةً صريحةً على أن «حتشبسوت» لم تشترك معه في الملك وقتئذٍ؛ إذ نشاهد في النقوش التي رسَمَها على جدران هذا المعبد لتجديد قربانه «سنوسرت الثالث» على عرشه، وأمامه يقف «تحتمس الثالث» وهاك النص:

السنة الثانية — الشهر الثاني — الفصل الثالث — اليوم السابع في عهد جلالة الملك «تحتمس الثالث» معطي الحياة.

مرسوم التجديد: ما نطق به جلالة الفرعون له الحياة والفلاح والعافية، لحامل الخاتم الملكي والسمير الوحيد وابن الملك وحاكم البلاد الجنوبية (توري (؟))، اجعل القرابين المقدَّسة تنقش، وهي التي أوقَفَها ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب القربان «خع كاورع» (سنوسرت الثالث) … في معبد والده الإله «ديدون» المهيمن على بلاد النوبة، والولد المنتقم، لأجل أن يقوم بأعمال ممتازة لوالده الذي أنجبه، وقربان الصيد حتى يذكر اسمه في بيت والده «خنوم» الغال لأقوام الأقواس التسعة، وظاهر الشاسو (البدو) حينما كان الفرعون «خع كاورع» (سنوسرت الثالث) بين الأحياء، وحينما كان حيًّا … الإله وقد جعل القرابين المقدَّسة تُقدَّم للآلهة، وكذلك قدم قربان جنازي للموتى من جلالته، وأنشئت قرابين جديدة أيضًا … في بيت والده «ديدون»، وَلْيذكر اسمه في بيت والده «خنوم» غال قبائل الأقواس التسعة، وقاهر الشاسو (البدو).

قائمة سنوسرت الثالث: يقدم برًّا من الجنوب وشوفانًا لهم (الآلهة) وماء «واوات» … لوالده «ديدون» المهيمن على بلاد النوبة، وقربانًا لعيد رأس الفصول، خمسة عشر حقتًا من بر الجنوب لأجل والده «آمون» المهيمن على بلاد النوبة، وكذلك خمس وأربعون وستمائة حقت، وعشرون حقتًا من الشوفان … لوالده «خنوم» غال قبائل الأقواس التسعة، وقربان عيد أول الفصول: خمسون

[٤٩] راجع: Weigall, “History”, Vol. II. p. 397.

حقتًا من بر الجنوب، وخمس وعشرون وأربعمائة من بر الجنوب، ومن الشوفان عشرون حقتًا كل سنة لوالده «خنوم» غال الأقواس التسعة، وثور من القطيع لصيد السنة الجديدة لأجل والده «ددون»، وثور … وثور من القطيع للعيد المسمَّى «طرد المتوحشين»، وهو الذي يقع في الشهر الرابع من الفصل الثاني في اليوم الواحد والعشرين، قربان عيد «أول الفصول»: خمسون حقتًا من بر الجنوب، واثنان ومائتا حقت من بر الجنوب أيضًا، وخمسة عشر حقتًا من الشوفان، وفي كل سنة لعيد «طرد المتوحشين» يقدم كتان ملكي، ٨ … لأجل العيد الذي يقع في أول الفصل الثالث (الشهر التاسع): ثور من القطيع لوالده «خنوم» غال قبائل الأقواس التسعة وقاهر «الشاسو»: ٦٢ حقتًا من بر الجنوب كل سنة لزوج الملك … حقتًا من بر الجنوب كل سنة لزوج الملك العظيمة «مرسجر» في عيد «طرد المتوحشين»: ١٣٥ حقتًا من بر الجنوب، و١٠ حقات من الشوفان؛ أما للفرعون «خع كاورع» (سنوسرت الثالث) فيقدم … وقد فرض جلالته هذه الأشياء على حكَّام قلاع إلفنتين الجنوب، وجعلها مستحقة كل عام على الدوام دون انقطاع.

الإهداء للإله «ددون» و«سنوسرت الثالث»

وكذلك يُشاهَد في داخل المعبد على الجدار الغربي قارب مقدس يحتوي على محراب فيه تمثال «سنوسرت الثالث»، ويرى خلفه «سنوسرت الثالث» والإله «ددون»، والإله يضم الملك، وهنا يخاطب الإله «ديدون» الملك «تحتمس الثالث» قائلًا: «يا بني المحبوب «منخبر رع»، ما أجمل هذا الأثر الحسن الذي أقمته لابني المحبوب ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خع كاورع» (سنوسرت الثالث)! لقد خلدت اسمه إلى الأبد لتبقى أنت مخلدًا.»

وعلى الجدار المقابل يشاهد منظر مماثِل للسابق يقول فيه الإله «ددون»:

> لقد جددت ولادته مرةً ثانية في الذكريات، ولقد قدمت له موائد قربان كثيرة من الفضة والذهب والبرنز والنحاس والأبنوس، ومكافأتك على ذلك هي الحياة الراضية مثل «رع» مخلدًا.

أما نقش الإهداء الكامل فيوجد على الجدار الخارجي من جهة الغرب وهو:

> الإله الطيب «منخبر رع» (تحتمس الثالث) لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «ديدون» المهيمن على بلاد النوبة، وللملك «خع كاورع» (سنوسرت الثالث)، فأقمت لهما معبدًا من حجر بلاد النوبة الأبيض، ولو أن جلالتي قد وجده من لبنات مهدمة، كما يفعل ابن على حسب رغبة والده الذي أهداه القطرين، والذي أحضره إلى «حور» رب هذه البلاد. ولقد قرَّرت في قلبي القدسي أن أقيم هذا الأثر لأجعله قويًّا على حسب ما أعطى … لأجل أن أخلد بنيه أبدًا؛ لأنه أعظم من أي إله، وقد منحني كلَّ الحياة والثبات والانشراح مثل «رع» مخلدًا.[٥٠]

وما سبق نرى أن «تحتمس الثالث» لم يَقُمْ بأي عمل عدائي في بلاد النوبة أو في السودان في المدة الأولى من حكمه، وقد ظلَّتِ الحال كذلك حتى السنة الخمسين من عهد هذا الفرعون كما أسلفنا، غير أننا لا نعرف إذا كان قد قام بغزو هناك أم لا؛ إذ إن ما وصل إلينا عن هذه الحملة مبهم، حيث نقرأ عندما كان الفرعون مارًّا في القناة التي عند الشلال الأول قد اضطر لتطهيرها من الأحجار التي سدتها، كما جاء ذكر ذلك في نقوشه التي تدل على أنه أمر بحفرها في تلك الفترة كما سنذكر هنا؛ وخلافًا لذلك نجد الفرعون قد خلَّدَ ذكرى انتصاراته على بلاد النوبة بما وجدناه منقوشًا على واجهة كلٍّ من برجي بوابة من بوابات الكرنك، فنجد قائمة بأسماء سبع عشرة مدينة وإقليمًا ممَّا استولى عليها في هذه الجهات،[٥١] وكذلك نجد على إحدى القوائم منظرًا مهشمًا الآن تهشيمًا شديدًا يمثِّل الملك يضحي بأعدائه النوبيين أمام الإله «آمون»، وقد فسر هذا المنظر بالمتن التالي: «إحضار الأسرى الأحياء إلى مصر، وقد سيقت كل قطعانهم معهم إلى مصر، ولقد ملأ مخزن والده رب الآلهة بـ … من الرؤساء الذين ظفر بهم، ولم يفعل الملوك مثل هذا من قبلُ في هذه الأرض، وسيبقى اسمه أبد الآبدين.»

---

[٥٠] راجع: Urkunden IV, 193–198.

[٥١] راجع: Daressy, “Rec. Trav.”, XI, p. 154.

هذا وتوجد قائمة أخرى أكثر عددًا من السالفة، نقشها الفرعون من صورتين على كلٍّ من برجي البوابة السادسة لمعبد الكرنك، وهذه القائمة تحتوي على سبعة عشر ومائة بلد وإقليم فتحها الفرعون، وقد رُسِم فوق إحدى هاتين القائمتين منظرٌ يُشاهَد فيه الإله «ديدون» إله بلاد النوبة، يقود الملك «تحتمس الثالث»، ويقدم له هذه البلاد، وفوق القائمتين نجد المتن التالي:

> قائمة بأسماء البلاد الجنوبية: بلاد النوبيين الذين هزمهم جلالته في مذبحة عظيمة لا يُحصَى عدد قتلاها، وقد ساق كل رعايا النوبيين أسرى أحياء إلى طيبة ليسر قلب والده «آمون رع» رب طيبة. تأمَّلْ! فإن كل الأراضي أصبحت رعايا جلالته كما أمر والده «آمون».

وكذلك نجد أن «تحتمس الثالث» دوَّنَ قائمةً أخرى على البوابة السابعة تحتوي عددًا عظيمًا جدًّا من أسماء البلاد والأقاليم، دوَّنَ منها الأستاذ «زيته» نحو ١٤٤ اسمًا،[٥٢] ويقول الأستاذ «برستد» إن هذه القائمة ربما كان يربي عددها على أربعمائة اسم،[٥٣] وممَّا يُؤسَف له جد الأسف أن معظم هذه الأسماء مجهول موقعه لنا حتى الآن، ممَّا عقد موضوع جغرافية بلاد السودان؛ ولذلك لا نستطيع أن نحدِّد على وجه التأكيد إلى أي حدٍّ وصل «تحتمس الثالث» في فتوحه في الأقاليم السودانية، ومن المؤكد أنه قد وصل في زحفه حتى «نباتا» عند الشلال الرابع على أقل تقدير؛ إذ قد عثر الأستاذ «ريزنر» على لوحةٍ له عند جبل «بركال» (أي الجبل المقدَّس)، غير أنه لم يتحدَّث فيها عن حروبه في السودان.[٥٤] وفضلًا عمَّا ذكرنا يوجد نقش قصير في مقبرة «إنني» يشير إلى أسرى وأسلاب من بلاد النوبة، وقد قال عنه «برستد» إنه من عهد «تحتمس الثالث»، غير أن الأستاذ «زيته» يقول إنه من عهد «تحتمس الأول»، وقد نشأ تضارب الرأيين من اختلاف كيفية قراءة طغراء الملك، والمرجَّح أنه من عهد «تحتمس الأول».[٥٥]

---

[٥٢] راجع: Urkunden IV, p. 801–806.

[٥٣] راجع: Breasted, A. R. II. § 259.

[٥٤] راجع: A. Z. LXIX. (1933) p. 24.

[٥٥] راجع: Breasted, A. R. II., § 259; Urkunden IV, p. 70.

نقوش القناة: وعندما قام «تحتمس الثالث» بحملته إلى بلاد النوبة في شتاء السنة الخمسين من حكمه، كان في سن الشيخوخة، والظاهر أنه لم يَعُدْ من حملته حتى فصل اعتدال الجو في مصر، أي في أبريل، والمفهوم أنه عندما بدأ الرحلة كان في فصل فيضان النيل، وهو الفصل الذي كانت تذهب فيه الحملات عادةً إلى بلاد السودان، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كان من اليسير على السفن أن تسير عبر الشلال في هذه الفترة، ولكن عند العودة كانت المياه منخفضة؛ ولذلك كان من المستحيل على السفن المرور في هذه الجنادل الصخرية الوعرة، وقد فطن ملوك مصر منذ الدولة القديمة لهذه الظاهرة، فاتخذوا لأنفسهم الحيطة، وشقوا قناةً لعبور سفنهم في العودة متفادين بذلك الشلالات، وقد تبعهم في ذلك ملوك الأسرة الثانية عشرة؛ إذ قد حفر «سنوسرت الثالث» قناةً هناك، ولكنها سُدَّت، وقد كراها «تحتمس الأول» واستعملها ثانيةً في حروبه، وقد وجد «تحتمس الثالث» أنها سُدَّت بالأحجار كرةً أخرى، فأمر بكريها لتعود منها سفن حملته، وقد ترك لنا وثيقةً تحدِّثنا عن عمله هذا، نُقِشت على صخرة في هذه الجهة بعينها، وهذا نصها: «في السنة الخمسين، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم الثاني والعشرون من حكم جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» (تحتمس الثالث) معطي الحياة، أمر جلالته بحفر هذه القناة بعد أن وجدها مسدودةً بالأحجار، لدرجة أنه لا يمكن لسفينة أن تسبح فيها، وقد انحدر في النيل عليها وقلبه منشرح؛ لأنه ذبح أعداءه، واسم هذه القناة هو «فتح هذا الطريق في جمال منخبر رع العائش مخلدًا»، وعلى صيَّادي «إلفنتين» كري هذه القناة سنويًّا.»

ومن ذلك نعلم أن «تحتمس الثالث» لا بد قد سار في حملته هذه لتأديب العصاة في السودان؛ إذ يقول إنه عاد بعد ذبح أعدائه، يضاف إلى ذلك الغنائم التي تركها على بوابات معبد الكرنك، غير أنه يحتمل أن تكون قوائم تقليدية كان الفراعنة يتوارثونها كما جرت العادة، ولكنَّا نشك كثيرًا في أن يأتي «تحتمس الثالث» مثل هذا العمل، وقد كان «نحي» حاكم السودان في عهده هو الذي قام له بإصلاحات عدة أُجرِيت في معبد «سمنة»، كما يشير إلى ذلك نقش مهشم.

(٨) الآثار التي خلفها تحتمس الثالث

(٨-١) حدود إمبراطورية تحتمس الثالث

دان العالم المتمدين لسطوة «تحتمس الثالث»، وعز سلطانه حتى صار قبل وفاته يسيطر على إمبراطورية تمتد من أعالي نهر دجلة والفرات شمالًا حتى مدينة نباتا عند الشلال الرابع جنوبًا، ولم يخف على فطنة «تحتمس» أن يحدِّد لأخلافه من بعده حدودَ إمبراطوريته، كما فعل «سنوسرت الثالث» عندما وضع لوحة الحدود الشهيرة عند «سمنة»؛ إذ إنه لما عبر نهر الفرات أقام لوحة تذكارية في الجهة الغربية من هذا النهر لتكون بمثابة آخِر نقطة وصلت إليها فتوحه في الشمال، غير أنه لم يكشف عنها حتى الآن مع الأسف، ولا نعلم ماذا دون عليها على وجه التحقيق، أما في الجنوب فقد حدَّد فتوحه كذلك بلوحة من الجرانيت أقامها عند جبل «بركال» على مقربة من مدينة «نباتا»، وهذه النقطة هي على ما يظهر آخِر ما وصل إليه الفتح المصري في كل عصور التاريخ القديم، وقد حدَّثنا فيها هذا الفرعون عن قوة سلطانه، وما أحرزه من انتصارات على الآسيويين، دون أن يشير إشارة صريحة إلى انتصاراته على بلاد «كوش»، ولا عجب إذن إذا كان «تحتمس الثالث» قد تغاضى قصدًا عن ذكر انتصاراته على السودانيين؛ تفاديًا من جرح شعورهم أو التنديد بهم في عقر دارهم، فهل يا ترى قد تغافَلَ «تحتمس الثالث» في اللوحة التي أقامها عند نهر الفرات عن ذكر انتصاراته على الآسيويين (؟)، وإذا كانت الأشياء تقاس بأشباهها فقد يكون ذلك ليس ببعيد على رجل ضرب الرقم القياسي على ما يظهر في ميدان الحرب والسياسة معًا، وبين هذين الأثرين؛ أي لوحة الفرات ولوحة جبل «بركال» تقع إمبراطورية «تحتمس الثالث» التي دانت له بحد السيف ومضاء العزيمة وحسن السياسة، وسنرى فيما يلي أن آثاره قد عمت كل جهات هذه الإمبراطورية، بدرجةٍ لم يسبق لها مثيل في عهد أي فرعون قبله؛ وسنتحدَّث عن هذه الآثار بشيء من اختصارٍ بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا، مبتدئين من بلاد «نهرين» شمالًا حتى «نباتا» جنوبًا.

آثاره في آسيا: أقام تحتمس لوحةً تذكاريةً عند أقصى حدود فتوحه الشمالية على نهر الفرات، بالقرب من مدينة «ني»[٥٦] التي تقع على مسافة أربعين ميلًا في الشمال الشرقي

[٥٦] يحتمل أنها «قلعة الموضيق» الخالية الواقعة على مسافة أربعين ميلًا في الشمال الغربي من «حماة».

من «حماة»، غير أننا لا نعرف ما جاء فيها حتى الآن. أما آثاره الأخرى في آسيا، فنعرف منها اللوحات التي تركها لنا في شبه جزيرة سينا؛[٥٧] إذ قد عُثِر له على لوحة في «سرابة الخادم» مؤرَّخة بالسنة الخامسة والعشرين، وقد رُسِم في أعلاها منظر يُشاهَد فيه الفرعون مقدمًا قربانًا للإلهة «حتحور»، ويلحظ أن أحد كبار موظفيه المسمَّى «تاي» يقبض بيده على مروحة خلف الفرعون، ويحمل الألقاب التالية: «الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل الخاتم، والسمير الوحيد، والمشرف على المالية — تاي»، ثم يأتي بعد ذلك مديح للفرعون، ونص الحملة الغرض منه هو استخراج المعادن من هذه الجهات.[٥٨]

وكذلك وجد له لوحة في هذه الجهة مؤرَّخة بالسنة السابعة والعشرين، يرى عليها الملك ثانيةً يقدِّم قربانًا للإلهة «حتحور» ربة هذه الجهة،[٥٩] وكذلك وُجِد جزء من بابٍ باسم هذا الفرعون بجوار هذه اللوحة، وفي «وادي مغارة» عُثِر له على نقوشٍ من عهده أيضًا مؤرَّخة بالسنة السادسة عشرة، وفي سرابة الخادم،[٦٠] وكذلك وُجِدت قطع من أوني الفخار المطلي عليها اسم «تحتمس الثالث» أيضًا.[٦١]

ننتقل بعد ذلك إلى التحدُّث عن آثار «تحتمس» في الدلتا، ففي بلدة كوم الحصن الحالية التي تقوم على أنقاض بلدة «آمو» القديمة، التي تقع في المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحري، يظهر أنه قد أقام فيها معبدًا، وقد بقيت بعض آثاره على الرغم من تهدُّم المعبد تهدُّمًا شاملًا، فقد عُثِر له على آنية من أثاث المعبد اشتراها «بتري» من القاهرة، وقد نقش عليها: «محبوب»، «حتحور»، «سيدة آمو»، وهذا الإناء موحد مع أسلوب الأواني التي عُثِر عليها في أساس معبد «قفط» الذي بناه هذا الفرعون (Petrie Collection).

[٥٧] قد وُجِد لهذا الفرعون في «سرابة الخادم» آثارٌ مؤرَّخة بالسنين الآتية: الخامسة، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة، والسابعة والعشرين (راجع: Gardiner and Peet, “Sinai”, p. 180, 196, 198). وكذلك ذُكِر اسمه في نفس المصدر من ١٨٨–٢٠٤، وله مبانٍ في الجهة (راجع: Petrie, “Researches in Sinai”, p. 79).

[٥٨] راجع: Urkunden IV, p. 886–889.

[٥٩] راجع: Petrie, “History”, II, p. 126.

[٦٠] راجع: Murray, “Handbook for Travellers in Egypt” (Ed. London 1880) p. 3.

[٦١] راجع: Birch, “Pottery” p. 56.

وفي «عين شمس» قام هذا الفرعون بأعمال عظيمة؛ فقد عثر «ليبسيوس» على لوحةٍ مستدير أعلاها، رُسِم عليها منظر يُشاهَد فيه «تحتمس الثالث» يقدِّم قربانًا للإله «حوراختي»، وأسفل هذا المنظر دُوِّن النقش التالي:

> السنة السابعة والأربعون من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» ابن الشمس «تحتمس الثالث» عاش مخلدًا! أمر جلالته بإحاطة هذا المعبد بجدار سميك من الحجر لأجل والده «حوراختي» الخلد، وذلك عندما نظف عين شمس (بيت رع) …[٦٢]

ويوجد في متحف القاهرة عمود باب نُقِش عليه إهداء من «تحتمس الثالث»، وهاك نصه: «لقد صنعه تذكارًا لوالده «آمون» رب عين شمس، فأقام له «بوابة» من حجر «بينوت» تُسمَّى «طاهرة قربان منخبر رع» محبوب آلهة عين شمس.»[٦٣] وفي «منف» أقام معبدًا للإله «بتاح» على حسب ما جاء في نقش في «سقارة»،[٦٤] وكذلك وُجِد له في «منف» لوحة من البرنز (راجع: A. S. III. p. 141)، وفي بلدة «غراب» الواقعة عند مدخل الفيوم أقام هذا الفرعون معبدًا ومدينة حوله عند نهاية سد الفيوم.[٦٥]

وعُثِر على «باب عتب» عليه اسمه موجود الآن في مدينة «أدليد»،[٦٦] وكذلك عُثِر على أحجار أخرى،[٦٧] نُقِش عليها اسم «تحتمس الثالث»، والمحو الذي على هذه الآثار يدلُّ على أن المعبد قد ظلَّ قائمًا حتى عهد «أخناتون»، أي إن اسم آمون كان يُمحَى كلما وُجِد على حجر من هذه الأحجار، والظاهر أن المعبد قد خُرب وأُزِيل من مكانه، وبُنِيت على أنقاضه المنازل، ولا شك في أن هذه المدينة قد خربت في عهد الغزو الأجنبي الذي حدث في عهد «مرنبتاح» ولم تَعُدْ تسكن بعدُ.

---

[٦٢] راجع: L. D. III. Pl. 29b.

[٦٣] راجع: Breasted, A. R. Vol. II. § 643; Sharpe, “Egyptian Inscriptions”, Vol. II. p. 34.

[٦٤] راجع: Petrie, “History” II, p. 403.

[٦٥] راجع: Petrie, “Illahun, Kahun and Gurob”, Pl. XXX.

[٦٦] راجع: Ibid. Pl. XXIV.

[٦٧] راجع: Petrie, “Kahun”. p. 32. Pl. 22.

وفي «البرشة» نُقِشت على الصخر لوحة مؤرَّخة بالسنة الثالثة والثلاثين من حكم «تحتمس الثالث»، وقد دُوِّن عليها دعاء بملايين أعياد ثلاثينية.[٦٨]

وفي «أخميم»[٦٩] نُقِش منظر على حجرة قطعت في الصخر، يُشاهَد فيه «تحتمس الثالث» يتعبَّد للإله «آمون مين»، وكذلك وُجِد له نقش في موقع المعبد القائم هناك.[٧٠]

وفي العرابة المدفونة عُثِر على تمثال ضخم جدًّا للإله «أوزير»، نُقِش على ظهره اسم هذا الفرعون.[٧١]

كما وُجِد له آثار معبد هناك أيضًا (راجع: Petrie, "Abydos" II. Pl. LVII)، وبوابة عليها اسمه وقربان ومواد أساس (راجع: Ibid. I, Pls. LXI, LXIV, Ibid. II. Pl. XXXII. & ibid II, Pl. XXXIV; ibid. I. Pl. LXI).

راجع: ("Ancient Egypt", 1915, p. 24; "Rec. Trav." XXXIV, p. 52)، وفي سمهود وُجِدت له جعارين (راجع: A. S. XII. p. 82).

وفي «دندرة» وُجِدت له نقوش في إحدى الحجرات السرية، تنصُّ على إصلاح الآثار على يد الفرعون رب الأرضين «منخبر رع»، وسيد التيجان «تحتمس الثالث»، على حسب ما وُجِد في الكتابات القديمة التي ترجع إلى عهد «خوفو»،[٧٢] ولا تزال توجد قطعة حجر من آثار «تحتمس الثالث» في معبد «دندرة»[٧٣] الحديث. وكذلك أهدى هذا الفرعون صاحات من الفيروزج طولها ١٦ أصبعًا، تُشاهَد صورتها في مباني المعبد الذي يرجع إلى عهد البطالمة.[٧٤]

وفي وادي الحمامات وُجِد نقش عليه اسم الفرعون؛ ممَّا يدل على أنه كان يرسل الحملات لقطع الأحجار من هناك.[٧٥]

[٦٨] راجع: L. D. III, Pl. 26f.

[٦٩] راجع: Ibid. Pl. 29d.

[٧٠] راجع: Murray, Ibid. p. 431.

[٧١] راجع: Mariette, "Abydos".

[٧٢] راجع: Dumichen, "Baugeschichte des Denderatempels und Beschreibung der einzel-nen Theile des Bau Werks nach den an seinen Mauern befindlichen Inschriften", I.

[٧٣] راجع: Dumichen, Ibid, Pl. III. d.

[٧٤] راجع: Ibid. Pl. 11, c.

[٧٥] راجع: Murray. "Guide", P, 326.

معبد قفط: أما في «قفط»[٧٦] فإنه بنى معبدها كله من جديد، وهذا المعبد كما هو معروف خاص بعبادة الإله «مين» إله هذه البلدة وإله الصحراء، وعلى الرغم من أن هذا المعبد أُعِيد بناؤه بعد «تحتمس» مرات عدة، فإن آثار هذا الفرعون قد بقيت إلى الآن؛ إذ عُثِر في أساسه على نماذج آلات ومجاديف وأوانٍ من المرمر، وكمية عظيمة من الفخار منقوش على أهمها اسم «تحتمس الثالث» محبوب «مين» صاحب «قفط»، وقد قُطعت أحجار هذا المعبد من الحجر الرملي المستخرج من محاجر «سلسلة»، بدلًا من الحجر الجيري الأبيض الذي كان يُستعمَل في بناء المعابد قبل هذا العهد، أما أعمدته فقد نُحِتت من الجرانيت الأحمر، ومثل عليها الملك يقدِّم القربان للإله «مين»، ومن المحتمل أنها استُعمِلت ثانيةً في معابد محدثة؛ إذ قد بقيت في متناول القوم حتى العهد المسيحي، فنقلت خرائب المعبد واستُعمِلت لإقامة الكنيسة القبطية الموجودة في هذه الجهة، ولم يَبْقَ منها إلا هذه الأعمدة.

وفي «طوخ» وُجِد له مبانٍ،[٧٧] وفي خرائب بلدة «بنت» (بلاص) المقابلة لبلدة «قفط»، على الضفة الثانية للنيل، وُجِدت قوالب من اللبن باسم هذا الفرعون وباسم ابنه «أمنحتب الثاني»؛ ممَّا يدل على أنهما هما اللذان أقاماها؛ هذا إلى أنه وُجِد حديثًا بعض قطع من الأساس، وكذلك قائمة باب من الحجر الرملي نُقِش عليها اسم «تحتمس الثالث».[٧٨]

أما في الكرنك فقد أقام «تحتمس الثالث» مباني فخمة أشرنا إلى معظمها فيما سلف.

معبد مدينة «هابو»: وفي مدينة «هابو» أتمَّ هذا الفرعون المعبدَ الذي كان قد بُدِئ في بنائه منذ عهد جده، وهو الذي بنى معظمه والده وزخرفه هو و«حتشبسوت»، وهذا المعبد لم يكن في ذلك الوقت إلا مبنًى صغيرًا، وفي نهاية الأسرة «الثامنة عشرة» أصلح من شأنه الفرعون «حور محب»، ثم «سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني عشر»، ثم أخيرًا الفرعون «پينوزم» (الأسرة الواحدة والعشرون)، وذلك على حسب ما ذكره كلٌّ منهم

[٧٦] راجع: Petrie, “Koptos”, Pl. XIII–XVI.

[٧٧] راجع: “Rec. Trav”. XVI. p. 44.

[٧٨] راجع: Petrie, “History”, II, p. 128.

على الجدار الأمامي للمعبد، وبعد ذلك جاء «طهراقا» (في الأسرة الخامسة والعشرين)، وأضاف للمعبد ردهةً أماميةً و«بوابة» مخترقًا بذلك حدود معبد «رعمسيس الثالث». وفي عهد الأسرة الثلاثين أُضِيفت ردهة أخرى أمام السابقة، ثم جاء «بطليموس العاشر» وأضاف بوابة أمام هذه الردهة الأخيرة، وأخيرًا أضاف الإمبراطور «أنطونيوس» ردهةً أمام كل ذلك.[٧٩]

أما في معبد الدير البحري فإن «تحتمس الثالث» أتمَّ بناءه بعد موت «حتشبسوت»؛ إذ يُلاحَظ في هذا المعبد باب بأكلمه قد نُقِش باسمه؛[٨٠] ممَّا يدل على أن المعبد لم يكن قد تمَّ في عهدها.

وفي معبد «الأسرة الحادية عشرة» الملاصق لمعبد «حتشبسوت» أقام «تحتمس الثالث» مقصورةً صغيرةً للبقرة المقدسة، التي كانت تُعَدُّ صورةً من صور الإلهة «حتحور» الموكلة بحماية هذه الأماكن الصحراوية، وقد وضع في هذه المقصورة تمثال بقرة، وقد مثل الفرعون نفسه يرضع اللبن المقدَّس من ثديها، والمقصورة والتمثال موجودان الآن بالمتحف المصري.[٨١]

وفي بلدة «طود» الواقعة جنوبي «طيبة» عُثِر على قطع من الحجر منحوتة، نُقِش عليها اسم هذا الفرعون،[٨٢] جاء فيها: «يعيش حور … ملك الوجه القبلي والبحري «منخبر رع» المختار من «رع» عمله بمثابة أثره لوالدته «نخبت» ربة «عفخ»، وقد أقامه لها معبدًا.»

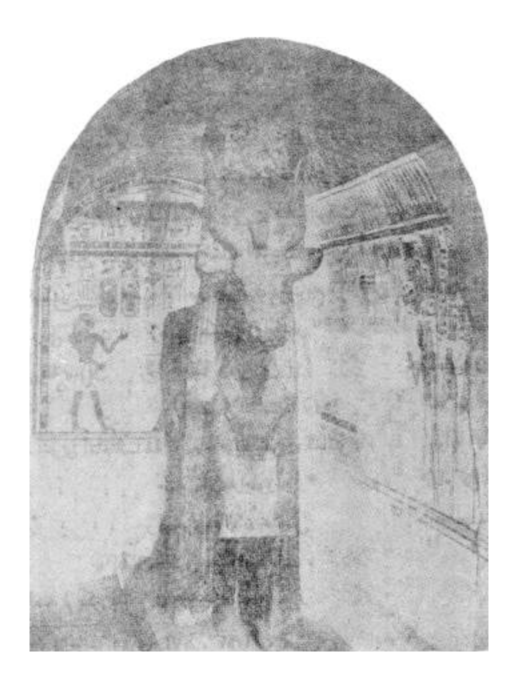
معبد تحتمس الثالث في أرمنت: أقام تحتمس الثالث في بلدة أرمنت معبدًا ضخمًا للإله «منتو»، يُعَدُّ من أكبر الآثار التي خلفها لنا هذا الفرعون بين مبانيه كلها، وقد عُثِر على بعض بقايا هذا المعبد من النصف الأول من القرن التاسع عشر، وبخاصة ما وجده «لبسبسويس» من قطعٍ منقوشة نُحِت عليها اسم هذا الفرعون (راجع: L. D. IV. Text. p. 1)، وكذلك نقل «الكونت سنت فريول» أثناء سياحته في شتاء ١٨٤١–١٨٤٣

[٧٩] راجع: L. D. III, Pls. 7, 27–8, 37–38.

[٨٠] راجع: Dumichen, “Historische Inschriften altægyptischer Denkmaler”, II, Pl. XXIV.

[٨١] راجع: Maspero, “Guide”, (1910) p. 125.

[٨٢] راجع: Wiedemann, “Geschichte”, p. 362.



شكل ٤: مقصورة البقرة حتحور.

ميلادية عدةَ قِطَع من معبد «أرمنت»، معظمها يرجع إلى عهد هذا الفرعون، وهي الآن محفوظة بمتحف «جرينوبل».[83]

الكشف عن المعبد: وقد كُشِف حديثًا[84] عن هذا المعبد كشفًا علميًّا في السنين الأخيرة، وتدل قِطَع الأساس والنقوش العدة ورسم بوابته على جدران مقبرة الكاهن «خنسو» في جبانة «شيخ عبد القرنة» رقم ٣١، وما عليها من نقوش، على أن هذا المعبد كان من معابد الدرجة الأولى التي أقامها هذا الفرعون، ولا غرابة في ذلك؛ فإن الإله «منتو» كان

[83] راجع: Tresson, "Catalogue Descriptif des Antiquities Egyptiennes de la Salle Saint Ferriol". (Grenoble, 1933).

[84] راجع: Mond & Meyer, "Temple of Armant" p. 25–27. & Pl. IX.

يُعَدُّ إله الحرب الأعظم بين الآلهة المصرية في كل عصور التاريخ، وثالوث «أرمنت» كان يتألف من الإله «منتو» والإلهة «إيونيت» ثم الإلهة «تننيت»، أيْ من ذكر وأنثيين، على غرار «ثالوث أسوان».

ولم يَبْقَ لنا قائمًا من جدران هذا المعبد إلا بعض جدران البوابة السفلية، وقد عُثِر على قِطَع عدة من الأحجار عليها اسم «تحتمس الثالث» أُعِيد بناؤها في المعبد البطليموسي. وعلى الرغم ممَّا أصاب المعبد من التخريب والتدمير، فإنه قد بقي لنا على جزء البوابة المحفوظة منظر من الأهمية بمكان عظيم، وهذا المنظر يمثِّل موكبًا على الواجهة الداخلية من الجناح الشرقي للبوابة في الجهة الشمالية … وهو يفسر لنا بالصور والنقوش نتيجة حملة مظفرة قام بها هذا الفرعون في بلاد النوبة، ويُحتمَل أنها نزهة للصيد والقنص قد عاد الفرعون منها بغنائم. وممَّا يلفت النظر أن الرسوم قد نُقِشت برشاقة ودقة بالغة، كما أنها رُسِمت بكل عناية ممَّا جعلها تحاكي الطبيعة، وقد اختلف علماء الآثار في العهد الذي تُنسَب إليه، غير أن كل شواهد الأحوال تدلُّ على أنها من عصر «تحتمس الثالث».

الموكب: وهذا الموكب يسترعي النظر في تفاصيله؛ ففي بدايته نشاهد حيوانًا ضخمًا تدلُّ كلُّ ملامحه على أنه بلا شك خرتيت (وحيد القرن)، غير أن تمثيل سيقانه لا يطابق الواقع. وتدل النقوش التفسيرية الخاصة بهذا الحيوان على أن صيده كان حدثًا جللًا في تاريخ الصيد والقنص عند المصريين القدامى، ففضلًا عن رسم هذا الحيوان على جدران المعبد وكيفية صيده، نلاحظ أن «تحتمس» الثالث قد أمر بنقش مقاييس أجزاء جسمه، عرفنا منها أن طول قرنه كان نحو ذراع وشبر، وارتفاع ساقه الأمامية خمسة أذرع ونصف، ومحيطه ثلاثة أذرع وخمسة أشبار، ومحيط قدمه الأمامي ذراعان وشبر، ومحيط بطنه ثلاثة عشر ذراعًا وشبران، وطول ساقه الخلفية — أي: المحيط بالقرب من العجز — خمسة أذرع وثلاثة أشبار، ويُلاحَظ أن بعض هذه المقاييس لا ينطبق على الواقع الآن بل فيه مبالغة، ولم يَبْقَ لنا من صور الرجال الذين كانوا يقبضون على هذا الحيوان إلا بعض أجزاء، غير أن رسمهم يدل على أنهم كانوا أقوياء. وبعد ذلك نشاهد في الموكب حاملي الجزية، وتشمل ريش نعام وبيض نعام وثيرانًا، وركائز من المعادن، وفطائر وقردة، هذا ونشاهد أسماء بعض البلاد التي استولى عليها الفرعون، وغير ذلك من المناظر المألوفة.

وقد كُتِب في نهاية الموكب النقش التالي: «الغنيمة التي استولى عليها الفرعون في صحراء أراضي بلاد «الكوش» الخاسئين، في خلال حملته الأولى المظفرة، عندما كان وحيدًا معتمدًا على ساعده القوي، ولم يكن معه شخص آخَر.» (وإذا[٨٥] كان الإنسان يقصُّ كلَّ حادث قام به هذا الفرعون على حدته، فإن ذلك يفوق المليون وعشرات الألوف، بل ويفوق رمال شاطئ البحر عددًا.)

والواقع أن هذا النقش لا يدل دلالة واضحة على شيء معين، اللهم إلا أن الفرعون قام بحملة مظفرة في بلاد النوبة لم يُحدَّد لنا تاريخها.

وقد عُثِر على بقايا تمثالي «بو الهول» بالقرب من بوابة المعبد السالفة الذكر، نُقِش على صدر كلٍّ منهما اسم الفرعون «تحتمس الثالث»، ومن المحتمل جدًّا أنهما ضمن تماثيل «بو الهول» التي كانت قد نصبت على كلا جانبي الطريق المؤدِّي إلى بوابة المعبد، كما نشاهد ذلك في معبد الدير البحري الذي أقامته «حتشبسوت».

على أن أهم أثر عُثِر عليه في هذا المعبد هو اللوحة العظيمة المنحوتة في الجرانيت الأحمر باسم هذا الفرعون، والظاهر أنها قد سقطت من مكانها الأصلي، وهو واجهة (البوابة)، وممَّا يُؤسَف له أنها قد وُجِدت مهشمة، وقد يكون ذلك عمدًا، وكان ارتفاعها الأصلي حوالي ٢٢٢ سنتيمترًا، وعرضها حوالي ١٢٤ سنتيمترًا، أما ارتفاع النقوش الباقية فهو نحو ٨٠ سنتيمترًا.

ويُشاهَد في أعلى اللوحة منظرٌ يحتوي على قرص الشمس المجنح، نُقِش تحته مباشرةً: «حور بحدت الإله الأعظم، ليته يعطي الحياة.» وأسفل هذا النقش منظران يفصلهما نقوش هي:[٨٦] «إني أعطيك ملايين السنين وأجعل الممالك كلها تخضع تحت نعليك، إني أعطيك كل الحياة والسعادة والصحة، وكل القوة والنصر.» ويُشاهَد في المنظر الذي على اليسار الفرعون ابن الشمس محبوب «تحتمس» رب الصدق، وهو لابس لباس الرأس «نمس» وقميصًا مجعدًا، يقف أمام الإله «منتو» الممثل برأس صقر وجسم إنسان، وخلف الفرعون نشاهد الإلهة «إيونيت» إحدى إلهات الثالوث الأرمنتي، وتلبس على رأسها قرص الشمس وقرنين، ومُمسِكة بيدها اليسرى الفرعون، وتحميه بيدها اليمنى، وخلفها نقش

[٨٥] ومعنى ذلك أن أعماله يخطئها العد.

[٨٦] وتدل قائمة الخراج على أن «أرمنت» و«إلفنتين» كانت تدفعان خراجًا أكثر من أي إقليم في الوجه القبلي.

ما يأتي: «إني أعطيك كل الحياة والسعادة والصحة والفلاح، وملك الأرضين تحت سلطتك باقيًا مخلدًا.»

أما المنظر الذي على اليمين فمشابه للسالف؛ إذ نشاهد الملك ثانيةً أمام الإله «منتو» رب «طيبة» بنفس الملابس، غير أن لقبه في هذه المرة مدوَّن فوقه وهو: «الإله الطيب رب المحافل «منخبر رع» معطي الحياة مخلدًا.» وخلفه نشاهد الإلهة «تننيت» رافعة يدها ولابسة تاج العقاب، والنقوش التي تتبعها هي نفس النقوش التي وُجِدت مع الإلهة «إيونيت»، وهاك ترجمة اللوحة:[٨٧] يعيش «حور» (الملك) الثور القوي المضيء في «طيبة» ملك الجنوب والشمال، صاحب الإلهتين، المتمكن في الملك مثل «رع» في السماء: حور وست صاحب التيجان المقدسة، شديد البأس، ملك الوجه القبلي والوجه البحري — رب الأرضين وسيد الاحتفالات «منخبر رع» — ابن الشمس من جسده؛ «تحتمس» أمير الصدق، محبوب الإله «منتو» رب «طيبة»، والقاطن في «أرمنت» العائش مخلدًا.[٨٨]

السنة الثانية والعشرون، الشهر الثاني من فصل الشتاء، اليوم العاشر.[٨٩] موجز الأعمال العظيمة، والانتصارات التي أحرزها هذا الإله الطيب، وهي كل سانحة مواتية من البداية منذ أول وجود جيل من الناس، على أن ما فعله له سيد الآلهة ورب «أرمنت» هو تعظيم انتصاراته حتى يمكن التحدُّث عن فتوحه ملايين السنين في المستقبل، هذا إذا أغضينا النظر عن ذكر أعمال الشجاعة العظيمة التي كان يقوم بها جلالته يوميًّا (= في كلا الفصلين نهارًا وليلًا)؛ وذلك لأن الإنسان لو ذكر كلَّ حادثة بالاسم لأخطأه عدها كتابةً.

فقد فوق سهامه إلى لوحة من النحاس بعد أن تكسرت أهدافه الخشبية، وصارت كأنها يراعات هشة، وقد وضع جلالته نموذجًا منها في معبد «آمون»، وهو هدف سمكه ثلاثة أصابع، رشق فيه سهمان من سهامه، فقد جعل السهم ينفذ في الهدف مقدار ثلاثة

---

[٨٧] راجع: Mond & Meyer, Ibid Pl. CIII.

[٨٨] هذه هي نفس الألقاب الملكية التي حملها «تحتمس الثالث» كما وجدناها على لوحة بركال.

[٨٩] لا يمكن الباحث أن يعرف من هذا المتن الحادث الذي يشير إليه هذا التاريخ؛ إذ الواقع أنه يرجع إلى مدة شهرين قبل أي تاريخ مدوَّن لعهد هذا الفرعون، أيْ قبل سفره من «ثارو» (القنطرة الحالية) على رأس حملته الأولى في عام ٢٢ الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الخامس والعشرين، ومن المحتمل إذن أن هذا التاريخ هو بداية حكمه منفردًا بعد موت «حتشبسوت».

أشبار من الجانب الآخر. وإني أتكلم على حسب ما قام به فعلًا دون مين أو كذب، وقد حدث ذلك أمام كل الجيش، وليس في ذلك كلمة مبالغ فيها.

وإذا اتفق أنه خرج للصيد في أية صحراء، فإن عدد غنائم مطاردته يكون أعظم من غنائم كل الجيش، فقد أردى بسهامه سبعةَ أسود عندما خرج للصيد في لمح البصر، وكذلك استولى على قطيع من البهم الوحشية في ساعة، حتى إنه عندما حان وقت تناول الإفطار كانت ذيولها قد جهزت ليلبسها وتجر خلفه، وقد قضى على مائة وعشرين فيلًا في جبال إقليم بلدة «ني» عندما كان عائدًا من بلاد «نهرين»، وقد عبر نهر الفرات وضرب البلاد التي على شاطئيه؛ إذ بدَّدتها النيران إلى الأبد، وأقام لوحة انتصاره على شاطئه الشرقي، وكذلك أردى خرتيتًا قتيلًا عندما كان يقوم بنزهة طراد في إقليم صحراء بلاد النوبة، عندما ذهب إلى إقليم «ميو» باحثًا عمَّن ثار عليه في هذه الأرض، وأقام لوحته هناك كما فعل على شاطئ النهر (أي: نهر الفرات)، ولم يتوانَ جلالته في الذهاب نحو بلاد «زاهي» (سوريا) ليقضي على الثائرين الذين كانوا هناك، وليوزع العطايا على مَن بقوا على الولاء له، ويشاهد أسماءهم … كل مملكة على حسب وقتها (؟)، وقد كان جلالته يعود على إثر كل حادثة بعد فلاح هجماته بالقوة والظفر، وقد جعل مصر على الحالة التي كانت عليها عندما كان «رع» ملكًا عليها (أي إن العدالة كانت تسودها).

(تاريخ (؟) السنة الثانية والعشرون، الشهر الرابع من الشتاء اليوم (؟))، الخروج من «منف» لقهر أقاليم «رتنو» الخاسئة في أول موقعة مظفرة … فعل … (مجدو) وقد شقَّ جلالته الطريق، واقتحم كلَّ ممرٍ لجيشه (أي: أمام جيشه) من الممرات التي كانت تضيق كلما جدَّ في السير، وكان هو على رأس جيشه كله، في حين أن الممالك كلها كانت مصطفة متحفزة للواقعة عند فم الوادي … وقد دبَّ الخور في رجال العدو، وولوا الأدبار إلى مدينتهم ومعهم رئيسهم الذي كان في … وهم … يرجون … ومتاعهم على ظهورهم، وقد عاد جلالته فَرِحًا، وأصبحت كل هذه البلاد الأجنبية من رعاياه … وقد حضر الآسيويون جميعًا يحملون الجزية … السنة التاسعة والعشرون، الشهر الرابع من فصل الشتاء …

اللوحة تلخص أعمال تحتمس الثالث: والظاهر من مضمون هذه اللوحة أن «تحتمس الثالث» بعد أن أتمَّ حروبه، أراد أن يضع ملخصًا لها في معبد الإله «منتو» إله الحرب، كما أنه أراد أن يضع أمام الشعب المصري ما قام به من ضروب الشجاعة في الصيد والقنص ممَّا لم يسبقه إليه أحد، وكذلك في فن الرماية وإصابة الهدف ممَّا لم يجارِه

فيه أحدٌ من قبله، حتى تولَّى ابنه «أمنحتب» الثاني فضرب الرقم القياسي في ذلك المضمار كما سيجيء بعدُ، ولكن ممَّا يُؤسَف له جد الأسف أن هذه اللوحة لم تُؤرَّخ بسنة محدَّدة، ولكن تدل ظواهر الأمور على أنها دُوِّنت بعد حملته المظفرة التي قام بها إلى بلاد النوبة في السنة الواحدة والخمسين؛ ويدل على ذلك إشارته إلى لوحة «بركال» التي أقامها في السنة السابعة والأربعين إذ يقول: «وأقام لوحته هناك كما فعل على شاطئ النهر؟» والمرجح أنه يشير هنا إلى «نهر الفرات».

وقد أشار «تحتمس الثالث» في لوحته هذه إلى حسن سياسته في معاملة الولايات التي فتحها في «سوريا»؛ إذ تخبرنا أنه كان يذهب في حملاته إلى هذه البلاد ليقهر العصاة ويوزِّع الهدايا على مَن كان مواليًا له من الأمراء هناك.

وفي «صفون» (إسنا) في نقش من عهد الإمبراطور «كلوديوس»، نجد ذِكْرَ اسم لوحة عظيمة لهذا الفرعون،[٩٠] وفي معبد الإله «سبك» بمدينة «الكاب» عُثِر على واجهة معبد نُقِش عليها اسم «تحتمس الثالث»،[٩١] يضاف إلى ذلك أنه يوجد في هذه الجهة معبد صغير محاط بطائفة من العمد، مثل معبد «إلفنتين» الذي تهدَّمَ.[٩٢]

ويوجد في معبد إدفو نصٌّ من عهد البطالمة يحدِّثنا أن تحتمس الثالث أقام معبدًا للإلهة «حتحور» في هذه البلدة.[٩٣]

آثاره في كوم أمبو وإلفنتين: وكان يوجد في «كوم أمبو» «بوابة» عظيمة أمام حرم المعبد الكبير أقامتها الملكة «حتشبسوت»، ولكن «تحتمس الثالث» هو الذي حفر نقوشها، ويلحظ أن البطالمة كانوا قد أصلحوا عتبة هذه البوابة،[٩٤] غير أن هذه المباني قد طغى عليها النيل. ويوجد في هذا المكان كذلك عتب باب نُقِش عليه اسم «تحتمس الثالث»، وكان لا يزال موجودًا إلى عهد قريب.[٩٥]

---

[٩٠] راجع: L. D., IV, Pl. 8a.

[٩١] راجع: Champollion, “Notices” p. 266.

[٩٢] راجع: Wilkinson, “Topography of Thebes” p. 430.

[٩٣] راجع: A. Z. IX, p. 97.

[٩٤] راجع: L. D. III. Pl. 281.

[٩٥] راجع: A. Z., XXXI, p. 78.

وفي إلفنتين أقام «تحتمس» معبدًا على الجزيرة للإله «خنوم»،[٩٦] وكان هذا المعبد لا يزال قائمًا حتى عام ١٨٢٢؛ حيث أمر بهدمه لبناء قصر محمد علي الكبير في هذه الجهة، ولا تزال بعض قِطَع من أحجاره مبنيةً في جدار «المرسى»، غير أننا لا نعلم من أي معبد أتى بها؛ إذ كان يوجد في الجزيرة معبد آخَر، والظاهر أنها من معبدٍ أقامه «تحتمس» وأصلحه البطالمة، وقد عُثِر كذلك على قطعة حجر عليها اسم هذا الفرعون عند محطة أسوان، وقد ذكر أن مسلة من معبد «إلفنتين» موجودة في بيت «سيون» (راجع: Birch, “History”, P 102) وعليها اسم هذا الفرعون، ووُجِدت في هذه الجهة لوحةٌ يُشاهَد عليها «تحتمس الثالث» يتعبَّد إلى ثالوث أسوان، وهم الإله «خنوم» والإلهة «عنقت» والإلهة «ساتت» (Lepsius, “Letters” I. pp. 101 & 218)، ومن المحتمل أن هذا الفرعون قد أقام معبدًا على جزيرة «بجة»؛ إذ وُجِد له تمثال هناك (راجع: Wilkinson, “Topography of Thebes” p. 470).

آثاره في بلاد النوبة: أما في بلاد النوبة فقد بنى «تحتمس الثالث» مباني أثرية كثيرة جدًّا تشهد بنشاطه العظيم المنقطع القرين في هذه الأقاليم؛ إذ نجد له في كل موقع أثري يدًا خالدة هناك لإقامة المعابد للآلهة المحلية؛ ففي «كلابشة»[٩٧] عُثِر له على تمثال من الجرانيت في المعبد المقام هناك، وكذلك وُجِدت قطعة من الحجر عليها اسمه.

وفي «كوبان»[٩٨] يوجد نقش عليه اسمه، وفي معبد «دكة»[٩٩] جاء ذِكْر «تحتمس الثالث»، وفي معبد «كورتي»[١٠٠] عُثِر على حجر باسم «تحتمس الثالث»، كما وُجِد اسمه في قِطَع أساس المعبد الذي كان قد أُعِيد بناؤه فيما بعدُ، أما في معبد «أمادة» فقد وُجِدت بوابة فيه نُقِش على أحد جانبَيْها اسم «تحتمس الثالث»، وعلى الجانب الآخَر نُقِش اسم «أمنحتب الثاني» ابنه؛ في حين أن اسمَيْهما وُجِدَا سويًّا على العتب، وهذا النقش يدل على اشتراكهما في الحكم سويًّا؛[١٠١] وكذلك نجد في نفس المعبد لوحة عظيمة نُقِشت

---

[٩٦] راجع: Budge, “A History of Egypt”, Vol. IV. p. 135; Urk. IV. p. 822.

[٩٧] راجع: Baedeker, “Egypt”, p. 307.

[٩٨] راجع: Murray, “Guide” p. 538.

[٩٩] راجع: Stuart, “Nile Gleanings” p. 136.

[١٠٠] راجع: Lepsius, “Letters” p. 124.

[١٠١] راجع: L. D. III, Pl. 65b.c.

في السنة الثالثة من عهد «أمنحتب الثاني»، وقد جاء فيها أن هذا البناء كان قد أُقِيم في نهاية حكم «تحتمس الثالث»، وأن اشتراك هذين الملكين في الحكم لم يَدُمْ طويلًا، يضاف إلى ذلك أنه يوجد في نفس المعبد منظر نشاهد فيه الإلهة «إزيس سلكت» تضمُّ إليها «تحتمس الثالث»،[١٠٢] وقد جاء في إهداء هذا المعبد ما يأتي:[١٠٣] «الإله الطيب رب الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري منخبر رع ابن الشمس محبوبه تحتمس حاكم العدل، وهو الذي أنشأه بمثابة أثر لوالده «حوراختي» الإله العظيم رب السماء، فأقام له معبدًا من الحجر الصلب، ابتغاءَ أن يعطيه الحياة الأبدية.» (راجع: Urk. IV. p. 822.)

وفي «إلزية»[١٠٤] توجد مناظر صُوِّر فيها «تحتمس الثالث» يتعبَّد للإله «رع» وللإله «ديدون» وللملك «سنوسرت الثالث»، وكذلك نشاهد كلًّا من الإلهة «وازيت» والإلهة «موت» تضم الفرعون، كما نشاهده يقدِّم القربان للإلهة «حتحور»، والإله «حور» صاحب «بوهن» وماعم (عنيبة)، والإله «تاخنس»؛ وكذلك عُثِر له في هذا المكان على لوحة مؤرَّخة بالسنة الحادية والخمسين، الشهر الثاني من فصل الصيف، اليوم الرابع عشر من حكم جلالة الثور القوي «تحتمس»، ويأتي بعد ذلك أوصاف الملك وما قام به من ذبح الأعداء والتغلُّب عليهم بقوةِ الإله حور صاحب «ماعم» (عنيبة)، وأن جلالته قد وصل إلى قرن الأرض ليهزم الآسيويين؛ وهذا يدلُّ على أن أعمال هذا الفرعون كانت مضطردة حتى آخِر أيام حكمه.[١٠٥]

وفي «إبريم» توجد مقصورتان في الصخر؛ واحدة منهما عليها اسم «تحتمس الثالث»، وفي داخلها نشاهد صورَ الملك يتعبَّد للإله «حور» صاحب «ماعم»، أما الأخرى فنشاهد على جدرانها نفس الفرعون يتعبد للإله «حور» صاحب «ماعم» والإلهة «ساتت»،[١٠٦] وهاتان المقصورتان قد حفرهما «نحي» حاكم السودان الملقَّب «بابن الملك»، وأهداهما لهذا الفرعون.

---

[١٠٢] راجع: L. D. III, Pl. 45.

[١٠٣] راجع: L. D. III, Pl. 45d.

[١٠٤] راجع: Ibid, 46.

[١٠٥] راجع: Urk. IV. p. 810–13.

[١٠٦] راجع: Champollion, “Notices” p. 79.

وفي «وادي حلفا» أقام «تحتمس الثالث» معبدًا من اللبن للإله «حور» صاحب «بوهن»، وقد نقش «تحتمس» على عمود فيه لوحةً مؤرَّخةً بالسنة الثالثة والعشرين من حكمه، وهذه اللوحة تشبه في كثير من عباراتها اللوحة التي نُقِشت في «إلزية» الواقعة بالقرب من «إبريم»، والظاهر أن كاتب الأخيرة قد نقل كلَّ الجمل المألوفة والاصطلاحات المتبعة في مثل هذه النقوش من لوحة وادي حلفا.[١٠٧]

ولا غرابة في أن يكون «نحي» حاكم السودان هو الذي نقش للملك هاتين اللوحتين، فهو الذي كان مشرفًا على أعمال التعمير في قلعتي «سمنة وقمة» وإعادة معبديهما،[١٠٨] وتجديد آثار «سنوسرت الثالث» كما ذكرنا من قبلُ، وقد أقام نحي هذا معبدًا في جزيرة «ساي» الواقعة على خط عرض ٢٠ / ٤٢ شمالًا، ولا تزال بقاياه موجودة هناك حتى الآن.[١٠٩]

وفي «دوشة» نشاهد منظرًا رسم فيه «تحتمس الثالث» و«سنوسرت الثالث» معًا، وكذلك «تحتمس الثالث» يقدِّم قربانًا إلى «حور تاخنس».[١١٠]

ويُعتَبر «تحتمس الثالث» المؤسِّس لمعبد «صولب» العظيم، وهنا كانت تقوم المؤسسة العظيمة «منوخع أم ماعت» الواقعة عند الشلال الثالث، وهذا المعبد قد زاد فيه كثيرًا الفرعون «أمنحتب الثالث».[١١١]

وأخيرًا نجد اللوحة العظيمة التي عُثِر عليها «ريزنر» بالقرب من جبل «بركل» عند الشلال الرابع.

وممَّا سبق نرى نشاط هذا الفرعون المنقطع النظير في كل أنحاء الإمبراطورية، وما ذكرناه ربما كان القليل ممَّا تخفيه تربة مصر في جوفها من آثار هذا الملك؛ إذ تطالعنا الكشوف كل يوم بالعجب العجاب من آثاره التي ترفع من شأنه وتُعلِي من مكانته في ميدان الحروب والسياسة والمعمار، ولا أدل على ذلك ممَّا كُشِف له حديثًا في معبد «أرمنت»، وبخاصة اللوحة العظيمة التي تحدِّثنا عن نواحٍ كثيرة من «نواحي» حياته كما أسلفنا ذلك.

---

[١٠٧] راجع: Urk. IV. p. 806–10.

[١٠٨] راجع: L. D. III, Pls. 47–56, 57–59a, 64b.

[١٠٩] راجع: Ibid, Pl. 59b-c.

[١١٠] راجع: Ibid, Pl. 59. d, e.

[١١١] راجع: Budge, “A History of Egypt”, IV. p. 59.

لوحة جبل بركل[١١٢]: ولما كانت هذه اللوحة من الأهمية بمكان، آثرنا أن نأتي هنا على تاريخها وترجمتها حرفيًّا: عثر الأستاذ «ريزنر» على لوحة للفرعون «تحتمس الثالث» مصنوعة من الجرانيت الأحمر في الردهة الأولى من ردهات معبد الإله «آمون» العظيم في جبل «بركل»، وقد عثر عليها في داخل هذا المعبد أمام العمود الثاني، من الصف الثاني، من الجهة الشرقية في الجزء الشمالي من هذه الردهة، ولا بد أنها كانت بطبيعة الحال مرتكزةً على هذا العمود في خلال عهد الاحتلال المروي الأخير لها المعبد، وتدل محتويات هذه اللوحة على أنها كانت في الأصل قد أُقِيمت في «بركل» في غير هذا المعبد (B. 500)، ويُفهَم من كلِّ المعلومات التي لدينا حتى الآن أنه لا يوجد في هذا المعبد جزءٌ يرجع عهده إلى ما قبل الجزء الأخير من الأسرة الثامنة عشرة، يضاف إلى ذلك أنه ليس لدينا إلا معبد واحد يمكن نسبته إلى عهد «تحتمس الثالث»، وهو (B. 300. First)، وقد نظف الفرعون «طهراقا» خرائبه، وبنى على أساسه معبدًا آخَر (B. 300. Second)، فإذا كانت هذه اللوحة قد أُقِيمت في هذا المعبد كما يعتقد الأستاذ «ريزنر»، فلا بد أن «طهراقا» قد نصبها في معبده الجديد أو نقلها إلى الردهة الأولى في المعبد (B. 300. Second)؛ حيث توجد الآن لوحتان وتمثال للفرعون «يعنخي»، على أن هذا مجرد زعم، ولكن يجوز أن «طهراقا» قد أسند هذه اللوحة على العمود الذي وُجِدت بجواره، وبقيت في مكانها طوال القرون التي تَلَتْ وهاك ترجمتها:

> **التاريخ:** السنة السابعة والأربعون، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم العاشر من حكم جلالة «حور» (يأتي بعد ذلك ألقاب «تحتمس الثالث»).
> **الإهداء:** لقد عمل (هذا) بمثابة أثر لوالده «آمون رع» رب «الكرنك» في قلعة «ذبح الأجانب» (سما خاستيو)، وأقام له مأوًى للأبدية؛ لأنه (أي: آمون رع) جعل انتصارات جلالته أعظم من انتصارات أي ملك كان، وقد استوليت على قوم الجنوب بأمر حضرته، وعلى الشماليين بإرشاداته، وهو الذي جعل ابن رع «تحتمس الثالث» حاكم «طيبة» يعطي الحياة مثل «رع» مخلدًا.
> **قوة تحتمس الثالث:** الإله الطيب الذي يسيطر بسيفه، والذي يضرب الجنوبيين، ويحز رءوس الشماليين، والذي يهشم رءوس القوم الأشرار، ومَن

[١١٢] راجع: Reisner, A. Z. LXIX, 31.

يوقع مذبحة بين «آسيا»، ويقهر عصاة بدو بلاد النوبة، ويصل إلى نهاية الأراضي التي هاجمته، وإنه يهيج عندما يقترب منه أي إنسان في ميدان القتال، وقد وقفَتْ أمامه كل البلاد الأجنبية كتلةً واحدةً مستعدين للنزال، ولم يكن هناك مناص للفرار قط؛ وذلك لأنهم كانوا يعتمدون على جموع عظيمة من المحاربين، وعدد من الناس والجياد يخطئه الحصر، ولقد جاءوا بقلوب قوية، ولم يستولِ على لبهم أي وجل، ولكن شديد القوى قد تغلَّب عليهم؛ فهو قوي الساعد الذي يطأ أعداءه، وإنه ملك يحارب منفردًا دون وجود جموع لحمايته، وإنه أحسن من ملايين الجنود، لا يوجد مَن يضارعه إذ هو محارب متفوِّق في ساحة الوغى، لا يثبت أحد أمامه، والذي يهزم دفعة واحدة كل الأراضي الأجنبية، وهو على رأس جيشه ينقضُّ انقضاض التمساح، وكالشهاب المنقض بين قوسي السماء عندما يخترق القبة الزرقاء، وهو الذي ينزل المعمعة … قاذفًا عليه نفسه الملتهبة كأنه نار، وهو الذي يجعلهم لا حول لهم متخبطين في الدماء، وصله يهزمهم، وإلهة اللهيب تتغلَّب على أعدائه، وهو الذي هزم جيش «المتني» في ساعة، واختفوا كلهم كأنهم لم يوجدوا قطُّ بفضل لهيبه المبيد (؟) وذلك على غرار ما آتاه الإله الطيب العظيم القوة في القتال يساعده، وهو الذي يوقع المذبحة بين كل الناس، وهو قائد نفسه ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» الممتاز، ملاذ قومه المهاجم كل أرض، والمبارز فيها وجهًا لوجه منجي (مصر) في ساحة القتال، الحامي الذي لا يخشى الحساد، الثور القوي القلب من حدوده الجنوبية عند الأرض، أيْ عند آخِر أقصى هذه الأرض، ومن حدوده الشمالية عند تخوم «آسيا» الشمالية، أيْ عند عمد السماء، وإنهم يأتون إليه محنيي الرءوس راجين منه نفس الحياة.

حملة نهرين: (تخريب البلاد الواقعة غربي نهر الفرات): إنه ملك في شدة بأس «منتو» (إله الحرب) يستولي ولكني لا يُستولى منه على شيء، يطأ بالقدم كل البلاد الأجنبية الخارجة دون أن ينجيهم أحد من بلاد «نهرين» التي فرَّ منها سيدها فرقًا، ولقد خربت مدنه وقبائله، وأُشعِلت النار فيهم، وجعلها جلالتي كأن لم تغن بالأمس، وحملتُ كلَّ أهلهم غنائم، وقدتُهم أسرى أحياء، وقطعانهم يخطئها العد وكذلك مواشيهم، واستوليتُ منهم على المؤن (؟)

وحصدتُ غلتهم، واجتثثْتُ كلَّ أشجار فاكهتهم، وأقاليمهم كانت ... وقد خربها جلالتي حتى أصبحت منزرعة ... الأشجار فيها.

بناء سفن لعَبْر الفرات: والآن سار جلالتي نحو الحدود الشمالية من «آسيا»، وقد أمرت ببناء عدد كبير من سفن النقل من خشب الأرز على تلال أرض الإله بالقرب من «سيدة جبيل» (ببلوص)، وقد حملت على عربات (ذات عجل) تجرها ثيران، وقد سافرت قبل جلالتي لأجل أن أعبر بها ذلك النهر العظيم الذي يجري بين هذه البلاد الأجنبية و«نهرين».

عَبْر الفرات وغَزْو نهرين: وإنه ملك معظم (بقوة) ساعدَيْه في الواقعة، وعابر «الفرات» مقتفيًا إثر مهاجمه على رأس جيشه، وباحثًا عن ذلك العدو التعس في أرض المتني الأجنبية (الجبال). تأَمَّلْ! لقد هرب أمام جلالته خوفًا إلى أرضٍ أخرى وهي مكان بعيد، وعلى ذلك أقام جلالتي لوحةً على جبال «نهرين»، وقد نحتت في الصخرة على الضفة الغربية من نهر الفرات.

انتصار تام بأمر الإله رع: ولم يَبْقَ لي عدو في الأراضي الجنوبية، وأقوام الشمال يأتون منحنين لقوتي، وإنه الإله «رع» الذي أمر بذلك، ولقد كبلت كل ما تحيط به عينه (رع)، وقد منحني الأرض طولًا وعرضًا، وضمت لي في حزمة واحدة قبائل الأقواس التسع والجزر التي في وسط المحيط وجزر اليونان، وهي الأراضي الثائرة عدوة مصر، ولقد عدت جنوبًا نحو مصر بعد أن أعملت السيف في «نهرين» الذين كان ذعرهم عظيمًا في فم البدو، فغلقت أبوابهم بسبب ذلك فلم يغادروها لخوفهم من الثور (الملك)؛ فهو ملك بطل حصن حصين لجيشه، وجدار من حديد أو من برنز لمصر (!)، يهاجم كل الأرض بسيفه دون أن يحميه أحد ملايين الناس، يصيب الهدف كل مرة يرمي فيها، وسهامه لا تخطئ الهدف، وإنه لبطل منقطع القرين، والإله «منتو» الشجاع في ساحة القتال.

صيد الفيلة: والآن أُتِيحت لي فرصة للنصر أمر بها لي الإله «رع»؛ إذ هيَّأ لي عملًا عظيمًا من أعمال الشجاعة عند مورد فيلة بلدة «ني»، فقد جعلني أتصادم مع قطيع من الفيلة، فحارب جلالتي سربًا منها يتألف من ١٢٠ فيلًا، على أن هذا العمل لم يحدث مثله قط على يد ملك منذ زمن الإله من أولئك الملوك السابقين الذين تسلموا التاج الأبيض، وإني أقص هذه الأشياء

دون فخار ومن غير كذب، وقد أنجزتها على حسب ما أمر لي به والدي «آمون رع» رب الكرنك الذي يرشد جلالتي إلى الطريق السوي بخططه المتفوقة، فهو الذي وحَّد لي الأرض السوداء والأرض الحمراء، وكل ما تحيط به الأرض أصبح في قبضتي.

الحملة الأولى على بلاد رتنو: والآن أقصُّ عليكم أعمالًا (أخرى) فاستمعوا أنتم يا أيها الناس، لقد أمر لي (بمنحي) كل أراضي «رتنو» في الحملة الأولى، عندما أتوا لمحاربة جلالتي بملايين الرجال ومئات آلاف الناس من رؤساء كل البلاد الأجنبية، ووقفوا على عرباتهم، وكان عددهم ٣٣٠ أميرًا، كل أمير منهم على رأس جيشه.

موقعة مجدو: والآن كانوا في وادي «قنا»، والواقع أنهم كانوا قد ضربوا معسكرهم في مصيدة (!)؛ ولذلك أحرزت فوزًا عظيمًا بينهم؛ إذ هاجمهم جلالتي فهربوا في الحال وتساقطوا أكوامًا من القتلى.

حصار مجدو: وبعد ذلك دخلوا مجدو نفسها، فحاصرهم جلالتي سبعة أشهر دون أن يبرحوها، إلى أن خرجوا متضرعين لجلالتي قائلين: امنحنا نفسك يا سيدنا؛ لأن أهل «رتنو» لن يعودوا إلى ثورة ثانيةً.

استسلام مجدو: وبعد ذلك أرسل عظيم قادش المنهزم كما بعث الرؤساء الذين كانوا بصحبته إلى جلالته كل قومهم محمَّلين بالهدايا الكثيرة من الذهب والفضة، وكذلك جيادهم وما يتبعها، وعرباتهم العظيمة المصوغة من الذهب والفضة، وكذلك الملونة منها، هذا إلى دروع مواقعهم الحربية وقسيهم ونشابهم وأسلحتهم الحربية، وهي التي كانوا قد أتوا بها من بعيد لمحاربة جلالتي، لقد جلبوها الآن هدايا لجلالتي، وقد كانوا وقتئذٍ واقفين على جدرانهم مقدمين الثناء (الخضوع) لجلالتي طالبين أن يمنحوا نفس الحياة.

سفر الرؤساء: وبعد ذلك سمح لهم جلالتي أن يتخذوا سبيلهم إلى مدنهم، وقد رحلوا كلهم ممتطين ظهورَ حميرهم؛ لأني كنتُ قد استوليت على خيل عرباتهم، وأخذت أهل مدنهم غنيمةً، كما استوليتُ على ماشيتهم.

الإله آمون رع أخضع كل العالم للملك: وإنه والدي (آمون رع رب الكرنك) الذي منحنيها؛ إذ إنه إله ممتاز مظفر صاحب المشاريع التي لا

تخيب، وهو الذي بعث جلالتي لأستولي على كل أراضي أقوام الأجانب جميعًا، ولقد هزمتم على حسب ما أمر به بالسبل التي اعتاد العمل بها، وقد جعلني أضرب كل الأقوام الأجنبية دون أن يجسر أحد على مهاجمتي، وصولجاني هو الذي تغلَّب على البدو، وعصاي هي التي ضربت قبائل الأقواس التسع، وجلالتي أخضع كل البلاد، وأرض «رتنو» أصبحت تحت نعلي، وأهالي بلاد النوبة صاروا عبيد جلالتي.

جزية البلاد الأجنبية: وإنهم يخدمونني جميعهم، مقدِّمين جزيةً من ملايين المحاصيل العدة من آخِر العالم، ويشمل ذلك ذهب بلاد «واوات» الجم بمقدارٍ يخطئه العد.

ما يدفع زيادة من السفن والخشب من بلاد كوش: ويُبنَى هناك للبلاط (أي: للملك له الحياة والسعادة والعافية والصحة) كل سنة ثماني سفن (نتيو) وسفن نقل، هذا فضلًا عن البحارة، مضافًا إلى ذلك الجزية التي يأتي بها النوبيون من العاج والأبنوس، وكذلك يحضر لي خشب بناء السفن من «كوش»، ويشمل ألواحًا من خشب الدوم، وخشب «تيت» (أو أشياء من الخشب) (؟) لا حصرَ لها من هناك من خشب السنط من أرض الجنوب، وكان جيشي يقطعها من «كوش»، وكانت توجد هناك بوفرة (!) وكذلك عدد عظيم من سفن النقل من خشب «ماما»، وقد أحضرها جلالتي مظفرًا.

خشب الأرز من زاهي: وقد قطع لي من «زاهي» خشب أرز حقيقي من «لبنان»، وأحضر إلى البلاط (أي: للملك له الحياة والسعادة والصحة)، وقد كان يُؤتَى لي بخشب بناء لمصر أحضر جنوبًا …

خشب الأرز من بلاد ناجاو: وقدمت قِطَع من خشب الأرز الحقيقي من «ناجاو» من أحسن ما تنتجه أرض الإله كأنها المرمر السليم؛ لأجل أن تصل إلى البلاط دون أن تمضي الفصول هناك كل سنة (أي: في قطعها وإعدادها).

خشب وانراثا: ثم يعود جيشي وما في حامية «وانراثا» … الذي من أبرز انتصارات جلالتي بخطط والدي «آمون رع»، الذي أمر لي بالسيطرة على كل الأقوام الأجنبية، ولم أترك أية واحدة منها (أي: من خشب الأرز) للآسيويين؛ لأنه الخشب الذي يحبه «آمون»، وأنه هو الذي صدَّ صلحاءهم … وأشرارهم ليسوا في أمان (؟).

خطاب الفرعون لقوم الجبل المقدَّس: ويقول جلالتي: استمعوا إليَّ يا أهل الجنوب الذين في الجبل المقدَّس الذي كان يُسمَّى «عروس الأرضين» بين القوم (أي: المصريين) (؟) وهي لم تكن معروفةً بعدُ، لأجل أن تعرفوا قوة «آمون رع» المدهشة أمام وجه كل الأرضين.

أعجوبة النجم: … وكان الحراس؟ على وشك المجيء لمقابلتي ليلًا ليقوموا بتغيير الحرس وكان يوجد حارسان جالسين وجهًا لوجه، وقد طلعت نجمة من جنوبيهما، ولم يكن قد حدث مثل ذلك، ثم اختفت في الجهة الثانية قبالتهما مباشَرةً (أي: في الجهة الشمالية)، ولم يَبْقَ إنسان واقفًا هناك (أو بينها).

هزيمة عدو: (يُحتمَل أن ما جاء في التكسير تكملة للسطر السالف) … وقد سقط أكوام من القتلى والآن … على ظهورهم والنار في وجوههم، ولم يجد واحد منهم يده، ولم يمكنه أن ينظر خلفه، ولم يجدوا خيلهم التي كانت قد شتتت في …

العودة إلى مصر: … لأجل أن أجعل كل الأراضي الأجنبية ترى عظمة جلالتي، ولقد حضرت جنوبًا بقلب فَرِح؛ لأني انتصرتُ لسيدي (آمون رع رب الكرنك) … وهو الذي قدَّر لي هذه الانتصارات، والذي جعل الخوف مني في … في زمني، وكذلك مكن الخوف مني في كل الأقوام الأجنبية، وقد هربوا مني بعيدًا، وكل ما يضيء عليه الإله «شو» أصبح مكبَّلًا تحت قدمي.

خطاب الفرعون لرجال الحاشية: وقال جلالتي نفسه … لأني عظيم التجربة بسبب القوة والنصر اللذين أعطانيهما والدي الفاخر «آمون رع رب الكرنك»، وهو الذي جعلني سيد أقسام الأرض الخمسة، وحاكمًا على كل ما تحيط به الشمس، وإني قوي … وقد جعل الخوف مني حتى … الشماليون والذعر من جلالتي حتى … الجنوبيون، حتى إنه لا توجد طريق ضدي، وقد ختم لي كل الأرض، وليس هناك حدود لما استوليت عليه بالنصر، وفخاري أصبح في بلاد «رتنو» وخوفي في … وهم يحضرون لي محاصيلها إلى المكان الذي فيه جلالتي في كل فصل، والأرض الجليلة تحضر لي ما بها من كل شيء طريف، فهي تنشر أمامي ما أخفته عن الملوك الأول … كل حجر فاخر غالٍ، وكل النباتات العطرية الحلوة التي تنمو ببلاد «بنت»، وكل شيء طريف من

أرض الجنوب، وكل ما يأتي عن طريق التجارة تحت تصرُّف جلالتي … فإنه ملكه وإني سأملأ بيته وسأجعله يعود لحمايته … في ساحة القتال، وفضلًا عن ذلك سأقدِّم قربانًا من الأشياء المدهشة من كل الأراضي … التي يهاجمها سيفه القوي، وقد قدر لي (سيفه) النصر على كل الأقوام الأجنبية.

جواب رجال البلاط: فأجاب أولئك السمار (رجال البلاط) … «آمون رع» سيد الكرنك الإله العظيم الأزلي خالق الجمال، إنه أعطاك كل الأرض أحضرها قربانًا له لعلمك أنك خرجت منه، وفضلًا عن ذلك فإنه هو الواحد الذي يرشد جلالتك إلى الطريق …

وصف قوة تحتمس الثالث ودخله: … وقد جعلت الخوف مني في قوم «آسيا الشمالية»؛ ولذلك لم يعق رسولي، وقطع جيشي عمد الأعلام من مرتفعات الأرز … لأجل آثارِ آبائي، وكل آلهة الوجه البحري، وأمام جلالتي سفن مخنت من الأرز … معي ساحل أرض لبنان بمثابة (؟) حصن … (؟) … أو في الحصن … وكل رؤساء لبنان كانوا يشحنون السفن الملكية لأجل أن يؤتى بها نحو الجنوب، ويحضر كل الأشياء العجيبة … إلى البلاط (أي: الملك له الحياة والسعادة والصحة)، وأمراء الـ … ورؤساء «رتنو» الذين كانوا يجرُّون عمد هذه الأعلام بثيران إلى الساحل، ويحضرون حاملين جزيتهم أمام جلالته إلى البلاط في … حاملين كل المحاصيل الجميلة التي أُتِي بها من الجنوب بمثابة جزية سنوية مثل كل رعايا جلالته.

ما يقوله الناس: أما ما يقوله الناس (المصريون) فيما بينهم مدحًا لي فهو … الأقوام الأجانب قدروا فخارك، والزئير قد انتشر (سمع صداه) في آخِر العالم، وحضرتك الفاخرة يرتعد أمامها قلوب الـ … قوم.

اللعنة يقولها القوم: … وكل النوبيين الذين سيعددون تصميماتك، سيعاقبهم والدك، وعندئذٍ كان جلالته (؟) …

أما عن آثاره الصغيرة كالتماثيل واللوحات والجعارين وغيرها من التحف الصغيرة الحجم، فهي لا تُعَد ولا تُحصَى، وسنورد هنا بعضها ممَّا يوجد في متاحف العالم، غير ما له من الآثار العدة التي يعجُّ بها المتحف المصري، وأهمها …

(٨-٢) التماثيل

يوجد لهذا الفرعون تماثيل عدة، غير أن الكبير الحجم منها على وجه عام قليل، ففي الكرنك عُثِر له على قاعدة تمثال ضخم جالس من الحجر الجيري الأبيض الصلب، في النهاية الغربية من واجهة البوابة الثامنة،[١١٣] وفي المتحف البريطاني يوجد له رأس تمثال ضخم من الجرانيت الأسمر ولا يُعرَف أين جسمه حتى الآن،[١١٤] وفي متحف القاهرة له تمثالٌ أكبرُ من الحجم الطبيعي بقليلٍ، من الحجر الجرانيتي الأحمر، عُثِر عليه في «الكرنك»، وقد كان موضعه في الحجرة التي تقع على محور محراب مباني «تحتمس الثالث» في النهاية الشرقية للمعبد،[١١٥] وكذلك كُشِف له في الكرنك عن تمثال جالس من الجرانيت مهشم قطعًا ورُكِّبت أجزاؤه بعضها مع بعض،[١١٦] والواقع أنه كان يوجد له عشرات التماثيل في معبد الكرنك، كما ذكر ذلك «مريت».[١١٧]

وفي متحف «تورين» يوجد تمثال جميل من حجر الديوريت الأسود والأبيض،[١١٨] ويوجد له تمثال آخَر جالس من الجرانيت الرمادي القاتم بدون رأس، عُثِر عليه في بلاد النوبة، ويُحتمل أنه عُثِر عليه في «إلفنتين»؛ وذلك لأنه وُجِد عليه أسماء آلهة هذه البلدة، وهو الآن بمتحف «فلورنس» بإيطاليا.[١١٩]

أما في المتحف المصري فيوجد له التمثال العظيم المصنوع من الشيست الأغبش اللون، ويُعَدُّ من القِطَع الفنية النادرة المثال، وبخاصة الرأس الذي يمثِّل صورة صادقة (راجع: A Brief Description of the Principal Monuments (1946) p. 31).

كما يوجد له تمثال آخَر هناك منحوت من المرمر الأبيض يمثِّله راكعًا وفي يديه إناءان يحتويان خمرًا أو ماءً، وقد عُثِر عليه في دير المدينة (راجع: Ibid. p. 32).

---

[١١٣] راجع: Mariette “Karnak”, Pl. 38d.

[١١٤] راجع: Petrie, “History”, II, p. 137.

[١١٥] راجع: Mariette, “Karnak” p. 34.

[١١٦] راجع: Virey, Guide Mus. Giza p. 214.

[١١٧] راجع: Mariette, “Karnak”. p. 36.

[١١٨] راجع: Lanzone. “Cat. Turin” p. 1376.

[١١٩] راجع: Schiaparelli. “Catalogue”, p. 1503.

هذا إلى تمثالين له في صورة «بو الهول» نُحِتَا من الجرانيت الأحمر القاتم، عُثِر عليهما في قاعة الأعياد بالكرنك، وعلى الرغم من أنهما يمثِّلان توءمين، فإنه توجد بعض اختلافات في صنعهما (راجع: Ibid. p. 134).

وفي العرابة[١٢٠] المدفونة توجد بقايا جذع تمثال وعرشه نُقِش عليه اسم «تحتمس الثالث»، وفي الإسكندرية يوجد لهذا الفرعون تمثالٌ نُقِش عليه «تحتمس الثالث» محبوب «أنيت» سيدة «دندرة»،[١٢١] وله كذلك جزء من تمثال خلف معبد الكرنك، وقطعتان من تمثالين وُجِدتَا أمام البوابة الأولى لقاعدة العمد في الأقصر،[١٢٢] كما وُجِد له تمثال نصفي من الجرانيت الأحمر في الكرنك،[١٢٣] وفي مرسيليا وُجِد له تمثال من البرنز، غير أنه لم يُذكَر في الدليل الذي كتبه «مسبرو» لهذا المتحف،[١٢٤] وقد جاء ذكر تمثالين له في نقوش «تحتمس الرابع»،[١٢٥] وفي حجرةٍ خلف قاعة العمد في معبد «تحتمس الثالث» بالكرنك وُجِد تمثالان من الجرانيت الأحمر في صورة «بو الهول» ومعهما مائدتا قربان.[١٢٦] هذا وفي المتحف البريطاني لوحة رُسِمت عليها صورة هذا الفرعون، وقد قُسِّمت هذه اللوحة إلى مربعات يُقصَد منها تفسير نِسَب رسم أجزاء التمثال (راجع: Arundale & Bonomi, "Gallery". p. 33).

أما لوحات «تحتمس الثالث» غير التي في متحف القاهرة من اللوحات العظيمة مثل لوحة النصر ولوحة «أرمنت»، فتوجد له لوحة في «تورين» مثل عليها يتعبد للإله «مين»،[١٢٧] وله لوحة أخرى في محراب الأمير «وازمس»، ويظهر فيها «تحتمس الثالث» يتعبد لجده «تحتمس الأول» وللأمير «وازمس»، وكذلك وُجِدت له قطعة حجر يُعتقَد أنها مقعد للقارب المقدس الذي يُوضَع عليه بعد الطواف محمولًا على أكتاف الكهنة في

---

[١٢٠] راجع: Mariette, "Abydos" 348–9.

[١٢١] راجع: Brugsch, "Recueil" IX, 3. p. 18.

[١٢٢] راجع: Wiedemann, "Geschichte", p. 358.

[١٢٣] راجع: Vierey, Cat. Guizeh. p. 192.

[١٢٤] راجع: Petrie, "History", II, p. 137.

[١٢٥] راجع: Mariette, "Karnak", 33.

[١٢٦] راجع: Viery. Cat. Guizeh, 221–2. & Mariette, "Karnak", Pl. 32, b. Pp. 34, 55.

[١٢٧] راجع: Lanzone. Cat. Turin. 1460.

أرجاء المعبد، وفي الكرنك نظير لهذه القطعة (راجع: Arundale & Bonomi, "Gallery", p. 34. & Wiedemann, "Geschichte", p. 366).

وفي متحف الفاتيكان مائدة قربان جميلة جدًّا عليها اسم هذا الفرعون (راجع: Massi, "Description", p. 34).

وفي سالونيك توجد مائدة قربان أخرى عليها اسمه (راجع: A. Z. VI. p. 79)، ويُعرَف لهذا الفرعون عدة أوانٍ من المرمر،[١٢٨] وأهمها التي ذكر عليها سعتها، ففي «تورين» إناء يسع تسعة «هنا»، غير أنه وُجِد مملوءًا بالقار (؟)، وآخَر في متحف القاهرة يسع واحدًا وعشرين «هنا»؛ ولما كان حجمه يعادل ٥٨١ بوصة مكعبة، فمن ذلك نستنتج أن الهن يعاد ٢٧٧ بوصة مكعبة في هذه الحالة.

ووُجِد لهذا الفرعون إناءان من الزجاج نُقِش على كلٍّ منهما لقبُ هذا الملك، وهو «منخبر رع»، وهما أقدم قطعتين من الزجاج عُرِف تاريخهما، وقد ظهر فيهما السهولة في عمل الزجاج ومعرفة مادته،[١٢٩] ويوجد له لوحتان صغيرتان في متحف مرسيليا[١٣٠] نُقِش على كلٍّ منهما اسمه.

هذا وقد وُجِدت له ريشة ممَّا يزين به لباس الرأس للإله «آمون» عليها اسم الفرعون «تحتمس الثالث»، كما وُجِد له طبق على شكل سمكة مصنوعة من الفخار الأخضر المطلي، هذا إلى محبرة كتابة باسم «تحتمس الثالث» محبوب آمون وبتاح.[١٣١]

ولم يُعثَر على بردي من عهد «تحتمس الثالث» إلا القليل؛ منها ورقة في تورين رقم ١، وتقصُّ علينا كيف أن كاتبًا يُدعَى «وسر آمون» قد خدم الملكية مدة خمسين عامًا، ولما كانت هذه الورقة مؤرَّخة في السنة الخامسة من عهد ذلك الفرعون، فلا بد أنه بدأ خدمته في منتصف حكم «تحتمس الأول».

---

[١٢٨] راجع: Petrie. "History", II. p. 99.

[١٢٩] راجع: Revue Critique LXII, 6. Maspero, "l'Archeologie" Egyptienne p. 250.

[١٣٠] راجع: Wiedemann, "Geschichte", p. 368.

[١٣١] راجع: Petrie, "History", II. p. 140.

(٨-٣) الجعارين

أما الخواتم التي تُنسَب إلى «تحتمس الثالث» فقد صُنِعت من كل المواد إلا الفخار المطلي الذي لم يظهر استعماله إلا في عهد «تحتمس الرابع»، أما الجعارين التي صُنِعت في عهد هذا الفرعون فهي أكثر من أي جعارين صُنِعت في عهد أي ملك آخَر، ولدينا عدد عظيم من الجعارين تحمل طغراء «تحتمس الثالث»، وكل واحد منهما يشير إشارة صريحة إلى حادث معين أو مرحلة معينة خاصة من مراحل حياة هذا الفرعون، وهذه الجعارين تشبه في حجمها جعارين الملكة «حتشبسوت» التذكارية، مثال ذلك:[١٣٢] جعران من الذهب نعلم منه أن «تحتمس الثالث» وُلِد في طيبة، كذلك جعران رُسِم عليه «تحتمس الثالث» وهو غضُّ الإهاب، يفوق سهمه للرماية،[١٣٣] وإذا كان ها الرسم لا يدلُّ على حادث معين، فإنه يذكِّرنا على أية حال بالجعارين التاريخية التي نقشها «أمنحتب الثالث» عن الصيد والقنص.

كما وُجِد له جعران كُتِب عليه «تحتمس الثالث» مثبت على ظهر أعدائه، وهنا نجد أن كلمة أعداء مخصصة بصورة حصان، وهذا المخصص من الأهمية بمكان؛ لأننا نعرف أن الحصان كان قد أُحضِر إلى مصر في بداية الأسرة الثامنة عشرة (راجع: "Petrie. "Scarabs XXVI).

وكذلك نُقِش على ظهر جعران صورة فتاة سورية جالسة القرفصاء، وعلى وجه الجعران نُقِش: «تحتمس الثالث يخرب قادش.» وعلى جعران آخَر نُقِش: «الإله الطيب تحتمس يهزم قادش.» ولا نزاع في أن نقوش الجعارين الثلاثة الأخيرة تشير إلى حروب تحتمس.

ومما هو جدير بالملاحظة أننا نشاهد على جعران آخَر رسم الفرعون وهو ساجد يتعبَّد أمام مسلة، وعليه نُقِشت العبارة التالية: «تحتمس الثالث الذي أُقِيمت من أجله المسلتان في معبد آمون.» وعلى آخَر نُقِش: «تحتمس يقدِّم آثارًا في معبد آمون أو تحتمس الثالث مخلد بالآثار.»

وفي متحف «اللوفر» يوجد له جعران (Louvre, 3408) نُقِش عليه: «تحتمس الثالث في السماء مثل القمر، والنيل في خدمته، وإنه يفتتح صيده لأجل أن يمنح مصر الحياة.»

---

[١٣٢] راجع: A. S. Vol. XXXIX. p. 11.

[١٣٣] راجع: Petrie, “Scarabs & Cylinders”, Pl. XXVI.

وأخيرًا نجد له بعض الجعارين التاريخية ترفع من شأنه، مثال ذلك: نقش على جعران: «تحتمس سيد الحكام.» (راجع: A. S. Vol. XXXIX. p. 113 ff).

فمن نقوش هذه الجعارين نعرف شيئًا عن نواحي حياة «تحتمس الثالث»، ونشاطه في كل الميادين الحربية والاجتماعية والدينية وميادين العمارة وغيرها.

وقد بقي اسم «منخبر رع» يُنقَش على التعاويذ والجعارين في العهود التي تلت حكمه بدرجة تفوق حدَّ الوصف، حتى إن نسبة وجود اسمه على الجعارين كانت بنسبة جعرانين لكل ثلاثة جعارين موجودة في العالم؛ ولا نزاع في أن شهرته التي استمرت على هذه الصورة تتعاقبها الأجيال، تُظهِر كيف أن فخامة عصره وسمو مكانته قد تركتَا أثرهما العميق في نفوس المصريين الذين كانوا يعتبرون عصره أزهى عصر في تاريخهم، ولا يدهشنا إذن أنَّا نجد بعض الملوك الذين أتوا بعده بقرون عدة كانوا يتشبهون به، حتى إنهم لقَّبوا أنفسهم بلقبه «منخبر رع»، ولا أدل على ذلك من أن أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين سمَّى نفسه «منخبر رع»، وكذلك نجد «بعنخي» الإثيوبي أعظم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين لُقِّب بلقب هذا الفاتح العظيم تبرُّكًا وتيمُّنًا.

ولقد بلغ من تعلق الشعب المصري بذكر «تحتمس الثالث» وحب الافتخار به درجةً حدت بأفراد عامة الشعب أن يتسموا بلقبه «منخبر رع»، فكانت هذه أول بدعة في تاريخ مصر؛ إذ لا نعرف قط بقدرِ ما وصلَتْ إليه معلوماتُنا أن لقب فرعون من السابقين أو اللاحقين قد استعمله أفراد الشعب اسمًا علمًا يُنادَى به كسائر الأسماء، ولا غرابة فقد كان لفظ «منخيريا» سيفًا يُضرَب به المثل في الأقطار الآسيوية لقوة السلطان والعظمة والوفاء، بل أكثر من ذلك نجد أنه كان يُتعبَّد له في هذه الجهات، فقد طلب أمير «تونب» تمثال «تحتمس الثالث» وبنى له معبدًا في بلدته، وأقام له الشعائر، كما وُجِدت لوحة لأحد كبار رجال الدولة المسمَّى «ابن إثي»، وهو آسيوي الجنس من عهد الملك «مرنبتاح»، يُشاهَد فيها هذا الموظف وهو يتعبَّد للفرعونين «تحتمس الثالث ومرنبتاح» نفسه[١٣٤] (A. S. XL. p. 45 ff).

[١٣٤] وكذلك نشاهد بعض أفراد الشعب يتعبدون لهذا الفرعون في صورة أوزير في خلال الأسرة الثانية والعشرين (راجع: J. E. A. Vol. V. p. 177. Pl. XXXI).

(٩) أسرة تحتمس الثالث

لا نزاع في أن الجزء الأول من تاريخ حياة تحتمس الثالث الزوجية لا يزال غامضًا؛ إذ نعلم أنه تولَّى العرش ولم يكن قد بلغ الحلم بعدُ، والمفروض أنه قد تزوَّج من أخته «نفرو رع» كبرى أخواته وبنت «حتشبسوت»، وقد كانت الوارثة الشرعية للملك، غير أن هذا الزواج لم يتم، وإن كان بعض المؤرخين يعتقد أنه بنى بها بعد مضي سنين عدة، ولكنا لم نجد لها حتى الآن لقبَ الزوجة الملكية على الآثار كما هو المتبع، وكل ما نعرفه أنها كانت تُلقَّب «الزوجة المقدسة» أو «زوجة الإله»، وهو لقب فخري كانت تحمله الوارثة الشرعية للعرش؛ ولذلك كانت تحمله هي ووالدتها في آنٍ واحد. وعلى أية حال لا نعرف على وجه التأكيد التاريخَ الذي تُوفيت فيه هذه الأميرة، والمرجَّح أنها ماتت في حياة «سنموت»، أيْ قبل موت والدتها «حتشبسوت»، وقد كان موتها من الأسباب التي عجلت بسقوط «سنموت» نفسه، والظاهر أنه بعد وفاتها تزوَّج «تحتمس الثالث» من أميرة تُدعَى «أح ست»، وربما كانت أخته لأبيه؛ إذ كان اسمها يُوضَع في طغراء ملكية.

والظاهر أنه بعد وفاة «نفرو رع» التي كان يجب أن تُعتبَر الزوجة الشرعية، حلَّتْ محلها «أح ست»؛ إذ نجد في معبد الإله «بتاح» لوحةً مُحِي منها اسم «نفرو رع»، ووُضِع مكانه اسم «أح ست» هذه،[١٣٥] وكذلك عثر المؤرخ «ويجل» على قطعة من لوحة نُقِش عليها اسم هذه الملكة، واسم «تحتمس الثالث» زوجها في معبده الجنازي،[١٣٦] مما يُظهِر أنها كانت ملكةً على البلاد معه مدةً قصيرةً بعد انفراده بالحكم. وقد وُجِدت لها (بلطة) منذورة بالعرابة المدفونة،[١٣٧] وكذلك وُجِد لها تمثال أهداه لها «تحتمس الثالث» بعد وفاتها في «طود» جنوبي «طيبة»،[١٣٨] والظاهر أنها كانت قد توفيت عندما بنى «تحتمس الثالث» مقصورةَ البقرة المقدسة في معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير البحري؛ إذ لم يأتِ ذِكْرها على النقوش هناك،[١٣٩] والظاهر أن «مريت رع حتشبسوت» بنت الملكة «حتشبسوت» وأخت «تحتمس الثالث» من أبيه كانت قد بلغت وقتئذٍ سنَّ الزواج فبنى

---

[١٣٥] راجع: Legrain, “Repertoire”, No. 119.

[١٣٦] راجع: (A. S. VII P 118).

[١٣٧] راجع: Mariette, “Abydos” II. p. 40.

[١٣٨] راجع: Legrain, Ibid. No. 188.

[١٣٩] راجع: Naville, “11th. Dyn. Temple”, p. 63.

بها (؟)،[١٤٠] ونشاهد «أمنحتب الثاني» ومعه والدته «مريت رع حتشبسوت» في مناظر قبره،[١٤١] وكذلك نشاهده معها على جعران،[١٤٢] ويوجد تمثال «بو الهول» في صورة ملكة يمثِّلها، وقد كُتِب اسم زوجها على صدرها، عُثِر عليه في معبد «إزيس» بروما، وهذا التمثال موجود الآن في مجموعة «باروكو»، ويوجد منه نُسَخ في تورين وبرلين.[١٤٣] يضاف إلى ذلك أننا نشاهد هذه الملكة واقفةً خلف زوجها «تحتمس الثالث» في معبد مدينة «هابو».[١٤٤]

وعلى الرغم من أن «مريت رع حتشبسوت» كانت تُلقَّب «الزوجة الملكية العظيمة»، أي الزوجة الشرعية، فإن «تحتمس الثالث» كانت له زوجات أخريات ثانويات، ونعرف من بينهن اثنتين، أولاهما تُدعَى «مريت آمون»، وكانت تُلقَّب «الابنة الملكية» و«الزوجة الملكية»، وهذا يعني أنها كانت بنت «تحتمس الثاني» من زوجة ثانوية، أي إنها كانت أخت «تحتمس الثالث» وزوجه في آنٍ واحد.

أما زوجه الأخرى فتُدعَى «نبتو»، وهي التي كان يدير أملاكها «نب آمون»، ولدينا بطاقة من الخشب ضمن البطاقات التي سبق ذكرها مؤرَّخة بالسنة السابعة والعشرين، ذُكِر عليها اسمها بوصفها الأميرة «نبتو» بنت ابن الملك المسمَّى «سيتوم».

ويُحتمَل أن الأمير «سيتوم» هذا كان ابن عم الفرعون «تحتمس الأول»، وعلى ذلك تكون «نبتو» هذه بنت عم «تحتمس الثالث»، والظاهر من تاريخ البطاقة أنها لم تكن قد تزوَّجَتْ هذا الفرعون بعدُ،[١٤٥] وقد جاء ذِكْر اسمها في قبر «تحتمس الثالث»، وقد كانت وقتئذٍ على قيد الحياة.

أما أولاد هذا الفرعون، فلم يُذكَر في قبره إلا اسم الأميرة «نفرتاري» المرحومة، ولما لم يكن اسمها قد أُحِيط بطغراء، فيظهر إذن أنها لم تكن من دمٍ ملكيٍّ خالصٍ، بل يُحتمَل أنها كانت إحدى بنات زوجاته الثانويات، هذا وقد ذُكِرت أسماء ثلاث أميرات على ثلاث بطاقات من البطاقات الخشبية السالفة الذكر بوصفهن بنات «تحتمس الثالث».

---

[١٤٠] راجع: L. D. III. Pl. 62, 64.

[١٤١] راجع: Mariette, “Abydos” II. p. 40.

[١٤٢] راجع: A. Z., XX. p. 118.

[١٤٣] راجع: A. Z. XXI, p. 118.

[١٤٤] راجع: L. D. III, Pl. 38b. & Champollion, “Notices”, p. 195, 3.

[١٤٥] راجع: A. Z. XXI. p. 123.

وسيأتي الكلام عن «أمنحتب الثاني» الذي أنجبه من زوجه «مريت رع حتشبسوت» في حينه.

(١٠) وفاة تحتمس الثالث

صعد «تحتمس» العظيم إلى السماء بعد أن جلس على عرش الملك أربعة وخمسين حولًا كاملًا، وقد أكَّدَ لنا ذلك قائدُه الأمين «أمنمحاب» في تاريخ حياته الذي ذكره لنا على جدران قبره؛ إذ يقول: «لقد أتَمَّ الفرعون حياتَه الحافلة بالسنين بشجاعة وسلطان ونصر من، السنة الأولى إلى السنة الرابعة والخمسين، في اليوم الثلاثين من الشهر الثالث من الفصل الثاني، وهو حكم الملك «منخبر رع»، ثم صعد إلى السماء واتحد مع الشمس، واندمجت الأعضاء المقدَّسة مع بارئها، وعندما انفلق الصباح وأشرقت الشمس وأضاءت السماء، تربَّعَ على عرش والده الفرعون «عا خبرو رع» أمنحتب الثاني، ولُقِّب بالألقاب الملكية.»[١٤٦]

وقد دُفِن تحتمس العظيم في مقبرة أَعَدَّها لنفسه في «وادي الملوك»، وقد كُشِف عن هذه المقبرة في ربيع سنة ١٨٩٨، وتقع على مسافة قصيرة من مقبرة «رعمسيس الثالث»، وجدرانها محلَّاة بصورة آلهة ونقوش من بينها قائمة طويلة بأسماء الآلهة، كما نُقِش عليها نسخة تامة من كتاب «ما يوجد في عالم الآخرة».

ويُشاهَد على عمود من عمد الحجرة الثانية «تحتمس الثالث»، تتبعه والدته «إزيس» وأزواجه وابنته «مريت آمون»، وعندما كُشِف عن قبره وُجِد التابوت خاويًا؛ وذلك لأن موميته قد نُقِلت من قبره إلى خبيئته «الدير البحري»، والظاهر أنها كانت قد عبث بها اللصوص في مخدعها الأخير، بعد أن هشموا التابوت الخشبي الذي كان يحتويها ونهبوا ما عليها من حلي، وقد حدث من جرَّاء ذلك أن أُصِيبت المومية بأضرار جسيمة، وتدلُّ شواهد الأحوال على أن الذين وضعوها ثانيةً في مخبأ «الدير البحري» قد أصلحوا الكفن، وهو مصنوع من الكتان الجميل، وقد نُقِش عليه تعاويذ من «كتاب الموتى»، كما وُجِد معه كذلك بعض الأثاث الجنازي، أهمه إوزة من الخشب، وفهود كذلك من الخشب، وتماثيل صغيرة وخواتم من الخزف المطلي، وتعاويذ عدة، ورمَّموا المومية قبل دفنها،

---

[١٤٦] راجع: A. Z. XXI. p. 123.

فوضعوا الأجزاء التي كانت قد تفكَّكَتْ من الجسم في مكانها، ولأجل أن تصبح المومية متماسكة الأجزاء، وتأخذ شكلها الأصلي، وُضِعت بين أربع قطع من الخشب، كلٌّ منها بشكل مجداف، ولُوِّنت باللون الأبيض، ثلاث منها في داخل الكفن، وواحدة خارجه تحت الأشرطة التي رُبِط بها الكفن، ولحسن الحظ لم يُصَبْ وجهه بسوء؛ إذ كان قد غُطِّي بملاط من القار وقت التحنيط، وقد بقي سليمًا لم تُصِبْه يد اللصوص.



شكل ٥: مومية تحتمس الثالث.

ولا يدل مظهر وجه «تحتمس الثالث» على نموذج المثل الأعلى لفاتح عظيم مثله، ومع أن تماثيله لا تُظهِره في صورة رجل جميل الطلعة، إلا أنها مع ذلك تدلُّ على أنه كان رجلًا مهذَّبًا ذا تقاسيم تنطق عن ذكاء، وإذا قرناها بصورته الأصلية، وجدنا أن المثَّال الذي نحتها كان كريمًا معه إلى حد بعيد؛ إذ نجد في الواقع محيا «تحتمس الثالث» لا ينمُّ عن أي جمال؛ إذ كان منخفض الجبين إلى درجةٍ تفوق المعتاد، ذا عينين غائرتين في محجريهما، وفك ضخم، وشفتين غليظتين، وخد بارز العظم جدًّا، فكل ملامحه إذن تذكِّرنا بملامح والده «تحتمس الثاني»، غير أن هيئته كانت تدل على مقدار عظيم من النشاط. وفي الحق إن «تحتمس الثالث» كان فلَّاحًا من السلالات المصرية القديمة الأصلية، قصير القامة، ممتلئ الجسم، سوقيًّا في صورته وملامحه، غير أنه مع ذلك لم تنقصه قوة العزيمة، وشدة البأس.

(١١) أخلاق تحتمس الثالث ومكانته في العالم القديم

(١١-١) تحتمس الثالث رجل حرب بطبعه

لقد كانت أبرز صفة لحظناها في استعراضنا لتاريخ حياة «تحتمس الثالث» منذ نعومة أظفاره هي حبه للكفاح، والشغف بالغزو، والميل إلى ركوب متن المخاطرات بصورة لا تعرف الكلل. ولا غرابة في ذلك؛ فإنه قد نشأ في عصرٍ كله حروب وغزوات، وأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد قضوا معظم حياتهم في ساحات القتال شمالًا وجنوبًا، يغزون آسيا مرةً ويهدئون الثورات في السودان مرةً أخرى.

هذا إلى أن البلاد من أقصاها إلى أقصاها كانت لا حديثَ لها غير الغزاة الذين استعبدوهم مدةَ قرن ونصف من الزمان، وأن بقايا هؤلاء الغزاة كانوا لا يزالون يقطنون آسيا، وأن الخوف منهم كان لا يزال عالقًا بأذهان المسنين منهم، على الرغم من امتداد فتوح الفراعنة حتى نهر الفرات.

في هذا الجو الذي كان يملؤه رنين السيوف وأهوال الحرب نشأ «تحتمس الثالث»، وقد أراد والده أن يُنشِئه تنشئةً دينيةً، فوضعه في معبد «آمون» بالكرنك، غير أنه على ما يظهر كان الكهنة أنفسهم متشبِّعين بروح إلههم الذي كان يُعَدُّ إله الحرب وناصر الفراعنة في ساحة القتال، فبثوا في نفسه ذلك الروح الحربي الذي ساد البلاد في هذا العهد، ولقنوه دروسًا في البطولة والشجاعة، وضربوا له الأمثال بأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة، ومن قبلهم ملوك الأسرة الثانية عشرة، وبخاصة «سنوسرت الثالث» الذي كان يُعتبَر في نظر الشعب المصري، ونظر ملوك الأسرة الثانية عشرة بطلَ الفتوح المصرية، وموقظ روح الوطنية والبطولة في نفوس ملوكها؛ ولذلك نجد أن «تحتمس الثالث» عندما اعتلى العرش ولم يكن قد بلغ الحلم بعدُ، كان أول عمل قام به هو إعادة مباني «سنوسرت الثالث» في «سمنة وقمة»، التي أقام عندهما هذا البطل العظيم لوحته المشهورة، محذِّرًا أخلافه من الملوك وبني وطنه ألَّا يتراخوا في المحافظة على الحدود المصرية التي مدَّها حتى هذه النقطة بحد السيف.

فأعاد هذا الملك الصبي بناءَ هذه المباني الدينية، وفضلًا عن ذلك رفع «سنوسرت الثالث» إلى مرتبة الآلهة بوصفه إله حرب؛ فهل جاء ذلك عفوًا من فرعون صغير كان لا يزال في الثانية عشرة من عمره، أم هل فعل ذلك عن قصد ونتيجة تعاليم لُقِّنها في طفولته؟ وبخاصة إذا علمنا أن الوصية على العرش وقتئذٍ كانت امرأة لا تريد الحرب، بل قضت طوال مدة حكمها بعيدة عن الحروب وأهوالها.



شكل ٦: تمثال تحتمس الثالث بالمتحف المصري.

وفي الحق أن حياة «تحتمس الثالث» تحدِّثنا صراحةً أنه قد قام بهذا العمل عن قصدٍ وعن مبادئ قد تشبَّع بروحها، ولقد حاولَتِ الوصِيَّةُ على العرش «حتشبسوت»، والملكة «ماعت كارع» فيما بعدُ، أن تُخمِد أنفاس الروح الحربي الذي يتأجَّج في نفس «تحتمس الثالث» طوال ثلاثين حولًا، حتى إذا وجد منفذًا بعد موت الملكة انطلق من عقاله ومرق كالسهم، فلم نلبث أن وجدنا تحتمس على رأس جيش عظيم على حدود مصر يزحف إلى سهول «مجدو». والعجب العجاب في ذلك أنك ترى الخطط الحربية المنظمة المحبوكة التي تعززها البسالة والإقدام والذكاء الخارق، ممَّا لم يُسمَع به في تاريخ حروب العالم قبل ذلك.

ومَن يطَّلِع على هذا النظام وتلك الخطط البارعة التي وضعها ذلك القائد البارع، لا يشك في أن «تحتمس الثالث» كان يفكر طوال مدة إقصائه عن الحكم فيها، ويدرسها من كل نواحيها حتى يفاجئ العالم بها دفعة واحدة، ولا نزاع في أن معركة «مجدو» أولى

انتصاراته، وما جاء فيها من خطط سديدة وحركات فنية كانت أول درس أُلقِي على قوَّاد العالم القديم، بل والحديث في فنون الحروب وقيادتها.

أليس هو «تحتمس الثالث» الذي كان أول مَن قسَّمَ الجيش إلى جناحين وقلب، وأنه هو الذي بجسارته وحبه للمغامرة في سبيل نيل مأربه قد اتَّخَذ أقصر الطرق مع ما فيها من مخاطر لمهاجمة العدو، وأنه هو الذي أراد أن يضرب المثل الأعلى لمجلسه الحربي الذي عقده — ولا نعلم مجلسًا حربيًّا أعلى عقد قبل ذلك في العالم — فعوَّل على أن يكون أول مُضَحٍّ بحياته إذا ما دعا داعي الوطنية والشرف؟

أليس هو «تحتمس» الذي كان يُضرَب له السرادق في أرض الأعداء يدبر فيه خططه التي كان ينفِّذها عندما ينبلج الصباح؟

أليس هو «تحتمس» الذي لم يَنْسَ مناظر الحروب وما أوتيه من نصر بمساعدة إلهه «آمون» — إله الحرب — فعاد إلى مصر وهي مرتسمة في مخيلته، ولم يُرِدْ أن تذهب عنه أو يتناساها، فأقام للإله «آمون» معبدًا هو صورة مطابقة لخيمته التي كان يشغلها في أثناء حروبه، ليُدخِل في روع شعبه أن «آمون» هو الذي آزره وناصَرَه وكتب له الفوز في هذه الحروب، فهو إله كفاح وجهاد، لا يسكن في محراب بل في سرادق حرب على استعداد دائم للأخذ بناصر ابنه «تحتمس» في ساحة الوغى، إذا ما جلَّ الخطب وعظم المكروه مع أولئك الأقوام الثائرين.

ثم نرى «تحتمس» يكشف لنا عن صفحة أخرى من مجده الحربي ومهارته وشدة ذكائه في إحكام خططها، فنشاهده يسير بأسطوله ويفتح المواني التي على شاطئ فينيقيا؛ ليتخذها قاعدةً حربيةً لتموين جيوشه التي كانت تغزو قلب «آسيا» حتى لا يُطعَن من الخلف، وحتى يمكن أن يضرب ضربته وهو مطمئن، ويكون أسطوله الرابطة بينه وبين مصر من جهة، وبينه وبين جيوشه التي كانت تسير في أرض معادية من جهة أخرى، وقد أمدَّ هذه المواني بالمواد الأولية والصناع، وكل ما يلزم لجيشه من عتادٍ ومؤن، بل لتأمين ذلك جعل لهذه الثغور جزيةً تُدفَع لها سنويًّا وخراجًا يُجبَى لها من محاصيل البلاد المجاورة، هذا إلى استخدام أساطيل البلاد الموالية له على الساحل في قضاء شئونه، وبخاصة سفن «جيبل» وبلاد الكفتيو.

كل ذلك سهَّلَ عليه إخضاع الولايات التي كانت تشقُّ عصا الطاعة على مصر، كما كانت تسهِّل عليه فتح البلاد النائية في داخل بلاد آسيا، ولا أدل على الخدمات التي قدَّمتها له هذه الثغور من تلك التي سهَّلت عليه إعادة فتح بلاد «نهرين»، ومد حدوده إلى أبعد ممَّا

وصل إليه أجداده، وهنا تظهر عبقرية «تحتمس» مرة أخرى في ابتكار الخطط وإعداد العدة لنيل مأربه، ممَّا جعله على رأس الفاتحين من حيث العبقرية والذكاء، فقد فكَّرَ في بناء سفن حربية لنقل جيشه عبر نهر الفرات حتى يسهل عليه إتمام الفتح، ولكنه خشي من صنعها في أراضي العدو الذي ربما أفسد عليه خطته؛ ولذلك بنى سفنه قِطَعًا متفرِّقة في «ببلوص» التي كان لأهلها شهرة في صناعة السفن، ثم ابتكَرَ لها عربات من نوع خاص تجرُّها ثيران حتى شاطئ الفرات، حيث رُكِّبت أجزاؤها، وبذلك نُفِّذت خطته التي كانت نسيج وحدها. وها نحن أولاء نسمع في تاريخ الحروب الحديثة أن القواد العظام يأخذون دروسًا عن قائد مصر كما يقول مؤرخو الفرنج، فيقول الدكتور «ولسن» إن اللورد اللنبي سار على هدي خطط «تحتمس الثالث» في إحراز النصر على الأتراك، في اختراق ممر «عرونا» الذي سلكه فاتح مصر العظيم؛ ويحدِّثنا المؤرخ «فولكنر» أن القائد الأكبر «مونتجمري» قد نقل السفن الصغيرة من شاطئ البحر محمولة حتى نهر الراين؛ ليعبر بها هذا النهر ويباغت بها العدو، ثم هو ينتصر عليه كما انتصر «تحتمس الثالث» عندما نقل أسطوله إلى نهر الفرات وانتصر على أمير «نهرين».

وكان روحه الحربي حتى في أوقات فراغه لا يخمد ولا يهدأ نشاطه؛ إذ نراه بعد منازلة الأبطال في ساحة الوغى، يخرج إلى الوديان لمنازلة أخطر الحيوان وأشده بطشًا بالإنسان.

وتلك شنشنة نعرفها في أبطال هذه الأسرة، فقد كان ملوكها مُغرَمين بالصيد والقنص كما سنرى بعدُ، والظاهر أنهم كانوا يتعلمونها بالوراثة، فقد ذكر لنا «تحتمس الثالث» ما أحرزه من ضروب الشجاعة الفذة في الصيد والقنص؛ إذ ذكر لنا أنه قضى على قطيع من الفيلة عند بلدة «ني» عند نهر الفرات، بل يذكر أكثر من هذا ممَّا يمتاز به على فراعنة مصر، عندما شرح لنا على جدران معبد «أرمنت» كيف اصطاد وحيد القرن، وكأنه كان يشعر باستحالة ذلك، فدوَّنَ لنا أوصاف هذا الحيوان ومقاييسه، وهو يُعَدُّ أخطر أنواع الوحوش وأشدها افتراسًا، وقد ترك لنا لوحة في معبد الإله «منتو» إله الحرب، وعدَّدَ لنا ضروب شجاعته في الصيد والرماية، وما أحرزه من انتصارات.

على أن «تحتمس الثالث» كانت له نواحٍ أخرى غير الحرب والصيد والقنص، فقد وجدناه عندما عاد من إحدى حملاته يقوم برحلة تفتيشية في كل أنحاء مصر، يسأل بكل دقة وعناية الموظفين المحليين، وكان غرضه في ذلك الضرب على يد المرتشين في الإدارة المحلية في أثناء جمع الضرائب، وقد كان كذلك من أغراضه في مثل هذه الرحلات، ملاحظةُ

سيرِ العمل في بناء المعابد العظيمة التي كان قد أمر بإقامتها أو إصلاحها وتزيينها في أكثر من ثلاثين مكانًا على ما نعلم، وغيرها مما عفت عليه الأيام؛ أليس هو «تحتمس الثالث» الذي قد أحيا معالم الدلتا التي بقيت مهملةً منذ عهد الهكسوس البغيض، ومن ربوعها حتى «نباتا» عند الشلال الرابع كانت مبانيه تسير على خط واحد على المدن والبلدان، كأنها عقد من اللآلئ قد نظمت جواهره على طول شاطئ النهر؟ ثم أليس هو الذي كان عند عودته بعد عمله المضني إلى طيبة تُرَى أعماله عظيمة وسلطانه محسًّا في كل ناحية من نواحي الإدارة؟ فقد كانت ثروة الإله «آمون» المتزايدة تحتاج إلى عنايته وحسن تدبيره الشخصي، فكان يملي على الكهنة التعليمات الدقيقة لإدارة معابد الحكومة وثروتها النامية، وقد كان ساعده الأيمن في تنفيذ كل ذلك وزيره وأخوه من الرضاعة «رخ مي رع» كما سنفصل القول في ذلك (Cambridge Ancient History Vol. II. p. 81.). وفي أوقات فراغه وجدناه مفتنًّا يرسم الأواني الأنيقة من ابتكاره، ويضع التصميم، ثم يسلِّمه ليد مهرة الصناع لتنفيذه، وكذلك نراه في مظهر آخَر يجمع أجمل الأزهار وأندرها من بلاد «سوريا»، وكذلك الأشجار التي لا تنبت في بلاده، ويأمر بنقلها إلى مصر وغرسها في حدائق غنَّاء في معبد الإله «آمون»، وكذلك يختار من الحيوان والطيور أجملها وأندرها ويحملها إلى حظيرة الإله، ويتعهَّد نموها وتكاثرها، كل ذلك يدل على روحٍ تحبُّ الفنَّ والطبيعةَ ومباهجها.

على أن ما يلفت النظر في أخلاق هذا الجندي الباسل الذي كان لا ينفك عامًا واحدًا عن منازلة الأعداء، والضرب على يد المنشَقِّين عليه؛ أنه كان رجلًا قد امتاز بشفقته وإنسانيته بل ورحمته للمغلوبين، فقد رأيناه يتجاوز عن سيئات أمراء الحلف الذين تآمروا عليه، بعد أن وقعوا في قبضته في موقعة «مجدو»، فلم يسلبهم عرشهم، أو يحرمهم متاعهم، وحتى عدوه اللدود «أمير قادش» وكذلك «أمير تونب»، نراهما قد مُثِّلَا في قبر «مدير أعماله منخبر رع سنب»، وقد أتيَا إلى الفرعون أحرارًا لم تُوضَع في أيديهم السلاسل ولا في رقابهم الأغلال؛ ممَّا يدل على أنهما كانا بدورهما قد صُفِح عنهما، وكذلك نلحظ أن رهائن العدو قد لاقوا معاملة حسنة، وأُعِيدوا في نهاية الأمر إلى أوطانهم، ولم نسمع مرةً أن «تحتمس الثالث» قد مثل بأجسام قتلى العدو الذي هُزِم بصلبهم في مقدمة سفينته، كما فعل جده «تحتمس الأول» وابنه «أمنحتب الثاني».

ونشاهد ضمن مناظر قبر وزيره «رخمي رع» أسرى حروب آسيويين يعملون في صنع قوالب اللبن، كما تحدِّثنا عن ذلك النقوش: لأجل بناء مخزن للإله «آمون»، وكذلك

تحدِّثنا النقوش أنهم كانوا يمونون بالخبز والجعة وكل نوع طيِّب من الطعام، وأن قلوبهم كانت تحب ملكهم الرحيم.

على أن ذلك وإن كان لا يعطينا صورة صادقة عن الواقع، فإنه مع ذلك يمثِّل لنا صورة نموذجية ممَّا يجب أن يُعامَل به الأسرى الذين كُتِب عليهم الوقوع في أيدي عدوهم.

ولا شك في أننا نرى في كرم معاملاته لأعدائه الآسيويين حكمةً وحسنَ سياسةٍ بعيدة المرمى، وفي الحق إن حسن سياسته قد ظهرت في فرص عدة في خلال فترة اشتراكه مع الملكة «حتشبسوت»، عندما كانت هي وعصابتها يضيقون عليه الخناق، ويسدون في وجهه كلَّ منفذ بصورة مريعة، وإلا لرأيناه لولا صبره واحتماله يقضي على حياته بيده. والواقع أن ما أوتيه من قوة إرادة وضبط نفس لَأكبر شاهد على اجتيازه محنةَ تلك السنوات التي قضاها في منفاه الذهبي طوال مدة حكم «حتشبسوت».

وتتجلَّى قوة إرادته وحسن تدبيره كذلك — أو إن شئتَ فقُلْ: حسن تدبير مَن كان حوله — في اعتلاء عرش الملك في أول أمره، على الرغم من أن أمه لم تكن إلا زوجة ثانوية «لتحتمس الثاني» والده، وأنه في صباه لم يكن إلا كاهنًا بسيطًا في معبد «آمون».

ولقد كان لسياسته ومضاء عزيمته ونظمه الموفقة الأثرُ الأكبر الذي كتب للإمبراطورية التي وطَّد أركانها البقاءَ عدة أجيال؛ إذ كان أكبر ما تصبو إليه نفسه وأهم ما جاهَدَ لتحقيقه أن يوطِّد أواصرَ الودِّ والمصافاة بينه وبين أجزاء إمبراطوريته، فكان يربِّي أمراء الولايات التابعة له مع أمراء البيت المالك، ويلقِّنهم حب مصر، ويُطلِعهم على عظمة بلاده في عقر داره، كما أنه كان يأخذ بناصر كل أمير غلب على أمره؛ ممَّا جعل اسمه مضرب الأمثال في القوة والشجاعة والنجدة، حتى إن أمراء بعض الولايات كانوا يطلبون تمثالَ هذا الفرعون إلى بلادهم، ويقيمون له المعابد، ويتضرعون إليه في السراء والضراء وحين البأس، وكان أولئك الأمراء الموالون يَفِدُون إلى مصر مقدِّمين له فروض الطاعة والخضوع، كما يُشاهَد ذلك في مقبرة وزيره العظيم «رخمي رع» الذي كان يكرِّر لهم عباراته المشهورة عن سيده «تحتمس»: «إن جلالته يعرف كلَّ شيء يحدث، ولا يوجد شيء لا يعرفه، وإنه مثل الإله «تحوت» (إله العلم والحكمة) في كل شيء، وإنه لم يَقُمْ بأي عمل إلا نفذه.»

ومع كل تلك الصفات وهذه الأخلاق العظيمة كان «تحتمس الثالث» رجلًا صادقًا متدينًا؛ إذ يقول عن نفسه: «إني لم أنطق بكلمة مبالغ فيها ابتغاءَ الفخر بما عملته، فأقول إني فعلتُ شيئًا دون أن يفعله جلالتي، ولم آتِ بعمل فيه مظنة، وقد فعلت ذلك

لوالدي الإله آمون؛ لأنه يعرف ما في السماء ويعلم ما في الأرض، ويرى كل العالم في طرفة عين.»

هذا هو «تحتمس الثالث» كما نستخلصه من الآثار الصامتة، بعد استقراء وفحص، وقد نكون قد شططنا في إعطائه حقَّه، أو أغفلنا بعض مناقبه، ولكن تفاديًا لذلك سنترك الشاعر المصري يصف لنا أعماله ومكانته في العالم الذي كان يعيش فيه، بتدوين تلك القصيدة الخالدة التي تتغنى بانتصارات «تحتمس الثالث»، وما أتاه من أعمال خارقة للحد المألوف. ولا بد أن «تحتمس الثالث» قد أمر بإقامة اللوحة التي كُتِبت عليها تلك القصيدة في معبد الكرنك بعد انتهائه من حروبه في آسيا، وبعد أن أغدق على الإله «آمون» الخيرات، وأوقف عليه البلاد والضياع؛ ولذلك نجد أن الشاعر المصري قد جعل هذه القصيدة التي كانت فيما بعدُ نموذجًا لعظماء الفراعنة أمثال «سيتي الأول» و«رعمسيس الثاني» الذين نقلوها ونسبوها لأنفسهم، تتكلم على لسان الإله «آمون» الذي حباه «تحتمس الثالث» بكل هذه الخيرات مقابل تلك الانتصارات التي منحه إياها في ساحة الوغى، فاستمع للإله «آمون» يخاطب ابنه «تحتمس الثالث» الذي كان في اسمه سحر كعصا موسى يهزم جيوش الأعداء في كل المواقع.

يقول «آمون رع» رب الكرنك

أنت تأتي إليَّ وتنشرح حينما تشاهد جمالي، يا بني، يا حامي، يا «منخبر رع» الباقي المخلد، إني أطلع منيرًا حبًّا فيك.

إن قلبي ينشرح بمجيئك الميمون إلى معبدي، ويداي تمنحان أعضاءك الحماية والحياة.

ما أرق الشفقة التي تُظهِرها نحو جسمي؛ ولهذا سأثبتك في مأواي، وأقدِّم لك أعجوبة.

إني أمنحك القوة والنصر على كل البلاد الجميلة، وإني أمكن مجدك والخوف منك في كل البلاد السهلة كذلك، والرعب منك يمتد إلى عمد السماء الأربعة، إني أجعل احترامك عظيمًا في كل الأجسام، وأجعل نداء جلالتك الحربي يتردد بين «أمم الأقواس التسع».

وعظماء جميع البلاد الأجنبية جميعهم في قبضتك، وإني بنفسي أمد يدي وأصطادهم لك

وأربط الأسرى في «الترجلوديت» بعشرات الألوف، والألوف، وأهل الشمال بمئات الألوف.

وإني أجعل أعداءك يسقطون تحت نعليك فتطأ … الثائرين، كما أني أمنحك الأرض طولًا وعرضًا، فأهالي المغرب وأهالي المشرق تحت سلطتك.

إنك تخترق كل البلاد الأجنبية بقلب منشرح، وأينما حلت جلالتك فليس هناك من مهاجم، وإني مرشدك ولذلك تصل إليهم، وإنك تعبر المنحنى الأعظم لبلاد «نهرين» بالنصر والقوة اللذين منحتهما إياك، وعندما يسمعون نداء إعلان الحرب يلجئون إلى الأحجار؛ لقد حرمت أنوفهم نفس الحياة، وأرسلت رعب جلالتك ساريًا في قلوبهم.

والصل الذي على جبهتك يحرقهم ويستولي على الأشقياء منهم غنيمة باردة، ويحرق الذين في … بلهيبه، ويقطع برءوس الآسيويين، ولا يفلت منه أحد بل يسقطون، وينكل بهم بسبب قوته.

إني أجعل انتصاراتك تنتشر في الخارج في كل البلاد، ذلك الذي يضيء على جبيني خاضع لك. ولا أحد يثور عليك في كل ما تحيط به السماء، بل يأتون بالهدايا على ظهورهم، ويقدِّمون الطاعة لجلالتك كما آمر.

لقد عملت على كبت مَن يقوم بغارات ومَن يقترب منك، فقلوبهم تحترق، وأعضاؤهم ترتعد.

لقد حضرت لأجعلك تتمكن من أن تدوس بالقدم عظماء فينيقيا
ولأجعلك تشتِّت شملهم تحت قدميك في ممالكهم
وأجعلهم يشاهدون جلالتك كرب الشعاع
عندما تضيء في وجوههم بوصفك صورتي.

لقد حضرت:
لأمكنك من أن تطأ أولئك الذين في آسيا
وتضرب رؤساء عامو (آسيا).
اجعلهم يشاهدون جلالتك مدججًا بدرعك حينما تقبض على آلات الحرب في عربتك.

لقد حضرت:
لأتمكن من أن أجعلك تطأ بالقدم الأرض الشرقية
وتطأ من في الأقاليم أرض الإله، ولأجعلهم يشاهدون جلالتك مثل النجم «سشد» الذي ينشر لهيبه كالنار حينما ترسل سيلها.

لقد حضرت:

لأجعلك تتمكَّن من أن تطأ الأرض الغربية
«فكفتيو» و«آسي» تحت سلطانك
ولأجعلهم يشاهدون جلالتك مثل الثور الصغير
ثابت القلب، حاد القرن، لا يمكن مهاجمته.
لقد حضرت:
لأمكنك من أن تطأ هؤلاء الذين في مستنقعاتهم؟!
في حين أن أرض «متن» ترتعد خوفًا منك
ولأجعلهم يشاهدون جلالتك كالتمساح
رب الرعب في الماء لا يمكن الاقتراب منه.
لقد حضرت:
لأمكنك من أن تطأ هؤلاء الذين في الجزائر
والذين في وسط المحيط، وهم الذين تحت لوائك، ولأجعلهم يشاهدون جلالتك منتقمًا قد ظهر منتصرًا على ظهر فريسة.
لقد حضرت:
لأمكنك من أن تطأ «اللوبيين»
«والأوينتو» بقوة سلطانك
ولأجعلهم ينظرون إلى جلالتك كالأسد المفترس
حينما تجعلهم أكوامًا من الجثث في وديانهم.
لقد حضرت:
لأمكنك من أن تطأ أقصى حدود الأراضي، في حين أن ما يحيط به الأقيانوس يكون في قبضتك
ولأجعلهم ينظرون إلى جلالتك كرب الجناح
الذي يقبض على الذي يرى كما يشتهي.
لقد حضرت:
لأمكنك من أن تطأ هؤلاء الذين في البلاد الغربية
وتربط سكان البدو أسرى
لأجعلهم ينظرون إلى جلالتك كابن آوى الوجه القبلي (وهو أشد ما يكون افتراسًا)، وهو رب السرعة سباقًا مخترقًا الأرضين.

لأمكنك من أن تطأ «انو» النوبة، ويكون في قبضتك حتى بلاد «شات»
ولأجعلهم ينظرون إليك كأخويك التوءمين
اللذين ضممتُ أيديهما لك في النصر
ولذلك وضعت أختيك خلفك حماية لك، على حين أن ذراعي جلالتي كانتا مرفوعتين
لتقبضا على كل شر، إني أمدك بالحماية يا بني المحبوب «حور».
يا أيها الثور القوي الذي يسطع في «طيبة»
والذي أنجبته من أعضائي الإلهية
«تحتمس» المخلد أبدًا الذي عمل لي كل ما تتوق إليه نفسي «كا»
لقد أقمت لي مسكنًا، وهو عمل سيبقى إلى الأبد
وجعلته أطول وأعرض ممَّا كان عليه من قبلُ
والباب العظيم ... الذي يجعل جماله «بيت آمون» (؟) في عين
إن آثارك أعظم من آثار كل ملك سلف.
إني أعطيك الأمر لتقيمها، وإني لمنشرح بها
وإني لأثبتك على عرش «حور» مدة آلاف آلاف السنين، حتى ترعى الأحياء إلى الأبد.

ولا شك في أن القارئ قد وجد في هذه القصيدة مبالغات خارجة عن حد المألوف، كما هي العادة في المدائح التي نقرؤها في أشعار المدائح في الشرق عامةً، وهي تُعتَبَر من الشعر الرسمي الذي ينقصه التنويع في التعبير والخيال السامي؛ ولذلك فهي لا تُعَدُّ في نظرنا من الأدب الراقي، غير أنها كانت في نظر المصري من الشعر النموذجي، وإلا لما نسبها بعض الملوك لأنفسهم كما ذكرنا (راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء ٢ ص١٨٦).

(١٢) الموظفون وحياتهم الاجتماعية في عهد تحتمس الثالث

(١٢-١) الوزير «وسر آمون» أو «وسر»

يُعَدُّ الوزير «وسر» من أوائل عظماء الدولة الذين نصبهم «تحتمس الثالث» على إثر انفراده بالحكم، وذلك قبل بداية السنة الواحدة والعشرين، وهو العام الذي اختفت فيه «حتشبسوت».

وهو بلا نزاع من رجالات العصر الذين تركوا أثرًا خالدًا في نظم الحكم، ولا غرابة إذا كان هو واضع بعض المبادئ القويمة التي سار على نهجها ابن أخيه «رخمي رع»، الذي

يُعَدُّ أبرز شخصية في نظر المؤرخ الحديث بما تركه من آثار خالدة في نقوش قبره كما سنرى بعدُ. والواقع أن ما بقي لنا من آثار «وسر» يحدِّثنا عن عظمته، وما كان للوزير من مقام عظيم، ومكانة منفردة في نفوس الشعب، ومن آثاره نعرف أولًا أنه كان يحمل الألقاب التالية (راجع: Urk. IV. p. 1030–1306):

(١) الأمير الوراثي، (٢) فم «نخن»، (٣) كاهن «ماعت» (العدالة)، (٤) رئيس العدالة، (٥) مدير أسرار بيت الفرعون، (٦) المشرف على بيتي الذهب وبيتي الفضة (أي: رئيس الخزانة)، (٧) المشرف على مخازن غلال «آمون»، (٨) وخازن كل الأشياء الثمينة في «الكرنك»، (٩) وعمدة المدينة والوزير، (١٠) والمشرف على القصور الستة، (١١) والمشرف على قاعات العدل الست العظيمة، (١٢) حامل خاتم ملك الوجه البحري، (١٣) السمير الوحيد، الأمير أمام العامة (أهل الوجه البحري)، كاتب كل الأحجار الثمينة الغالية، والمطهر، ومساعد كاهن الإله «مين» والقاضي، والمشرف على الكتاب.

وتدل الآثار الباقية على أن الوزير كان له قبران في «جبانة شيخ عبد القرنة» هما رقم ٦١، ورقم ١٣١، والقبر الأول رقم ٦١ لم يتم نحته، ويُعرَف بقبر «وسر» فقط، أما القبر الثاني فكان قد نُحِت في صخر على ارتفاع حوالي خمسين قدمًا فوق الأول، وكان يُسمَّى فيه المتوفى «آمون وسر»، ولكن لدينا نقوش في مقبرة «أمنمحات» مدير بيته، تدل على أنه هو نفس «وسر» صاحب المقبرة الأولى، وهذا القبر الأخير كان آية في الزخرف والإتقان، يدل على ذلك ما أبقته يد التخريب والعبث التي أودت بمعظمه، ففضلًا عن متن تنصيب الوزير ومتن واجباته اللذين كانا منقوشين على جدرانه، فإنه لا يزال لدينا بعض مناظره الجميلة باقية منها الوفود الذين جاءوا من الشمال حاملين الجزية، والنقوش المفسرة له تقول: «تسلم الغنائم التي أحضرتها قوة جلالته من الممالك الشمالية الواقعة عند حدود «آسيا»، ومن «الجزر» التي تقع في وسط البحر بوساطة الحاكم الوراثي، والمتكلم الذي يأتي بالسلام لكل أرض، والمشرف على محاكم العدل «وسر آمون».» ويُرَى في هذا المنظر ممثِّلون من الجزر التي تقع في قلب الأخضر العظيم (البحر الأبيض المتوسط)، وهي «كريت»، ويحتمل الجزر الأخرى التي كانت تحت سيطرتها، والجزية أو الهدايا التي كان يحضرها أولئك تضيف معلومات جديدة إلى معلوماتنا السابقة، وكذلك نشاهد في صف آخَر «أهل حدود آسيا»، وفي الصف الأخير نشاهد أهالي «رتنو»، وكل هذه الأجناس نراها ممثَّلة في حضرة «رخ مي رع»، ممَّا يدل على أن المفتن لم يرسمها من خياله، بل كان أمامه ممثلون حقيقيون أخذ عنهم صوره (راجع: M. M. A. 1924–5, Part II. March p. 46–7).

الوزير «وسر» يحل محل والده عامثو

على أن أهم منظر في المقبرة هو منظر الاحتفال بتنصيب الوزير، ويجب أن نقرر هنا أن قبور الوزراء على وجه عام، وقبر «وسر» على وجه خاص، كانت تزين معظم جدرانها بمناظر تبرز أعمال الوزير ووظائفه، وما كان يجب عليه في اتباع المثل العليا للحق والعدالة التي كانت أهم تقليد يسير على نهجه كل وزير، هذا إلى مناظر تصوِّر لنا قوةَ مصر وسيادتها، مثل مناظر الأجانب وهم وافدون إلى مصر يحملون ما فُرِض عليهم من جزية يضعونها تحت أقدام الفرعون وهم صاغرون. ومن أهم المناظر التي خلفها لنا «وسر» على جدران مقبرته هذه، تلك الصور الرائعة التي تمثِّل الوزير المسن «عامثو» والده، وهو ينوء تحت عبء السنين، وينثني تحت ثقل الشيخوخة، فتقوست قناته، وارتخت أعضاؤه، ممَّا جعله يطلب إلى الفرعون[١٤٧] أن يمنَّ عليه بتعيين شاب من شباب مصر، يساعده على القيام بواجباته على الوجه الذي يقتضيه الإخلاص في العمل والمحافظة على كيان الدولة، ولقد أجاد المفتن في إبراز صورة صادقة تنمُّ عن رجل قد انحنى ظهره وقرَّبت السنون بينه وبين الأرض (راجع: Davies, M. M. A. Part II, (December, 1926), pp. 3 ff).

(أ) وصف تنصيبه وزيرًا

وقد أُجِيب الوزير المسن إلى ملتمسه، والمنظر الذي نتحدث عنه هو في الواقع يمثِّل الاحتفال بتنصيب الوزير «وسر»، فنشاهد «تحتمس الثالث» جالسًا تحت عرش منمق الحواشي، وقد وقف أمامه رئيس التشريفات، واثنان من سمار الفرعون و«وسر» نفسه، وقد كان حتى هذه اللحظة لا يحمل إلا لقب «كاتب خزانة» الإله في معبد «آمون»، وقد قرَّرَ المجلس الاستشاري تعيينه وزيرًا للدولة، ويُشاهَد على الجدار نقشٌ طويلٌ يقصُّ علينا الإجراءات التي كانت تتبع في مثل هذا الاحتفال، ولكن لسوء الحظ قد هشم هذا المتن الفذ أحد أهالي قرية «شيخ عبد القرنة» الذي اتخذ مقبرة الوزير مسكنًا له، ومع ذلك فإن ما أفلت

---

[١٤٧] هذا الرجاء للتقاعد عن العمل من جانب الوزير يُعَدُّ من التقاليد القديمة جدًّا، ويرجع على ما نعلم إلى ما قبل عهد «بتاح حتب» الوزير الذي عاش في عهد الأسرة الخامسة، وكان وزير الفرعون «أسسي» (راجع كتاب الأدب المصري القديم جزء أول ص١٧٦).

من يده نستطيع به أن نكوِّن فكرةً لا بأس بها عن سير الاحتفال وخطواته، فنشاهد السمار يخاطبون الملك راجين إياه أن يلحظ أن قوى الوزير المسن (عامثو) قد انحطت، وأن جسمه قد ذبل؛ إذ قد قوس الدهر قناته، وأن واجباته العادية قد أثقلت كاهله، حتى إن المدينة قد أصبحت ضالة معلنة «أنه من الخير لبلادك أن تهتم بتعيين وكيل (عصا الشيخوخة)، وعلى ذلك طلب إليهم الفرعون أن يبحثوا عن رجل له شخصية بارزة، وكان رجال البلاط بطبيعة الحال قد وقع اختيارهم فيما بينهم من قبلُ على مَن يخلف «عامثو» هذا، غير أن واجب الأدب كان يحتم عليهم أن يلقوا أمام الفرعون خطابًا كله ملق، وأنه هو الذي وضع القوانين مدة «ملايين» السنين»، قبل أن يصلوا إلى الغرض الأصلي، وفي النهاية يقولون: «تأَمَّلْ! إن ابنه الذي يُسمَّى «وسر»، وهو كاتب الخزانة للإله في معبد «آمون» (كما كان) في عهد والده «تحتمس الثاني»، وإنه من الخير أن يرقى إلى وظيفة «نائب وزير».»

وبعد ذلك يخاطب الفرعون «عامثو» في رفق وحنان قائلًا: «إن كل الفكرة تتوقف عليك.» ويقول له بشفقة: «إن مَن نال ثقة المجلس لسعيد، وإنك لم تصبح بعدُ عديم الفائدة، فإن أخلاقك ليست معوجة، ولم تُوجَّه إليك تهمة من البلاط، وإنك تعمل بصدق نحو الفرعون، حقًّا إن ابنك «وسر» ماهر، لين الجانب، دقيق، راضٍ عن تعاليمك، فدَعْ كفايته تحيط بك، وإني أرجو أن يعمل معك بمثابة وكيل، فيكون كالذي ينفذ إرادة مَن هم فوقه.» وينتهي الخطاب الملكي بالإطراء على الوالد وابنه (راجع: Davies, M. M. A. (1924–25), p. 50).

أما بقية المنظر فيمثِّل لنا المهرجان الذي أُقِيم للوزير الجديد عند ذهابه إلى المعبد ليثبت تعيينه أمام الإله «آمون»، ومن هنا نجد بداية تأثير تمثال العبادة الذي كان يقام في المعبد للإله «آمون»، وهو ذلك التأثير الذي بُولِغ فيه لدرجة عظيمة منذ نهاية الأسرة العشرين، حتى إن الفرعون قد أصبح لا يستطيع أن يفصل في أمرٍ من أمور الدولة دون موافقة ورضاء الكهنة، الذين كانوا يسيطرون على آثار هذا الإله.

وقد كان يرأس الاحتفال المشار إليه جنود تصحبهم طائفة من جنود الموسيقى، وبعد ذلك يأتي أربعة رجال يحملون غصونَ أشجار دليلًا على الفرح، وخلف هؤلاء مباشَرةً يأتي «وسر» لابسًا حلةَ الوزير التقليدية، وحاملًا عصاه الطويلة على كتفه؛ ليظهر بذلك أنه ليس في حاجةٍ إلى التوكؤ عليها كما يعمل الرجل المسن، ويُشاهَد على رأسه أيضًا مخروط معطر لينشر في شعره رائحة ذكية، وممَّا يلفت النظر أن المفتن قد أفلح في إبراز

صورته على نقيض صورة والده، فيظهر «وسر» مستقيم العود ينمُّ عن بنية قوية تدل على الشباب الغض، في حين نرى والده «عامثو» هزيل الجسم منحني العود في المنظر الأخير (راجع: Davies, “M. M. A.”, (1925–6) p. 9. Fig. 5)، ثم يظهر بعد «وسر» الفرعون «تحتمس الثالث» محمولًا في محفة على أعناق ثمانية من رجال البلاط، ويُشاهَد أمامه رجلان يحرقان البخور ويرشان الماء، كما نرى ذلك عند نقل تمثال، أو أمام مومية في طريقها إلى الجبانة، وكذلك يرى حامل مروحة يلتفت خلفه ليروِّح على الفرعون، كما يوجد حامل مروحة آخَر يمشي بجانب الفرعون ومروحته الصغيرة، يحملها على كتفه دون أن يستعملها، والظاهر أن هذا هو الموظف الذي يُدعَى في النقوش حامل المروحة على يمين الفرعون بوصفه لقب شرف وحسب، وكذلك يحمل آخَر مروحة خلف الفرعون في صورة علامة الحياة، ثم يأتي بعد ذلك تابعان أحدهما يحمل نعال الفرعون والآخَر يحمل جعبة قوسه وكنانته وحقيبة، وعلى جدران هذه المقبرة وثيقة أخرى نُقِش فيها التعاليم التي قدَّمها الوزير «عامثو» لابنه «وسر» الذي عُيِّن مساعدًا له، ولكن مما يُؤسَف له جد الأسف أن أكثرها قد هُشم، ولكن ممَّا تبقَّى منها نعلم أنها تحتوي عدة نصائح ذوات مغزًى خلقي عظيم منها: «دَعْه يحكم دون أن يفضِّل رجلًا يعرفه على رجلٍ لا يعرفه. تأمَّلْ! إنك جدار يصدُّ الظلم، دَعْه يشجِّع الاقتراب منه في المسألة؛ وذلك لأن الشاكي يجب أن يفرغ ما في قلبه، تمسَّكْ بالحق، فإن ذلك سيزيد في ثروتك.»

(ب) أهمية نقوش مقابر الوزراء في التاريخ

والواقع أن مقابر الوزراء كما ذكرنا من قبلُ تتحفنا على جانب عظيم من الأهمية في نواحي الحياة العامة، كما أننا نصل إلى معرفة بعض الشيء عن الحياة في مصر القديمة من قبور العظماء، التي بقيت لنا حتى الآن بألوانها وبهائها، غير أن هذه المقابر لا تفسح لنا المجال في هذا الصدد إلا في حدود نطاق ضيق، ومثلها في ذلك كمثل إنسان ينظر إلى صورة كبيرة في حجرة مظلمة تضاء فقط بنور خاطف، فحيث يقع شعاع النور نرى كلَّ شيء جميلًا واضحًا مميزًا، أما في الدائرة الخارجة عن هذا الشعاع فلا نشاهد إلا أشباحًا مبهمة تتضاءل صورها حتى تختفي في ظلام حالك، وهذا هو نفس ما ينطبق على مناظر المقابر، فنرى الشريف وهو جالس إلى وليمته يخدمه العبيد والإماء، ولكن لا نعلم شيئًا البتة عن حالة هؤلاء العبيد الاجتماعية حتى نرى الرجال مع نسائهم في انسجام ملؤه الحب، وليس لدينا أية فكرة عن عادات الزواج أو قوانينه بصورة واضحة.

ومن جهة أخرى نرى أن الاحتفالات الجنازية تُكرَّر أمامنا بدرجة تمجها النفس وتسأمها العين، ولا غرابة في ذلك؛ فإنها الأساس الذي بُنِي من أجله القبر، وعلى أية حال فإننا على الرغم من أننا مدينون لمناظر قبور «طيبة» بكل ما نعرفه عن الحياة الخاصة والنظام المدني في مصر، فإن المؤرخ يتألَّم من صموتها أو إشارتها إشارات عابرة إلى نواحٍ خاصة من الحياة القومية، مثل حالة المرأة وأعمالها، والدور الذي كان يلعبه المعبد، والمحاكم، والأسواق، والخدمة، والملاهي في حياة أبناء الشعب، ومقدار الحرية التي كان يتمتع بها الفلاح والصانع والتاجر، ومقدار التأثير الذي أحدثه دخول العبيد الأجانب في السكان، ووضع القوانين وغير ذلك؛ كل هذه المرافق لا نعرف عنها شيئًا إلا استنباطًا واستقراءً لما لدينا من نصوص ومناظر.

وكان المصري عندما يعود إلى الأرض في صورة ملاك كما يزعم، كان يرغب في رؤية بيته ومعبد مدينته، ويسمع خوار أبقاره، ويرى نمو نباتاته، فلم يكن يهمُّه كثيرًا موضوع جمع الضرائب وما يترتب عليها، أو الحروب الناشبة، أو السياسة وشئونها؛ وذلك لأنه لم يكن له عليها سلطان، بل يعلم أن كل هذه الأشياء كانت أعداء ألداء له مثل الطاعون والجوع؛ وحتى الموظف لم يكن يهتم إلا بشئون إدارية، من حيث إنها كانت مورد رزقه وإسعاده في الحياة. وإذا قسنا الملوك بما لهم من آثار، فإنهم لم يكونوا أحسن حالًا؛ إذ كان كل ما يشغل أفكارهم في الحياة الدنيا هو الفخار والاحتفالات الدينية، ثم التأليه بعد الموت، وقد كان الكاهن الأكبر في الواقع ملكًا دون أن يكون له أمل أن يُؤلَّه بعد الموت مثل الفرعون، وعلى الرغم من أنه لم يكن يشغل نفسه أكثر من أي فرد غيره بالأمور الدينية، فإنه كان من كبار المقتصدين، مثله في ذلك كمثل الأب الديني الحالي؛ إذ قد ترك لنا صورًا حية مفيدة جدًّا عن الضياع العظيمة والمصانع التي كانت في حيازته.

(ج) الإخلاص في خدمة مصر كان الهدف الأول للوزير

أما الوزير فكان يضع كل مصر وأرزاقها في قبضه يده، وإذا حكمنا بما لدينا من الأمثلة الباقية ظهر أمامنا أنه كان يدَّخِر بين جنبيه لخير مصر كلَّ ما كانت تطمح إليه الأخلاق الإنسانية من مشاريع مثالية، وأعني بذلك تكوين حكومة وطنية سعيدة، فقد كان هو الفرد الوحيد الذي سما بنفسه عن الأثرة والطوائف، وأظهر لنا إحساسًا يوحي بأن الأمة يجب أن ترتكز على الأخلاق والقانون والخدمات المتبادلة؛ ولذلك كان يتصوَّر عودته في صورة ملاك إلى عالم الأرض ليتسلم ثانيةً عبء التفكير لمساعدة قومه بكل ما يسعدهم،

ويصلح حالتهم، كما كان يفعل في حياته الدنيا؛ وإنَّا لنقف على سر ذلك من وصف «رخ مي رع» ابن أخيه الذي تولَّى بعده الوزارة مباشَرةً عندما يقول: «تأمَّلْ! إن منصب الوزير ليس بالحلو أبدًا، إنه مر كما يدل على ذلك اسمه (كلمة وزير معناها الرجل أو مَن يقوم بدور الرجل)، وإنه لجدار من نحاس يحافظ على ذهب بيت سيده، وليس يوجد رجل آخر يرغب في أن يعمل هذا لغيره، وإن الريح والماء يبلغان كل شيء بعمله، وإن الذي يجب عليه أن ينفذ العدالة في وجه كل إنسان هو الوزير، فليتك أيها الوزير تتبع القانون الذي سُلم إليك. تأمَّلْ! إن هذا هو طريق السعادة.»

هذا هو قبر الوزير «وسر آمون» الذي قد بدأ كما قلنا وزارته بالاشتراك مع والده «عامثو»، وتدل المعلومات التي جُمِعت عنه أنه مكث في الوزارة نحو عشرة أعوام، وترك خلفه ستة ذكور وسبع إناث، وقد توفي وهو يأمل أن يروح ويغدو في الجبانة بمثابة إنسان عمل بولاء وإخلاص مع بيت إله الشمس، ويتسلم طعامًا منه في كل الأبدية، وقد خلفه على كرسي الوزارة على حسب رأي بعض المؤرخين «رخ مي رع» أعظم الوزراء المصريين كما سنرى بعدُ.

(١٢-٢) أمنمحات بن تحتمس مدير بيت الوزير «وسر»

ذكرنا فيما سبق أن الوزير كان أعظم رجل في الدولة، وأن نفوذه في إدارة البلاد لا يُدانَى، وتدل كل ما لدينا من نقوش على صدق ذلك، وبخاصة إذا علمنا أن مدير بيته الخاص «أمنمحات بن تحتمس» كان يُعَدُّ من أغنياء القوم، وهو الذي كان يُعَدُّ ساعده الأيمن على ما يظهر، وكانت وظيفته الرسمية تنحصر بوجه عام في الإشراف على أملاك سيده ودخله، وحساب العبيد والحقول والغلال والمعادن الثمينة، وقد كان كذلك مُكلَّفًا بالإشراف على بعض الحياة الخاصة بالوزير والفرعون كما سلف ذكر ذلك؛ وقد ترك لنا في قبره «بجبانة شيخ عبد القرنة» لوحةً مؤرَّخةً بالسنة الثامنة والعشرين من حكم «تحتمس الثالث».

وألقابه كما وجدناها على مقبرته كالآتي: «الكاتب، وكاتب الوزير، والكاتب حاسب الحبوب، ومدير بيت الوزير، ومدير بيت الوزير للمدينة الجنوبية (طيبة)، والذي يراقب كل أملاكه، ومدير البيت الذي يحسب كل ما يوجد، ومدير البيت الذي يحصي الناس، ومدير البيت محصي الحبوب، ومدير البيت الذي يحصي حبوب الإله «آمون»، ومدير البيت الذي يحصي الحقول المنزرعة، والكاتب محصي الغلال في مخازن قربان «آمون» المقدسة،

والكاتب الذي يحسب حبوب «آمون»، ورئيس عبيد «آمون»، ورئيس العبيد، والمشرف على الأراضي المحروثة، والمشرف على احتفالات بيت «آمون» «أمنمحات».»

وليس لدينا أي دليل في مقبرة «أمنمحات» يرشدنا إلى الترتيب الذي نال به «أمنمحات» هذه الألقاب، ولا نزاع في أن أول لَقَبٍ لُقِّبَ به هو وظيفة «كاتب»، واللقبان الأخيران من ألقابه كان يحملهما والده وجده، واللقب الأخير هو في الواقع لقب قديم جدًّا وتُرجِم حرفيًّا «مسن الردهة»، ومعناه رئيس التشريفات، وقد وضح لنا معناه تمامًا من نقشٍ في مقبرة «رخ مي رع»، وذلك أنه عندما قدِمَ هذا الوزير إلى البلاط، كان الموظف الذي استقبله هو «مسن الردهة»، وقد قدَّمه إلى الحضرة الملكية (راجع: Newberry, “The Life of Rekhmara”, Pl. VII. p. 6)، وقد كان هناك كذلك رؤساء تشريفات متصلون بالمعبد.

ومناظر هذا القبر على الرغم من أنها ليست من الطراز الممتاز من حيث الفن والدقة، إلا أنها تحتوي على صور شائقة وهامة من الوجهة الدينية، مما ورث عن الدولة الوسطى، مثل منظر الحج إلى «العرابة المدفونة»، التي كانت تُعَدُّ كعبة الصالحين (راجع ج٣)، وكذلك الشعائر المختلفة الخاصة باحتفال فتح الفم. على أن أهم منظر يُشاهَد في القبر هو منظر الوليمة التي أعَدَّها أمنمحات احتفاءً بالمهندس والمفتنين الذين شيَّدوا له مقبرته، والنقوش الخاصة بهذا المنظر تحدِّثنا قائلةً: «شكرًا للصناع، وإقامة الوليمة لهم بالقربان المقدسة، ومكافأتهم بكل أنواع الأشياء الطيبة … فوضعت الأكاليل على رءوسهم، وقد صفها مدير البيت، محصي رجال «آمون … أمنمحات» المرحوم … إلخ.»

ومن بين المدعوين إلى هذه الوليمة نشاهد: «مدير المباني في هذا القبر» الكاتب «أمنمحات»، وراسم التصميم «أحمس»، والنحات الذي نحت التماثيل، وممَّا يُؤسَف له أن اسم هذا الرجل قد مُحِي، ولا بد أنه كان القائم بنحت تماثيل المتوفى، ويشتمل على نقش يحدِّثنا عن تاريخ حياته ذكرناه فيما سبق (راجع: Davies and Gardiner, “The Tomb of Amenemhet”, Pl. XII, XVII. p. 36–37. etc).

(١٢-٣) أمنمحات كاتب الملك

وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة»، وكان من المقرَّبين لدى الفرعون «تحتمس الثالث»، فقد كان يصحب الفرعون في رحلاته (Gardiner & Weigall, “Catalogue”, No. 123)، وكان يحمل الألقاب التالية: «كاتب الملك، والممدوح من الإله الطيب، والذي يتبع خطوات الملك في صحراء الجنوب وفي الشمال، والكاتب العظيم في بيت الفرعون له الحياة والعافية

والصحة، والمقرب جدًّا لسيده، والمشرف على مخازن الخبز، والكاتب الملكي الذي يحصي الخبز، والكاتب الذي يحسب خبز الوجه القبلي والوجه البحري، والكاتب»، والقبر يحتوي على منظر صيد يُشاهَد فيه «أمنمحات» في عربته يطارد غزالًا في الصحراء (راجع: Urk. IV. Pls. 25–26)، وهذا المنظر من الأمثلة القليلة التي نجد فيها العظماء يخرجون للصيد والقنص في الصحراء في عرباتهم، مثل الملوك في أوائل الأسرة الثانية عشرة؛ إذ كانت العربات موقوفة على أثرياء القوم الذين كان في استطاعتهم اقتناؤها والإنفاق عليها، وهذا دليل على أن «أمنمحات» كان من أثرياء القوم كما تدل وظائفه.

(١٢-٤) أمنمسو مدير بيت الفرعون في طيبة

كان «أمنمسو» من الموظفين القلائل الذين عمروا طويلًا في خدمة الحكومة في عهد أربعة ملوك على التوالي؛ فقد بدأ حياته الحكومية في عهد «تحتمس الثالث»، وأُقِيل على ما يظهر في عهد «أمنحتب الثالث»، وكان يحمل الألقاب التالية (راجع: Urk. IV. p. 1024–5): الأمير الوراثي، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، والذي يتبع خطوات الملك في صحراء الجنوب وفي الشمال (يقصد في النوبة وآسيا)، ومدير البيت في المدينة الجنوبية، ومدير البيت، وحامل العلم.

وقبر «أمنمحات» يقع في «جبانة شيخ عبد القرنة» (Gardiner & Weigall, "Cata-logue", No. 89)، وتدل كل الظواهر على أنه كان في الأصل غاية في دقة الصنع، ويحتوي على عدة مناظر هامة، غير أن الزمن والأحقاد لعبتا دورهما في تخريبه؛ إذ نشاهد أن كل صورة لصاحبه أو أقاربه قد مُحِيت عن قصد، ثم أُشعِلت فيه النيران أخيرًا، والظاهر أن تخريب هذه المقبرة قد حدث بعد الانتهاء منها مباشَرةً؛ لأننا نعلم أن «أمنمسو» كان لا يزال في الخدمة في عهد «أمنحتب الثالث»، وتدل كل الأمور على أن القبر كان قد خرب قبل عهد «أخناتون» تمامًا؛ وذلك لأن عمَّاله الذين وكَّل إليهم محْوَ اسم «آمون» لم يدخلوا هذا القبر قطُّ؛ لأن اسم «آمون» قد وُجِد محفوظًا فيه، والظاهر أن «أمنمسو» كان ينظر بعظمة وفخار إلى عهد «تحتمس الثالث» الذي بدأ خدمته في عهده، كما كان ينظر إليه كل مَن عاشَرَه حتى في البلاد الأجنبية، حقًّا كان يحتل «أمنحتب الثالث» مكان الشرف في قبره؛ لأنه كان الملك الحاكم وقت نحته، ولكن «أمنمسو» قد ظهر في منظرٍ فيه وهو يتعبَّد «لتحتمس الثالث»، كما أنه قد أعطى عنايةً فائقةً إلى تمثيل صورة هذا الفرعون فيه، في حين أن المناظر الأخرى كانت عادية في تمثيلها؛ هذا إلى أنه يُشاهَد في منظر صور فيه

«أمنمسو» يقدِّم قربانًا محروقة للإله «آمون رع» وللإله «حوراختي»، وكتب صلوات لهما وللإلهة «حتحور»؛ ليهبوا جميعًا النصرَ العظيم لروح «منخبر رع» (تحتمس الثالث) (راجع: Davies, J. E. A. Vol. XXVI. p. 132)، ويلحظ هنا أن هذه الصلاة قد غُطيت بلون، فهل معنى ذلك أن «أمنحتب الثالث» حقد على صاحب المقبرة لتأليهه «تحتمس الثالث» ولعنايته بتكريمه، في حين أنه كان يعدُّ نفسه إلهًا؛ ولذلك أمر بطمس معالم هذا القبر وصاحبه (؟).

ومما يلحظ في مناظر هذا القبر مطبخ ضخم يظنُّ الإنسان أنه مطبخ ملك لا مطبخ عظيم من عظماء القوم، فقد كانت تُجهَّز فيه الأصماغ العطرية والبخور والزيوت العطرية فوق تجهيز الطعام، كما نجد أن بعض هذه المواد كانت تشكل في صور خيالية، مثل الثيران والإوز المنتوف والمسلات (Ibid. Pl. XXII)، وقد وجدت مثل هذه الصور من هذه المواد منذ عهد الدولة (راجع مصر القديمة ج٣)، ويقول «ديفز» إن هذه الإشكال المصنوعة من البخور ربما كانت تحل محل القربان المحروقة الحقيقية.

تبادُل التجارة بين مصر «وبنت»: وفي هذا القبر نجد كذلك منظرًا لاستقبال جزية البلاد الأجنبية، ونلحظ فيه أن بعض الآسيويين قد أحضروا عربات (راجع: Ibid. Pl. XXIII, XXIV)، ومن بين المناظر التي تسترعي النظر صورةٌ تمثِّل التجارة التي كانت تتبادل بين مصر وبلاد «بنت»، وليس لدينا أية إشارة إلى المكان الذي تقابَلَ فيه المصريون لتبادُل سلعهم مع أهل «بنت»، غير أنه في منظر في القبر رقم ١٤٠ في «ذراع أبو النجا» نفهم من وجود سفن ملاحة أهل «بنت» في البحر الأحمر، أنه كانت توجد ميناء على ساحل هذا البحر لهذا الغرض (راجع: Davies, M. M. A, Nov. 1935. Section II. p. 46)، ويُحتمَل أن تكون «القصير» الحالية (كما يقول ديفز) وهي الواقعة في نهاية طريق «قفط» الصحراوية، ويُشاهَد في هذا المنظر بقايا صورة «أمنمسو» بعربته وخيلها، وأمامه أهل «بنت» يحضرون سلعهم التي كانت تحتوي على صموغ عطرية، بعضها موضوع في حقائب وأكياس من الجلد، وبعضها مكوَّم أكوامًا عظيمة على صوان، أو مضغوط في هيئة مخاريط، وكذلك أحضروا معهم جلود قردة وحيوانين حيين، واحد منهما مربوط في حبل، والثاني حمل على ذراع رجل (راجع: J. E. A. XXVI. Pl. XXV)، وهنا نرى الكتاب المصريين منهمكين يدوِّنون سلع المبادلة، ولم يظهر لنا من الصور نوع السلع التي كان يتسلمها أهل «بنت» مقابل بضائعهم، وقد انتهت العملية برجوع المصريين إلى بلادهم، وكذلك عاد «أمنمسو» في عربته بعد انتهاء المأمورية، وقد كان أتباعه يسيرون خلفه على

الأقدام، وكان بعضهم يسوق حميرًا محمَّلة بالماء اللازم لرجال الحملة، وكان آخرون يحملون بعض قِطَع من الخشب يجوز أنها من الأبنوس الذي استحوذوا عليه من أهالي «بنت»، على أن عدم حمل هؤلاء القوم أية أسلحة فتَّاكة عدا عصي قصيرة، لَدليل على أن الطريق إلى الساحل كانت مؤمنة بالشرطة، أو أن هذه البقعة من الصحراء لم يكن يسكنها قبائل من الذين اعتادوا السلب والنهب.

(١٢–٥) أمنمس رئيس الرماة

يوجد قبر هذا الجندي في «جبانة شيخ عبد القرنة» أيضًا (رقم ٤٢)، وقد حلَّ به من التخريب ما حلَّ بقبر سمِيِّه السالف الذكر تمامًا. وألقابه هي: الأمير الوراثي المقرَّب من الإله الطيب، والمشرف على الأراضي الأجنبية الشمالية، ورئيس الرماة (المشاة)، ومحبوب رب الأرضين، ورئيس الإصطبل (Ibid. Pl. XXXIX)، وعينا الفرعون في بلاد «رتنو» (راجع: Davies, “The Tombs of Menkheperrasonb, Amenmose and Another” Pp. 27 ff).

الفرعون يرسله لتفقُّد أحوال ولايات آسيا

والظاهر أن هذا الموظف كان مُشرِفًا على بلاد «آسيا» من قِبَل الفرعون ليتفقَّد أحوال الأمراء، ويكون على اتصال بالفرعون حول ما يجري في مختلف الولايات؛ ولذلك نجد في قبره منظرًا هامًّا نقش فوقه: وصول رئيس الرماة في «نجو» خلال حملة قام بها إلى تلك الجهات مع الفرعون (وهو إقليم في بلاد لبنان)، كما نلحظ ذلك من وجود رئيس بلاد لبنان، والمنظر من الوجهة الفنية يدل على أن المفتن المصري قد بدأ يصور المناظر الطبيعية على حقيقتها بعض الشيء؛ إذ نشاهد في هذا المنظر بعينه قلعة سورية بجدرانها وشرفاتها وأبراجها، وقد أُقِيمت في وسط غابة كثيفة من شجر الصنوبر، غير أن الأشجار لم تُرسَم بصور طبيعية، بل في صورة حلية (Ibid. Pl. XXXVI)، ويشاهد الرئيس اللبناني ينحني على الأرض أمام «أمنمس»، وخلفه آخَر يقدِّم آنية عظيمة، وآخَر يحمل طبقًا فيه أحجار كريمة (Ibid p. 40)، وخلفه تأتي هدايا أخرى منها ثوران، وهذه العطايا ليست عظيمة القيمة، ولكن قد اختيرت لتمثِّل محاصيل البلاد المختلفة، وأسفل ذلك نشاهد جنودًا مصريين يمشون مشية مُسرِعة، وكانوا مسلَّحين «بالبلط» والحراب، كما كانوا

يحملون دروعًا، ثم يأتي خلفهم الكتبة، ولا بد أن هؤلاء الجنود من رجال الحامية الذين كانوا قد استولوا على هذا الحصن.

ولا نزاع في أن هذا القبر يرجع تاريخه إلى عهد «تحتمس الثالث»؛ إذ عُثِر على طغرائه فيه، ولكن يظهر من طغراء آخَر أنه عاش كذلك في عهد الفرعون «أمنحتب الثاني»، وبذلك يكون «أمنمس» قد خدم في عهد الفرعونين (Davies, ibid, XXXIX).

(٦-١٢) منخبر رع سنب الكاهن الأكبر للإله آمون

تدل المعلومات التي لدينا على أن والد «منخبر رع سنب» لم يكن صاحب مكانة ممتازة بين رجال عصره؛ إذ لا نعرف له أيَّ لقب، بل قد ذُكِر باسم «أمنمحات» وحسب، أما والدته فكانت مرضعة الفرعون، ويُحتمل جدًّا أنه الملك «تحتمس الثالث»، وتُسمَّى «تايونت»، وكانت في الواقع بنت امرأة تُدعَى «نبتا»، وهي أخت الفرعون من الرضاعة، ومن ذلك نعلم أن والدتها كانت كذلك مرضعة ملكية.

ألقابه

وكان «منخبر رع سنب» يحمل الألقاب والوظائف التالية: الأمير الوراثي، والذي ينال رضاء قلب الملك بإتقان آثاره، ومدير أصحاب الحِرَف، والمشرف على أعمال «آمون» في «وثتون آمون» (اسم مكان)، والكاهن الأكبر للإله «آمون»، والسمير العظيم الحب، والمشرف على بيتي الذهب، والمشرف على بيتي الفضة، ورئيس أسرار الإلهتين «وازيت» و«نخبت»، ووالد الإله، والمشرف على مخازن الغلال للإله «آمون»، والمشرف على الغزالين في الوجهين القبلي والبحري، والممدوح من الإله الطيب، والمشرف على الوظائف، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والمشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري (الوزير الديني)؛ وكل هذه الألقاب نُقِشت في قبره رقم ٦٨، أما في قبره رقم ١١٢، فقد وجدنا فضلًا عمَّا ذكر الألقابَ والنعوت الآتية: الفم الذي يهدئ كل الأرض قاطبة، والرئيس الأعلى في بيت الملك، وكذلك وجدنا على تمثال له في المتحف البريطاني الآن لقبين آخَرين زيادة على ما سبق، وهما الكاهن الثاني للإله «آمون»، والكاهن «سم» (Hall, J. E. A. Vol. XIV. p. 1, Pl. III). والواقع أن «منخبر رع سنب» قد أقام لنفسه قبرين، وكلاهما في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٨٦، ١١٢)، والأخير هو القبر الهام، والظاهر أنه القبر الذي وُورِي فيه (راجع: Cavies. "The Tomb of Menkheperasonb etc." Pp. 18 ff).

ومما يجدر ذكره في هذا القبر أنه لا يحتوي في معظمه إلا على مناظر تقليدية خاصة بالروح (كا) وما يهيئ لها متاعها، أما القبر الثاني وهو رقم ٨٦ فيحتوي على مناظر لها علاقة بنشاط «منخبر رع سنب» في نواحي الحياة الحكومية والاجتماعية والسياسية؛ ولذلك فإنه لا يشمل إلا مناظر قليلة جنازية، وهذا من الأمور التي تسترعي النظر في قبر رجل يشرف على الأمور الدينية في كلا القطرين، فضلًا عن أنه كان يُعَدُّ القائد الروحي في أكبر معبد لأكبر إله، وهو «آمون» ملك الآلهة وسيد «الكرنك».

الوظائف العليا والكهنة

ويجب ألَّا يعزب عن ذهننا أن الوظائف العليا التي كان يشغلها الكهنة، كانت خاصة بالعمل على رفع نفوذ وزيادة ثورة الإله «آمون» وقوته في عالم الدنيا؛ ولذلك فقد كان من أول واجباتهم للوصول إلى مثل هذه المكانة الرفيعة أن يكونوا رجالَ إدارةٍ ومهندسي عمارة إلى حدٍّ بعيد. والواقع أن الفرعون كان في معظم الأحيان يرجع إلى مشورتهم في مثل هذه الأمور (Ibid. p. 2)، ولهذا نجد أن مثل هذه المناظر التي كانت تصور لنا أعمالهم في الحياة الدنيا ونشاطهم للرفع من شأن الإله والفرعون معًا، هي التي نشاهدها تزين جدران قبورهم، وتحتل المكانة الأولى فيها، على أن هؤلاء الكهنة كانوا دائمًا يجعلون نصب أعينهم أن يرجعوا كل أعمالهم وأفعالهم للإله الذي يخدمونه في شخص الفرعون، حتى يبقى سلطانهم عظيمًا ومكانتهم محترمة، فمن المناظر التي تسترعي النظر على جدران مقبرة الكاهن الأول «منخبر رع سنب»؛ منظر إحضار الهدايا أو الجزية للفرعون من البلاد الأجنبية النائية، ممثلة في رئيس بلاد «كفتيو» وأمير بلاد «الخيتا» وأمير «تونب» وأمير «قادش»، فنشاهد في هذا المنظر الفرعون بعد أن قبل طاقة أزهار الإله «آمون» من يد الكاهن الأكبر، يستقبل وفود هؤلاء البلاد يقدمهم له، وقد نقش أمامهم المتن التالي: «تقديم المديح إلى رب الأرضين، والخضوع للإله الطيب من رؤساء كل البلاد وتمجيدهم انتصارات جلالته، وجزيتهم على ظهورهم، وهي كل محصول من أرض الإله: فضة، ولازورد، وفيروزج، وكل حجر فاخر ثمين، مؤملين أن يمنحوا نفس الحياة» (Ibid p. 5).

ولكن ممَّا يلحظ هنا أن كل هذه البلاد لم تكن خاضعةً للحكم المصري في هذه الآونة، والواقع أن الفرعون وكاهنه الأكبر كانَا يريدان أن يُظهِرَا مقدار امتداد نفوذ مصر وسلطانها في هذا العهد؛ ولذلك نجد منقوشًا فوق الآسيويين الذين كان يسيطر عليهم فعلًا المتن التالي: «ما أعظم سلطانك! … وإن الأراضي ترتعد منها حتى «حايونبوت»

(أهالي الشمال وجزر البحر الأبيض)، وإن الخوف منك يحيط بالدائرة العظمى، والفزع في كل الأراضي، وإنك قد خربت أرض «المتني» وقد محوت مدنهم، ورؤساؤهم آووا إلى الكهوف.»

وممَّا يلفت النظر أنواعُ الجزية التي قد أحضروها، فقد كان معظمها يشمل أواني وآلات مصنوعة مما تنتجه هذه البلاد، وكذلك الخيل التي كانت تحتاج إليها مصر في هذه الآونة بسبب الحروب التي كانت تشنها.

منخبر رع سنب يتسلَّم جزية بلاد النوبة

وفي منظر آخَر نشاهد «منخبر رع سنب» يتسلَّم ذهب صحراء «قفط» وذهب بلاد النوبة الخاسئة جزيةً سنويةً، والمنظر يمثِّل لنا الذهب في صور مختلفة بعضه حلقات، وبعضه تبر، وجزء منه سبائك وُضِعت كلها في حقائب مختومة استعرضت على حصير، وبجانب هذا كاتب يدوِّن الوزنَ، وهنا نشاهد رئيس المازوي (شرطة الحدود والصحراء) ورئيس مناجم الذهب يقبِّلان الأرض بين يدَيْه، وخلفهما رؤساء الصيادين، وقد أحضروا معهم في حملتهم هذه نعامًا وريش نعام، وبيض نعام، ووعولًا وأرانب ممَّا اقتنصوه في الصحراء في أثناء اجتيازهم لها.

منخبر رع سنب يفتش مصانع آمون

وفي هذا القبر منظر آخَر نشاهد فيه «منخبر رع سنب» يفتِّش مصانع معابد «آمون»، ويُشرِف على العمال الذين كانوا يقومون ببعض الأعمال التي قد طلبها الفرعون شخصيًّا، وممَّا يلحظ هنا أن نظام العمل في هذه المصانع كان ممتازًا؛ إذ نشاهد عمَّال المعبد يتسلَّمون المواد الغفل ويوزِّعونها، كلٌّ على حسب حاجته، في حين أنه كان يوجد كَتَبَة يدوِّنون ما كانت تتسلَّمه كل جماعة من العمال، ونرى في هذه المصانع صناعة العربات، وصناعة القسي والسهام، كما يُشاهَد الحدَّادون يصبون بابًا من نحاس، وآخَرون يصنعون أواني دقيقة وقاعدة مصباح من الذهب.

منظر الحصاد وتوزيعه

ولدينا في قبر هذا العظيم منظر للحصاد غايةً في الأهمية لما يحتوي من تفاصيل وإيضاحات تفسِّر لنا واجبات «منخبر رع سنب»، بوصفه المشرف على مخازن غلال «آمون»، فنشاهد القمح وقد طاب للحصاد، ولكن قبل أن يُحصَد المحصول كانت تُحدَّد الحقول ليُقدَّر عليها نصيب «آمون»، وبعد ذلك كانت تُمسَح الأرض المزروعة بوساطة خيط القياس ثم يُعيَّن ما عليها، وقد كان يوجد أحد رجال الشرطة وقت إجراء هذه العملية ليحفظ النظام؛ ولذلك كان يُرَى أصحاب الحقول يسيرون في خضوع ومسكنة خلف هؤلاء المساحين، وقد كان للإله «آمون» بطبيعة الحال نصيب الأسد في هذه الحقول، وبعد ذلك كان الفلاحون في حلٍّ من حصد محصولهم وما أشبه البارحة باليوم؛ إذ لا يزال الفلاح يعاني من رءوس الأموال الظالمين معاملة أقسى وأظلم؛ إذ نفهم من المناظر القديمة أنه كان يُترَك للفلاح شيء على أية حال، أما في أيامنا فقد لا يُترَك له شيء، بل تُطلَب منه غرامة يدفعها بماشيته بل وبيته الذي يسكن فيه (راجع: Ibid XVII–XVIII) إذا خاب المحصول بسبب آفة طبيعية!

والظاهر أن «منخبر رع سنب» لم يعقب خلفًا؛ إذ لم يذكر لنا اسم أي فرد من أبنائه، وربما يُعزَى ذلك إلى أنه لم يتزوَّج، فلم يذكر لنا اسم زوجة له على مناظر جدران قبرَيْه، بل كانت والدته هي التي ترسم معه. حقًّا نشاهد امرأة أخرى صُوِّرت تحت كرسيه بحجم صغير كحجم قرده الأليف، غير أنه لم يذكر اسمها قط؛ وكذلك من الأمور التي تلفت النظر في نقوشه أنه لم يذكر لنا لقبه بوصفه كاهنًا ثانيًا للإله «آمون» قبل أن يكون كاهنًا أول، وهذا اللقب «الكاهن الثاني» لم نجده إلا على تمثاله الذي عُثِر عليه في معبد «الكرنك» كما ذكرنا، ويُحتمَل أن الذي قد خلفه في هذه الوظيفة هو «بو أم رع»، كما يُحتمَل أنه هو نفسه قد خلف «حبو سنب» الذي كان يشغل وظيفة «كاهن أول» في عهد «حتشبسوت»، أما الذي جاء بعده فهو الكاهن الأول «مري» (راجع: Ibid p. 16).

(١٢-٧) أمنمحاب المسمى معحو

لقد مرَّ بنا ذكر «أمنمحاب» في مناسبات عدة في حروب «تحتمس الثالث»، وسيأتي ذكره كذلك عند الكلام على «أمنحتب الثاني».

غير أننا سنورد تاريخ حياته بنوع من التفصيل، وبخاصة في ملازمته «تحتمس الثالث» في حروبه الكثيرة؛ لأنها من التراجم القليلة التي تحدِّثنا عن حروب هذا الفرعون،

وقبل أن نوردها هنا سنضع أمام القارئ النعوت والوظائف التي منحه إياها الفرعونان «تحتمس الثالث» وابنه «أمنحتب الثاني»: الأمير الوراثي، حامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير العظيم الحب والمقرَّب جدًّا من رب الأرضين، والممدوح من الإله الطيب، والذي يتبع سيده في صيد الطيور، والذي على رأس سماره وعلى رأس أتباعه، والضابط ونائب الجيش، والسمير الوحيد، وفم ملك الوجه القبلي، وأذنا ملك الوجه البحري، والذي في قلب «حور» (الملك) في بيته، والذي يتبع الملك في حملاته على الماء والأرض في كل البلاد الأجنبية، وفي كل مكان يسير فيه جلالته، رفيق الرضاعة، وأول حارس يتعب خطوات رب الأرضين، وحارس خطواته على الماء وعلى الأرض في كل البلاد الأجنبية، وعينا الملك «حور» وتابع الملك، والعظيم في وظيفته، والنبيل المفضَّل على كل عظماء الملك، رئيس الرماة، والنائب، وغير ذلك من النعوت والألقاب، غير أن أعظم لقب ناله في أخريات حياته هو لقب «نائب جيش الفرعون».

وترجمة حياة «أمنمحاب» قد تركها لنا منقوشة على جدران قبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٨٥)، وهو يحتوي على مناظر عدة تُلقِي بعض الضوء على حياته أيضًا وسنذكرها بعدُ.

وهاك ترجمته لنفسه كما جاءت على جدران قبره:

ترجمته لنفسه: الضابط «أمنمحاب» المرحوم قال: لقد كنتُ صادقًا جدًّا للفرعون له الحياة والعافية والصحة، وصاحب عقل راجح لدى ملك الوجه القبلي، وحير، وذو قلب مفيد لدى ملك الوجه البحري، عندما كنت أتبع سيدي في رحلاته إلى البلاد الأجنبية الشمالية والجنوبية، وقد كان يرغب في أن أتبع خطواته عندما يكون في ساحة القتال في انتصاراته، وكانت شجاعته ممَّا يحصن القلب، ولقد حاربت يدًا ليد في أرض «نجب»،[١٤٨] وعدتُ بثلاثة رجال أسرى أحياء، وعندما اقترب جلالته من «نهرين» أحضرتُ ثلاثة رجال من هناك، ووضعتهم أمام جلالتك أسرى أحياء، ولقد عدتُ للقتال يدًا ليد في هذه الحملة في بلاد مرتفع «وعن» الواقعة غربي «حلب» (انظر مصور سوريا الشمالية

[١٤٨] نجب: إقليم في جنوبي جبال يوده (راجع: Gardiner, “Ancient Egyptian Onomastica”, Pp. 154. ff).

٧)، وقد أحضرت ثلاثة عشر أسيرًا حيًّا وسبعين حمارًا، وثلاث عشرة حربة من البرنز، والجمشت المموهة بالذهب ... أيضًا ثم عدت للقتال ثانيةً في تلك الحملة الخاصة ببلاد «قرقميش»، وقد أحضرت ... أسرى أحياء، وعبرت مياه «نهرين» وهم في يدي إلى ... ووضعتهم أمام سيدي، وقد كافأني مكافأة عظيمة.

قائمة بذلك: ... ولقد رأيت انتصارات ملك الوجه القبلي والوجه البحري، معطي الحياة في بلاد «سنجار» (انظر مصور ٧) عندما وقعت مذبحة عظيمة بينهم، وقد حاربت يدًا ليد أمام جلالة الملك، وقد أحضرت يدًا من هناك، وكافأني بذهب الشرف.

قائمة بذلك: ... حلقتان من الفضة، وقد رأيت ثانيةً شجاعته عندما كنتُ مع أتباعه، فقد استولى على مدينة «قادش»، ولم أكن غائبًا عن المكان الذي كان فيه، وقد أحضرت اثنين من الأشراف (مرينا) أسرى أحياء، وقد وضعتهما أمام ملك الوجه القبلي رب الأرضين «تحتمس الثالث» عاش مخلدًا، وقد منحني ذهبًا بسبب شجاعتي أمام كل الناس.

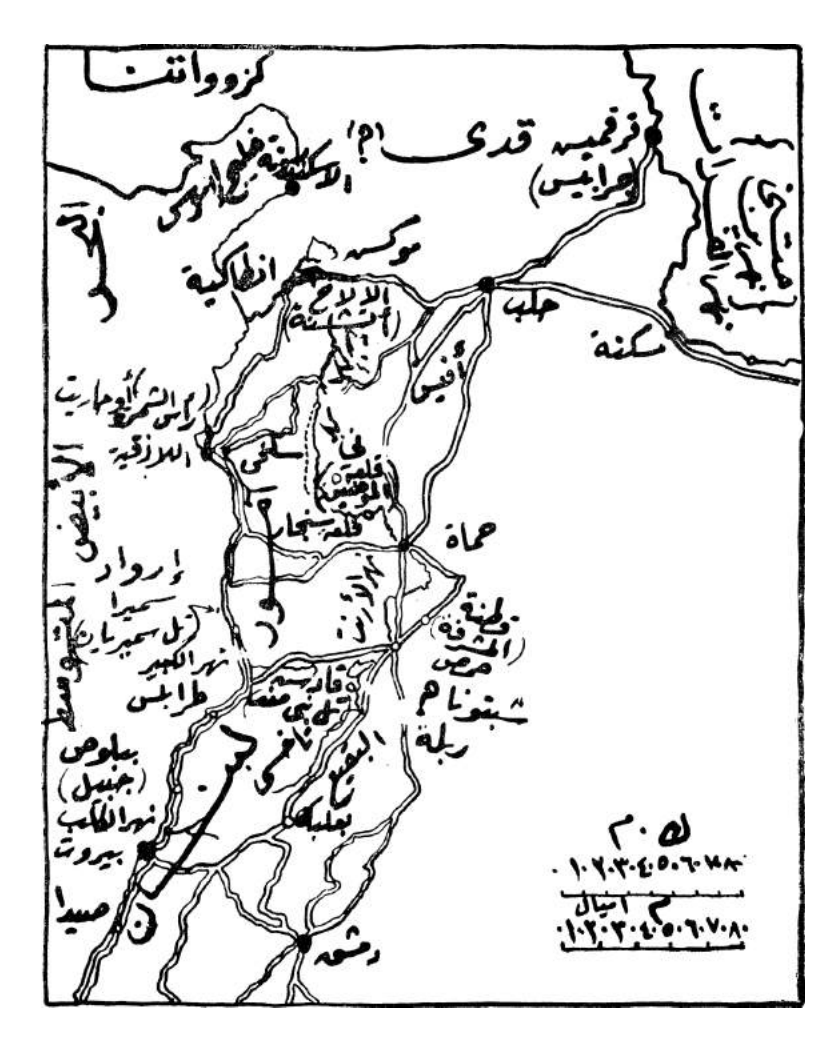
قائمة بذلك: سبع وقلادتان من أحسن الذهب، وكذلك ذبابتان، وأربعة أساور معصم، ولقد شاهدت سيدي في ... في كل صورة في بلاد أخرى، وفي نهايات الأرض ... وبعد ذلك رقيت لأكون ... في سير الجيش جميعًا، ولقد شاهدت ثانيةً انتصاراته في بلاد «تخسي» الخاسئة في بلدة «مريو» ... وقد حاربتُ يدًا ليد أمام جلالة ملك الوجه القبلي، وقد أحضرتُ ثلاثةً من الآسيويين أسرى أحياء، وقد منحني على ذلك سيدي ذهبَ الثناء.

قائمة بذلك: قلادتان من الذهب وذبابتان وأسد (من الذهب أيضًا)، وأمة وعبد، وكذلك شاهدت ثانيةً عملًا ممتازًا قام به رب الأرضين في «ني» (قلعة المضيق انظر مصور ٧ Kal’at el Mûdik)، فقد اصطاد عشرين ومائة فيل لأجل أسنانها، وقد نازلت أكبر الفيلة من بينها لأنه هجم على جلالته، وقد قطعت يده (أي: خرطومه) وهو حي أمام جلالته، وذلك عندما كنتُ واقفًا في الماء الذي كان بين صخرتين، وقد كافأني سيدي على ذلك بالذهب، وأعطاني ثلاث حلل (خمسة أذرع كل منها)، وقد أطلق أمير «قادش» فرسًا واحدة تجري على أرجلها، وقد دخلت في وسط الجيش، وقد تبعتها على قدمي وأنا أحمل سيفي، فبقرت بطنها وقطعت ذيلها ووضعته أمام الملك، من أجل ذلك حمد الله، ولقد منحني السرور الذي ملأ به نفسي، وكسا أعضائي.

وقد أرسل جلالته كل شجاع في جيشه لنقب الجدار لأول مرة، وهو الذي أقامته «قادش»، وكنت أنا الذي نقبته لأول مرة، وبذلك كنت أول كل الشجعان، ولم يفعل ذلك آخر قبلي، ولقد برزت وأحضرت اثنين من «المرينا» (أي: الأشراف) أسرى أحياء، وقد كافأني سيدي ثانيةً على ذلك بكل شيء جميل يسر القلب، وقد قمتُ بهذا الاستيلاء وأنا لا أزال ضابطًا في السفينة «وسرحات»، وكنت أنا الذي أدير أمراس سفينة «آمون المسماة وسرحات»، وكنت على رأس نواتيها عند سياحة «آمون» في عيد «آمون» الجميل المسمى «إبت» (الأقصر)، عندما تكون كل الأرضين في ابتهاج. تأمَّلْ! لقد أتمَّ الملك عمره في سنين عدة طيبة، وكان شجاعًا قويًّا ومنتصرًا من أول سنة حتى العام الرابع والخمسين، الشهر الثالث من فصل الزرع، آخِر يوم في الشهر من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» المرحوم، وعندئذٍ رفع إلى السماء وانضمَّ إلى «آتون» وامتزجت أعضاؤه مع خالقه، وعندما أضاء الصباح وطلعت الشمس وأشرقت السماء، مكن ملك الوجه القبلي والوجه البحري ابن الشمس «أمنحتب» على عرش والده وتسلَّم ألقابه الملكية، وامتزجت كلها وضم … وقطع رءوس أمراء الأرض الحمراء، وتوج بوصفه «حور بن إزيس»، واستولى على … وكل الأرض تنحني لقوته، وجزيتهم على ظهورهم لأجل أن يمنحهم نفس الحياة.

وقد لحظ جلالته أني أجدف تجديفًا مدهشًا معه في سفينته المسماة: «أمنحتب يتوج بالعدل»، وكنت أجدف بكلتا يدي في العيد الجميل (الأقصر) مثل جمال الأفق حتى وصل إلى الشاطئ، وقد أمرت أن أصعد داخل القصر، وأمرت أن أقف أمام ابن «آمون»، وإنه «أمنحتب» العظيم البطش، وقد انحنيت في الحال أمام جلالته، وقال لي: إني أعرف أخلاقك منذ أن كنت في المهد، وعندما كنت تتبع والدي، وإني أمنحك وظيفة نائب الجيش كما قلتُ، فأشرف على نخبة جنود الفرعون، وقد نفذ نائب الجيش «معحو» كلَّ ما قاله سيده.

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن بعض المؤرخين يدَّعون أن «أمنمحاب» قد خلط في ترتيب وقائع تاريخ حياته، مقدِّمًا بعضها ومؤخرًا البعض الآخر، ولكن البحث الذي قام به «جاردنر» يُثبِت إلى حدٍّ ما أن بعض هذه الحوادث الحربية لم يكن فيها خلط قطٌّ (راجع: J. E. A. Vol. 32. p. 40).



شكل ٧: مصور تقريبي لشمال سوريا (رتنو العليا) وما بعدها.

وقبر «أمنمحاب» يحتوي على عدة مناظر هامة منها: منظر إحضار الجزية الأجنبية على يد ممثلين من الولايات الآسيوية، ومتن تاريخ حياة «أمنمحاب» الذي أوردناه هنا قد نُقِش فوق صورة هذا الضابط الشجاع، في منظر يمثِّله وهو واقف أمام «تحتمس

الثالث» يقدم له جزية شمالي «سوريا»، وقد كتب المتن التالي تفسيرًا له: «يقدِّم رؤساء كل البلاد الأجنبية المديح لرب الأرضين، والثناء «لتحتمس الثالث»، وجزيتهم على ظهورهم، وتشمل (فضة وذهبًا ولازوردًا)، وقطع فيروزج (؟) وقصديرًا وزيتًا (؟) وخمرًا وماشية، وبخورًا، وإنهم يرجون لأجل … وأمانًا من جلالته أملًا في أن يعطوا نفس الحياة في أنوفهم، وكل رؤساء «رتنو» العليا، وكل رؤساء «رتنو» السفلى، وأرض «الكفتيو»، وأرض «مننوس» (؟) وكل أرض أجنبية مجتمعون يقولون: ما أعظم شهرتك يا أيها الملك المظفر والملك المحبوب من «رع»! لقد بعثت خوفك في كل البلاد الأجنبية، والرهبة منك في كل البلاد الأجنبية (؟) تأملنا فنحن تحت نعليك.»

الفرق بين المستعمرات المصرية والبلاد الموالية: على أن أهم ما يلفت النظر في هذا المتن هو اسم بلاد «مننوس». (منوس Menus)، وقد جاء ذكر «كفتيو» و«مننوس» و«رتنو» في مكان آخَر (راجع: Davies, “The Tomb of Kenamon”, Pl. XII)، غير أن ذلك لا يعني أن «كفتيو» و«مننوس» كانتا ضمن أملاك مصر، وحقيقة الأمر أن المصريين كانوا في هذه الفترة من تاريخهم ينظرون إلى كل البلاد نظرة القوي للضعيف، وأنه لا مثيل لهم، فالبلاد التي كانت تحت سلطانهم مباشَرةً، وهي التي أخضعوها بحد السيف كانت تُلقَّب بالخاسئة، أما البلاد الأخرى التي كانوا لا يصلون إلى إخضاعها بحد السيف فإنهم كانوا لا يتكلمون عنها، أو يذكرونها بشيء من العداء أو الاحتقار، ومع ذلك نجد أن «الكفتيو» و«مننوس» قد ذكرتا بين الأقوام الخاضعة، وبخاصة «مننوس» التي كانت بعيدة عن مصر، ويقول «ديفز» إنها ربما كانت مدينة «مالوس Mallus» القريبة جدًّا من ساحل «كليكيا» (آسيا الصغرى)، ولكنا نعدُّ ذلك نوعًا من السيطرة الاسمية والزهو الفرعوني.

ومن المناظر الغريبة التي نصادفها في مقبرة هذا القائد العظيم منظر الضبع التي قابلها، وقد تكلمنا عنه فيما سبق، غير أن «ديفز» يفسِّره بأنه منظر الفيل الذي قُطِع خرطومه، وأن الرسم هنا غير دقيق؛ لأنه قد رسم من المخيلة؛ إذ لم يكن هذا الحيوان مألوفًا عند المصريين.

منظر صرف المؤن للجيش: ومن المناظر الهامة في هذه المقبرة كذلك المنظر الذي مُثِّل فيه «أمنمحاب» واقفًا أمام باب القصر الملكي بوصفه قائدًا، وهو يراقب الكتَّاب يسجلون ما يُصرَف للجيش من الجرايات (راجع: wreszinski, “Atlas”, Pl. 94). وقد كُتِب النقش التالي على المنظر: «وصول الجنود إلى القصر ليتسلموا مئونتهم من خبز

ولحم بقر، ونبيذ وفطير وكل خضر جميل، وكل شيء جميل يفرح القلب أمام الإله الطيب بوساطة … نائب الجيش، ورفيق الرضاعة «أمنمحاب».» وهذا يدلنا إن صحَّ ما ذُكِر على أن الجيش كان يُقدَّم له أحسن الأطعمة وأفخرها بالنسبة لعصره وغير عصره.

زوج أمنمحاب تلعب دورًا في حياته الحكومية

والظاهر أن زوج «أمنمحاب» قد لعبت دورًا هامًّا في تاريخ حياته؛ إذ كانت «باثت» زوجه مربية الفرعون «أمنحتب الثاني»؛ ولذلك نراه قد رقاه إلى رتبة «نائب الجيش»، وكانت تحمل الألقاب التالية: مغنية «آمون»، والمرضعة العظيمة لسيد الأرضين التي تضم «حور» (أي: الملك) إلى ثديها، والوصيفة الملكية، ونشاهد على جدران المقبرة منظرًا «لأمنمحاب» وزوجه يفتشان المعدات التي أهداها إياهما الفرعون؛ وكذلك التمثال الذي وضعه لهما في المعبد (راجع: Urk. IV. p. 914)، وهذا يدل على عطف الملك على مرضعته وزوجها نائب جيشه، وكذلك نشاهد «أمنمحاب» تصحبه زوجه وهما يحملان أزهارًا وقرابين أخرى للفرعون «أمنحتب الثاني»، عندما كان يقدِّم احترامه للإله «أوزير»، كما نشاهد ابن «أمنمحاب» يقدِّم لوالده طاقة أزهار.

أمنمحاب يخرج للصيد وزيارة حديقته: وكذلك نرى خادمًا يقدِّم لصاحب المقبرة وزوجه ماءً للشرب، هذا ونرى «أمنمحاب» يخرج لصيد السمك وصيد الطيور للتسلية، ثم نراه يزور حديقته وقد زُيِّنت بالأزهار والأشجار.

ويقول المتن:

> الخروج إلى المدينة، ورؤية «آمون» والتمتُّع بالضوء الذي يمنحه قرصها (أي: الشمس)، وتسلية القلب في بطاح الغرب، والغدو والرواح في بحيرتها، وترويح القلب تحت ظلال جميزتها، وزرعها بأزهارها وشرب الماء اللذيذ من بركتها، وشم السوسن، وقطف الأزهار بواسطة الأمير الوراثي، المقرب من رب الأرضين، والممدوح من الإله الطيب «نائب الجيش» «أمنمحاب».

وهكذا كان ينعم المقربون من الفرعون بملاذ الحياة الدنيا، كما كانت تتوفر لهم أسباب الرفاهية للتمتُّع بألوان النعيم المقيم في آخرتهم، وقد خلدوه على جدران مقابرهم، أما الشعب فكان نصيب أفراده على ما يظهر واحدًا في كلتا الحالتين، إذا صدَّقنا ما يقومون

به من أعمال شاقة، وما يحتلونه من وظائف وضيعة في ظلِّ هؤلاء المحظوظين، على الرغم مما قاموا به من حروب طاحنة لمساواتهم بأولئك العظماء والملوك في عالم الآخرة.

(١٢-٨) أنتف الحاجب

لقد ذكرنا فيما سبق ما كان يقوم به من عمل جليل للفرعون «تحتمس الثالث» في أثناء تنقُّلاته في حروبه في بلاد «آسيا» من الوجهة الحربية، كما ذكر لنا على لوحته المحفوظة «باللوفر» الآن، ولقد بقيت معلوماتنا قاصرة على ما جاء عليها إلى أن كشف عن قبره في جبانة ذراع أبو النجا رقم ١٥٥ (راجع: Porter & Moss, "Bibliography", I. p. 145)، ومن نقوش هذا القبر ومما جاء على لوحته نعرف أنه كان يحمل الألقاب والنعوت التالية: الأمير الوراثي، والسمير العظيم الحب، عمدة «طينة» ورئيس كل الواحات، والحاجب العظيم للفرعون، حامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، وكاتب الحسابات الممتاز، والحاجب الأول لقاعة المحاكمة، ومدير البيت العظيم، والمشرف على مخازن الغلال، ومدير كل أعمال بيت الملك.

ترجمة حياة أنتف لنفسه تنمُّ عن روح العصر الخلقية

وقد ترك لنا «أنتف» هذا على لوحته الشهيرة، فضلًا عن الأعمال التي كان يقوم بها لراحة الفرعون وصفًا رائعًا يدل على ما كان له من مكانة ممتازة، مما يقرب إلينا صور أمثال هذا الرجل العظيم، وما كان يجب أن يتصفوا به من الصفات العالية من الوجهة الخلقية بالنسبة لعلاقتهم بالشعب، كما كشف لنا النقاب عمَّا كان ينتظره من خلفه لإحياء ذكره ومد روحه بالقربان، والواقع أن ما كان ينقشه أمثال هؤلاء الرجال الممتازين، على الرغم مما فيه من مبالغات وخيال خصب، يمكن المؤرخ من أن يستخلص منه حقائق عظيمة عن حياة القوم من نواحٍ عدة، ولسنا نميل كل الميل مع هؤلاء المؤرخين الذين يقولون إن كل هذه الوثائق التي تتحدث عن جميل أخلاق أصحابها وفضائلهم ليست إلا تقليدًا أجوف نقله الخلف عن السلف؛ إذ إن مجرد تكريرها يؤكِّد لنا أن القوم كانوا يعلمون أنها هي التي يجب أن يتخذها الرجل المستقيم نبراسًا ومثلًا يسير على هديه؛ ليصل إلى حسن الأحدوثة في عالم الدنيا والخلود والنعيم المقيم في عالم الآخرة.

ومن أجل ذلك سنورد هنا الجزء الأعظم مما جاء على لوحته هذه، فاستمع إليه وهو يقول مخاطبًا الأحياء: «أنتم يا مَن تعيشون على وجه الأرض، ويا أيها المواطنون

وكل كاهن مطهر، وكل كاتب وكل كاهن مرتل سيدخل هذا القبر في الجبانة، إذا كنتم تحبون الحياة الدنيا ولا تفكرون في الموت، وأن يحبكم آلهة مدنكم (الآلهة المحلية)، وألا تذوقوا رهبة أرض أخرى، وأن تدفنوا في مقابركم وتخلفوا وظائفكم لأولادكم، وجب على كل فرد منكم يقرأ هذه الكلمات على هذه اللوحة أو يسمعها أن يقول: قربانًا يقدِّمه الملك «لآمون» رب تيجان الأرضين ليعطي ألفًا من الخبز، وألفًا من الجعة، وألفًا من البقر، وألفًا من الإوز، وألفًا من آنية المرمر، وألفًا من قطع النسيج (وألفًا من الشعل وألفًا من الزيت)، من أجل روح الأمير الوراثي وحامل خاتم ملك الوجه البحري والسمير الوحيد، والمقرب من الفرعون، بوصفه مدير جيشه، والذي يعين موظفي الجيش، ويقترع جنوده، والذي يعدُّ السمار، والذي يقود الأشراف، والذي يجعل خلصاء الفرعون يصلون إلى أماكنهم، قائد القواد، ومرشد ملايين الرجال، والرئيس صاحب الوظائف الرفيعة، صاحب المكانة المتقدمة والممتاز في الحضرة، والذي يرفع كلمات المواطنين (للفرعون)، والذي يضع التقارير عن شئون الأرضين، والذي يتحدَّث عن الشئون في المكان السري، ومَن يدخل محملًا بالأشياء الطيبة، ويخرج بالحمد، ومَن ينصب كل إنسان في مكانة والده، ومَن يسر القلب، ومَن يثني على أهل الثناء، ومَن يقف عند كلامه العظماء، ومَن يضع الأنظمة في القصر، ومَن يجعل كل فرد يعرف واجباته، ومَن يضع الحدود في القصر (للإدارة)، ومَن يخلق الرهبة في المكان العظيم، ومَن يسكت الأصوات، ويوجد المكانات العالية، ومَن يحفظ القوم في مكان الصمت، ومَن يعدل ميزان الإله الطيب، ومَن يرشد القوم لما يفعلونه، ومَن يقول فليعمل، وعلى ذلك ينفذ (ما أراد) كما تخرج من فم الإله، ومَن يضع الأوامر للقوم على حسب أعمالهم للملك، ومَن يحدِّد حساب كل بلد أجنبية، ومَن يقدم جزية أمرائهم، والعظيم في شئون حساب الأعداد، اليقظ … عمل، ومَن يعرف ما في قلب الملك له الحياة والفلاح والصحة، واللسان الذي يتكلم لَمن في القصر، وعينا الملك، ولب رب القصر وتعليم كل الأرض، ومَن يغل العاصي، ومَن يهدئ الثائر … من العاصي، قوي الساعد مع اللصوص، ومَن يستعمل العنف مع مَن يستعملون العنف، قوي القلب مع أقوياء القلوب، ومَن يخضع بساعده مَن كان عالي الظهر (أي: قويًّا)، ومَن ينهى ساعة قاسي القلب، ومَن يجعل المذنب يعمل على حسب قواعد القانون، على الرغم من أن قلبه غير راضٍ، والعظيم الفزع بين المجرمين، ورب الخوف بين ثائري القلوب، ومَن يغل القرن، ويصد الشرس، وإنه أمان القصر، ومؤسس قوانينه، ومَن يهدئ الدهماء لسيدهم، الحاجب الأول لقاعة المحاكمة، حاكم «طيبة» ورئيس كل بلاد الواحات، والكاتب الممتاز الذي يحلُّ الكتابة «أنتف» المنتصر.

صفاته: العاقل الوحيد، المزود بالمعرفة، والسليم حقًّا، ومَن يميز بين الجاهل والعالم، ومَن يمجد الصانع، ومَن يولي ظهره للجاهل، والفتي القلب، والتام العقل جدًّا، ومَن يضع قلبه ليصغي، ورجل … والمبرأ من الغش، والمفيد لأسياده، والمتزن اللب دون مين فيه، والمدرب على كل السبل، والحامي اللبق، ومَن تسمع تضرعاته، واللطيف مع العصبي (أي: البارد الحامي)، ومَن يتدخل لأجل ما يفعل على حسب تصميماته، ومَن لا ينسى العدل، ومَن يفهم القلب، ومَن يعرف ما في النفس دون أن يخرج شيء من الشفتين، ومَن يتكلم على حسب ضميره، ولا يوجد إنسان لم يكن قد عرفه، ومَن يولي وجهه لَمن يتكلَّم الصدق، وظهره لَمن يتكلَّم الكذب، ومَن يعمل السوء … رجل، ومَن لا يكون مهذبًا مع الثرثار؛ إذ يعارضه بعمل الحق، ومَن يقنع بعمل ما يرضى، ومَن لا يرفع مَن لا يعرف على مَن يعرف، ومَن يسير وراء الحق، ومَن يلتفت لسماع الشكايات، ومَن يحكم بين الرجلين فيُصلِح بينهما دون أن يكون محابيًا للكاذب، وإنه خلو من المحاباة، ومعطٍ صاحب الحق حقَّه، ومعاقب المجرم على جرمه، خادم الفقير، ووالد الأيتام، ومرشد مَن لا أب له، وأم الخائف، وسجن المتغطرس، وحامي المريض، والمنتقم لَمن حرم أملاكه ممَّن هو أقوى منه، وزوج الأرملة، وحامي اليتيم، وموضع راحة الباكي، والممدوح لعلمه، والمحترم بثناء الله عليه، وذلك لرفعته، ومَن يتمنى له كل القوم الصحة والعافية، الحاجب العظيم لقاعة المحاكمة … (إلخ ألقابه).

أنتف يؤكِّد صحةَ كلامه ويقدِّم تقريرًا عن حياته، فيقول: هذه هي صفاتي التي أحملها وليس فيها مين، وهذه هي محاسني حقًّا وليس فيها مبالغة، وليس في هذه الكلمات تمثيل مبالغ فيه عن نفسي بالكذب، ولكن يكون هذا صحيحًا لو كنت أتظاهر به وحسب، وهذه كانت وظائفي في بيت الفرعون له الحياة والعافية والصحة، وهذا هو ما قمتُ به في قاعة المحاكمة، وقلبي هو الذي حدا بي أن أفعلها، بإرشاده لي، وقد كان هو مرشدي الممتاز فلم أتخطَّ مقاله، وكنت أخشى أن أتعدَّى إرشاده، وقد أفلحت بسببه كثيرًا، وقد كنت ممتازًا بما جعلني أقوم به، وكنت ماهرًا بهديه … وإنه وحي من الإله الذي في جوف كل إنسان، وإنه ناصح قد أرشد إلى الطريق الطيبة للفلاح، تأمَّلْ! هكذا كنتُ.»

مكانة أنتف

ومن هذا النقش الذي جمع كل أعمال هذا الرجل العظيم، وما كانت تتطلبه وظيفة الحاجب الأول للفرعون، نلحظ أولًا ثقل أعباء هذه الوظيفة، إذا كان حقًّا كل ما نسبه إليها من مهام، يضاف إلى ذلك ما وصف به نفسه من صفات وأخلاق تضعه في المرتبة الأولى بين الموظفين الذين نقرأ عنهم الأقاصيص الخيالية؛ إذ في الواقع نجد أنه قد صور لنا الرجل العظيم لا الموظف العظيم، ولا غرابة إذن إذا كان «تحتمس الثالث» كان قد انتخبه ليكون في ركابه وحملاته، ووكَّل إليه أشقَّ مهمة، وهي الإشراف على شخصه والمحافظة عليه في البلاد النائية عن الوطن.

هذا وقد ترك لنا «أنتف» في قبره عدة مناظر معظمها مهشم، وأهمها منظر الأجانب يحملون الهدايا (راجع: Meyer, “Bericht uber eine Expedition nach Aegypten zur Erforschung der Darstellungen der Fremdvolker” p. 728–9)، وكذلك نساء أجانب (Ibid. 623)، وكذلك منظر أتان تلد، ومناظر لصيد الطيور والصيد في المستنقعات (راجع: Porter and Moss, “Bibliography”, I, p. 145).

(١٢-٩) أمو نزح حاجب الفرعون

كان «أمو نزح» حاجبًا آخَر للفرعون «تحتمس الثالث»، ويرجع تاريخ قبره إلى أواخر عهد هذا الفرعون، وقد ظهرت صورته في رسوم مقبرة «وسرحات» في «جبانة شيخ عبد القرنة» رقم ٥٦، ويظن الأثري «ديفز» أنه كان والد «وسرحات»، وأنه قد لاقى نفس المصير الذي لاقاه الوزير «رخ مي رع» معاصره، ومن المحتمل كذلك غيره ممَّن قدَّر عليهم سوء طالعهم أن يعيشوا في عهد «أمنحتب الثاني»؛ إذ نشاهد أن قبره قد اغتصبه «مري» الكاهن الأكبر للإله «آمون» ونسبه لنفسه، كما بنى قبرًا آخَر رقم ٩٥ (راجع: J. E. A. Vol. XXII. p. 96)، وقد خلَّدَ «وسرحات» ذكرى «أمو نزح» بذكره مرتين في نقوش قبره، ولكن بصورة مبهمة.

ألقاب أمو نزح

أما ألقاب «أمو نزح» فهي كالآتي: الأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الوحيد، والقاضي، وحاكم المقاطعات، والمقرَّب الممتاز إلى رب الأرضين، وكاتب الملك،

ومدير كل أعمال الفرعون، والقاضي رئيس «سششت» (دندرة)، وحاجب الفرعون الأول، والمشرف على قاعة المحاكمة، وتابع الفرعون في كل بلد أجنبي، والسمير العظيم الحب، والمشرف على قاعة المحاكمة في الوجه القبلي والوجه البحري، وحاجب الملك، ووالد الإله ومحبوبه، وعينا ملك الوجه القبلي وأذنا ملك الوجه البحري، والمشرف على مخازن غلال الوجهين القبلي والبحري (راجع: Urk. IV. p. 942–62)، وبوجه عام نجد في نقوش قبره كل الصفات التي كان يتصف بها «أنتف»؛ ممَّا يدل على أن حاجب الفرعون والمشرف على قاعة العدل كان يميز بنعوت خاصة.

الأهمية التاريخية لمناظر قبره

وقبر هذا العظيم قد لحق به التخريب والمحو بصورة مريعة كما ذكرنا، وعلى الرغم من ذلك يمكننا أن نستخلص منه أنه كان يحتوي على بعض مناظر جميلة، كما يوجد فيه لوحة تذكارية تحدِّثنا عن مطالبه الجنازية، وما ينتظره من زائر قبره من تلاوة الأدعية العادية التي نجدها شائعة في هذا العصر، بل وفي كل عصر من عصور التاريخ، ثم يتحدث إلينا عن ترجمته لنفسه فيقول إنه قد خدم الفرعون، وقبض على زمام إدارة وظيفته منذ السنة الخامسة عشرة، ثم يذكر لنا أنه كان يدير أعمال البناء والتعمير في عهد الفرعون، فكان يفتش على «مبنًى» أقامه الملك لوالده «آمون»، وكذلك على إقامة مسلات عظيمة أقامها الملك «لآمون»، وكذلك على إقامة بوابة عظيمة لها برجان من الجرانيت (؟)، وغير ذلك ممَّا لا يمكن ذكره على وجه التحقيق لتهشم الحجر (راجع: Urk. IV. p. 940). كما عُثِر له على لوحة أخرى في قبره دوَّنَ عليها أنشودتين للإله «رع»، يقول في نهاية الأخيرة منهما: إنه كان يتبع سيده في كل خطوة، وإنه لم يرتكب أيَّ ذنب في كل أعماله، وأنه كان مخلص القلب لسيده، وأنه سليم القلب، سليم الفم، سليم اليد (راجع: Ibid. p. 944).

مناظر جزية سوريا وبلاد السودان: وأهم ما يسترعي النظر في قبره منظر إحضار الجزية من الشمال (أي: من سوريا)، ثم منظر إحضار الجزية من الجنوب، أي من بلاد «كوش»، ويرجع الفضل في شرح هذين المنظرين إلى ديفز (راجع: J. E. A. Vol. XXVII p. 96).

وقد كتب على المنظر الأول ما يأتي: «ظهور الفرعون الرسمي على العرش العظيم في قصر «هليوبوليس» بالوجه القبلي، وقد كان قلبه ساميًا جدًّا بالقوة والنصر، وعندئذٍ أحضر الناس الجزية لسلطان جلالته من بلاد «رتنو» الخاسئة، لأجل والده «آمون رع»

الذي خلقه وكوَّن رهبته ووضع تاج الصل (محنت) على رأسه مخلدًا، والتاسوع الإلهي يصحبونه، والأراضي الجنوبية تحمل قربانها، والأرض الشمالية محملة إلى أقصى حد قد أحضروا له بوساطة ... «أمو نزح».» (راجع: Urk. IV. p. 951) وهذا المتن قد وضع فوق صورة «أمو نزح»، ويتبعه أهل «سوريا» يحملون الهدايا، وقد ظهروا بصورهم العادية، وفسر مجيئهم بالنقش التالي: «وصول رؤساء «رتنو» في سلام ... بخضوع وطاعة.» ويُلحَظ أن واحدًا كان يحمل آنية مزيَّنة بعنقود رمان وضفدعة، وقد كتب عليها: «آنية من الذهب»، وآخَر يحمل آنية أخرى زرقاء اللون، وثالثًا يجر عربة، ورابعًا يحضر قوسًا وكنانة وسيفًا، وخامسًا يقود جوادًا. كما يُشاهَد واحد منهم يحمل آنية من اللازورد، وكذلك يُشاهَد في نفس المنظر رئيس «رتنو» وأتباعه يقدِّمون للفرعون آنية جميلة، وقد ركعوا أمام جلالته، ويقول عنهم المتن: «أمير النهرين ينبطح على الأرض عندما كان يقدم الثناء لجلالته، وذلك بسبب عظمة قوته في كل بلاد الشمال.» وقد أحضر هذا الأمير وجماعته قوالب لازورد وخنجرًا وبخورًا، وآنية من الفضة، ونسيجًا من الكتان، وغير ذلك من الهدايا الفاخرة، غير أن أهم شيء يلفت النظر في هذا المنظر إهداء دب قد رُسِم بدقة على جدران المقبرة، ولا غرابة في أن نرى حاجب الفرعون يرسم هذا المنظر على جدران قبره؛ لأنه كان من الضباط الذين لا يفارقون الفرعون في حملاته (راجع: J. E. A. Vol. XXVII p. 96).

أما المنظر الثاني الذي يظهر لنا فيه إحضار النوبيين الجزية، فقد كتب عليه العبارة التالية: «تقديم المديح لرب الأرضين، وتقبيل الأرض أمام الإله الطيب، المجيء من قبل رئيس «إتر» (مكان غير معروف موقعه) وجزيتهم على ظهورهم، والإهداء لجلالته.» أما الهدايا التي أُحضِرت فيُحتمَل أنها سلات مملوءة بالبخور، كما يُشاهَد قرد، وقائد هؤلاء القوم يقدِّم بكلتا يديه ذيل زرافة، وآخَر يقدِّم قطعة من خشب الأبانوس، وثالث يقدِّم سنَّ فيل وجلد فهد، كما يُشاهَد ضمن الهدايا زرافة، وكذلك زرافة وقرد يتسلَّق رقبتها، وهذا المنظر الأخير نشاهده في مقبرة «رخ مي رع»، كما سنرى بعدُ، والواقع أن بعض هذه المناظر كان تقليديًّا، وكذلك نرى ضمن الجزية سلات ملأى بحلقات الذهب وبيض النعام. ومما يلفت النظر هنا منظر تقديم هؤلاء القوم وأولادهم بمثابة جزية للفرعون، وقد كُتِب على هذا المنظر كله النقش التالي: «إحضار طرائف منتجات بلاد «كوش» الخاسئة من عاج وأبانوس، وكل أنواع الأحجار الثمينة (بوساطة رؤساء كل البلاد (؟))، وهم يقولون: ما أعظم سلطانك يا أيها الملك المظفر محبوب «آمون رع»، الذي وضعك على عرش «آتوم»!

إنه قدم كل الأراضي وكل الممالك إلى المكان الذي أنت فيه، وإنهم يدخلون إلى جلالتك بجزية رأس السنة ويقولون ... منخبر رع.» (راجع: J. E. A. Vol. XXVIII. p. 53)، ولا نزاع في أن الذي رسم هذا المنظر كان في ذهنه منظر جزية سنوية تُقدَّم للفرعون.

(١٢-١٠) مين نخت

كان «مين نخت» من أكبر رجال الدولة في عهد «تحتمس الثالث»، وهو والد «منخبر» كاتب الفرعون نفسه، وقد كان «مين نخت» يحمل ألقابًا عالية بعضها ألقاب شرف، وبعضها وظائف حكومية، وهي كما يأتي: الأمير الوراثي، والمقرب العظيم لدى رب الأرضين، والممدوح من الإله الطيب، ومدير المديرين في المدن والمقاطعات، والكاتب الملكي الحقيقي، ومحبوبه، والمشرف على مخازن الغلال في القطرين، والمشرف على كهف النبيذ، والمشرف على الجزء الشمالي من مخازن غلال «آمون»، ورئيس عبيد «آمون»، والمشرف على مخازن مأكولات «آمون»، ومدير بيت «آمون»، والمشرف على جياد رب الأرضين، والمشرف على المطبخ العظيم، وحامل خاتم «آمون»، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، والقاضي، وعينا الفرعون في مدن الجنوب، وأذنا الملك في مقاطعات أرض الشمال (الدلتا)، والمشرف على مخازن الغلال الذي يحسب غلة الوجه القبلي والوجه البحري، والمشرف على المخازن العظيمة للملك في الوجه القبلي والوجه البحري، والمشرف على مخازن الغلال لأرض الفيضان في الأرضين (راجع: Urk. IV. p. 1177–1190).

والظاهر أن «مين نخت» بعدما عدَّد ألقابه شعر بأنه قد بالَغَ فيها، فقال في نهايتها: «إنه لم يَقُلْ كذبًا ولم يفعل ضرًّا.»

مناظر قبره

وممَّا يُؤسَف له أنه لم يترك لنا في قبره مناظر تحدِّثنا عن نشاطه في مختلف وظائفه هذه، وقد نحته في جبانة شيخ عبد القرنة (رقم ٨٧)، ويحتوي على وليمة عادية ورسم الشعائر الجنازية والاحتفال بها، وحديقة غنَّاء وُضِع فيها كل ما لذَّ وطاب من المأكولات (راجع: Wresznski, “Atlas” Pl. 278)، وقد نحت لنفسه محرابين في السلسلة الغربية، كما جاء ذكره في نقوش ابنه وخلفه «منخبر»؛ إذ قد ذكره بلقب القاضي، وكاتب الملك، ومدير مخازن الغلال في القطرين المرحوم «مين نخت».

(١٢-١١) «سن نفر»

قبر هذا العظيم في «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٩٩)، وقد كان من عظماء رجال عهد «تحتمس الثالث»، وكان يحمل الألقاب التالية: الحاكم الوراثي، والذي يضم الأرضين لرب القصر، والمشرف على كهنة الإلهين «سبك» و«أنوبيس»، والمشرف على أرض «آمون» الزراعية، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، والمشرف على بلاد الذهب التابعة للإله «آمون»، والمشرف على ما له قرن، وحامل الخاتم (المشرف على الخاتم)، والمشرف على الآلاف من كل شيء (القربان)، ومدير عيد «أتوم»، والمشرف على كل كهنة الآلهة جميعًا، وفم ملك الوجه القبلي، وأذنا ملك الوجه البحري، وحاجب الملك، والمشرف على ما له قرن وما له حافر، والمشرف على ما له ريش، وعلى المعادن، ورئيس كل الأحجار الثمينة، والمشرف على كهنة الإله «آتوم»، ومدير عيد كل آلهة «هليوبوليس»، والرئيس الأعظم لسمار القصر الملكي، والمشرف على الأراضي المنزرعة للإله «آمون» (راجع: Urk. IV. p. 529–542).

رحلة «سن نفر» إلى بلاد لبنان

والظاهر أن أهم عمل قام به هذا الموظف العظيم هو رحلته إلى بلاد «لبنان» لإحضار خشب الأرز من جبالها؛ لتصنع عمدًا لنصب الأعلام في معبد الإله «آمون» في «الكرنك»، وقد رسم منظر هذه الرحلة على جدران مزار قبره؛ إذ نقرأ فيها نصَّ الأمر الملكي للذهاب إلى بلاد «لبنان»، ثم نراه يعود منها ومعه جنوده وأناس لا يمكن تمييزهم الآن، وقد أحضرهم بمثابة غنائم، وكذلك معه عمد الأعلام، وكانت تُجَرُّ على زحافات، ثم يقدم للفرعون تقريره عن هذه الرحلة الميمونة (راجع: Urk. IV. p. 531–536)، ومما يُلحَظ هنا أن «سن نفر» كان يحمل لقب حامل خاتم ملك الوجه البحري، وقد كانت العادة أن يرسل الفرعون مَن يحمل هذا اللقب في بعوثه إلى الخارج، وذلك منذ الدولة الوسطى، وقد ترك لنا «سن نفر» غير ترجمته عن نفسه بعضَ مناظر طريفة على جدران قبره غير ما ذكرنا، منها منظر يتسلَّم فيه أشياء طريفة غالية لخزانة الفرعون، كالذهب والأحجار الثمينة (راجع: Urk. IV. p. 536)، كما نشاهد منظر تسلُّمه الثيران التي غنمها الفرعون في حروبه، وكذلك نراه يفتش على الأثاث الجنازي الذي أهداه له الفرعون، والتماثيل المصنوعة من الأحجار الغالية التي قدَّمها لمعبد «آمون»، وأخيرًا نشاهد «سن نفر» وهو

يتقبل هدية رأس السنة من ذويه، وبخاصة زوجه وأولاده وصناعه، وله تمثال في المتحف المصري نُقِشت عليه الصيغة الدينية ومناقبه وألقابه، كما وُجِد له نقشٌ على مدخل معبد «سرابة الخادم»، ويرى فيه «تحتمس الثالث» ممثَّلًا أمام «حتحور» ربة أرض الفيروزج، وفي هذا النقش كان فرد آخَر اسمه «كننا» يحمل لقب «مدير البيت العظيم للملك» (راجع: Urk. IV. p. 548).

(١٢–١٢) «آمون مس» كاتب بيت المال

كان كاتب بيت المال للإله «آمون»، وقبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» رقم ٢٢٨ (راجع: Gardiner and Weigall, “Catalogue” No. 228)، والظاهر أنه كان في خدمة «أمنحتب الثاني» أيضًا.

(١٢–١٣) أمنمحاب مدير بيت الفرعون

كان «أمنمحاب» هذا مدير بيت الفرعون «تحتمس الثالث»، والمشرف على ماشية الملكة «نفر تاري» العائشة، و«نفر تاري» هذه يُحتمَل أنها بنت «تحتمس الثالث»، وهذا الموظف معروف لدينا من تمثالٍ عُثِر عليه في خبيئة الكرنك، وهو الآن بالمتحف المصري (Legrain, “Statues” No. 2412).

(١٢–١٤) «آمون أرى نفر» المشرف على المخازن

كان يحمل لقب المشرف على المخازن، وله قبر مزين في «الخوخة» بـ «طيبة الغربية» (رقم ١٩٩)، غير أنه قد هشم ولا يمكن دخوله الآن (راجع: Porter & Moss, “Bibliography”, I, p. 153).

(١٢–١٥) «أمنمحات» وكيل آمون

وكان يُلقَّب «وكيل آمون» وله قبر جميل في «جبانة شيخ عبد القرنة»، ويحتوي على عدة مناظر طريفة أهمها منظر وليمة (راجع: Porter & Moss, Ibid, p. 85) يُشاهَد فيها الرجال جالسين على كراسي، أما النساء فيجلسن على حصير، ويلحظ هنا خادم مُمسِك

برأس ضيف لعبت به بنت الحان فيفرغ ما في جوفه، ويُشاهَد كذلك نساء يعزفن على آلات الطرب، كما يُشاهَد أخريات يرقصن بالصاجات، ويلفت النظر راقصة تقوم بألعاب بهلوانية مدهشة كالتي نراها في هذه الأيام، ومن المناظر الطريفة منظر تذرية القمح بالأيدي؛ حيث نجد رجلين يذريان التبن الذي يحتوي على الحبوب، فتفصل الحبوب عن التبن، ويُشاهَد رجل يكنس القمح الذي يتناثر على الأرض فيجمعه إلى بعضه. هذا ونرى في منظر آخَر طحن الغلة بطريقتين: إحداهما بوضع الحب في هاون عالٍ وهرسه بمدقة في يد امرأة تعمل وهي واقفة، أما الطريقة الثانية فتشمل على حجر طاحون عالٍ تطحن عليه حيزبونة واقفة وقد تدلى ثدياها، وتلبس قبعة لها طرفان، وذلك على خلاف الطريقة العادية.

(١٢-١٦) «أمنمحات» حاكم بيت تحتمس الأول

وقد عُثِر على لوحة في «هليوبوليس»، وقد ظهر في أعلاها «تحتمس الثالث» يقدِّم خمرًا للإله «آمون رع»، ممَّا يدل على أن هذا الموظف كان عائشًا في عهد هذا الفرعون (راجع: L. D. III. Pl. 29c).

(١٢-١٧) «أنتف» كاتب المجندين

كان يُلقَّب كاتب المجندين في عهد «تحتمس الثالث»، وقبره في «شيخ عبد القرنة رقم ١٦٤» (Gardiner and Weigall, “Catalogue”, No. 164).

(١٢-١٨) «بري» الكاتب

كان هذا الموظف يحمل لقب كاتب فقط، وقد كشف عن قبره في «الرقة»، وعثر فيه على بعض حلي جميلة من الذهب تحتوي على خواتم للشعر (؟) وقلادة من الذهب تنتهي بجعارين، ويتدلى منها لوحة صغيرة من الذهب كتب على أحد جانبيها لقب «تحتمس الثالث»، وعلى الجانب الآخَر اسم «بري» ولقبه، كما وُجِد سمطان من حبات الكرنلين

وثلاثة جعارين، واحد منها من اللازورد، وكذلك عُثِر على مكحلة من حجر ستياتيت في صورة قرد يقبض على إناء، ومرآة من النحاس، وطبق من المرمر (Engelbach, "Riqqeh and Memphis", p. 15, Pls. I, 6–12; XI, 3).

أهمية محتويات قبره

ولا نزاع في أن محتويات هذا القبر تضع أمامنا صورةً ناطقة عن الثراء والغنى والبذخ الذي كانت تنعم فيه البلاد في هذا العصر، وبخاصة إذا علمنا أن هذه الأشياء قد وُجِدت في مقبرة موظف صغير يحمل لقب كاتب وحسب.

(١٢–١٩) «باثا» المشرف على الماشية

كان «باثا» هذا المشرف على الماشية (Legrain, "Repertoire", No. 162, & A. S. VII. p. 134)، وقد وُجِد اسمه ولقبه على جزء من تمثال قدَّمَه له ابنه «عنخف نيسو» الذي كان يحمل لقب «مطهر الإله آمون»، وقد عُثِر على بقايا هذا التمثال في خرائب معبد «تحتمس الثالث» الجنازي.

(١٢–٢٠) «بتاحمس» الوزير

كان «بتاحمس» هذا يحمل لقب الوزير، كما كان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، وكبير القضاة، والمشرف على محاكم العدل الست العظيمة، وفم «نخن»، وكبير كهنة الإلهة «ماعت»، ووالد الإله، ومحبوب الإله (A. S. Vol. VII. p. 130).

وقد عُثِر على لوحة في معبد «تحتمس الثالث» الجنازي المسمى «المعطي الحياة»، وقد كُتِب عليه اسم هذا الفرعون، ولما كان الوزراء الطيبون الذين في عهده معروفين لنا، فإنه من المحتمل جدًّا أن «بتاحمس» هذا كان وزير الوجه البحري، وقد عُثِر له على جعارين تحمل لقب «والد الإله» والوزير.

(١٢-٢١) «بتاحمس» حامل الخاتم

ولدينا موظف كبير آخَر بهذا الاسم كان يُنادَى بالألقاب التالية: الأمير الوراثي، وحامل خاتم الوجه البحري، والكاهن «سم» (أي: الكاهن الأعظم في «منف»)، والمدير العظيم للصناع (أي: الكاهن الأكبر لمعبد الإله «بتاح» في «منف»)، وهذه الألقاب وُجِدت منقوشة على محراب في «العرابة» (Roeder, “Naos”, Catalogue General No. 700038).

(١٢-٢٢) «مني»

عُثِر لهذا الموظف على نقش في الصخور القائمة على الطريق بين أسوان و«فيلة»، ويُشاهَد عليها «مني» وهو يتعبد أمام طغراء «تحتمس الثالث»، وألقابه هي: الأمير الوراثي والعظيم في بيت الفرعون، والمشرف على كهنة الإله «أنحور» (راجع: De Morgan, “Cat. Monuments”, p. 28; Porter & Moss, “Bibliography”, V. p. 246).

(١٢-٢٣) «معي» المشرف على الكهنة

وُجِد لهذا الموظف الكبير تمثال في «أخميم»، وهو الآن بمتحف «برلين» ويحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، وسمير الفرعون، والمشرف على الكهنة (راجع: Schafer, “Agyp-tische Inschriften zu Museen Berlin”, II. p. 25–26).

(١٢-٢٤) «منتو إيوي» ساقي الفرعون

كان هذا الموظف يحمل لقب «ساقي الفرعون»، وطفل الرضاعة (راجع: Porter and Moss, “Bibliography” I, p. 149)، وقبره في «الخوخة» يحمل رقم ١٧٢؛ وقد صُوِّر فيه وهو يصطاد حيوان الصحراء منها النعام والثعالب، وكذلك نشاهده وهو يصطاد مع أسرته السمك والطيور، وقد رسم كذلك في هذا القبر منظر لجني العنب وعمل النبيذ، غير

أنه لم يتم، وفي هذا المنظر نشاهد مائدة قربان قد كدسب عليها القرابين للإلهة «رنوتت» إلهة الحصاد التي مُثِّلت في صورة ثعبان (راجع: Wreszinski, “Atlas” Pl. 353–5).

(١٢–٢٥) «نفرحبو» طحان آمون

كان هذا الرجل يعمل طحانًا للإله «آمون» وطحان شعير وقمح، وليس لهذا الموظف إلا لوحة عثر عليها في «شيخ عبد القرنة»، وهي الآن بالمتحف المصري (راجع: Lacau, “Steles du Nouvel Empire”, No. 34035 Pl. XXIII)، والجزء الأعلى منها قد مُثل عليه «تحتمس الثالث» على عرشه أمام «أوزير» و«أنوبيس» والإلهة «أمنتت» إلهة الغرب، وفي الجزء الأسفل نشاهد صاحب اللوحة يتعبَّد هو وزوجه وبنتاه لهذه الإلهة طبعًا.

(١٢–٢٦) «نفربرت» ساقي الفرعون

كان «نفربرت» يُلقَّب ساقي الفرعون بيدين طاهرتين، وتابع الفرعون في كل أرض أجنبية، وهذا اللقب الأخير يفسر لنا أن هذا الموظف كان من المقربين جدًّا للفرعون، وبخاصة أنه كان ساقيه الخاص على ما يظهر (راجع: Legrain, “Statues” No. 42121).

(١٢–٢٧) «نفر-رنبت» المسمى كذلك «قفي»

(؟) هذا الموظف له قبر في «ذراع أبو النجا»، وكان يُلقَّب صائغًا وحفار تماثيل.

(١٢–٢٨) «نب وعي» مدير بيت الإله أوزير

نعرف من لوحة هذا الرجل التي عُثِر عليها في «العربة» أنه كان يُلقَّب مدير بيت الإله «أوزير»، والكاهن الأكبر للإله «أوزير»، ويلحظ أن الجزء الأعظم من هذه اللوحة قد خُصِّص لمنظر مزدوج مُثِّل فيه الفرعون «تحتمس الثالث» ينصب العمود المقدس للإلهة «حتحور» الذي يعلوه رأسها لابسة تاجها (Lacau, Ibid, No. 34017, Pl. XI).

(١٢-٢٩) «نخت» مدير الغلال

وُجِد تمثال «لنخت» هذا في «خبيئة الكرنك»، ويحمل الألقاب التالية: الممتاز عند ملك الوجه القبلي، والصادق عند ملك الوجه البحري، وسيد السلام، ووكيل «جب»، ومدير الغلال (Legrain, ibid, p. 74. No. 42124).

(١٢-٣٠) «حبي»

كان «حبي» أحد كهنة معبد الفرعون «تحتمس الثالث» الجنازي يحمل لقب «مطهر آمون» في المعبد المسمَّى «المعطي الحياة» (راجع: A. S, I. p. 106).

(١٢-٣١) «خارو» حامل العلم

وُجِدت له لوحة محفوظة الآن «بمتحف اللوفر»، ويُلقَّب عليها بحامل العلم في السفينة «تحتمس مبيد الأعداء» (راجع: Lieblien, “Dict. Noms”, p. 196. No. 591).

(١٢-٣٢) «ساموت»

كان يشغل وظيفة المشرف على أعمال الإله «آمون رع» في «الكرنك»، وقبره في «ذراع أبو النجا» (راجع: Gardiner and Weigall, “Catalogue”, No. 142).

(١٢-٣٣) «سني مس» مربي الأمير «وزمس»

كان «سني مس» هذا مربيًا للأمير «وازمس» ابن الفرعون «تحتمس الأول»، وقد عُثِر له على لوحة في خرائب مزار هذا الأمير في «طيبة» الغربية، يُشاهَد على الجزء الأعلى منها الفرعون «تحتمس الثالث» يحرق البخور أمام تمثال «تحتمس الأول»، وخلفه تمثال صغير للأمير «وازمس» يحمل في يده زهرة البشنين، وفي الجزء الأسفل نقرأ وصية «سني مس» المؤرخة بالسنة الحادية والعشرين من عهد «تحتمس الثالث» لزوجه وأولاده الستة لأجل قربانه، وقد خُتِمت هذه الوصية في قاعة الوزير «وسر» في نفس اليوم الذي كُتِبت فيه،

وهو اليوم الخامس والعشرون من فصل الزرع، الشهر الثالث في العام الواحد والعشرين من حكم «تحتمس الثالث» (راجع: Urk. IV. p. 1066 ff).

(١٢-٣٤) «كام حر إبسن»

كان يحمل الألقاب التالية: حامل خاتم الوجه البحري، والكاهن الثالث للإله «آمون»، وقبره في «شيخ عبد القرنة» رقم ٩٨، ويُشاهَد فيه مناظر يظهر فيها بنات المتوفى وزوجه يقدِّمن طاقات من الزهر له، والقبر لا يمكن دخوله الآن (راجع: L. D. (Text) III, p. 278; Porter and Moss, "Bibliography", I. p. 128).

(١٢-٣٥) «ددیا» المشرف على كتاب مباني آمون

عُثِر لهذا الموظف العظيم على تمثال في «خبيئة الكرنك»، وقد نُقِش عليه الألقاب التالية: المشرف على كتاب مباني «آمون»، والمشرف على كتاب «آمون» و«موت» و«خنسو» في «الكرنك» وفي «طيبة» (راجع: Legrain, ibid, No. 42122).

(١٢-٣٦) «ددي» رئيس الشرطة

كان «ددي» رئيس شرطة المازوي[١٤٩] في عهد «تحتمس الثالث»، وبقي يشغل هذه الوظيفة في عهد ابنه «أمنحتب الثاني»، قد عُثِر على قبره في «جبانه شيخ عبد القرنة» في «الخوخة»، وكان يحمل النعوت والألقاب التالية: المحبوب من رب الأرضين، والمشرف على الصحراء الواقعة في غربي «طيبة»، رئيس فرقة الفرعون، له الحياة والسعادة والصحة، وحامل العلم لفرقة الفرعون، ورسول الفرعون في كل البلاد الأجنبية، والذي يملأ قلب سيد الأرضين، وبطل جيشه، والمهدئ الأرض قاطبةً، والضابط البحري للسفينة «آمون مري».

وفي قبره منظر (مهشم الآن) يُرَى فيه الفرعونان «تحتمس الثالث» و«أمنحتب الثاني» جالسين في محراب، وكذلك فيه مناظر أخرى يظهر فيها جنود يحملون أعلامًا،

[١٤٩] أصبح لقب شرطة المازوي يُطلَق في عهد الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها على شرطة الصحراء والحدود، وكانوا وقتئذٍ يجندون من المصريين أنفسهم.

هذا إلى أنه هو وأسرته يصطادون الطيور والسمك، كما يُشاهَد فيه منظر حفل فتح الفم المشهور (راجع: Porter & Moss. “Bibliography”, I. p. 153; Champollion. “Notices” p. 528; Urkunden. IV, p. 995 ff).

(١٢-٣٧) «تحتمس» ساقي الملك

وقبره في الخوخة (راجع: Gardiner and Weigall, “Catalogue”, No. 205).

(١٢-٣٨) «تاي» المشرف على الخزانة

عُثِر لهذا الموظف الكبير على لوحة في «سرابة الخادم»، وقد ظهر عليها يحرق البخور خلف «تحتمس الثالث» الذي كان يقدم الماء البارد للإلهة «حتحور» ربة الفيروزج، ويحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد والمشرف على الخزانة (راجع: Gardiner & Peet, “Sinai”, Pl. LXIV, No. 196).

(١٢-٣٩) الوزير «رخ-مي-رع»

قبره يمثِّل مدينة الأسرة الثامنة عشرة

تدل شواهد الأحوال كلها على أن الوزير «رخ مي رع» الذي عاصَرَ الفرعون «تحتمس الثالث»، وتقلَّد في عهده شئون وزارة الصعيد حتى وفاة ذلك العاهل، ثم استمرَّ في وظيفته مدة قصيرة في عهد «أمنحتب الثاني»، على أنه كان أعظم الوزراء الذين تربَّعوا على عرش هذا المنصب طوال عهد الأسرة الثامنة عشرة، ولا أدل على ذلك ممَّا تركه لنا من نقوش على جدران قبره الذي يُعَدُّ أفخم مقابر هذا العهد وأضخمها حجمًا؛ إذ لا نزاع في أنه يُعَدُّ سجلًّا سياسيًّا وأدبيًّا ودينيًّا وصناعيًّا واجتماعيًّا لهذا العهد الحافل بجسام الحوادث الخارجية والداخلية، وإنه ليكفي أن نقول هنا إن ما جاء على هذا القبر يضع أمامنا صورةً ناطقةً لا تحتاج إلى شرح أو بيان عن مدنية مصر في أزهى عصورها، من كل ناحية يريد بحثها المؤرخ، وهذه الصورة تمتاز بما تمثله أمامنا معنًى وحسًّا، فلا تترك للمؤرخ أن يحيد

عن جادة الحق؛ إذ تمثِّل له كل صورة يتخيَّلها، وتمده بالنقوش التي توضحها، من أجل ذلك آثرنا أن نضع أمام القارئ ملخصًا مفصلًا بعض الشيء عمَّا جاء في نقوش هذا القبر معبِّرًا عن حياة «رخ مي رع» وحضارة العصر الذي عاش فيه.

ألقاب «رخ مي رع»

(أ) ألقابه الفخرية التقليدية

الأمير الوراثي، والحاكم المحلي، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير العظيم الحب، والسمير الذي يستطيع الاقتراب من شخص الفرعون، وأنبل السمار، ورئيس السمار، والمشرف على أعلى الوظائف، والوجيه (ساب)، والقاضي الأعظم، والنائب عن بلدة «نخن» (فم نخن)، والمشرف على الملابس الرسمية، وخادم «حور»، وتابع ملك الوجه البحري.

(ب) ألقابه الإدارية

عمدة المدينة (طيبة)، والوزير، ووزير المدينة الجنوبية، ووزير مقر الملك، وحاكم المقاطعات، والمشرف على بيتي الذهب وبيتي الفضة، ومَن تُوحَّد وتُضم بيوت الذهب وبيوت الفضة معًا تحت خاتمه، والمشرف على السجلات، ورئيس محاكم العدل الست العظيمة، والمراقب الأمين، والمراقب الأمين في الإدارة الملكية (وماهية هذه الوظيفة ترى حيث يُشاهَد «رخ مي رع» يختم الأشياء الطريفة) (راجع: Pl. LI)، ومدير أعمال «آمون» كلها في «الكرنك».

(ج) ألقابه في إدارة أملاك آمون

مدير أعمال «آمون» كلها في «الكرنك»، والمشرف على الأعمال، والمشرف العام على صناعات «آمون»، والمشرف على الصناعات، والمشرف على مصانع «آمون»، ومدير بيت «آمون»، والكاتب الأول لقربان معبد «آمون».

(د) ألقابه الدينية

والد[١٥٠] الإله ومحبوبه، وكاهن «ماعت» (وهذا اللقب رمزي؛ لأن الإلهة «ماعت» ولم يكن لها معبد، بل كان لقبًا معنويًّا فقط لإلهة العدالة)، وأعظم[١٥١] الرائين في البيت العظيم، والكاهن «سم» (وهو لقب للكاهن الأعظم لمدينة «منف» والكاهن «سم» في بيت اللهيب)، وواضع خطة العمل للكهنة، ومرشد الكهنة المطهرين للقيام بواجباتهم، ومدير مائدة قربان … وواضع القوانين لمعابد الوجه القبلي والوجه البحري.

نعوت «رخ مي رع»

موضع ثقة «حور» سيد مصر، مَن يُؤتمَن ويتحدث إليه سرًّا، وثقة الملك؛ وثقة الفرعون في البلاد كلها، والثقة العظمى عند الملك، ومَن يرفع الصدق لَمن في القصر يوميًّا، والممدوح من الملك، والممدوح من القصر، والممدوح من الملك في القصر، ومَن يفعل ما يمدحه أصدقاء القصر، والممدوح في كل ساعة، وعينا الملك، وقلب الملك (له الحياة والفلاح والصحة)، وأذنا الملك، ومَن يرضي رب الأرضين بمشاريعه، ومَن يقضي بالعدل في القصر، وصاحب المكانة الممتازة في الحجرة الخاصة، وأخو ملك الوجه القبلي من الرضاعة، ومَن يكفل له سيد مصر معاشه، ومَن جعله ملك الوجه القبلي عظيمًا، ومَن شرفه ملك الوجه البحري، ومَن رفع مقامه ملك الأرضين، والمتقدِّم في منزلته، والمماثل للملك، وضارب مَن يضرب، والثور المنتقم، والضارب المتكلم عنه بسوء (أي: عن الملك)، والأول في الأرضين، ورئيس الأرضين قاطبة، عظيم العظماء، وأعظم مَن في الأرض، والمنصب على رأس القوم، والأول في نظر الشعب، والمراقب على الشئون الاجتماعية، والإداري اليَقِظ، ومَن رأسه غاية في اليقظة، ومَن يملأ المخازن، ومَن يملأ مخازن الغلال، والمحامي الذي يجلب الرضا للأرض

---

[١٥٠] لفظة الإله هنا تشير إلى الملك الحاكم، وهذا اللقب كان يمنحه الملك لَمن كان صاحب منزلة عنده من حيث السن أو الاحترام (راجع: Gardiner, “Onomastica”, Vol. I. p. 47–53).

[١٥١] هذا اللقب كان يعطاه كاهن «هليوبوليس» الأعظم، وكذلك وُجِد في أرمنت وطيبة وفي تل العمارنة (أي إنه كان يُعَدُّ أعظم رجال الفلك)، غير أن الأستاذ «ينكر» قد فسَّر هذا اللقب: «الذي يرى الواحد العظيم» (أي: إله الشمس الذي كان يُسمَّى أتوم أو رع)، ولكن هذا التفسير قد عارضه الأستاذ «جاردنر» (Gardiner, “Onomastica”, Vol. I. p. 36 ff. & Vol. II. p. 267 ff).

قاطبة، ومَن يضع السنن لكل القضاة، والمتصرف في شئون العدالة لرب الأرضين يوميًّا، والقاضي المحايد، والقاضي بالعدل بين الفقير والغني، ومَن لا يبكي منه متظلم، ومَن يجعل المتخاصمَيْن ينصرفان راضيَيْن، ومَن يجعل الشاكين ينصرفون مطمئنين، والحازم في الفصل في الأحكام.

والمعلم الفعلي للحرف، ومرشد أصحاب الصناعات، ومَن يرشد الصانع في خطواته (؟)، ومَن يجعل كل إنسان يعرف واجبه، ومَن يجعل كل إنسان يعرف عمله المعتاد، ومَن يعلم كل إنسان الخطوات التي يجب أن يتخذها (في عمله)، ومَن يضع القواعد للمشرفين، والمدرب في أمور طوائف العمل، ومَن يعمل للهدف، ومَن يبني للأجيال المقبلة، ومَن يضع الوظائف في ترتيبها الصحيح، ومَن يطلب في كل لحظة لقيمته، والحاكم الذي ينشرح له القلب، ومَن يهب المحتاج، والممتاز لنفعه لَمن أحسن إليه، وصانع الجميل لَمن يصنع له، ومَن يدخل المحراب (أي: مثل الملك)، ومَن لا يخفي عنه الإله شيئًا، والعالم بكل شيء في السماء والأرض وفي كل مكان خفي في العالم السفلي، ومَن لا يكلُّ، والممتلئ كفاية، والماهر في عقد كل أنواع العصائب، والمنزَّه عن كل ضعف روحي، والمحبوب كثيرًا، ورب اللطف، والساحر برقته، والسامي في شهرته، والعالي في مكانته، والعظيم الاحترام، والكبير المنزلة، والثابت الخطوة، والمتمكِّن في الحب، والممدوح من الإله «نبري» (رب الحبوب)، والممدوح من «إنوتت» (ربة الحصاد)، والممدوح من «سخات حور» (حامية البقرات)، والممدوح من «أنوبيس»، والممدوح من «آمون»، وحبيب إلهة البطاح، وحليف إلهة صيد السمك، ومَن هو رابع مَن يفصل بين التوءمين (أي: الإله «تحوت» إله العلم والحساب والزمن والقضاء).

وهذه الوظائف والنعوت التي كان يشغلها أو يتحلَّى بها «رخ مي رع»؛ إذا صحَّ أنه كان يتولَّى القيام بأعبائها ويتصف بها حقيقةً، تدل على أنه كان يمتاز بنشاط يفوق نشاط البشر، وبعدالة وذكاء وحُسْن تدبير قلَّمَا نجد مثلها في تاريخ العالم، اللهم إلا الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله من بين عباده، والواقع أن المصري في كل عصور تاريخه كان يميل إلى الإغراق في الثناء على نفسه والتمدُّح بمميزاته، ولكن مع ذلك كله كان «رخ مي رع» رجلًا فذًّا في ذكائه وحُسْن تصريفه للأمور، وإلا لما اختاره أعظم الفراعنة وزيرًا له جل مدة حكمه، والظاهر أنه قد ورث هذه المقدرة عن أسرته الذين تربَّعَ عدد عظيم منهم على كرسي الوزارة؛ ولذلك سنتكلم أولًا عن تاريخ أسرته وما لها من ماضٍ عريق في المجد، كما صوَّرها لنا «رخ مي رع» نفسه على جدران قبره.

مقبرة «رخ مي رع» وزخرفها

يدلُّ ما وقفنا عليه من معلومات على أن «نفر–وبن» والد «رخ مي رع»، كان في أول أمره على ما يظهر كاهنًا متواضعًا من بين كهنة الإله «آمون» العديدين، وذلك على الرغم من أنه كان ابن الوزير «عامثو» (أحمس)، وهو الذي خلفه على كرسي الوزارة ابنه «آمون وسر» الذي يُسمَّى أحيانًا «وسر» فقط، والظاهر أن «نفر–وبن» كان يشغل وظيفة كاهن عندما انفتحت عينا ابنه الصغير «رخ مي رع» على عالم الوجود. وقد شاءت الصدف والأقدار معًا أنه عندما وقع بصره على مولوده الجديد، وهو في مهده، أن يناديه باسم «رخ مي رع» (= أي: العارف كالإله «رع»). ويشاء الحظ بإرادة الله أن يحقِّق المستقبل هذه التسمية في شخص هذا الطفل إلى حدٍّ ما؛ إذ إن «رخ مي رع» عندما وصل في منهاج حياته السياسية إلى قمة مجده، وهو في خدمة مليكه «تحتمس الثالث» نحت لنفسه مقبرة فاخرة في جبانة «شيخ عبد القرنة»، وقد كان من بين النعوت التي وصف نفسه بها في نقوش هذه المقبرة النعت التالي: «إنه محيط بكل شيء في السماء والأرض، وفي كهوف العالم السلفي.» وبذلك تحقَّقت نبوءة والده عندما سمَّاه «رخ مي رع»، أو العارف كالإله «رع».

وتدل النقوش على أنه كان وقت نحته لهذا القبر يقوم بمهام وزارة الصعيد، وقد قام بأعباء هذه الوظيفة في النصف الأخير من عهد «تحتمس الثالث»، وظلَّ يدبِّر شئون الملك حتى باكورة عهد «أمنحتب الثاني»، أيْ من حوالي عام ١٤٧٠ حتى ١٤٤٥ق.م تقريبًا، ومن الغريب أن آثار هذا الرجل الفذ لم تُذكَر في وثائق خارج قبره، اللهم إلا ما جاء على بعض قِطَع الاستراكا (الخزف) التي وُجِدت بالدير البحري، تحدَّثنا عن العمل الذي قام به خاصًّا بنقل أحجار معبد «زسر أخت»، وكذلك ما جاء على ورقة حساب محفوظة الآن في متحف «اللوفر» (راجع: Brugsch, “Thesaurus” p. 1099 & 1106)، وقد كان وقتئذٍ متربِّعًا على كرسي الوزارة، ومن أجل ذلك أصبح من الضروري لتقدير هذا الرجل تقديرًا صحيحًا أن نفحص النقوش والمناظر التي جاءت على جدران قبره فحصًا علميًّا دقيقًا، وبخاصة الوظائف السامية التي كان يشغلها في عهد «تحتمس الثالث» الذي يُعَدُّ أزهر العصور في تاريخ مصر، بل في تاريخ الشرق القديم أجمع.

وهذا القبر العظيم الذي حفظ لنا على جدرانه من النقوش أثر أعظم الوزراء المصريين، يحمل الآن رقم ١٠٠ في جبانة «شيخ عبد القرنة» بـ «طيبة الغربية». ولا نزاع في أن عظم حجمه واتساع رقعته وجمال صنعه ودقة فنِّه تبعث في النفوس حتى الآن، مع ما أصابه من تهديم وتخريب الهيبة والروعة.

والواقع أن نقوش المقبرة وما فيها من جمال فني، وما جاء عليها من المتون، تحدِّثنا عمَّا اتصف به هذا الوزير من رجولة، وما كان يحسه في أعماق نفسه من مبادئ سامية، ويقظته لكل صغيرة وكبيرة يحتِّمها عليه الواجب والوظيفة، ممَّا جعله نسيج وحده بين الوزراء المصريين السابقين واللاحقين، ومع ذلك فإن محاسن هذا القبر وما كانت تنطوي عليه نفس صاحبه من فضائل ومزايا فذة، لم تنجِ القبر ولا صاحبه مما أصابهما من أضرار جسام؛ فقد محا الخلف اسم الوزير وصوره، وصور معظم أولاده من كل أرجاء القبر، وهذا العمل العدائي وما انطوت عليه نفوس مرتكبيه من حقد وبغضاء كان بإيعاز من الفرعون «أمنحتب الثاني»، كما تدل على ذلك شواهد الأحوال وملابسات الحوادث، ولا نزاع في أن ما أصاب المقبرة من تشويه وما حاق بصور صاحبها عن إهانة ومحو؛ يُعَدُّ دليلًا على مقدار ما وصل إليه «رخ مي رع»[١٥٢] من بسطة في الجاه وطول باع في السياسة والشهرة وحصافة الرأي، وتدل الأحوال كلها على أنه قد وُشِي بهذا الوزير عند مليكه الجديد «أمنحتب الثاني»، فأمر بارتكاب تلك الفعلة الشنعاء، وتلك سجية نعرفها في عتاة الملوك الذين لم تمكِّنهم تجاربهم ولا تقلُّبات الدهر وغِيَر الأيام من وزن الأمور بميزانها الصحيح، فيركبون رءوسهم لأية نميمة غير عابئين بما يخبئ لهم الغيب لما اقترفوه من آثام مع مَن أخلص لهم؛ ومن ثَمَّ فإنه يصبح من الجلي أمامنا أن المؤرخين الذين دوَّنوا تاريخ مصر كان يحدوهم روح التسامح عندما وضعوا تاريخ أمثال هؤلاء الملوك، وأن الأسر الملكية المصرية القديمة التي كانت تسقط من عليائها بين عشية وضحاها على أيدي مثل هؤلاء، كانت تستحقُّ ما حاق بها من سوء منقلب جزاءً وفاقًا على ما اقترفوه من عنف وظلم وعسف.

---

[١٥٢] كل مراجعنا في حياة «رخ مي رع» الكتاب الذي وضعه حديثًا الأثري «ديفز» عن حياة هذا الوزير (The Tomb of Rekh-mi-Re. at Thebes)، وبخاصة اللوحات التي نشير إليها هنا في شرحنا للمناظر التي في هذا القبر.

(أ) موقع قبر «رخ مي رع» وهندسته

نحت الوزير «رخ مي رع» قبره في منحدر الطريق الجبلي لتل «شيخ عبد القرنة»، وقد كان يرمي من نحته في هذه البقعة إلى الاستفادة من خلوها من المقابر؛ ولذلك زاد في رقعته بدرجة عظيمة جدًّا فاقت حد المعتاد في مثل هذه القبور التي كان ينحتها عظماء القوم في هذه الجبانة، ومن الغريب أن واجهته على الرغم من كبرها واتساعها وارتفاعها، لم تكن من الضخامة بمكانة تلفت النظر، وقاعته المحورية تمتد في داخل صخور التل إلى مسافة تربي على مائة قدم، وخارجة هذه القاعدة ضيقة بالنسبة لما هو مألوف، وتمتاز بسقف يرتفع عن رقعتها بحدة كلما امتدت في جوف الجبل؛ إذ يبلغ ارتفاعه أكثر من ثمانية أمتار عند نهايتها التي تتألَّف من كوَّة تبلغ أبعادها ستة أقدام طولًا في مثلها عمقًا.

أما مساحة هذه المقبرة فرحبة؛ إذ يبلغ عرضها نحو تسعة عشر مترًا، ورقعتها مسطحة منبسطة.

(ب) مناظر المقبرة

وتحتوي هذه المقبرة على حجرتين، إحداهما تمتد إلى أعماق التل كما ذكرنا، والثانية نُحِتت محاذيةً لواجهة المقبرة في الصخر من الشمال والجنوب، وجدران هاتين الحجرتين قد زُيِّنتا بمناظر ومتون هائلة، ويبلغ مسطح جدرانها حوالي أكثر من مائة وأربعين مترًا مربعًا، وقد غُطِي هذا السطح العظيم كما قلنا بمناظر بعضها مألوف معروف لنا، وبعضها فريد في بابه شيق مبتكر في موضوعاته، ولا يكاد يماثلها في صورة مصغرة إلا مقبرة الوزير «وسر» (أو «آمون وسر») الذي تحدَّثنا عنه آنفًا، وقد نظمت هذه المناظر على طريقة طريفة في هذه الجدران، فالجدران النهائية للحجرة الخارجية قد خُصِّصت للموضوعات الشخصية، فنشاهد على الجزء الجنوبي منها مثلًا أسماء الوظائف التي كان يقوم الوزير بأعبائها، كما نقرأ على الجزء الشمالي كذلك مشاهد من أعمال الوزير، هذا بالإضافة إلى أخرى توضِّح إشرافه على ضياع «آمون»، ومناظر تمثِّله في الصيد والقنص في الصحراء. أما النصف الخارجي من جدران الممر المحوري الطويل للحجرة الكبرى فقد حلي بالمناظر الدنيوية، فنشاهد على الجدران الجنوبية مناظر تمثِّل «رخ مي رع»، وهو يدير أملاك معبد «آمون»، وعلى الجدران الشمالية نشاهد مناظر تحدِّثنا عن مفاخر الوزير الرسمية، ويعقبها مباشَرةً منظر يمثِّل الحفل باعتلاء «أمنحتب الثاني» عرش الملك، وفي هذا يظهر

للمؤرخ المحقق جليًّا تقلُّبات الحياة ومفاجآتها المنطوية على الغدر، وما في الصدور من علة وضغينة؛ إذ نرى على حين غفلة مناظر هذا القبر تأتي إلى نهاية مباغتة توحي إلينا بأن هذا الوزير العظيم، الذي طالما قاد سفينةَ البلاد إلى بر النجاة والفلاح، قد انقضت حياته الحكومية بنهاية مفجعة قاتمة.

أما الموضوعات الدينية والجنازية فكانت تحتل الأجزاء المرتفعة من رقعة جدران هذه الحجرة عند نهايتها، وتشمل طائفة عظيمة من المناظر التمثيلية الخاصة بشعائر الدفن، وما يتبعها من طقوس لإحياء المومية أو التمثال الذي يحل محلها (شعيرة فتح الفم).

ومما يسترعي النظر هنا أن اسم «رخ مي رع» قد أُزِيل جملةً من نقوش مقبرته، اللهم إلا ما كان بعيدًا عن متناول الذين كُلِّفوا بهذا العمل المشين، أما الحملة التي قام بها شيعة «أتون»، فكانت شاملة كاملة في ناحيتها، وقد كان عملهم منحصرًا في محو اسم «آمون» واسم الآلهة الآخرين، ثم اسم معبد «الكرنك»، ومحو رسم جلد الفهد الذي كان يرتديه الكاهن «سم»، وهو الذي كان يقوم بالدور الأعظم في تمثيل شعيرة «فتح الفم»، يضاف إلى ذلك ما حاق بالمقبرة من تخريب على أيدي الذين اتخذوها مسكنًا دنيويًّا لهم ولماشيتهم في عصرنا الحاضر حتى زمن قريب جدًّا.

تاريخ أسرة «رخ مي رع»

(راجع: .Plates. IX, X) دوَّنَ الوزير «رخ مي رع» كما فعل كبار الموظفين في هذا العهد سلسلةَ نسبِه على نهاية الجزء الشمالي من الحجرة الكبرى بصورة طريفة؛ إذ مثَّل أفراد أسرته جميعًا منذ جيلين مضيَا؛ وبذلك يستطع المؤرخ أن يتخذ هذه الصورة دليلًا على تسلسل وظيفة الوزير في عظماء أفرادها النابهين، والواقع أننا نجد أفراد الأسرة قد صُوِّروا جميعًا في حفل أسري، فنشاهد الوزير «آمون وسر» عم «رخ مي رع» نفسه قد اتخذ مكانةً علية تضارع المكانة التي كان يحتلها والد الوزير «رخ مي رع» نفسه، وتدل شواهد الأحوال على أن الابن الثاني للوزير «وسر» المسمى «سامنخت» كان هو الخلف المنتظر على كرسي الوزارة، وبخاصة إذا حكمنا عليه من الألقاب التي كان يحملها، غير أنه لسبب ما نرى أن الذي تقلَّدَ الوزارة هو ابن عمه «رخ مي رع».

ونشاهد على الجدار منظرين مُثِّل فيهما «رخ مي رع» وزوجه جالسين إلى مائدة قربان، كان يباركها أحد أبنائه الذي كان يقوم بدور الكاهن لوالده، وقد ارتدى جلد الفهد

الدال على ذلك، غير أن هذين المنظرين قد مُحِيَا، وتدل النقوش المفسِّرة لهما على أن الابن الذي قام بهذا الدور في الصورة العليا كان يُسمَّى «منخبر رع سنب»، أما الذي في الصورة السفلى فكان يُدعَى «أمنحتب»، وكان الأول يشغل وظيفة كاتب جزية معبد الإله «آمون»، والثاني يتقلَّد وظيفة كاتب خزانة الإله «آمون».

أما أفراد الأسرة الذين مُثِّلوا في هذه الصورة فينقسمون أربع مجاميع وهي:

(١) أسرة «أحمس» (الذي كان يُسمَّى «عامثو» أيضًا)، وهو الذي كان متربِّعًا على كرسي الوزارة في باكورة حكم «تحتمس الثالث». (٢) أسرة ابنه الوزير وسر (وكان يُسمَّى آمون وسر أيضًا). (٣) أسرة ابن آخَر يُدعَى «نفر-وبن». (٤) ثم أسرة «رخ مي رع» وهو ابن «نفر-وبن».

وتدل البحوث الحديثة التي استقيت من ثلاث وثائق جديدة على أن «نفر-وبن» قد تربَّعَ على كرسي الوزارة، وبذلك يفسر لنا السبب في تولِّي «رخ مي رع» رياسة الوزارة، وهو أنه خلف والده في هذا المنصب (راجع: Capart, “Bulletin des Museés Royaux,” 1938, & Blackman J. E. A. IV. (1917) Pp. 41. & Dunham J. E. A. XV. (1929) p. 164).

ففي هذه الوثائق الثلاث لا نجد اللقب المتواضع الذي أعطاه «رخ مي رع» لوالده «نفر-وبن»، ونقرأ مكانه الألقاب التالية التي تدل على أنه كان وزيرًا: العمدة والوزير وغير ذلك من الألقاب التي كان يحملها ابنه «رخ مي رع». وإنه لمن البعيد جدًّا ألَّا يكون «نفر-وبن» هذا ابن «أحمس عامثو» ووالد «رخ مي رع»، وتدل شواهد الأحوال على أن لقب الوزير الذي كان يحمله «نفر-وبن» قد حُذِف بداهةً من مقبرة «رخ مي رع»؛ وذلك لأن تنصيبه في هذه الوظيفة كان على يد «حتشبسوت»، وقد ناهَضَ «تحتمس الثالث» اغتصابها السلطة الملكية؛ ولذلك كان يعدُّ كلَّ مَن تربَّعَ على كرسي الوزارة في عهدها كأن لم يكن، وقد حدث ذلك فعلًا مع الكاهن الأكبر «حبو سنب»، فإنه قد حرم عليه أن يذكر في نقوش قبره أنه كان وزيرًا في عهد «حتشبسوت»، ولم يكشف لنا حقيقة عن تولِّيه هذه الوظيفة إلا تمثال واحد، ومن المحتمل أن «نفر-وبن» قد عرف أن تماثيل معبده كان سيحافظ عليها كهنته الذين تعاقَدَ معهم على تأدية القربان لها، وأظن أن «عامثو» كان وزيرًا في عهد «حتشبسوت» ولكنها عزلته، وربما كان ذلك لمعارضته لها في ادعاءاتها العريضة المتطرفة، ونصبت بدلًا منه ابنه «نفر-وبن»، وقد أعاده «تحتمس الثالث» وهو في شيخوخته إلى وظيفته في الوزارة، ثم تولاها «آمون وسر» وهو ابن أخ آخَر بمثابة

مساعد وخلف، وبدهي أن وراثة الوزارة في هذه الأسرة كانت منيعة الجانب متسلسلة فيهم.

(أ) أولاد «رخ مي رع»

ومما يُؤسَف له أن أسماء أولاد «رخ مي رع» قد مُحِيت، غير أنه قد بقي لنا من أسماء السيدات ما يمكننا من أن نحقق شخصياتهن بأنهن بنات «رخ مي رع»، ويدل ما لدينا على أن أسماء بناته على ما يظهر كانت كما يأتي: «تاخعت» و«موت نفرت» و«حنت تاوي»؛ غير أنه ليس من المستطاع أن نستخلص مما بقي لدينا من النقوش أسماءَ أولاده الذكور على وجه التأكيد غير الاثنين اللذين ذكرناهما فيما سبق، ويقومان بدور الكاهن لوالديهما إلا ما يأتي: «مري» المشرف على مصانع آمون، و«سنوسرت» الكاتب، ثم «قن آمون».

(ب) أفراد آخرون من الأسرة

ويُشاهَد في هذه الصورة فرد يُدعَى «بقي» ويُلقَّب: تابع الفرعون في كل الأراضي الأجنبية بموافقة الإله الطيب، والمشرف على بقرات «آمون»، وزوجه «آت»، وقد جلسا إلى جانب من الوليمة، ويحتمل جدًّا أنهما والِدَا السيدة «بت» أم الوزير «رخ مي رع».

حياة «رخ مي رع» كما دوَّنها عن نفسه

وقد ترك لنا هذا الوزير العظيم على الجدار الجنوبي الخلفي من القاع نص تاريخ حياته، وهو يحتوي كما جرت العادة والعرف في هذا العهد وما قبله على عناصر قليلة في صميم حياة الموظف الحقيقة، بل هي في الواقع عقود مدح كان يضفيها الموظف أو الشريف على نفسه في ألفاظ وجمل منمقة، وهاك ما نقشه «رخ مي رع» عن نفسه (راجع: Pls. XI, XII).

ألقابه: الأمير الوراثي، ومدير مديري البيت (البيت الملكي)، ورئيس الأسرار، والذي يدخل المحراب الخاص بالفرعون، ومَن لا يحجب عنه الإله شيئًا، ومَن يحيط بكل شيء في السماء وفي الأرض وفي أي مكان خفي في العالم السفلي،

والكاهن سم في بيت اللهيب[١٥٣] (أي: رئيس كهنة منف)، والكاهن «ورما» (الرائي الأعظم) في البيت العظيم … والمراقب حلل الأحفال كلها، وقاضي المحاكم العليا الست، ومدير كل ديوان للفرعون، وقد كان الفذ في نشاطه لمنفعة من نصبه، والمُصلِح في فصل المخاصمات، وهو أخو ملك الوجه القبلي من الرضاعة، وتابع ملك الوجه البحري وخادم حور … (وحور) في بيته، ومن تحت خاتمه اتحد بيتي الذهب وبيتي الفضة، ومدير بيت «آمون»، وعمدة المدينة والوزير «رخ مي رع»، يقول: «لقد كنتُ شريفًا بمثابة صنو الفرعون، وبمثابة رابع مَن فصل بين التوءمين (أي: على قدم المساواة مع تحوت والتوءمين وهما «حور» و«ست»)، وصاحب المكانة المقربة في الحجرة الخاصة، والممدوح في كل ساعة … وصاحب المقام الأول في نظر الشعب.»

ترقيته للوزارة: لقد كانت المرة الأولى التي طلبت فيها (أمام الفرعون)، في حين كان كل إخوتي بين الألف في الخارج (أي: بين الجموع المحتشدة خارج القصر الملكي) وخرجت … لابسًا حلة عيد (؟)، وقد ابتهج أهل بيتي، وعندما وصلت إلى مدخل باب القصر انحنى أمامي رجال الحاشية، ثم سرت ورجال الحاشية يفسحون أمامي الطريق … ولم تَعُدْ بعدُ قوتي كما كانت عليه من قبلُ؛ إذ تغيَّرَتْ حالتي التي كنتُ عليها بالأمس، وذلك منذ أن ظهرت في حلل الوزارة ورقيت إلى مرتبة كاهن الإلهة «ماعت» (إلهة العدالة والحق والصدق) … ومن ثَمَّ وقر مديحي والإشادة بذكري بين الصغير والكبير على السواء، وقد كان كل إنسان ينظر إليَّ كما ينظر إلى بريق الجدران المرصعة بالفيروزج (أي: وهو لابس حلة التشريفة).

مجلس مع الفرعون: وعندما انبثق فجر يوم ثانٍ وحلَّ الغد، دُعِيت ثانيةً إلى حضرة الإله الطيب الملك «منخبر رع» — ليته يعيش مخلدًا — وهو حور

[١٥٣] بيت اللهيب والبيت العظيم (بر. نسر، وبر. ور) هما اسمان للمعبدين القديمين جدًّا للعاصمتين القديمتين «بوتو» والكاب، أما الكاهن سم فهو لقب للكاهن الأعظم لمنف، وأما لقب «ورماو» فيُطلَق على الكاهن الأعظم لمدينة عين شمس كما ذكرنا. وهذه الألقاب الطنانة قد منحها «رخ مي رع»؛ لأنه كان متصلًا بالفرعون كما يتصل الكاهن الأكبر بالإله، سواء أكان ذلك مع الوجه القبلي أم مع الوجه البحري.

الثور المظفر والمشرف بفخار في طيبة. حقًّا إن جلالته عليم بما يجري، فلا يوجد شيء ما يجعله، فهو «تحوت» حقًّا؛ إذ لا يوجد موضوع ما قد أخطأ معرفته (وكل أمر ...) فإنه يعرفه كما تعرفه سيدة الكتابة العظيمة جلالة سشات (إلهة الكتابة)، فهو الذي يخرج التصميم إلى حيِّز التنفيذ، فهو إذن كالإله الذي يأمر وينفذ (في الحال).

خطاب الفرعون لوزيره: وقد فاه جلالته بكلماته أمامي قائلًا: «تأمَّلْ أرسلتني عيناي إلى قلبي لأن جلالتي يعرف أن الأحكام التي يفصل فيها عدة، وأنه لا نهاية لها، وأن الفصل في القضايا لا ينقطع سببه، وليتك تعمل على حسب ما أقول؛ فعندئذٍ تأوي العدالة إلى مثواها.» ثم أغلظ في تحذيره إياي قائلًا: «سلِّحْ نفسك، وكن قويًّا في العمل، ولا تكل، وناهِض الشرَّ.»

رخ مي رع يتبع تعاليم الفرعون في إدارة البلاد: ... وقد عملت على حسب ما أمر به، وقد وضع تحت سلطاني محكمة العدل، ولم يستطع أحد منهم أن يتغلَّب عليَّ، وبعد ذلك خرجت من عنده وعصاي على ظهري (يقصد أنه كان لا يزال في عنفوان الشباب ولم يتوكأ على عصا الشيخوخة)، ولم تطلق الكلاب بعدُ (أي: إنه كان لا يزال قويًّا)، وصوتي بلغ عنان السماء (علامة على القوة)، ولم يوجد واحد ... ثائر، وقد هدأت المتبرم بما يرغب فيه ويجلب ما يمكن أن يرضيه، (وقد قال القوم) لي: تعال — هكذا قالوا — لإصلاح حالة الأرضين ثانيةً ... وكنت أستيقظ مبكرًا كل يوم لتأديتها، وكنت قريبًا من الفرعون (؟) ورأيت شخصه في صورته الحقة، فهو «رع» رب السماء ملك الأرضين عندما يشرق، وقرص الشمس عندما يطلع، والأرض السوداء والأرض الحمراء يأتيان إلى مكانه، ورؤساؤهما ينحنون أمامه، وكل المصريين وكل أصحاب الرتب وكل عامة الشعب ... مصوبين عصيهم نحو مَن يخاصمه، وقد كان اسمي ضاربًا للضارب فهو كالثور المنتقم (؟) الذي يضرب مَن يتكلم عنه بشر، وقد اتخذني عصًا ناطقةً تعاقِب الجموح ... وميزانًا للأرضين قاطبةً، وحافظًا مستوى قلوبهم بالقسطاس المستقيم، أما الذين تذبذبت قلوبهم وأعوزتهم الاستقامة فإن سياج حور (الملك) قد أخضعهم (يقصد هنا نفسه)، وقد أصبح كل فرد مستقلًّا بالأحزان راضيًا ... وقد كان فمي نطرونًا (أي: طاهرًا)، وقد كانت غلظتي بريئة على شفتي (أي: كانت غلظته عن طهر ونقاء سريرة).

علاقته بالفرعون: وكنت قلب سيد البلاد، وأذني الفرعون وعينه، والواقع أني كنت ربان سفينة، فلا أعرف النعاس ليلًا أو نهارًا، وسواء أكنت واقفًا أم جالسًا فإن قلبي كان متجهًا نحو أمراس السفينة في مقدمتها ومؤخرتها، وكان قضيب جس الماء لا يتراخى في يدي، فكنتُ بذلك يَقِظًا لأي فرصة قد تجنح فيها السفينة؛ وذلك لأن كل ملك للوجه القبلي والوجه البحري يُعتبَر إلهًا تعيش الناس بإرشاده، فهو والد وأم كل الناس، وهو وحيد بنفسه فذ؛ على أني لم أعطِ الشرَّ مجالًا حتى يجتاحني، ولم تحدث مصيبة بسبب إهمال مني.

«رخ مي رع» يتحدَّث عن إنجازه للأعمال وطهارة يده: إني أتحدَّث بفمي، وأجهر به، وعلى ذلك سيسمع الحكماء والآخرون لما أقول: وقد مجدت «ماعت» (العدالة) حتى عنان السماء، وجعلت جمالها يرسخ في عرض الأرض حتى تستطيع أن تأتي وتأوي إلى أنوف الناس، مثل النسيم عندما يخلص القلب والجسد من الحقد، وقد قضيت بين الفقير والغني بالقسطاس المستقيم، وخلصت الضعيف من القوي، ووقفت في وجه غضب الأحمق، وسحقت الجشع في ساعته؛ وقمعت حنق المهتاج في وقته، وكفكفت البكاء … وحميت الأرمل التي لا زوج لها، ونصبت الابن الوارث مكان والده، وأعنت الرجل المسن ما نحا إياه عصاي، وجعلت المرأة العجوز تقول: ما أطيبه من عمل! وكرهت الظلم ولم أرتكبه، جعلت أهل المين يغلون منكسي الرءوس، وكنت مبرأً أمام الله، ولم يَقُلْ أحدٌ عني ممَّن كانوا على علم: ماذا فعل؟ ولقد قضيت في الأمور الخطيرة … وجعلت الحزبين يخرجان من عندي متصالحين، ولم أشوِّه العدالة من أجل رشوة، ولم أكن أصم لفارغ اليد، لا بل كنتُ فضلًا عن ذلك لا أقبل رشوة أي إنسان … ليت قلوبكم تعمر حتى تعلموا أنتم أيها الناصحون الذين يفصلون في الخطابات، أنتم يا أيها الحكام العظماء في الأزمان الغابرة … مرحبًا أيها الرفاق، وأصغوا أنتم جميعًا. تأملوا، إني معكم وإنه ليس بمين، ولقد قال لي الملك: كُنْ يَقِظًا؛ لأنك معادل الإله (أي: الفرعون) … أغدق الثناء على جلالته حتى يهيئ لراحتك النجاح، ويجعل الأرضين تعملان له بإقامة العدالة، ولماذا يحثني على أن أعمل في حين أني راضٍ وقد أتمَّمْتُ ما أمر به، وقد قمت بإنجازه على إثر سماعه، وقد أصلحتُ كلَّ حالة … وكنتُ موضوع كل المحادثات مثل فرد سجن.

أعماله التأديبية: سواء أكنت واقفًا أم قاعدًا، فقد كانت عصاي على كتفي ضاربًا بها المهاجم؟ ... وقد جعلت نفسي صيادًا ماهرًا بصير الخطا ... فلم أتعثر على قطعة حجر ... وقضيت على عصابات المؤامرات الليلية وصددت المعتدي ... (وأبدت) المجرمين على الماء واليابسة، وكذلك مَن أجرم في حق سيده بقدمه أو أنفه جعلته ينكص على عقبه ... ولم أكشف عن وجهي لمقترف الإثم، وألقيت الرعب في قلوب الجمهور، وعلمت الصبي الغريب واجبه، وضيقت على المساجين (؟)، وجعلت الثائر يعرف سقطته اليائسة، وقد كان أمر الفرعون في يدي لأنفذ أغراضه، ولم يقل أحد عني: ماذا فعل؟ (ربما يقصد بذلك أن أفعاله كانت منسوبة له شخصيًّا، ولكنها كانت معروفة بأنها أفعال الفرعون.)

ذكاء «رخ مي رع» وحكمته: ولقد كنتُ معلمًا بين أولئك الذين عرفوا الحرف (أي: إن علم «رخ مي رع» كان مفيدًا حتى لأولئك الذين على علم) ... ولم يوجد مثلي في خلق السعادة أو التعاسة، وكذلك لم يوجد تصميم كنتُ أجهل كيفية تنفيذه، فقد كنتُ متضلعًا ومتفوقًا في (معرفة) الأشكال المتقنة والمؤثرة أو المعيبة العتيقة، وكنت فطنًا في العلوم كلها متأنيًا في النصيحة، مستعدًّا للإصغاء، وكنت ماهرًا في أحوال الماضي، وكانت حالة أمس تجعلني أعرف الغد.

بصيرة «رخ مي رع»: ولقد قضيت للشاكي، ولم أَمِلْ إلى جانب واحد في (في المحاكمة)، ولم أُعِر الرشوةَ أيَّ التفات، ولم أكن عبوسًا في وجه مَن أتى متظلمًا، ولم أصده بل احتملته في ساعة غضبه، وخلصت الرجل الخائف من الشرس.

الاعتراف بأن الله بصير بالعباد: اسمعوا أنتم يا مَن في الوجود، إن الله يعلم ما في الأنفس وكل ما فيها من أعضاء منشورة أمامه. تأملوا أنتم إن عيونه تبصر طبائع الناس في أكبادهم، وكل قلب ينضمُّ إليه من تلقاء نفسه.

استعانته بزملائه الموظفين: «ليت قلوبكم تفلح أنتم يا مَن في الوجود، ويا أيها الأفراد الذين هم على قيد الحياة، ويا كل كاتب ماهر في كتابته، ويا مَن سيقرأ في النصوص ويترجم بقلبه، ومَن يكون ذَرِب اللسان، صافي البصيرة، نافذًا في أعماق الكلمات، ومَن يكون قد هذَّبه معلم بما يجب أن يعمل، فيكون ذا أناة وصبر، شجاعًا في السؤال، وإنه لَرجل حكيم أيًّا كان مَن سيسمع ما تحدَّثَ به الأجداد الذين غبروا.»

الوزير «رخ مي رع» يطلب تدخُّل زملائه في تقديم القربان له: «إن آلهة مدنكم سيثنون عليكم» وكذلك ملك عصره في زمانكم، وإنكم ستسلمون وظائفكم لأبنائكم بعد حياة مديدة بدون أسف، وستصلون إلى مقابركم في الجبانة، ومَن سيعيش على الأرض سيشترك في جنازتكم، وستجرُّ بقرات «حسات» (توابيتكم)، وسترْوى طرقكم بلبانها، وستنضمون إلى حجرات دفنكم التي في الأبدية بمدينة الحق، وهي الأرض الصامتة، ولن يسقط اسمكم من فم لفم، وصوركم ستسعد هنالك بقدر ما تقولون قربانًا يقدِّمه الملك و«آمون رع» و«آتوم» و«شو» و«تفنت» و«جب» و«نوت» و«أوزير» و«حور» و«مخنتي أم إرتي» و«ست» و«إزيس» و«نفتيس» و«تحوت» وكيل «رع»، وبقدر ما تطلبون قربانًا لا تُحصَى، وكل أشياء طيبة لا عدَّ لها لتصعد إلى السماء، وتنفذ في العالم السفلي وسط النجوم السيارة، وليتهم (أي: هؤلاء الآلهة) يقدِّمون قربانًا من الطعام، يُوضَع على أوراق صاحب القلب المتعب «أوزير»، لأجل روح الأمير وحاكم المدينة «رخ مي رع» المرحوم.

تنصيب «رخ مي رع» وزيرًا للصعيد

الملك يستقبل «رخ مي رع»: يُشاهَد على النصف الجنوبي من الجدار الغربي من القاعة صورة الفرعون «تحتمس الثالث» وهو جالس على عرشه، وقد نقش معه الخطاب الطويل الذي وجَّهه لوزيره «رخ مي رع» عندما نصبه وزيرًا، وقد استعرض في هذا الخطاب السلطة التي خلعها عليه، وكذلك توكيله لاستقبال سفراء الدول الذين يحملون الهدايا إليه، ومن المحتمل أن هذا الحادث قد وقع عند الحفل بعيد «سد» في السنة الثالثة والثلاثين من حكم هذا الفرعون. وقد قلنا في الجزء الثالث من هذا الكتاب إن هذا الخطاب الذي كان يوجِّهه الفرعون إلى وزيره يرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة، وقد أدلينا بالبراهين التي استندنا إليها في هذا الزعم (راجع ج٣).

وفي المنظر الذي أمامنا في هذه المقبرة نشاهد مكانَ صورة «رخ مي رع» التي مُحِيت بيد أعدائه فيما بعدُ، وكان واقفًا أمام الفرعون، والظاهر أن وقفته في هذا المنظر كانت تشبه وقفه عمه «عامثو». وعلى أية حال فقد بقي لنا متن يلخِّص لنا الموقفَ والمنظر معًا (راجع: Pl. XIV)، وهو: التعاليم الرشيدة التي فرضت على الوزير «رخ مي

رع» واجتماع المجلس في حضرة الفرعون له الثناء، وطلب الوزير المنصب حديثًا ليمثل أمام الفرعون.

مهام الوزير التي وضعها الملك: «قال له جلالته: انظر إلى قاعة الوزير، وكُنْ يَقِظًا للقيام بكل الإجراءات فيها. تأَمَّلْ، إن ذلك يعني توطيد حالة البلاد قاطبةً. تأَمَّلْ، إن منصب الوزير ليس حلوًا قط بل إنه مر المذاق كالصبر. تأمَّل، إنه البرنز الذي يحيط بنضار بيت سيده. تأمَّلْ، إن القصد منه ألَّا يجعل لنفسه ولا لموظفي إدارته اعتبارًا ما، وألا يتخذ من الشعب عبيدًا. تأَمَّلْ! إن كل ما يعمله الإنسان في بيت سيده هو أن يتحدَّث بما يرضى …»

حب الشعب له: «تأَمَّلْ، إذا حضرك شاك من الوجه القبلي أو الوجه البحري، أي: من البلاد قاطبةً، مستعدًّا للمحاكمة … لأجل سماع قضيته، فواجبك أن ترى كلَّ إجراء لازم لذلك قد اتخذ على حسب القانون، وأن يكون كل تصرُّف يتفق مع العرف الجاري … تأَمَّلْ! عندما يكلف حاكم بسماع قضايا، عليك أن تجعلها علنيةً، وبذلك تجعل الماء والهواء ينقلان كلَّ ما عساه أن يفعل. تأَمَّلْ، فإنه بذلك لن يبقى سلوكه خافيًا، وعلى ذلك إذا أتى أي أمر (غير مُرْضٍ) يُلام عليه، فيجب ألا ينصب ثانيةً بأمر من رئيسه، بل يجب أن يعلم الناس فعلته التي فعلها بواسطة القاضي الذي حاكمه، وعلى القاضي أن يشترك مع رئيسه في النطق بالحكم بالصيغة التالية: إنها ليست قضيةً لأصدر حكمي فيها، وإني أرسل الخصم ليتحاكم أمام الوزير أو أمام أيِّ موظف كبير، وبذلك لن يخفى على الناس ما فعله.»

تمسُّكه بالقانون: «تأَمَّلْ! إن التمسُّك بالمبادئ الأولى القانونية، فيه أمان للحاكم في تنفيذ التعليمات الجارية، وعلى ذلك فإن المدَّعِي الذي يحاكم يستطيع أن يقول: «ليس هناك عقبة لنيلي حقي.» تأَمَّلْ! تأَمَّلْ! إنها تعاليم ثابتة مثل قوانين «منف» ومثل النطق الملكي، ومثل صرامة الوزير، ومثل إصدار المرسومات؟ …»

تحذير مُقتبَس من التاريخ: «تجنَّبْ ما نُسِب للوزير «خيتي»، فإنه قد ظلم في حكمه رجلًا من عترته لمصلحة آخَرين، وذلك خوفَ الاعتراض عليه ورَمْيه بالتحيُّز، وهو بفعلته هذه قد حابى الظالم؛ ولذلك لما قدَّمَ أحد الناس احتجاجًا على دعوى قد دبَّرها على أحد أقارب الوزير، سارت الدعوى في

مجراها، ونجح في كسبها بسبب إجحاف الوزير، وهذا كان مبالغةً منه (أي: الوزير) في تنفيذ العدالة … فالمحاباة بغيضة عند الله، وهذا تعليم يجب أن تسير على سننه.»

إرشادات في المعاملات: «يجب أن تراعي مَن تعرفه كما تراعي مَن لا تعرفه، وكذلك الفرد الذي يلتجئ إليك كالفرد البعيد عنك … فإذا سار حاكم على حسب هذه الطريقة فإنه سيصيب النجاح في هذه الإدارة، ولا تتخطَّ مدَّعيًا قبل أن تسمع شكايته، وإذا كان هناك خصم يريد أن يشكو إليك فلا … فالذي يقوله بكلمة، وإذا رفضت شكايته فعليك أن تجعله يسمع السبب الذي من أجله رفضتَ شكايته. تأَمَّلْ! فإنه يقال إن المدَّعي يفضِّل سماعَ أقواله عن أن يفصل في القضية التي حضر من أجلها.»

سلوك الوزير الشخصي: «لا تغضبن على رجال ظلمًا، بل اغضب على مَن يستحق الغضب عليه، ابعث الرهبة في نفسك حتى يخشاك الناس؛ لأن ذلكم الموظف الذي تخشاه الناس هو الموظف الحقيقي. تأَمَّلْ! إن شهرة الموظف تنحصر في أن يفعل ما هو حق. تأَمَّلْ! إن الرجل إذا بعث الخوف منه مرات عدة أكثر ممَّا يجب فقد يدعو ذلك إلى اتهام الناس له بعدم الاستقامة، ولن يقولوا عنه: «إنه رجل!» تأَمَّلْ! إنه لكذب أن تقول: إن الموظف الذي يحرِّف الكَلِم عن مواضعه سيفلح على حسب ما أصاب من شهرة. تأَمَّلْ! إنك ستصل إلى حيث يكون القيام بوظيفتك، وعملك ما هو حق سيان عندك. تأَمَّلْ! إن المثل الأعلى هو أن تكون المعاملة الحقة هي الدعامة في نجاح الوزير. تأَمَّلْ! إن عمله ينحصر في القيام بأداء الإشراف الدقيق؛ لأنه كاتب «ماعت» (إلهة العدل) وهكذا يقال عنه.»

الوزير يعمل على حسب نظام: «والآن إن القاعة التي تسمع فيها القضايا تحتوي حجرة فسيحة الأرجاء، وفيها وثائق عن كل الأحكام القضائية، والرجل الذي سيقضي بالحق على رءوس الأشهاد كلهم هو الوزير. تأَمَّلْ! إن الرجل حينما يكون قائمًا بمهام وظيفته يجب عليه أن يعمل على حسب التعليمات التي أعطيها، والرجل الذي يعمل طبقًا لما أمر به لا حرج عليه، فلا تتبعن هواك في أمور قد عرفت مبادئها القويمة. تأَمَّلْ! إنه لمن سوء طالع الرجل المتهوِّر أن يفضِّل الرجل الرزين على الرجل المتهوِّر، فعليك إذن أن

> تعمل على حسب القوانين التي أعطيتها. تأمَّلْ! إن من واجبك بوصفك شريكًا في العمل أن توجِّه اهتمامك للأرض الزراعية، وذلك بوضع نظام محكم، فإذا اعترضتك صعاب عندما تقوم بتحقيق، فعليك أن تكلِّف المشرفين على الأراضي والمشرفين على «شنتو» وموظفي الأقاليم بدرس المسألة، وإذا كان الشخص الذي سيفحص المسألة موظفًا كبيرًا، فعليك أن تسأله ما الذي فعلته في الموضوع الذي أُسنِد إليك؟»

وبعد ذلك الخطاب الرائع نشاهد الوزير خارجًا في موكب رسمي بعد هذه الجلسة من بين يدي الفرعون حاملًا عصًا طويلة، ويتقدَّمه حرس الشرف الذي كان يشمل ستة رجال، وقد كُتِب على هذا المنظر ما يأتي: «مغادرة عمدة المدينة والوزير «رخ مي رع» البلاط — له الثناء — حيث قد نال تقدير سيد القصر، كما وكل إليه أمر سياسة مصر وإدارة شئونها، وذلك على غرار ما عمل والده عمدة المدينة والوزير «عامثو».» يضاف إلى ذلك أن المتن الذي نُقِش فوق صورة ستة العظماء يفسِّر لنا أنهم كانوا يُفسِحون الطريق لرئيسهم الوزير عند مغادرته قاعة العرش، كما نفهم منه أيضًا أن ذلك هو نهاية منظر تنصيب الوزير، فاستمع إلى ما جاء فيه (Pl. XVI. 1–16) سمار الفرعون — له الحياة والسعادة والصحة — يخرجون أمام الوزير، والمديح يندفق منهم، ويغنون ابتهاجًا بالكلمات التالية: «يا أيها الحاكم صاحب الآثار الجميلة، يا «منخبر رع» يا مَن يثبت كل وظيفة ويمد المعابد بالقوانين والمبادئ الرشيدة من كل نوع وهو آمن على عرشه، يا مَن ينصب الأشراف في أماكن آبائهم، ليته يكرِّر الاحتفال بعيد «سد»، وليته يكون قائد القوم عائشًا مخلدًا.» وقد كان كل واحد من هؤلاء السمار يحمل غصنًا أخضر يانعًا إشارةً إلى الفرح والسرور.

رخ مي رع يستقبل جزية البلاد الأجنبية: وتدل النقوش على أن الوزير قد عقد جلسةً لاستقبال ممثِّلي البلاد الأجنبية، ويُحتمل أنها كانت رمزًا لتقلُّده كرسي رياسة الوزارة؛ إذ نشاهد «رخ مي رع» تتقدَّمه طائفة من الكَتَبة والخدم، ويفسِّر لنا جزء من المتن التابع لهذا المنظر أن الوزير كان يتسلَّم جزيةَ البلاد الجنوبية (راجع: Pl. XVI, 1–8) الخاضعة لمصر، هذا بالإضافة إلى جزية بلاد «بنت»، وبلاد «رتنو» (آسيا)، وكذلك هدايا بلاد الكفتيو (كريت)، هذا غير أسرى البلاد المختلفة الذين استولى عليهم الوزير لفخامة جلالة ملك مصر «منخبر رع» العائش مخلدًا.

ونعلم من قائمة الإنعامات والوظائف أن الفرعون قد نصبه على رأس أتباعه وصيًّا على الأرض قاطبةً؛ لأنه أدَّى للمليك خدمات جليلة، على أن هؤلاء الوفود الأجانب قد لمسوا المنزلة السامية التي يتمتع بها «رخ مي رع» عند سيده.

ولا نزاع في أن هذا المنظر الذي يقدِّم فيه أولئك الأقوام الأجانب خضوعهم لمصر واعترافهم بسيادتها يُعَدُّ من المناظر الهامة جدًّا، وعلى الرغم من أن هذا المنظر قد جمع بين أقوام الشمال والجنوب (أي: آسيا وبلاد السودان) في صورة واحدة، فإن ما حواه من أشكال ومعلومات جعلته يحتل مكانةً هامةً جدًّا، وبخاصة إذا علمنا أن أمثال هذه المشاهد كانت غريبةً نسبيًّا عن أعين المصريين في إبَّان الفتوح الأولى، وبخاصة قبل أن يختلط المصريون بهؤلاء الأقوام اختلاطًا تامًّا، كما حدث في الأزمان التي تلت العهد الذي نحن بصدده الآن.

العلاقات الخارجية: ونرى أمامنا في هذا المنظر من هؤلاء الأقوام اثنين يمثِّلان أهالي بلاد «بنت»، ثم يأتي بعدهما طراز من الناس يمثِّل ثقافة شمالي البحر الأبيض المتوسط، أي: بلاد كريت، وهذان الإقليمان بعيدان عن متناول الجيوش المصرية، ومع ذلك فإنهما كانا مدينين لمصر بما كان بينهما وبينها من تجارة رابحة رائجة، هذا فضلًا عن أشياء أخرى كثيرة غير ذلك، ومن ثَمَّ نعلم أن سكان هذين البلدين كانوا يعدون طبقة تختلف عن البلاد التي فتحتها مصر بحد السيف، وهما بلاد السودان والأقطار الآسيوية، وكان يجلب منهما الأسرى، ومن ذلك نعلم أن بلاد «بنت» وبلاد «كريت» كان يربطهما بمصر رابطة التجارة على وجه خاص، أما بلاد السودان والأقطار الآسيوية فكانت بلادًا تابعة لمصر، وخضعت لها بحد السيف، وكان لزامًا على أهلها أن يقدِّموا الجزيةَ طوعًا أو كرهًا.

بلاد بنت: لقد ذكرتُ في الجزء الثاني من هذا المؤلَّف كلَّ ما نعرفه عن بلاد «بنت»، وهو شيء ضئيل؛ إذ الواقع أن ما وصل إلينا عن ثقافتها يكاد يكون في حكم العدم، وذلك على الرغم من أن مصر كانت متصلةً بها منذ عهد الأسرة الخامسة، ولا بد أنها بلاد قد حمتها الطبيعة؛ إذ لا نجد ما يدل على ميل الأهالي للحروب، يضاف إلى ذلك أن البلدين كانا يشعران بقرابة بعيدة تصل بينهما، ممَّا جعل بلاد «بنت» مهيَّأة للتأثُّر بالنفوذ المصري، ولولا ما كان بين البلدين من بُعْد الشقة ووعورة المسالك لَأصبحت الروابط بينهما عظيمة جدًّا. وليس لدينا معلومات صريحة تحدِّثنا عن أن أهل «بنت» كانت لهم طرق تجارية بحرية، وإن كان ذلك من المحتمل؛ إذ نعلم من نقوش قبر رقم ١٤٣

في طيبة الغربية، أن بلاد «بنت» كانت لها سفن تجارة غريبة الشكل، ومن المحتمل أن هذه السفن الخشنة الصنع كانت ميزتها تنحصر في أنها تستطيع السير في الشواطئ المرجانية (Davies. M. M. A. XXX. (1935) Nov. II. p. 40–49).

هدايا بلاد بنت: ومن المعلوم أن أهم محصولات بلاد «بنت» الخاصة التي أغرت المصريين بالرحلات الخطرة إلى هذه الجهات؛ الصمغ الذكي الرائحة (عنتو)، وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم بلسم، دون أن نتعرف لاسم النبات الذي كان يُستخرَج منه، وقد كان أمل الملكة «حتشبسوت» أن تنقل هذا النبات الذي كان يُستخرَج منه هذا الصمغ إلى طيبة، وقد نقل فعلًا منه عدة شجرات.

والظاهر أن مشروع توطينه في مصر لم يفلح تمامًا، غير أنه مع ذلك لم يهمل كليةً؛ إذ نجد نباتًا من هذه الفصيلة في قبر «رخ مي رع» (راجع: Paintrgs Pl. I.)، وقد كان يُجلَب هذا الصمغ إلى مصر في سلات، ويُكدَّس في أكوام أمام الكَتَبة، أو كان يُقدَّم في هيئة هرم أو مسلة تعظيمًا لمصر؛ وذلك لأن حبيباته الحمراء القاتمة تشبه إلى درجة كبيرة الجرانيت الأحمر. وكذلك من محصولات هذه البلاد الذهب، فنشاهد سلتين من هذا المعدن في هيئة حلقات، وفي سلة أخرى خواتم مطبوعة، ويوجد كذلك سلة مملوءة بمادة حمراء كُتِب عليه «حجر أسود» اسمه «كم كا»، وأخرى تحتوي على مادة بيضاء من المرجان (؟)، هذا إلى ثلاث سلات تحتوي وسطاها على مادة حمراء تُدعَى (خنت)، أما الأخريان فيضمان على ما يظهر بخورًا.

أما المنتجات الأخرى فهي: الأبنوس، والعاج، وجلد الفهد، وزجاجة من الجلد، وريش نعام، وبيض نعام، وذيول زراف، وقلائد، وسيف من الخشب وهو السلاح القومي، هذا إلى حيوانات حية منها القردة والنسانيس والوعل وفهد (شيته) (راجع: Pl. XVII.)، أما الرجال الذي مثلوا في هذه الصورة من أهل «بنت»، فينقسمون قسمين، الأقلية منهم لهم لحًى طويلة حقيقية وشعور مرسلة بطولها الطبيعي، وقد لُفَّتْ بأشرطة بيضاء، وهذا الجنس هو نفس الجنس الذي نشاهده في رسوم حملة بلاد «بنت» التي رُسِمت على جدران معبد الدير البحري، أما القسم الثاني فيمثِّل الجنس الزنجي تقريبًا، وهو ذو شعر قصير مجعَّد، ويُحتمَل أن القسمين كانَا من الجنس الحامي الذي اختلط بالساميين، كما نشاهد الآن في بلاد الحبشة. وكلا الجنسين يلبس القميص القصير الذي يستر الوسط، وهو لباس يرتديه أقوام كثيرون، وذلك يرجع إلى بساطته على وجه عام، والمتن الذي نُقِش فوق هذا المنظر جميعه هو:

> وصول رؤساء «بنت» في سلام مطأطئين رءوسهم إلى مكان جلالته ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع»، ليته — يعيش مخلدًا — محضرين جزيتهم، وهي هدايا منوَّعة حسنة من بلادهم، وهي بلاد لم تطأها قدم أحد آخَر — وذلك بسبب عظيم قوته في كل بلادهم؛ لأن كل أرض خاضعة لجلالته. وقد كان «رخ مي رع» الأمير الوراثي هو الذي تسلَّمَ الجزية المختلفة الأنواع التي أُحضِرت لجلالته من كلِّ الأقطار بسبب انتصاراته، وكل قطر كان خاضعًا لجلالته.

وأمثال هذا المتن يجعل القارئ يفهم أن بلادًا «كبنت» لم يفتحها الفرعون بحد السيف، ضمن المستعمرات التي أخضعها الفرعون مثل بلاد «سوريا» وأقاليم السودان، والواقع أنها ليست من هذا النوع.

الكفتيو: أما النقوش التي دُوِّنت فوق قوم «الكفتيو» فهي:

> وصول رؤساء «الكفتيو» في سلام، وكذلك رؤساء الجزر التي في البحر الأخضر العظيم مطأطئين رءوسهم لعظمة جلالة ملك الوجهين القبلي والبحري منخبر رع — معطي الحياة مخلدًا — وهو الذي بانتصاراته في كل الأراضي … حاملين جزيتهم على ظهورهم، أملًا منهم في أن يمنحوا نفس الحياة لولائهم لجلالته، وليسمح لهم بالاحتماء بقوته. وقد كان الوزير «رخ مي رع» ثقة الفرعون وحاكم المدينة، وهو الذي تسلَّمَ جزيةَ كل الأراضي التي أحضرت لما لجلالته من قوة.

هدايا الكفتيو: أما أنواع المحاصيل التي أهدتها هذه الأصقاع فتُشاهَد مكدَّسة أمام كَتَبة، وتشمل ما يأتي: (١) ركائز من فضة. (٢) سلة مملوءة باللازود. (٣) حلقات فضة. (٤) ركائز فضة. (٥) إناء من الذهب له مقبض متحرك. (٦) إناء من اللازورد مثبت فيه أشرطة ومقابض مذهبة. (٧) إناء من الذهب له مقبضان في صورة فهدين. (٨) طبق من الذهب. (٩) قدح مزخرف من الذهب. (١٠) إناء «حس» أزرق اللون. (١١) إناء من الفضة ذو مقبضين. (١٢) رأس لبؤة من الذهب. (١٣) طبق من الذهب. (١٤) آنية دقيقة الصنع من الفضة مرصعة بالذهب. (١٥) كأس للشرب من الذهب له فوهة على هيئة رأس وعل. (١٦) أربع ركائز من الفضة. (١٧) رأس كلب من الذهب الأصفر الباهت (؟). (١٨) رأس طائر له عرف من الذهب. (١٩) رأس أسد

من الذهب. (٢٠) إناء من الذهب له مقبضان. (٢١) رأس ثور من الذهب. (٢٢) ثلاث ركائز من النحاس. (٢٣) آنية من الفضة ذات قنوات لها رأس وعل من الذهب بمثابة غطاء، ومقبضان من الذهب مثبتان بأشرطة من الذهب. (٢٤) إناء كبير من الفضة له مقبضان. أما الهدايا التي نشاهدها محمولة على أيدي رجالٍ ففيها (Plates XVIII XX & "Paintings," III–V): (٢٥) طاس مزخرف لونه أصفر. (٢٦) خنجر في قراب لونه أزرق. (٢٧) طاس مزخرف من الفضة له شريط ورأس وعل وزهرات من الذهب. (٢٨) كأس مدبَّبة من الذهب وجزؤها الأسفل مزركش. (٢٩) كتل من الأحجار الثمينة (؟). (٣٠) خنجر في قراب أزرق. (٣١) إناء ذو فوهة لونه أبيض. (٣٢) طاس من الذهب مزخرف. (٣٣) خنجر في قراب أحمر اللون. (٣٤) ركيزة من النحاس. (٣٥) كأس مزركش أسفله مدبَّب من الذهب. (٣٦) إناء ذو مقبضين من الفضة. (٣٧) سيف لونه أصفر. (٣٨) طاس مزركش من الذهب بزهور زرقاء ونقط. (٣٩) إناء من الذهب (؟). (٤٠) ركيزة من النحاس. (٤١) إناء من الفضة ذو فوهة. (٤٢) إناء من الذهب ذو مقبضين. (٤٣) قلادة من الخرز الأزرق. (٤٤) إناء من الفضة ذو مقبضين. (٤٥) زجاجة مصنوعة من الجلد لونها أحمر قاتم. (٤٦) طاس من الذهب مزخرف. (٤٧) قلادة خرز. (٤٨) طاس ذهب مزخرف. (٤٩) كأس من الذهب مزركش. (٥٠) ركيزة نحاس. (٥١) إناء من ذهب. (٥٢) طاس من الذهب مزخرف. (٥٣) سمط من الخرز الموشى بالذهب وملوَّن بالأحمر والأزرق على التوالي. (٥٤) إناء من الذهب ذو مقبضين. (٥٥) زجاجة مصنوعة من الجلد الأحمر القاتم. (٥٦) سن فيل. (٥٧) إناء من الذهب ذو فوهة.

تحقيق موقع بلاد «كفتيو»: كانت العبارة «بلاد كفتيو والجزر التي في داخل البحر الأخضر العظيم» موضعَ حدس وتخمين كثير، للوصول إلى معرفة ما إذا كانت بلاد «كفتيو» والجزر التي في داخل البحر الأخضر العظيم (أي: البحر الأبيض المتوسط) تدل على جهتين منفصلتين، أو أن الثانية هي عين الأولى، وأن كلمة كفتيو قد ذُكِرت في الأول لأهميتها، أو أنها اسم أُطلِق على كلِّ جزر البحر الأبيض جميعًا. والواقع أن العبارة لا تدل على هذا ولا ذاك صراحةً، وذلك أن المنظر الذي رُسِم أمامنا يدل كلُّ صفٍّ فيه على نوعٍ من الناس له جنسيته المميزة له وثقافته الخاصة به، فنرى على الرغم ممَّا يوجد من اختلافات طفيفة مثلًا أن كلًّا من كلمة «كفتيو» و«إينتو-ستي» و«رتنو»، تدل على صنف خاص من الأقوام التي نبحث فيهم الآن، وقد أتوا حاملين

الجزية والهدايا للفرعون؛ على أنه مع ذلك قد يتفق أحيانًا أن يضاف لاسم هذا الصنف من الناس اسمُ بعض السكان المجاورين بمثابة شرح وتفصيل؛ ففي الحالة التي نحن بصددها الآن قد أُضِيفت عبارة سكان «جزر الأخضر العظيم» للدلالة على أنهم من جنس أهل «الكفتيو»؛ لأنهم من سلالة واحدة ولهم ثقافة مشتركة، ومثل ذلك كمثل سكان «خنتي حن نفر»، فإنهم لا يختلفون اختلافًا ظاهرًا على ما نعلم عن السكان الذين يُدعَون «إينتو ستي»، وهم الذين يقطنون على الشاطئ الأيمن للنيل جنوبي الشلال الأول (راجع: Gauthier, Dic. Geog. IV. p. 182)، وكمثل سكان «رتنو» (سوريا)، فإن لهم فروعًا وصلات ثقافية تمتد شمالًا من بلاد «رتنو» الأصلية.

والواقع أن كلًّا من هؤلاء الأقوام الثلاثة له ثقافته الخاصة به، وعلى ذلك فإن الكاتب المصري عندما ذكر «الكفتيو» والجزر التي في داخل البحر الأخضر العظيم، كان يريد بلدًا واحدًا، كما يقال الآن مصر وملحقاتها؛ على أنه يوجد الآن رأي يميل إلى ربط الثقافة المنوية (أي: ثقافة كريت) «بقبرص» والجزر الهيلانية وبلاد الإغريق نفسها الواقعة على جانبي بحر «إيجة»، ويرتكز هذا الرأي على براهين قوية، وعلى ذلك يمكن القول هنا إن «كفتيو» لم تُعرَف هنا بوصفها جزيرة «كريت»، بل أعطيت الأولوية لتدل على ثقافة جزائرية عامة، وقد حاول الأثري «وينريت» (J. E. A. Vol. XVII. p. 26 f) أن يثبت عبثًا أن كلمة «كفتيو» تدل على البلاد الواقعة غربي جبال «آمانوس» في آسيا الصغرى، وأنها كانت تُدعَى عند المصريين الجزرَ التي في داخل البحر الأخضر العظيم. ويمتاز جنس «الكفتيو» في رسوم مقبرة «رخ مي رع» بمميزات خاصة (Plates XVIII–XX. & “Paintings” III–V)، أهمها أن لون بشرتهم يميل إلى السواد، وشعورهم طويلة ذات تجاعيد مقوسة على قمة الرأس، وكذلك يُلاحَظ أن كلًّا منهم يحتذي نعلًا له لفافة للساق مزركشة gaiters، ويرتدي قميصًا مزركشًا منسقًا قصيرًا.

ونجد في حالتين أن الرجل منهم كان يرتدي لباسًا مصنوعًا من جلد حيوان من فصيلة القط شعره غزير، أو كان يرتدي جلدين مربوطين إلى بعضهما وقرابًا لعضو التذكير ملونًا في كل الحالات، وقد دلَّ الفحص على أن هذا هو الزي المنواني (راجع: Davies, Rekh-mi-Re. p. 23–25).

النوبيون: أما المتن الخاص بوفود بلاد النوبة فهو كما يأتي: «وصول رؤساء البلاد الجنوبية في سلام، وهم أهل «إتنتو ستي» و«خنتي حن نفر»، مطأطئين رءوسهم ومقبِّلين الأرض وحاملين جزيتهم … لملك الوجهين القبلي والبحري «منخبر رع»

— ليته يمنح الحياة مخلدًا — آملين أن يمنحوا نفس الحياة، وقد كان «رخ مي رع» الحاكم الوراثي وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الوحيد، وعمدة المدينة والوزير، وهو الذي تسلَّمَ جزية البلاد المختلفة التي أُحضِرت لفخامة جلالته لما له من قوة وسلطان ونفوذ في كل الأراضي.»

والواقع أن ما نشاهده من ثقافة في بلاد النوبة يتضاءل عندما نقرنه بالثقافة «المنوية» التي لعبت دورها في الحضارة الغربية، هذا فضلًا عن أن ما نشاهده في رسوم مقبرة «رخ مي رع» لا يحدِّثنا عن ثقافة خاصة ببلاد النوبة في العهد الفرعوني؛ وذلك لأن مصر كانت قد غذت النوبة بثقافتها، غير أن نفوذها كان قد تضاءل جدًّا من هذه الناحية في عهد الهكسوس؛ ولذلك كانت حضارة البلاد الأصلية قد راجت في تلك الفترة، على أن ما نشاهده في مقبرة «حوي» من رسوم يدل على الثقافة المصرية في هذه البلاد وانتعاشها من جديد بسرعة مدهشة (راجع: Stemdorff, "Aniba", I. p. 10 ff. & 23)، ولا بد من عمل حفائر لمعرفة ثقافة القوم الأصلية؛ لأن ما نشاهده هنا ينحصر في أن أهل النوبة كانوا يمدون مصر بما لا تنتجه وحسب.

أهالي النوبة: (راجع: Plates II, XVIII–XX. & "Paintings", VI, VII) الواقع أن الباحثين من رجال الآثار لا يعرفون إلا النزر اليسير عن الحدود الفاصلة بين القبائل التي كانت تتألف منها بلاد النوبة قديمًا، كما كانوا لا يعرفون الكثيرَ عن مدى امتدادها جنوبًا، وإذا فحصنا الصورة التي مثل فيها أهل الجنوب، نجد أن الشخصين الأولين يختلفان عن الباقين من حيث الشعر والملبس، غير أن الهدايا التي يحملونها تجعلنا نعتقد أنهما من الأغلبية السائدة في هذه الأصقاع، ويدل الشريطان المتدليان من شعرهما على أن هذا الشعر ربما كان مستعارًا، ويُفهَم من هيئتهما أنهما الرئيسان اللذان كانا على رءوس الوفود.

هدايا بلاد النوبة: (Plates, II, XVIII–XX. & "Paintings", VI–VIII) أما الهدايا التي تُشاهَد مكدَّسة أكوامًا في الصورة، فتشمل المحاصيل العادية التي تنتجها بلاد النوبة، وتتألف من ريش نعام وبيض نعام وقِطَع من الأبانوس، وقضبان وحلقات من الذهب، وثلاث سلات مملوءة من السام، وقرد أخضر اللون جالس على كرسيه الخاص، وست جرات من عطور «ستي»، وخمسة جلود فهود، وست أسنان فيلة، وسلة من حجر «حماجت» الأحمر، وأخرى من حجر «شسمت» الأخضر، ومعظم هذه المواد التي سردناها نشاهدها ثانيةً محمولةً على أيدي رجال الوفود، هذا بالإضافة إلى ذيول

زرافات وجلود، واحد منها لحيوان ملوَّن بالأحمر والأبيض ومخالبه مقطوعة؛ وآخَر يشبه الثعلب وهو الذي يُستعمَل رأسه عادةً في أطراف الحلة الملكية، وفي أطراف القضيب السحري (راجع Pl. XXXVII. row 2)، أما الحيوانات التي جاء بها هذا الوفد حيةً، فتشمل فهدًا ونسناسًا وزرافة، وكذلك طائفة من كلاب الصيد أبدع المفتن في إخراجها، هذا إلى أبقار من نتاج البلاد نفسها رُسِمت برءوس نحيلة وقرون كذلك ركبت في هيئة غريبة خارجة عن حد المألوف.

أهل الرتنو: والمتن الذي نُقِش على وفود «رتنو» هو ما يأتي (Fig. 5):

> وصول رؤساء «رتنو» في سلام ومعهم كل بلاد آسيا الشمالية، مطأطئين رءوسهم وجزيتهم على ظهورهم، أملًا منهم في أن يُمنَحوا نفس الحياة بسبب ولائهم لجلالته؛ لأنهم رأوا انتصاراته العظيمة جدًّا. حقًّا إن بطشه قد قهر قلوبهم، والآن يتسلَّم منهم جزيةَ البلاد كلها السيد محبوب الآلهة وموضوع ثقته العظيمة في كل الأرضين، وعمدة المدينة الوزير «رخ مي رع».

وصف أهل رتنو: (راجع: Plates II, XXI–XXIII, "Paintings", X–XII) يُلاحَظ أن رؤساء بلاد «رتنو» قد مُيِّزوا بأشرطة وُضِعت أفقية على صدورهم، كما هو موضح في صورة الشخصين الأول والثالث، ويُشاهَد أن كل أفراد البعثة من جنس واحد بيض الوجوه، ويلبسون كلهم زيًّا واحدًا، غير أنهم قد رجلوا شعورهم بطرق مختلفة، ومما يسترعي النظر في هذا المنظر أن معظمهم محلقون رءوسهم، أو أنها مقصوصة قصًّا قصيرًا جدًّا، على أنه يوجد بينهم ثلاثة قد أرخوا شعورهم على أكتافهم وربطوها بأشرطة.

الهدايا التي أحضروها: (راجع: Plates II, XXI–XXIII, "Paintings" IX–XII) ومما يلفت النظر هنا أن الهدايا التي أحضرها وفود «رتنو» لا تدل على مدنية عظيمة جدًّا وثراء ضخم؛ إذ لا نجد إلا ثلاثة من رؤساء هذه البلاد قد أحضروا معهم أواني من المعدن الثمين، كما لا يوجد إلا ثلاث أوانٍ ذات أحجام عظيمة في الكومة المعروضة في الصورة، غير أننا نشاهد مع ذلك إبريقين في الصف الثاني يظهر أنهما من الزجاج، يشعر صنعهما بأنهما قطعتان فنيتان ("Paintings" IX). وبالاختصار دلَّتِ البحوث الحديثة على أن الأطباق المصنوعة من الذهب والفضة، وهي التي كنَّا نظن أنها من إنتاج بلاد «رتنو»، كان يحملها أفراد من أهالي «كريت»، ومن ذلك نستطيع أن نستخلص

بحق أن كل المنتجات الراقية، والقِطَع الفنية النادرة التي كانت تَرِد إلى مصر من الشمال في هذه الآونة، لم تكن تُصنع في سوريا، بل كانت تتداولها أيدي تجار سوريين، ومن المحتمل جدًّا أن سقوط «كريت» وانتعاش سوريا السريع بعد خلاصها من أيدي الهكسوس قد عكس الوضع، وجعلها هي صاحبة الإنتاج الفني العظيم بعد مضي عشرات السنين القليلة التي أعقبت هذا الخلاص، على أننا من جهة أخرى لا نعرف أصل صناعة الأطباق ذوات الحافة المزينة على وجه التحقيق؛ إذ من المحتمل أن الفكرة كانت في أصلها مصرية، ولكن ما تحتويه من أشكال خيالية عدة راقية تجعلنا نظن أن هذا الطراز من الأواني هو من إنتاج «كريت» مما كان يصدر إلى مصر، أما سائر الكومة فتحتوي على طبقين صغيرين من الفضة، وسلة من حلقات الذهب، وسلة من حلقات فضة، وألواح من خشب «مرو»، وحِزَم من يراع «قنن»، وسلات من أحسن خشب الأرز (صمغ) … وحجر «مسن» وفيروزج ولازورد، وطبقين من القصدير لهما مقابض، وقرص من اللون الأبيض (؟)، وأكياس «زنب»، وكتل من خشب «تي شبس» (؟)، وأربع ركائز من النحاس، وثلاثة أباريق … وثلاثة أباريق من زيت الزيتون، وستة أباريق من البخور، وأربعة أباريق من مرهم لبنان. هذه هي الهدايا التي كانت مكدَّسة أمام الوزير، أما التي كان يحملها الوفود على أيديهم فهي: ثلاث ركائز من النحاس، وأربع أواني نبيذ، وثلاث أوانٍ من الفخار، وحقان من العاج للعطور، وسنا فيلين، وعربة، وجوادان لجرِّها (Pl. II, & “Paintings” Pl. XI)، وأربع قسي، وكنانة، وخنجر، وحزمتان من عصي «عونت»، وأخيرًا نشاهد دبًّا وفيلًا، وقد أبرز الرسام صورة الفيل بإتقان لا بأس به.

الأسرى: وقد كان ضمن الجزية السنوية بعض الأسرى، والظاهر أنهم كانوا رهائن لضمان حُسْن سير القبائل في البلاد المقهورة، والنص التالي قد كُتِب فوقهم هكذا: «إحضار أولاد أمراء الأقاليم الجنوبية، وأولاد أمراء الأقاليم الشمالية، وهم الذين سيقوا غنيمةً لجلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» — ليته يُعطى الحياة — من كل الأراضي الأجنبية لأجل أن يملأ بهم المصانع، وليكونوا عبيدًا في ضياع معبد والدة آمون رب تيجان الأرضين؛ لأن كل الأقاليم قد منحت إياه (الملك) وأخذ بناصيتها جميعًا في يده، ورؤساؤها قد سجدوا تحت نعلَيْه. وكان الأمير الوراثي ثقة الفرعون في قصره وعمدة المدينة الوزير «رخ مي رع» هو الذي تسلَّمَ الغنيمة من الأراضي المختلفة، وهي التي جيء بها من انتصارات جلالته.»

ومن هذا المتن نعلم أن البلاد التي فُتِحت بحد السيف، وهي بلاد النوبة والأقطار السورية، يمكن معرفة مركزها بالنسبة للبلاد الأخرى في نظر الفرعون، فإنها كانت في الواقع مُجبَرة على توريد العبيد والإماء والأطفال جزيةً تُدفَع سنويًّا، أو كلما اقتضت الأمور، وتدل الأحوال على أن هؤلاء الأسرى كانوا يُنتخَبون من علية القوم في البلاد المقهورة، بمثابة رهائن أو عقاب لإرغام أنوف الأُسَر الحاكمة في تلك الأقطار النائية، وجعلهم يدينون بالطاعة للفرعون.

ويُلاحَظ أن الأطفال الصغار كانوا يُجلَبون مثل السلع الأخرى التي كانت تُقدَّم جزيةً من أيدي الرؤساء المقهورين، ومما يسترعي النظر بوجه خاص أن الأطفال كانوا لا يزالون في عناية نساء يَقُمْنَ على تربيتهم، وهذا ما نشاهده ممثَّلًا في مقابر أخرى من هذا النوع.

الأسرى النوبيون: والأسرى في رسوم مقبرة «رخ مي رع» ينقسمون مجموعتين، يقود كلًّا منهم جنود مسلَّحون بقضب وعصي رماية، فالمجموعة الأولى تحتوي نوبيين، والثانية تُؤلَّف من سوريين، ويتألَّف الأسرى النوبيون من طائفةٍ قوامها سبعة أفراد، تتبعهم سبع نسوة يلبسن حللًا كاملة ذوات حافات حمراء قانية تدلى من أطرافها أصداف، والظاهر أن هؤلاء النسوة قد رُتِّبن على حسب خصبهن؛ لأن الأولى كان معها أربعة أطفال، الاثنان الصغيران من بينهم قد حُمِلَا في سلة على الظهر، والثانية كان معها ثلاثة أطفال (؟)، والثالثة والرابعة كان مع كلتيهما اثنان، هذا إلى ثلاث نسوة أُخَر شعرهن أطول من شعور السابقات، والظاهر أنهن كنَّا عذارى، ثم يأتي بعد ذلك خمس نسوة يتميزن بما يلبسن من قلادات ضخمة وأردية لا تستر إلا عورتهن، والظاهر أن واحدة منهن كانت تحمل طفلًا، ويدل شعرهن الطويل على أنهن نوبيات لا زنجيات.

الأسرى السوريون: يبلغ عدد الأسرى السوريين أربعة عشر، وقد قُسِّموا طائفتين، ويُلحَظ أن كلَّ واحد منهم كان يقبض بيده على عباءة طويلة ذات أهداب وقد لُفَّ بها، وفي القسم الأول من هؤلاء نجد أنهم قد لبسوا العباءة على جلباب له كمَّان طويلان؛ أما أفراد القسم الثاني فكانوا يرتدون العباءة على قميص صغير. وكانت النسوة يرتدين جلابيب بيضاء لها هدابات ملونة، والظاهر أن هذه الجلابيب كانت مُجهَّزة من قبلُ، ويُلاحَظ أن الجزء الأعلى من جلباب السيدات كان يشبه (الحرملة) الحالية، وترى إحداهن حاملة طفلًا في سلة مربوطة بنسع على كتفها (وهذا يختلف

عن الطريقة النوبية) يلف حول جبهتها؛ ومما يسترعي النظر هنا أن الأمهات كانت لهن الأفضلية، ولكن يُشاهَد هنا أن لا مجال للغيرة أو التنافس؛ لأن كل امرأة كان معها طفلان، وبعضهن كان لهن شعر قصير، في حين أن البعض الآخَر كانت شعورهن طويلة مرسلة على ظهورهن.

أعمال الوزير

(أ) إدارة الوزير

(راجع: Plates. XXIV–XXV) لقد ترك لنا الوزير «رخ مي رع» صورةً رائعةً تمثِّل أمامنا مهامَّ الوزير الرسمية، فنشاهد الوزير وقد عقد جلسة محكمته التي كانت تُعَدُّ أكبرَ محكمة في القُطْر، وكذلك نشاهد القواعد الخاصة بواجباته مدوَّنة، وأخيرًا نشاهد صورةً لجمع الضرائب من الإقليمين العظيمين الذين كانَا يتألَّف منهما الوجه القبلي.

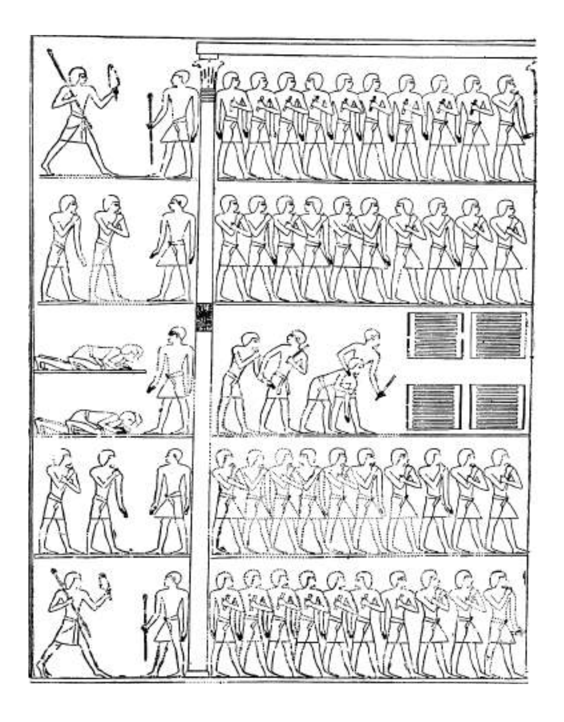
والواقع أن القاعة (صورة ٨) التي كان يجلس فيها الوزير للقيام بمهام وظيفته، كانت على هيئة سرادق يرتكز على ستة عمد في صورة شجر النخيل المزينة سيقانها بطغراء الفرعون، وكذلك نُقِش عليها عبارة «محبوب ماعت» (إلهة العدل) واسم الوزير «رخ مي رع»، ونفهم من المتن الخاص بعنوان هذا المنظر أن «رخ مي رع» قد عقد جلسةً ليستمع إلى القضايا في قاعة الوزير، وتتناسب الألقاب والنعوت التي خُلِعت على «رخ مي رع» هنا مع هذا المقام، وهي: «الذي يوزِّع العدالة دون محاباة، ومَن يعمل على طمأنينة المتخاصمين، ومَن يقضي بين الفقير والغني على السواء، ومَن لا يبكي شاكٍ بسببه» (راجع: Pl. XXIV, Col. 3–6).

القواعد الخاصة برسميات المحكمة: وقد كانت الرسميات المتبعة عند عقد الجلسة أن يجلس الوزير على كرسي له ظهر يستند عليه، وأن يفرش حصير على رقعة القاعة، وأن يعلق حول عنقه قلادة الوظيفة (ولا بد أنه يقصد هنا القلادة التي كان يُعلَّق فيها صورة آلهة عدل، ويلبسها الوزير حول رقبته عند الفصل في القضايا، فكان عند النطق بالحكم بهذه الصورة ويشير بها نحو مَن في جانبه الحق) (A. S. Vol. XL. p. 185 ff)، وكذلك كان يضع وراء ظهره جلدًا وآخَر تحت قدمَيْه (راجع: Pl. XXVI. Col. I)، وكانت قد وضعت القواعد لتحديد أمكنة الموظفين الذين كانوا يشتركون في محكمة الوزير، فكان يجلس معه رؤساء عشرة الجنوب في الممرين اللذين على اليسار

وعلى اليمين، أما المستشار الأول فكان يجلس على يمينه، ويجلس الحاجب الذي يقدم المتخاصمين على يساره، وبالقرب منه كان يجلس الكتَّاب الذين يحتاج إليهم (راجع: Pl. XXVI. Col. 2)، ولكن نشاهد عشرة رجال على كلٍّ من جانبي الطريق الأوسط، وعددًا آخَر يماثلهم من الكَتَبة، وبذلك بلغ مجموع كلِّ مَن كان في حضرة الوزير عند الفصل في قضايا الناس أربعين موظفًا.

عصي الحكام: وممَّا يلفت النظر أربعة الحصر المفروشة أمام الوزير مباشَرةً وعلى كلٍّ منها عشر عصي، وتمثِّل في مجموعها الأربعين «شسم» المبسوطة أمامه بهذا الاسم، وقد كان المفهوم حتى الآن أنها تمثِّل أربعين إضمامة من الجلد، نُقِش عليها مواد القانون الذي يقضي على هداه الوزير في قضايا الشعب، غير أن شكلها كما يقول الأثري «ديفز» لا يدل على ذلك؛ إذ كان المنتظر أن تكون أكثف سُمْكًا وأقصر ممَّا نشاهده، كما كان يجب أن تكون محزومة بخيط مثل إضمامات البردي العادية، هذا فضلًا عن أنه لم يُشِرْ إليها في النقوش قط. وقد يكون من الصواب أن تشير الأربعون عصًا إلى الأربعين موظفًا الذين كانوا في حضرة الوزير، أو أنها تمثِّل الأربعين مقاطعةً التقليدية التي تتألف منها البلاد وتدفع الجزية للفرعون، غير أن الاعتراض الوحيد على هذا الرأي الأخير أن «رخ مي رع» لم يكن يدير شئون البلاد كلها، بل كانت إدارته قاصرةً على الوجه القبلي، فإذا تجاوزنا عن هذا الاعتراض، فإن هذه العصي تكون عصي سلطة وُضِعت في أيدي موظفي الأقاليم بمثابة تفويض لتنفيذ القانون، وقد شُوهِدت مستعملةً للعقاب في يد الحجاب.

صغار موظفي المحكمة: وممَّا يُشاهَد في طرقات قاعة المحكمة وخارجها حجَّاب يتحدَّثون إلى أفراد يريدون استئناف قضاياهم، أو يتناقشون مع أفراد لم يدفعوا ما عليهم من ضرائب؛ ومما يستلفت النظر أن الفريق الأول كانوا يُعامَلون من الحجاب معاملةً حسنةً، أما الفريق الآخَر فكانوا يُساقون بعنف إلى حيث يمثلون أمام الوزير. أما في خارج القاعة فيُشاهَد منظر غير مألوف؛ إذ نجد رسولين قد وصلَا على جناح السرعة، يحمل أحدهما غصن زيتون وسهمًا، وقد استقبل كلًّا منهما رجلٌ آخَر يحمل سهمًا وحسب، فالرجلان الأولان هما شرطيان يقومان بعمل رجلَيْ بريد، أما الثالث فيُحتمَل أنه حاجب المحكمة. والظاهر أن غصون الأشجار كانت تُستعمَل رمزًا للسلام منذ القدم، أما المقمعة أو السهم الطويل فيمكن أن نعدَّه رمزًا للسرعة؛ غير أنه في يد الموظف يدل على القوة، اللهم إلا إذا كان يحمله فقط على أنه موصل الرسالة للوزير.



شكل ٨: منظر قاعة الوزير لتصريف شئون الدولة.

وقد خلف لنا الوزير «رخ مي رع» متنًا طويلًا عدَّدَ فيه مهامَّ الوزير؛ وقد نظمت سطوره على جدران قاعة الوزير بطريقة تُشعِر بأنه من وحي مكان العدالة؛ إذ قد وُضِعت الجمل الافتتاحية الخاصة بجلسة الوزير قريبةً جدًّا من الصورة. وقد عُثِر على نُسَخ ثلاث من هذا المتن الهام في قبور ثلاثة وزراء غير «رخ مي رع»، وهي (مقبرة أمنمحات رقم ٢٩، ومقبرة «باسر» رقم ١٠٦، ومقبرة آمون وسر رقم ١٣١)، وأحد هذه المتون قبل عهد «رخ مي رع»، والاثنان الآخَران بعده.

ولما كانت هذه التعليمات على جانب عظيم من الأهمية في القضاء والإدارة في تاريخ العالم، فإنَّا سنوردها هنا كاملةً ليرى رجل الحكم الحاضر أن السلف منذ آلاف السنين، قد وضعوا قواعد وأنظمة لم يخلقها كر القرون، ولم يستطع الفكر الحديث أن يأتي بأحسن منها (راجع: Pl. XXI–XXVIII, CXIX–CXII).

(ب) واجبات الوزير

النظام الموضوع لجلسة الوزير: «ينحصر الإجراء المحكم الذي كان يسير الوزير على نهجه عندما يعقد جلسة في قاعة الوزارة؛ في أن يلتزم الجلوس على كرسي ذي ظهر، وأن يُفرَش على رقعة القاعة حصير من القصب، وأن يكون لابسًا قلادة الوظيفة (أي: القلادة التي كان يعلِّقها القاضي حول عنقه وفيها تمثال العدالة «ماعت»)، ويكون بجانبه عصًا وأربعون قضيبًا من الجلد تُوضَع أمامه أيضًا، ثم يجلس أمامه رؤساء عشرة الوجه القبلي على جانبَيْه، ورئيس التشريفات على يمينه، والمراقب على الدخول (الحاجب) على يساره، ثم كَتَبة الوزير على مقربة منه.»

ترتيبات حفظ النظام: «وإذا حدث أن احتدم النقاش بين متقاضيين متكافئين، فالواجب أن تسمع أقوال كلٍّ منهما على الترتيب، كل في دوره، وإذا حدث أن أحدًا ممَّن في المقدمة قال: لن يسمع أحدٌ بالقرب مني قبلي، فعلى الحاجب أن يقبض عليه.»

المحافظة على المؤسسات: «يجب أن يُقدَّم للوزير تقريرٌ عن إغلاق المخازن في الوقت المحدد وعن فتحها في مواعيدها المقررة، وكذلك يجب أن تُوضَع له تقارير عن حالة المعاقل الجنوبية والشمالية، وعن خروج كلِّ مَن يغادر البيت الملكي (ديوان إدارة البلاد)، كما تُقدَّم له تقارير عن كلِّ دخل يَرِد للحكومة، وكذا يُوضَع له تقريرٌ عن جميع مَن وفد أو خرج من أرض الحكومة بأنهم دخلوا أو خرجوا، وأنهم سيدخلون وسيخرجون بمعرفة حاجبه، وعلى المشرفين على ضباط التحصيل ومأموري الضرائب والمشرفين على ملاك الأراضي أن يقدِّموا تقريرًا عن أعمالهم له.»

المنهاج الذي يسير عليه الوزير يوميًّا: «وكان لزامًا على الوزير أن يمثل أمام الفرعون ليحييه يوميًّا — له الحياة والسعادة والصحة — وأن يقدم له تقريرًا عن حالة البلاد يوميًّا في قصره، وكذلك عليه أن يدخل «البيت العظيم» على إثر اتخاذ رئيس الخزانة الأعلى مقعده عند العمود الشمالي، وقد كان على رئيس الخزانة الأعلى عندما يتحرك ركاب الوزير، ويظهر عند مدخل (البوابتين) العظيمتين، أن يأتي لينضم إليه ثم يقدِّم تقريرًا للوزير يقول فيه: إن كل أعمالك في أمان وسليمة، وكل موظف قائم بعمله قد قدَّمَ إليَّ تقريرًا قال فيه: إن كل الأعمال في أمان وسليمة، وإن كل موظف قائم بعمله قد قدَّمَ لي تقريرًا جاء فيه: إن كل شئونك آمنة سليمة، وإن مقر الحكومة آمن سليم، وقد كان على الوزير بدوره أن يبلغ رئيس الخزانة الأعلى: إن كل أشغالك آمنة وسليمة،

وكل إدارة من إدارات المقر الملكي (الحكومة) آمنة سليمة. وقد وضع لي تقرير: إن كل المخازن قد أُغلِقت في الوقت المحدَّد وفُتِحت أبوابها في الوقت المحدَّد، وذلك بمعرفة كل موظف قائم بالعمل، وبعد أن يبلغ كلٌّ من رئيس الخزانة الأعلى والوزير تقريره لزميله، كان على الوزير أن يرسل رسلًا لفتح أبواب الحكومة الملكية، ويسمح بالدخول لكلِّ مَن يريد الدخول، وكذلك بالخروج لكلِّ مَن يريد الخروج، وقد كان على الحاجب أن يقوم بهذا العمل كتابة.»

تحديد سلطان صغار الموظفين: «ولا يجوز لموظف أن ينتحل لنفسه سلطة الفصل في قضايا قاعة الوزير، وإذا اتهم أحد الموظفين التابعين لقاعة الوزير، فعليه (أي: الوزير) أن يجيء به أمام المحكمة، وعلى الوزير أن يعاقبه على قدر جريمته، ويجب ألَّا يكون في يد أي موظف السلطة لضرب أي فرد في قاعة الوزير، كما يجب أن يقدم له تقرير عن أي قضية خاصة بقاعته حتى يتصرف فيها هو بنفسه.»

عمل حاجب الوزير: «وإذا أرسل الوزير أي حاجبًا في مأمورية إلى أي موظف، سواء كان من الذين يشغلون أعلى الوظائف أم أحطها، فعليه ألا يُظهِر له الصداقة، كما لا يجوز للموظف نفسه أن يدعو الحاجب إلى مجلسه، بل على الحاجب أن يبلغ رسالة الوزير وهو واقف في حضرة الموظف، وأن يبلغه الرسالة شخصيًّا ثم يخرج إلى قاعة الانتظار (؟)، وقد كان حاجب الوزير هو الذي يحضر حكام المقاطعات ورؤساء المراكز إلى قاعة المحكمة، وكذلك كان على حاجبه أن يضع القواعد الأساسية (؟) … وإذا حدث أن أرسل حاجب في مأمورية وقدم شكاية قائلًا فيها: وعندما أرسلت برسالة إلى فلان الموظف فإنه طلبني وأثقل جيدي بشيء ذي قيمة (بمثابة رشوة)، ثم رفعت دعوى على الموظف من الحاجب، فلا بد من معاقبة الموظف على قيمة ما تخاصمَا من أجله بمعرفة الوزير في قاعته، على أن يوقع عليه أية عقوبة عدا بتر عضو من أعضائه.»[١٥٤]

ما يُتَّخَذ من إجراءات في قضية غامضة: «أما عن الإجراءات العامة التي كان ينتهجها الوزير عند سماع قضية في قاعته عن أي موظف لم يكن كفئًا في أداء عمله، فعليه (أي: الوزير) أن يسمع حججه في هذا الموضوع، فإذا لم يكن في مقدوره أن يمحو عنه

---

[١٥٤] وهذا يدل على أن بَتْرَ العضو كان من العقوبات التي تُوقع على بعض المذنبين، كما سنرى بعدُ في القوانين التي وضعها «حور محب».

خطيئته عند سماع ظروف القضية، فعليه إذن أن يقيدها في سجل المجرمين المحفوظ في السجن الرئيسي، ويتخذ مثل هذا الإجراء إذا لم يكن في مقدوره أن يبرئ حاجبه من التهمة، فإذا وقع منهما مثل ذلك كرة أخرى، فلا بد من تقديم تقرير عن ذلك، كما يبلغ عنهما أنهما مقيَّدان في سجل المجرمين، وعن السبب الذي من أجله قُيِّدَا في هذا السجل بالنسبة لجرمهما.»

الاحتياطات الخاصة بالوثائق القانونية: «وإذا أرسل الوزير في طلب وثائق خاصة بالمحكمة، وكانت هذه الوثائق غير سرية، فيجب أن تحمل إليه ومعها وثائق المسجل الخاصة بها، وتكون مختومة بأختام الحكام والكتاب الذين في خدمتهم (أي: الحكام)، وهم المختصون بهذه الوثائق، وعلى الوزير بعد فضها وفحصها أن يعيدها إلى إدارتها ثانيةً مختومة بختم الوزير نفسه، أما إذا كانت الوثائق المطلوبة سرية، فيجب على المسجلين المختصين ألَّا يسمحوا له بنقلها (من مكانها)، ومع ذلك إذا أرسل الوزير حاجبًا لمصلحة المدَّعِي، فينبغي على المسجل أن يسمح بحملها إلى الوزير.»

أنظمة خاصة بالحقوق المتعلِّقة بالأرض والمعادن: «وإذا تظلَّمَ شخص من غبن أو حيف وقع عليه بسبب نزاع على الأرض، فعلى الوزير أن يقوم بنفسه للقضاء في أمره، فضلًا عن سماع قضيته على يد المشرف على الأراضي ومجلس المراكز، على أن يسمح له بمهلة مقدارها شهران بخصوص أرضه إذا كان موقعها في الوجه البحري، أما إذا كانت أراضيه قريبة من المدينة الجنوبية (طيبة) أو مقر الملك، فلا يُسمَح له إلا بتأجيلٍ قدره ثلاثة أيام كما نصَّ على ذلك القانون. وعلى الوزير أن يستمع لقضية أي متظلم على حسب هذا القانون الذي في يده، وعليه أن يعقد مجلس المقاطعة، وهو الذي يفضهم بعد تقديم تقريرهم عن حالة مقاطعتهم؛ ويجب أن يُؤتَى إليه بكل وصية؛ لأنه هو الذي يجب أن يوقع عليها بخاتمه، وهو الذي يقدِّم المِنَح الصغيرة من الأراضي (شدو)، أما إذا قرَّرَ أيُّ متظلِّم قائلًا: «إن حدودنا قد زحزحت.» فيجب أن تُؤخَذ العناية بأن يكون ذلك التعدِّي على حسب إمضاء موظف، وإذا كان ذلك قد حدث فعلًا، فعلى الوزير أن ينزع مساحات الأراضي الصغيرة (شدو) من المجلس الذي كان قد زحزح الحدود.

يضاف إلى ذلك أن أي محجر أو كنز وُجِد على الأرض، فإن أي تدخُّل بعد معرفة محتوياته وبعد تقديم الشاكي قضيته كتابةً، يصبح محظورًا عليه أن يقدِّم تظلُّمًا لحاكمٍ ما، وإذا جاء لحاكم المقاطعة أيُّ تظلُّم بعد أن رفع قضيته وقيَّدها كتابةً، فيجب أن يحال إلى الوزير.»

المراسلات والتعيينات العالية: «والوزير هو الذي يرسل كل حاجب للحكومة كما يرسل إلى المقاطعات ورؤساء المراكز، وهو الذي يرسل بريد جميع المأموريات الخاصة بالحكومة، وهو الذي يعين أي موظف من موظفي الإدارة مثل المشرف على الوجه القبلي أو الوجه البحري، وجبهة الجنوب أو الإقليم العظيم (مديرية العرابة)، وعليهم أن يبلغوه كلَّ ما يحدث في منطقة نفوذهم في بداية كل فصل مدته أربعة أشهر، وعليهم أن يحضروا له الكتَّاب الرسميين التابعين لهم، وكذلك عليهم أن يفدوا مع مجلسهم.»

المؤن اللازمة لتنقُّلات البلاط: ومن واجب الوزير الإشراف على حشد الجنود، والسير في ركاب الفرعون عندما ينحدر في النهر شمالًا أو يصعد جنوبًا، وأن يعين في هذا المناصب الخالية، سواء أكان ذلك في المدينة الجنوبية أم في مقر الملك (أي: الحكومة)؛ وذلك تنفيذًا لقرارٍ صدر من الحكومة الملكية. ولا بد أن يحضر أمامه طائفة موردي الأغذية للحاكم (الملك) حتى يمدوا قاعته والمجلس العسكري بالطعام، ولأجل أن تسلم إليهم أنظمة الجيش (الخاصة بالطعام)، ويجب كذلك أن يعقد جلسة من أصحاب الرتب العالية، ومعهم أصحاب الوظائف الصغيرة في قاعة الوزير، حتى يتبادل كلٌّ منهم التحيات مع زميله.[١٥٥]

إدارة الحكومة الملكية: ومن واجبات الوزير أن يرسل عمَّالًا لقطع شجر الجميز على حسب أوامر الحكومة، وأن يبعث مستشاري المقاطعة لحفر ترع للري في البلاد قاطبةً، وأن يرسل العمد ورؤساء المراكز للزراعة الصيفية، وكذلك عليه أن يعيِّن المشرفين على عمَّال الضرائب في قاعة الحكومة الملكية، وينصب مَن سيسمع قضية العمد ورؤساء المراكز، ومَن سيقوم بجولة تفتيشية باسم الوزير في الوجه القبلي والوجه البحري، وكان من الضروري أن يُقدَّم له تقريرٌ عن كلِّ القضايا القانونية.

السلب والمخاصمات العامة والخاصة: ويجب أن يُقدَّم للوزير تقريرٌ عن حالة المعقل الجنوبي، وعن أي فرد يحاول القيام بغارة … ومن واجب الوزير أن يقوم باتخاذ الإجراءات ضد أي ناهب من أي مقاطعة، وأن يكون هو محاكمه، وكذلك من واجبه إرسال الجنود والكَتَبة المحليين لوضع الترتيبات للفرعون، وكذلك يجب أن تكون سجلات المقاطعة في قاعته، ليمكنه أن يُدلِي بحكمٍ في أي مسألة خاصة بالأرض المنزرعة،

---

[١٥٥] هذه الفقرة من القانون تدل على أسمى تعبير عن الروح الديمقراطي في كل عصور التاريخ.

ومن واجبه كذلك أن يقرِّر تخوم أية مقاطعة، أو أي بطاح إضافية، أو أملاك معبد، أو امتلاك عقار جديد، وهو الذي يؤدِّي كل (شدود) (؟) ويستمع لكل شكوى، وهو الذي يستمع لقضية رجل ذهب للقضاء مع جاره، وعليه أن يعين كل شخص يجب أن يعين في المحكمة، ولا بد أن يحضر أمامه كل رسالة من الحكومة الملكية، وهو الذي يسمع القضايا الناجمة عن أي إذاعة حكومية (لم تُتَّبَع).

المالية والتموين: ومن واجبات الوزير أن يفصل في أية قضية خاصة بأي عجز في إتاوة المعبد، وأن يفرض أية ضريبة عينية على أي إنسان يجب عليه دفعها له (؟)، وإنه هو الذي يعمل … في المدينة الجنوبية أو في الحكومة الملكية، وعليه أن يوقع عليها بخاتمه، كما يجب عليه أن يفصل في كل القضايا القانونية، وهو الذي يقرِّر إجراء التحقيقات الخاصة بالضرائب على محال الصناعة (؟)، كما يجب على المجلس العظيم أن يضع له تقريرًا عن تقديراته للضرائب، وأن يساعده في ذلك جباة الضرائب، وعليه أن يستمع إلى قضية العمال (؟) … ودخل المحكمة وكل منحة منحتها، ومن واجبه كذلك الفصل في القضايا الخاصة بها، وأنه هو الذي يفتح بيت الذهب بصحبة رئيس الخزانة الأعلى، كما أنه من واجباته فحص ببلوص (؟) … والمدير العظيم للبيت والمجلس الأعظم، وعليه أن يقوم بإحصاءات لكل الثيران التي يجب أن يعمل لها إحصاء، وأن يفحص محصول المياه (؟) في أول يوم من فترةٍ مقدارها عشرة أيام والمئونة …

النظام العام ورفاهية الشعب: أما قضايا المحكمة سواء أكانت متعلِّقة بحاكم المقاطعة ورؤساء المركز، أم بأي أشخاص عاميين، فإن كل دخلهم الذي يقدم له لا بد أن يبلغ إليه بكل مشرف على الأرض الزراعية، وبكل موظف «شنتو»، وعليهم أن يبلغوه عن أي اضطراب يحدث ليلًا أو نهارًا (؟) … وعليهم أن يبلغوه الحاجبات الشهرية مع الدخل … وإليه يُقدَّم تقريرٌ عن ظهور نجم الشعرى وعن تأخير الفيضان، كما يُقدَّم له تقريرٌ عن الأمطار (؟) … للمشرف على الأرض الزراعية وللموظف (شتو) أو إلى … الحكومة الملكية.

وإن الوزير هو الذي يجهز السفن كما يجهزها أي فرد خاص بذلك، وهو الذي يرسل أي رسول من رجال الحكومة الملكية لأجل أن … عندما يكون الفرعون في رحلة … ويجب أن يُقدَّم له تقريرٌ من كل مجلس … وأنه هو مقدمة الأسطول ومؤخرته (؟)، وأنه هو الذي يختم كل المراسيم الخاصة ﺑ … وحاجب الوزير مثله مثل كلب حارس الكلاب عندما يرسل في بعوث حكومية، ويجب أن يُقدَّم له تقريرٌ بما يجب أن يبلغ عنه

... ورئيس المحكمة هو الذي يبلغ عنه وعن كل ما يفعله، وعن سماع القضايا في قاعة الوزير ...

وإخال القارئ يشعر تمامًا بعد قراءة هذه الوثيقة الفذة بما كان ملقًى على عاتق الوزير من مهام جسام، ينوء بحملها رجال عديدون، غير أنها في بعض الأحيان كانت مهام اسمية، وعلى ذلك لا ندهش عندما يحذره الفرعون بقوله: «إن الوزارة ليست أمرًا هينًا، بل هي مرة كالصبر.» هذا ولا نريد أن نعلق على ما في الوثيقة من مبادئ سامية وقوانين عادلة ودروس واعظة في الأخلاق الكريمة، وقواعد صارمة يجري على مقتضاها الموظف الكبير والصغير، لا فرق بينهما، هذا إلى ما جاء فيها من العدالة المطلقة التي كانت أكبر عامل في تسيير أمور الدولة والوصول بها إلى بر النجاة، وكل ذلك كان ملقًى على عاتق الوزير الأكبر الذي كان يمثِّل الحكومة الرشيدة.

جمع الضرائب: (راجع: Pl. XXIX–XXXV, XLI) لا نزاع في أن العثور على مثل هذه الوثيقة الفذة في بابها في مقبرة خاصة، يبعث في النفس الدهشة الممزوجة بالسرور والغبطة، غير أن سرورنا وفرحنا يزدادان عندما نعلم أنها قد شُفعت بصورة معزَّزة بإحصاءات وفيرة، تضع أمامنا استعراضًا خطير الشأن عن كيفية سير الإدارة المالية في البلاد، غير أنه ممَّا يُؤسَف له جد الأسف أن هذا العرض لا يشمل كل البلاد المصرية من أقصاها إلى أقصاها؛ إذ يقتصر البحث فيه على مالية الوجه القبلي، ويحدُّ شمالًا «ببجة» قرب أسوان حتى مدينة أسيوط الواقعة في وسط مصر، ويشمل ذلك الإقليم الذي كان يُطلَق عليه «رأس مصر العليا»، وكان قد قسم هذا الإقليم قسمين، وهما الأراضي الواقعة جنوبي طيبة وقد جُزِّئت إلى أربعين وحدة، والأراضي التي في شمالها كذلك جُزِّئت إلى أربعين وحدة أخرى؛ وقد مثل هذه الوحدات ثمانون موظفًا يُشاهَد كلُّ واحد منهم يقدِّم دفعةً ممَّا هو مفروض على إقليمه من الحيوانات والمحاصيل الزراعية، يضاف إلى ذلك ما يقدِّمه كلٌّ منهم من حلقات ذهب أو أسماط من حبات الذهب والفضة أيضًا، ويُلاحَظ في الصورة التي تمثِّل هذا المنظر أنه قد نُقِش فوق كل موظف عنوانه، فيذكر لنا أحيانًا لقبه واسم المركز الذي أتى منه، وكذلك كمية من الذهب أو الفضة حُسِبت بالدبن أو نصف الدبن، وفضلًا عن ذلك وجدنا في تسع حالات أن ضرائب الوحدة كانت تشمل قلادة من الذهب أو الفضة، وفي حالة واحدة وجدنا أن الجزية كانت تُدفَع نسيجًا، وقد كان هذا المقدار المكتوب يُحذَف أحيانًا، وفي تلك الحالة لا تجد الدفع قد رُسِم في سورة ركائز، بل كان يورد بدلًا منه مقدار عظيم من المواد الغفل.

النقوش الموضحة: ومتن التقدمة للأجزاء الجنوبية هو: (راجع Pl. XXIX. Row I): «الوزير «رخ مي رع» يفحص مراجعة حسابات قاعة وزير المدينة الجنوبية (طيبة)، وهذه المراجعة لما جاء به العمد ورؤساء المراكز والمستشارون الريفيون ومأمورو ضرائب المقاطعات وكتَّابهم وكتَّاب السجلات الذين في إقليم «رأس مصر العليا»، وهو الذي يبتدئ عند «إلفنتين» وقلعة «بجة»، وقد نفذت هذه المراجعة على حسب الكتابات القديمة، وكذلك نجد مثل هذا الإيضاح لإقليم الشمال (راجع: Pl. XLI)، وقد جاء فيه الوزير «رخ مي رع» يفحص حسابات قاعة وزير المدينة الجنوبية، مراجعًا «حسابات» العمد ورؤساء المراكز والمستشارين الريفيين ومأموري المقاطعات وكتَّابهم وكتَّاب سجلات الأراضي، وهو الإقليم الذي يبتدئ عند «قفط» وينتهي عند «أسيوط».»

ومن ذلك نعلم أن الصعيد كان له وزير خاص يقوم بشئونه، وأن الأراضي التي كانت تحت سلطانه تشمل الإقليم الذي ما بين «أسوان» حتى مدينة «أسيوط»، وهذا الإقليم بدوره كان ينقسم قسمين إداريين: الأول من «أسون» حتى «قفط»، والثاني من «قفط» حتى «أسيوط»، وكذلك كان كلٌّ من هذين الإقليمين بدوره ينقسم أربعين وحدة لكل حاكم خاص، وعلى هذا التقسيم كانت تُجبَى الضرائب بوساطة موظفين خُصُّوا بهذا العمل.

طرق دفع الضرائب في ذلك العهد: لا يزال موضوع قيمة النقد في مصر القديمة من الموضوعات العويصة (راجع مصر ج٢)، على الرغم ممَّا وصلنا من معلومات متفرِّقة عنه، وما نعرفه على وجه التأكيد أن الدفع في الأزمان القديمة كان بوساطة حلقات من المعدن لها قيمة معينة (ومن المحتمل أن كل اثنتي عشرة حلقة صغيرة أو ست حلقات كبيرة كانت تعادل «دبنًا»)، ولكنا نعلم فيما بعدُ أن الدفع كان يُقدَّر بوزن الدبن، سواء أكان من الذهب أم الفضة أم النحاس، ويُقدَّر وزن الدبن الذي كان يحتوي عشرة «كدات» مصرية بنحو واحد وتسعين جرامًا، ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الذهب كان في الأزمان القديمة أقل قيمةً من الفضة، ولكن مقدار إنتاج الفضة أخذ يزداد في البلاد منذ الفتح السوري، لدرجة أنه في عهد «رخ مي رع» كانت قيمة الفضة تعادل بالنسبة للذهب ٥/٩ أو ١/٢، وقد كان النحاس يُستعمَل كثيرًا في المعاملات الصغيرة؛ إذ كانت قيمته تُقدَّر بنحو ١٥٠ أو ٢٠٠٪ من قيمة الذهب، وقد يكون من باب التقريب لفهم قيمة الذهب أن نعلم أن ثمن ثور واحد كان يُقدَّر بما يقرب من دبن واحد من الذهب؛ والطريقة التي كانت متَّبَعة لدفع أي حساب مقدَّر بالدبنات من الذهب

والفضة، أن يدفع الفرد ما لديه من هذين المعدنين نقدًا، ثم يدفع الباقي سلعًا، وبذلك نفهم الصورة التي تمثِّل أمامنا موظفًا يحمل حلقات من الذهب والفضة (وكان الدفع بالذهب هو السائد)، وكذلك يقدم في الوقت نفسه الأشياء الأخرى التي كان سيدفعها سلعًا، ويجب في هذه الحالة أن يكون المبلغ المدوَّن مضافًا إليه المواد الغفل يساوي الضرائب المفروضة.

توزيع الضرائب: ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن الضرائب لم تكن تدفعها المراكز بهذه الكيفية، بل كان يكلف جبايتها موظفون يُحتمل أن كل بلد يخصه منهم عدد عظيم، ويُحتمل أن ذلك يرجع إلى أن كل موظف كان له نوع معين من الضرائب، أو كان موكلًا بمساحة معينة في الريف يجمع ضرائبها، وهؤلاء الموظفون هم العمد ورؤساء المراكز (حقاحت)، أما في المدن التي فيها حاميات فكان يُكلَّف جبايةَ خراجِها قائدُ الحامية؛ ومن ذلك نعلم أنه كان يقوم بجمع الضرائب في «إلفنتين» قائدُ حاميتها ومأمورُ ضرائبها وكاتبُه والمستشارُ الريفي وكتابُه؛ أي إن خمسة موظفين كانوا مسئولين عن جمع ضرائب المراكز أو المدينة التي كانوا مسئولين عن خراجها.

الضرائب المحصلة: (راجع: Pl. XXIX, 2, XXX, fig. 7) ويُلاحَظ في نفس قبر «رخ مي رع» أن ترتيب منظر الضرائب المحصلة قد رُسِم على غرار مناظر الجزية الأجنبية التي سبق الكلام عنها، وذلك أن محصلي الضرائب والكَتَبة والتابعين لهم كانوا يقفون على يمين الوزير، ويُشاهد كومة من الطرائف النفيسة مكدَّسة بينهم وبين دافعي الضرائب، وفي الصف الرابع من هذا المنظر نشاهد الموازين التي كان يحتاج إليها لمعرفة مقدار المعدن المقدَّم جزيةً.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الضرائب التي نشاهدها في الصورة لم تكن لجهة معيَّنة، بل في الواقع كانت نماذج من كل الضرائب التي كانت تقدم عينًا، ومن الجائز أنها كانت تشمل هدايا، وهي أشياء مختلفة لا نجدها ممثَّلة في جهات أخرى، ويظهر أنها قد أُتِي بها من أقاصي الجنوب؛ إذ نشاهد أفرادًا منها ممثلين واقفين بجانب الكومة التي في الصورة، وهكذا نجد في الصف الأول (Pl. XXIX, 2) قردة، وجلودًا في سلة، وحزمتين من سهام ... إلخ. وفي الصف الخامس (Pl. XXXI. Row. 3) نشاهد بالقرب من موظفين من إدفو حقائب وحصيرًا من البراع، وأخرى من الكلأ، وحبالًا، وعشرة أحجار «وجم» (؟).

أنواع المواد التي كانت تُحصَى: ومن قائمة المواد التي كانت تُقدَّم جزيةً (راجع: Pl. 104–106) نعلم أن سلع المبادلة لم تكن كثيرةَ الأنواع؛ إذ كان يبلغ عددها اثنين وعشرين نوعًا، ولكن ممَّا يسترعي النظر إهمال ذِكْر أشياء يجب أن نذكرها هنا، فمثلًا يظهر أن الشعير لم يُذكَر، وكذلك لم يأتِ ذِكْر الخنازير أو الماعز في هذه القوائم، ولم يُذكَر من أنواع الطيور هنا إلا الحمام؛ إذ كان يُعَدُّ ضروريًّا للمزرعة. والظاهر أن الماعز كان رخيصًا؛ فكلُّ خمس منها تُعتبَر وحدةً في المعاملة، وممَّا يُؤسَف له أن هذا المنظر قد شُوِّهت معالمه بالفجوات التي أُحدِثت فيه، هذا بالإضافة إلى صعوبة فهم ما تبقَّى منه، وفضلًا عن كل ذلك فإن هذا الإقليم من الصعيد، وهو الذي ينحصر بين «طيبة» و«أسوان»، كان فقيرًا نسبيًّا في محصولاته، ولا أدل على ذلك من أن الموظف في الشمال كان لا يدفع إلا ما يزيد متوسطه بقليلٍ عن نصف ما يدفعه من المعدن زميلُه في الجنوب، فقد كان يجلب غلالًا وماعزًا أكثر، ولكن ما كان يجلبه من النسيج أقل.

وكان الشهد والبردي من محاصيل الشمال الهامة؛ ولذلك نلحظ أن «أرمنت» لم تكن تورد في ضرائبها إلا جرة واحدة من الشهد، وكانت الفضة من المعادن التي يوردها أهل الشمال بمثابة جزية؛ وذلك طبيعي لأنها كانت تورد للبلاد المصرية من هذه الجهة، في حين أن الذهب كان يتدفَّق من بلاد النوبة بوجه خاص، أما ما كانت تدفعه «طيبة» ضريبةً، فليس لدينا أية معلومات عنه، ولا بد أن ضرائبها كانت ضخمة جدًّا، ويُحتمَل أنه قد خصص لها قائمة خاصة.

وقد ترك لنا «رخ مي رع» على جدران قبره قوائمَ توضِّح لنا الضرائب التي كان يدفعها أهالي الصعيد في عهده، وذكر لنا اسم الجهة وما تدفعه بالنقد (دبن)، وما تدفعه من المواد الغفل والحيوان والنسيج وغير ذلك، ويبلغ عدد هذه الجهات ثمانين جهة، أربعون منها في الإقليم الواقع ين «أسوان» و«طيبة»، وأربعون ما بين «طيبة» حتى «أسيوط» (راجع: “The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes” p. 104–106).

«رخ مي رع» وعلاقته بمصانع آمون وضياعه

لقد كان من أهم الوظائف التي يشغلها «رخ مي رع» «تولِّيه شئون معبد آمون» الإدارية، وبخاصة مصانعه وضياعه، وقد ترك لنا رسومًا على جدران قبره توضِّح لنا ذلك بجلاء (Plates. XXXVI–XXXVIII)، فنشاهده في منظرٍ واقفًا يفحص الجرايات التي كانت قد

أُعِدَّت لرجال معبد «آمون»، وكذلك نراه يفحص الأثاث الذي صنع لهذا المعبد، وفي نفس المنظر نشاهده يفحص الأبقار والعمل في الحقول؛ ولسنا متأكدين إذا كانت هذه الحقول أملاك المعبد أو أملاك «رخ مي رع» نفسه، وقد دوَّنَ لنا «رخ مي رع» المتونَ التي تحدِّثنا عمَّا قام به في هذا الميدان (راجع: Pl. XXXVI)، وهاك النص: ««رخ مي رع» يفحص مواد الطعام اليومية التي تورد للمعبد، وكذلك يفحص إقامة آثار جميلة قد قام بإدارتها لمليكه الإله الطيب سيد مصر «منخبر رع» — ليته يعيش مخلدًا — لأجل معبد آمون ومعابد أخرى تحت إدارته.» على أننا لو دقَّقنا النظر في بعض أجزاء هذا المنظر، وبخاصة ما يتعلَّق منه بالأشياء المصنوعة في مصانع المعبد، لَعرفنا أنها لم تكن تُصنَع لتُستعمَل في المعبد وحده، بل نجد أن الكثير منها كان لا يمكن إلا أن يكون أثاثًا جنازيًّا للدفن الملكي، والأخرى كانت لتموين الجيش وإعداده.

تماثيل القبر الملكي: (Pl, XXXVI, XXXVII) فمن هذه الآثار الجنازية الملكية أربعةُ تماثيل قد وُجِد مثلها في المقابر الملكية فعلًا، مصنوعة من الخشب ومغطَّاة بطبقة من القار، كما نشاهد في مقبرة «توت عنخ آمون»، هذا إلى تماثيل أخرى تُرَى في هذه اللوحة رُسِمت بأوضاع مختلفة أهمها تمثالَا «بو الهول»، فقد لُوِّنَا باللون الذي يمثل الجرانيت الأحمر، وكل هذه التماثيل تصور لنا «تحتمس الثالث» وهو على عرش الملك وحده، أو معه زوجه «مريت رع حتشبسوت» بنت الملكة «حتشبسوت».

منتجات أخرى للصناع: (Pl. XXXVII) وقد أنتج صناع معبد آمون نفائسَ عدة أخرى، منها: (١) ثلاث قلادات من الخرز عليها أقفالها في صورة زهرة البشنين، وهذا الخرز كان مختلفًا ألوانه بين الأحمر والأزرق، كما كان بعضه حبوبًا من الذهب. (٢) أربع كنانات. (٣) تسع سكاكين من النحاس أو الظران. (٤) حزام من الخرز الأحمر والأزرق. (٥) قلادة من الخرز الأزرق. (٦) أربعة خواتم شعر مشطورة من الذهب. (٧) ثلاث أوانٍ من الذهب ومثلها من الفضة. (٨) إناء طويل من الذهب. (٩) ست عشرة (بلطة) أسلحتها من البرنز الأصفر. (١٠) ملاقيط (للنار). (١١) تسع دروع. (١٢) ثلاث حِزَم من الحراب. (١٣) حزام من الخرز الأحمر والأزرق. (١٤) قلادتان من حبات من الخرز الأحمر والذهب على التوالي. (١٥) سبع أوانٍ، خمس منها فضة واثنتان من الذهب. (١٦) أربع مباخر صفراء اللون. (١٧) خمسة أطباقٍ صفراء. (١٨) سوط أصفر فيه عقدة بيضاء. (١٩) عشر خوذات صفراء. (٢٠) أعنة وملاقيط. (٢١) مرهم أصفر في طبق من الفضة. (٢٢) مرهم أبيض في جرة بيضاء. (٢٣) عصوان على

هيئة ثعبان (لونهما أصفر). (٢٤) سرير من الأبنوس بأشرطة من ذهب. (٢٥) سلالم مذهَّبة للسرير. (٢٦) ثلاثة مضارب سحرية ينتهي طرفُ كلٍّ منها برأس فهد، وفي الطرف الآخَر رأس فنك (ضرب من الثعالب). (٢٧) أربع أوانٍ وطبق للمرهم صُنِعت من الزجاج والبرشيا والمرمر أو تقليدًا لها. (٢٨) أربع جرات من نفس النوع السابق. (٢٩) ثلاث جرات مرهم من الخزف الأزرق والأخضر والمرمر.

مخابز المعبد: وقد كان للمعبد مخابز خاصة لإطعام موظفيها (راجع: Pls. XXXVIII, XLI)، والمتن الذي فوق هذا المنظر يحدِّثنا عن المكان الذي كانت ترسل إليه هذه الأطعمة، وهاك نصه: «المشرف على مصانع آمون ومدير موائد القربان في الكرنك والعمدة والوزير «رخ مي رع» يحضر قربان الإله لمعبد آمون ... وهي التي تُقدَّم له يوميًّا، وهي ما أراد هذا الإله الفخم ... لأجل أن ترضى قرينته (كا) بطعامه، ولأجل أن يستعطف بما يرغب فيه ويكافئ الملك الذي قدَّمها له، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» — العائش أبديًّا.» وفي هذا المنظر يُشاهَد نماذج من الفطائر والمشروبات كانت تُقدَّم لابن «رخ مي رع» المسمى «منخبر رع سنب» كاتب خراج معبد «آمون»، كما يُشاهَد في جزء آخَر من نفس المنظر صفان من حاملي القربان يحملون أطباقًا عليها أرغفة مفرطحة، وفي مقدمتهم رجل يحرق البخور، وقد كان الموظف المسئول مباشَرةً عن ذلك هو «مري» أحد أبناء «رخ مي رع»، وقد كان يُلقَّب (المشرف على مصانع «آمون»)، ويُشاهَد أيضًا رجل يحمل عبئًا يظهر أنه كان يحتوي عينات الشحم والدقيق والحب؛ لتكون ضمانًا على أنها هي المواد التي صُنِعت منها الفطائر والرغفان.

الخبَّازون وصانعو الجعة: (راجع: Pl. XXXVIII. Row. 2) وفي هذا المنظر نرى تحضيرَ العجين، كما نشاهد الخبز قائمًا على قدم وساق، فنشاهد عمَّالًا يملئون قوالب مخروطية الشكل، ثم تُوضَع في الفرن، والناظر المدقِّق لما يجري في هذه الصورة يجد كلَّ الخطوات التي تُتبع في استحضار الخبز والفطائر بأشكال مزخرفة ودقة متناهية، ممَّا يدل على التفنُّن حتى في صناعة بسيطة كصناعة الخبز، وبخاصة إذا علمنا أن اسم كل نوع منها كان يُكتَب فوقه باللون الأزرق أو الأحمر.

وكذلك نشاهد في نفس هذا المنظر عمليةَ تحضير الجعة.

حقول «آمون»: ونشاهد «رخ مي رع» في منظر يفحص الأراضي المحروثة (راجع: Plates XXXIX, XLI)، وعنوان هذا المنظر المفسر له هو: ««رخ مي رع» الذي يثني

عليه «نبري» (إله الحبوب)، والممدوح من الإلهة «رنوتت» (إلهة الحصاد)، والممدوح من الإلهة «سخات حور» (حامية الأبقار)، والأمير الوراثي، ومَن يملأ المخازن، ومَن يجعل مخازن الغلال غنيةً، ومَن يعطي مَن هو في حاجة، ومَن لا يبكِ منه شاكٍ، وموزِّع العدالة بين الفقير والغني، ومَن يجعل المتخاصمين يغادرانه وهما راضيان والعمدة والوزير، ورئيس محاكم العدل الست الذي وضعته السيدة «بت» وأنجبه الكاهن المطهر للإله «آمون» «نفرو بن» ابن العمدة والوزير «عامثو»، يتمتع نظره برؤية الأبقار، ويتسلى في أعمال الحقول، ويفحص أعمال الصيف والشتاء.» وممَّا يُؤسَف له جد الأسف أن هذا المنظر مهشم، غير أن عنوانه وما تبقى منه يدل على فحص الثيران، وعلى أن نتاجها كان عظيمًا في هذا العام، وكذلك يدل بعض بقايا هذا المنظر على عملية كيل الحبوب، وعلى درس القمح وغير ذلك مما يلزم لإعداد القمح بعد حصاده.

حصد القمح والكتان: (راجع: Plates XXXIX. Row. 1, 2) يُشاهَد في منظر حصد القمح والكتان رجال يقدِّمون طيورًا صيدت من القمح قبل ضمه، ثم يقدِّمون حِزَمًا من القمح وخبزًا أبيض بمثابة باكورة الحصاد، وخلف هؤلاء نجد حصادين يحضرون السنبل المقطوع من سيقانه في سلات مكدَّسة أمام الوزير، أمام سيقان القمح فقد تُركت واقفةً لأجل أن تُجتَثَّ بجذورها فيما بعدُ، وتنمُّ الكلمات التي كان يفوه بها العمال أمام الوزير عن أدبٍ جمٍّ، غير أن معظمها قد مُحِي ولم يَبْقَ منها إلا ما يأتي: «لأجل زوجك المطهرة لأجل روحك؟ يا أيها العمدة.» وكذلك نقرأ: «يا أيها العمدة الذي يحبه «نيري» (؟).»

وكذلك نشاهد عمَّالًا يحضرون ماعزًا (؟) وثورًا وغزالة، أما باقي العمال فكانوا منهمكين في حصد حقول الشعير والقمح والكتان بمناجلهم، أو في اجتثاث سيقان القمح والكتان، وممَّا يُلاحَظ أنهم كانوا يعملون جماعات تتألف كلٌّ منها من خمسة رجال، ولم يَبْقَ من المتن المفسر لهذا المنظر إلا الكلمات التالية: «الحصد بوساطة عمَّال أوقافه الجنازية في حقول لأجله في الأراضي الزارعية الخاصة بالمدينة الجنوبية، ويقول العمَّال: إن الحقل في حالةٍ جيدةٍ جدًّا.»

حرث الأرض: (Pl. XXXIX row 3) يُشاهَد في هذا المنظر خمسة أزواج من البقرات تحرث الأرض، وقد فسر المنظر بالمتن التالي: «تقبَّلِ المحصولَ الطيب وكُلْ يا أيها العمدة والوزير «رخ مي رع» الشعيرَ (؟) … ثم يقول حراث: «بداية سعيدة، ويوم سعيد، وسنة سعيدة خالية من كل شر …» ويقول حراث ثانٍ مناديًا زميلًا له: «تقدَّمْ

يا مَن تسد الطريق حتى نستطيع أن نكون أحرارًا في الروح والغدو»، وينادي ثالثهم بصوت مرتفع: «دَعْنا نسير، إنَّا نكد للسيد».»

استعمال الأراضي البور واستغلالها: (Pl. XL, 1–2 & XLII–XLVII, I) كان من أعز المتع وأحبها إلى نفس المصري، الترويحُ عن نفسه بالخروج في أوقات فراغه للصيد والقنص، وقلما نجد شريفًا من عظماء القوم منذ الدولة القديمة إلا صوَّرَ لنا ما كان يقوم به في هذا الميدان المحبَّب إلى نفسه، فيصوره لنا على جدران قبره أملًا منه في أن يتمتع به في حياته الآخرة، كما كان ينعم به في الحياة الدنيا. وقد ترك لنا «رخ مي رع» بدوره مناظر تحدِّثنا عمَّا أصابه في هذا المضمار من براعة، وما هُيِّئ له فيه من نجاح؛ غير أنه ممَّا يُؤسَف له جد الأسف زوال الجزء الأكبر الخاص بهذه الناحية من المشاهد التي رُسِمت على جدران قبره، ومع ذلك فإن ما بقي يقدِّم لنا صورةً ممتعةً تحتوي على شيء كثير من التجديد وحسن الإخراج ودقة الفن.

صيد السمك والطيور: (راجع: Plates XLI, 1–2; XLII) يُشاهَد مما تبقَّى من هذا المنظر جزء من غيضة بردي؛ ولا بد أن «رخ مي رع» كان يريد أن يضرب بخطافه السمك وهو في قاربه كما توحي بذلك «الصورة»، وفي جهة أخرى من نفس المنظر نفهم أنه كان يقوم بصيد الطيور، وفي جهة ثالثة نشاهده يحاول صيد حيوانات، وما بقي لنا من هذا المنظر المهشم لا يوحي بشيء جديد، بل كان منظرًا تقليديًّا، غير أنه مع ذلك يحتوي على تفاصيل عدة تجذب النظر اجتذابًا؛ لما فيه من حركات صادقة تتفق مع ما نشاهده في الطبيعة، وربما تهم هواة الصيد في أيامنا؛ فغابة البردي التي تظهر جامدة لا حراك في سيقانها أثناء الجو الحار، صالحة لأن تكون مأوًى أمينًا لجمٍّ غفيرٍ من الحيوانات، وبذلك فإن الصيَّاد الماهر الذي كان يتسلَّل في مثل هذه الأجمة، عندما كان يقترب خلف ستار ثلاثة الطيور التي أمسك بها في يده مرفرفة بأجنحتها، يتسنى له أن يصطاد الطيور التي كانت تترك مكمنها عند هذه اللحظة، وإذا اتفق أنها طارت فعلًا من أماكنها بالقدرة الإلهية، فإن عصا الصياد كانت تصيب هدفها الدقيق، والمتن الذي يصف لنا هذا المنظر هو (Plates XLI): ««رخ مي رع» محبوب إلهة البطاح، وحليف سيدة الصيد، مخترقًا البرك ومتسلِّلًا في مستنقعات البط، ومسليًا نفسه بصيد السمك في الأحواض.» وعن صيد الحيوان يقول:[١٥٦] ««رخ مي رع» (ألقابه) حليف إلهة

[١٥٦] راجع: Pl. XLI, 2.

البطاح متمتع بمنظر الصيد الجميل، مشترك في نشاط «إلهة البطاح».» وفي نقش ثالث نقرأ: ««رخ مي رع» يخترق وديان الصحراء وسكان التلال، ويجد الرياضة في صيد حيوان الصحراء.»

وصف منظر الصيد والقنص: (راجع: Pl. XLIII) يُشاهَد بين منظرَيْ صيد الطيور وصيد حيوان الصحراء تابعون في ركاب الوزير «رخ مي رع» يحملون طيورًا ومعهم كلبة صيد وفضل من القسي والسهام، ويُشاهَد الصياد يفوق سهمه على عدد من حيوان الصيد المحصورة في حظيرة من الشباك، ويُلاحَظ هنا أن اختلاط الحيوان بعضه ببعض في داخل هذه الحظيرة قد أُخرِج بطريقة تجلَّتْ فيها حرية الرسام، أكثر مما نشاهد في المناظر الأخرى التي من هذا النوع، فسطح الجدار الذي صور عليه هذا المنظر قد لُوِّن باللون الوردي الخفيف، وقد بُعثِر عليه حصًى ملوَّن، وترى الحيوانات تنهب الأرض نهبًا في رقعة هذه الصحراء، وأشكال الحيوان هنا لا تختلف كثيرًا عن النماذج التقليدية، غير أن ما بقي من الرسم أحيانًا لا يعطينا صورةً صادقةً عن الحيوان وحركاته، كما هي الحال في النعام، أو في الضبع التي نشاهدها تعضُّ بحنق وغيظ السهمَ الذي نفذ في صدرها، ويُلاحَظ أن السهام التي إصابات الحيوانات غليظة مما جعل الدم يتدفق منها، وجعل كل حيوان يرخي لساقيه العنان؛ ومما يسترعي النظر كذلك أن تأليف هذه اللوحة يمثِّل اختلاط الحابل بالنابل، كما يمثِّل الارتباك الذي يسود أرجاء الشبكة، وهذا لا يتفق مع القواعد التقليدية، وقد أظهر الفنان مهارته في حفظ مجاميع الحيوانات منفصلة بعضها عن بعض، كما أفلح في تنويعها، فالجزء القريب من الميدان لعين الناظر يظهر مملوءًا بحيوانات تعدو بسرعة خاطفة في حنق ورعب، ثم يأخذ بعد ذلك منظر حركات الحيوانات في الهدوء عندما تقع فريسة للسهام، وتشاهد الكلاب تنقضُّ عليها في الحال إثر إصابتها.

منتجات الصحراء: (راجع: Pls. XLIV, XLV) يظهر أن المصري كان عظيم الاهتمام بإظهار ثمرة مجهوده بوصفه صيادًا، وكذلك ما كان يبديه من نشاط في جني الكروم وعصيرها، وعرض محاصيل الصحراء؛ إذ نشاهد الوزير «رخ مي رع» قد خصَّصَ جزءًا كبيرًا لهذه الأشياء، فقد رُسِمت أمامه هذه المناظر وهو جالس على كرسي عظيم يباشر القيام بأعبائها، وقد كُتِب فوق صورته متنٌ يفسِّر لنا ذلك، وهو: ««رخ مي رع» الذي أنجبه الكاهن المطهر للإله «آمون» «نفرو بن»، ووضعته سيدة البيت «نب»، يشرف على محصول ناجح ويتسلَّم جزية «طرق حور» … من ثيران ذوات قرون

طويلة، وأخرى ذوات قرون قصيرة، وسمك وطيور وفاكهة وزهر بشنين وأعشاب ... من الدلتا وكذلك جزية «طرق حور».» وكذلك نقرأ (راجع: Pls. XLIV, XLV): «إحضار ما حصل عليه من صيد الصحراء تيتل وغزال ووعل، وكل الطرائف الطيبة من لحم وخضر بمثابة قربان «طريق حور»، وهي أزهار بشنين، وأعشاب وبراعم بشنين، وسمك وطيور لا حصرَ لها، وثيران ذوات قرون طويلة، وأخرى ذوات قرون قصيرة ونبيذ وفاكهة، محققًا بذلك كلَّ ما تصبو إليه النفس لأجل روح «رخ مي رع».»

ولا نزاع في أن وفرة هذه الأشياء التي أُحصِيت في هذا المتن توحي إلينا بأنه يوجد في مثل هذه الحالة فاصل بين التاريخ والخيال، فقد يكون من باب المجازفة استنباط أن «رخ مي رع» كان له ضياع خاصة في الدلتا، وبخاصة في النهاية الشرقية منها، أي: المكان المعروف باسم «طريق حور» (الملك)، أو أنه كان يتمتع بالصيد فقط هناك؛ إذ إنه ليس من المحتمل أن يكون لدى «رخ مي رع» من الوقت، بعد أن عددنا المهام التي كانت ملقاةً على عاتقه؛ ما يسمح له بترك «طيبة» والقيام بسياحة طويلة إلى الدلتا، بل إن ذلك كان مجرد تحقيق أحلامٍ ادَّعاها هنا وجعلها حقيقةً، ليلقي في روع الناس والآلهة أنه فرد جدير بالتمتُّع بكل ملاهي الدولة وخيراتها، وبخاصة إذا علمنا أن حدود نفوذه كانت تنحصر في صعيد مصر وحسب.

المناظر: (راجع: Pls. XLIV, XLVI, 1) وسواء أكان ذلك أضغاث أحلام أم حقيقة، فإنَّا نجد أمامنا في الصورة الصيدَ المقتولَ مكدَّسًا في كومة تحتوي كل أنواع الحيوان عدا الضبع، وقد كان يدوِّنها كاتب، كما نشاهد أنه بجانب كل حيوان مقتول آخَر حي قد جيء به ليسمن في الحظيرة الخاصة بذلك، ونجد من بين الحيوانات الحية الضبع، غير أنها تُرَى محمولة على قضيب، والسبب في ذلك أن الضبع حيوان صعب المراس، وصورته هذه منقولة عن التقاليد القديمة منذ الدولة القديمة.

ومن جهة أخرى نشاهد الكروم تجمع وتعصر كما كانت الحال في «طرق حور» (الملك)، وهذا الإقليم الواقع على حدود مصر الشرقية كما ذكرنا كان عظيم الخصب مشهورًا بنبيذه، وقد حافظ على هذه الشهرة العتيقة حتى عهد القرون الوسطى الحديثة. وصورة قطف الكروم وعصرها عادية في ذاتها، غير أنه قد أسبغ عليها بهجة ورواء تلك الأغنية التي كان يتغنَّى بها عصار وبنت الكرم أثناء عملهم، فينشدون: يا «أرنوتت يا سيدتي، أغدقي علينا الخير العميم!» وقد كان ما تنتجه هذه الجهات من فاكهة هو الرمان والعنب؛ هذا بالإضافة إلى الأزهار والثيران.

غنيمة صيد الطيور: وفي جزء آخَر من هذا المنظر نجد غنيمة صيد الطيور التي عاد بها الوزير، وقد قام على نتف ريشها وتكتيفها ووضعها في القدور عمَّالٌ مختصون بذلك، وكذلك يُشاهَد السمك يُنظَّف ويُجفَّف في الشمس، وقد كانت ألسنة أولئك الذين كانوا يحضرون هذا السمك لتنظيفه لا تنفك عن الكلام، فيقول واحد منهم لصاحبه وهو يحاوره: «أسرع في فتح جوف السمكة. تأمَّلْ ... إنها تظهر عندما ينخفض النيل. ويقول آخَر: يا أيها الخدم أحضروا السمك لفتحه. تأمَّلوا ... إن إلهة البطاح تأتي وهي حسنة الإدارة.»

وفي منظر آخَر (Pl. XLVI, 1-2) نلحظ أن السمك كان يُصاد بوساطة شبكة تُجَرُّ ثم تُحمَل إلى الشاطئ، وكان العمال لا يزالون يتكلمون في أثناء ذلك، غير أنه لم يصلنا شيء من حديثهم لتهشيم المنظر؛ أما ما تبقى من هذا المنظر فلا يمكننا أن نستنبط منه إلا ما نجده من رجال يحملون كل أنواع المحاصيل، منها طيور منتوفة وغير منتوفة، وسلات بيض، وأطباق من الشهد، وأباريق مختومة، وبردي ونسيج ملفوف.

المناظر الدنيوية: لم يَفُتِ الوزير «رخ مي رع» أن يفرد جزءًا من مناظر قبره لشئون الحياة الخاصة بالتموين وكل ما يتعلَّق به؛ ولذلك نجده قد استعرض لنا عدة مشاهد صوَّرَ فيها كلَّ أنواع المأكولات والمحاصيل، سواء أكانت من إنتاج البلاد المصرية نفسها أم من المحصولات الخارجية، وبخاصةٍ ما كان متعلِّق بإمداد خزائن الإله «آمون» أعظم الآلهة المصرية.

الحبوب المقدَّمة للإله آمون: (راجع: Pl. L, & LI) دوَّنَ لنا «رخ مي رع» متنًا فوق صورته يقول فيه إنه يتسلم الفول (؟) والشهد لخزانة معبد «آمون»، ويحافظ على كل الطرف بمثابة قربان لمعبد «آمون»، وذلك على حسب ما تفرضه وظيفته بوصفه المراقب السري.

والواقع أن الصورة التي على الجدران تتفق مع هذا النص؛ إذ نشاهد حقائب فول يقدِّمها فلاحون بخضوع، كما نشاهد عمَّالًا يكدسون كومة من هذه الحبوب ويكيلونها، ثم يدون مقدارها، ويدل ما نشاهده في هذه الصورة على أننا لسنا أمام كومة قمح، بل حبوب أخرى حمراء قاتمة، يغلب على الظن أنها نوع من الفول.

وتحدِّثنا النقوش عن ذلك فتقول: «تسليم فول «وعح» لخزانة المعبد.» والظاهر من الإجراءات التي كانت تُتَّخَذ بخصوص هذه المادة أنها كانت تُستعمَل غذاءً؛ إذ نشاهد عاملين يهرسان هذا «الفول» في هاون مصنوع من جذع شجرة، وقد كُتِب عليه الشرح

التالي: دق الفول في خزانة «آمون» رب تيجان الأرضين، لأجل عمل القرابين التي قرَّرها جلالته. والظاهر أن هذا الفول كان يُهرَس فقط، كما يدل على ذلك قشوره الخشنة حتى بعد الهرس؛ ولذلك كان من الضروري فصلها، فكان يُنخل الدقيق المتخلف من الهرس عدة مرات بوساطة «خدام إدارة البلح». وأحيانًا نشاهد الدقيق يُغربَل بوساطة مذراة مصنوعة من خوص، ونسمع أحد أولئك الذين كانوا يقومون بهذه العملية ينادي قائلًا: «فَلْيُسرِع كل طحان منكم. تأمَّلْ إننا ننفذ أوامره (؟).»

فطائر مصنوعة من الفول (الطعمية): (Pl. XLIX, & L)، ومما يلفت النظر ما نشاهده من صنع أربع فطائر من هذا الفول، وقد مُزِجت عجينتها بالماء في حوض، وقد جاء المتن التالي شرحًا لهذا المنظر: «خبز رغفان يوميًّا لأجل الإله «آمون»، ولأجل تاسوع الآلهة التابعين له.» ويُلاحَظ هنا أن العجينة قد أُخِذت من الحوض، وقُطعت أجزاء على هيئة أقماع، وذلك بدحرجتها على لوح ثم إعطائها الشكل النهائي باليد، ولا بد أن هذه الفطائر كانت تُسوَّى على النار، غير أن الدليل الوحيد لدينا على ذلك هو وجود فرن لم يُوقَد بعدُ، ويُحتمل جدًّا أن هذه الأرغفة هي «الطعمية» التي تُعمَل من الفول في أيامنا.

نوع من الفطائر الحلوة: وكذلك يشاهد في هذا المنظر (Pl. XLIV. row 1) صناعة فطائر أُضِيف إليها أدم وشهد وبلح، وكانت تُسوَّى على النار، أما الشهد والبلح فكانَا يُضافان إليها في أثناء تسويتها على النار، وذلك بإذابة الأدم في قدر خاص، وقد فسر لنا المتن هذه العملية بالعبارة التالية: «إضافة الأدم وطهي خبز شعت.» وكانت هذه الفطائر تُخبَز على لوحة بعد تشكيلها في هيئة مثلثات مسطحة بيضية، ثم تُدهَن كلها بعجينة فيها أدم، وكانت الفطائر المثلثة الشكل لونها أحمر، وحافتها صفراء، وقد نُقِش فوقها: «فطائر بالشهد والبلح (؟).»

لف الفطائر في حِزَم لأجل القربان: ونجد مكتوبًا على أحد صناع الفطائر العبارة التالي: «عمل رغفان «سخنو» لأجل القربان المستحقة للمعبد.» ولذلك نشاهد في هذا المنظر عاملًا قد أعَدَّ حزمتين حملهما بوساطة نير، وهما يتألفان من الفطائر المثلثة والبيضية الشكل، وكلٌّ منهما ملوَّن باللون الأحمر، غير أن حافته قد لُوِّنت باللون الأصفر، والظاهر أنها محمولة في أقفاص من الخوص.

تربية النحل: (Pis. XLVIII. & XLIX) تدلُّ كل ظواهر الأمور على أن الشهد والبلح كانَا المادتين الرئيسيتين اللتين استعملهما المصري القديم لصنع الحلوى، وقد أراد الفنان

المصري عند التدليل على وجود الشهد ضمن المحاصيل الوطنية التي كانت تُجبَى لمعبد آمون في عهد الأسرة الثامنة عشرة، أن يرجع في تصويرها لنا إلى الماضي البعيد، أي إلى عهد الدولة القديمة؛ إذ قد وضع أمامنا صورة لتوضيح تربية النحل التي كانت تُعَدُّ بلا نزاع من الصناعات المصرية القديمة الهامة، والصورة الوحيدة التي بقيت لنا من ذلك العهد السحيق، يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة الخامسة، وقد كشف عنها في رسوم معبد الملك «نو سر رع»، ولا يبعد أن يكون مفتن الأسرة الثامنة عشرة قد لجأ لتقليدها، ولدينا صورة تشبه التي وُجِدت في عهد «نو سر رع»، يرجع عهدها إلى الأسرة السادسة والعشرين، وُجِدت في مقبرة فردٍ يُدعَى «بابس» (مقبرة رقم ٢٧٩)، وقد كشفتها بعثة «مترو بوليتان» في عام ١٩١٨–١٩١٩ (راجع: Lansing, M. M. A. XV. (1920) July Part II. Pp. 21 ff)، ورسم هذه الصورة رديء جدًّا، لدرجة أن البحاث لا يعرف أنها منظر تربية نحل إلا من الإيضاح الذي كُتِب عليها، أما في منظر مقبرة «رخ مي رع» فواضح بعض الشيء، فنشاهد الخلايا نفسها وهي مصنوعة من الطين الأحمر الرمادي، ولا تختلف في شكلها عن الأسطوانات المصنوعة من الفخار التي تُستعمَل حتى الآن في مصر الحديثة لهذا الغرض بعينه، وقد ثبتت في مواضعها أفقيًّا على مصطبة من الطين.

أما الطريقة التي كانت تُستعمَل لجَنْي الشهد فهي طريقة التدخين؛ وذلك أن يُطلَق الدخان في أصل الخلية إلى أن يهجرها النحل، وكانت عملية التدخين تعمل بوساطة مصباح مركب فيه ثلاث فتائل، وقد أشعرنا المثال المصري بنجاح هذه العملية بأن صوَّرَ لنا أن كل النحل قد ترك الخلية ولم يَبْقَ فيها إلا نحلة واحدة، وكذلك نشاهد في الصورة أن النحال قد أخرج قرصًا بيضي الشكل، غير أنه لم يصوِّر لنا الكيفيةَ التي صنع بها النحل هذا القرص بشكله هذا.

تحضير الشهد: أما تحضير الشهد فكان يصفى القرص أولًا، ونستطيع أن نفهم ذلك من إناء مملوء بأقراص بيضاء، كما نشاهد عمَّالًا يختمون جرات كبيرة بأختام من طين أُخِذت من كومة أُعِدَّتْ لذلك الغرض، ومما يسترعي النظر أننا نشاهد العامل الذي يقوم بعملية ختم الأواني، وقد لُطِّخت يداه بالطين، وكان يمتاز الإناء الخاص بالشهد بأنه من الفخار الأحمر، وفوقه آخَر مقلوب بمثابة غطاء، وقد كان يفصل بين الإناء وغطائه خيط أبيض، كما استعمل لحبكها حبكًا متقنًا مادة الشمع كما يُشاهَد في الصورة.

خزن الجرار والمحاصيل الأخرى أمام الوزير: (Pl. XLIX, L. & “Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes”, Pl. XV) وقد كان المصري يريد أن يحافظ على هذه الجرار بعيدة عن العبث بها، ولا غرابة في ذلك، فإن تاريخ الخيانة يرجع إلى عهد آدم وجنة عدن؛ ولذلك نجد أن الموظفين المنوط بهم ختم الأشياء الثمينة كانوا من أصحاب المكانات الهامة.

وقد كان ضمن هذه الطوائف التي تجب المحافظة عليها على ما يظهر؛ الشهد والزيت والنبيذ، والواقع أن تخزين هذه المواد في مخازن خاصة في المعبد يُعتبَر من أهم المناظر التي وُجِّه لها عناية خاصة. ولما كان الزيت والنبيذ من المحاصيل التي اختصت بها الدلتا، فإنا نجد بحَّارة سفن النقل احتلوا مكانةً بارزةً في هذا المنظر، وكان يقوم بإدارة نقل الجرار المختومة ضابط سفينة قربان معبد «آمون» (راجع: Pl. L. row. 3)، وقد كتب فوق هذا المنظر الشرح التالي: «حمل النبيذ إلى مخازن المعبد، وهي التي يتسلَّمها الوزير «رخ مي رع».» وقد كان رئيس العمال يحضُّ عماله على المثابرة على العمل، في حين كان العمال يشتغلون في صمت. ويلفت النظر في هذه الصورة شاب نوبي يحاول أن يرفع إلى كتفه جرة ضخمة، وقد انقضَّ عليه رئيس العمل في أثناء ذلك بعصاه قائلًا: «قُمْ لا تتخاذل.»

ونشاهد كذلك هنا عمال الواحات الذين مثلوا بهيئة قذرة، وقد طلب إليهم رؤساؤهم أن يهموا بإنجاز العمل قائلين: «أسرعوا حتى يُتقبَّل منكم هذا العمل، وحتى تغادروا هنا بالثناء «مكافأةً لكم (؟)».» ومعظم هؤلاء العمال كانوا يرتدون لباسًا يستر عورتهم فقط مصنوعًا من الجلد.

وعند انتهاء العمل انحنى رؤساء العمال أمام الوزير بخضوع وخشوع بالغين، ثم نطقوا بكلمة كلها ولاء وهي: «والآن يبتهج قلبك يا أيها الشريف، وَلْتسعد أحوالك، إن الخزائن تقبض بجزية كل البلاد الأجنبية، وبزيت وبخور ونبيذ الدلتا، ومختلف محصول بلاد بنت وهداياها، وحقائب وأكياس محتوية سلعًا ذات قيمة، لدرجة أن عددها أصبح يُحصَى بمئات آلاف الملايين، (وكل ذلك) لملك الوجهين القبلي والبحري «منخبر رع» معطي الحياة، وهو الذي منه نتقبل الثناء يوميًّا.»

محاصيل أخرى من الدلتا: (Pl. XLIX) ولدينا منظر آخر في مقبرة «رخ مي رع» اجتمع فيه بعض محاصيل بلاد الدلتا، فنشاهد فيه حِزَمًا من البردي واليراع، وقد يجوز أنها مجرد نماذج ممَّا كان يورد بكميات عظيمة، كما نشاهد سلات مصنوعة من الخشب،

غير أنه ليس في استطاعتنا معرفة ما كان فيها، وعلى مقربة من هذه السلات نشاهد كومتين يُحتمَل أن واحدة منهما تشتمل على صمغ «تي شبس»، كان يتسلَّمه كاتب الخزانة (Pl. XLIX, row. 2)، وكذلك نرى مساعدَ كاتبٍ يتسلَّم جزية الواحات الجنوبية (الخارجة) مع جزية الدلتا، في حضرة الوزير «رخ مي رع». أما المخزن الذي كان يحتوي هذه السلع، فبناء مقبب أُقِيم من اللبن، وليس فيه إلا إطار بابه من الحجر، كما يُشاهَد ممَّا يماثل ذلك قباب حتى الآن في المخزن الذي كشف عنه بجوار «الرمسيوم»، وممَّا يُؤسَف له أن اسم هذا المبنى قد فُقِد، ويُحتمَل أنه كان يُسمَّى «مخزن معابد «آمون» والآلهة التابعين له».

محاصيل الواحات: (Pl, XLIX & “Paintings” Pl. XIII) يظهر أن كلًّا من خزائن الذهب والفضة التابعة لمعبد «آمون»، ومخزن المعبد الذي على يسارها، قد أخذت الواحد مكان الآخر؛ وذلك لأن الأشياء الموضوعة على يمين الأول (Pl. XLIX, 2, & “Paintings” XIII) لا تشتمل إلا محاصيل بسيطة لواحة أو إقليم فقير؛ ويرجع السبب في ذلك إلى خطأ ارتكبه المفتن، ويمكننا أن نتعرَّف عن محصول الواحات من العنب والنعال التي نشاهدها مصوَّرة في المنظر، وكذلك نرى سلات بسيطة الصنع، وقيمتها تنحصر في محتوياتها، غير أن بعضها قد صُنِعت على هيئة جرار وخلايا نحل، وقد أتقن الصانع حبكها، هذا فضلًا عن أن ما على إحداها من صورة آدمية مصوَّرة بصورة هندسية بارعة، لَدليل على تقدُّم الفن في هذه الجهات.

ويُحتمَل أن هذه الأواني كانت مملوءة بالنبيذ، وقد وضع فوق هذه الأواني مادة يجوز أنها لوف أخضر، أما الحزم التي نشاهدها بجوارها فيُحتمَل أن يكون نسيجًا حُفِظ بلونه الطبعي، فقد كانت كلها ملوَّنة باللون الأصفر، وكذلك الحقائب الطويلة التي تشاهد في هذا المنظر بلون أرجواني، ومختومة كل منها من إحدى طرفيها، تُعَدُّ من مميزات الواحات أو بلاد «بنت»، ويُحتمَل أنها كانت تشمل فاكهة أو بندقًا.

حاصلات بلاد النوبة: (راجع: Pl. XLVIII. & “Paintings” XIV) وبجانب محاصيل الواحات نشاهد كومة ثانية تشمل بداهة حاصلات بلاد السودان؛ إذ تشتمل ريش نعام وحِزَمًا من سيقان نبات «ثنو»، وأربعة دروع من الجلد قمعية الشكل بها قرع أبيض، وكتلًا من الأبنوس، وأسنان فِيَلَة، وجلدَ فهدٍ، وأكياسًا مملوءة دومًا خشنة الصنع، وعددًا من القردة تحاول أكل ثمار الدوم الموجودة في الأكياس؛ لأن ثمار الفاكهة هو الطعام المستحب عند القردة (راجع: “Paintings”. XIV)، وأسفل هذا تشاهد قسي

صفراء وكتل من الفضة وسبائك وخواتم من ذهب، وأكياس مملوءة بالتبر، وكراسي ربما كانت لجلوس القردة عليها (راجع: Pl. XVIII).

محاصيل أجنبية: (راجع: Pl. XLVIII) وفي نفس هذا المنظر نشاهد مبنًى كبيرًا أكثر متانةً من السابق، يظهر بداهة أنه أُقِيم من الحجر، وأُطلِق عليه الخزانة المزدوجة للذهب والفضة (أي: الخزانة)، والداخل فيها يشاهد سلات مملوءة بالفيروزج الأخضر المائل للزرقة، والكرتلين الأحمر (حجر الدم)، واللازورد الأزرق، وقطعًا من الفضة، ولفائف من الكتان، وحِزَمًا من النسيج أيضًا، وجرارًا مملوءة بصمغ البخور، وعطور «سفث»، وأكوامًا من البلسم، ويراعات (قنن)، وقضبانًا «تي شبس»، وحلقات من الفضة، وركائز من ذهب الجنوب، وزيتًا في جرار مختومة، وركائز نحاس، وكل هذه المواد قد وردت إلى مصر من الخارج.

عبيد معبد آمون وعملهم: «رخ مي رع» يفحص أحوال عبيد معبد آمون: (Plates LVI, LVII, LXXIII, 3. “Paintings”. XXIII) لما اتسعت أملاك مصر في الخارج ونمت صناعاتها في الداخل، أراد الفراعنة أن ينتفعوا بالأسرى الذين كانوا يستولون عليهم من هذه الأقطار المفتوحة، على أن تكون فائدتهم منهم مزدوجة، فقد كانوا يجلبون هؤلاء الأسرى إلى مصر ليعملوا في المصانع الوطنية، وبخاصة مصانع الإله «آمون» ومعابده، وكذلك كانوا ينتخبونهم من الأسر العريقة حتى يكونوا ضمانًا للفرعون على عدم قيام ثورات في القبائل التي أخذوا منها. والواقع أن الغنائم البشرية كانت دائمًا ذات قيمة عظيمة في نظر كل الشعوب، وإن كان جلبهم إلى بلد الغانمين يحمل في طياته العقاب المحتم، وهو ما ينتج دائمًا من اختلاط جنسين مختلفين من الناس، وبخاصة في الأنظمة والمعاملة التي كان يتبعها القاهر مع المقهور، هذا فضلًا عن الاختلاط الجنسي الذي كان لا بد منه، وما كان ينجم عنه من تغييرات في الأخلاق والعادات؛ وهذه الملكية الجديدة وما تنطوي عليه من نُظُم في المعاملة قد مثلت أمامنا في صورة رائعة في مقبرة «رخ مي رع»، حيث نجده قد جلس وخلفه حاشيته، وعلى الرغم من أن المتن المفسر لهذا المنظر قد هشم بعض الشيء غير أنه يقدِّم لنا صورةً لا بأس بها عن مغزاه؛ إذ يقول: «إن «رخ مي رع» يقوم بفحص (أحوال) عبيد أملاك معبد «آمون»، وكذلك مصنع أملاك المعبد — وهؤلاء العبيد هم الذين جاء بهم الفرعون أسرى أحياء، وفرض على أهلهم أن يكون أولادهم جزيةً — لإعطائهم نسيجَ كتان وعطورًا وملابس على أنها ذخيرتهم السنوية ...» وفي متن آخَر يقول: «إن «رخ مي رع» يقوم بفحص المصانع في «الكرنك»،

والعبيد الذين أتى بهم جلالته من انتصاراته على الأرضي الجنوبية والأراضي الشمالية بمثابة أنهم نخبة غنيمته، وإنه (الملك) الإله الطيب سيد مصر «منخبر رع» — له الحياة والسعادة والصحة — لأجل صناعة كتان الفرعون والكتان النقي والكتان الجميل … والكتان المنسوج نسجًا دقيقًا؛ وهم العبيد الذين يقدمون الآن نسيجهم «لآمون» في كل أعياده على حسب عددهم، لمدة ملايين سني الفرعون …» ويُلاحَظ أن عدد العبيد كان عظيمًا، وكذلك كان مسك دفاترهم؛ ولذلك نجد رجال السكرتارية جالسين في راحة مزاولين عملهم الطويل.

الإماء: ويدل المنظر على أن هؤلاء العبيد كانوا موزَّعين على إدارتين رئيستين، وهما إدارة الغزل والنسيج وإدارة المراعي، ففي الأولى كان الاعتماد على النساء أكثر من الرجال، غير أنه كان لا بد من إعطاء الجوائز الخاصة لحث النساء على العمل والقيام به خير قيام، على أن المنظر الذي نشاهد فيه النساء ممسكات بأيدي أولادهن لأجل فحصهن ثم تسجيل أسمائهن (Pl. LVII. row. 1) يُشعِر بوحشية وقسوة؛ وذلك لأن القائمين بهذا العمل كانوا لا يُظهِرون أيَّ اهتمام؛ لأنهم كانوا يعدُّونهم في نظرهم كالأنعام بل هم أضل سبيلًا، وعلى الرغم من ذلك ليس لدينا من البراهين ما يوحي بأن هؤلاء الصغار كانوا يُباعون، وإن كانت خدماتهم فيما بعدُ يمكن بيعها، وغالبًا ما كان يؤدِّي هذا العمل إلى أسوأ استعمال وأشنع نتائج. (راجع: Davies, M. M. A. XXIII. (1928) Sec. II. p. 40. & the light on slave dealing, Ibid XXX. (1935). Sec. II. p. 54).

ومع ذلك فليس لدينا من الأدلة ما يجعلنا نفرض عدم الإنسانية أو القسوة في معاملة هؤلاء الأسرى؛ إذ نجد أن الجيل الثاني من هؤلاء العبيد لم يكن أهله بأتعس حالًا من المصريين أنفسهم، وتدل ظواهر الأمور على أن الإماء من هؤلاء العبيد كنَّ أحسن حالًا من زميلاتهن من المصريات الصميمات أحيانًا؛ إذ قد نلن حظًّا من السعادة ورغد العيش في وطنهن الجديد، وقد برهن على أنهن جديرات بأخذ حقوقهن؛ فقد كان المصريون الذين يعاشرونهن يعلمون علم اليقين أنه ليس من صالحهم أن يثيروا غضبهن أو يعملوا على قهرهن.

مرتبات الإماء: وقد كانت النساء يتسلمن مرتباتهن من نسيج الكتان الذي كان يُوزَّع عليهن، وقد كان هذا النسيج مزركش الحواشي يُقدَّم في هيئة مقاطع ضخمة، وقد أمكن أن نعرف من إحدى الحالات نسبة طول الكتان المنسوج؛ إذ نشاهد في الصورة قطعةً منه مبسوطة أمامنا لتقسم اثنتين (Pl. LVI. row. 1). وكذلك كان يصرف لهن الدهن،

ويُحتمَل أنه كان عطورًا كما يُحتمَل أنه كان شحمًا للمصابيح، والظاهر أنه كان على نوعين؛ إذ نجد أنه في حالة يصبُّ من جرة كبيرة كالزيت، وفي حالة أخرى كان يكدس كالعجين في طبق، وتدل ملامح هاتيك النسوة على أنهن كن من «الخيتا» ذوات الشعور الطويلة، ومن «النوبيات» اللائي يحملن أولادهن في سلات، ومن «السوريات» اللائي يمتزن بحللهن المزركشة، ويُلاحَظ أن الأطفال كانوا يلبسون تعاويذ، ومن هذه نشاهد صورة شمس ساطعة على فتاة سورية وهلالًا يتحلى به الطفل الذي تحمله (Pl. LVII. row. 1).

الرجال العبيد: ومما يلفت النظر أن الرجال الأجانب الذين كانوا يوردون الكتان (Pl. LVI, LVII) والمصريين الذين يتسلمونه منهم، لا يمكن تمييز بعضهم من بعض، فقد كانوا يلبسون زيًّا واحدًا وملامحهم واحدة، والنسيج الذي كانوا يقدِّمونه كان إما مطويًّا بعناية ليكون صالحًا للمبادلة، وإما منشورًا للاستعمال العاجل. ونشاهد هنا ثانيةً الأكياسَ والحِزَم والنسيج المزركش الأطراف، وأحيانًا نجد نسيجًا له حواشٍ يستعمله السوريون (راجع: Pl. XXII. row. 2)، وليس لدينا فيما تبقى من هذا المنظر إلا رأس واحد تدل تقاطيعه على أنه رأس أجنبي، وإن كانت ملابسه لا تدل على ذلك؛ ويُحتمَل أن الماشية التي نشاهدها في المنظر كان يرعاها أولئك العبيد الذين لم يَبْقَ لنا منهم إلا رأس واحد، وهم من الأجانب (راجع: Pl. LXXIII, 3).

صناع الإله آمون: رخ مي رع يُشرِف على الصناع: (Pls. LII, LV & "Paintings". XXIII) كان الوزير «رخ مي رع» يعلم تمام العلم ما للصناعة والحِرَف من شأن عظيم لقضاء مآرب الفرعون الدنيوية والأخروية، وكذلك بوجه خاص ما للصناع من مكانة عظيمة في إنجاز كل ما يحتاج إليه معبد الإله «آمون»، من قِطَع فنية وأدوات العبادة المختلفة الأشكال والألوان، ومن أجل ذلك خصص لها جزءًا عظيمًا من جدران مقبرته، صوَّر لنا فيه نشاط أصحاب الحِرَف والصناعات بصورة لا تحتاج إلى إيضاحٍ أكثر من النظر إليه بالعين المجردة، ومع ذلك فإنه شفع كل حرفة وكل صناعة بما يوضِّح لنا ما يكون قد غلق علينا فهمه منها؛ ولذلك تُعتبَر مناظر قبر هذا الوزير الصناعية مفصلة أكثر من أية مناظر أخرى وصلتنا من هذا العهد، يُضاف إلى ذلك أن الزمن قد حبانا بما نتطلب منه، فلم يعبث بهذه المناظر الفذة بدرجة مشينة تشوِّهها كما حدث في المقابر الأخرى التي أخنى عليها كر الغداة ومر العشي، وزاد في طمس معالمها يد الإنسان وما تُحدِثه من تخريب وعبث؛ فنشاهد في مقبرة هذا الوزير الصناع وقد

اصطفوا أمام الوزير على اختلاف مهنهم وحِرَفهم، من صنَّاع مجوهرات إلى عمال قطع أحجار ودباغي جلود ونجارين ومعدنين، فيضع كل المشتغلين بهذه المِهَن منتجات أيديهم وعقولهم عند قدمي الوزير العظيم.

«رخ مي رع» يقدِّم التعاليم للصناع: فيُشاهَد هذا الوزير واقفًا وبصحبته أربعون من أتباعه يفحص كلٌّ منهم أعمال صناع معبد «آمون»، ويعطي التعاليم لكلِّ عامل عن واجباته في كل منهاج من أنواع الإنتاج، وقد كان «رخ مي رع» يُوصَف هنا بأنه الأمير الوراثي وعمدة المدينة والوزير ورئيس المحاكم الست العظيمة، غير أنه كان من الواجب أن يُنعَت هنا كذلك بأنه الوزير الذي يضع القوانين للكهنة، ويقود الكهنة المطهرين عند أداء واجبهم، وإنْ كان من الصعب تمثيله هكذا في هذا المنظر. والواقع أن وظائفه الخاصة بالكهانة لم تكن مجرد ألقاب شرف وحسب، وحتى إذا كانت منحصرةً في الملاحظة النهائية كما ذكرنا، فإنها كانت مع ذلك عبئًا ثقيلًا آخَر أُضِيف إلى الأثقال التي كانت تنوء بها وظيفة الوزير، وسنذكر هنا كلَّ هذه الصناعات بنوعٍ من الاختصار.

صنَّاع الخرز: (Pl. LIV) يُشاهَد في هذا المنظر (Pl. LIV. row. 1) صياغ منكَبُّون على أعمالهم، فنجد أولًا ثلاث كميات من الخرز الأخضر لعمل قلائد «منات»، كما نجد جرارًا بعضها مصنوعة من المرمر والبعض الآخَر من مادة مطلية، وأسماطًا منظومة بحبات من الخرز الصغير والكبير، وفوق هذه الأشياء يُرَى صانع يثقب خرزًا من الحجر، وبجانب هذا الصانع نشاهد صناعًا آخرين ينظمون الخرز أو ينظفون الثقوب التي عُمِلت، وبجانبهم سلات تحتوي بداهة على أكوام من الخرز الأزرق المائل للخضرة، ولا بد أن هذه السلات كانت لوضع القلادات التي فُرِغ من صنعها.

تفريغ الأواني المصنوعة من الحجر: (Pl. LIV) تدل شواهد الأحوال على أن صورة صنَّاع أواني المرمر قد انحدرت إلينا من عهد قديم جدًّا (Pl. LIV, left)، وفي هذه الصورة نشاهد الخطوات التي كان يتبعها الصانع حتى ينتهي من تفريغ آنيته، وقد كان ذلك يحتاج إلى صبر وأناة، ومما يلفت النظر هنا أن الصانع عندما كان يُكلَّف تفريغ إناء ضخم، لم يكن لديه من الآلات ما يساعده على القيام بذلك دون كسر الحجر، وبخاصة إذا كان الإناء واسعًا في جزئه الأسفل وضيِّق الرقبة؛ ولذلك كان يصنعه من قطعتين يفرغ كلًّا منهما على حدة، ثم يلحم بعضهما ببعض عند أوسع نقطة في جسم الإناء.

العمال وصناعة الجلود: (راجع: Pl. LII, LIV) إن أهم ما يلفت النظر هنا صناعة النعال البيضاء، وهذه النعال كانت على نوعين عرضتا هنا في وضعين، أحدهما عادي والآخَر عُمِل بأشكال غريبة؛ والواقع أنها نعال ذات أشكال خيالية صُنِعت أربطتها على صورة سمكة، ويُشاهَد هنا كذلك مجاميع من لفافات الجلد ممَّا يدل على أن الجلد الأبيض كان يُستعمَل مادةً كالبردي للكتابة عليه، غير أنه تُشاهَد كومة أخرى من الجلود ذات لون أحمر ورقعة بيضاء بَيْدَ أنها رقيقة تُستعمَل للكتابة عليها، وترى كذلك خادمًا يحضر كمية جلود، وهذه بلا شك أدوات السراجة والمعدات اللازمة للعربة، ويمكن للإنسان أن يرى في هذا المنظر الخطوات التي كانت تُتَّخَذ لتحضير الجلود لعمل النعال.

دَبْغ الجلود وصناعة النعال: (Pls. LII, LIII) يُشاهَد هنا عملية تليين الجلود في وعاء كبير لتصبح صالحةً لصناعة الدروع كما ذكرنا من قبلُ، والواقع أن الدرع كانت تحتاج إلى معظم جلد حيوان صغير، وكان الجلد بعد تليينه يعطاه صانع آخَر (Pl. LIII, row. 1)، فتؤُخَذ القطعة المربعة منه ليُصنَع منها نعال للأحذية، وهنا نشاهد كلَّ الخطوات التي كانت تُتَّبَع لإتمام الحذاء، كما نشاهد كلَّ الآلات التي كانت تُستعمَل في ذلك، وكذلك كيفية العمل (راجع: Pl. LIII, row. 1).

الحبال المصنوعة من سيور الجلد: (راجع: Pl. LIII, row. 1) وفي أقصى المنظر السابق نشاهد عاملًا ماهرًا ذا تجارب قد أمسك بقطعة كبيرة من جلد حيوان، وأخذ يقطع منها سيورًا طويلة بوساطة سكين لتصنع حبالًا مفتولة من ثلاث سيور كل منها، وطريقة فتل هذه الحبال موضَّحة في الرسم، وهي نفس الطريقة التي تُستعمَل في فتل الحبال المصنوعة من الكتان (راجع: Pl, LII).

النجارة وآلاتها: (راجع: Pls. LII, LIII, LV) عُرِض في هذا المنظر بعض قطع أثاث مصنوعة من الخشب (راجع: Pl, LV)، منه مقبض مروحة ووسادة وصندوق مطعَّم، وتمثال واقف مصنوع من خشب الأبانوس أو الخشب المطلي باللون الأسود، وهو ذو حواف مذهَّبة، هذا ويُرَى محراب ليُحفَظ فيه التمثال السالف الذكر.

ويُشاهَد في هذه الصورة عاملان يضعان طبقة من الجص على صندوق، وقد وُضِعت على سطح مغري لأجل تذهيبه، وذلك لما نشاهده من إذابة الغراء في إناء

موضوع على النار، أما الجص فكان يُطحَن بحجر رملي أحمر، هذا ويوجد كذلك نجار مفتن مجهَّز بآلات[١٥٧] دقيقة لإنجاز أعماله.

صناعة المحاريب: (راجع: Pls. LII, LIII) في هذا المنظر نشاهد صنع محراب من الخشب الأصفر المزخرف بالأبنوس، وُكِلَ بصناعته أربعة عمال، وفوق هذا المحراب مصراعَا باب، ويُشاهَد في ترصيع هذا المحراب صور تعاويذ وحليات ذوات قيمة فنية عظيمة، والمتن المفسر لذلك يقول (راجع: Pl. LIII, 3): «إن هذا الشريف هو الذي يضع القواعد، ويرشد أيدي الصناع الذين يصنعون أثاثًا من العاج والأبنوس، وخشب «سسترم»، وخشب «مرو»، وخشب الأرز الحر المجلوب من قمة منحدرات جبال «لبنان».»

ومن هذا المتن يظهر جليًّا أن الوزير «رخ مي رع» أراد أن يبرز أمامنا صراحةً ما له من باعٍ طويل وعلم غزير في الحِرَف، لدرجة أنه كان يتدخل في هذه الصناعات الدقيقة ليرشد الصناع بخبرته ودرايته فيها، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان سيده الفرعون «تحتمس الثالث» يضع التصميمات لبعض القطع الفنية، ثم يعطيها الصناع لتنفيذها، وفي هذا المنظر نرى كذلك كيفيةَ سير العمل وتدرُّجه حتى النهاية.

وزن المعادن الثمينة: (راجع: Pl. LV) وقد كان من أهم ما يُعتنَى به عند القائمين بوضع تصميمات القطع المعدنية الفنية؛ أن يزنوا للصياغ المقدارَ اللازم لكلِّ قطعة، على أن يتسلَّموها ثانيةً بعد صناعتها تامة غير منقوصة؛ ولذلك نشاهد في هذه الصورة الميزانَ الذي كانت تُوزَن به هذه المعادن (Pl. LV. row. 2). وفي المنظر الذي أمامنا نشاهد خمس حلقات من الذهب وُضِعت في إحدى كفَّتَيِ الميزان، وفي الكفة الأخرى وزن مقبب الشكل والآخَر على هيئة رأس ثور، كما نشاهد وحدات موازين أخرى بالقرب من الميزان لاستعمالها عند الحاجة، ويُلاحَظ من بينها وحدة في صورة فرس بحر، كما نشاهد ثلاث حلقات من الفضة وأربعًا من الذهب وُضِعت في سلة لتوزن، ومن المحتمل أن الرأس الذي يتوَّج به عمود الميزان هو رأس الإلهة «ماعت» إلهة العدل والحق، أي إنها وُضِعت في مكانها هنا لتنبه القائم على الوزن أن يزن بالقسطاس المستقيم.

ونشاهد كذلك في هذا المنظر معظم قِطَع الأثاث التي كانت تُستعمَل في المعبد، وبخاصة الأواني والأقداح والقواعد التي كانت تُوضَع عليها، وكلها قد صُنِعت من

---

[١٥٧] راجع ما كتبه الأستاذ «إسكندر بدوي» عن هذه الآلات في (A. S. XLII. p. 145 ff).

الذهب والفضة على التوالي، والمتن المفسر لهذا المنظر هو: «إعداد صياغ الإله آمون والمشرفين على صياغ آمون لإنجاز كل عمل لمقر الملك على حسب عملهم اليومي، وكانوا يحصون بملايين الآلاف في حضرة العمدة والوزير رئيس المحاكم الست العظيمة «رخ مي رع».»

طرق المعادن ولحم الأواني: ولدينا مناظر في مقبرة «رخ مي رع» توضِّح أمامنا عمليات طَرْق المعادن ولَحْم الأواني، فعملية الطَّرْق كانت بسيطة ساذجة، وذلك بأن تُطرَق بوساطة مدقَّة حتى تصير لوحات رفيعة (راجع: Pl. LV)، وهذا المعدن كان يُستعمَل بعد طَرْقه في صنع الأواني، والمتن المفسر هو: «صنع أوانٍ مختلفة لأجل أن يستعملها الإله لشخصه، وصنع عدد عظيم من الأواني الذهبية والفضة، وكلها منتجات خالدة.»

وقد كان لا بد من لَحْم بعض أجزاء الأواني، فكان المصري يستعمل في الوصول إلى ذلك طريقةً خاصة يستعمل فيها معدنًا خاصًّا يُذاب، والطريقة مشروحة كلها في الصورة (راجع: Pl. LII, LIII row. 3).

صَهْر المعادن: (راجع: Pl. LII. row. 2) وكذلك نشاهد في الصورة طريقةَ صهر المعادن وصبها في قوالب، ولما كانت المعادن المصهورة التي يحتاج إليها كثيرةً؛ فلذلك نشاهد أنه كان يقوم بهذه العملية عدة فِرَق كما يُشاهَد في المنظر.

صَبُّ المعادن: وكذلك لم يَفُتِ المفتن أن يرسم لنا كيفيةَ صبِّ المعادن في القوالب والأشكال المطلوبة (Pl. LII, LIII)، ونشاهد في المنظر الخاص بذلك صبَّ مصراعِ بابٍ لا بد أنه كان من النحاس (Pl. LII. row. 2)؛ ولذلك نشاهد قالبًا من الطين المحروق يوجد به ما لا يقل عن سبعة عشر ثقبًا يصبُّ في أحدها المعدن المصهور، غير أن هذه الصورة صعبة الفهم؛ لأننا لم نَرَ بابًا من النحاس قد صُبَّ دفعة واحدة بهذه الكيفية، كما أنه ليس لدينا ممَّا وصلنا من الأزمان القديمة ما يثبت ذلك، ومهما تكن العملية التي نشاهدها هنا، فإنها تدل على مشروع ضخم؛ ولذلك لم تُترَك لفرد واحد للقيام بها، فنشاهد العمال يمشون كأنهم جنود تحت الطلب حاملين آلاتهم وكأنها أسلحة قتال، ليساعدوا القائم بالعمل إذا اقتضَتِ الحال.

وقد نُقِش متن مع هذا المنظر يُحتمَل أنه كان أغنية يتغنَّى بها الحدادون وهم سائرون (راجع: Pl. LIII, row 3) ترويحًا للنفس، وهي: «مرحبًا يا «منخبر رع» يا ملك الآثار الجميلة، يا مَن أعطي الحياة مخلدًا! إنه موجود كما هي موجودة (الآثار)

أبديًّا! وإن «آمون» يعطيه ما يساويها من الحياة والسعادة؛ لأنه يقدم المرة تلو المرة العطايا إلى بيت والده المقدس.»

ويُشاهَد على يمين هذا القالب حقيبةً مملوءةً فحمًا، ثم ثلاثة رجال (Pl. LIII, 3) يحضرون ركيزة من النحاس وسلتين مملوءتين من نفس المعدن، وهؤلاء العمال يصفهم المتن: «بأنهم أحضروا نحاسًا آسيويًّا، وهو الذي جلبه جلالته من انتصاراته في بلاد «رتنو»؛ لأجل صبِّ بابَيْ معبد «آمون» بالكرنك، وهما اللذان قد غُشي سطحهما بالذهب الذي يسطع في أفق السماء، وقد كان العمدة والوزير «رخ مي رع» هو الذي يدير الأعمال لإنجازها.»

المباني والتماثيل: الأعمال الضخمة: (راجع: Plates, LIII, LXIII, "Paintings" XXIII) لقد كان ضمن الأعمال الإدارية التي اختصَّ بها الوزير «رخ مي رع» المباني العظيمة التي أقامها الفرعون في «الكرنك»، وممَّا يُؤسَف له جد الأسف أن الصورة التي مثل فيها وهو يشرف على هذه الأعمال قد هشمت، ولم يَبْقَ لنا من الموظفين الذين مثلوا معه فيها إلا عدد قليل.

ولكن لحسن الحظ قد أبقت يد المخربين على المتن الذي يصف لنا هذا المنظر، وهو: «إن «رخ مي رع»، وهو الشريف الذي يضع القواعد لمعابد الوجه القبلي والوجه البحري والقاضي الأعلى صاحب المكانة الممتازة، يقوم بفحص كل أعمال مؤسسة «آمون» في الكرنك، جاعلًا كل إنسان يعرف عمله المعتاد؛ وذلك لأن «رخ مي رع» هو الموظف المشرف على الأعمال.» وقد استعرض في هذا المنظر أمام الوزير أعمالًا كثيرة لم يَبْقَ منها إلا ما يشير إلى إنجاز مبنًى ضخم للإله «آمون»، بعضه باللبن وبعضه بالأحجار، ثم صناعة تماثيل، ونقل كتل من الأحجار يحتاج إليها بطريقي النيل واليابسة، وكذلك نشاهد تنظيمَ طوائف العمال الذين كانوا يساعدون على إنجاز هذه الأعمال العظيمة.

العبيد وصناعة اللبنات: (راجع: Plates LIII, LIX, "Paintings" XVI, XVII) كانت صناعة اللبنات من أهم الحِرَف السائدة في طول البلاد وعرضها، وبخاصة إذا علمنا أن بيوت الفقراء والأغنياء على السواء كانت تقام من هذه المادة في كل أزمان التاريخ المصري القديم، وذلك لاعتبارات صحية ودينية معًا؛ إذ كانوا يعتقدون أن المباني الدنيوية عرض زائل، كما كانوا لا يريدون أن يقيدوا مَن يجيء بعدهم بمبانيهم التي ربما لا تتفق مع ذوقهم أو ذوق العصر الذي يعيشون فيه، هذا فضلًا عن أن المباني التي باللبن تجعل المنازل رطبةً في أيام القيظ الشديد في مصر التي يمتاز جوها بالحر الشديد خلال أشهر الصيف.

ونشاهد في المنظر الذي خلفه لنا «رخ مي رع» صناعة اللبنات ونقلها، ويدل العرض الذي أمامنا على حيوية ومهارة عجيبة، فقد رسمت أمامنا البركة التي تُؤخَذ منها المياه كأنها لوحة مزخرفة بأزهار البشنين، وكذلك نبت على شواطئها المنحدرة الكلأ المتماوج (Paintings” Pl. XVI”)، والواقع أن المفتن الذي رسمها قد قدَّمَ لنا بركة نموذجية زين سطحها بالأزرق المموج، والعمال فيها قد انحنوا في الماء ليملئوا جرارهم ملونين بالألوان الجميلة، ممَّا أضفى على المنظر بهجةً ورواء، بدلًا من أن يرسمها مجرد حفرة فيها ماء، والمنظر يُعتبَر بمثابة ضوء لامع قد أُرسِلت أشعته على مكان قاتم مظلم، أما اللبنات التي كانت تُصنَع فترُى مصفوفة، يزداد عددها كلما ازداد إنتاج العمال بالقوالب التي في أيديهم، وعلى مقربة من العاملين اللذين يقومان بضرب الطوب، ترُى أكوام من التراب الذي كان يصبُّ عليه الماءَ رجالٌ قد لُطِّخت أيديهم وأرجلهم بالأوساخ، والمدقق في سحنة هؤلاء العمال يلحظ أنهم غرباء، كما يدلُّ على ذلك ما كتب أعلى هذا المنظر إذ يقول المتن: «الأسرى الذين أحضرهم جلالته لأعمال المعبد.» والواقع أننا نجد بينهم سوريين ذوي بشرات بيضاء وأعين زرقاء، كما يوجد بينهم نوبيون يمتازون بجلودهم الحمراء وشعرهم المصبوغ باللون الأحمر، هذا فضلًا عن وجود آخرين لا يكاد الإنسان يميزهم من المصريين، ومما يلفت النظر هنا أن السوريين كانوا كلهم متقدمين في السن كما يُفهَم من شعورهم البيضاء (Plate XVII)، على أن ذلك قد يكون مجرد لون يدل على بياض البشرة.

أحجار المباني: (راجع: Plates LVIII–LXV; “Paintings” Pl. XVII) من المدهش أن العمل الذي يقوم به الصناع في هذا المنظر قيل عنه في المتن المفسر له: «إنهم يصنعون لبنات لبناء مصانع جديدة للإله «آمون» في الكرنك.» غير أن ما نشاهده في الصورة يختلف عن ذلك؛ إذ نجد أمامنا «سوريًّا» يضرب «ببلطته» في كومةٍ من قطع الأحجار، هذا إلى أن هذه الأحجار لا تدل على أنها آجر محروق؛ لأن هذه المادة كان لا يستعملها المصري في تلك الفترة من تاريخ البلاد، يضاف إلى ذلك أنه كتب فوق صورة عامل يحمل قطعة واحدة بيضاء من الحجر المتن التالي: «إن المشرف يقول للبناء إن قطع الحجر جميلة في يديه.» ونشاهد في منظر آخر مبنًى يقام في معبد الكرنك، وقد صنع له منزلق كالذي نراه حتى الآن في الكرنك، مبني باللبن والطين واليراع وأغصان الأشجار وغير ذلك (راجع: Pl. LX)، كما نشاهد لذلك منظرًا يصوِّر لنا جرَّ الأثقال وبخاصة الأحجار الثقيلة (راجع: Pl. LVIII)، وفي ثالثٍ يُشاهَد تسوية الأحجار (راجع: Pl. LXII) والآلات المستعملة لذلك، ثم نرى كذلك كيفية وضع الألوان والزخرفة (راجع: Pl. LXXIII, 2).

تماثيل معبد «آمون» ونحتها: (راجع: Plate. LX) وقد كان من الضروري بعد إتمام بناء المعبد من القيام بعمل ما يلزمه من قطع فنية كان لا بد منها، وبخاصة تماثيل الإله، وقد أسعدنا الحظ بأن حُفِظت لنا صورة فخمة نشاهد فيها نحت التماثيل الضخمة التي لا تزال حتى الآن موضع إعجاب العالم بأسره؛ ففي الصورة نرى تمثالين نُحِتَا ضعفي الحجم الطبيعي، وقد وقف نحاتون على حمالات يعمل كلٌّ فيما كُلِّف بإنجازه، والظاهر أن هذين التمثالين قد نُحِتَا من الجرانيت الأحمر.

وكذلك نرى تمثالَيْ «بو الهول» ومائدة قربان عظيمة من الحجر الجيري الأبيض، وهناك تمثال ضخم جالس يمثِّل «تحتمس الثالث»، يعمل في إنجازه ثلاثة نحَّاتين كلٌّ منهم يقوم بالعمل الخاص به، فصانع يهذِّب القطع الزائدة وآخَر يصقل سطح التمثال بحجر صلب، أما الأخير فكان يصنع التفاصيل الأخيرة التي يُعَدُّ بعدها التمثال قد تمَّ نهائيًّا.

وقد كان المفتن يقوم بإنجاز الخطوات التي يجب أن تتخذ الواحدة تلو الأخرى، غير أنه على ما يظهر جعلها كلها تُنجَز في آنٍ واحد؛ ففي حين نرى صانعًا يعمل بمدقته، كان هناك آخَر يقوم بعملية التلوين أو مداواة القطع التي أصابها عطب بالجص.

أما مائدة القربان التي كانت لا تحتاج إلا للنقش، فقد كان يعمل فيها صانع بمدقته وحسب.

ومما هو جدير بالملاحظة هنا من الوجهة الفنية أن المفتن قد حاوَلَ أن يصوِّر لنا أحدَ الصناع وهو يعمل في وضعٍ كان يجب فيه أن يكون جسمه ملتويًا، وهذا يذكِّرنا بالمحاولة الجريئة التي حاوَلَها المفتن في تصوير خادمة في وليمة في مكان آخَر من هذه المقبرة بعينها، وهي في وضعٍ يُظهِر لنا ثلاثة أرباع جسمها، أما التمثال الذي يُشاهَد واقفًا في الصورة، فيلحظ أن نقَّاشًا يقوم بنقش متنه باللون الأخضر. وهذه الصورة على الرغم من أنها تساعدنا على فهم سير العمل، فإنها تتركنا في دهشة عظيمة إلى حدٍّ بعيد جدًّا؛ وذلك أن النحَّات المصري القديم قد أبرَزَ لنا إشارات هيروغليفية متقنة في أصلب الأحجار بآلات خشنة على حسب ما نشاهد في الصورة، وقد وضح هذا المنظر بالمتن التالي: «طائفة منتخبة من جماعات الصناع الذين يعملون في هذا البناء الذي أقامه جلالته بإرادة الوزير «رخ مي رع»؛ لأجل أن يبقى على عرشه في معبد آمون والآلهة الذين في ركابه «في الكرنك».»

وليمة أسرية: إن منظر الوليمة التي كان يُدعَى إليها كلُّ أهل صاحب المقبرة عامة، يُنظَر إليها في العادة بأنها كانت تقام في عالم الآخرة بعد الموت، ولكن الواقع أنها كانت لا بد تقام كذلك في مدة حياته، وفي الحق أن التمييز عند المصري بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة يكاد يكون لا وجود له؛ وذلك لأن روح المتوفى (كا) يمكنه أن يكرر ما كان يعمله وهو إنسان حي يُرزَق، وسنرى فيما بعدُ أن هذا العمل المزدوج قد أتاح للمصري أفقًا واسعًا، على شرط أن تكون الأعمال التي يأتيها وهو في عالم الآخرة من التي تأتيها في الحياة الدنيا. وعلى أية حال فلدينا منظر الوليمة التي أقامها «رخ مي رع» للموظفين، وهي بلا نزاع لا تمتُّ بصلة لمناظر الآخرة (راجع: Pls. CXI, CXII; "Paintings" XXV)، وقد شغلت الوليمة التي أقامها «رخ مي رع» لعشيرته الأقربين حيزًا كبيرًا (Pls. IV, LXIII–LXVII, LXIX, 2, & "Paintings" Pl. XXVI).

ويُلاحَظ على وجه الضيفان الفرح والسرور، في حين أن محيًّا صاحب الوليمة لا يمكن قراءته على وجه التأكيد، وذلك على الرغم من أن تقديم الصاجات له كان من الأشياء المحبَّبة إلى نفسه، فإن تقديمها يُعتبَر في غالب الأحيان احتفالًا دينيًّا للمتوفى.

وينقسم رسم هذه الوليمة العظيمة التي مثلت أمامنا إلى منظرين علوي وسفلي؛ أولهما وهو العلوي خاص بوليمة النسوة (Pls. IV., LXIII–LXVII)، والمنظر الثاني وهو السفلي خاص بوليمة الرجال (راجع: Pls. LXVI–LXVII, LXIX, 2)، فيُشاهَد «رخ مي رع» وزوجه مريت يشتركان في المنظرين وهما يتقبلان البركات الإلهية من أبنائهما وبناتهما، ويُلاحَظ أن كلًّا من المنظرين قد فُسِّر بمتن خاص يكشف لنا عن الغرض الذي من أجله أُقِيمت هذه الوليمة الشاملة، وهاك المتنين (راجع: Pls. LXIII, LXIX, 2).

الأول يصف المناظر التي يلمس فيها «رخ مي رع» الصاجات وعقود منات التي تقدِّمها له امرأتان وفتاتان، وجميعهن بلا شك من بناته وهو: «التمتُّع برؤية الطعام الطيب والموسيقى والرقص والغناء والتدليك بزيت البلسم، والتدهين بزيت الزيتون، وشم البشنين، والخبز والجعة ونبيذ البلح، وكل ما لذَّ وطاب ممَّا يُقدَّم لروح (كا) الحاكم الوراثي وعمدة المدينة والوزير «رخ مي رع»، وكانت زوجته حبيبة قلبه ربة البيت مريت في صحبته.» وكتب فوق النسوة المتن التالي عندما كنَّ يقدِّمن تحياتهن لعمدة العاصمة فيقلن: «ليت بنت «رع» تحبوك وتكرمك! وليتها تحيطك بحمايتها يوميًّا عندما تضم شخصك! المس جلالتها عندما تلف ذراعَيْها حول كتفيك حتى تتمتع بحياة مديدة سعيدة على الأرض، وتضمك الحياة والسعادة والصحة.»

وفي المنظر السفلي (Plate, LXIX, 2) يُشاهَد «أمنحتب» بن «رخ مي رع»، ويُحتمَل أنه كان يقدِّم أزهارًا مزيَّنة، والمتن الموضح للمنظر لا توجد فيه النعومة النسوية التي لاحظناها في المتن السابق، وهو: «التمتع بالابتهاج السار، وبمشاطرة الطعام الطيب، بشم بشنين الصيف، وبزيت البلسم الذي يعطِّر قمة الرأس، لأجل روح الأمير الوراثي وعمدة المدينة والوزير «رخ مي رع» وزوجه «مريت».» أما المتن الذي نُقِش فوق الذين يقدِّمون أزهارًا فهو: «أما ما قيل فهو: خُذْ زهر البشنين الذي قُطِف من حديقتك المروية؛ لأنك لن تحرمها، وليتها تغدق عليك كلَّ أنواع الفاكهة الطيبة والطرائف التي تنمو فيها حتى تستطيع أن تتمتع بلذائذها وتنعم بخراجها، وأن يكون لقلبك نصيب في أشجارها النضرة، وأن تنعش بظل أشجارها، وتعمل فيها كل ما يصبو إليه قلبك أبد الآبدين.»

أغاني الموسيقيين: (راجع: Plate LXIV, LXVI) كان يوجد في كلتا الوليمتين موسيقيون يغني كلٌّ منهم على الطريقة المصرية المعروفة عند الضرب على آلات الطرب والتصفيق على الأيدي بطريقة منظمة، وقد نظمت مقطوعة للنساء ليشعر الإنسان في ألفاظها بنغمة غنائية، أما أغنية الرجال ففيها طول وليس فيها ما يبعث على المرح والسرور، وهاك المقطوعة التي كانت على ما يرجح تتغنى بها النساء: «ضَعِ المرهم العطري على غدائر «ماعت»؛ لأن الصحة والحياة معها ... يا «آمون» إن السماء قد رفعت لك، وإن الإله «بتاح» يقيم بيديه لك محرابًا ليكون بمثابة مكان راحة لقلبك، تعال يا أيها النسيم، لقد بصرت بك عندما كنتَ على البرج (؟).»

أما أغنية الرجال مخاطبين «رخ مي رع» فهي: «ليت نسيم الصبا الحلو يكون في أنفك والنفس لخيشومك! استولَ على القربات الملكية التي رفعت إلى موائد قرابين رب الكل حتى تنعم روحك، أنت يا أيها العمدة الممدوح من آمون يا «رخ مي رع»، وليت السنين التي كتب الله لك أن تقضيها تكون مقرونة بالفلاح العظيم، وليتك تعيشها مشمولًا بالعطف وبصحة وفرح، وما تقوله معتمد منذ كنت إلهًا، وأعداؤك مقهورون في بيتك الذي اقترن بالأبدية، ووصل بالخلود، وليت الحياة المشمولة بالحظوة تكون من نصيبك، وليت لك يوم عيد أي يوم عيد حقيقي من أعياد الجنة، وكذلك يمضي تمثالك يوم العيد يا أيها العمدة؛ لأن جمالك قد خلد في بيت «آمون».»

النساء يرجلن شعورهن بأساليب رشيقة: قد يطول بنا الحديث إذا تكلمنا بإسهاب عن كل من الطائفتين على حدتها، بل سنقصر الكلام على ما يلفت النظر في كلٍّ؛ وأبرز

ما يسترعي النظر في زي السيدات أنهن كن يرغبن في أن يقوم على خدمتهن فتيات رشيقات في ميعة الصبا وشرخ الشباب، ولا يبعد أن هاتيك الفتيات العذارى كن بنات هؤلاء السيدات؛ وعلى أية حال نلحظ أنهن كن يقمن أحيانًا بمساعدة هاتيك العذارى في أثناء الوليمة، والظاهر أن النساء جميعًا في هذا الحفل كانت شعورهن طبعية؛ إذ كانت تُرى مسبلةً في غدائر طويلة، ويُلحظ أن الفتيات الخادمات كانت شعورهن مرجلة بأساليب صبيانية تُشعِر بالدلال والصبا والأنوثة الناعمة، فمعظم شعرهن قد بَدَا قصيرًا، اللهم إلا غدائر طويلات أُسبِلت على صفحات وجوههن أو على قمة الرأس، وهذه الغدائر تُرَى مصفوفةً بعناية ودقة ورشاقة، وكأنَّ المفتن قد أراد أن يتخذ من شعورهن خمارًا أسود يستر به بشرة الوجه الناعمة، فتكون محجوبة عن أعين الناس مما يزيد في الإغراء، ولكن هذا الخمار الشفيف المغري كان يُبدِي ما يستر تحته جليًّا، عندما كانت العذراء تنثني يمنة أو يسرة، وسرعان ما تقف منتصبة ثانيةً حتى ترى خصل الشعر قد تجمَّعت كرة أخرى فسترت وجهها الصبيح. أما الغديرة التي كانت في قمة الرأس، فتسدل على ظهر الفتاة، اللهم إلا ضفيرة صغيرة منها كانت تسبلها الفتاة على جبينها مصفوفة بأناقة ورقَّة يعرفها المصريون قديمهم وحديثهم، وعلى أية حال قد يكون من الصعب علينا أن نفرِّق بين المرأة المسنة والعذراء الفتية، عندما يكون كل الشعر مسبلًا على الكتف (انظر لوحة ١١)، وقد أظهر المفتن براعته في تصوير شعور الفتيات في اللحظات التي يكنَّ فيها جذَّابات خلَّابات لعين المصري القديم والحديث طبعًا.

ملابس الفتيات وواجباتهن: ومما يستلفت النظر في ملابس السيدات هنا أن الفتيات صاحبات الأجسام الغضة الجذابة، واللاتي كنَّ يأخذن بمجامع القلوب في ملابس السهرة المتهتكة، هن اللاتي قد ارتدين الملابس التي تُشعِر بالوقار والتعفُّف، فقد ظهرن بملابسهن المحبوكة التي تستر كل محاسنهن. والظاهر أن المفتن كان يشعر في قرارة نفسه أن المحاسن المخفية عن الأنظار هي التي تكون أكثر إغراءً للنفس وشحذًا للخيال ومدعاةً لحب الاستطلاع، غير أن المفتن مع ذلك لم يكن في مقدوره أن يُظهِر حليةَ الفتاة كما كانت على حقيقتها.

أما الدور الذي كانت تقوم به أولئك العذارى الحسان فلم يكن فيه كبير مشقة أو عناء؛ إذ كان كل عملهن منحصرًا في تدليك معاصم السيدات المدعوات، وتطويق جيدهن

بقلائد الأفراح، ويصببن لهن النبيذ أو الجعة في كئوسهن، ومرحبات بهن قائلات لكلٍّ: «من أجل حضرتك! أتمنى لك أن تقضي يومًا سعيدًا.»

وقد برزت بين أولئك السيدات سيدة تلقفتها الأعين وتحوَّلت إليها الأنظار، وبخاصة لما كان أمامها من طعام غزير، وكرسيها الوثير الذي كانت تجلس عليه، وهو من نوع الأثاث الذي سنراه شائع الاستعمال فيما بعدُ، وهذه السيدة هي وصيفة الملكة والأم المحبوبة «بت» والدة الوزير «رخ مي رع»، ونشاهد فتاة خادمة تصب لها الجعة مرحبة بها قائلة: «لحضرتك، أقضي يومًا سعيدًا وأنت على الأرض؛ لأن إلهك «آمون» الذي يعطف عليك ويحبك قد كفل لك ذلك.»

على أن هناك تفاصيل طريفة في وليمة السيدات تستحق الذكر، منها ما نلاحظه من أن المصري الذي كان يحتاج إلى تصفية الجعة بمصفاة (Pl. LXI. row, 1)، مما يوحي بأنه لم يصل إلى طريقة مهذبة لعمل الشراب.

وكذلك نشاهد في الصف الأول من هذا المنظر ثلاث نسوة يوقعن بأيديهن للضارب على العود، ويقدم لهن الشراب والعطور (Pl. LXIV. row 2)، وتدل ظواهر الأحوال على أنهن كنَّ يَفُهْنَ بنكات لا بغناء، يدل على ذلك النقش الذي كُتِب فوقهن وهو: «هل من الجائز أن الإلهة «ماعت» (إلهة العدل) هي التي يظهر على محياها الرغبة في أن تسكر سكرًا عميقًا.»

والآلة الموسيقية التي تُشاهَد خلفهن على الأرض أشبه بالربابة، ويُحتمَل أنها نوع مختلف عن العود المعتاد، تمتاز بثقلها عنه، وكان يُضرَب بها، وهي موضوعة على الأرض.

نقد المنظر: ولا نزاع في أن هذا المنظر في نظرنا له مساوئ كما أن له محاسن، فتصوير الفتاة الخادمة ملتفتة لفتة تُظهِر ثلاثة أرباع جسمها (انظر الصورة ١١) كانت تُعَدُّ بلا شك خطوةً جريئةً من جانب الرسام، وهي من الأمثلة القليلة جدًّا التي حاوَلَ فيها المفتن المصري أن يخرج على التقاليد القديمة في رسم الصور الآدمية، التي كانت دائمًا جانبية (راجع: Davies. M. M. A. XXIII. (1928). Feb. Sec. II. p. 63. and Tomb. 95).

ولا يبعد أن زملاءه قد أُعجبوا به لقوة ملاحظته ومهارته في رسم الصور على حقيقتها، والواقع أن هذه الصورة كانت اتجاهًا جديدًا في رسم الأشكال الآدمية، غير أن المفتن قد ارتكب بعض الأخطاء في هذه المحاولة؛ إذ قد ترك القدمين دون أن يضعهما في الوضع الذي يلائم صورته.

تولِّي أمنحتب الثاني عرش الملك وموقفه من الوزير «رخ مي رع»

صعد تحتمس الثالث إلى السماء كما تقول النقوش المصرية قبل أن يتم الوزير «رخ مي رع» نقوش قبره، وسواء أكان هذا الوزير العظيم يعلم ما كانت تخفيه له الأيام من خير أو شر على يد العاهل الجديد، فإن الحوادث لم تعاجله، المصائب لم تباغته قبل أن يقوم بالدور الذي لعبه في تولية الملك الجديد على عرش الملك والاحتفال به، غير أن ما نشاهده في النقوش الخاصة بذلك قد أُحِيطت بجوٍّ من الغموض والإبهام القاتم جدًّا، فالمناظر الأخيرة التي دوَّنها «رخ مي رع» (راجع: Pl. LXX, LXXI) تصوِّر لنا الاستقبالَ العاطفي الذي استقبلته به أسرته عندما عاد إلى «طيبة» بقلب ملؤه الفرح والغبطة؛ إذ كان قد غادرها في رحلة لمقابلة مليكه الجديد الذي لم يكن في مقر الملك (طيبة).

(أ) المتن الموضح لهذه الرحلة

(راجع: Fig. 8. & Plates LXIII, LXX, “Paintings” LXVI) وقد ترك لنا «رخ مي رع» نقشًا عن رحلته لمقابلة مليكه، يمكن به فهم الغرض منها وهو: «وصول عمدة المدينة «رخ مي رع» عائدًا من «حت سخم» (وهي بلدة «هو» الحالية) في سفرته لمقابلة جلالته؛ ليقدم له طاقة أزهار بوصفه ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عا خبر رع» — ليته يُعطى الحياة مخلدًا — والآن كان هذا الوزير هو مدير الأعمال والمشرف على رجال الصناعة، وصاحب الرأس اليقظ جدًّا في إدارة أعمال سيده، وكل أثر في معبد «آمون» وفي محاريب آلهة الوجه القبلي، والوجه البحري، ومَن كان يعمل لهدف، ومَن بنى للأجيال القادمة كما كان يرغب جلالته، ومَن كان يُظهِر نشاطًا جعل الناس يدعون الله له، وقد منح ذهب الرضا لما كان له من قبول حسن عند سيده (؟) الذي كان ينفذ له أوامره، وعندما وصل إلى طيبة (التي يطلق عليها اسم «التي تواجه سيدها») مغمورًا بالعطف الملكي، تملك الفرح قلوب خدَّام معبد «آمون»، وكذلك كان كل مواطنيه يقيمون الأفراح معًا، وكانت كل البلاد يعمها السرور؛ فأثنوا على ملك مصر، وتعبدوا «حور» صاحب الساعد القوي؛ لأنهم رأوا أن «ماعت» قد نالت مكافأةً من الذهب النضار — ليت قبلتها تحمل الحياة والرخاء لابنها ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عا خبر رع»، وليتها تجعله يمضي سنين وفيرة مثل «رع» مخلدًا.»

ومن هذا المتن نفهم إذن أنه عندما قضي «تحتمس الثالث» كان ولي العهد يقيم في الشمال في بلدة «برونفر» (؟) (ضاحية في منف)، وأن «رخ مي رع» غادَرَ طيبة في الحال

على متن سفينة؛ ليقابل العاهل الجديد الذي وصلت «لرخ مي رع» الأخبار عنه، أنه في طريقه نحو الجنوب ليتسلم مقاليد الأمور هناك؛ وليكون واثقًا من أن صعيد مصر في قبضة يده، غير أن النقوش تخبرنا أن «رخ مي رع» قابل الفرعون الجديد في «حت سخم» (بلدة «هو» الحالية)، وتقع على بُعْد سبعين ميلًا شمالي طيبة، فمن الجائز جدًّا أن المقابلة في هذه البلدة كانت مجرد صدفة، وأن الفرعون قد حطَّ فيها رحاله مؤقتًا في طريقه إلى «طيبة» عاصمة ملكه؛ وذلك لأنه ليس من المعقول أن يكون للفرعون قصر في هذه البلدة وآخَر في «طيبة»، أما ما قام به «رخ مي رع» من تقديم طاقة أزهار للفرعون مع أنه حادث غاية في البساطة، فقد كان في الواقع ذا معنًى عميق جدًّا؛ إذ كان يدل على أن «رخ مي رع» هو الرأس المنظم للكهنة، هذا فضلًا عن أنه كان وزير البلاد الأعلى، فهذه الطاقة إذن كانت تحمل في أزهارها وأوراقها بركةَ الإله «آمون» للفرعون الجديد، ولا غرابة إذن في استقبال الفرعون «رخ مي رع» وزيره ببالغ الحفاوة ومظاهر الرقة والعطف كما تحدثنا النقوش، فيشاهد في الصور (راجع: Pl. LXX) «رخ مي رع» وهو يحمل القلادة التي حباه بها مليكه مطوقًا بها جيده، وتشمل حبات من الذهب مؤلَّفة من ثلاثة أسماط، وكذلك نشاهده محلِّيًا رسغه ومعصمه بأساور من ذهب، ممَّا أنعم عليه الملك به في هذه المناسبة، وقد كان في ركاب الوزير أربعة من خدمه يحملون كل ما عساه أن يحتاجه، وأربعة آخَرون يحملون قربانًا من الطعام والأزهار بمثابة رمز معبِّر عن ذلك الاستقبال الرائع الذي قابله به الشعب، كما جاء في النقوش السالفة.

استقباله بين عشيرته: (راجع: Plates LXX, LXXI) لقد كان طبعيًّا أن يكون أول مَن يستقبل الوزير «رخ مي رع» عند عودته إلى طيبة بعد مقابلة الفرعون هم عشيرته الأقربون، والواقع أنهم قد استقبلوه استقبالًا حارًّا، وقدَّموا له طاقة أزهار معبِّرين عن فرحهم؛ إذ قد علموا الآن أنه قد وطد في وظيفته الرفيعة، ولا سيما أن أقدار عشيرته وحظوظهم كانت تعلو وتنخفض على حسب ما يصيبه من نجاح أو خيبة في منصبه، وهنا نشاهد ابنه «منخبر رع سنب» الكاهن الثاني للإله «آمون»، يقدِّم لوالده طاقةً من الأزهار قائلًا: «لحضرتك رائحة الأزهار البرية التي قدمت أمام رب الآلهة «آمون» إله مصر القديم.»

وفضلًا عن ذلك نشاهد ستة من أولاده الذكور، ويجوز أنهم من أقاربه فقط، يحملون أزهارًا قد نسقت في أشكال متنوعة، وأسماؤهم قد مُحِيت، ويُحتمَل أن الأخير منهم هو أحد أحفاده ويُدعَى «قن آمون»؛ وكان أولهم هو المتكلم عنهم إذ يقول: «تقبَّلْ

أزهار البطاح اليانعة؛ لأنه (أي: الإله) يحبوك ويحبك.» أما المستقبلون له من السيدات قريباته، فقد كان عددهن لا يقل عن الإحدى عشرة ابنة أو حفيدة، وقد كانت كلٌّ منهن تقوم بدور مغنية للإله «آمون»، وتحمل صاجة وعقد «منات»، أو صاجتين من الذهب الباهت أو الفضة، وقد كنَّ يحيين «رخ مي رع» بالكلمات التالية: «إنك تأتي في سلام إلى المدينة الفاخرة؛ لأنك تسلَّمت منح رب القصر.» أما عن «طيبة» فقد احتشدت في بهجة وسرور؛ لأن أهلها قد رأوا «ماعت» خلفك (أي: تحميك)، وكلمة «ماعت» هنا لها معنًى عميق، وذلك أننا عندما نعلم أن هذه الإلهة التي تتمثَّل فيها الاستقامة والعدالة كانت غالبًا خلف الفرعون في الصور الرسمية، وأن «رخ مي رع» كان يمثِّل الفرعون في هذه الأيام الحرجة، فلا نستغرب إذن أن يستقبله الشعب في «طيبة» بحفاوة تقرب من حفاوته بالملك نفسه، وقد كان ذلك أمرًا طبعيًّا على الرغم من أنه لم يكن من الحكمة في شيء؛ إذ كان الفرعون بعد أن تأكَّدَ من ولاء أهل الصعيد له قد ولَّى وجهه شطر الشمال ثانيةً من بلدة «هو»، التي قابَلَه فيها «رخ مي رع»، وأن وزيره قد قُوبِل بالترحاب والابتهاج في «طيبة» بوصفه ممثله المفوض.

السفينة التي قام «رخ مي رع» بالرحلة فيها: (Plates LXVIII, LXIX, I) لم يَفُتْ «رخ مي رع» أن يصوِّر لنا الأبهة والعظمة والجلال التي كانت تحيط به في سفرته الرسمية لمقابلة الفرعون الجديد، وإعلانه له بأنه قد أصبح فرعون مصر الجديد، فرسم لنا صورتين عظيمتين للسفينة التي ركبها في سياحته لمقابلة الفرعون، ففي الأولى تظهر السفينة، وقد أُعِدَّتْ بأحسن المعدات مسرعة في سيرها نحو «طيبة»، وكل نواتيها يجدفون وشرعها منشورة، أما الصورة الثانية فتمثِّل أمامنا نجاح الرحلة؛ إذ نشاهد نفس السفينة واقفة في مرساها وشرعها مطوية وأنزل علمها، وقد غادرها كلُّ مَن كان على ظهرها لمقابلة الفرعون، ويُلاحَظ أن هذه السفينة قد رُسِمت بحجم كبير لتتناسب مع المهمة التي قامت من أجلها، والشخصية العظيمة التي كانت على ظهرها، والظاهر أنها لم تكن سفينة حربية[١٥٨] كما يظهر من إعدادها، وبخاصة أن صورة الإله «منتو» إله الحرب لم تكن مصوَّرة عليها .(Davies, "Tomb of Ken Amon". Pl. 1, XLII, LXVIII)

[١٥٨] راجع: Sâve Soderberg: The Navy of the 18th. Dynasty (Uppsala 1946).

منظر وليمة رسمية: (راجع: Plates CXI, CXII, 1–2 & “Paintings” XXV) ليس لدينا ما يفسر لنا موضوع هذا المنظر على وجه التحقيق، وبخاصة أنه ليس له نظائر في قبور عظماء القوم، والآن يتساءل الإنسان هل هذا المنظر من المناظر التي كانت تحدث عادة في حياة الوزير عندما كانت تحتم عليه الأحوال دعوة موظفيه ليستشيرهم أو يلقي عليهم تعليمات، أو هل كان هذا الاجتماع قد عُقِد بسبب موت الفرعون؟ وممَّا يُؤسَف له أن المتن الخاص ليس صريحًا (Paintings Pl. XXV) فاستمع إليه: «الحاكم الوراثي وعمدة المدينة والوزير «رخ مي رع» جالس في القاعة العظمى، بعد أن عاد من معبد «آمون» بالكرنك، وقد أدَّى الشعائر هناك لجلالته هذا الإله، واستعلم عن أحوال هذه الأرض.» ويُلاحَظ أن النعوت التي يُوصَف بها الوزير في هذا المنظر لها علاقة تميط اللثام بعض الشيء عن الغرض من هذا الاجتماع، وبخاصة وصفه بأنه هو الذي يسيطر على المرافق العامة ويضع المنهاج للقضاة، على أنه لدينا متن آخَر على يمين هذا المنظر (راجع: Pl. CXII, 1) يصف لنا المنظر بعض الشيء وهو: «موظفو المجلس والمشرفون … وافدين ومقدِّمين أنفسهم أمام الوزير ليتناولوا وجبةً في حضرة … «رخ مي رع»، عندما حضر من معبد «آمون» بالكرنك، بعد أن أدَّى الشعائر هناك لروح الفرعون الراحل وعين … ووضع الأنظمة الخاصة بواجباتهم اليومية (؟) …»

والواقع أننا نجد صدًى لما جاء في المتن الأخير، وبخاصة «وضع الأنظمة للواجبات اليومية»؛ إذ نشاهد في المنظر طائفةً من الكَتَبة، كلٌّ منهم يواجه زميله، فالذين على اليسار (راجع: Pl, CXII. 1) كَتَبة في خدمة الوزير، أما من على اليمين فهم كَتَبة المجلس الذين يدوِّنون الأوامر الجديدة، وكذلك كان يوجد بينهم حاجب لمراعاة القواعد المتَّبَعة في مثل هذا الاجتماع، وممَّا يُؤسَف له أن المتن الذي كان لا بد أن يُلقِي ضوءًا على هذا الاجتماع لم يَبْقَ منه إلا نتف صغيرة لا تشفي غلة، غير أن ما تبقَّى مع ذلك يُشعِر بأن قاعة الوزير كانت مزدحمة، ويكشف عمَّا أظهره من كرم وسخاء لضيفانه.

والمنظر كما هو يحتوي على فجوةٍ يُحتمَل أنه كان فيها ضيفان يجلسون، وممَّا يلفت النظر في هذه الصورة أن الوزير كان يتناول طعامه محجوبًا عن الضيفان بستار متحرك (راجع: Pl. CXI) كأنه ملك، وقد يعزِّز هذا الرأي ما نراه من أشخاص يقبِّلون الأرض بين يدَيْه، والظاهر أن الخدم كانوا يحضرون الطعام أمام الوزير وهو في خلوته، ثم يخرجون به ليُقدَّم للضيفان، ولا نزاع في أن السُّجُف التي أُقِيمت بين الوزير وضيفانه كانت تحجبه عنهم تمامًا، ولا أدل على ذلك من أننا نشاهد بعضهم

وقد جلس موليًا ظهره شطر الوزير. هذا ويفهم من المنظر أن الخدم كانوا في حركة مستمرة، يقدِّمون الطعام والشراب إلى الضيفان بكل نشاط وهمة.

الصمت المطلق عند ذكر موت الفرعون كان عاديًّا عند المصريين: وليس لدينا أية إشارة تدلُّ على علاقته بموت فرعون واعتلاء آخَر مكانه، اللهم إلا إذا اعتبرنا إقامة الشعائر الدينية التي أدَّاها الوزير لتمثال الفرعون المتوفى في هذا المعبد قبل حضور هذا الاجتماع، كان السبب المباشر لعقد هذا المجلس من الموظفين؛ إذ ليس من المعقول أن موت فرعون عظيم مثل «تحتمس الثالث» الذي حكم البلاد عهدًا طويلًا، يمر دون أن يحزن له الشعب أو يُظهِروا شعورهم نحوه في مظاهرات قومية أو إقامة حفل ديني، غير أنه قد جَرَتِ العادة في معظم الأحيان أن يصمت الشعب صمتًا تامًّا عند وفاة الفرعون، وربما يُعزَى ذلك إلى أن إعلان موت الفرعون يُعَدُّ موضوع خزي وخجل؛ إذ إن الفرعون كان يُعتبَر إلهًا، والإله لا يموت بل يبقى حيًّا مخلدًا؛ ولذلك لا يعبر عنه أنه قضي بل يقال عنه إن حور (أي: الملك) قد طار إلى السماء، وإن حور آخَر من ظهره قد حلَّ محله على الأرض، وكان الملك الجديد يعلن ألقابه وحسب، وعلى ذلك كان حور لا يزال يحكم البلاد، ولكنه سمي «عا خبرو رع» بدلًا من «منخبر رع»، فالملك إذن في الواقع لم يَمُتْ، وفضلًا عن ذلك بقي «رخ مي رع» وزيرًا.

منظر المتظلمين المساكين: (راجع: Pl. LXXII) لسنا نعرف السببَ الأكيد الذي حدا بالوزير «رخ مي رع» على أن يضم هذا المنظر إلى المناظر التي تركها لنا على جدران قبره، اللهم إلا إذا كان الغرض منه رغبته في أن ينال شهرةَ الحاكم الشفيق الذي لا يحيد عن الحق، كما أظهر نفسه بهذا المنظر في مناسبات سابقة (راجع: Pls. XXIV, XXV)، والمتن المفسر لهذا المنظر الغريب هو ما يأتي: «إن الوزير «رخ مي رع» يخرج إلى عالم الدنيا عند مطلع الفجر ليؤدي شعائره اليومية، وليستمع إلى تظلمات الأهلين وشكاوى الوجه القبلي والوجه البحري، دون أن يصدَّ صغيرًا أو كبيرًا، ومغيثًا البائس ومخفِّفًا عبء مَن أثقل كاهله، ومجازيًا مقترف الشر.»

على أن ما يتركه هذا المتن في نفس القارئ من أثر حسن في إقامة العدالة، لا يتفق تمامًا مع ما نشاهد من حوادث تقع في الصورة التي أمامنا؛ إذ نشاهد جمًّا غفيرًا من الكَتَبة والحجَّاب لا يتناسب مع المقام، هذا فضلًا عن المعاملة السيئة التي كان يُعامَل بها المذنبون، والمحاولات الكثيرة التي كان يحاولها المتظلمون لإغراء صغار الموظفين بالرشوة لقضاء حاجاتهم، على أن كل ذلك لا يعني أنه لا يتفق مع ما يجب أن تُظهِره

الحكومة من غيرة مشكورة، ونجاح حقيقي في القيام بالواجب الثقيل الملقى على عاتق حكومة منظمة عادلة، بل الواقع أن الصورة تدل على أمانة ساذجة في التعبير؛ ولذلك يمكن أن تُفسَّر على وجه حسن بالنسبة للحكومة، وهذا فضلًا عمَّا فيها من صور تعبِّر عن الواقع بشكل رائع، كالمرأة التي تشاهد وقد لُفَّ ذراعها بالأربطة، وقد رفعت يدها متظلمة ممَّن اعتدى عليها بكسرها، وبهذه المناسبة نذكر هنا أن أحد الباحثين قد جاء في تقرير وضعه: إنه قد لاحظ في القبور المصرية نسبة كبيرة بين النساء اللائي قد أُصِيبت معاصمهن بأذًى أو كسر.

وممَّا يلفت النظر هنا كذلك أن ذهاب الوزير لأداء فروضه الدينية قبل أن يبدأ القيام بعمله الرسمي، يجعلنا نعتقد أن الصلاة في المعابد لم تكن مجرد تأدية فرض وحسب، بل كانت رادعًا خلقيًّا يظهر أثره عند الفصل في المظالم والشكاوي بالعدل. ولا نزاع في أن وزيرنا المؤمن بربه قد ذهب صباحًا ليؤدي فريضة الصلاة، داعيًا إلى الله أن يلهمه الصواب في المسائل التي سيجلس للفصل فيها بعد مغادرته المعبد؛ وهكذا كان ينظر المصري إلى الصلاة بأنها وسيلة تلهمه الصواب في الحياة الدنيا؛ لينال بها الجزاء الأوفى في الآخرة التي هي خير وأبقى عند الله.

ولا نزاع في أن هذا المنظر (على الرغم من كل ما فيه ممَّا يدل على حدوثه في عالم الدنيا) كان خاصًّا بالحياة الآخرة، ولا غرابة في ذلك، فإن المتوفى كان يصرف يومه في عالم الآخرة، كما كان يصرفه في عالم الحياة الدنيا، وقد كان يسجل أعماله اليومية على جدران المقبرة كما نسجلها الآن في يومياتنا عند المساء، وعلى ذلك فليس من الأهمية بمكان أن نعرف إذا كانت هذه الأحداث قد وقعت بعد الموت أو قبله، أو أنها وضعت هنا على حسب ما جاء عن الحياة الدنيا أو عن الحياة الآخرة، وذلك أن الحياة الآخرة والحياة الدنيا تؤلِّف وحدة في نظر المصري، وعلى ذلك فإن عبارة «كما كان على الأرض» تدل على أن المتوفى كان لا يزال مستمرًّا يعمل على حسب ما كان يعمل في الحياة الدنيا فقط؛ ولذلك نرى هنا كما جاء في المتن أن الوزير «رخ مي رع» كان ذاهبًا إلى عمله اليومي، ولكن المتن يقول في الحالة التي نحن بصددها إنه كان آتيًا من القبر ليقوم بأعبائه. والغريب هنا أنه كان لا يؤديها في قاعته الرسمية وأمامه المتظلمون، بل كان يسير في الطرقات ومعه ضباطه، ويقول الأثري «ديفز»: «إن هذا التواضع وهذا الصمت المنذر بالشر الذي يحدِّثنا عنه الفراغ الذي نشاهده على الجدار، وهو الذي يلي هذا المنظر، قد يوحي إلينا أن هذا المنظر لم يدوِّنه الوزير الذي كان يشعر بدنوِّ سقوطه من عليائه إلا

لينتزع عطف الناس ورضاهم عن أعماله. على أية حال فلا يهمنا أن نعلم إذا كان «رخ مي رع» قبل أن تحل به الكارثة كان لديه من الوقت ما يسمح بتسجيل هذا الاجتماع الرمزي، معبِّرًا فيه عن أن الموت لن يكون نهايةً لذوده المتواصل عن شعبه، أو أن بعض أهله وأصدقائه قد قاموا له بهذا العمل النبيل، ومع كل ذلك قد يكون الأمر على خلاف ما نظن، وأن المنظر قد وُضِع هنا ليملأ مكانًا خاليًا على جدران القبر، وعلى أية حال فإنه كان عملًا صالحًا لم يسبق له مثيل.»

الشعائر الدينية

المناظر الجنازية: (راجع "Paintings" XVIII, XX–XXIV. & Plates V, 1; LXXV–XCIV)
يمتاز قبر الوزير «رخ مي رع» بتمثيل الشعائر الدينية فيه بصورة مفصلة وبإتقان عظيم، وبخاصة شعائر فتح الفم التي قد فصل القول فيها تفصيلًا لم نعهده من قبلُ في أية مقبرة من مقابر علية القوم.

والواقع أن لدينا عدة مناظر يُحتمَل أن الكثير منها كان يمثل عند الدفن على أنه وقع حوادث وقعت.

الآلهة التي تقام لهم الشعائر: (Fig. 8) يدل ما لدينا من نقوش هنا على أن الآلهة الذين كانت تقام لهم الشعائر في مقبرة «رخ مي رع» أربعة، وهم: (١) إله الصقر صاحب الجبانة (راجع: LXXVI). (٢) الإله «أوزير» إله العالم السفلي (راجع: LXXVIII). (٣) الإله «أنوبيس» إله الدفن (راجع: Pl. LXXXVI). (٤) إلهة الجبانة الغربية (راجع: Fig. 9). ومما يُلاحَظ هنا أن الشعائر التي خُصِّصت لكلٍّ من هؤلاء الآلهة لا تدل على أنها تنطبق عليه تمامًا.

الروايات المختلفة: ولا نزاع في أن هذه الشعائر نجدها تقام في معظم مقابر «طيبة»، وقد استمرت تُدوَّن فيها حتى قرب نهاية عهد الفرعون «أمنحتب الثالث»، غير أن هذه المناظر لم توجد قط تامة ومحفوظة كما وُجِدت في مقبرة «رخ مي رع»، وقد يكون من المتعذر علينا أن نتكلم هنا بشيء من الإسهاب عن هذه الشعائر؛ إذ إن ذلك يحتاج للرجوع إلى الماضي البعيد، وتتبع خطواته حتى العصر الذي نحن بصدده.

وقد شرح هذه الاحتفالات الأثري «ديفز» في كتابه عن «رخ مي رع»، فَلْيرجع إليها مَن يبغي الازدياد.

المشتركون في إقامة الشعائر: وممَّا يلفت النظر هنا أن موكبًا من الخدم والحشم الذكور يبلغ عددهم نحو ستة عشر، كلهم من الموظفين، كانوا يسيرون في ركاب المتوفى مقدِّمين له الخدمات كلما احتاج الأمر، ولا يبعد أنهم كانوا قائمين على خدمته في أثناء حياته، وقد اتخذوا الآن صبغة جنازية، هذا إلى أنه كان في استطاعة المتوفى أن يطلب مساعدةَ سكان المدن المقدَّسة إذا اقتضت الضرورة، وتتوقف معظم الظواهر الغريبة التي تصادف المتوفى بعد الموت على العقائد المختلفة التي كان يعتقدها الفرد عن مصيره في عالم الآخرة، وبخاصة الأقطار العلوية والسفلية التي كان لا بد له أن يخترقها، وما فيها من مخلوقات شريرة، كان لا بد له من التغلُّب عليها قبل أن يستقر به المقام في جنة الخلد، وقد كان مصير المتوفى يشبه مصير الفراعنة أنفسهم، وهم الذين أصبحوا على حسب التقاليد آلهة.

وتاريخ الدفن الذي نشاهده في هذه المناظر يرجع إلى عهود قديمة جدًّا، عندما كان الإنسان يقدِّم أخاه الإنسان ضحيةً على مذبح الآلهة، يضاف إلى ذلك أن نقل المتوفى عبر النهر أو على متنه، وكذلك جعل مكان المحيطات والبحيرات والأنهار ذوات الأسماء المعروفة في السماء أو في العالم السفلي، كل ذلك يفسِّر لنا السبب الذي من أجله يقع كثير من الحوادث الخاصة بالمتوفى على الماء أو في السفن، كما يفسر لنا التعبير عن الوفاة برسو السفينة في الميناء، وغير ذلك من الرموز التي تحدِّثنا عن بعض الأمور البارزة في عالم الآخرة.

الشعائر الجنازية الخاصة بغذاء المتوفى: (راجع: Plates V, 2; XCV–CX. & “Paintings” XXV) على الجدار الشمالي من الحجرة الكبرى لمقبرة «رخ مي رع» نشاهده جالسًا يتناول وجباته الأربعة، ويُلاحَظ أن المنظر قد كُرِّر أربع مرات في أربعة صفوف بعضها فوق بعض، والأخير منها قد أُخرِج بإتقان وعناية. وقد فُسِّر كلٌّ منها بمتن، وقد ضُمَّ إلى متون الصفين المتوسطين من صفوف الوجبة المقدسة هذه، ثلاثة صفوف تمثِّل حوادث تحدِّثنا عن الشعائر المختلفة التي بها ينتعش التمثال بعد موت صاحبه أو المومية بعد مفارقة الروح لها، وبذلك يكون في قدرة التمثال أو المومية أن يعود للحياة، ويتمتع بحياة أرغد حالًا وأكثر تنوُّعًا عمَّا كان في الحياة الدنيا.

فنشاهد «بت» والدة «رخ مي رع» تظهر مرتين معه عند تناول طعامه، أما الذين كانوا يقومون بأداء هذه الشعائر للمتوفى فهم أولاده «أمنحتب» و«سنوسرت» و«منخبر رع سنب»، ويُحتمَل كذلك «مري».

التعاويذ المفسرة لهذا المنظر: (راجع: Pl. CIV. CVIII) أما التعاويذ التي كانت تتبع شعيرة، فهي تعويذة لإحضار إنسان منعم متوفى وجعله يشبع بالخبز، وتعويذة لتطهير موائد القرابين، ولأجل البخور، وتعويذة للدخول لنقل الطعام (Pl. XCVI, CIV).

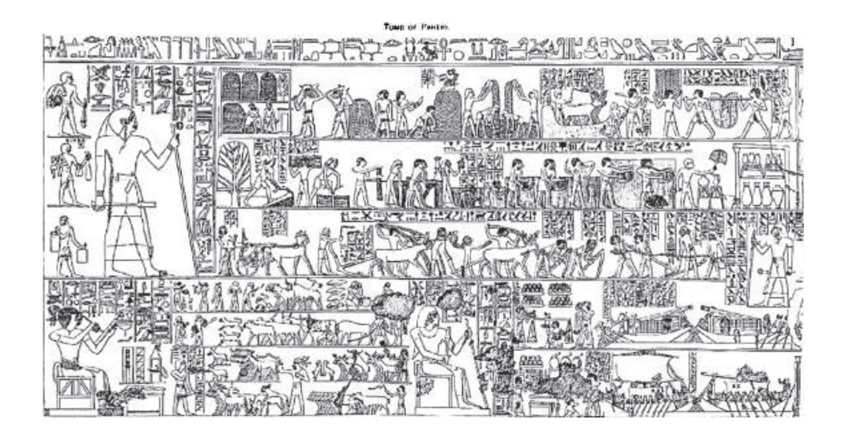
وهاك المتن الذي كان يتلوه الكاهن على أسفل صفٍّ من الصفوف السابق ذكرها (راجع Pl. CVIII):

إنك تعيش هناك إلهًا مجهزًا بالخبز والجعة، وكذلك بالماء البارد، وقد منحت أفخاذًا من اللحم تُقدَّم لك وأجزاءً منتخبة تحضر إليك، وكذلك فإن أحسن ما على مائدة القربان يكون ... لأجل «أوزير» عمدة البلد والوزير «رخ مي رع»، وبقدر ما عليه الملك من الطهر فلتصر كل القرابين التي تعمل لروحك طاهرة، وبقدر ما يرضى إله بقربانه فَلْيجعل «أوزير» راضيًا بقربانه، مرحبًا يا خادم «أوزير» بوصفك روحًا بين الأرواح، وقوة في قبره الذي منحه إياه التاسوع الأعظم الذين يأوون في البيت العظيم ملك أمير «هليوبوليس». اعمد إليَّ وابْقَ بجواري ولا تبتعدن عني، وإن قبرك هو مأواك، وإني أطمئنك على نفسك.

تأمَّلْ، لقد أعطيتك عين (حور) وقد منحتك إياها، وليت عين حور التي معك تكون نافعةً لك، وإنك تخرج بها في صحبة «إزيس»، وتظهر في الفجر في سفينة الصباح، وتكون صاحب قوة على السياحة، وتخطو قدماك، وإنك ولدت لحور ووضعت «لست»،[١٥٩] والماء نقي لك في مضايق النهر، وإنك تتسلم نصيبًا في مدينة «هليوبوليس» مع والدك أوزير ومع الإله «أتوم»، وإنك سترفعه وتضمه بين ذراعيك ... يا «أوزير» العمدة والوزير محبوب «أنوبيس» «رخ مي رع».

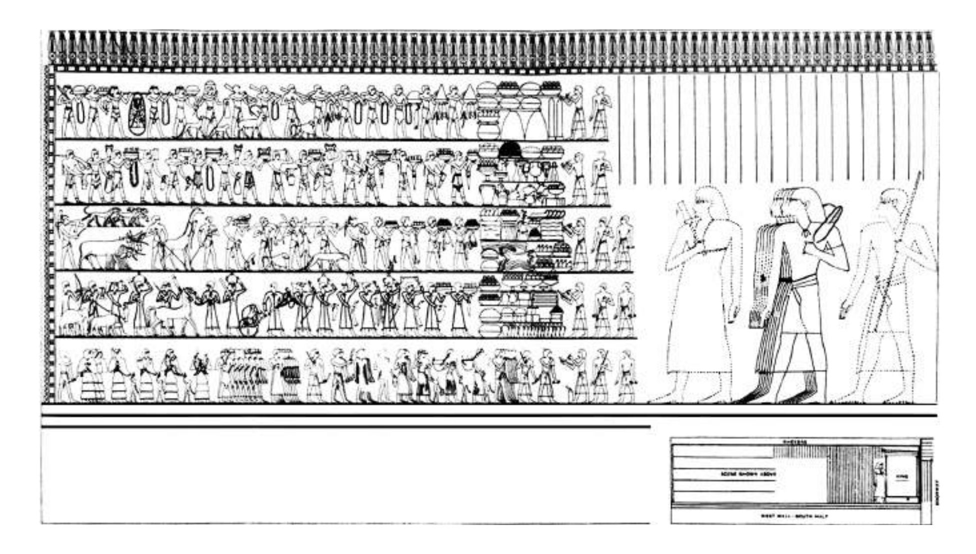
تاريخ شعيرة فتح الفم: لا نزاع في أن بعض الاحتفالات الدينية والتعاويذ السحرية يرجع عهد استعمالها إلى عهود غاية في القدم، غير أنه ليس لدينا براهين على أنها كانت تنظم وترتب في صورة تمثيلية، كما نشاهد في مناظر تمثيلية فتح الفم المرسومة على

[١٥٩] راجع تفسير هذه العبارة في كتاب الأدب المصري القديم، أدب الفراعنة، الجزء الأول، ص١٣٦.



شكل ٩: مناظر الحياة اليومية والحكومية الساحرة.

جدران مقبرة «رخ مي رع»، اللهم إلا إذا استثنينا ما جاء في «متون الأهرام» عن هذه الشعيرة؛ إذ إنها في الواقع كانت تُتلَى في صورة تدل على أنها تُمثَّل (Sethe Pyr. Text. 9 b, 40)، غير أن أول محاولة جديدة لجمع كل أجزاء هذه الشعيرة في سلسلة واحدة متصلة الحلقات منطقية الترتيب، هي التي نقرؤها في المتون والصور التي تركها لنا «رخ مي رع» على جدران مقبرته، ونستطيع أن نصل إلى تاريخ إقامة هذه الشعيرة من الفقرات التي نقرؤها في المتن، مشيرة إلى العهود القديمة التي كان يكتفى فيها بدفن الهياكل العظيمة، أي عندما كان أهل المتوفى يرجون أن تُضَمَّ أعضاؤه بعضها إلى بعض، وألا يُفصَل الرأس من الجسم كما جاء ذكر ذلك مرارًا وتكرارًا في متون الأهرام. والواقع أن إحياء الجسم أو المومية كما يقال عنها يرجع أصله إلى قصة «أوزير» إله الموتى وإحيائه، بعد أن مزق «ست» أخوه أشلاءه، ثم جمعتها أخته «إزيس» ثانيةً، ولا تختلف الرواية هنا عن الرواية القديمة إلا في أن «حور» الابن الأكبر لأوزير هو الذي يلعب دور إحياء المتوفى لا «إزيس»؛ وذلك لأنه عندما كانت ألاعيبُ «ست» الشيطانية التي كان يكيد بها لأخيه «أوزير» سائرةً في طريقها، نجد أن «حور بن أوزير» قد ضحَّى بإحدى عينَيْه لنجاة والده، ومن ثَمَّ أصبحت تلك العين التي ضحيت تُدعَى العين المقدسة، كما أصبحت رمزًا للتضحية، كما يُعتبَر الصليب الآن عند المسيحيين

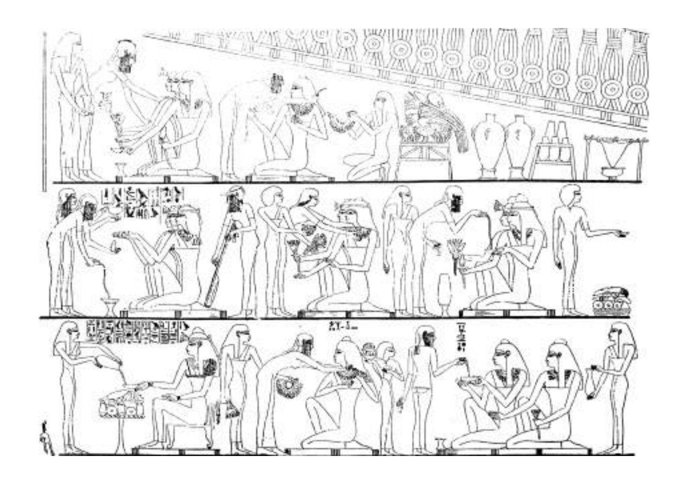


شكل ١٠: منظر استقبال «رخ مي رع» وفود الأقطار الأجنبية حاملين جزية بلادهم للفرعون.

رمزًا للفداء، مع الفارق أن عين حور كانت تُعتبَر رمزًا لكل شيء مادي يفيد المتوفى مهما كان نوعه.

تمثيلية البعث: (راجع: Plates V, 2; CV–CVII) وتنقسم شعيرة فتح الفم في ظاهرها قسمين، وإن كانت في الحقيقة شعيرة واحدة، وتبتدئ بتمثيلية صغيرة لخلاص المتوفى، فكان يُنحَت تمثال من الحجر أو من الخشب على هيئة المتوفى، وهذا التمثال كان لا يراه أهل الراحل الذين أخذ منهم الحزن كل مأخذ؛ لأنه فاقد الحياة ولا حراك به، ولكن الكهنة كانوا أولًا يؤدون له شعائر مختلفة خاصة بتطهيره، ثم بعد ذلك يفهمون ابن صاحب التمثال الذي تغلب عليه اليأس والقنوط أن الحياة ستعود إلى والده في هيئة تمثاله، وعلى ذلك يتعرف الابن الحزين على والده في هذا التمثال، ثم يجعل نفسه هو الحامي له، وبعد ذلك يحضر رمز التضحية (وهي العين المقدسة) لأجل أن يضمن القضاء على عدوه، وبذلك يخلص والده من كل الأمراض التي كانت قد نزلت به.

صورة تمثيلية لإحياء تمثال المتوفى: دلَّتْ كل الأحوال عند فحص الديانة المصرية القديمة، وبخاصة ديانة الشعب على أن القوم كانوا لا يرغبون في الاعتقاد في الأشياء



شكل ١١: صورة وليمة النساء.

المعنوية، بل كانوا يتمسكون بأهداب المحسات التي تراها العين وتلمسها اليد، وهذا هو السر في تمثيل المصري معبوداته في صور مادية، سواء أكانت حيوانات حية أو تماثيل جامدة؛ ولهذا نجد في موضوعنا هنا أن القوم كانوا يرغبون في وجوب عودة التمثال إلى أحواله، أو بعبارة أخرى أحوال مَن يمثِّله عندما كان في الحياة الدنيا، فترجع إليه كل حواسه، وهذا هو ما نشاهده هنا من الحوادث التي تؤدي إلى هذه النتيجة، وتنحصر في استعمال آلات سحرية وتلاوة تعاويذ تأتي بنتائج مدهشة، وقد أرضى الكهنة عامة الشعب بذلك؛ إذ جمعوا بين عمليات آلية يمكن فهمها، وبين أخرى سحرية لا يمكن تصوُّر كنهها، وكانت هذه العمليات يتلو بعضها بعضًا دون أن يكون لها نتيجة إيجابية.

حديقة لمسرات المتوفى: (Pls. CIX, CX, CXII, 3–4) ومن المناظر السارة التي خلفها لنا «رخ مي رع» على جدران قبره حديقة غناء، غير أنه ممَّا يُؤسَف له جد الأسف أن ما يحيط بها من مناظر لم يَبْقَ منه إلا القليل جدًّا، وكذلك أصبح من العسير علينا فهم الغرض منه تمامًا، ولكن لحسن الحظ حفظت لنا بعض النقوش التي كانت على المنظر الذي محي معظمه (Pl. CXIII, 3)، والظاهر أن المنظر كان يمثل «رخ مي رع» و«مريت» زوجه جالسين إلى اليسار، وأمامهما صفان من النقوش، وكذلك نجد صفين

من الضيفان الذكور أسفل هذا المنظر والحديقة على اليمين، أما الصف الأعلى فكان يحتوي خدمًا محضرين طعامًا لأكلة خفيفة ومقدارًا عظيمًا من الأزهار، والمتن المفسر لذلك هو: «خذ أزهار البركة العطرة التي أحضرتها لك من خيرة النباتات التي في هذه الحدائق. تأَمَّلْ! إن الخدم يحملون منتجات وأغصانًا وسيقانًا ذكية الرائحة من كل نوع، لأجل أن تتمتع بملاذها وتغمر بقربانها، ولأجل أن يشاطر قلبك في نباتها النضر، ولأجل أن تعمل فيها ما تصبو إليه روحك أبد الآبدين.»

ولا نزاع في أن ذِكْر الأزهار وتقديمها هنا لم يكن عبثًا؛ لأن هذه الوجبة الخفيفة لم تكن تكرارًا للوجبة اليومية التي كان يتناولها المتوفى على مائدته، بل الواقع أنها كانت لاحتفال خاص يحتمل أنه الاحتفال المعروف (عيد الوادي الجميل)؛ وهو العيد الذي كان يحمل فيه تمثال «رخ مي رع» من مقبرته، ثم يُوضَع في قارب يجر حول البركة التي في وسط الحديقة (راجع: Pl. CX, “Paintings” XX)، وبذلك كان في استطاعته أن يشرف كرة أخرى على كل شيء، ويتمتع بالنسيم العليل والروائح الذكية التي كانت تضوع من أزهار الحديقة، ويجلس في ظلال أشجارها الوارفة.

كل هذا كان يجري في أثناء شعيرة «فتح الفم»، غير أن هذا القناع الشفيف من الفرح الظاهر يتلاشى ويذهب جفاءً، عندما يرى الإنسان النساء يلطمن الخدود ويُظهِرن جزعهن على الراحل الكريم، مظهرات أن الموت مع كل ذلك قد نال النصر في النهاية، على الرغم من الاحتفالات العدة التي كانت تُقام لفتح الفم، وهذا المنظر الذي كانت تُظهِر فيه النساء جزعهن وحزنهن لم يكن من المستطاع حذفه من تلك الصورة. وعلى الرغم من أن المثال أو بعبارة أخرى رجال الدين قد حاولوا أن يمثلوه في أصغر حيِّز ممكن بالنسبة لمنظر شعيرة فتح الفم، ولكنه مع ذلك كان يحتوي على كل شيء، فنشاهد فيه إلهتَيِ الحزن «إيزيس، ونفتيس»، وكذلك النسوة اللائي كن يضعن بعض القربان أو يروين القبر، يضاف إلى ذلك أولئك النسوة ذوات الشعور المرسلة، وزوجة الراحل التي كانت تحثو التراب على رأسها.

وبهذا سنحت الفرصة لمفتن مقبرة «رخ مي رع» أن يصور له حديقة خلابة نموذجية، على أننا لا نعلم إذا كانت هي حديقة قصر «رخ مي رع»، أو هي التي كان مفروضًا على وجه عام أن تكون من لوازم القبر المثالي، فإذا كانت حديقة القصر فلا بد إذن أن يكون المبنى الذي على يسارها هو القصر، أما إذا كانت حديقة المقبرة، فإن هذا المبنى يكون جوسقًا أو مزارًا خاصًّا للعبادة.

وإلى هنا نستودع هذا الوزير العظيم يتمتع براحة أبدية هو جدير بها، بعد أن ترسم خطاه حقد أعدائه إلى نهاية المطاف، في حين كان أصدقاؤه يخدمونه بولاء وإخلاص في إقامة شعائره التي أعدَّ من أجلها هذا المثوى الفاخر.

خاتمة

لا ريب في أن مَن يلقي نظرة خاصة على الاستعراض البارع الذي خلده لنا «رخ مي رع»، في المناظر والنقوش التي خلفها على جدران قبره الضخم عن الحياة المصرية؛ يجد أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة في كل نواحي الحياة ومرافقها، خاصة كانت أو عامة، وداخلية كانت أم خارجية، إلا أحصاها وأوضحها إيضاحًا كاملًا شاملًا، ولعمر الحق كانت هذه الصور وما تنطوي عليه من تفاصيل دقيقة عن حالة الشعب الاجتماعية والخلقية والسياسية والدينية، هي نسيج وحدها في كل ما وصل إلينا من صور التاريخ المصري في أي عصر من عصوره القديمة والحديثة، من حيث الكمال والدقة والتفصيل، هذا فضلًا عن أنها تصوِّر لنا الحياة المصرية في أزهر عصورها وأمجدها، وهذه الصورة التي تصف الحياة الدنيا قد شفعت بأخرى تصف لنا الشعائر المصرية القديمة الدينية، وما كانت تصبو إليه نفس المصري في الوصول إلى دار النعيم المقيم، في جنةٍ عرضها السماوات والأرض أُعِدَّتْ للمتقين، من أجل ذلك نجد أن «رخ مي رع» جمع في استعراضه الرائع نصيبه من الدنيا بما فيه من سعادة وشقاء، وما كان ينتظره في عالم الآخرة من ثواب وعقاب، وكلٌّ على حسب ما أتى من الأعمال، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، وكلٌّ ميسَّر لما خُلِق له.

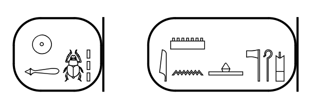
ولا نزاع في أن سيرة «رخ مي رع» لا تترك مجالًا للشك في أنه كان ميسرًا للخير والمجد، وقد سار في طريقه حتى تسنم قمته، ونهج سبيل العدالة حتى أصبحت علمًا عليه، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان وزيرًا لأعظم فراعنة مصر قدرةً وذكاءً وطولَ باعٍ في الحروب المظفرة، ولن نكون حائدين عن جادة الحق والإنصاف إذا قرَّرنا هنا أن «رخ مي رع» كان العامل الأكبر في تمهيد السبل للفرعون «تحتمس الثالث»، للظفر بأعدائه في داخل البلاد وخارجها، فقد هيَّأ له كل ما تحتاج إليه حملاته المظفرة وفتوحه الشاسعة في آسيا وأفريقيا؛ فقد كان «تحتمس الثالث» قائد مصر الفذ يسير كل عام على رأس جيوشه للفتح والغزو وهو مطمئن البال هادئ النفس من ناحية داخلية بلاده، التي كان يدير شئونها وينظم أحوالها رأس وزيره «رخ مي رع» العظيم، فكان الفرعون يفتح الأمصار

ويجبي الضرائب ويجمع الغنائم، ثم يعود إلى مصر سنويًّا، في حين كان وزيره في تلك الفترة يقوم بالتعمير والإنشاء والإصلاح في كل مرافق الحياة المصرية، ويعدُّ للفرعون ما عساه أن يحتاج إليه من عدة وعتاد للغزوة المُقبِلة، ثم كان في الوقت نفسه يسهر على راحة رعية مليكه، ناشرًا لواء العدل في أنحاء البلاد، ومتفقِّدًا تنفيذه بنفسه، ومنمِّيًا ثروةَ البلاد الطبيعية بكل ما أُوتِي من قوة عزيمة وأصالة رأي، ولا غرابة إذن في أن ينعته الفرعون بأنه مثيله وصنوه في إدارة البلاد، ولا فرق بينهما إلا أن الفرعون كان يُنسَب إلى نسل الإله الأعظم «رع»، أما «رخ مي رع» فكان من نسل أسرة عريقة في المجد والشرف والجاه والمحتد الأثيل، غير أنه على الرغم من هذا الفارق الأسمى كانت تجمعهما رابطة أقوى وأعظم أثرًا في نفس الفرعون، فقد كان «رخ مي رع» أخاه من الرضاعة، وتلك صلة ما بعدها صلة، ورابطة وثيقة مجَّدتها الأديان الحديثة، وجعلت أخوتها كاملةً؛ فهذان البطلان اللذان أرضعتهما «بت» (والدة رخ مي رع) بلبانها قد أتيَا بالعجب العجاب معًا، في خلق مصر جديدة سيطرت على العالم أكثر من أربعة قرون.

ولقد وفينا تحتمس حقه في غير هذا المكان، أما «رخ مي رع» فإننا إذا نظرنا نظرة إجمالية إلى مواهبه وحسن بلائه في إدارة سكان البلاد كما جاء في النقوش التي خلفها لنا على جدران قبره الضخم، لحكمنا بأنه قد أوتي من العلم والنشاط وطول الباع في تصريف شئون الدولة، ما لم يستطع أن يأتيه أحد من السابقين أو اللاحقين من أبناء جلدته، والواقع أنه كان مشرفًا على كل نواحي الإدارة، فكانت في يده أعظم سلطة قضائية، وكان هو المحرك لكل أصحاب الحرف والصناعات، وكان هو روح التجارة الداخلية والخارجية، وواضع نظم الضرائب وجبايتها والري وحفر الترع وشئون الزراعة، والمشرف على المباني والمدبِّر لأحوال الكهنة.

وخلاصة القول أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من مرافق الحياة إلا أشرف عليها بنفسه من قريب أو بعيد، بل بالَغَ في ذلك؛ إذ كان أحيانًا يوجِّه الصنَّاع وأصحاب الحِرَف في مصانعهم، حتى في أحقر الحِرَف وأدقها؛ ممَّا يدل على علم غزير وتجارب واسعة النطاق، ممَّا جعله في أعين الشعب الوزيرَ المثاليَّ في كل عصور التاريخ، كما كان أخوه «تحتمس الثالث» الملك المنقطع القرين في التاريخ المصري القديم.

أمنحتب الثاني



(١) وفاة تحتمس الثالث وتولية أمنحتب الثاني

لقد وضع أمامنا القائد «أمنمحاب» صورةً صادقةً عن وفاة «تحتمس الثالث»، وتولِّي ابنه «أمنحتب» الثاني العرشَ مكانه عندما يقول: «لقد أتمَّ الفرعون حياته الحافلة بالسنين بشجاعةٍ وسلطانٍ ونصرٍ من السنة الأولى إلى السنة الرابعة والخمسين؛ في اليوم الثلاثين من الشهر الثالث من الفصل الثاني، وهو حكم الملك «منخبرو رع»، ثم صعد إلى السماء واتحد مع الشمس، واندمجت الأعضاء المقدسة مع بارئها، وعندما انفلق الصبح وأشرقت الشمس وأضاءت السماء، تربَّعَ «أمنحتب» الثاني على عرش والده وتلقَّب بالألقاب الملكية.»

وعلى إثر وفاة «تحتمس الثالث» ركب الوزير «رخ مي رع» متن سفينة عظيمة، ومخر بها عباب النيل، حيث كان وليُّ العهد في مكانٍ يُدعَى «حت سخم» (ومكانها بلدة «هو» الحالية بمركز نجع حمادي) وهنَّأه بالملك.

(٢) نشأته

كان «أمنحتب» الثاني من الفراعنة القلائل العريقين في النسب، فقد وُلِد من أبوين يجري في عروقهما الدم الملكي، فوالده «تحتمس الثالث» ابن الفرعون «تحتمس الثاني»، وأمه هي الملكة «مريت رع حتشبسوت» ابنة الملكة «حتشبسوت» بنت «تحتمس الأول» كما فصلنا القول في ذلك، ويدل ما لدينا من الآثار على أنه وُلِد في «منف» عاصمة الملك الثانية؛ إذ منذ



شكل ١: مومية أمنحتب الثاني.

حكم والده أصبحت البلاد مقسَّمة قسمين كبيرين، يدير كلَّ واحد منهما وزيرٌ خاصٌّ؛ الأول مقره في «طيبة»، ويسيطر على الإقليم الذي يمتد من «أسوان» حتى «أسيوط»، والثاني يسيطر على الجزء الواقع شمالي «أسيوط» حتى البحر الأبيض المتوسط، ولدينا جعران قد نُقِش عليه تذكار لولادته في «منف» (راجع: A. S. Vol. XXXIX. p. 116).

(٣) اللوحة التذكارية التي أقامها بجوار «بو الهول»

وقد كُشِف حديثًا عن لوحة في الجهة الشمالية الشرقية من المكان الذي يربض فيه تمثال «بو الهول» في عام ١٩٣٦، وقد أقامها «أمنحتب» الثاني في هذه الجهة تذكارًا لزيارته لهذا الإله العظيم الذي كان كعبة ملوك الأسرة الثامنة عشرة ومَن بعدهم، يحجون إليه عند توليتهم عرش الملك كما سنرى بعدُ، وقد بنى «أمنحتب» معبدًا صغيرًا لهذه اللوحة وغيرها، وقد كُشِف عن بقاياه أيضًا، واللوحة تُعَدُّ من أعظم اللوحات التي كُشِف عنها وأكبرها حجمًا حتى الآن؛ إذ يبلغ ارتفاعها نحو أربعة أمتار وخمسة وعشرين سنتيمترًا، وعرضها نحو مترين وثلاثة وخمسين سنتيمترًا، وتنقسم هذه اللوحة قسمين: القسم

الأعلى مثل فيه الفرعون «أمنحتب» يتعبَّد لصورة «بو الهول»، والقسم الأسفل يحتوي نص اللوحة الذي يُعتبَر من أهم النقوش التي كُشِف عنها حديثًا؛ إذ يحدِّثنا عن صفحة مجيدة في تاريخ حياة هذا الفرعون وتنشئته على يد والده، كما يقدِّم لنا معلوماتٍ هامةً عن ممارسته الرياضة، وتربيته الخيل وأساليبها، وعبادة «بو الهول» في تلك الفترة من تاريخ البلاد.

(٣-١) معلوماتنا عن «أمنحتب الثاني» قبل كشف هذه اللوحة في صغر سنه

غرامه بالرياضة البدنية

حقًّا يدل ما وصل إلينا من الرسوم والنقوش على أن «أمنحتب» الثاني كان رجل رياضة عظيمًا قوي العضلات، كما تدل موميته على أنه كان طويل القامة قوي الساعد.

والواقع أن «أمنحتب» كان مولعًا بالرماية، بل كانت شغله الشاغل طوال حياته منذ نعومة أظفاره؛ إذ في «طيبة» الغربية نجد — في القبر رقم ١٠٩ وهو قبر «مين» عمدة مدينة «طينة»، وهو الذي حارَبَ في شبابه مع «تحتمس الثالث» في حملاته — لمحةً طريفةً عن طفولة «أمنحتب الثاني»، فقد كان «مين» هذا مدرِّب الأمير «أمنحتب»، فنشاهده في منظر قبره يحمل ملك المستقبل على حجره وهو عاري الجسم، مما يدل على أنه كان لا يزال صغير السن جدًّا، عندما وكل أمر تنشئة هذا الأمير لهذا الجندي القديم، وفي منظر آخر ممتع في نفس القبر نشاهد هذا الجندي وهو يدرِّب «أمنحتب» على الرماية، وقد كان يرتدي وقتئذٍ ثوبًا شفيفًا فضفاضًا، ومفوقًا سهمه نحو هدف مستطيل الشكل كان قد أصاب الهدف فيه أربع مرات من قبلُ، وكان يقف خلفه مربيه «مين» مصحِّحًا لتلميذه الوضع الذي يجب عليه أن يتَّخِذه لإصابة المرمى، كما تدلنا على ذلك النقوش التي تقول: «إنه (أي: مين) قد لقن الصبي القواعد الأولى في تعليم الرماية قائلًا: شدَّ القوس حتى أذنك، واستعمل كل قوة ذراعيك، وثبِّتِ السهم … يا أيها الأمير «أمنحتب».» وهذا المنظر كُتِب فوقه العبارة التالية تفسيرًا له: «الأمير «أمنحتب» يتمتع بدرس في الرماية في ساحة القصر في طيبة.» (راجع: Davies, M. M. A. (1935), Pp. 52–53).

(٣-٢) متن لوحة (بو الهول)

أما متن لوحة «بو الهول» فينقسم بدوره قسمين: (أ) مديح الفرعون. (ب) وأعماله.

(أ) مديح الفرعون: «يعيش «حور»، الثور القوي، صاحب القوة العظيمة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، ذو السلطان القوي، الذي ظهر ملكًا في «طيبة»، «حور» الذهبي الذي يتغلَّب (على كل شيء) بصولجانه في كل الأراضي، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، «عا خبرو رع» (= عظيمة صورة رع =) ابن الشمس «أمنحتب» حاكم «هليوبوليس» الإلهي، ابن «آمون» الذي خلفه، ونسل «حوراختي»، والبذرة الفاخرة من الأعضاء المقدسة، ومَن برأت صورته الإلهة «نيت»، ومَن أوجده في الحياة؛ إله مصر الأزلي، لأجل أن يستولي على الملك الذي فتحه، ومَن جعله يظهر بنفسه ملكًا على عرش الأحياء، ومَن منحه مصر تحت سلطانه، والصحراء رعية له، ومَن نقل إليه إرثه مخلدًا، والملك إلى الأبد، ومَن أعطاه عرش الأرض (جب) ووظيفته الإله «آتوم» الفاخرة، وملك «حور» و«ست»، ونصيب إلهتَي الوجه القبلي والوجه البحري، وسيتمهما في حياة وسعادة، ومَن وضع له بنته (ماعت) على جسمه،[١] ومَن ثبت له تاجه على رأسه، وهو الذي وطئ النوبيين تحت نعلَيْه، وأهل الشمال ينحنون لقوته، وكل الأراضي الأجنبية تخافه، وقد حزم له رؤساء قبائل البدو التسع، والأرضان في قبضته، وأهل مصر في وجل منه، والآلهة يحبونه، وقد رقاه «آمون» حاكمًا على ما تحيط به عينه، وعلى ما يضيئه قرص الشمس، ولقد استولى على مصر كلها، والأرض الجنوبية والأرض الشمالية في كنفه، والأرض الحمراء تقدِّم له محاصيلها، في حين أن كل أرض أجنبية تحت حمايته، وحدوده تصل إلى ما تحيطه السماء، والأراضي في قبضته في عقدة واحدة، ولقد ظهر ملكًا على العرش العظيم ضامًّا لنفسه الساحرين العظيمين (التاجين)، والتاجان العظيمان (بشنت) منضمان على رأسه، وأتف (تاج رع) على جبينه، وقد زين محيَّاه بتاجَيِ الوجه

[١] كانت صورة الإله «ماعت» تُعلَّق على صدر قاضي القضاة وهو الوزير بمثابة علامة على أنه هو الذي يفصل بالعدل في أمور الناس، فمَن كان في جانبه الحق أمسك الوزير بتمثال العدالة الصغير الذي كان معلَّقًا في صدره، وأشار به نحو مَن في جانبه الحق.

القبلي والوجه البحري، واستولى على العصابة والقبعة الزرقاء، والريشتان العظيمتان على رأسه، والنمس «لباس الرأس» يغطي كتفيه، وعلى ذلك ضمت تيجان «آتوم» ومنحتها صورته أي: (صورة آتوم) على حسب أوامر الآلهة، وأعطى الإله «آمون» الإله الأزلي الذي جعله يظهر الأوامر؛ ليكون في مقدوره أن يستولي على كل الأرض متحدةً دون أن تنتقص، (أعني) ابن الشمس أمنحتب حاكم «إيون» الإلهي، ووارث «رع»، وبذرة «آمون» الفاخرة، والبيضة الرفيعة (الخارجة) عن الأعضاء المقدسة، الواحد النبيل صاحب السلطة، والواحد الذي عندما خرج من الفرج كان متوَّجًا بالتاج الأبيض، والذي غزا الأرض بوصفه ملكًا يجري في عروقه الدم المصري، وهو الذي ليس أمامه عدو فيما ترسل عليه عين «آتوم» أشعتها، وقوة الإله «منتو» في أعضائه، ومَن انتصاراته مثل انتصارات ابن «نوت»، وهو الذي حكم ووحَّد نبات الجنوب مع نبات الوجه البحري (البشنين والبردي)، ومَن أهل الجنوب وأهل الشمال في وجل منه، ومَن نصيبه هو ما يضيء عليه (رع)، ومَن يملك ما يكتنفه المحيط العظيم، ومَن ساعد رسوله لا يقاوم في كل أراضي «الفنخو»، ومَن لا نظير له على أعداء حور (؟)، ومَن لا يوجد للإنسانية حامٍ (غيره)، وهو الذي يأتي إليه أهل الجنوب منحنين، وأهل الشمال ساجدين على بطونهم، وكلهم منضمون في قبضته، وهو الذي يهشم صولجانُه رءوسَهم كما أمر بذلك رب الآلهة «آمون رع-آتوم»، ومَن يفتح الأراضي مظفرًا دون أن يكون له قرين في كل الأبدية.»

اعتلاؤه العرش وعلمه بفنون الحرب والرياضة: «والآن أشرق جلالته ملكًا، وهو لا يزال شابًّا جميلًا سليم الجسم، بعد أن ختم الثامنة عشرة من عمره على قدمَيْه في قوة، وقد كان على علم بكل أعمال الإله «منتو»؛ إذ كان منقطع النظير في الميدان، وكان ماهرًا في معرفة الخيل، فلم يكن له مثيل بين أولئك الجنود الكثيرين، ولم يكن في مقدور واحدٍ منهم أن يشدَّ قوسه؛ ولا أن يناهضه في الجري على الأقدام.»

أمنحتب الثاني المجدف: «وقد كان قوي الساعد لا يكلُّ من التجديف، واتفق أنه كان يجدف في مؤخرة سفينته الملكية المجهزة بمائتَيْ بحَّار، وقد تركوا الشاطئ وجدفوا نحو نصف ميل، غير أن قوتهم خارت وانحلت أعضاؤهم، ولم يكن في استطاعتهم النفس (بعد ذلك)، ولكن جلالته كان قويًّا بمجدافه الذي

كان يبلغ طوله عشرين ذراعًا، فعاود الشاطئ ثم نزل على البر بعد أن جدف مسافة ثلاثة أميال، وهو مضاد للتيار دون أن يتوقَّف عن العمل، وقد كان الأهلون ينظرون إليه مُظهِرين إعجابهم بذلك العمل.»

أمنحتب الرامي: «ثم قام بالعمل التالي: وهو أنه شد ثلاثمائة قوس قوية ممتحنًا إياها ليقرن عمل الصناع، ليميز الخبيث من الطيب من بينهم (في الصناعة)، والآن حضر وقام ليعمل ما هو أمام وجوهكم، فدخل في مكانه الشمالي ووجد أنه قد نصب له أربعة أهداف من النحاس الآسيوي، سمك الواحد منها قدر كف اليد، وبين كل هدف وما بعده عشرون ذراعًا، ثم ظهر بعد ذلك جلالته على عربته التي تجرها الجياد مثل الإله «منتو» في شدة بأسه، وشدَّ قوسه، وقبض على أربعة سهام معًا، ثم سار شمالًا وأطلقها مثل «منتو» في تأهبه (للقتال)، فنفذ سهمه من ظهر الهدف، ثم رمى هدفًا آخَر، وهذا هو الشيء الذي لم يؤت مثله من قبلُ، ولم يسمع به في القصص: إن سهمًا قد فوق على هدف من النحاس، وإنه نفذ فيه ساقطًا على الأرض، ولكن مثل هذا العمل قد حدث على يد الملك صاحب البأس الشديد، ومَن أعطاه الإله «آمون» القوةَ، أَلَا وهو ملك الوجه القبلي والوجه البحري، «عا خبرو رع» الشجاع مثل «منتو».»

أمنحتب الخيَّال: «وعندما كان أميرًا حديث السن، كان مغرمًا بجياده ينعم بها وفَرِحًا بتعهُّدها، وكان يعرف طبائعها، كما كان ماهرًا في تدريبها متعمِّقًا في أحوالها، ولما وصل خبر ذلك من القصر إلى سامع والده «حور» الثور القوي الذي يشرق في «طيبة»، كان له أثر طيِّب في قلب جلالته عند سماعه، وفرح بما قيل عن ولده البكر، وقال في قلبه: إنه هو الذي سيكون سيد البلاد قاطبة، ولن يوجد مَن ينازله؛ لأنه يضحي بنفسه لإحراز الشجاعة، وينعم بالنصر، وإنه لا يزال طفلًا رقيقًا، ولم يصل بعدُ السنَّ التي يأتي فيها بعمل «منتو»، ولكن تأمَّلْ! فإنه قد تغاضى عن شهوات الجسم، وأحَبَّ الشجاعة؛ لأن الإله هو الذي وضع في لبِّه أن يفعل هكذا حتى يستطيع أن تصبح مصر محميةً به، وتنحني إجلالًا له (؟).

وعندئذٍ قال جلالته (تحتمس الثالث) لمَن كان في حاشيته: «لتعط أكرم الجياد في حظيرة جلالته التي في «منف»، ولْيقل له: اعتنِ بها واجعلها سلسةَ القياد، واجعلها تخبُّ في سيرها، ورضها إذا كانت جامحة.» وبعد هذه المحادثة

أخبر الابن الملكي أنه في حلٍّ من القيام بالعناية بخيل حظيرة الفرعون، وقد قام بما عرض عليه، وكان كلٌّ من الإله «رشف»[٢] والإلهة «عشترت» مسرورين منه عندما رأياه يفعل كل شيء يحبه قلبه، وقد ربَّى جيادًا منقطعة النظير، لا يحيق بها التعب، عندما كان يأخذ بعنانها، وكان لا يتصبَّب عرقها حتى بعد شوط بعيد، وقد شدَّ جياده في «منف» وهو لا يزال صبيًّا، ووقف عند محراب الإله «حورام أخت» (حر مخيس أي: بو الهول)، وقد مكث مدةً هناك جائلًا حوله (بعربته)، متأمِّلًا جمالَ محراب «خوفو» و«خفرع» (المبجَّلين)، وكان قلبه يتوق لإبقاء اسمَيْهما حيًّا، وأن يضعه في قلبه، والآن كان قد اعتاد أن يؤدِّي ما أمر به والده «رع».»

إهداء محراب الجيزة: «والآن بعد أن تُوِّج جلالته ملكًا، واتخذ الصل مكانه على رأسه، ورمز «رع» آوى إلى مكانه، وعندما كانت البلاد في أمان كما كانت من قبلُ في عهد سيدهم، وحكم «عا خبرو رع» الأرضين، وكل الأرض الأجنبية خاضعة لنعلَيْه؛ عندئذٍ تذكَّرَ جلالته المكانَ الذي تمتَّع فيه بجوار أهرام «حور أم أخت» «بو الهول»، فأصدر الأمر بإقامة محراب هناك على أن تُنحَت لوحة من الحجر الجيري الأبيض، يُكتَب عليها اسمه العظيم «عا خبرو رع» محبوب «حر مخيس» معطي الحياة مخلدًا.»

(٣-٣) التعليق على هذا النص

ولا نزاع في أن نص هذه اللوحة يكشف لنا عن صفحة مجيدة في تاريخ حياة الفرعون، بل في تاريخ الحياة المصرية من الوجهة الرياضية والحربية، ومقدار شغف الملوك والشعب بهما، فنعلم زيادةً على المدائح والنعوت التي كان يُوصَف بها الفرعون عادة، أن «أمنحتب الثاني» تولَّى عرش البلاد في ختام الثامنة عشرة من عمره، بعد وفاة والده العظيم «تحتمس الثالث» مباشَرةً، ولدينا نقوش قد تدل على أنه كان مشتركًا معه في الملك مدةً ما، لا نعرف مداها على وجه التحقيق. وقد كان أول مَن قدر بحق عمر «أمنحتب الثاني» عند توليته عرش الملك، هو السير «فلندرز بتري» (راجع: Petrie, “History”, II. p. 154).

[٢] إلهان من الآلهة الآسيوية الذين أصبحوا يُعبَدون في مصر.

ثم نجد بعد أوصاف هذا الفرعون عرضًا رائعًا لضروب أنواع الرياضة البدنية التي حذقها هذا الفرعون وهو لا يزال يافعًا، ولا نزاع في أنها كانت بتوجيهٍ من والده الذي كان كما سبق يجيد ضروب الرياضة ويتفوق فيها على رجال جيشه قاطبة، غير أن «أمنحتب» قد تخطَّى والده في صنوفٍ منها، وأحرز قصب السبق في ضروبٍ لم نعرف أن والده قد زاوَلَها، وتدلُّ الظواهر على أن «أمنحتب» الثاني لم يكن مولودًا في «منف» عاصمة الملك الثانية وحسب، بل كذلك قد تربَّى فيها، ولا يبعد أنه كان في أثناء اشتراكه مع والده في الحكم، قد اتخذ مقرَّ ملكه في إحدى العاصمتين، فبينا كان «تحتمس» يسكن «طيبة»، كان «أمنحتب» ابنه قد اتخذ مقره في «منف».

ونشاهد أن بطلنا قد أخذ ينكبُّ على التمرينات الرياضية المحبَّبة إليه وإلى والده، وقد رأى معلموه أن يدرِّبوه بإرشادٍ من والده طبعًا أولًا على الجري أشواطًا بعيدة، حتى أصبح لا يدانيه في هذا المضمار جنديٌّ من رجال الجيش المدرَّبين، ثم نجده قد دُرِّب على التجديف في النيل الذي كان يُعَدُّ في تلك الأزمان أعظم طرق الموصلات والتجارة، فنراه يركب ظهر سفينة كبيرة من سفن القصر مُعَدَّة بمائتي مجدف، وهو واقف في الخلف يقبض بيدَيْه على مجداف طوله أكثر من عشرة أمتار (يحتمل أنه الدفة)، وتدل الأحوال على أن السير في النيل كان صعبًا بسبب التيار، فنرى أنه بعد أن قطع المجدفون الذين كانوا بصحبته نحو نصف ميل، خارت قواهم وتلاشت عزيمتهم، ولم يَكَدْ يرى «أمنحتب» ذلك حتى جاء لمعونتهم، وأخذ يجدف وحده بقوة ونشاط ومثابرة لا تعرف الملل، لدرجة أنه قطع بمفرده نحو ستة كيلومترات، ووصل بالسفينة إلى البر بصورة رائعة تسترعي النظر وتدهش اللب.

حقًّا إن القارئ الحديث لا يكاد يصدِّق أنه كان في استطاعة بشر أن يأتي بمثل هذا العمل الخارق لكلِّ ما هو مألوف، ولكن لا يفوته أن ملوك مصر كانوا من نسل الآلهة، وكان لا بد لهم أن يفوقوا البشر في كل شيء يعملونه! ثم نرى هذا الأمير الفتيَّ يعرض أمامنا صورةً أخرى من تفوُّقه في ضروب الرياضة البدنية والمهارة اليدوية؛ فبعد أن حاز قصب السبق في مضمار التجديف، نجده يتبارى في تفويق سهامه في الرماية، فقد كان الرماة في سالف الأزمان يكتفون برمي الهدف وإصابته، ولكنه منذ استعمال الخيل والعربات في الصيد والحروب، كان من مستلزمات فارس العربة أن يكون ماهرًا في الرماية وهو في عربته، ويكون قادرًا على إصابة مرماه على الرغم من حركات الخيل وقفزها بسرعة عظيمة.

وقد أراد «أمنحتب» الثاني فضلًا عن ذلك أن يظهر فوقه في ضروب الرماية على والده «تحتمس الثالث»، الذي كان على ما نعلم أول مَن استعمَلَ هدفًا من النحاس بدلًا من الهدف الذي كان يُصنَع عادةً من الخشب، وقد اختار البقعةَ التي تحيط «بمنف» على مقربةٍ من السهل الذي أُقِيم فيه الأهرام و«بو الهول»، وهذه الجهة كانت على ما يظهر مسرحًا مختارًا للصيد والقنص.

وتحدِّثنا النقوش أن الفرعون قد بذل مجهودًا عظيمًا في العناية باختيار السلاح الذي أراد استعماله في رمايته؛ إذ قد امتحن نحو ثلاثمائة قوس على التعاقُب ليعجم عودها، ويعرف غثها من ثمينها، ثم انطلق بعد اختيار سهامه في ميدان الرماية، حيث كان قد نصب له أربعة أهداف على مسافات متساوية، كل هدف منها صُنِع من لوح من النحاس سُمْكه يساوي سُمْكَ راحة اليد، وعندئذٍ فوَّقَ سهامه بدقةٍ وحذقٍ وقوةِ ساعِدٍ، فلم يطش منها سهم واحد، هذا فضلًا عن أن كل سهم قد اخترق هدفه النحاسي ومرق في الجهة الأخرى هاويًا على الأرض، وبذلك فاق والده في الرماية؛ لأن سهم الأخير على الرغم من أنه قد أصاب الهدف إلا أنه لم ينفذ كله منه إلى الجهة الأخرى؛ إذ يقول المتن: «وقد فوَّقَ سهامه على لوحة من النحاس بعد أن تهشَّمَتْ كل الأخشاب كأنها اليراع، وقد وضع جلالته واحدًا منها في معبد «آمون»، وهو هدف سُمْكه ثلاث أصابع رشق فيه سهم من سهامه، وقد جعل السهم ينفذ في الهدف مقدار ثلاثة أشبار من الجانب الآخر.»

ومن هذا نعلم أنه ضرب الرقم القياسي في الرماية، وبهذه المناسبة لا يسعنا إلا الإعجاب بالمهارة الفنية التي قاد بها هذا الأمير عربته، وساق بها جياده وهو يفوِّق سهامه، وقد كان «تحتمس» الثالث الذي يُنسَب إليه هذا الفضل يحسُّ حسن مستقبل ابنه في هذا الميدان إلى أبعد حدٍّ؛ ولذلك نجده قد سلَّمه قياد أكرم جياده التي كانت تُربَّى في الحظيرة الملكية «بمنف»، وكذلك وكل إليه أمر تدريبها، وقد برهن «أمنحتب» من ناحيته على أنه كان خليقًا بهذه الثقة الغالية تمامًا، فنجده قد درَّبَ جياده على كل أنواع السير، كما مرَّنها على الجري أشواطًا بعيدة دون أن يلحقها تعب، لدرجة أنها كانت تقطع المسافات الشاسعة عَدْوًا من غير أن يسيل عرقها. وقد ترك لنا «أمنحتب» الثاني برهانًا قاطعًا على حُسْن عنايته وتعهُّده لخيله؛ إذ قد عثر على لوحة صغيرة من «الكرنلين» (حجر الدم)، مُثِّل عليها هذا الفرعون وهو يقدِّم العلف لجواده بنفسه، وقد قلَّده في ذلك «رعمسيس الثاني» كما سنرى ذلك بعدُ (راجع: Hall, “Catalogue of Scarabs” I. p. 161, No. 164).

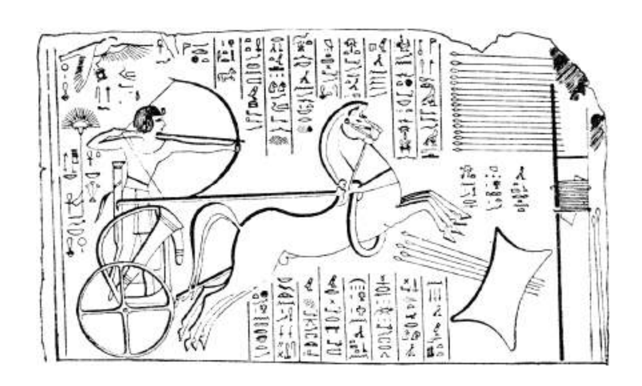
وفي خلال إحدى الجولات التي كان يقوم بها للرياضة في سهل «منف»، أدَّى به المطاف إلى الوقوف في بقعة بجوار تمثال «بو الهول» العظيم (وهو الذي يمثِّل صورةَ إله الشمس)، الذي يربض في حرم معبد «خفرع»، وقد أعجب بجمال هذا التمثال الذي أصبح محجًّا للزوَّار من الملوك وغيرهم، وقد بقيت في نفسه ذكريات عميقة الأثر لهذه الزيارة، ولتلك اللحظات السعيدة التي أمضاها بجواره، حتى إنه لما اعتلى عرشَ الملك كان من أول أعماله إقامة لوحةٍ تذكارًا لتلك الزيارة، وتبرُّكًا بهذا الإله العظيم الذي كان يُعتَبَر في عصره من أعظم الآلهة المصرية، كما أقام محرابًا لهذه اللوحة كان قبلةَ الزوَّار للملوك من أخلافه، وكعبة تركوا لنا فيها آثارهم.

ولقد حقَّقَ «أمنحتب» فراسةَ والده في مستقبله، فبرهَنَ على أنه كان ملكًا نشيطًا ومحاربًا لا يجد الخوفُ إلى قلبه سبيلًا، فقد ظهر منتصرًا في ساحة الوغى أكثر من مرة على أعدائه في «آسيا» كما سنرى، على أن انهماكه في مكافحة الثائرين في البلاد الخاضعة لمصر لم يمنعه مزاولةَ ضروب الرياضة المحبَّبة إليه في أثناء فراغه، حتى وهو في ساحة الوغى، كما تدل على ذلك الوثائق المختلفة التي وصلتنا حتى الآن.

(٤) مشاهد أخرى يُظهِر فيها أمنحتب مهارتَه في الرماية

فقد عثر مهندس البناء «شفربيه» (A. S. Vol. XXVIII p. 126 Fig. 5) في أثناء إصلاح البوابة الثالثة التي أقامها الفرعون «أمنحتب» الثالث، على قطعة ضخمة من الحجر، زُيِّن أحد وجوهها بمنظر مُثِّل فيه الفرعون «أمنحتب الثاني»، وهو يفوِّق سهمه لإصابة الهدف؛ هوايته المحبة. وهذا المنظر يكاد يكون شرحًا مصورًا للمتن الذي جاء في لوحة «بو الهول» الخاص بالرماية (انظر لوحة ٢)، غير أنه يشير إلى مفخرة أخرى من مفاخره في هذا المضمار؛ إذ نشاهد فيه «أمنحتب» يتقدَّم بعربته التي يجرها جوادان من أصائل الخيل، تحفه أبهة الملك وعظمته، فنراه خلال سير العربة وهو يفوِّق سهمه بدقة، ويشد قوسه بقوة حتى أذنه كما درَّبه على ذلك معلِّمه «مين»، ثم يُطلِق السهم تلو السهم، فيصيب المرمى أربع عشرة إصابة، وهذا الهدف الذي كانت تُفوَّق إليه السهام هو قطعة من النحاس مستطيلة الشكل، والنقوش التي على هذا المنظر تفسِّر ما قام به الفرعون في هذا المضمار، فاستمع إليها: «الإله الطيب السخي بقوته، والذي يعمل بساعدَيْه في مقدمة جيشه، والقوي البأس في معالجة قوسه، ومَن يفوِّق سهامه بحذق فلا تخطئ هدفها، ومَن يصوِّب سهامه على قوالب من النحاس فيخرقها كأنها إضمامة بردي؛ إذ لم يكن

هدفه المصنوع من الخشب يشبع طموحه؛ لأن قوته كانت عظيمة جدًّا، وساعده شديد منقطع النظير، بل هو الإله «منتو» عندما يظهر على عربته.»



شكل ٢: أمنحتب يفوِّق سهمه لإصابة الهدف.

وكذلك عُثِر على قطعة من النحاس منحنية الجانبين، وهي تشبه ركيزة من المعدن الغفل كانت ممَّا يُقدَّم أحيانًا جزيةً، وقد استُعمِلت هدفًا، وقد وُجِدت على الأرض، وشُوهِد أنه قد مرق فيها أربعة أسهم، ويقول المتن المفسر لها: «إنها قالب عظيم (هدف) من النحاس الغفل كان يستعمله جلالته هدفًا، وكان سُمْكه ثلاث أصابع (ستة سنتيمترات)، وقد اخترقه صاحب القوة العظيمة بعدة سهام، وجعلها تنفذ في هذا الهدف الذي يبلغ طوله ثلاثة أشبار، وأنه هو الذي يفوِّق سهامه بضربات متتالية، وهو صاحب الساعد المتفوِّق ورب القوة، وإن جلالته قد أنهى هذا العمل العظيم أمام العالم أجمع (راجع: Van de Walle, "Les Rois Sportifs de l'Ancienne Egypte". Chronique d'Egypte; Vol. XIII No. 26 Juillet 1938, pp. 234–257). وفي «المدمود» عُثِر له على قطعة من الحجر (راجع: Bisson de la Roque. "Medamoud" (1927–1928) p. 145) جاء منقوشًا عليها: «إن السهم الملكي (أمنحتب) قد اخترق سبعة أتساع طول الهدف، وإن الفرعون قد تحدَّى أيَّ شخص كان في أن يأتي بمثل هذا العمل الفريد».»

(٥) نقوش لوحتَيْ «أمدا»

ولا يسعنا بعد سلسلة البراهين والشواهد التي أوردناها هنا على نبوغ «أمنحتب الثاني» في فنون الرياضة والفروسية، إلا أن نثبت هنا مع سلف مقدمة النقش التذكاري الذي دونه على اللوحتين اللتين أُقِيمتَا في معبدَيْ «أمدا» و«إلفنتين»؛ إذ إن هذه المقدمة قد رُسِمت أمامنا بألفاظ معبِّرة عن صورة هذا الفرعون الشجاع الجسمية والخلقية معًا، وعلى الرغم من أن معظم هذه الأوصاف كانت تقليدية تقال في وصف كل فرعون إن صدقًا وإن كذبًا، إلا أن الإنسان لا يسعه إلا اعتبارها حقيقةً إلى حدٍّ ما، عندما يُوصَف بها «أمنحتب» الثاني (راجع: L. D. III, Pl. 65; Kuentz, "Deux Steles d'Amenophis II. (Steles d'Amada et d'Elephantine) Bibliotheque d'Etude de l'Institute Français d'Archeologie Orientale du Caire" Vol. X (Cairo, 1925) pp. 6–12; Schafer, A. Z. XXXVIII, p. 67; Sethe, ibid, XLVII, p. 85).

وهاك هذه المقدمة: «السنة الثالثة، الشهر الثالث من الفصل الثالث، اليوم الخامس عشر من حكم جلالة … أمنحتب الثاني … الإله الطيب الذي برأه «رع»، والذي خرج من جسمه القوي، وصورة «حور» على عرش والده، والعظيم البأس، مَن لا نظيرَ له، والمنقطع القرين، الفرعون ذو الساعد العظيم الخطر، ومَن لا يستطيع فرد من بين جنوده ولا من بين رؤساء البلاد الهمج (الهكسوس)، ولا من بين أمراء سوريا أن يشدَّ قوسه؛[٣] لأن قوته جعلته يفوق قوة أي ملك، ولا يوجد مَن في مقدوره أن يحارب بجانبه، فهو رامٍ شديد في المعمعة، وثور يحمي مصر، ثابت الجنان في ساحة الوغي عندما تحين ساعة التخريب، وساحق أولئك الذين يثورون عليه، وصاحب الغلبة السريعة على أقوام الهمج كلهم، رجالهم وخيلهم، حينما ينازلونه بآلاف الآلاف؛ لأنهم يعرفون أن الإله «آمون» كان حليفه؛ ولأنه لا يفر، بل القوة في أعضائه، وهو شبيه الإله «مين» في عام الفزع، ولا

[٣] وهذه العبارة هي أساس الخرافة المعروفة التي ذكرها «هردوت»، وهي التي تمثِّل عجْزَ الملك «قمبيز» عن شد قوس ملك «إثيوبيا» (راجع: A. Z. XXXVIII, p. 66)، وهي عبارة نصادفها عادةً مذكورة في المؤلفات القديمة؛ ومن المدهش أنه عثر على قوس «أمنحتب» الثاني في قبره، وقد نُقِش عليه نصٌّ يصفه بأنه ضارب الهمج، وهازم الكوش، ومخرب المدن … وجدار مصر العظيم وحامي جنوده (Cairo Catalogue 24120).

يوجد إنسان في مقدوره أن يثبت أمامه، يعامل أقرانه بمثابة خارجين، وكذلك قبائل البدو التسع.» ولا غرابة إذن في أن يقلِّده الملوك الذين جاءوا بعده.

(٦) أمنحتب الثاني يقلِّد والده في كل أعماله

والظاهر أن «أمنحتب» الثاني كان يقلِّد والده في كل مراحل حياته، من حيث الرياضة والحروب وحتى في الصيد والقنص في خلال حملاته في البلاد النائية، فسنرى أنه بعد أن خضعت له بلدة «قادش» التي كانت من أعظم البلاد التي قاومت والده مدةً طويلةً دون أن تخضع لسلطانه، قد قام بنزهات للصيد والقنص كما قام والده في «نهرين» بصيد الفيلة، وفي بلاد السودان بصيد الأسود والثيران الوحشية، ثم بصيد وحيد القرن (خرتيت)، فنرى «أمنحتب» يخرج في غابات جبال «رابيو» للصيد والقنص، فيطارد فيها الغزلان والمهاري والأرانب الوحشية والحمير البرية، ويصيد منها عددًا يخطئه العد.

(٧) حروب أمنحتب الثاني

بقيت معلوماتنا عن الحروب التي شنَّها الفرعون «أمنحتب الثاني» في آسيا مقصورةً على ما دُوِّن على لوحة «الكرنك» المهشَّمة التي نشرها «لجران» (راجع: A. Z., Vol. XL, p. 126 (1903))، إلى أن كشف الدكتور «أحمد بدوي» عن اللوحة التاريخية العظيمة في خرائب «منف»، وهي التي تحدِّثنا عن حروب هذا الفرعون بصورة جلية كاملة، إذا ما قرناها باللوحة التي نشرها «لجران»، وقد نشر الدكتور «أحمد بدوي» عن كشفه الجديد في مقالٍ رائعٍ ترجَمَ فيه النصَّ، وقرن بعض جمله بما جاء في لوحة «الكرنك» من الوجهة اللغوية، وسنورد هنا نصَّ لوحةِ «منف» بأكمله، ثم نعلِّق عليه مع قرنه بلوحة «الكرنك» في الجزء المشترك بينهما (راجع: A. S. Vol. XLII. p. 1 ff).

(٧-١) موازنة بين لوحتَيْ «الكرنك» و«منف»

وصف لوحة منف[٤]

يبلغ طول هذه اللوحة ٢,٨٥ سنتيمترًا، وهي من الحجر الرملي الأحمر المستخرَج من محاجر الجبل الأحمر بالقرب من العباسية، وفي أعلاها المستدير قرص الشمس المجنح، وفي أسفله منظران أحدهما يُشاهَد فيه الملك يقدِّم إناءين من الخمر للإله «آمون»، والثاني يُشاهَد فيه الفرعون يتعبَّد للإله «بتاح رب منف»، وأسفل هذين المنظرين يوجد المتن ويحتوي على أربعة وثلاثين سطرًا، وقد تحدَّثَ فيها الفرعون عن أعماله الحربية، وتنقسم قسمين هامَّيْن: الأول يصف لنا حروبه مع بلاد «رتنو» في السنة السابعة من حكمه، والقسم الثاني يتحدَّث عن حروبه مع الولايات الصغيرة الواقعة في شمال فلسطين، في العام التاسع من حكمه.

(أ) النص المصري

مقدمة:[٥] «السنة السابعة، الشهر الأول من فصل الشتاء، اليوم الخامس والعشرون من عهد جلالة «حور» (الملك)، الثور القوي، حاد القرنين، سيد

[٤] ويُلاحَظ أن لوحة «الكرنك» كانت من الجرانيت الوردي اللون، وقد عثر عليها «شمبليون» مرتكزةً على البوابة الثانية من الجنوب في «الكرنك»، وقد وُجِدت مهشمة تهشيمًا كبيرًا. وفي الجزء الأعلى منها منظران يظهر في كلٍّ منهما الملك «أمنحتب» الثاني يقدِّم القربان للإله «آمون»، وبين هذين المنظرين سطر من النقوش يذكر الإصلاحات التي قام بها «سيتي» الأول لهذا الأثر بعد أن أتلفه رجال «أخناتون». ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن المتن يشتمل على أغلاط كثيرة، ويرجع السبب في ذلك إلى إهمال أولئك الذين قاموا بإصلاح هذا المتن في عهد «سيتي» الأول، بعد المحو الذي قام به رسل «أخناتون» في أثناء محاربته ديانة «آمون».

[٥] نجد التاريخ في لوحة «الكرنك» مهشمًا، وقد ذهب «برستد» وغيره إلى أنه في السنة الثانية من حكم هذا الفرعون؛ ارتكانًا منهم على ما جاء في لوحة «أمدا» التي أقامها هذا الفرعون في هذه الجهة بعد حروبه الأولى، ويقول فيها إنه عاد من حملته الأولى في بلاد «آسيا»؛ ولذلك يعتبر المؤرخون أن هذه الحروب قد وقعت من غير شك في السنة الأولى أو الثانية من حكمه؛ وبخاصة لأنه أحضر معه أمراء أسرى من بلاد «تخسي»، وذبحهم في «طيبة» «ونباتا». غير أن هذا التاريخ لا يتفق مع ما جاء في متن لوحة «منف» التي يقول فيها إنه زحف بجيشه في السنة السابعة في حملته الأولى إلى «آسيا»، وكذلك متن لوحة «الكرنك» لا يتفق في كثيرٍ من التفاصيل مع متن لوحة «منف» كما سنرى، وهاك

التاجين، عظيم القوة، المتوَّج في «طيبة» «حور» الذهبي، الفاتح والمسيطر على البلاد كلها، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين «عا خبرو رع» ابن الشمس، «أمنحتب المقدس» (أمير هليوبوليس) ومعطي الحياة مخلدًا، والمماثل «رع»، وابن «آمون»، والجالس على عرش والده، وقد خلقه أعظم قوةً وأشد بأسًا بالنسبة لَمَن خلقهم من قبلُ؛ ولذلك هزم جلالته أرض «نهرين»، وفتك قوسه بهم، وهو الفاتح بظفر وشدة بأسٍ، مثل «منتو» عندما يظهر مدججًا بأسلحته، وقلبه فَرِح عندما يقع نظره عليهم؛ لأنه يأخذ بنواصي الثائرين.»

(ب) التعليق

ذكرنا فيما سبق أن الفرعون «تحتمس الثالث» قد توفي في السنة الرابعة والخمسين، الشهر الثالث من فصل الشتاء، اليوم الأخير من الشهر، كما ذكر لنا «أمنمحاب» في تاريخ حياته، وعلى إثر ذلك تولَّى «أمنحتب الثاني» عرشَ الملك، وقد ذكرت لنا لوحة الجيزة أن «أمنحتب الثاني» تولَّى عرش الملك في العبارة التالية: «والآن أشرق جلالته ملكًا، وهو لا يزال شابًّا جميلًا سليم الجسم، بعد أن أَتَمَّ الثامنة عشرة من عمره، دابًّا على ساقَيْه في قوة.» وقد قام حينئذٍ بحملته التي ذُكِرت على اللوحة التي نحن بصددها الآن في السنة الخامسة والعشرين من عمره، أي إنه كان وقت سيره على رأسها قد اكتملت تجاربه الحربية، وبخاصة أنه كان قد عاد من خوض غمار حرب قبلها في السنة الثالثة، الشهر الثالث من فصل الشتاء، اليوم الخامس، بعد أن أوقَعَ هزيمةً بأمير «تخسي» في شمال «سوريا»، كما جاء ذِكْر ذلك على لوحتَيْ «أمدا» و«إلفنتين».

مقدمة لوحة الكرنك: (السنة الثانية (؟)) … في عهد جلالة «حور» الثور القوي عظيم القوة … جزء من «آتوم» محبوب الإلهتين: العظيم في الغنى، المتوج في طيبة، حور الذهبي، الذي يقبض بقوته على كل الأراضي، (ملك الوجه القبلي والوجه البحري) … الأقصر، «عا خبر ورع» سيد … السيف الذي يالل الأقواس التسعة، ابن الشمس من جسمه، رب كل الممالك، «أمنحتب الثاني» حاكم «هليوبوليس» المقدس، معطي الحياة مخلدًا مثل «رع». فهذه المقدمة بغضِّ النظر عن ألقاب الفرعون، لا تنطبق في قليل أو كثير مع مقدمة لوحة «منف» (راجع: Breashed. A. R. Vol. II. § 782 ff).

الفرعون يخرب شماش إدوم:[٦] (راجع: Gardiner, “Onomastica,” I. p. 139) «زحف جلالته على بلاد «رتنو» في حملته الأولى المظفرة ليوسع حدوده على حساب أولئك الذين لم يُظهِروا له الولاء، وقد كان محياه ينبعث منه الخوف مثل وجه الإلهة «باستت» والإله «ستخ» في ساعة غضبهما، ووصل جلالته بلدة «شماش أدوم» وخربها في طرفة عين، كالأسد الهصور عندما يجوب الصحراء، وقد كان جلالته يركب عربته الحربية التي كانت تُسمَّى «آمون قوي» و«موت» راضية، و«خنسو» وهو صاحب المشاريع الطيبة.»

قائمة بالغنائم التي كسبها بسيفه في هذا اليوم: «ثلاثة وثلاثون آسيويًّا، واثنان وعشرون ثورًا.»[٧]

وقوع معركة بعد اجتياز نهر الأرنت (نهر العاصي):[٨] «وبعد ذلك اجتاز جلالته نهر «الأرنت» (نهر العاصي)، فاقتحمه مثل الإله «رشف»، ومن

[٦] هذه البلدة ذُكِرت في قائمة بلدان سوريا التي فتحها «تحتمس الثالث»، وقد وحدها «مسبرو» ببلدة «خربة أدماه»، غير أن ذلك لا يطابق الواقع (راجع: Maspero “Fragments d’une Etude sur la Geographie Egyptienne de la Syrie”. Etudes de Mythologie et d’Archeologie Egyptienne” V. Pp. 132–133).

[٧] وجاء في متن «الكرنك» ما يأتي: «كان جلالته في مدينة «شماش أدوم»، وقد ضرب جلالته مثلًا للشجاعة هناك، وقد حارب يدًا ليد. تأمَّلْ! إنه كان مثل أسد مفترس العين ضاربًا أقاليم لبنان (رمنن) ... واسمه كان ...»

قائمة بالغنائم التي استولى عليها جلالته في هذا اليوم: «ثمانية عشر أسيرًا وستة عشر جوادًا؛ فهذا المتن إذا ما قرن بمتن لوحة «منف» لا يتفق معه في شيء، اللهم إلا في ذِكْر بلدة «شماش أدوم»، غير أنه قد جاءت جملة في متن لوحة «منف»، قد تُشعِر بأن الفرعون كان قد قام بحملة قبل ذلك الوقت على هذه البلدة، وهي الجملة الأولى التي يقول فيها إنه قد زحف على بلاد «رتنو» في حملته الأولى، ليوسع حدوده على حساب أولئك الذين لم يُظهِروا له الولاء؛ إذ قد نفهم من ذلك أنه قد أدَّبهم مرةً، ولكنهم قد عادوا إلى شقِّ عصا الطاعة ثانيةً فحاربهم، غير أن ما يلي من المتن يُشعِر بتقارب المتنين ثانيةً، وأن الحملة في كلا المتنين واحدة.»

[٨] وجاء في متن «الكرنك» ما يأتي: «الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم السادس والعشرون، عبر جلالته مجرى نهر «الأرنت» في هذا اليوم، وجعل يعبر (...) (...) مثل «منتو صاحب طيبة»، وقد رفع جلالته ذراعه لأجل أن يرى آخِر الأرض (الأفق)، وقد لمح جلالته شرذمةً من الآسيويين آتين على جيادهم (...) آتين عدوًا. تأمَّلْ، إن جلالته كان مسلَّحًا بأسلحة الواقعة، وقد ظهر جلالته (على العدو) بقوة (الإله «ست») في ساعته (أي: ساعة غضبه) فتقهقروا عندما صوَّب جلالته النظرَ لواحد منهم،

ثَمَّ قفل راجعًا ليحمي مؤخرته؛ إذ كان قد لمح بعض الآسيويين قد قدموا متسلِّلين وهم مدججون بأسلحتهم لمهاجمة جيش الفرعون، وعندئذٍ انقَضَّ جلالته عليهم انقضاضَ الصقر الإلهي، وعلى الرغم ممَّا كانوا عليه من ثقةٍ وطيدةٍ، فإن قلوبهم قد تخاذلت الآن؛ إذ تساقَطَ الواحد منهم فوق زميله حتى قائدهم، على أنه لم يكن بجانب جلالته أحد، بل كان منفردًا ومعه سيفه البتَّار، فأهلكهم جلالته بسهامه، وتقدَّمَ بقلب فَرِح مثل الإله «منتو» شديد القوى، بعد أن أحرز النصرَ على الأعداء.»

قائمة بالأسلاب التي غنمها جلالته في هذا اليوم: «أميران، وستة أشراف مع عربات قتالهم، وخيولهم، وكل أسلحتهم.»[٩]

مدينة «ني» تُسلَّم بدون مقاومة شديدة: «وبعد ذلك زحف جلالته نحو بلاد «ني»، غير أن أمير هذه البلاد ورعاياه من رجال ونساء قد أظهروا الولاء والطاعة، وظهرت على وجوههم الدهشة (وقد جاءت هذه العبارة في متن الكرنك هكذا)، وقد كان سوريو هذه المدينة رجالًا ونساءً واقفين على جدرانهم، ودهشوا من الإله الطيب.»

الملك يستولي على أوجاريت: «وبعد ذلك ضرب جلالته سرادقه بالقرب من «أوجاريت»[١٠] وتغلَّب على كل أعدائه هناك، وقد أهلكهم كأن لم يغنوا بالأمس؛ إذ جعل عاليهم سافلهم، ثم قفل راجعًا فَرِح القلب، بعد أن أصبحت هذه الأراضي الأجنبية قاطبةً ملكًا خاصًّا له.»

وبعد ذلك هزم جلالته بنفسه ... بحربته (...) تأَمَّلْ، فإنه حمل هذا الآسيوي (أسيرًا (...) وخيله) وعربته وكل أسلحة قتاله، وقد عاد جلالته بقلب فَرِح لوالده «آمون»، ومنحه (أي: الملك) عيدًا (...).»

[٩] وجاء في متن الكرنك: «قائمة بما أسره جلالته في هذا اليوم: جوادان، وعربة واحدة، ودرع، وقوسان، وكنانة مملوءة بالسهام، وزرد، و(...).» ومن ذلك نعلم أن الحوادث فيها تشابه، غير أن الغنائم كانت مختلفة.

[١٠] وكان جلالته قد سمع (على ما جاء في متن الكرنك) أن بعض السوريين الذين كانوا في مدينة «أرجاريت»، قد عقدوا الأيمان على أن يعطوا الأوامر على طرد حامية جلالته التي كانت في هذه المدينة، ومن أجل ذلك ذبحهم وخلص المدينة منهم.

الملك يضرب خيامه في «تارخي» وغيرها من الأماكن الحربية: «وبعد ذلك عسكَرَ جلالته على مقربة من «تارخي»،[١١] وهي في شرقي «شماش رام»[١٢] (= الشمس العالية)، وقد خرب قرى «منزاتو» Mindatu،[١٣] ووصل جلالته حتى «هثرعا»، فخرج أميرها بقلب فَرِح لمقابلة جلالته ومعه أولاده ومتاعه، وكذلك استقبل جلالته أهل بلاد ينقا Unka[١٤] بسرور.»

قادش تعقد يمين الإخلاص للملك: «وبعد ذلك وصل جلالته أمام «قادش»، فخرج أميرها لمقابلة جلالته بسرور، وعقد هو وأولاده يمين الإخلاص لجلالته.

ثم قام جلالته بإصابة هدفين من النحاس بسهامه أمامهم في الجهة الجنوبية من هذه المدينة، ثم جال في غابات جبال «رابيو»[١٥] وقنص غزالًا ومهاري وأرانب وحشية وحميرًا برية يخطئها العد.»

---

[١١] «تارخي» أو «ثالخي»: ذُكِر هذا المكان في خطابات «تل العمارنة» (١، ٥، ١٢٦)، وكُتِبت «سالخي»، وهو المكان المعروف بجبل الأقرع، وهو الذي يسميه اليونان Kasion، وفيه كان يُقدَّس الإله «زيوس كاسيوس»، ومن ذلك نعرف أن الفرعون «أمنحتب» الثاني كان قد ترك «أوجاريت»، وعبر نهر الأرنت، وعسكَرَ على الجانب الشرقي من «جبل الأقرع».

[١٢] شماش رام: هذا المكان لم يأتِ ذِكْره إلا في هذا المتن، ومعناه «الشمس العالية».

[١٣] قرية منزاتو ومدينة هثرعا: لا بد أنهما يقعان بجوار الأخيرة، وعلى أية حال فإن كل هذه الأماكن تقع على الجانب الأيمن من نهر «الأرنت».

[١٤] ينقا: هذه المدينة التي تقع في سوريا الشمالية قد جاء ذكرها منذ عهد «تحتمس الثالث» (راجع: Urkunden. IV, p. 789)، غير أن موقعها بالضبط لا يُعرَف حتى الآن، وقد جاء في المتون الآشورية بلدة باسم «ينقي»، وتقع في الإقليم الواقع شمالي «قادش».

[١٥] لا بد أن غابة «رابيو» تقع بالقرب من «قادش»؛ حيث يوجد عدد عظيم من الحيوان البري، وقد جاء ذكر المهاري البرية، وقد غنم منها الفرعون «تحتمس الثالث» ١٩١ مهرًا خلال حملة مجدو (راجع: Urkunden IV. p. 662 ff)، ولا نزاع في أن غرض الفرعون من إصابة الهدفين أمام أولئك القوم هو إظهار ما كان عليه الفرعون من الحذق في إصابة المرمى.

الملك يغنم بنفسه بلدة خاشابو: «ثم سار جلالته بعربته نحو مدينة «خاشابو»،[١٦] وقد كان وحيدًا لا رفيقَ له، ولم يَمْضِ إلا زمن قصير جدًّا حتى عاد من هناك بعد أن غنم ستة عشر من الأشراف وساقهم بجانب عربته، وكذلك كان معه عشرون يدًا (مقطوعة) معلقة على معرفة جواده، هذا إلى ستين ثورًا ساقها أمامه، وعلى ذلك طلبت هذه المدينة الأمان من جلالته.»

الفرعون يقبض في عودته إلى الوطن على رسول معادٍ: «وبعد ذلك سار جلالته جنوبًا في وادي «شارونا»،[١٧] فقابَلَ هناك رسولَ أمير «نهرين»، وكان يحمل (حول) عنقه كتابًا على لوحة من الآجر مختومًا، فأخذه أسيرًا بجانب عربته، ثم فضَّ جلالته خيامه وحملها على خيله، وبقي معه الشريف السوري وحده أسيرًا.»

العودة نحو منف وفحص الغنائم التي عاد بها الفرعون: «وقد وصل جلالته إلى «منف»، وقد كان قلبه فَرِحًا مثل قلب الثور القوي.»

قائمة الغنائم: «خمسمائة وخمسون شريفًا سوريًّا … (؟)، وأربعون ومائتا امرأة، وأربعون وستمائة كنعاني، واثنان وثلاثون ومائتان من أبناء الأمراء، وثلاث وعشرون وثلاثمائة من بنات الأمراء، وكذلك حظيات أمراء من كل الأراضي الأجنبية: سبعون ومائتان بحليهن المصنوع من الفضة والذهب الذي كنَّ يحملنه، ويبلغ[١٨] الكل أربعة عشر ومائتين وألفين، يُضاف إلى ذلك عشرون وثمانمائة جواد، وثلاثون وسبعمائة عربة بكل معدات الحرب، وقد أدهش الزوجة[١٩] الإلهية والزوجة الملكية والابنة الملكية انتصارات جلالته.»[٢٠]

[١٦] تقع مدينة «خاشابو» على بُعْد ثلاثين كيلومترًا جنوبي «صيدا» على ساحل «فينيقيا»، وقد جاء ذكرها في خطابات «تل العمارنة» «خاشابايو»، والظاهر أنها هي البلدة التي تُسمَّى الآن «حسبية» عند منبع نهر «الحسباني».

[١٧] سارونا (شارونا): ذُكِرت هذه البلدة في خطابات «تل العمارنة» باسم «شارونا»، وهي في سهل البحر الأبيض المتوسط بين «يافا» و«قيصرية».

[١٨] المجموع الذي أُعطِي في هذا النص خطأ، ويجب أن يكون خمسة وخمسين ومائتين وألفين.

[١٩] المقصود بالزوجة الملكية هو «تي عا» التي عُثِر لها على جزء من تمثال في حفائر الجيزة، وكذلك يُحتمَل أن المقصود هنا بزوج الإله هي أم الفرعون «أمنحتب الثاني» «مريت رع حتشبسوت» الثانية،

العودة إلى منف: وكذلك في متن الكرنك نجد كاتب اللوحة قد أعطانا تاريخَ العودة إلى «منف»، ولم يَبْقَ منه إلا يوم الشهر وهو السابع والعشرون، ونجد في هذا المتن تفصيلات لا توجد في متن «منف»، وهاك متن لوحة الكرنك: «… اليوم السابع والعشرون، خرج جلالته من معبد صاحب الوجه الجميل (بتاح)، وذهب إلى «منف» حاملًا معه الغنيمة التي سلبها من بلاد «رتنو».»

«وقد شاهدت كل البلاد انتصارات جلالته. أقسم بالإله الطيب سيد الأرضين رب القربان … محبوب «آمون» حامي مَن في «طيبة»، المحتفل بأعياد

وتمييز هذه الألقاب هنا صعب جدًّا، ومن المحتمل أن «تي عا» كانت تحمل كل هذه الألقاب بعد أن وضعت «تحتمس الرابع»، وهو الصواب.

[٢٠] جاء في متن الكرنك عن فتح بلدة «ني» ما يأتي: «الشهر الثاني من الفصل الثالث، اليوم العاشر، وقد زحف جلالته عندما كان سائرًا نحو الجنوب إلى مصر على خيله إلى بلدة «ني». تأمَّلْ، فإن آسيويي هذه المدينة رجالًا ونساءً كانوا واقفين على جدرانهم مادحين جلالته … للإله الطيب.» ويُلاحَظ أن هذا المتن يقرب بعض الشيء من متن لوحة «منف»، كما يُلاحَظ أن في لوحة الكرنك يذكر المتن تواريخ المعارك وقد خَلَتْ منها لوحة «منف». بعد ذلك نجد المتنين يختلفان اختلافًا بيِّنًا من جهة سرد الحوادث، وحتى بلدة «أوجاريت» قد كُتِبت بطريقة مختلفة في متن «الكرنك»: «تأمَّلْ! إن جلالته قد سمع ما قيل من أن بعض أولئك الآسيويين الذين كانوا في مدينة «إكاثي» Ikathy قد تآمروا على عمل خطة لطرد مشاة جلالته، الذين كانوا في المدينة لأجل أن يغلبوا … الذين كانوا على الولاء لجلالته؛ وعندئذٍ وضعهم جلالته في … هذه المدينة … وهزمهم (؟) في الحال، وهدأ هذه المدينة … ضد كل بلاد كذا … الشهر الثاني من الفصل الثالث اليوم العشرون + س … (…) جعل مدينة «إكاثي» …» وباقي الأسطر من اللوحة حتى سطر ٢٩ لا نجد منها إلا بعض عبارات مبعثرة، أهم ما فيها هي الكلمات التالية: «من أطفاله. تقرير بما استولى عليه جلالته (سطر ٢١) عربته (سطر ٢٦). قائمة الأسرى (سطر ٢٧)، أسلحة حرب لا حصر لها (٢٨)، وكان جلالته قد زين بشعار ملكه.» وبقرن هذا المتن بمتن لوحة «منف»، نجد أن بلدة «إكاثي» لم يَرِد ذِكْرها في هذا المتن الأخير. وكذلك نجد حتى بقرن الألفاظ التي جاءت مبعثرةً في متن «الكرنك» مع متن «منف»، أنه ليس هناك أي تشابه، بل نجد أن الفرعون قد فتح بلدانًا أخرى، ربما جاء ذكر بعضها في متن الكرنك المهشم.

وقد كانت آخِر بلدة مرَّ بها الفرعون في عودته إلى مصر في متن الكرنك هي بلدة «خاتيثانا» Khatithana، أما في لوحة «منف» فقد جاء أنه قفل راجعًا بعد فتح «خاشابو» مارًّا ببلدة «شارونا» ومنها إلى «منف». أما في متن الكرنك، فإنه قفل راجعًا من «خاتيثانا» إلى «منف»، وهاك المتن الذي تبقى: «… جلالته قبيلة «خاتيثانا» مجتمعة … تأمل الرئيس … المدينة خوفًا من جلالته، رؤساؤه وزوجاته وأطفاله قد سيقوا أسرى، وكذلك كل قومه.» (تقرير عمَّا استولى عليه جلالته نفسه … خيله.)

جدول ١: قائمة بما استولى عليه.

٥٥٠ + س	شريفًا من المريانا أحياء
٢٤٠	من أزواجهم
٦٨٠٠	دبنًا مصنوعة أواني من الذهب (= ٦٥٧½ ونصف رطلًا)
٥٠٠٠٠٠	دبنًا من النحاس (= حوالي مائة ألف رطل)
٢١٠	جواد
٣٠٠	عربة

بيت آمون، سيد «طيبة» (…) ابن الشمس «تحتمس» الرابع، معطي الحياة أبد الآبدين.»

فإذا قارنَّا ما جاء في هذا المتن بما في متن «منف»، نجد أن هناك بعض الفروق، وبخاصة في عدد الأسرى، كما نجد أن متن «منف» قد أغفل كليةً أوانيَ الذهب ومقدارَ النحاس، وكذلك نلحظ أن أول عمل قام به الفرعون عند دخوله «منف» أن زار معبد الإله «بتاح»، ثم ذهب إلى قصره، وأخيرًا نجد أن هذا المتن قد نقشه «تحتمس الرابع» ابن أمنحتب الثاني بعد وفاة والده.

(ج) حملة السنة التاسعة

التاريخ: «السنة التاسعة، الشهر الثالث من فصل الربيع، اليوم الخامس والعشرون، زحف جلالته على بلاد «رتنو» في حملته الثانية المظفرة على بلدة «ابق»،[٢١] فطلب أهلها الأمان بسبب ما أحرزه الفرعون له الحياة والسعادة والصحة من الانتصارات.»

[٢١] المقصود هنا بلدة «ابق» التي تقع في أقصى جنوب جبال جلبوا Gelboa في شمال فلسطين، على بُعْد عشرة كيلومترات من «بيت شان» Beth Schan، ويدل المتن الذي يلي هذا على أن تلك الحروب شُنَّتْ على فلسطين الشمالية.

الفرعون يسير نحو «يحما» ويخرب القرى المجاورة: «ثم زحف بعد ذلك جلالته بجياده وعدة حربه نحو «يحما»، فنهب جلالته قرية «ماباسن»[٢٢] وقرية «حاتيثان»، وهما قريتان غربي «سوكا»،[٢٣] وقد هاج هناك الملك كالصقر المقدس، وعندئذٍ طارت جياده كالشهاب حينما ينقضُّ من السماء، ولم يَكَدْ جلالته يدخل المعمعة حتى أَسَرَ أمراء البلدة وأولادهم وزوجاتهم، وكل أتباعهم وكل متاعهم الذي لا يُحصَى من بهائم وجياد والماشية الصغيرة.»

الإله آمون يظهر للفرعون في حلم ويمنحه القوة: «وقد اضطجع جلالته ليستريح، فأتى في المنام جلالة هذا الإله البهي «آمون» رب «الكرنك» إلى جلالة ابنه الملك «عا خبرو رع» ليمنحه القوة، وقد كان الوالد «آمون» يرغب في أن يحمي بأعضائه هذا الفرعون.»

الملك يحرس بمفرده أسرى الحرب الذين أسرهم في بلاد السامريين: «وفي الصباح المبكر سار جلالته في عربته نحو بلدة «إتورين» Itwryn، ثم بلدة «مجدول يون»،[٢٤] وقد كان جلالته في قوة الإلهة «سخمت»، ومثل الإله «منتو» في «طيبة»، فأسر أمراءهم، ويبلغ عددهم أربعة وثلاثين، وكذلك استولى على سبعة وخمسين عبدًا، وواحد وثلاثين ومائة أسرى، واثنين وسبعين وثلاثمائة يد، وأربعة وخمسين جوادًا، وأربع وخمسين عربة حرب بكلِّ معداتها، كما استولى على كل الرجال البالغين وأطفالهم ونسائهم وكل متاعهم، ولما رأى جلالته كثرة الغنائم التي استولى عليها، أراد أن يأخذ الأسرى أحياء، فحفر خندقين حول أولئك الأسرى، وسهر على حراستهم حتى مطلع الفجر، وفي يمينه (بلطة) قتاله، وكان وقتئذٍ وحيدًا لا أحد بجانبه، وكان جنوده بعيدين عنه على الطريق، ولم يسمعوا إلا صوت طلب النجدة من الفرعون، وفي الصباح

[٢٢] تقع كلٌّ من بلدة «ماباسن» و«خاتيثان» غربي «شويكة» في إقليم السامريين.

[٢٣] أما «سوكا» فهي بلدة «شويكة» الحالية الواقعة شمالي «نابلس».

[٢٤] الظاهر أن بلدتَيْ «تورين» و«مجدول يون» يقعان في إقليم السامريين، غير أن موقعهما بالضبط لا يمكن تحديده، ولكن شواهد الأحوال تُنبِئ بأنهما على مقربة من بلدة «شويكة»؛ وذلك أنه من المؤكد أن الفرعون بعد رؤيته التي رآها في نومه بجوار شويكة، قام بعدها في الصباح المبكر وهاجَمَ هاتين المدينتين.

الباكر من اليوم التالي سار الفرعون على جواده ثانيةً، وكان مدججًا بأسلحة الإله «منتو».»

الفرعون ينهب «أنا وخراث» في عيد التتويج: «وفي يوم عيد تتويج جلالته[٢٥] نهب بلدة «أنا وخرث».»[٢٦] قائمة بغنائم جلالته في ذلك اليوم بمفرده: «سبعة عشر شريفًا آسيويًّا، وستة من أولاد الأمراء، وثمانية وستون آسيويًّا، وثلاثة وعشرون ومائة يد (مقطوعة)، وسبعة جياد، وسبع عربات حرب من الفضة والذهب وكل معدات حروبها، وثلاثة وأربعون وأربعمائة ثور، وسبعون وثلاثمائة بقرة، وعدد لا يُحصَى من الماشية الصغيرة، وقد قدَّم كل الجيش الغنائم التي يخطئها العد للفرعون من بهائم وجياد وماشية صغيرة.»

الفرعون يستولي على «جرجور» أمير «قبعاسومنه»: «ثم زحف جلالته على «هو عكتي» وأسر أمير «قبعاسومنه»[٢٧] واسمه «جرجور»، وقد استولى كذلك على زوجه وأولاده وأتباعه، وعيَّنَ بدلًا منه أميرًا آخَر.»

العودة إلى «منف» وإحصاء الغنائم: «وبعد ذلك قفل جلالته راجعًا إلى مدينة «منف»، وقلبه مفعم بالسرور من كل البلاد الأجنبية، وذلك بعد أن جعل كل الأصقاع تحت موطئ قدمَيْه.»

قائمة بالغنائم التي عاد بها جلالته إلى الوطن: «سبعة عشر ومائتا أمير من «رتنو»، وتسعة وثمانون ومائة من إخوة الأمراء، وستمائة وثلاثة آلاف من العبرو،[٢٨] ومائتان وخمسة عشر ألفًا من البدو، وثلاثمائة وستة وثلاثون

[٢٥] يوم تتويج الفرعون كان أول يوم بشنس، وبذلك يكون نهب بلدة «أنا وخراث» بعد خمسة أيام وخمسة أشهر من بداية الحملة التي قام بها الفرعون في السنة التاسعة من حكمه.

[٢٦] وبلدة «أنا وخاراث» لا يُعرَف موقعها بالضبط، وقد ذُكِرت في حروب «تحتمس الثالث» (Urk. IV. p. 783)، وهي البلدة الجبلية الواقعة عند المنحنى الجنوبي لمرتفع «مورة» قبالة «نفتالي» التي ذُكِرت في (Joshua, 19, 19).

[٢٧] لقد ذُكِرت إمارة «قبعاسومنه» في حروب تحتمس الثالث (Urk. IV. p. 782)، ويقول عن هذا المكان «مسبرو» إنه يقع على أطلال «الشيخ إبريق» جنوبي «حيفا». ويقول عنه «بورخارت» إنه «عبق شبعه» «تل السبعة».

[٢٨] إن أهم ما يلفت النظر هنا في قائمة الأسرى ذِكْر أجناس الأقوام الذين كانوا يقطنون «سوريا» وفلسطين منذ عهد البرنز المتأخر، وقد ذُكِروا بالترتيب من الجنوب إلى الشمال. وممَّا له أهمية عظمى

ألفًا من السوريين، وستمائة وخمسة عشر ألفًا من أسرى «نجس»[٢٩] (لا عاش)، هذا إلى اثنين وخمسين وستمائة وثلاثين ألفًا من أتباعهم، فيكون المجموع الكلي ستمائة وتسعًا وثمانين ألف نسمة،[٣٠] يضاف إلى ذلك متاعهم الذي لا يُحصَى، وكل بهائمهم، وكل مواشيهم الكبيرة التي يخطئها العدُّ، هذا إلى ستين عربة حرب من الفضة والذهب، واثنين وألف ملوَّنة، وعربات حرب من الخشب بكل معداتها الحربية، وكذلك خمسون وثلاثة عشر ألفًا من الجياد، وذلك بقوة الإله «آمون» الوالد المبجل المحبوب منه، والذي منحه حمايته، وإنه «آمون» هو الذي حباه بالشجاعة.»[٣١]

أمراء آسيا العظام الذين راعهم انتصارات الفرعون يرسلون رُسُل السلام إلى البلاط: «ولما سمع أمير «نهرين» وأمير بلاد «خاتي» وأمير «سانجار» بالانتصارات العظيمة التي أحرزها جلالته، حمل كل واحد منهم هدايا الود والمصافاة لرب كل الأراضي الأجنبية، وقد وطَّدوا العزم على أن يطلبوا إلى جلالته أن يمنحهم نفس الحياة كما كان يفعل والد آبائهم، وقالوا: «لقد حضرنا بهدايا إلى البلاط يابن «رع» يا «أمنحتب» يا أيها الإله، وأمير «هليوبوليس»، ويا أمير الأمراء، ويا أيها الأسد الهصور، وبذلك أبعد الخوف من هذه البلاد إلى الأبد».»

بين أولئك الأقوام الذين ذُكِروا هنا لأول مرة بوصفهم سكان الجنوب قومُ «عبرو» (العبرانيون فيما بعدُ)، وقد جاء ذكرهم فيما بعدُ في خطابات «تل العمارنة» بلفظة «خبيرو»، وهم العبرانيون الذين ذُكِروا في الكتاب المقدَّس، وورود اسمهم هذا يعضد ما جاء في رسالة أنطون يركو (راجع: Anton Jirku, Die Wanderung der Herbrair in Dritten und Zweiten Vordrnistlichen Jahrtausand (Alte Orient, Bd. 24, Heft, 2. Leipzig).

[٢٩] وقوم «نجس» يقابل ما ذُكِر في الخط المسماري «نوخاشتي Nuchassi»، والظاهر أنه في ثنايا هذا الاسم قد خُبِّئ أصل كلمة «لاعاش»، وسلالة «لاعاش» كانوا يسكنون في الإقليم بين «قرقميش» وقادش (= تل بني مندو)، وبلادهم لا تبعد كثيرًا عن نهر الفرات عند انحنائه الغربي على شاطئه الغربي قبالة بلاد المتني (راجع: Vgl. M. Noth, “Lacach und Hazrak” Z. O. p. V. Bd. 52. (1929). S. 138).

[٣٠] يُلاحَظ هنا أن المجموع في المتن خطأ، والظاهر أنه قد ترك 12185 من الأسرى لم يُحسَبوا.

[٣١] ونجد هنا كذلك أن الكاتب قد ذكر عددًا، وفاتَه أن يذكر نوعه. والظاهر هنا أنه عدد الجياد؛ لأن الحديث كان عن العربات.

ويدل ما لدينا من معلومات على أن «أمنحتب» الثاني قد قام بحروب في آسيا، قبل الحملة التي يطلق عليها الدكتور «بدوي» الحملةَ الأولى في لوحة «منف»، السنة السابعة من سني حكمه، غير أنه ممَّا يُؤسَف له جد الأسف أن بداية لوحة الكرنك، التي كانت حتى زمنٍ قريبٍ مصدرنا الوحيد عن حروب هذا الفرعون، قد ضاع منها الجزء الذي دون فيه.

(د) تاريخ بداية الحملة الأولى

وقد ذهب بعض المؤرخين أنها السنة الثانية من حكم هذا الفرعون، وذلك استنباطًا مما جاء على لوحتَيْ «أمدا» و«إلفنتين» المؤرَّختين بالسنة الثالثة من حكم «أمنحتب الثالث»، وقد جاء في نقوشهما ذِكْر انتصار الفرعون على بلاد «التخسي» الواقعة في شمال «سوريا»، على أن البعض يظن أن هذه الحملة قد قامت في السنة الثالثة، وقد عدَّها حملته الأولى المظفرة إلى بلاد «رتنو»، على أن هذا التاريخ لا يتفق مع ما جاء في لوحة «منف»، التي يذكر فيها أن حملته الأولى كانت في السنة السابعة من حكمه، وقبل أن نفحص هذا التناقض نضع أمام القارئ ما جاء على لوحة «أمدا» خاصًّا بإقامة اللوحة التذكارية فيها، وما نوَّه به الفرعون عن حروبه قبل السنة الثالثة، «وبعد ذلك أمر جلالته بنحت هذه اللوحة لتقام في المعبد في مكان «موقف الملك»،[٣٢] وتُنقَش باسم سيد الأرضين العظيم ابن الشمس «أمنحتب» الثاني، حاكم «هليوبوليس» المقدس في بيت الآباء، وهم الآلهة بعد عودة جلالته من «رتنو» العليا، وكان قد هزم كل أعدائه مادًّا حدودَ مصر في حملته الأولى المظفرة.»

تضحية الأمراء الآسيويين: «وعندما عاد جلالته بقلب فَرِح لوالده «آمون»، ذبح بيده الأمراء السبعة الذين كانوا في إقليم «تخسي»، وقد علقوا منكسي الرءوس عند مقدمة سفينة جلالته التي كانت تُسمَّى «عا خبرو رع» (أمنحتب

[٣٢] «موقف الملك» هو المكان الخاص الذي يقف فيه الفرعون في قدس الأقداس لتأدية الشعائر الدينية، وقد عُرِف من هذه «المواقف» واحد في «أمدا»، وثانٍ في إلفنتين، وثالث في «طيبة» (في معبد «أمنحتب الثالث» في الجهة الغربية من النيل)، وكذلك يوجد واحد في «منف» (راجع: Breasted, A. R. II. §. 140).

الثاني) مؤسِّس الأرضين، وقد علق ستة رجال من أولئك الخاسئين أمام جدار «طيبة»، وكذلك تلك الأيدي.[٣٣] أما الخاسئ الآخَر فإنه أُخِذ إلى بلاد النوبة، وعُلِّق على جدار «نباتا»؛ لأجل أن يظهر انتصارات جلالته أبد الآبدين في كل الأراضي وفي ممالك أرض السود، ومنذ ذلك استولى على أهل الجنوب، وغل أهل الشمال، وهي الأراضي الخلفية لكل العالم الذي يضيء عليه الإله «رع»، وذلك لأجل أن يجعل حدوده تمتدُّ على حسب ما يرغب فيه، ولا أحد يقاوم يده كما أمر والده «رع» و«آمون رع» رب «طيبة»؛ وذلك لأن ابن رع من جسده ومحبوبه «أمنحتب الثاني» حاكم «هليوبوليس» المقدَّس يعطي الحياة والثبات والرضا، وسرور القلب على يدَيْه مثل «رع» مخلدًا أبدًا.»

(هـ) التعليق على هذه النصوص وملخصها

فهذا النقش الذي أُرِّخ بالسنة الثالثة من حكم «أمنحتب الثاني»، يدل دلالةً واضحة على أن هذا الفرعون قد قام بحروب قبل حملته الأولى التي جاء ذكرها على لوحة «منف»، والواقع أن «أمنحتب» الثاني كان قد قام بهذه الحرب في السنين الأولى من حكمه؛ وذلك لأن بلاد «تخسي» هذه لم تُذكَر، لا على لوحة الكرنك ولا على لوحة «منف» الجديدة، غير أن المشكل هنا في ذكر عبارة «حملته الأولى المظفرة»، التي جاءت على لوحة «أمدا»، ثم جاءت على لوحة «منف» ثانيةً، مع أن الأولى مؤرَّخة على أكثر تقدير بالسنة الثالثة، والثانية مؤرَّخة بالسنة السابعة من حكمه، فهل تشير هذه الجملة التي على اللوحة الأولى إلى أنه قام بهذه الحرب عندما كان مشتركًا مع والده في الحكم،[٣٤] وأنه عندما انفرد بالملك تكلَّمَ

[٣٣] أي: الأيدي التي قطعها بعد قتل أصحابها.

[٣٤] يعتقد كلٌّ من «زيته» (Untersuchung I. p. 55) و«برستد» في اشتراك «أمنحتب الثاني» في الحكم مع والده «تحتمس الثالث»، ويقول «برستد» إن هذا الاشتراك لا بد كان قد بدأ في السنة الثالثة والخمسين، أو في أوائل السنة الرابعة والخمسين؛ لأننا نجد «تحتمس الثالث» لا يزال وحده في السنة الثانية والخمسين (L. D. III. Pl. 45e. & Sethe “Untersuchung” I, 23. No. 1) و«أمنحتب» الثاني وحده في السنة الثالثة من حكمه. ولما كانت الحملة التي قام بها في «آسيا» قد انتهت في السنة الثالثة من حكم «أمنحتب»، وكان لا بد من القيام بها لموت «تحتمس الثالث» وقيام الثورات في آسيا على إثر

عن حملته في السنة السابعة من حكمه بأنها حملته الأولى؟ هذا ما لا يمكن القطع به على وجه التأكيد.

حقًّا إن النقوش تدل دلالة واضحة على أن «أمنحتب» كان قد اشترك مع والده في حكم البلاد كما أشرنا إلى ذلك من قبلُ، غير أننا لا نعلم مدة اشتراكه معه في الحكم، فهل عندما بلغ «أمنحتب» سنَّ الثامنة عشرة من عمره أشركه معه والده في الحكم، وأعطاه مقاليد الأمور في يده، وبقي يعمل منفردًا في حكم البلاد حتى وافى والده الموت، وأصبح هو الملك الوحيد بلا شريك، ومن ثَمَّ قام بحملته الأولى المظفرة، منفردًا في السنة السابعة من حكمه، أيْ إنه قد حسب سني حكمه منذ أن اشترك مع والده في الحكم، وبذلك لا يكون هناك أيُّ التباسٍ في هذه العبارة في كلا النصين[٣٥] (؟)، كل هذه احتمالات قد تكون صائبةً أو شطت عن الصواب، أما العقدة الثانية في نقوش «أمنحتب» الثاني الحربية، فتنحصر في عدم انسجام ما جاء على لوحتَي «الكرنك» ولوحة «منف» في كثيرٍ من النقط، وبخاصة في عدد الغنائم ونوعها، وكذلك في ذِكْر المدن التي فتحها الفرعون.

والظاهر أن هذا الاختلاف قد نشأ من أن اللوحة الجديدة قد أقامها الفرعون «أمنحتب الثاني»، بعد عودته من الحملتين اللتين قام بهما في السنة السابعة والسنة التاسعة من حكمه في «منف» مسقط رأسه، وهي المدينة التي استعرض فيها غنائم حربه؛ أما لوحة الكرنك فيظهر أن الذي أمر بإقامتها هو ابنه «تحتمس الرابع»، كما تدل على ذلك الجملة الأخيرة التي جاءت على هذه اللوحة، ولا بد أن الحفَّار الذي دوَّنَ نقوشَ هذه اللوحة

وفاته، فإنه من الواضح أن «أمنحتب» قد حكم سنته الأولى مع «تحتمس» الثالث، وحارَبَ حربه في «آسيا» في السنة الثانية، وذهب إلى بلاد النوبة في سنته الثالثة؛ ليستعِدَّ لإتمام معبدَيْ والده في «إلفنتين» و«أمدا» (راجع: Breasted. A. R. II. § 180)، غير أن الأستاذ «إدورد مير» يقول إن هذا الزعم يناقض ما جاء في ترجمة حياة «أمنمحاب» عن توليه العرش؛ إذ يقول إن «أمنحتب» تولَّى العرش بعد موت والده. أما عن إهداء «أمنحتب» الثاني تمثال والده «تحتمس الثالث» إلى «نب واوي»، وقد كتب على التمثال «العائش أبديًّا»، فإن العبارة الأخيرة ليس محققًا وجودها. أما عن معبد «أمدا»، فإن «أمنحتب» الثاني لم يَقُمْ ببنائه مع والده في وقت واحد، بل أكمَلَ بناءه (راجع: Breasted, “Temples of Lower Nubia”, A. J. S. L, Vol. XXIII, (1906). p. 48 ff. Meyer, “Gesch” II, § 147. N. 1)، ومع ذلك فإن اللوحة التي أقامها «أمنحتب» الثاني في «منف» يُستنبَط منها أن «أمنحتب» اشترك مع والده.

[٣٥] راجع ما كتبه حديثًا الأستاذ «جاردنر» عن تولية «سنوسرت» الثاني، وما في ذلك من تشابه مع «أمنحتب الثاني» (J. E. A. Vol 32 p 100).

لم ينقلها عن الأصل الذي في «منف»، ومن المحتمل أن لوحة «الكرنك» كذلك قد احتوت حوادث حروب هذا الفرعون، دون مراعاة الدقة في عدد الغنائم والبلاد التي فُتِحت، بل نشاهد أنه قد ذُكِر عليها أحيانًا تفاصيل لم توجد على لوحة «منف»، وأحيانًا نجد إغفالَ ذِكْر تفاصيل أخرى، ولا غرابة إذا كنَّا نجد أن «تحتمس الرابع» قد نقل حوادث حملة والده من التقارير الرسمية المحفوظة ضمن الوثائق الحكومية، التي كانت تُحفَظ في سجلات خاصة، ولا أدل على ذلك من أننا نجد تواريخ لتنقُّلات جيوش «أمنحتب» كانت تُدوَّن بكل دقة في هذه اللوحة، والواقع أن «تحتمس» الرابع كان مغرمًا بتخليد ذِكْر أجداده، فهو الذي أقام مسلةَ «تحتمس الثالث» المنفردة، كما فصَّلنا القول في ذلك بعد أن بقيت ملقاةً على الأرض نحو خمسة وثلاثين عامًا.

هذا فضلًا عن أنه قد ذكر فيها ما دخل الخزانة من أموالٍ مثل الذهب والنحاس، ممَّا أغفل ذِكْره في نقش لوحة «منف»، كما أغفل ذِكْر تفاصيل الخيالة التي تثبت في الوثائق الرسمية.

وسواء أكانت حملة بلاد «تخسي» قد قام بها «أمنحتب الثاني» خلال مدة اشتراكه مع والده في الحكم، أم في عهد حكمه المنفرد، فإنها كانت أول الحروب التي شنَّها على آسيا، ومن المحتمل أن بلاد «تخسي» قد ذُكِرت في الجزء الذي ضاع على لوحة الكرنك، على أنه لم يذكر على لوحة «منف»؛ غير أن من المستبعد أن نجد «أمنحتب الثاني» يفخر بقتل أمراء «التخسي» في ثلاثة نقوش أقامها في «أمدا» و«إلفنتين» وفي «أرمنت»، ثم لا يذكرها في لوحته التي أقامها في «منف» وعدَّد فيها بالتفصيل كلَّ البلاد التي فتحها، حتى القرى الصغيرة.

ولا غرابة في أن نجد أهل ولايات «آسيا» قد أخذوا يشقون عصا الطاعة على هذا الفرعون الفتى؛ إذ كانوا يريدون دائمًا أن يعجموا عود الفرعون الجديد؛ فتلك كانت أخلاقهم، لو يجدون مغمزًا أو لينًا أو مدخلًا، لَولوا وهم يجمحون متحرِّرين من نير الحكم المصري، وبخاصة أن بقايا «الهكسوس» كانوا لا يزالون يعالجون النفس الأخير من حياتهم في تلك الجهات، هذا فضلًا عن أنه من اللحظات الخطرة في حياة أية دولة ناشئة أن يتوفى مُنشِئها، والبلاد التي فتحها لم تألف بعدُ عيشةَ الخضوع والاستسلام لحاكم لم يعرفوا عنه شيئًا، على أن من المشكوك فيه في نظر القوم أن يكون في قدرة الفرعون الجديد أن يُظهِر من النشاط العظيم ما يجعله ناجحًا في إدارة حكم ممتلكاته مثل سلفه المتوفى، ويشكون كذلك في أن يكون عنده من المهارة وحصافة الرأي ما يجعله

يقدِّر ما على هذه البلاد من جزية، بصورة لا تجعل أهلها يئنون تحت عبئها، فإذا لم يُظهِر هذا الحاكم الجديد أن في قدرته المحافظة على ما تركه له سلفه من إرثٍ بأي ثمن كان، وأن عمَّاله لا يزالون قادرين على السيطرة على مقاليد الأمور من غير خور أو فتور، فإن رعاياه لا بد ثائرين عليه، وبذلك يصبح تغيُّر العاهل فرصةً سانحة لإعلان العصيان العام في كل أنحاء الإمبراطورية.

والواقع أن أهالي «سوريا» قد أرادوا أن يعجموا عود هذا الملك الجديد كما فعلوا مع والده «تحتمس الثالث» الذي خيَّبت مهاراته الحربية رجاءهم، وقضى على قوتهم قضاءً حاسمًا بأسرع ما يمكن، ومع ذلك فإنهم أعادوا الكرَّة مع ابنه، فكان التنكيل بهم أشنع، فقد قاد تلك الحملة الغامضة إلى بلاد «تخسي»، وهي التي نكَّل فيها بالأمراء السبعة كما سبق ذكره، وتدل اللوحة الجديدة على أن أهالي «سوريا» وفلسطين قد أخلدوا للسكينة مدَّةً حتى العام السابع من حكمه، أيْ وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وذلك عندما قام بحملته الأولى زاحفًا بجيشه على بلاد «رتنو»؛ ليُخضِع أولئك الأمراء الذين شقوا عصا الطاعة عليه، فوصل إلى بلدة «شماش أدوم» فخربها واستولى عليها في مدة قصيرة، وكان هو الذي يقود الجيش بنفسه في عربته المسماة ««آمون قوي» و«موت راضية» و«خنسو» صاحب المشاريع الطيبة»، وبعد أن غنم منها بعض الغنائم عبر «نهر الأرنت»، غير أنه أدرك في الحال أن بعض الآسيويين أرادوا أن يهاجموه من الخلف، فعاد إليهم ثانيةً، وانقضَّ عليهم انقضاض الباشق الإلهي، ولم تنفعهم ثقتهم بنفسهم، بل دبَّ في نفوسهم الرعب، واستولى عليهم الفزع، وتساقطوا مكدِّسين بعضهم فوق بعض حتى قائدهم، وتقول النقوش إنه لم يكن ثمة مَن ينازلهم في الميدان إلا «أمنحتب»، وليس له رفيق إلا سيفه البتَّار، وقد غنم في هذه المعركة أميرين من أمراء هذه الجهة وبعض الأشراف، هذا إلى عرباتهم وخيولهم وكل أسلحتهم.

والظاهر أن مدينة «ني» قد سمعت بانتصارات الفرعون وقوته، فدبَّ في نفوسهم الفزع، حتى إن الفرعون لم يَكَدْ يظهر بجيشه أمام المدينة، حتى رأى أهلها وعظماءها واقفين على أسوارها مقدِّمين له فروضَ الطاعة والولاء.

وبعد أن تمَّ تسليم مدينة «ني» سار الفرعون بجيشه نحو «أوجاريت» (رأس الشمرة)، الواقعة على مسافة[٣٦] أحد عشر كيلومترًا شمالي «اللاذقية»، وضرب خيامه

[٣٦] راجع: (Gardiner, “Onomastica”, Vol. I. p. 151).

هناك، فهزم العدو هزيمة منكرة وجعل عاليها سافلها، ثم قفل راجعًا بقلب يغمره الفرح ويملؤه الفخار، بعد أن أصبح مسيطرًا على كل هذه البلاد الأجنبية قاطبةً، وقد حدا الفرعون إلى تخريب «رأس الشمرة» ما سمعه عن أهلها، وعن عزمهم على طرد الحامية المصرية من هذه البلدة، من أجل ذلك ذبَحَ المتآمرين، وخلص المدينة منهم (انظر مصور «رتنو العليا»).

بعد هذا النصر عبر «أمنحتب الثاني» نهرَ العاصي ثانيةً، وعسكَرَ على الجانب الشرقي عند «جبل الأقرع»، بالقرب من بلدة «سالخي»، وتقع على منحدر نهر «الأرنت»، وشرقي بلدة تُدعَى «شماش رام» (الشمس العالية)، وهو مكان غير معروف، خرب قرية «منزاتو»، ولما سار جلالته إلى قرية «هشرع» خرجوا وعلى رأسهم أميرهم حاملين كل أمتعتهم وقدَّموها للفرعون بقلوب فَرِحة، وقد سرى خبر ذلك إلى بلدة «ينقا»، فخرج أهلها لمقابلته مقدِّمين فروضَ الطاعة أيضًا، وكل هذه البلاد تقع بالقرب من «قادش» على الضفة اليمنى لنهر «الأرنت».

وبعد أن تمَّ للفرعون الاستيلاء على هذه القرى والبلدان، زحف إلى مدينة «قادش» العظيمة وعسكَرَ أمامها، ولم يكَدْ أهلها يعلمون بوجوده حتى خرجوا لمقابلته بقلوبٍ ملؤها الفرح والسرور، وعقدوا له يمين الطاعة والولاء.

وبعد أن تمَّ «لأمنحتب الثاني» النصرَ على كل هذه الأماكن، وبخاصة الاستيلاء على «قادش»، أراد أن يقلِّد والده «تحتمس الثالث»، بل يفوقه في فنون الصيد والرماية، فقام أولًا بأعمال رياضية تدل على حذقه في إصابة المرمى وإحكام رماية الهدف، فأصاب هدفين من نحاس بسهامه أمام أهل المدينة، ثم قام بنزهةٍ للصيد والقنص في غابة جبال «رابيو»، ورجع من طراده بغزلان ومهاري، وأرانب برية، وحمير وحشية لا يُحصَى عددها.

وبعد ذلك سار «أمنحتب» بعربته منفردًا نحو مدينة «خاشابو»، الواقعة على مسافة ثلاثين كيلومترًا من جنوبي «صيدا» على ساحل «فينيقيا» (بلدة «حسبية» الحالية عند منبع نهر «الحسباني»)، ولم يستغرق الاستيلاء عليها إلا مدة قصيرة، وقد عاد منها بغنائم كثيرة؛ إذ ساق أمامه ستة عشر من أشرافها، كما علق عشرين يدًا من التي قطعها على معرفة جواده، وكذلك قاد ستين ثورًا، ولعمري فإن أعمال هذا الفرعون في مضمار الفروسية تذكِّرنا بسيرة «عنترة العبسي» وأعمال فروسيته.

وبعد أن أحرز هذا الفرعون كل هذه الانتصارات المدهشة، سار جنوبًا في وادي «شارونا»، وتقع بين «يافا وقيصرية»، وقد جعل وجهته الوطن، فقابَلَ هناك رسول أمير

«نهرين»، وكان يخفي معه خطابًا كُتِب بالخط المسماري معلقًا في رقبته ومختومًا، فأخذه الفرعون وساقه أسيرًا بجانب عربته، وبعد أن مكث في هذا المكان فترة قصيرة فضَّ خيامه وحملها على خيله، وقد بقي معه هذا الشريف السوري أسيرًا، وتابَعَ بعد ذلك الفرعونُ السيرَ نحو أرض الكنانة حتى وصل إلى «منف» عاصمة ملكه الثانية بقلبٍ ملؤه الغبطة، وتفيض منه القوة كأنه الثور القوي، وفي هذه المدينة المقدسة التي كان قد ترعرع وشبَّ في ربوعها، استعرض أمام الشعب ما غنمه في حملته الأولى المظفرة من البلاد التي قهرها، فدخل «أمنحتب» المدينة في عربته المصنوعة من الذهب تجرُّها كرائم الخيل، وسير خلفه خمسين وخمسمائة شريف سوري، وأربعين ومائتَي امرأة، وأربعين وستمائة كنعاني، واثنين وثلاثين ومائتين من أولاد الأمراء، وثلاث وعشرين وثلاثمائة من الأمراء، وكذلك حظيات من البلاد الأجنبية كلها، يبلغ عددهن سبعين ومائتَيْ حظية عليهن حليهن من الذهب والفضة، ثم يأتي بعد ذلك عشرون وثمانمائة جواد، وثلاثون وسبعمائة عربة بكل ما يلزمها من عدة، ولقد بلغ من عظم هذه الغنائم أن أخذت الملكة الدهشة من عظم ما أحرزه زوجها الفتي من النصر، وما حمله لبلاده من ثراء.

والظاهر أن «أمنحتب الثاني» لم يكن في حاجة بعد ذلك للقيام بحملة ثانية في العام التالي، كما كان يفعل والده، بل بقي عامين في عاصمة ملكه، ولا يبعد أنه كان ينظم شئون البلاد، ويقيم المباني العدة التي خلفها في طول البلاد وعرضها كما سنرى.

وفي العام التاسع من سني حكمه جاءته الأخبار بقيام ثورة في شمالي «فلسطين»، فزحف في الحال بجيشه في ربع هذه السنة إلى بلدة «إبق» في شمالي فلسطين، وتقع على مسافة نحو خمسة عشر كيلومترًا من «بيت شان»، وشنَّ على أهلها الحرب ولم يمضِ طويل زمن حتى طلبوا إليه الأمان؛ إذ كان قد هزمهم هزيمة نكراء، وبعد أن استقرت الأحوال في هذه البلدة سار بجيشه نحو بلدة «يحما» التي تقع على مسافة خمسة عشر كيلومترًا غربي «إبق» السالفة الذكر، فخرب القرى المجاورة وسقطت في قبضته قرية «ما باسن» وبلدة «خاتيتان»، ويقعان غربي بلدة «سوكا»، وهي «شويكة» الحالية الواقعة شمالي مدينة «نابلس»، ثم أخذ الفرعون الغضب كأنه الصقر المقدس، وطارت جياده كأنها الشهب المنقضة، ولم يكد يدخل المعمعة حتى استولى على أمراء البلدة وزوجاتهم وأتباعهم وكل متاعهم، ومهما يكن من شيء فيبدو أن الفرعون كان مشغول البال حائر الفكر في أمر الثورات التي كانت على ما يظهر منتشرةً في جهات «فلسطين»، فكان يفكِّر في أمرها ليل نهار، حتى إنه رأى فيما يرى النائم إلهه الأعظم «آمون» يبشِّره بالنصر على

الأعداء مما شدَّ عزيمته وقوَّى روحه لمنازلة الأعداء، ولعله كان للأحلام وتفسيرها سوق رائجة في هذا العصر، فقد كان «يوسف الصديق» الذي يُحتمل أنه عاش في هذا العصر مشهورًا بتوفيقه في تفسير الرؤى وقتئذٍ، وسنشاهد فيما بعدُ أن «تحتمس الرابع» قد بشَّرَه (بو الهول) بالملك في رؤيا صادقة، وهو لا يزال أميرًا.

وعلى إثر هذه الرؤيا قام «أمنحتب الثاني» في الصباح المبكر، وأَعَدَّ العدة لنفسه، وسار بعربته منفردًا نحو بلدة «أتورين»، ثم إلى بلدة «مجدول يون»، وهذان البلدان يقعان في إقليم السامريين، وهنا نجد الفرعون يأتي بالعجب العجاب في مضمار الفروسية على غرار ما فعله في مضمار التجديف والمباراة في إصابة الهدف، بل ضرب هذا الرقم القياسي ممَّا فاق ما نقرؤه في القصص الخيالي عن عنترة العبسي، وأبي زيد الهلال، وغيرهما من الفرسان، غير أنه قد أباح لنفسه إتيان مثل هذه المعجزات بقوله إنه كان في قوة «سخمت» إلهة الحرب، وقوة «منتو» إله القتال، فقد أسر أمراء هاتين المدينتين ويبلغ عددهم أربعة وثلاثين، وكذلك استولى على سبعة وخمسين عبدًا، وواحد وستين ومائة آسيوي، وأربع وخمسين عربة حرب بكل معداتها، كما استولى على كل الرجال البالغين فيهما ومعهم نساؤهم وكل متاعهم، وقد أراد الفرعون أن يستولي عليهم أحياء، فضرب عليهم حصارًا بحفر خندق حولهم، وسهر على حراستهم حتى الصباح، وهو شاهر «بلطته» في يمينه، مُنذِرًا كلَّ فارٍّ بالموت العاجل.

والواقع أن مثل هذه المشاهد الحربية تفوق ما نقرؤه في «الإلياذة» عن أعمال «أخليس» و«هكتور»، ولا يبعد أن اليونان قد نقلوا هذه الأعمال الخارقة لحدِّ المألوف عن المصريين، وبخاصة أنهم كانوا ينسبونها إلى مَن يجري في عروقهم الدم الإلهي مثل «أخليس»، ويقول المتن بعد ذلك ما يأتي: «وفي الصباح المبكر من اليوم التالي، سار الفرعون على جواده ثانيةً (بغنائمه)، وكان مدججًا بأسلحة الإله «منتو».» وهذا نفس ما كان يفعله «أخليس»، فإنه كان يدجج بأسلحة إله الحرب، وهي التي كانت تهبه النصر، فإذا ما خلعها عنه ذهبت عنه القوة الإلهية.

على أن هذا النصر المبين لم يُرْضِ أطماع هذا الفرعون الشجاع؛ إذ آثر ألا يستريح يوم عيد تتويجه ويحتفل به، بل زحف في هذا اليوم على بلدة «أنا وخرات» واستولى عليها، وأسر أشرافها وخيلها، ورجالها وعرباتها وماشيتها، وقد كان له نصيب الأسد في الغنائم التي استولى عليها في هذه المدينة، مما لم يسمع به من قبلُ في أعمال البطولة المنفردة إلا في أقاصيص «الإلياذة»، وبعد ذلك علم أن «جرجور» أمير إقليم «قبعا سومنه»، التي

يقول عنه «مسبرو» إنها كانت تقع مكان بلدة «الشيخ إبريق» القائمة جنوبي «حيفا»، قد شقَّ عصا الطاعة، فأسره واستولى على زوجه وأولاده وأتباعه، ونصب بدلًا منه أميرًا من الموالين له.

ومما سبق نعلم أن «أمنحتب الثاني» قد أخضع كل السلالات التي كانت تقطن «فلسطين» في خلال هذه الحملة، وقد ذُكِرت كلها في هذا العرض من الجنوب إلى الشمال، على أن أهم ما يلفت النظر من بين هذه السلالات ذكر «العبرو»، وهم الذين جاء ذكرهم في خطابات «تل العمارنة» باسم «الخبيرو»، وهم العبرانيون فيما بعدُ كما ذكرنا ذلك عند الكلام على الهكسوس.

وبعد أن وصل «أمنحتب» في فتوحه إلى هذه النقطة، قفل راجعًا إلى أرض الكنانة، جاعلًا قبلته مدينة «منف» كما حدث في الحملة الأولى، وقد كان مغتبطًا مسرورًا بما ناله من نصر في كل البلاد الأجنبية التي أصبحت خاضعةً له تحت قدمَيْه، وقد كانت الغنائم التي دخل بها عاصمة ملكه الثانية أعظمَ بكثيرٍ من الغنائم التي ظفر بها في حملته الأولى، ولا نزاع في أن استعراضها كان من أعظم المشاهد التي عُرِفت في التاريخ المصري قاطبةً، فقد ساق إلى منف الأمراءَ والعظماءَ والأسرى من كل السلالات التي كانت تقطن «فلسطين» وقتئذٍ، حتى إن عددهم بلغ نحو تسعين ألف أسير، هذا إلى عربات من الفضة والذهب يبلغ عددها نحو الستين عربة، وأكثر من ألف عربة أخرى ملوَّنة وغيرها بمعداتها، وكان الفضل في هذه الانتصارات وإحراز هذه الغنائم راجعًا للإله «آمون» والده، الذي حماه في ساحة الوغى، وأمَدَّه بالشجاعة وقوة البأس، وساقه إلى هذا النصر وهذا الثراء، وبذلك فاق والده «تحتمس الثالث» في حملته الأولى إلى «سوريا»، ولم يَكَدْ يستقر المكان بالفرعون في عاصمة ملكه حتى وفد على بلاطه عظماء أمراء «آسيا»، الذين كانوا يرقبون عن كثب انتصارات هذا الفرعون، حتى راعهم ما كان عليه من قوة وشدة بطش، وقد كان كلٌّ منهم يحمل من بلاده الهدايا التي تنمُّ عن الولاء والإخلاص، وقد ذكرت لنا المتون أن كلًّا من أمير «نهرين» وأمير «خيتا» وأمير «سنجار»، وقد وفدوا على جلالته راجين منه أن يمنحهم نفس الحياة، متبعين في ذلك السنة التي سار عليها آباؤهم من قبلُ، فاستمع إلى قولهم: «لقد حضرنا بهدايا إلى بلاطك يابن «رع»، يا «أمنحتب»، ويا أيها الإله، ويا أمير «هليوبوليس»، ويا أمير الأمراء، ويا أيها الأسد الهصور، وبذلك يبعد الخوف عن هذه البلاد أبد الآبدين.»

هذا موجز عمَّا قام به «أمنحتب الثاني» في آسيا، في سبيل توطيد أركان الملك الذي قام ببنائه «تحتمس الثالث» والده على أُسُس متينة بالنسبة لعصره، ومما يلفت النظر

في تاريخ فتوح «أمنحتب الثاني» تدفُّقُ الأسرى الأجانب من «سوريا وفلسطين» رجالًا ونساء، ممَّا كان له أثر بالغ في الحياة المصرية الاجتماعية كما سنرى بعدُ.

أما عن حروبه في السودان فيظهر أنه لم يحدث في تلك الأقاليم الشقيقة ما يستحق الذكر، والظاهر أن تمثيل الفرعون بأحد أمراء «آسيا» في بلدة «نباتا»، كان بمثابة درس عملي ناجع في جعل أمراء السودان يخلدون إلى السكنية طول مدة حكمه. وقد ترك لنا «أمنحتب» نقشًا في إحدى مقابر رجال عصره في جبانة «شيخ عبد القرنة»، ذكر فيه الأقاليم التي كان يسيطر عليها «أمنحتب الثاني»، وهي في الواقع الأملاك التي كانت تدين لوالده بالطاعة، فقد مُثِّل على إحدى جدران هذا القبر الفرعونُ جالسًا على عرشه، وقد نُقِش حول قاعدة هذا العرش أسماء أهالي واحات «لوبيا» وبلاد «كوش» وبلاد «فينيقيا» و«نهرين» و«سوريا» وبلاد «مالوص» (يُحتمَل أن تكون كليكيا الحالية) (راجع: L. D. III, Pl. 63a. Petrie, “History”, II, p. 157; Maspero. “The Struggle of the Nations”, p. 292). هذا ونجد أنه قد أمر بإقامة لوحتين لتحديد أملاكه من جهة الشمال ومن جهة الجنوب في السنة الرابعة من حكمه، واحدة عند أقصى حدوده في «نهرين»، والثانية عند أقصى حدوده في الجنوب عند «كاراي»، وأقامهما له «أمنحتب» مدير أعماله في معابد الإله في الجنوب وفي الشمال، وكاتب الفرعون «أمنحتب» (راجع: Breasted, A. R. II. § 800)، فحاكى بهذا العمل والده «تحتمس الثالث»، عندما أقام لوحةً على الضفة[٣٧] اليمنى لنهر الفرات شمالًا، وأخرى عند جبل «بركل» جنوبًا.

(٨) آثار أمنحتب الثاني الباقية

(٨-١) في سوريا

لم يُعثَر للآن على لوحة «أمنحوتب»[٣٨] الثاني التي أقامها عند حدود ملكه الشمالي، كما لم يُعثَر على لوحة أخرى من اللوحات التي أقامها الملوك الذين سبقوه في هذه الجهة، وكل ما عثر عليه من آثاره في سوريا هو مقبض إناء في «تل الحسي»،[٣٩] كُتِب عليه «قصر عا خبرو

[٣٧] وبذلك يكون فراعنة الأسرة الثامنة عشرة قد أقاموا أربع لوحات عند «نهرين»: واحدة أقامها «تحتمس الأول»، واثنان أقامهما «تحتمس الثالث»، وواحدة أقامها «أمنحتب الثاني».

[٣٨] راجع: Lacau, “Steles du Nouvel Empire”, No. 34020.

[٣٩] راجع: Petrie, “Memphis”, III. p. 36.

رع» و«أمنحتب الثاني» (راجع: Bliss, “A Mound of Many Cities”, p. 89; Petrie, “Researches in Sinai”, p. 107; Gardiner and Peet, “Inscriptions of Sinai”, Pl. IX, 206)، ووُجِد اسمه في شبه جزيرة سينا.

(٨-٢) في الدلتا

عُثِر له في الدلتا على لوحة في «منف»، كما عُثِر له في «ميدوم» على مجموعة جعارين، وكذلك وُجِد اسمه في مبانٍ بطوخ في مقبرة «ست ميري» (؟) (راجع: Rec. Trav., XVI. p. 44)، والظاهر أن هذا الفرعون قد بدأ بإقامة آثار في بلدة الإلهة «باست» ربة القوة (بوبسطه) الزقازيق الحالية؛ إذ نجد منظرين في أحد مباني المعبد يُشاهَد فيهما الفرعون «أمنحتب الثاني» يقدِّم قربانًا للإله «آمون»، وقد أصلح «سيتي الأول» ما أُتلِف منهما (راجع: Naville, “Bubastis”, p. 31, Pl. XXXV).

ولدينا نقش هام أمر بنحته هذا الفرعون في محاجر «طرة»، وهذا النقش له أهمية عظيمة من الوجهة الدينية والوجهة التاريخية؛ ففي الجزء العلوي من اللوحة نجد منظرًا يُشاهَد فيه الفرعون واقفًا أمام صفين من الآلهة يبلغ عددهم ثلاثة عشر إلهًا وإلهة، والظاهر أنهم قد ذكروا بترتيب عبادتهم، كلٌّ في جهته الخاصة به من «طيبة» حتى الدلتا الغربية، وهم: «آمون»، و«حور»، و«سبك»، و«وبوات»، و«حتحور أطفيح»، و«باست»، و«بتاح»، و«أوزير»، و«خنتخاتي»، و«عشتارت»، و«سلكت»، و«حتحور آمو»، والإلهة «وازيت»؛ ومن ثَمَّ نعلم أن «عشتارت» و«خنتخاتي» كانَا يُعبَدان في أعالي الدلتا. وأسفل هذا المنظر نجد المتن التالي: «السنة الرابعة في عهد جلالة الملك «عا خبرو رع» بن رع «أمنحتب الثاني» معطي الحياة.

لقد أمر جلالته بفتح منجم قطع الأحجار ثانيةً لاستخراج حجر عيان (الجيري الأبيض)؛ لبناء معابده المخلدة مئات السنين، وذلك بعد أن وجد جلالته حجرات قطع الأحجار التي في «طرة» قد بدأت تئول إلى الخراب، منذ العهد الذي كان قبله، وإن جلالتي هو الذي جدَّدَها لأجل أن يمنح الرضا والحياة مثل «رع» مخلدًا.

وقد عملت بإشراف الأمير الوراثي، والحاكم، ومرضي الفرعون بحفظ آثاره والساهر على معابده، والذي أقام لوحتين في بلاد «نهرين» وبلاد «كاراي»، ومدير أعمال معابد الآلهة في الجنوب والشمال، كاتب الملك «منحتب» (؟)» (راجع: Breasted, A. R. II. § 799–800 & Petrie “History” II. p. 157 & A. S. XI. p. 258). ويُحتمَل أن العمد

الثلاثة المغتصبة التي عُثِر عليها في الإسكندرية هي لهذا الملك، ولا بد أنه قد أتى بها من مباني الدلتا (راجع: Rec. Trav., VII. p. 177)، أما في مصر الوسطى فلم يُعثَر لهذا الفرعون على آثار ذات أهمية، اللهم إلا أربعة جعارين من «غراب» (راجع: Petrie, "Kahun" P1. XXIII; Petrie, "Illahun" Pl. XXIII)، ووُجِد اسمه في بلدة «نوبت» (بلاص الحالية) المقابلة لمدينة «قفط» على النيل، على تعويذة ضخمة من الفخار المطلي في المعبد (راجع: South Kensington Museum London)، ولا بد أن هذا الفرعون قد أقام في معبد «المدمود» بعضَ مبانٍ؛ إذ عُثِر له هناك على عمود من الجرانيت الأحمر (راجع: Champollion, "Notices", II, p. 291).

وكذلك وُجِد له عتب باب هناك من الجرانيت الأحمر أيضًا (راجع: Rec. Trav. VII. p. 129).

وفي «دندرة» عُثِر له على قواعد وأوانٍ مصنوعة في صورة زهرة اللوتس من الفخار المطلي (راجع: Petrie, "Dendereh", Pl. XXIII).

(٨-٣) الكرنك

أقام «أمنحتب الثاني» مقصورة في «الكرنك» كشف عن بعض بقاياها «لجران» بالقرب من «النوبة الخامسة» (راجع: A. S., V, p. 34)، والأحجار الباقية من هذه المقصورة رُسِم عليها منظر يُشاهَد فيه «أمنحتب الثاني» يقود سبعين سجينًا آسيويًّا للإله «آمون»، وقد وُجِد معهم المتن التفسيري التالي: «قائمة بتلك الأقطار التي ضرب جلالته أهلها في وديانهم، وقد جدلوا في دمائهم … لأجل أن يعطى الحياة مخلدًا.» ويُلاحَظ أن أربعة وعشرين سجينًا، صفوا صفين نُقِش معهم أسماء الأقاليم التي يمثلونها، ولا يزال من المستطاع قراءة الأسماء الآتية من بينها: «رتنو العليا»، «رتنو السفلى»، «خارو»، «قادش»، «حلب»، «ني»، «ثنو»، «قطنة».

وفي الكرنك كذلك يُنسَب لهذا الفرعون بناء غريب الشكل كما يقول «بتري» (Petrie, "History", II. p. 158)، فقد بنى الجدار الشرقي الموصل للبوابتين اللتين في أقصى الجنوب، وهما البوابة العاشرة والبوابة الحادية عشرة، وأقام البناء الغريب الشكل الذي يوجد في وسط هذا الجدار، ولما كان هذا البناء الأخير ليس بمعبد ولا قصر، فقد ظنَّ أنه قاعة حراسة أو مكان راحة للاحتفال أو قاعة مجلس، ويشبه هذا البناء قاعة عمد واجهتها في الشمال الغربي، وخلفها ردهة عظيمة مؤلَّفة من عشرين عمودًا، يكتنفها من الجهتين ثلاث حجرات متصل بعضها ببعض.

وقد أضاف «أمنحتب الثاني» على واجهة بوابة «تحتمس الأول» (وهي البوابة التاسعة) منظرين يمثِّلان ذبحه الأعداء (راجع: L. D. III. Pl. 61; Champollion, "Notices", II P, 183).

وكذلك نُلاحِظ أن «سيتي الثاني» قد استعمل قطعًا عدة من الأحجار عليها اسم «أمنحتب»، عندما كان يعيد المباني التي كانت أمام محرابه المصنوع من الجرانيت، وكذلك وُجِد له بقايا معبد جميل من المرمر الفاخر — كان قد أمر هذا الفرعون بإقامته في معبد الكرنك — في حشو «البوابة» الثالثة التي أقامها «أمنحتب الثالث»، وقد نشر كثيرًا من نقوشها المهندس «بلييه»، وكذلك «شفرييه» (راجع: A. S. Vol. XXIII. (1923). Pl. VI, XXIV, (1924). Pl. I, X & XI, Vol. XXV. (1925). Pl. I. & IV. & Vol. XXVIII. p. 126).

وأقام هذا الفرعون عمدًا في الجزء الجنوبي من قاعة العمد التي أقامها «تحتمس الأول»، وهي التي هدمتها «حتشبسوت» لتقيم مكانها مسلتها، وقد ترك لنا نقشًا هامًّا على عمود من العمد التي أقامها هذا الفرعون بين البوابتين الرابعة والخامسة، وهذا المتن يصف لنا الثراء الذي أحرزه من حروبه، وهو:

> **السيادة العالمية:** «يعيش حور الثور القوي، العظيم القوة، محبوب الإلهتين، عظيم الثراء، والذي خُلِق ليضيء في «طيبة» حور الذهبي، الذي يقبض بسلطانه على كل الأراضي، الإله الطيب، مثيل «رع»، وبذرة «آتوم» الفاخرة، ابن الذي أنجبه، والذي أوجده ليضيء في الكرنك، وقد نصبه ليكون ملك الأحياء، وليعمل ما عمله حضرته، وهو المنتقم له، والباحث عن الأشياء الممتازة، والعظيم المعجزات، العبقري في المعرفة، الحكيم في التنفيذ، الماهر القلب مثل «بتاح»، ملك الملوك، وحاكم الحكام، الشجاع المنقطع القرين، رب الرعب بين سكان البلاد الجنوبية، والعظيم الخوف حتى نهاية الشمال، ومَن تأتي إليه البلاد كلها منحنية، ورؤساؤهم يحملون عطاياهم، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عا خبرو رع» (أمنحتب الثاني) معطي الحياة، السيد المظفر الذي يستولي على كل أرض، ومَن عظمه «حور» لقوته، وأمراء «المتني» يأتون إليه، وجزيتهم على ظهورهم، راجين جلالته أن يمنحهم نفس الحياة الحلو، وهذه حادثة عظيمة لم يُسمَع بمثلها منذ زمن الآلهة، وذلك أن هذه البلاد التي لم تعرف مصر ترجو الإله الطيب، وأنه والدي «رع» الذي يأمر أن أفعل ذلك، وأنه هو مصور جمالي،

وقد نصبني لأكون حامي بلاده لعلمه بأنني سأقدِّمها له، وأنه قد وهبني ما معه، وما تضيء عليه عين صله، وكل الأراضي، وكل الممالك، وكل إقليم، والدائرة العظيمة (المحيط)، وكلها تأتي إليَّ خاضعة مثل كل فرد من رعايا جلالتي، ابن الشمس «أمنحتب الثاني»، الحاكم المقدس لطيبة، العائش الخالد، وهو الواحد اليقظ الذي أنجبَتْه الآلهة.»

الإهداء: «وقد عمله أثرًا لوالده «آمون»، فأقام له الأعمدة الفاخرة لحجرة المعبد الجنوبية، مغشاة بالسام الغزير جدًّا لتخليده، ولقد أقمتُ له أثرًا في … وكان أجمل مما سبقه، وزدت عمَّا كان من قبلُ، ففقت ما عمله الأجداد، ولقد نصبني لأكون سيد الشعب، وأنا لا أزال صبيًّا في المهد، ومنحني نصفي البلاد، وجعل جلالتي يتسلم العرش، لأفعل كل جميل لوالدي، ولقد مكثت على عرشه، وأعطاني الأرض … وليس لي أعداء في كل الأرض.»

إعداد المعبد: «وأقمتُ له قدس أقداس من الذهب، ورقعته من الفضة، وصنعتُ له أواني عدة، وقد كانت أكثر جمالًا من النجوم، وبيت ماليته كان يحتوي ذخائر من جزية كل إقليم، وكانت مخازن غلاله طافحة بالحبوب النقية، مشرفة على الجدران، وأسست له القرب الإلهية، وأصلحت أشياء من أنجبني لأجل أن يعطي «رع» «أمنحتب الثاني» حاكم «هليوبوليس» المقدس الحياة والثبات والرضا، مثل «رع» مخلدًا» (راجع: Breasted, A. R. II, §. 803–6; Dumichen, “Historische Inschriftens Altagyptischer Denkmaler”; (Leipzig, 1867), II, p. 38).

(٨-٤) معبد أمنحتب الثاني الجنازي

وقد أقام «أمنحتب» لنفسه معبدًا جنازيًّا في جبانة «شيخ عبد القرنة» بالقرب من معبد «الرمسيوم»، وقد أعاد نظام هذا المعبد الفرعون «أمنحتب الثالث»؛ ليدفن فيه ابنه وزوجه «ست آمون».

وقد عُثِر له على تمثال وبعض قطع من التي تُوضَع في الأساس في مكان هذا المعبد، وقد بقي الترتيب التاريخي متَّبَعًا في إقامة المعابد الجنازية لفراعنة هذه الأسرة، حتى بناء معبد «أمنحتب الثاني» من الشمال إلى الجنوب، وقد كان «أمنحتب الأول» عند نهاية

«ذراع أبو النجا»، ثم يأتي معبد «تحتمس الأول» فالثاني، وقد أُقِيمَا في الدير البحري، ثم «تحتمس الثالث» و«أمنحتب الثاني» و«تحتمس الرابع» و«أمنحتب الثالث»، وكلها يتبع بعضها بعضًا في سلسلة منظمة متجهة نحو الجنوب حتى «كوم الحيطان» (راجع: L. D. III, Pl. 62. & Petrie, "Six Temples at Thebes 1896", Pl. XXIII)، وقد عُثِر على مواد أساس هذا المعبد (راجع: A. Z, XXXVII. p. 143. & Rec. Trav. XIX, p. 88. & Petrie, "Six Temples" Pl. V).

(٨-٥) وفي أرمنت

عُثِر على بعض مناظر على قِطَع من الحجر، ذُكِر عليها اسم هذا الفرعون، ومن بينها قطعة رُسِم عليها القارب المقدَّس في محرابه، وقد نقش عليه «أمنحتب الثاني»: «إن قلبي فَرِح جدًّا؛ لأني تسلَّمت القربان.» (راجع: Mond, "Temples of Armant" (Text) p. 174)، وقد عثر من قبل «بركش» على قطعة من الحجر عليها اسم هذا الملك (راجع: Petrie, "History", II, p. 159).

كما وجدت في لوحة نُقِش عليها الجزء الأعلى من نسخة من لوحة «أمدا»، وهي الآن «بمتحف فينا» (راجع: A. Z. Vol. XL. p. 33)، والجزء الأسفل منها محفوظ بمتحف القاهرة (Breasted. A. R. II, § 790, note. g)، وقد ذُكِر اسم هذا الفرعون على جدران مقبرة «أماتو» (Baedeker, "Egypt" p. 258)، وقد جاء على لوحة «إلفنتين» زيادة عمَّا جاء في لوحة «أمدا» تشريعات خاصة بالأعياد المقدسة هناك، وهي: السنة الرابعة: لقد أمر جلالته بعمل شرع «قلوع» لأجل سياحة أولئك الآلهة القاطنين في «إلفنتين»، على أن تكون شرعًا كبيرة، كل واحد منها طوله عشرة أذرع بدل أن كان الشراع من قبلُ صغيرًا يبلغ طوله ثلاثة أذرع، وقد أمر جلالته بإضافة يوم لوالدته «عنقت» لعيدها النوبي عند سياحتها المسمَّاة «بداية النهر»، والمؤن هي: الخبز والجعة والثيران والإوز، والخمر والبخور والفاكهة، وكل شيء طيب وطاهر، وهي جزية سنوية زيادة على ثلاثة أيام العيد الاعتيادية؛ لأجل أن يقام عيدها العظيم لأول الشهر من الفصل الثالث، مدة أربعة أيام، ويبقى مقامًا وباقيًا؛ ليُعطَى الحياة مخلدًا (راجع: Breasted, A. R. II. § 798).

(٨-٦) آثاره في إلفنتين

وفضلًا عن اللوحة التي سلف ذكرها، وهي التي وُجِد منها نسختان: واحدة في «أمدا» والثانية في «أرمنت»، توجد قطعة من الحجر يُفهَم ممَّا جاء عليها أن الفرعون كان يقوم بأعمال التعمير والإصلاح في معبد هذه البلدة (راجع: De Morgan, "Cat. Monuments" Vol. I. p. 115).

وقد وُجِد اسم هذا الفرعون في «سلسلة» (راجع: Baedeker, "Egypt" P, 258).

وكذلك وصف لنا «بريس دفن» مسلةً يُحتمَل أنها من هذه الجهة (Revue, Arch. I, Ser. II, 2, p. 730).

وقد جاء اسم هذا الفرعون على جدران معبد الكاب (راجع: A. S. VI, p. 256).

وعُثِر له على مسلة صغيرة في «أسوان» (راجع: A. S. XXIII, p. 163).

وتوجد نقوش على صخور «أسوان» لكبيرٍ يُدعَى «خع أم واس» (L. D. III, pl. 63; De Morgan, "Cat. Monuments" I, p. 90, 87).

وكذلك يُوجَد نقشٌ آخَر لعبادة الفرعون والاسم مفقود (Ibid, I, p. 91, 103).

وفي «سهل» يُوجَد نقشٌ لشخص يُدعَى «بانحي آمون» يتعبَّد لاسم «أمنحتب الثاني»، وهو موضوع على قاعدة (Ibid, I, p. 95, 160). وفي جزيرة «بجة» بالقرب من «الفيلة» يوجد تمثال ضخم من الجرانيت في صورة الإله «بتاح»، وعليه اسم هذا الفرعون (راجع: Champollion, "Notices", p. 160).

(٨-٧) آثاره في بلاد النوبة

وقد كانت أعمال التعمير في عهد الفرعون قائمة على قدم وساق في بلاد النوبة، كما كانت في عهد والده «تحتمس الثالث»؛ ففي معبد «كلبشه» يُشاهَد في الردهة الأمامية للمعبد منظرٌ يُقدِّم فيه الفرعون القربان للإله «مين»، وللإله «مرو ترو-حور-رع» إله بلاد النوبة (راجع: Champollion, bis. 1. "Monuments", p. 54).

(٨-٨) وفي إبريم

يوجد محراب صغير منحوت في الصخر وملوَّن يُشاهَد في أحد مناظره «أمنحتب» جالسًا في مقصورة وأمامه حامل مروحة من الريش، وحامل مروحة آخر خلفه، وخلف المقصورة تقف الإلهة «ساتت»، ويأتي أمامها موكب من الرجال يقودون أسودًا وكلاب صيد وذئابًا، ويمكن قراءة النقوش حتى الآن إذ تذكر لنا ١١٣ ذئبًا (راجع: Champollion, "Notices" I, p. 84; and Champollion, "Monuments". p. 39).

وفي منظر آخَر يُشاهَد الفرعون يقدِّم القربان للإله «خنوم» والإلهة «ساتت» والإلهة «عنقت» والإله «سبد» والإلهة «حتحور» والإلهة «نخبت» (راجع: L. D. III, Pl. 63 d).

أما في معبد «أمدا» فتدل الأحوال على أن «أمنحتب» قد أتمَّ نقش المعبد الذي كان العمل جاريًا فيه في عهد والده، وتشير النقوش إلى اشتراك[٤٠] «أمنحتب» مع والده في حكم البلاد مدة قصيرة؛ إذ نجد بابين على كلٍّ منهما طغراءا «تحتمس الثالث» و«أمنحتب الثاني» مكتوبين معًا (L. D. III, Pl. 65, b, c)، في حين أننا نرى اسم «أمنحتب الثاني» منفردًا في أماكن أخرى من المعبد (Ibid. d, e)، وقد استمر العمل في هذا المعبد حتى السنة الثالثة عندما جاء الفرعون إلى بلاد النوبة، وأمر بإقامة اللوحة المشهورة التي تحدَّثنا عنها، وقد جاء فيها عن بناء هذا المعبد، وعن القرب التي خصصت لآلهته ما يأتي:

> إنه ملك قلبه ميال لمباني كل الآلهة؛ لأنه يقيم مبانيهم، وينحت تماثيلهم، والقربان المقدسة التي ترفع من شأنه قد أُسِّست للمرة الأولى من رغفان وجعة بغزارة، ودجاج بوفرة، بمثابة قربان دائم لكل يوم، وماشية كبيرة وصغيرة في مواعيدها بدون ... وقد أهدى البيت إلى سيده مجهَّزًا بكل شيء من ثيران وعجول وماشية صغيرة، ودجاج يخطئه العد، وهذا المعبد ممَوَّن دائمًا بالرغفان والنبيذ، وقد خُصِّص الدخل للمرة الأولى لآبائه الآلهة ليراها الأهلون وليعرفها الكل.
>
> **إتمام المعبد:** تأمَّلْ إن جلالته قد جمل المعبد الذي أقامه والده ملك الوجه القبلي والوجه البحري «منخبر رع» (تحتمس الثالث) لآبائه كل الآلهة، وقد

[٤٠] راجع موضوع اشتراك الملكين في الحكم (J. E. A. Vol. 31. p. 27)، وما ذكرت من قبلُ.

أقامه من الأحجار ليكون عملًا مخلدًا، والجدران التي حوله من اللبن، والأبواب من خشب الأرز من أحسن نوع تنتجه جبال «لبنان»، ومداخل الأبواب من الحجر الرملي لأجل أن يبقى اسم والده العظيم ابن الشمس «تحتمس الثالث» في هذا المعبد أبد الآبدين.

احتفال التأسيس: مدَّ جلالته هذا الإله الطيب ملك الوجه القبلي والوجه البحري سيد الأرضين «عا خبرو رع» «أمنحتب الثاني» خيط القياس لكل الآباء (الآلهة)، وأقام للمعبد بوابة من الحجر الرملي مقابِلة لقاعة الحجرة المقدسة في المثوى المفخم، محاطة بعمد من الحجر الرملي بمثالة عمل خالد. وقد … موائد عدة عليها أوانٍ من فضة وبرنز وأعلام قربان (؟) ومواقد وأواني قربان وألواح تقدمة. (راجع: Breasted, A. R, II. § 793–795).

وفي «وادي حلفا» وُجِد في المعبد المقام من اللبن عمد نُقِش عليها اسم «أمنحتب الثاني» (راجع: Champollion, “Monuments”, p. 2–7; MacIver and Woolley, “Buhen”, p. 84, 89, 94, 103, 131).

وفي معبد «قمة» عند الشلال الثاني كان العمل في النقوش التي أمر بحفرها «تحتمس الثالث» لا يزال مستمرًّا عند موته؛ إذ قد ظهر اسمه في حين نرى «أمنحتب الثاني» في مناظر يقدِّم قربانًا للإله «خنوم» و«سنوسرت الثالث» بوصفه إلهًا (راجع: L. D. III, Pl. 64 b, 66).

وكذلك نجد هنا مدخلَيْ بابين أقامهما «أمنحتب الثاني» (L. D. III. Pl. 67).

وفي معبد «سمنة» نجد اسمه منقوشًا في المعبد (راجع: Murray, “Hand-book” (1880) p. 545).

وفي جزيرة «ساي» sai توجد بقايا معبد يُنسَب إلى عصر هذا الفرعون (راجع Lepsius, “Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai”, p. 237)، وقد ذكر معبد «نباتا» عند الشلال الرابع في نقوش لوحة «أمدا»، بوصفه المكان الذي أُعدِم فيه أحد الأمراء السوريين السبعة الذين أُعدِموا في «طيبة» وفي «نباتا».

(٨-٩) تماثيل أمنحتب الثاني

وُجِد لهذا الفرعون تماثيل ضخمة وأخرى صغيرة الحجم، غير أن عددها كان قليلًا بالنسبة لما عُثِر عليه لوالده «تحتمس الثالث»، فمن التماثيل الضخمة وُجِد له واحد أُقِيم أمام البوابة التاسعة في «الكرنك»، غير أنه وُجِد مهشَّمًا، وهو منحوت من الحجر الجيري الأبيض، وكذلك له جذع تمثال جميل هُشم أنفه وذقنه، عُثِر عليه في «الكرنك» وهو الآن بالمتحف المصري، والتمثال — الذي في صورة مومية — الذي عُثِر عليه في «بجة» بجوار «أسوان» نُحِت من الجرانيت الأحمر، وفي المتحف المصري يُوجَد له تمثال في صورة «أوزير» مصنوع من الجرانيت الرمادي، وقد عُثِر عليه في «القرنة»، غير أنه ممَّا يُؤسَف له قد ضاع رأسه (راجع: Petrie History II. p. 161).

ووُجِد له ثلاثة تماثيل راكعة، كل منها يحمل في كلتا يدَيْه إناءً مستديرَ الشكل يقدِّم فيه قربانًا، واحد منها في «تورين» (راجع: Lanzone, Catalogue of Turin, 1375) والتمثالان الآخران، وهما أصغر من الأول محفوظان في متحف «باريس» (راجع: Cat. Sal. Hist. p. 11)، وفي متحف «برلين» (راجع: L. D. III, Pl. 70).

وقد عُثِر عليهما في «بني نجع»، وهذا الوضع الفني للتماثيل قد أدخله والده من قبله على الفن المصري، وقد استعمل كثيرًا في مناظر المقابر التي من هذا العهد، كما يُشاهَد في إحدى مقابر «القرنة» (راجع: L. D. III, Pl. 63–64).

ووُجِد له تمثال مجاوب (راجع: Budge, “Guide to the Egyptian Collection”, p. 232)، وهو مصنوع من «الديوريت»، ونُقِش عليه الفصل السادس من كتاب الموتى (Budge, “History”, IV. p. 71).

وعُثِر له على لوحة في «الأقصر» يُشاهَد عليها وهو يتعبَّد للإله «آمون» (Wiedemann, “Geschichte”, p. 376)، وكذلك يوجد له في متحف «باريس» إناءٌ وُجِد في الأساس مصنوع من المرمر، عُثِر عليه في «طيبة» (راجع: Rec, Trav, XVI, p. 30)، كما عُثِر له على رأس «بلطة» هي الآن في «المتحف البريطاني» (Budge, “Guide” p. 232)، وكذلك عُثِر له على قطعة من البساط باسمه في قبر «تحتمس الرابع» (راجع: Carter and Newberry, “The Tomb of Thothmes”, IV, p. 143)، وكذلك وُجِد له في نفس هذا القبر أوانٍ باسمه (راجع: Ibid, p. 18)، وتوجد له بردية مؤرَّخة بالسنة الخامسة من حكمه، اليوم التاسع عشر من برمودة، وتحتوي على مدائح «لأمنحتب» الثاني، ويقال فيها إن الإله «شاي» (الحظ) والإله «رننت» (الطعام) قد نشَّآه وعلَّماه (راجع: Papyrus

Rollin, 15, p. 23)، ومن المحتمل أن قطعة الرق التي في «برلين» الخاصة بتأسس المعبد الذي أقامه «سنوسرت» الأول في «هليوبوليس» من عهد هذا الفرعون، وليست من عهد «أمنحتب الرابع» (راجع: A. Z. XII, p. 86).

(٨-١٠) جعارين عهد «أمنحتب الثاني»

ظهرت في جعارين هذا الفرعون وتعاويذه خواص جديدة لم تُعرَف في جعارين العهود السابقة من فراعنة هذه الأسرة؛ إذ نجدها على شكل لوحات صغيرة بيضية الشكل مستوية السطح على كلا الجانبين مرسوم عليها صور، وقد كثر استعمال هذا الصنف من الجعارين في هذا العهد والعهد الذي أعقبه، ثم نجده قد اختفى بعد ذلك، وقد كانت هذه الجعارين تستعمل فصوص خواتم لتلبس مسطحة على الأصبع، وقد كان سبب اختفائها ظهور استعمال خواتم مؤلَّف كلٌّ منها من قطعة واحدة في عهد «أمنحتب الثالث».

وفي هذا العهد ظهر كذلك ثانيةً استعمالُ الحليات الرمزية القديمة، التي كانت تُستعمَل رمزًا يُعرَف بها اسم صاحب الخاتم (راجع: Petrie, "Scarabs", 1097).

وكذلك ظهر تقليدها الرخيص، رُسِم عليه صف من الدوائر ذوات المركز الواحد، ومن خواص جعارين هذا العهد رسم صلين أو أربعة أو ستة حول الطغراء أو التعويذة، كل منها فوق الآخَر.

هذا وقد استُعمِلت الجعارين لتدل على حوادث تاريخية بكتابة جمل عليها يُقصَد منها ذلك، ويرجع هذا النوع من الجعارين للملكة «حتشبسوت» التي ابتدعته على ما يظهر كما سبق ذكره، ومن هذا الصنف الجعران الذي يحدِّثنا عن ولادة هذا الفرعون في «منف»: ««أمنحتب الثاني» المولود في «منف».» وكذلك الجعران الذي نُقِش عليه حادث إقامة مسلتين: ««أمنحتب الثاني» الذي أُقِيم له مسلتان في معبد «آمون»» (راجع: Petrie, "Hist. Scarabs", (1889). Pl. 36; Hall, "Scarabs", p. 161, No. 1634).

وكذلك الجعران الذي نُقِش عليه: «أمنحتب الإله الطيب الأسد على مصر رب القوة معطي الحياة مثل الشمس.» أو الذي دُوِّن عليه: ««أمنحتب» رب المفاخر في بيت «آمون».» ونقوش هذه الجعارين تدل على حوادث في عهده لم نصل إلى كنهها (راجع: Petrie, "History", II, p. 162. Grenfell, "The Scarab Collection at Queen's College, Oxford." J. E. A. II. (1915) p. 228)، وعُثِر له على جعارين في «موسكو» الآن (راجع: J. E. A. (1915) p. 238).

وكذلك عُثِر على جعران «لأمنحتب» وأمه «مريت رع حتشبسوت» (راجع: Mariette, “Abydos”, II, 40. N).

(٨-١١) آثاره الأخرى

وتوجد آثار أخرى نُقِش عليها اسم هذا الفرعون منها:

(١) لوحة «نب وع» في العرابة المدفونة (راجع: Mariette, “Abydos” II. 33 A).
(٢) تمثال راكع لكاهن الإله «أنحور» في «العرابة المدفونة» (Ibid, II, 372).
(٣) مجموعة «لخاع أم واس» وزوجه في «متحف الفاتيكان» (راجع: Wiedemann, “Geschichte”. p. 376)، ومن المحتمل أنه نفس الشخص الذي وُجِد له نقش على الصخر في «سهل».
(٤) لوحة للكاهن الثاني للفرعون «أمنحتب الثاني» المسمَّى «نفرحبتف» في المتحف الإنجليزي، وكذلك مخروط له (Mission Arch. Franç., Caire. VIII, p. 277, 55).
(٥) وقطعة من تمثال من الجرانيت لقائد من قواد الفرعون «أمنحتب الثاني» (راجع: Florence Museum Catalogue, F. 1504).

(٩) الملكة «تاعا»

ذُكِرت هذه الملكة على مجموعة باسمها، واسم ابنها «تحتمس الرابع»، ولقد لُقِّبت بالأم الملكة والزوجة الملكية، ممَّا يدل على أنها كانت أم «تحتمس الرابع» وزوج «أمنحتب الثاني» بطبيعة الحال، ولا يمكن أن تكون زوجه؛ لأن أم «أمنحتب الثالث» معروفة باسم «موت مويا»، كما أنه لا يمكن أن تكون أمًّا ملكية أخرى زوج «تحتمس الرابع»، وهذا من الأهمية بمكان؛ لأننا نجدها في مقبرة «ثنونا» (Champollion, “Notices” p. 481)، ولقد لُقِّبت بالزوجة الملكية فقط، وهي مرسومة مع «تحتمس الرابع»، وقد كان المعتقد أنها كانت زوج الأخير، وليست زوج والده «أمنحتب الثاني» كما هو الواقع، وقد ذكر ابنها «تحتمس الرابع» بوصفه ابن «أمنحتب الثاني» في مقبرة «حور أم محب» (Mission Arch. Franç. V. 434).

وقد كُشِف حديثًا عن بقايا تمثال للملكة «تاعا» في معبد «أمنحتب الثاني»، الذي وُضِعت فيه اللوحة العظيمة التي شرحناها فيما سبق، والظاهر أن هذا التمثال قد أهدته

«تاعا» لزوجها «أمنحتب» بعد وفاته، والقطعتان اللتان عُثِر عليهما من هذا التمثال منقوشتان، وقد كُرِّر عليهما ألقاب الملكة، هذا فضلًا عن سطر مهشم نقرأ فيه: «مقصيًّا عني، ليته يُبعِد عني حزني ... تاعا، وليت إلهي المحلي يكون حاميًا لي، وليت زوجي يكون أمامي، وليته يبعد عني ... إلخ.» والواقع أننا نجد بين الكتابات التقليدية التي نقرؤها في هذا النقش عاطفة من الأحاسيس الإنسانية في الكلمات، التي تتضرع فيها الملكة للإله ليخلصها من أحزانها وآلامها، وقد عُثِر على قطعة من الخزف (استراكا) عُرِف منها أن الملكة «تاعا» هي بنت «تحتمس الثالث»، وهذه الاستراكا محفوظة الآن بمتحف «اللوفر» (راجع: Rec. Trav. XVI. p. 66)، وكذلك ذُكِرت بوصفها أم «تحتمس الرابع» على تمثال (راجع: Legrain, “Statues” 42080).

وكذلك وُجِد اسمها على قطعة من إناء (راجع: University College)، وقد ذُكِر ابنها «تحتمس الرابع» في مقبرة «حور محب» بأنه ابن «أمنحتب الثاني» (راجع: Mission Arch. Franç. V, p. 434)، وقد شُوهِدت أميرة على حجر «حور محب» على إحدى مناظر قبره تُدعَى «أمنمأبت»، غير أننا لا نعرف بنت مَن هي؟ لأنه عاش في عهد أربعة ملوك.

ومن المحتمل أن «أمنحتب» كان له ما يربي على خمسة أولاد؛ لأننا نجد ممثلًا على جدران قبر مربي «تحتمس الرابع» المسمَّى «حكر إن نحح» (L. D. III. Pl. 69A) «تحتمس» وهو ولد صغير على حجر مربيه، ومعه أولاد ملك آخرون، ومما يُؤسَف له أن أسماءهم كلهم كانت قد مُحِيت قصدًا، وسنرى الأسباب التي دعت إلى ذلك عند الكلام على تولِّي «تحتمس الرابع» الملك بعد وفاة والده.

وقد توفي هذا الفرعون العظيم بعد أن حكم البلاد خمسًا وعشرين سنةً وعشرة أشهر كما يقول «مانيتون»، وقد أكَّد لنا ذلك ما جاء على الآثار؛ إذ عُثِر على إناء نبيذ معتق مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من حكم هذا الفرعون (راجع: Petrie, “Six Temples”, Pl. V).

وقد دُفِن «أمنحتب» في وادي الملوك في قبرٍ نُحِت[٤١] في الصخر، لُوِّن سقفه باللون الأزرق، ورُصِّع بالنجوم الذهبية المتلألئة، وفي خلال الضجة التي قامت في عهد «رعمسيس التاسع» عن سرقة قبور الملوك نُهِب قبره (راجع: A. S. III, p. 115)، غير أن موميته قد

[٤١] راجع: Weigall, “Guide” p. 22.

بقيت نحو ثلاثة آلاف سنة تشاطر الملوك الآخرين حظهم إلى عام ١٨٩٨م، بعد أن نقلت جثثهم في مقبرته في هذه الأثناء، ومن بينهم ابنه «تحتمس الرابع»، وجده «أمنحتب الثالث»، والفراعنة «سبتاح» و«مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني» و«رعمسيس الرابع»، ولكن بكل أسف كان نومًا مزعجًا؛ لأن اللصوص قد اقتحموا القبر ونهبوا ما فيه من آثاث غالٍ كرَّة أخرى، وعندما علم المسيو «لوريه» مدير المتحف المصري وقتئذٍ من الأهالي بمكان هذا القبر، فتحه ووجد فيه «أمنحتب الثاني» وضيفانه، وقبر هذا الفرعون يشبه كثيرًا قبر «تحتمس الثالث» والده، ولا يزال في حالة جيدة جدًّا، وجدرانه مزيَّنة بصور عدة مجاميع من الآلهة، وكذلك نُقِش على الجدار نسخة من الكتاب الجنازي العظيم المعروف باسم «كتاب ما يوجد في عالم الآخرة»، وقد كانت مومية «أمنحتب الثاني» عند هذا الكشف لا تزال ثاوية[٤٢] في تابوتها المصنوع من الكوارتسيت (الحجر الرملي) (انظر لوحة ١)، وقد عُثِر معه على مجموعة تماثيل للإلهة «سخمت» و«أنوبيس» و«أوزير» و«حور» و«بتاح» ... إلخ.

ومجموعة عظيمة من الأواني المصنوعة من المرمر،[٤٣] وكذلك على تعاويذ من كل نوع، كما وُجِد معه قوسه الجبار الذي كان يفخر به، وقد نُقِش عليه المتن المشهور: «ضارب سكان الكهوف، وهازم أهل الكوش، ومخرب مدنهم ... وجدار مصر العظيم، وحامي جنوده»، وكذلك عُثِر على أواني أحشائه، وقد تُرِك جسم هذا الفرعون العظيم إرضاءً لعاطفة كريمة أبداها بعض مَن يقدِّرون عظمة هذا الفرعون في قبره الأصلي، وفي تابوته الذي أُودِع فيه منذ القِدَم، فلم يُنقَل إلى «متحف القاهرة»، غير أن هذه المحاولة النبيلة لم تُتوَّج بالنجاح على أية حال؛ لأن اللصوص على الرغم من الحراسة التي كانت تقوم بها مصلحة الآثار قد اقتحموه في نوفمبر سنة ١٩٠١، وقد عبث اللصوص بموميته عبثًا مخزيًا في أثناء بحثهم عن الكنوز الموهومة التي كانوا يظنون أنها معه، ولكن ظنهم قد خاب، فلم يجدوا معه ما يشبع نهمهم، ومنذ هذا العهد ظلَّ «أمنحتب» ينام في تابوته نومًا هادئًا بقدر ما تسمح به الأحوال في تلك الفترات، التي كانت تنقطع فيها زيارات السائحين، الذين كانت تستعرض لأنظارهم جثث الملوك العظام لإشباع رغباتهم الحقيرة، مما لا يدل على حسن ذوق الذين فكروا في هذه البدعة، ولا الذين استمروا في العمل بها،

[٤٢] راجع: Smith, “Royal Mummies”, 61069.

[٤٣] راجع: A. Z., XXXVII, p. 65.

غير أن أولي الأمر قد فطنوا أخيرًا بعد النقد اللاذع الذي وجَّهه إليهم العالَم، فأراحوا أولئك الملوك العظام من أعين النظارة الذين لا يبغون من وراء ذلك شيئًا إلا حب الاستطلاع لا الموعظة الحسنة (راجع: James Baikie, "History of Egypt", Vol. II, p. 159).

(١٠) الموظفون والحياة الاجتماعية في عهد أمنحتب الثاني

(١٠-١) «قن آمون»

كان هذا الموظف الكبير أبًا «لآمون أم أبت» المربية «لأمنحتب الثاني»، وهي التي قد مثلت في قبر ابنها ترضع أخاه من الرضاعة «أمنحتب الثاني» فيما بعدُ (Davies, "The Tomb of Kenamon", p. 19, Pl. IX)، وألقاب «قن آمون» هي الآتية: الأمير الوراثي وعينَا ملك الوجه القبلي، وأذنَا ملك الوجه البحري، وحامل المروحة على يمين الفرعون، ومتكلم «حور» (الملك) ومحبوبه، والمشرف على بقرات «آمون» الجميلة، ومدير البيت العظيم للفرعون. وقبر هذا الشريف قد نُحِت في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٩٣) (راجع: Porter and Moss, "Bibliography" I, p. 123ff).

ومن المدهش أن الباحثين قد عثروا على بعض تماثيل مجاوبة له في «شبرمنت» بالقرب من الجيزة، وقد وُجِدت مدفونة في الرمال، ولم يُعثَر هناك على أثر دفن معها قطُّ؛ ولذلك فإن وجود هذه التماثيل في هذه البقعة لم يُفسَّر تفسيرًا مقنعًا حتى الآن (A. S.: XIX. p. 145–149)، وقد نُقِش على تماثيل المجاوبين هذه الألقاب التالية: أخو مرضعة رب الأرضين، والمشرف العظيم على البيت، ووالد الإله، ومحبوب الإله، والمشرف على البقرات الجميلة، المقرب من الإله الطيب، والمشرف على ثيران «آمون»، والمدير العظيم لدخل بيت الإله الطيب (؟)، وحامل المروحة … إلخ، والكاهن الثاني للإله «آمون».

وقد كانت مقبرة «قن آمون» ذات شهرة عظيمة لما تحتويه من مناظر جميلة، وأهمها ما يأتي: منظر فيه «أمنحتب الثاني» تحت مظلته الفخمة ذات السقف المزيَّن بزخرفة بديعة، وقد جلس يتقبَّل هدايا السنة الجديدة المعروضة أمامه، ويرى أمام الفرعون مباشَرة تحفة من الذهب مرصَّعة بالأحجار الملوَّنة على هيئة مجموعة من شجر الدوم، يتسلَّق سيقانها قردة تجني سمارها، وقد رُصِّعت أوراقها بالأحجار الخضراء، والثمار بأحجار حمراء (راجع: Davies, M. M. A. (1918) p. 33)، وكذلك نشاهد في مناظر هذا القبر بعض التماثيل الملكية في محاريب تجرها زحافات، وهذه كانت للفرعون «أمنحتب

الثاني» و«تحتمس الأول» والملكة «مريت رع حتشبسوت» زوج «أمنحتب الثاني»، ويُشاهَد تمثال واقف للأخير في سفينة الشمس، وتماثيل أخرى له تمثِّله وهو راكع أو جالس أو في صورة «بو الهول». هذا إلى مجوهرات وأسلحة ودروع كالتي نشاهدها فعلًا مما استخرج من مقبرة «توت عنخ آمون»، وكذلك نرى مصورًا له مرايا ومراوح وأثاث، وقد حفظ لنا في منظر صيد مهشم صورة وعلٍ يهاجمه كلب صيد، وتُعَدُّ هذه الصورة من أدق ما خلفه لنا المصريون في حسن التعبير وصدق التمثيل، ومن بين الدرر التي خلفها المصور المصري في هذا القبر صورةُ فتاة تضرب على القيثارة، وهي بين أترابها كالبدر في وسط النجوم (راجع: Wreszinski, “Atlas”, Pl. 298)، ومما يسترعي النظر في مقبرة هذا العظيم أن اسمه قد مُحِي من كل أرجاء المقبرة، ولم يفلت من الذين قاموا بهذا العمل إلا مرة واحدة.

(١٠-٢) «وسرحات»

كان «وسرحات» من أكابر رجال الدولة، ويحمل الألقاب التالية: «كاتب الملك، وطفل الرضاعة، والمشرف على حسابات مدينة الشمال ومدينة الجنوب، والحاجب الأول، والمشرف على ماشية الإله «آمون»» (A. S. Vol. VI. p. 67)، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٥٦)، ويحتوي على بعض مناظر تعبِّر عن بعض نواحي الحياة المصرية القديمة رُسِمت من غير كلفة أو مغالاة، بل مثلت أمامنا الحوادث كما كانت تقع كل يوم، ومن بين هذه المناظر لوحة تمثِّل «أمنحتب الثاني» وهو يُشرِف على تجنيد طائفة من الجنود؛ ليقوموا بالخدمة في ساحة القتال، وتوزيع جراياتهم عليهم، فنجد وقت الغداء قد حلَّ، وقُدِّمت مائدة الفرعون له على حدة، وبيده «بلطة» كما يجدر بقائد جيش أن يمسك بيده.

ونشاهد في حجرة مجاورة ضباطه يتناولون غداءهم، أما عامة الجنود فكانوا مكتفين بوجبة متواضعة تحوي خبزًا وماءً على الأقل، أما الذين هم أرقى منهم فكان يُقدَّم لهم بالإضافة للخبز لحم ونبيذ مكان الماء، ويُشاهَد الجنود في الخارج وقد صفهم ضباطهم في ساحة، وكلٌّ منهم يحمل حقيبته ليضع فيها نصيبه من الخبز، على أن المجندين الأحداث لم يكونوا قد تلقوا دروسهم في التدريب العسكري؛ ولذلك لم يكونوا صالحين للظهور في صفوف فِرَق الجيش بعدُ، وقد كانت شعورهم طويلة، وكان لا بد من حلقها، ومن أجل ذلك نراهم قد جلسوا في الساحة الخارجية ينتظر كلٌّ منهم دوره ليحلق شعره (انظر لوحة ٣)، وقد كان حلاقو الكتيبة يقومون بهذه العملية، وقد ظهر على وجوههم ملل الانتظار، وربما أعاد ذلك إلى ذاكرتهم كل ما يختلج في نفوسهم من يأس وقنوط لتركهم

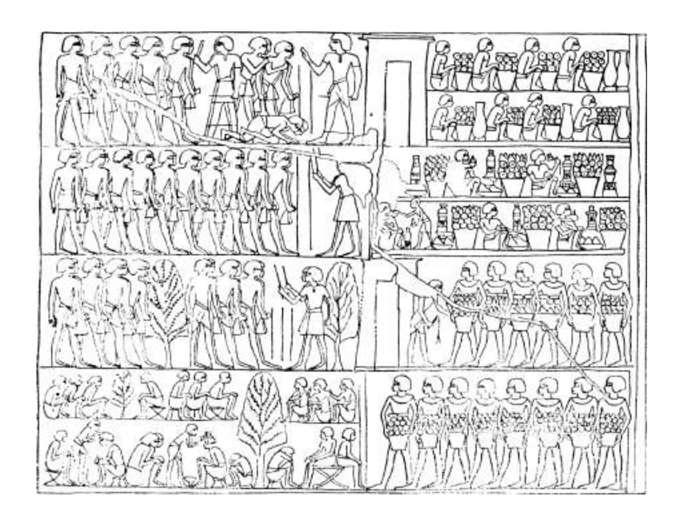
أوطانهم إلى بلاد مجهولة قد لا يعودون منها قط، وربما لن تسمح لهم الأحوال بالتمتُّع ببلادهم التي فارقوها عن قريب، ونلاحظ أن أحد الجنود كاد يتفجر بالبكاء، فيهدِّئ أحد رفاقه المَرِحين ما به من ألم بأن ربت بيده عليه، ونشاهد آخَر يجد عزاءه في أن يشاطر رفيقًا له كرسيًّا بدون ظهر، فيترك له الآخَر حافة الكرسي ليجلس عليها، وفي آنٍ واحد يستعمل ظهر رفيقه سنادًا يتكئ عليه.

أما المجند الذي يقوم له الحلاق بإصلاح شعره للمرة الأولى في حياته، فقد تحمَّلَ بصبر إجراء تلك العملية الشاقة في نظره، فيشاهد الحلاق عندما أراد أن يُصلِح من شعره الغزير قد ربط شعره الكثيف، وأخذ في صفه خصلة خصلة، بفصل الشعر إلى غدائر صغيرة، وجعلها تثبت على رأسه بوساطة نوع من الدهن، وهذا كان أول درس يتعلمه الجندي الجديد في النظام الحربي، وهو شيء محبَّب للضباط الذين كانوا يحتمون أن تظهر كل جنودهم بمظهر واحد، غير أن الجندي كان لا يروقه هذا النظام لانعدام حريته وشخصيته. حقًّا إن هذه الصورة قد رُسِمت بشكل خشن، غير أن ذلك لم يُخْفِ ما تحويه من حياة في باطنها، فإذا قرنا بين أولئك المجندين المحزونين، وكل منهم قد دُفِن تحت عبء من الهموم، وبين فِرَق الجنود المدرَّبين الذين نشاهدهم في أعلى الصورة القائمة يمشون في صفين ليتسلموا جراياتهم من الخبز؛ لوجدنا في الحال الفرق بين الجنود القدامى والجدد (راجع: Wreszinski, “Atlas”, Pl. 168; M. M. A. (1926); Pp. 13–14, fig. 11).

ولدينا منظر آخَر نشاهد فيه تسجيل الماشية وكيها، وهي الماشية التي كان «وسرحات» مشرفًا عليها للإله «آمون»، كما نشاهد منظر صيد تنبعث منه الحياة والحركة، وفيه يطارد «وسرحات» بسرعة فائقة في عربته حيوانات الصحراء المختلفة، ويُلحظ أن جوادي عربة «وسرحات» قد مثِّلَا هنا بدقة عظيمة، وكذلك نجد في قبره منظرًا مزخرفًا يمثله يصطاد هو وأسرته الطيور والبط في البطاح (راجع: Wreszinski, ibid, Pl. 183).

(١٠-٣) «رع» الكاهن الأول

كان «رع» يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «آمون» في معبد «تحتمس الثالث» المسمى «المعطي الحياة»، وكذلك كان الكاهن الأول «لآمون» في المعبد المسمى «زسرست» (الفاخرة المكانة)، ويقع في الجزء الجنوبي من جبانة «طيبة»، وقد أقامه «تحتمس الثالث» لهذا الإله (Schafer, “Egypt. Insch. Mus. Berlin”, II. p. 220; Gauthier. “Dict. Geog”.



شكل ٣: تجنيد الجنود وتوزيع الجرايات عليهم.

(II. p. 133، وقبر هذا الكاهن يقع في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٧٢)، وأهم منظر في هذه المقبرة هو منظر صيد للفرعون «أمنحتب الثاني»، يُشاهَد فيه وهو يطارد الحيوانات الوحشية ممتطيًا عربته ومفوقًا سهمه نحوها، ورسم الفرعون في هذا المنظر يشبه في تفاصيله المنظر الذي شاهدنا فيه نفس الفرعون يصوِّب سهامه نحو هدفه النحاسي، ويُرَى فيه رسم «حور إدفو» محلِّقًا فوق رأس الفرعون حاميًا إياه، كما يُشاهَد رمز الحياة «عنخ» قابضًا بمظلة خلف جلالته، وكذلك نرى نعامات وسط الأعشاب المزهرة، وفي وسط الطرق الصحراوية الملتوية وهي ترخي لسيقانها وأجنحتها العنان، كما كانت كلاب الصيد تطارد وعلًا وتحضره … إلخ. وكان في ركاب الفرعون ثلة صغيرة من الجنود يحملون الأقواس والسهام والدروع والأعلام الحربية، وفي عودته نشاهد رجالًا يحملون الطراد التي أصابتها سهام الفرعون وأتَتْ بها الكلاب.

أما المتن الذي يفسِّر هذا المنظر فإنه مهشم، ولكن يُفهَم منه أن مكان هذا الصيد والقنص كان على ما يظهر الضفة الغربية من النيل، وأن ما غنمه الفرعون في هذا اليوم يُعَدُّ بالآلاف، وقد أهداه الفرعون ضحيةً لمعبد والده الجنازي. ولما كان «رع» هذا هو الكاهن الأول لهذا المعبد كما ذكرنا، فإن ذلك كان يُعَدُّ من البراهين على وجود هذا المنظر

في هذه المقبرة، وهذه الصورة التي ظهر فيها «أمنحتب الثاني» تُعَدُّ فريدةً بين مناظر القبور الخاصة، كما أنها من الصور التي تقدِّم لنا برهانًا جديدًا على مهارة هذا الفرعون في هذا الميدان، فقد كان بطلًا من أبطال الصيد، كما كان من أعظم الملوك غرامًا بالرماية، ومنقطع القرين في إصابة الهدف (راجع: Davies, M. M. A., (1935) p. 49–50).

(١٠-٤) «سن نفر»

كان «سن نفر» من أصحاب المكانة العالية بين رجال الدولة في ذلك العهد، لما كان له من صلات أسرية ونفوذ بوظائفه الهامة التي كان يشغلها، فقد كان يحمل لقب الأمير الوراثي، وعمدة المدينة الجنوبية (طيبة)، والمشرف على مخازن غلال «آمون»، والمشرف على ثيران «آمون»، والمشرف على زرَّاع أملاك «آمون»، ووالد الإله ومحبوبه، والمشرف على بقرات «آمون رع» الجميلة، والمشرف على حقول «آمون»، وقد كان أخو «سن نفر» عمدة المدينة والوزير المسمَّى «آمون أم أبت»، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٢٩)، وكان «سن نفر» قد تزوَّجَ من ثلاث سيدات كنَّ جميعًا مرضعات ملكيات، وهن: «سناي» مرضعة الملك، ولها تمثال عُثِر عليه في «خبيئة الكرنك» (Legrain, ibid, No. 42126)، ثم «سن أم أعح» المرضعة العظيمة للفرعون «أمنحتب الثاني» (Rec. Trav. XX. p. 211–223)، و«سنت نفر» مرضعة الفرعون ومغنية «آمون» (Rec. Trav. ibid. P, 215)، ومع كل ذلك كانت زوجه المحبَّبة إليه هي «مريت» إحدى مغنيات «آمون»، وهي التي كانت تُرسَم معه في غالب الأحيان (Ibid. p. 220)، ويُعرَف قبر «سن نفر» في أيامنا هذه بقبر العنب، ويقع في «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٩٦)، ويرجع السبب في هذه التسمية إلى رسم كرم عنب على سقفه، والجزء الأعلى من جدرانه ملوَّن بألوان جميلة (Rec. Trav. Ibid p. 211–223; XXI. p. 127–133, 137–149. & XXII. P, 83–97).

منظر عيد الحصاد

ويحتوي القبر كذلك على منظر كبير يظهر فيه مخزن غلال الإله «آمون»، التي كان يشرف عليها «سن نفر» (راجع: Davies M. M. A. (1929) p. 41 ff. fig. 8)، وهذا المخزن يشمل مساحة عظيمة مسورة يصل إليها الإنسان من بوابة ضخمة نُقِش عليها ألقاب «أمنحتب الثاني»، ويُشاهَد بعد المدخل مباشَرةً سلم يصعد فيه إلى ممر مرتفع

قد كُدِّست الغلال على جانبَيْه في أكوام هرمية الشكل، يدل عليها قمتها التي عُمِلت على هيئة مثلث أسود اللون؛ ليحاكي قطعة البازلت التي تنتهي دائمًا في قمة الهرم الأصلي، وهذا السلم يكتنفه شرفه نُحِت فيها ثعابين ضخمة. ويُلاحَظ أنه يوجد أكبر كومة في هذا المنظر، وهي التي يصل إليها الإنسان بسلم طوار مثل عليه الفرعون «أمنحتب» يحرق بخورًا، ويقدِّم قربانًا محروقًا على مائدة قربان صغيرة، كما يُشاهَد ثلاثة خدم يصعدون إلى هذا الطوار ليحضروا قربانًا، وكذلك يُشاهَد على كلا جانبَيْ كومة الحبوب جزارٌ يذبح ثورًا، وبالقرب من المدخل المؤدي إلى مخزن الغلال أُقِيم جوسق صغير يحتوي على جرار مزيَّنة بأكاليل، وقد لُوحِظ وجود مناظر مثل هذا المنظر جميعه في عدة مقابر في هذه الجبانة، منها: مقبرة «ماحو» (رقم ١٢٠)، ومقبرة «خنمس» (رقم ٢٥٣)، ومقبرة «أمنمحات سورر» (رقم ٤٨)، والآن كيف نستطيع أن نفسِّر سلسلة هذه المناظر المتكررة، والتي على ما يظهر تمثِّل نفس الرواية في الحياة القومية المصرية؟ فالمخازن الضخمة هي بلا نزاع ملك ضياع الإله «آمون»، وعلى ذلك يمكننا أن نخمن أن الفرعون يحتفل بشعائر عيد الحصاد، وذلك بتقديم الشكر للإله «آمون» الذي أُقِيم في مخازنه الضخمة الاحتفال بالعيد (انظر لوحة ٤)، على أنه لدينا معلومات عن موضوع الحصاد وشعائره من مصادر أخرى؛ ففي مقبرة «خع أم حات» (رقم ٥٧) نشاهد صاحب المقبرة يقدِّم قربانًا محروقًا للإلهة «رنوتت»، التي مُثِّلت في صورة امرأة برأس حية، جالسة على عرش ترضع طفلًا هو إله الحبوب الصغير المسمى «نبري»، ويحمل اسم الملك الحاكم «أمنحتب الثالث»، وتقول النقوش المفسرة لهذا المنظر: ««خع أم حات» يقدِّم كل الأشياء الطيبة الطاهرة للإلهة «رنونت» سيدة مخزن الغلال، في اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الصيف (الشهر التاسع من السنة)، وهذا اليوم هو يوم ولادة «نبري»».

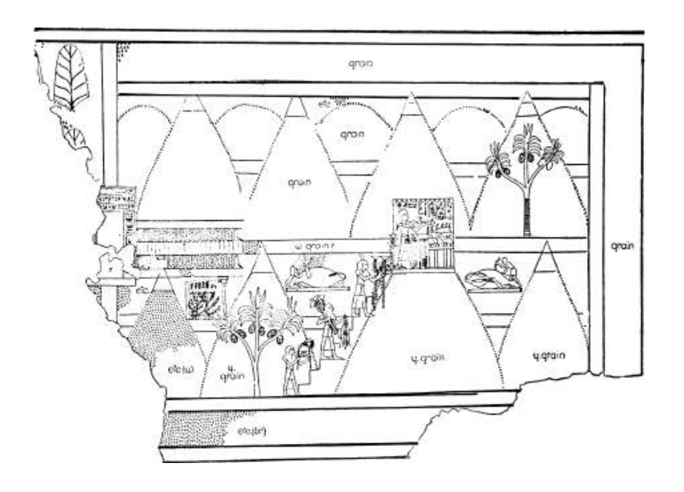
ويُلاحَظ أنه في القبور المعاصرة مثل مقبرة «أمنمحات سورر» (رقم ٤٨) وقبر «زسر كارع سنب» (رقم ٣٨) — وسنتكلم عنهما فيما بعدُ — أن صورة «رنوتت» مصحوبة بالتاريخ: اليوم السابع والعشرون، الشهر الثامن (وهو يوم الحصاد على حسب ما جاء في مقبرة رقم ٣٨)، ومن ذلك نعلم أن عيد الحصاد لا بد كان يظل عدة أيام، ففي اليوم الأول كانت تمسح الأراضي المزروعة قمحًا بوساطة موظفين حتى يمكن تقدير المحصول، وعلى حسب ذلك يُجبَى الخراج، وبعد ذلك يُضم القمح، ويُدرس ثم يُذرى في اليوم الأول من الشهر الجديد، ويُقدَّم للآلهة الخاصة بالحصاد (راجع: J. E. A. Vol. VIII p. 236)، وفي حالة الأفراد كانت الإلهة «رنوتت» بطبيعة الحال تتقبَّل الصلوات والدعاء في أثناء عيد

الحصاد، ولكن لما كان هذا العيد يمس كل الأمة؛ فلاحها والفرعون وحكومته، فقد كان من الضروري أن يستعطف في هذه الحالة الإله الأعظم الذي يحكم العالم؛ ولذلك نرى في قبر «سن نفر» كما نجد في مقبرتَيْ «ماحو» و«خنمس» أن الإله الذي كان يقرب إليه هو «آمون»، أما في مقبرة «أمنمحات سورر» فلم يُعيَّن فيها الإله، ولكن كون الفرعون يشاهد فيها يضحي في مكان مكشوف وأمام نافذة مكشوفة، يوحي بأن الإله المقرَّب إليه هو إله الشمس، والشعيرة التي كان يؤديها الملك في هذه المناظر كانت شكرًا للخالق لأجل الحصاد، أو قربانًا للإله «آمون» بمثابة نصيبه من الحصاد، كما يُلحَظ ذلك من الخراج الذي كان يحدد له في اليوم السابع والعشرين من الشهر الثامن، ويحتمل وجود حفلات أخرى في الأيام الثلاثة التالية التي تنتهي في اليوم الرابع، الذي يكون في اليوم الأول من الشهر التاسع، وهو اليوم الذي كان على ما يظهر بعد يوم ميلاد الملك الزراعي، وبذلك كان يوجد الملك مع ابن آلهة الحصاد كما يوجد مع ابن الشمس في السماء (الملك)، وهكذا كان الفرعون بوصفه ابن الإله «رع» وابن إله الحصاد يُعَدُّ وسيطًا سريًّا لعطايا الشمس والأرض لأبناء مصر.

ومما يُؤسَف له أننا لا نعرف أي حادثة من أسطورة إله الشمس أو أسطورة الإله «أوزير» تمثِّل لنا حوادث هذا العيد، غير أن الإعداد المتبع الذي يُتَّخَذ لإعداد هرم من القمح، وهو عمل كان يتطلب عدة أيام في شغل متواصل لتجهيزه؛ يوحي بأنه كانت تقوم أحداث كثيرة أكثر ممَّا دُوِّن أمامنا في هذه المناظر السابقة.

وفي منظر آخَر في هذا القبر نشاهد هدايا أول السنة الفاخرة التي قدَّمها «سن نفر» للفرعون؛ إذ تقول النقوش عنها: «إن عمدة المدينة الجنوبية (طيبة) «سن نفر» محضر هدية السنة الجديدة، وهي بوابة الأبدية، ونهاية الزمن الخالد، هذا إلى كل الأشياء المهداة الجميلة التي قدَّمها لجلالته بمثابة بركة شاملة» (راجع: Dàvies, M. M. A. (1928) p. 46. Fig. 6).

والهدايا التي يقدِّمها شبه الهدايا التي قدَّمها «قن آمون» السابق الذكر، غير أنها ليست عديدة مثلها.



شكل ٤: عيد الحصاد (نقلًا عن ديفز).

(١٠-٥) «باسور»

كان «باسور» هذا رجل حرب ويحمل الألقاب التالية: رئيس الرماة لرب الأرضين، وطفل الرضاعة،[٤٤] رئيس رماة جلالته، وتابع جلالته، والمقرَّب كثيرًا من رب الأرضين، وقبره في «جبانة شيخ عبد القرنة»، وقد مثل فيه وهو يقدِّم للفرعون طاقةَ أزهار (راجع: Piehl, A. Z. Vol. XXI. p. 135. (12b,) & L. D, III. Pl. 274).

(١٠-٦) «مري»

كان «مري» من أكبر رجال الدولة في عهد «أمنحتب»، فقد كان يحمل الألقاب التالية: الكاهن الأكبر للإله «آمون»، والأمير الوراثي، والمشرف على أرض الجنوب والد الإله في المكان العظيم (؟).

[٤٤] هذا اللقب كان يُمنَح لأولئك الأفراد الذين تربوا في القصر الملكي أو مع الملك نفسه في صغر سنه.

وربما يرجع الفضل في تقليده هذه المناصب العالية إلى أنه كان ابن المربية العظيمة لرب الأرضين المسمَّاة «محناي»، وتدل الكشوف الأثرية على أن هذا الكاهن كان له قبران اغتصب أحدهما من «آمون نزح» السالف الذكر (رقم ٨٤) في «جبانة شيخ عبد القرنة»، والثاني في هذه البقعة كذلك (رقم ٩٥)، وهذا قد أقامه لنفسه (راجع: Porter & Moss, ibid, I. p. 113 & 125)، وفي القبر الأخير يشاهد ممثلًا مع والدته يتقبَّل القربان، وفي منظر يشاهد موسيقيًّا كامل العدة من آلات وراقصات (Champollion. “Monuments”, CLXXV)، وكذلك نشاهد في قبره منظر صناعة العربات (Wreszinski, Pl. 307)، وصناعة المعادن والأواني (Ibid. Pl. 59) في مصانع الإله «آمون».

(١٠-٧) «آمون أم أبت»

كان «آمون أم أبت» وزير الفرعون «أمنحتب الثاني»، ويُحتمَل أنه هو الذي حلَّ محل «رخ مي رع» بعد عزله، وقبره موجود في جبانة «شيخ عبد القرنة»، وقد ذُكِر كذلك في قبر أخيه «سن نفر» المشرف على غلال «آمون» (Porter & Moss ibid, I. 65–66)، وكان «آمون أم أبت» يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي، والسمير والوحيد، والقاضي لقلب سيده (؟)، والمقرَّب إلى ملك الوجه القبلي في القصر، الثابت الحظوة، والدائم الحب، عمدة المدينة، والوزير عمدة المدينة الجنوبية، ومدير بيت الفرعون «أمنحتب الأول»، ومدير عبيد الملك «تحتمس الأول»، والمشرف على كهنة «أحمس نفرتاري»، والكاهن الأكبر للإله «آمون» في «الكرنك» (Weil “Viziere” p. 78–9)، ويحتوي قبر «آمون أم أبت» على مناظر ونقوش تشبه مناظر الوزير «رخ مي رع»، بما فيها صورة العصي التي قيل عنها خطأ إنها إضمامات جلد نُقِش عليها القانون (راجع رخ مي رع)، ومعظم جدران مقبرته قد نُزِعت عنها نقوشها ومناظرها (Davies, “Five Theban Tombs”, p. 16. Note. 4)، ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذا الوزير كان يتقلَّد وظائف جنازية في مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

(١٠-٨) «نب أم كمت»

كان هذا الجندي من أتباع الفرعون الذين يسيرون في ركاب سيدهم أينما ذهب برًّا وبحرًا، وفي كل الصحراوات، وكذلك كان يُلقَّب المقرَّب العظيم لرب الأرضين، والممدوح من الإله الطيب، ورئيس الإصطبل، وحامل المروحة، وقبر هذا الجندي في «الخوخة» رقم (٢٥٦) (راجع: Porter and Moss, ibid, Pl. 161).

(١٠-٩) «سوم نوت»

كان هذا الموظف كذلك من خدم الفرعون الذين يسيرون في ركابه، ويحمل الألقاب التالية: تابع خطوات الفرعون في كل أرض صحراوية في الجنوب والشمال، وساقي الفرعون، طاهر اليدين (Wreszinski, ibid. Pl. 295). والظاهر أن معظم مناظر قبر هذا الموظف كانت تنصب على تمثيل مهام عمله بوصفه «ساقي الفرعون»؛ إذ نشاهده يشرف على تحضير أنواع عدة من الشراب (راجع: Ibid. 295–7).

وفي مشهد آخَر نراه يعرض طعامًا شهيًّا قُدِّم على مائدة صغيرة (راجع: Ibid. Pl. 297)، وكذلك يوجد منظر آخَر لصيد الطيور والسمك في البطاح، ولكنه لم يتم، ولا نزال نرى المربعات التي وُضِعت لإتمام المنظر على الجدار.

(١٠-١٠) «تحوتي»

مدير بيت الكاهن الأول للإله «آمون»، وكاتب الملك، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٤٥)، وقد اغتصبه شخص يُدعَى «تحوت أم محب» الذي كان يحمل لقب رئيس صناع الكتان الجميل (؟) لضياع «آمون»، ومن المحتمل أن الأخير عاش في عهد «رعمسيس الثاني»، وقد وضع اسمه على صور صاحب المقبرة ومعظم مناظرها، وأهم منظر يسترعي النظر مشهد وليمة جلس إليها ضيفان، ويُلحظ أن السيدات يقدِّم بعضهن لبعض أزهارًا لشمها، في حين نشاهد فتيات رشيقات يساعدنهن في تجميل أنفسهن، وتقديم النبيذ لهن (Porter and Moss, Ibid, p. 78; Wreszinski. Ibid. Pl. 169).

(١٠-١١) «تحوتي نفر»

يمتاز قبر تحوتي نفر كاتب الفرعون بأنه يحتوي بعض مناظر شيقة للغزل والنسيج (Roth, “Ancient Egyptian and Greek Looms”, p. 12. Fig. 9)، وقبره في جبانة شيخ عبد القرنة (رقم ١٠٤).

(١٠-١٢) «وبن سنو»

هذا الأمير ابن الفرعون «أمنحتب الثاني»، أي إنه كان أخًا «لتحتمس الرابع»، وفضلًا عن لقبه ابن الفرعون من جسده، فإنه كان يحمل لقب المشرف على الخيل (Gauthier L. R. II. p. 289–290)، ولا نزاع في أن هذا اللقب كان يحمله ابن ملكي يشعر بأنه كان يُعَدُّ من الألقاب العالية في الدولة.

مختصر المصادر الإفرنجية[١]

A. A. A.: "Annals of Archeology and Anthropology". (Liverpool, 1908–).

A. A. S. O. R.: "Annual of the American Schools of Oriental Research". (New-York, 1920–).

A. J. S. L.: "The American Journal of Semetic Languages and Literatures". (Chicago, 1844–).

Am.: Knudtzon, "Die El-Amarna Tafeln". (Leipzig, 1907–1915).

Arundale and Bonomi, "Gallery".: Arundale and Bonomi, "Gallery of Antiquities Selected from the British Museum". (London).

A. S.: "Annales du Service des Antiquities de l'Egypte". (Cairo, 1901–).

A. Z.: "Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde". (Leipzig, 1863–).

Baikie, "History".: Baikie, "A History of Egypt". (London, 1929).

B. A. S. O. R.: "Bulletin of Schools of Oriental Research". (South Hadly, Mass., 1919).

---

١ List of Abbreviations.

Benson and Gourlay, "Temple of Mut".: Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher". (London, 1899).

B. I. F. A. O.: "Bulletin de l'Institut Française d'Archeologie Orientale". (Cairo, 1901–).

Birch, "Pottery".: Birch, "History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman". (London, 1858).

Bission de la Roque, "Medamoud".: Bission de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud", (Cairo).

Boeser, "Leyden".: Boeser and Holwerda, "Beschreibung der Aegyptis-chen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums du Altertumer in Leiden". (Copenhagen, 1908–1918).

Borchardt, "Statuen.": Borchardt, "Statuen und Statuetten vonKonigen und Privalueten". Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911–1925).

Breasted, A. R.: Breasted, "Ancient Records of Egypt." (Chicago, 1906-7).

Brugsch, "Thesaurus".: Brugsch, "Thesaurus Inscriptionum Aegypti-acarum". (Leipzig, 1883–1891).

Brugsch, "Recueil".: Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens". (Leipzig, 1865–1885).

Budge, "Guide".: Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum". (London, 1909).

Budge, "Sculpture".: Budge, "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculp-ture)", (London, 1909).

Budge, "The Book of Kings".: Budge, "The Book of the Kings of Egypt". (London, 1908).

Budge, "History".: Budge, "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30". (London, 1902).

Champollion, "Notices".: Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X." (Paris, 1827).

Champollion, "Letters".: Champollion, "Letters à M. le Duc de Blacas d'Aulps relatives au Muse Royal de Turin". (Paris, 1824).

Davis, "Tomb of Hatshepsut".: Davis, "Excavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatshepsut". (London, 1906).

Evans, "Palace of Minos".: Evans, "The Palace of Minos at Knossos". (London, 1921).

Fraser, Coll.: Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser", (London. 1900).

Gardiner, "Onomastica".: Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", (Oxford. 1947).

Gardiner and Peet, "Sinai".: Gardiner and Peet, "The Inscriptions of Sinai". (London, 1917).

Gardiner and Weigall, "Catalogue".: Gardiner and Weigall, "A Topographical Catalogue of the Private Tombs of Thebes". (London, 1913).

Gauthier, "Dict. Geog".: Gauthier, "Dictionnaire des Noms Geographiques Contenus dans les Textes Hieroglyphiques". (Cairo, 1925).

Griffith, "Kahun Papyri".: Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob". (London, 1898).

Hall, "Catalogue of Scarabs".: Hall, "A Catalogue of Scarabs in the British Museum". (London, 1913).

Hall "Ancient History".: Hall, "The Ancient History of the Near East". (London, 1920).

J. E. A.: "The Journal of Egyptian Archaeology". (London, 1914–1947).

J. p. O. S.: "The Journal of the Palestine Oriental Society", (1923–).

Lanzone, "Cat. Turin".: Lanzone, "Catalogo generale dei Musei di antichita: Regio Museo di Torino".

L. D.: Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien". (Berlin, 1849).

Legrain, "Statues".: Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers" Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Cairo, 1906–1914).

Legrain, "Repertoire".: Legrain, "Repertoire Geneologique et Onomastique du Musee Egyptien du Caire". (Geneva, 1908).

Lepsius, "Auswahl".: Lepsius "Auswahl der Wichtigsten Urkunden des agyptischen Alterthums" (Leipzig, 1842).

Lepsius, "Letters".: Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai". (London, 1853).

Leiblien, "Dict. Noms".: Leiblien, "Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique". (Christiania, 1871).

Macailister, "Gerza".: Macailister, "The Excavation of Gerza". (London, 1912).

Mariette, "Abydos".: Mariette "Catalogue General des Monuments d'Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville". (Paris, 1880).

Mariette, "Abydos II.".: Mariette, "Abydos. Description des Fouilles Executees sur l'Emplacement de cette Ville". (Paris, 1869–1880).

Mariette, "Monuments".: Mariette, "Monuments Divers Recueilles en Egypt et en Nubie". (Paris, 1889).

Maspero, "Bib. Egypt".: Maspero, "Bibliotheque Egyptologique", XVII. (Paris, 1904).

Maspero, "Temples Immerges".: Maspero, "Les Temples Immerges de la Nubie Rapports relatifs à la Consolidation des Temples". (Cairo, 1909–1911).

Maspero, "Guide".: Maspero, "Guide du Visiteur au Muse du Caire". (Cairo, 1915).

Maspero, "Momies Royales".: Maspero, "Les Momies Royales de Deir el Bahari". (Paris, 1889).

Maspero, "Melanges d'Arch".: Maspero, "Melanges d'Archeologie Egyptien".

Massi, "Description".: Massi, "Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musée du Vatican". (Rome, 1891).

Mercer, "Amarna".: Mercer, "The Tell el Amarna Tablets". (Toronto, 1939).

Meyer, "Gesch".: Meyer, "Geschichte des Altertums". (Stuttgart, 1928).

Meyer, "Hist. de l'Antiq.": Meyer, "Histoire de l'Antiquite". (Paris, 1912–1926).

M. M. A.: "The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art". (New York, 1909).

Morgan (De), "Cat. Mon.".: Morgan (De), "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique". (Vienna 1894–1909).

Murray, "Handbook".: Murray, "Handbook for Travellers in Egypt". (London, 1880).

Newberry, "Timins Collection".: Newberry, "The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals". (London, 1907).

O. I. p.: "The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications". (Chicago, 1924–).

"Paintings".: Davies, "Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes". (New York, 1935).

Petrie, "Scarabs".: Petrie, "Scarabs and Cylinders". (London, 1917).

Petrie, "Six Temples".: Petrie, "Six Temples at Thebes, 1896". (London, 1897).

Petrie, "Illahun".: Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" (London, 1890).

Petrie, "Hist. Scarabs".: Petrie, "Historical Scarabs". (London, 1927).

Petrie, "History".: Petrie, "A History of Egypt". (London, 1927).

Petrie, "Season".: Petrie, "A Season in Egypt, 1887". (London, 1888).

Petrie, "Kahun".: Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London, 1890).

Petrie, "H. I. C.".: Petrie, "Hyksos and Israelite Cities". (London, 1906).

p. E. F. Q. S.: "The Palestine Exploration Fund Quarterly Statement". (London, 1869–).

Piehl, "Recueil".: Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques Recueillies en Europe et en Egypt". (Stockholm, 1886–1903).

Pierret, "Rec. d'Inscriptions".: Pierret, "Recueil d'Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre". (Paris, 1874–1878).

Porter and Moss, "Bibliography I".: Porter and Moss, "Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings", I. "The Theban Necropolis". (Oxford, 1921).

Porter and Moss, "Bibliography II".: "The Theban Temples". (Oxford, 1929).

Porter and Moss, "Bibliography III".: "Memphis" (Oxford, 1931).

Porter and Moss, "Bibliography V".: "Upper Egyptian Sites". (Oxford, 1937).

p. S. B. A.: "The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology". (London, 1879–1918).

R. E. A.: "Revue de l'Egypte Ancienne". (Paris, 1929).

Rec. Trav.: "Recueil de Travaux Relatifs a la Philologie et a l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes". (Paris, 1870–1923).

Rev d'Arch.: "Revue d'Archeologie".

Rouge (De), "Monuments".: Rouge (De), "Notice des Monuments Exposes dans la Galerie d'Antiquties Egyptiennes au Musee du Louvre". (Paris, 1885).

S. A. O. C.: "Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization". (Chicago, 1931–).

Schafer. "Aeg. Insch. Berlin".: Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin". (Leipzig, 1924).

Schiaparelli, "Catalogue".: Schiaparelli, "Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze". (Rome, 1887).

Sethe, "Das Hatschepsut-Problem".: Sethe, "Das Hatschepsut-Problem noch Einmal Untersucht". (Berlin, 1932).

Sethe, "Untersuchungen".: Sethe, "Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens". (Leipzig, 1896–1917).

Sethe, "Urkunden IV, or Urk. IV".: Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums". (Leipzig, 1906–1914).

Sethe, "Pyramidentexte".: Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte" (Leipzig, 1908–1922).

Sethe, "Achtung".: Sethe, "Die Achtung feindlicher Fursten–Volker und Dinge auf Altagyptischen Tongeffasscherben des Mittleren Reiches". (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos–Hist. Klass, 1926).

Sharpe, "Inscriptions".: Sharpe, "Egyptian Inscriptions". (London, 1837–1855).

W. B.: Erman and Grapow, "Worterbuch der Aegyptischen Sprache". (Leipzig, 1925).

Weigall, "Guide".: Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt". (London, 1913).

Weigall, "History".: Weigall, "A History of the Pharaohs" (London, 1925).

Weigall, "Lower Nubia".: Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubia in 1906–1907". (Oxford, 1907).

Weil, "Veziere".: Weil. "Die Veziere des Pharaonenreiches". (Leipzig, 1908).

Wiedemann, "Geschichte".: Wiedemann, "Agyptische Geschichte". (Gotha, 1884).

Wiedemann, "Kleinere Agypt. Insc".: Wiedemann, "Kleinere Inschriften aus der XIII–XIV Dynasie". (Bonn, 1891).

Wilkinson, "Thebes".: Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt". (London, 1835).

Winlock, "Dier el Bahri".: Winlock, "Excavations at Dier el Bahri". (1943).

Wreszinski, "Atlas".: Wreszinski, "Atlas zur Altagyptischen kul–turgeschichte", (Leipzig, 1923–1936).

W. D. V. O. G.: "Deutsche Orient–Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Veroffentlichungen". (Leipzig, 1900–).


هنداوي